

١١٥

تاريخ المصريين

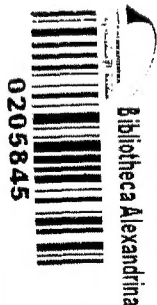
مذكراتي في نصف قرن

أحمد شفيق باشا

الجزء الثالث



الهيئة المصرية
العامة للكتاب



١١٥

تاريخ المصريين

مذكراتي في نصف قرن ج ٢

رئيس مجلس الإدارة

د. سمير سرحان

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير

محمود الجزار

مذکراتی فی نصف قرن

أحمد شفیق باشا

مذكرات الحاج مصطفى باشا بقلم



الحاج احمد شفيق باشا

رئيس الديار المصرية وكبير القضاة
ووزير المالية والعدل والداخلية
والخارجية

الجزء الثاني

عباس حلى الثاني

الطبعة الثانية من يناير سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩١٤



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٨

تقديم

هذا هو القسم الثانى من الجزء الثانى من مذكرات أحمد شفيق باشا الذى صدر بعنوان: «مذكراتى فى نصف قرن»، وقد أعطينا له اسم «الجزء الثالث» تيسيراً على القراء، وهو ما كان أجدر بأن يفعله أحمد شفيق باشا لو تنبه له بدلاً من تقسيم الجزء الثانى إلى قسمين وهو ما أوجد «ريكة» لدى الباحثين.

وقد سبق لنا أن نشرنا الجزء الأول فى العدد ٨٣ من هذه السلسلة، وأتبعناه بالقسم الأول من الجزء الثانى فى العدد التالى (٨٤). ولم يتيسر بعد العثور على الجزء الثالث عن عباس والحرب العظمى من سنة ١٩١٥ إلى ١٩٢٣، وسنعيد طبعه فور العثور عليه.

وهذا العدد يصدر فى إطار السياسة التى اتبناها فى هذه السلسلة، وهى عدم الاكتفاء بطبع الأعمال العلمية الجديدة للباحثين، وفتح مجال لشباب الباحثين والمؤرخين لطبع أعمالهم وإنقاذهم من قبضة سماسرة الناشرين المستغلين - وإنما إعادة طبع الأعمال العلمية التاريخية المهمة التى نفذت طبعاتها من السوق، وأصبح العثور عليها يتطلب جهداً فائقاً، كما يتطلب اقتناء أعدادها مبالغ ضخمة - ومن يتتبع من السادة القراء قائمة ما صدر من هذه

السلسلة في آخر هذا الكتاب، سوف يتبين ما قدمته السلسلة من خدمات في هذا السبيل.

والجزء الذى بين يدي القارئ، وهو الذى يصدر تحت اسم «الجزء الثالث» (القسم الثانى من الجزء الثانى فى الأصل)، يتناول الفترة الزمنية من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩١٤، وهى فترة حافلة بالأحداث التى عايشها أحمد شفيق باشا عن قرب باعتباره أحد صناعها - ورويته لها - بالتالى - ذات أهمية كبرى للمثقف ولباحث التاريخ، ويكفى إلقاء نظرة على الفهرس لإدراك هذه الحقيقة.

وأملئ أن يلقى هذا الجزء ما لقيه الجزءان الأولان من ترحيب القراء والله الموفق.

رئيس التحرير

د. عبدالعظيم رمضان

مؤلفات صاحب هذه المذكرات

الرق في الاسلام : باللغة الفرنسية وترجمته باللغتين العربية والتركية
قناة السويس : باللغة العربية وبه خريطة وصور وثمته ٥ قروش
مصر الحديثة ونفوذ الاجنبي فيها : باللغة الفرنسية وبه كثير من الصور والخرائط
وثمته ٢٥ قرشاً

حوليات مصر السياسية في عشرة أجزاء منها الثلاثة الأولى تمهيد والسبعة حوليات

التمهيد الأول : فذلك من محمد على إلى نشوب الحرب . الحماية وتولية السلطان
حسين . تأليف الوفد ونبي سعد وصحبه إلى مالطة . ثورة ١٩١٩ .
إطلاق سراح سعد وصحبه وسفرهم لباريس . لجنة ملز ومقاطعتها .
مفاوضات سعد وملز . الاعتداءات . (٨٧٢ ص و ٤١ صورة
وأربع خرائط وثمته ٥٠ قرشاً)

التمهيد الثاني : الاتحاد المقدس . انقسام الوفد . سعد وعدلى يختلفان . المظاهرات
وقبها بالقوة . الوفد الرسمي بلندرة وإخفاقه . سعد وصحبه في
سبيل . اعتقال أعضاء اللجنة المركزية للوفد . ثروت وألبي .
(٩٢٧ ص و ٣٢ صورة وثمته ٣٠ قرشاً)

التمهيد الثالث : تصريح ٢٨ فبراير ورجوع المنفيين . لجنة تحضير الدستور .
تعويض الموظفين الأجانب . تأليف حزب الأحرار الدستوريين .
(٧٣٤ ص و ١٧ صورة وثمته ٣٠ قرشاً)

الحولية الأولى : الانتخابات . وزارة سعد . الخلافة . البرلمان . السودان . الاعتداء
على سعد . مفاوضات سعد مع مكديونالد . مقتل السردار . الإنذار
البريطاني . حل البرلمان . (٦١١ ص و ١١٩ صورة وثمته ٣٠ قرشاً)

الحولية الثانية : الوفد والعرش . تأليف حزب الاتحاد . إخلاء السودان .
الانتخابات الثانية . افتتاح البرلمان وحله . استقالة أبي النضال
بين الأحزاب . الحكم في قضية مقتل السردار . محاكمة الشيخ على

عبد الرزاق . الدعوة إلى عقد مؤتمر وطني عام . تسليم جغوب
لايطاليا . (١١٠٤ ص و ٧٤ صورة وثمنه ٤٠ قرشاً)

الحولية الثالثة : الأحزاب المتولفة . الانتخابات الثالثة . عدلى يخلف زيور .
عبد الجهاد الوطني . (٧٠٦ ص و ١٩ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

الحولية الرابعة : القضية المصرية والأحزاب . ثروت يخلف عدلى . زيارة جلالة
الملك رسمياً لايطاليا وفرنسا وإنجلترا وبلجيكا . مفاوضة ثروت
وتسبيلن . وفاة سعد . افتتاح البرلمان . الامتيازات الأجنبية .
(٧٨٢ ص و ٦٠ صور وثمنه ٣٠ قرشاً)

الحولية الخامسة : ملك الأفغان في مصر . أعمال البرلمان . ولي عهد إيطاليا في مصر .
النحاس يخلف ثروت . حالة الائتلاف بين الأحزاب . مشروع
اتفاق ثروت مع إنجلترا . وفاة حسين رشدي . النزاع الحزبي .
محمد محمود يخلف النحاس . تعطيل البرلمان . النحاس في الأقاليم .
مشروعات الرى الكبرى في مصر والسودان . وفاة ثروت . النضال
بين الوفد والوزارة . محاكمة النحاس . (١٥٢٦ ص و ٢٤ صورة
وثمنه ٥٠ قرشاً)

الحولية السادسة : الاتفاق على مياه النيل . زيارة جلالة الملك لألمانيا وفرنسا وسويسرا
وإنجلترا . مفاوضات محمد محمود وهندرسون . تنفيذ بيت الأمة .
عدلى يخلف محمد محمود . عودة الحياة النيابية . الانتخابات الرابعة .
(١٦٠٠ ص و ٢١ صورة وثمنه ٥٠ قرشاً)

الحولية السابعة : النحاس يخلف عدلى . افتتاح البرلمان وأعماله . مفاوضات النحاس
وهندرسون . اسماعيل صدقي يخلف النحاس . تأجيل البرلمان
موقف الانجليز . تغيير الدستور وقانون الانتخابات : تأليف
حزب الشعب . (١٦٠٠ ص و ١٣ صورة وثمنه ٥٠ قرشاً)

وتتضمن هذه المجموعة الخطب والمحادثات السياسية وتعليقات الصحف على
اختلاف نزعاتها ؛ فهي دائرة معارف سياسية جامعة

الجزء الأول من مذكراتي في نصف قرن من سنة ١٨٧٣ إلى وفاة توفيق
في يناير سنة ١٨٩٢ (٥٢٧ صفحة ٣٥٥ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

القسم الأول من الجزء الثاني من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٣
(٤٥٦ صفحة ١٧٦ صورة وثمنه ٢٥ قرشاً ومن أول يناير سنة ١٩٣٧ ثمنه ٣٠ قرشاً)

فهرس القسم الثاني من الجزء الثاني عهد عباس حلى الثاني

سنة ١٩٠٣

بين وبين حسن عاصم باشا ص ٤ الخلاف بينا
رسائل رشيد بك عن سياسة المايين ص ٤ حضوره لمصر ورجوعه للاستانة . يالى جبولل .
زيارة البرنس حسين كامل للاستانة . مسألة القبولتغدا والمؤلف . مناجم طاشوز
تذمر الغازى مختار باشا من الخديو ص ٦ شكوى نجله للمايين من عباس . تنقيص امتيازات
الغازى . رأى بطرس باشا
فوضى الرتب ص ٧ الوسطا وتنافسهم . أسعار الرتب . رأى بطرس باشا . جواب سموه لـ
إخفاق مؤامرة فى مصر لخلع عبد الحميد ص ٨ يديرها رجب باشا مشير ليق طرابلس الغرب
وأصاره . مطالبهم المالية من عباس . الرض
رحلة الخديو إلى الاستانة وأوربا ص ١٠ السفر . الحاشية . فى الطريق . إهداء الخديو أمرار
عائلة السلطان . الوصول للاستانة . الاستقبال الحسن فيها . الحاشية بين يدى السلطان .
يالى جبولل . مأدبة الوداع الرسمية . السفر إلى فينا ومنها إلى باريس
زيارته غير الرسمية للندرة والتفاهم مع الانجليز ص ١٤ الاستقبال فى لندرة . ضيافة السير
ارلست كاتل لنا . استقبال عائلى فى بكنجهام . اختيار السفراء الخديو كامير مستقل .
عباس يشهد زواج جورجست . عديته الخيفة . الاستعراض فى عيد جلوس الملك . القذا
فى قصر بكنجهام . القهرة التركية . مأدبة بلفور الرسمية . توز ببلغ ١٥٠٠ جنيه
فى المعرض الزراعى . دهبوسة الأمرار للخديو فى ولندسبور . مأدبة رسمية فى قصر
بكنجهام . دهرة الملك لتكرار زيارة عباس . كيف كان الرد . الملك يطلب من
عبد العزيز هرت باشا تذكير الخديو بالدهوة . الخديو عضو شرف فى ناد السباق .
عباس وملك انجلترا فى ضيافة السير ارلست كاتل . إلى الملقى . زيارة صاحب كتاب
روح الاسلام لنباس . وفد جمعية مسلمى لندرة . كلام سموه والمناقش التى يلقاها المنود
فى الحج . غضب السلطان . ارلست كاتل والسر فى روح الأوراق المالية . الخديو ومستر
بلنت . نتائج زيارة لندرة . الرجوع إلى باريس . تبادل الزيارة بين عباس ورئيس الجمهورية
فى حمامات ديفون ص ٢١ لطيفة السك الطازة
مهنى فى طاشوز ص ٢٢ مكسيوس ومعصرة الزيت . الغرافيل . مقابلى بلكسيوس ؛ البهارة الخيرية
بقوله . جزيرة ليس فيها أنى حتى الدجاجة . السفر إلى دده أغايش . حادث مره .

— ب —

الوصول إلى فيينا وتقريرى عن طاعوز
 العودة إلى الاستانة ص ٢٦ الاستقبال فيها . تناول النداء في يلدز . مجادة السلطان عن نوايا ثوار
 بلغاريا القليلة . خطأ ينيل رتبة
 العودة إلى مصر ص ٢٧ وصولنا للاسكندرية
 الشيخ على يوسف في لندرة وباريس ص ٢٧ . ما عله في لندرة . أخبائه عن سياسة الفرنسيين
 نحو مصر
 هدية الخديو للبحر الأحمر ص ٢٨ زيارة سموه
 الزبرجد في البحر الأحمر ص ٢٨ سرقة . انتداب محمد سعيد للتحقيق
 شقيقة ملك الانجليز في مصر وكبار الزوار الأجانب ص ٢٨ الحفاوة بها . الدوق
 أوف كنوت وزيارته لخوان أسوان . الحفاوة بولي عهد ألمانيا وشقيقه . مأدبة للدوق
 دوساكس . ولي عهد النمسا وحفاوة صديقه عباس
 افتتاح دار الآثار العربية ص ٣٠ خطبة مدير الاوقاف
 مسألة صندوق التوفير ص ٣٠ الخلاف بين عباس وكروس . أخذ رأى النمسا . المشروع . تقديمه
 لكروس . بموله

سنة ١٩٠٤

دسائس البكرى في الأزهر ضد المفتى ص ٣٤ كسوة لشريف منحة تثير غضب الخديو من رد
 جاف للمفتى . البكرى يهدل النار . مساعدوه . تغيير أعضاء مجلس إدارة الأزهر
 لصيحتى المفتى . زياته لعباس وتقديم استقالته . الخديو يرفض . خضوع الصبيغ .
 خطاب من البكرى . محور الدسائس . فضله . الفتوى الترفغالية . قيام الدسائس ضد
 المفتى . التشهير بالمفتى في جريدة حارة منبى وغيرها . كروس لا يصدق
 محاولة أخرى للسيد البكرى ص ٤٠ استقالة السكرتير الشرقى لكروس وكذلك أصحاب المقطم
 مدام جوليت آدم والانجليز ص ٤١ مأدب ونزه وحفاوة من الخديو والمصريين . مقالة في مجلتيها
 ضد الانجليز . اعراض كروس . لا ينسى عباس مركز انجلترا في انجلترا وهو سيكون
 مما قريب أقوى مما هو الآن
 الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا ص ٢٤ أهم ما يخص مصر . ليس لمصر أن تعتمد إلا على نفسها
 فضائح فوضى الرتب ص ٤٣ رتب لموظفين مغرولين . إفسادها . تهديد الانجليز بحجب امتياز
 إعطاء الرتب

في العائلة الخديوية ص ٤٤ بين الرئيس نعمه الله عانم أفندى والبرنس جميل طوسون
 سخط الخديو على حسن عاصم باشا ص ٥٥ الأسباب
 يوسف طلعت باشا ووالده ص ٤٦ خلاف بين الابن والوالد . ذواله

سفر الخديو إلى أوروبا ثم الاستانة وسفرى مع الحرم ص ٤٨ تردد الخديو في زيارة الاستانة ثم عدوله . قطعات الخديو لي . هدية الخديو للسلطان . سفر الخديو لاوروبا . وصولنا الاستانة . الاستقبال . الوالدة والحرم في التيازو المخصوص . مقابلتي لتحسين بك . سفرى لفينا . مقابلتي للخديو . رجوعي للاسكندرية . مهجى في سكة حديد مريوط . العودة إلى فينا . زيارة الخديو للغازي مختار باشا المريض . سفر الخديو للاستانة . انتقاده . رسالة ودية من ملك الانجليز للخديو . الخديو والمعبة في حضرة السلطان . امتنان جلالتة من وجود بطرس باشا . حديث السلطان والخديو . الاعلام على كرمي الخديو . مأدبة هشار رسمية . ملاحظات على أدوات المائدة . بين بطرس باشا وناظر خارجية الدولة . مأدبة اخرى ومشاهدة التثيل . إنعامات كثيرة . المجدى المرصع لمصطفى نهي باشا وبطرس فالي باشا . وشاية عن عدم مقابلة الباشكاتب لى . شهادتي الخطبة للسلطان . شكر تحسين بك . استغراب عباس وبطرس . مأدبة الوداع وهدية السلطان للخديو وبطرس . دير الاقباط بالقنس . العودة إلى مصر علاقات الخديو مع الانجليز ص ٥٥ مقابلة مصطفى نهي للخديو . امتنانه من إنعام السلطان ومن غضب عباس على مصطفى كامل . كرور على مائدة الخديو في المنتزه . استعراض الخديو للجيش الانجليزى في ساحة طابدين . وقوفى تحت العلم أخف من رلعه على طابدين . تدخل الانجليز في مسألة أمير الحج

تركيا والحدود الغربية ص ٥٨ تعدى الأتراك على ميناء السلم . الخديو يعلم كرور بهذا التمدى . احتجاج الحكومة . رجوع السلم لها

قطع العلاقات بين مصطفى كامل وعباس ص ٥٩ صودة خطاب الخديو قضية زواج صاحب الميزيد ص ٦٠ الخيلة . الحكم بنسخ المقد . تجديد المقد بواسطة الشيخ راضى قاضى مصر التركى وديوان الأوقاف ص ٦٢ طلبه الاشراف على محاسبة النظار . سحب طلبه بتدخل الحكومة والانجليز

تعيينى رئيساً للديوانين العربى والأفرنجى ص ٦٣ غضب عباس على حسن عاصم باشا . إقالته

سنة ١٩٠٥

الخديو وأصحاب المقطم ص ٦٤ استانة الخديو لفارس نمر . مسألة الانعام عليه برتبة السير ارنست كاسل فى مصر ص ٦٥ هدين لسبقته وشكرما ل الدساتر فى الآمر أيضا ص ٦٥ الشيخ سليم البشرى والشيخ المنصورى روح الشغب فيه . استقالة علي البيللاوى . تعيين الشيخ . خطبة عباس في حفلة تعيينه . استقالة المفتى والشيخ عبد الكريم سلمان . فشل الخطوة الأولى في إصلاح الأزهر شركة للزبرجد والنحاس ص ٦٦ بين مكسيوس وعبد الرحمن كاسى بك وحنا عنصره . الاتفاق لجنة الاحتفالات الخديوية ص ٦٧ شكر عباس

غادة تعمل على استقالة عباس ص ٦٧ تقديم رواية «اميليا» التي تمثل حالتها . ففعلها
رحلة الخديو إلى الاستانة وأوربا ص ٧٠ وصوله إلى الاستانة وسروره من الاستقبال . بقاى
في مصر لمشاركة النظار . سفره إلى فينا . ومنها إلى لندرة . الحفاوة . شكوى البرنيس
زبيدة لملك الانجليز . تكدر سموم . أوامره في . رجوعه للاسكندرية . كروس
وانتقاده على سائلة البرنيس . استياء عباس . القرية

وفاة الشيخ محمد عبده ص ٧١ تنفيذ جنازته . عب عباس على
الخديو وحسن عاصم باشا ص ٧٣ أوامر بانتقاد بعض كبار الموظفين . عريقتهم بالاخلاص للخديو
بعد العودة من أوربا ص ٧٤ رواية الخديو في عن تألم السلطان من الأرمن وما سيمعله معهم . إلقاء
الخديو هذا السر للانجليز

قاضى مصر وطلبه السفر للاستانة ص ٧٤ إذجانه لطلب أجهزة . تعيين قاضى مكة بدلا عنه
منصب القبول كتنخدا ص ٧٥
تعيين مفت جديد ص ٧٥ انتخاب الشيخ بكري محمد عاشور الصديق . تدمير مصطفي فهمي من
تدخل بطرس

سنة ١٩٠٦

مسألة طابا ص ٧٧ احتلال مصر لها . معارضة الأتراك . بركة الصدر للخديو . رد الحكومة المصرية .
القوة تنسحب إلى جزيرة فرعون . طلبها تعيين مندوبين لتعيين الحدود . عدم الموافقة .
إرسال المدرعة ديانا . محاولة الصداقة عدم فصل الحدود . طلب سحب المدرعة
تقرير هام من مختار باشا للحكومة المصرية ص ٧٩ رد الحكومة بالرفض . رسالة عباس السرية
للمدارة بطريقة الحل لصالح الدولة . الرد السرى . رد الصدارة الرسمى
سفرى للاستانة لانتهاء المسألة ص ٨٥ التخليات . في المابين . زياراتي للصدر . نصيحة لعباس .
حديث مع سفير انجلترا . ملاحظته على الصحف المصرية . تشدد الباب العالي أولا
احتجاج الحكومتين المصرية والانجليزية الرسمى ص ٨٧ الأتراك يقتلون أعمدة الحدود
وينتفرون أعمدة التلفزيون . الدارعة منقرا . الاحتجاج . طلب تعيين لجنة لفصل الحدود
بلاغ انجلترا النهائي ص ٨٨ المطالب . قبولها . السلطان والصدر وناظر الحرية ناقرون على القلاى .
رشاء الرأى العام عن سياسة الخديو

تعيين أعضاء اللجنة وتحديد التخوم ص ٩٠
ملك الانجليز حائق على عباس ص ٩١ معلومات البرنس حسين . توسط كاسل لاصلاح ذات
البين . كاد عباس أن يدفع للحرب مع تركيا
ولى عهد انجلترا بمصر وخطاب البكرى له ص ٩٢ استقباله بالمحطة . مادية عشاق . في طابدين .
استقباله أعضاء مجلس الشورى . خطاب مفتوح له من البكرى يطلب الدستور .
سفره إلى انجلترا

- ج -

الحديث في الأستانة ص ٩٥ حفاوة السلطان به . سفره للجماعات . رجوعي لمصر
عود إلى دسائس الأزهر ص ٥٩ الملقى ومساءلة إسماعيل طالب . تفنيق له لطفه في شيخ الجامع .
إقالة ابنه من وظيفته في الأوقاف الخديوية .

وفاة البرنس محمد إبراهيم وحيد الدين ص ٩٧

وشاية يعقنها لإنفاض مرتبتي ص ٩٧ .

حادثة دنشواي ص ٩٩ مشاجرة بين سكانها وبعض الانجليز . تبييتها . تأليف المحكمة المخصوصة .
الحكم القطيع رجوع الرفاق بين عباس ومصطفى كامل . السير بجراي ينسب الحادث
للتصيب . حملات مصطفى كامل في الصحف . استبدال القلق بالتغيب بعد الحلات

الحديث والنظار والانجليز ص ١٠٢ ترشيح كرومر لعد دخول في نظارة المعارف . رأى بطرس
في بعض المسائل

تأسيس شركة ليتاندارد والاستاندارد ص ١٠٣ المحاولات المالية . انتقاد كرومر الشديد .
نائب مجلس

مسألة الرتب أيضاً ص ١٠٤ كلام كرومر بخصوصها بشدة . انفعال سموه منه

سنة ١٩٠٧

الانجليز وعيد الجلوس الحديث ص ١٠٥ الجور قائم والاحكام بين الحديث وكرومر معطرم
الاسباب . ترشيح كرومر لعماد في عيد جلوسه . عيد الجلوس في الأزهر . انتدائي
لخصوره وكلتي فيه

كيف أنشئت الجامعة (الأهلية) وانتخب رئيسها ص ١٠٦ الجامعة أم الكتاب ؟ لحافظ

عوض . مصطفى كامل الفمراوى ينادى للجامعة . تبرعه لها . عباس يشتجع المشروع .

أول اجتماع عند سعد دخول بك . المجتمعون . الاكتاب : الانتخابات . رأى كرومر

فيها . مأمورين مع اسماعيل الباطل باشا عند سعد . الاجابة غيرة مرضية . البحث عن

برنس لراثة الجامعة . مخابرة مع البرنس احمد نواد باشا . انتخابه رئيسا وانتخابي زكيلا

التراسم على مشيخة الأزهر ص ١١١ محمد شاكرو حبرونة النواوي ؟ انتخاب الثاني

مذروسة القضاء الشرعي ص ١٦١ عدم رضا عباس عن المشروع . النظار يؤيدون سعداً ما عدا

غري باشا . عباس يقلل مكروما . حدة سعد . غضب عباس الشديد . ثناء كرومر على سعد

تقرير كرومر عن الحركة الوطنية ص ١١٢ رآه في الحوب الوطني

إصدار جريدتي ليتاندارد والاستاندارد ص ١١٣ حلة مصطفى كامل على رجال الاختلال

أحداث سياسية للحديث ص ١١٣ ما قاله لكاتب الكتاب بالتدبير الأوربي . إنكار التصيب . التفتاح .

كرهه للإستعداد . لزوم اتحاد الأمة . التمس بقول إن عباس من حزب مصطفى كامل

تدبيرها له . حديث آخر مع المستر ديس الانجليزى . الاختلال أمر طبيعي . الشريون

— ح —

مياثون للسلطة المطلقة . طلبه من الانجليز ترك السلطة له . مستحيل تنازله عن أى امتياز الاعتراف بالجميل للملك إدوارد . عباس يشكر ماقاله ديس ما عدا تفضيل الانجليز على غيره . صحيح الحديث نحن المؤيد

استقالة اللورد كرومر وتعيين السير البدون جورست مكانه ص ١١٧ خطته . سياسة جديدة . اجتذاب الخديو واستمالة الأخواب . الاستحسان والرجاء . زيارة كرومر لعباس للوداع . قوله بأن علاقته الشخصية كانت حسنة ، أما السياسة فسيئة . طلب المجلس التياح هو القلب بالنار . إطلاقه رصاصة تكون القاضية على مصر وخديويها . انتقاده على خديوت سموه من العان . جواب عباس على أقواله . رده الزيارة في الوكالة . مقابلة جورست لعباس . ارتياح الخديو لتعيينه . تسكن وجهتنا واحدة ومعلمنا مصر كرومر يحدث بطرس عن زيارته لعباس ووعده بتبرئته من الحزب الوطنى . سعى الانجليز لحضور كبار المصريين حفلة وداع كرومر . رفض الكثيرين لمن كرومر في الحفلة . رد الشيخ على يوسف التين على أقوال كرومر

جورست وسياسة الوفاق الجديدة ص ١٢١ خطبته في استقباله الرسمى . اعترافه بسيادة الدولة . الحكم للخديو . رد عباس . مساعدته وإخلاصه له . البرلس حين انتقاده على التعطيل على المدبرين . جورست يمدد توسيع اختصاصاتهم . حديث بين عباس وجورست . لأول مرة يعرض بمقتضى انجليزى ترشيح مستشار . موافقة عباس . جهد جديد . وصايا جورست للوظفين الانجليز . ارتياح عباس . إطلاق يده في منح الرتب والتباهشين

أرمنى يهدد الخديو ص ١٢٣ تفتت أفكاره . الأسباب . خطابات تمس الخديو في بدسوى وشريكه اسطفان بك الأرمنى . الترضية . أحمد شوق واستقالته . بطرس وخطابه على المنعاج الأزمة المالية ص ١٢٥ ندان يفتى بمائة جنيه ويبيع بألف وثلاثمائة . انتعاج المصارف من التسليف تأثير تقارير كرومر وخطة الحزب الوطنى . إفلاس كثير من المحلات التجارية قيام الأحزاب المصرية ص ١٢٦ الحزب الوطنى . تأليفه . برنامجه . شروط قبول الأعضاء فيه . حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية . تأييد الخديو له . ملخص مبادئه . حزب الأمة . تأليفه . الجزيرة لسان حاله . مبادئه . كرومر يعطده

من استبداد عباس ص ١٣١ تشتيت موظف في مجال نظم شؤون مختلفة ص ١٣٢ رحلة عباس لسيرة . مشتري ودميلين في المنية أراضى فيها . ردما لأصحابها بأمر عباس . مشرقا لها باسم ولى العهد . سعى الخديو لاجتذاب الأهالى . تعليم ولى العهد وشقيقه

سببته ١٩٠٨

الخطوة الثانية لإصلاح الأزهر ص ١٣٦ طالب الشيخ الشربى زيادة ميزانية الأزهر . معادى معه د إذا أعطينا أخذنا . وفاته . مقابلة خلفه . الشيخ حسونه وتكرار الطلب . مناقش معه واستمالته لوضع نظام جديد للأزهر . رأى الشيخ محمد حسين العدوى

— خ —

في الإصلاح . اشترك الشيخ محمد شاكر مع في عمل مشروع الإصلاح . تفكيك لجنة لمراجعته . تقريرها . طلب من اللجنة الاعتراف ، بأنه ليس فيه ما يتنافى وأصول الدين الاسلامي . قيام الشيخ محمد راضي على رأس بعض المشايخ ضد القانون . غضب الخديو على الشيخ حسونة وذواله بمسماي . طرد الشيخ محمد راضي من التشريفات . انعقاد المجلس الأعلى للأزهر والمعاهد الدينية لأول مرة . لماذا لم ينجح الشيخ محمد عبده في معالجته إصلاح الأزهر ؟

مسائل الرتب ص ١٤١ كلية منحها للتجار والأعيان والعمد . ما يقوله حسين زكي بك عن المتاجرة فيها وتوزيع الأرباح . التنافس بين حين زكي بك وأحمد شوقي بك . غضب الأول وتهديده بكشف الستار عن الأسرار . استرضائه

سياسة الوفاق بين جورست والخديو - الدلائل - ص ١٤٣ الخديم وفتح زغلول . الشيخ محمد عبده وألصقه يطالبون سحب السلطة من عباس . الخديو والنظار وفاة مصطفى كامل باشا وانتخاب محمد فريد رئيساً للحزب الوطني ص ١٤٤ يوم تنصيب جنازته كان يوماً لم يسبق له نظير . تهنئة الخديو لمحمد فريد

لائحة المعاشات الجديدة ص ١٤٥ الفرق بينها وبين لائحة توليق

سفر الخديو للاستانة وأوربا ص ١٤٦ بقائي في مصر مع النظار

قاضي قضاء السودان ص ١٤٦ استلام الخديو من السواقي في التبين . تعيين الشيخ مصطفى المراشي إعلان الدستور في تركيا ص ١٤٦ المطالبون به . دخول جيش سالويك للاستانة . إعدام عبد الحميد . وصف الانقلاب

خواطر تحسين باشا عن علاقة عبد الحميد بعباس ص ١٤٩ ما قاله عن سموه وعن . برج مصر جبوتى والدرام منه

عودة الخديو إلى مصر ص ١٥١ مآرءه عن الاحتفال العظيم به في قوله

الحركة الوطنية وطلب الدستور في مصر ص ١٥٣ الأسباب . المطالبة في مجلس شورى القوانين الولد الأباظي في لندوة لتمطيد الخديو . رأى الخديو في طلب الدستور . خلاف بين على شعراوي باشا واسماعيل أباهه باشا . الانجليز وملاخطهم على تأخير أعمال مجلس الشورى . المستفاد المال وقوله كيف يمكن طلب البرلمان مع وجود الاحتلال

علاقة مصر بتركيا وانجلترا ص ١٥٦

من استبداد عباس أيضاً ص ١٥٨ طرد موظفين في سن الشيخوخة . تصذيب وقاد تركى . ختم مرتبات وإنذارات لأقل هفوة .

بطرس يخلف مصطفى فهمى ص ١٥٨ ترشيحه في نظارة المعارف . سعد كلامه قاس مثل المعبر ولكن جورست يطلب إبقائه في النظارة . بطرس مشول أمام الخديو وكل ناظر أمام الرئيس . ترشيح ثانياً للبلدية . عدم استئثار عباس عن

مدير الاوقاف العمومية الجديد ص ١٦٣ تعيين خليل حمادة باشا . تقديمه له رؤساء الأوقاف

— د —

النظار الجديد والأزهر ص ١٦٤ مناقشة حثيفة بين سعد ورشدي حول الأزهر . خلاف بين سعد
والجستار المال . حكم بطرس باشا على سعد
الاحتاف للدستور ص ١٦٤ الاستعراض في عيد ميلاد ملك الانجليز . عباس والنظار في شرفة سراي
عابدين . طلبة مدرسة الحقوق تهتف باسموه والديستور .
رساله تهديد للخديو ص ١٦٥ جمعية الانتقام المصري
الانجليز يمشون بالاحتياطي ص ١٦٥ مشدوي القنصلد الانجليزى وأسهم الترفسالف بليون
وثلاثمائة ألف جنيه
الانجليز والوظائف ص ١٦٦ جورسو يخفض عدد المعلمين الانجليز من ستة وأربعين إلى أربعة
الخديو والأعمال الهامة ص ١٦٦ مناقشة سنوه مع النظار في الأعمال . اشتغال سموه بالمسائل الشرعية
مجلس شورى القوانين والدستور ص ١٦٧ لاجلس نياي بل طلب إشراك الامة مع الحكومة
اضطراب الأمن ص ١٦٨ اقتدار أشراف في داخلية البلاد
قاضى مصر والولاية الشرعية ص ١٦٨ مجلس خديو سياسى . والقاضى خديو شرعى . انتداب
عمود شكرى باشا للخبرة مع الباب العالي
المشادة بين الخديو والحرب الوطنى ص ١٦٩ ادعاءه على الخديو بأنه عاين
تدخل الخديو في الانتخابات ص ١٧٠ فضل . نصف مليون بالعماسة يحضر منهم ألف وخمسمائة

سنة ١٩٠٩

ترشيحى لأمانة جمرک الاسكندرية ص ١٧١ عدول سموه
الحرب الوطنى والموظفون ص ١٧٢
المستشار النالى والنظار ص ١٧٢ الخلاف بينهم في المجلس . سألة حكم جديد الواحات . لائحة
المعاملات الجديدة . عباس لم يشد مناقشات بهذه الحدة
يعين البرنس حسين كامل باشا رئيساً لمجلس شورى القوانين ص ١٧٣ طلب توسيع
اختصاص المجلس
بمك قانون المطبوعات واضطهاد الصحافة ص ١٧٣ قانون سنة ١٧٨٩ . بتذبذب عباس في
الرأى . فكر الشيخ على يوسف . الخلاف بين النظار ورئيسهم . استياء بطرس باشا .
تهديد سعد وسعيد ورشدي بالاستقالة . الحل وانفراج الأزمة . مكافآت بزيادة مرتبي
أنا لا آمن سواك . انتقاد سموه على رجوع النظار في أقوالهم . سرور بطرس
لو كانت قبل ترشيحاته . ومنهم المؤلف . لما حصل هذا الاختلاف
صدى القانون ص ١٧٨ حملات الصحف ضد قرار الحكومة . عديم احتفاء الطلبة بعباس . اجتماع
الحزب الوطنى . تهديد النظار بالقتل . مظاهرة الطلبة . القانون في مجلس الشورى

— ٣ —

قبوله بعد الانقسام ، إنذار اللواء والحكم على الشيخ جاورش ، البرلمان الانجليزي
يوصى بعدم التعذيب على خربة الصحف ، اللواء ومدحها قاتل اللورد كرزون في الهند ،
الطعن في أعضاء محكمة دافنواي من المصريين ، مظاهرة سياسية ، الخديو يعمل ضد
محمد فريد بك

احتجاج بور سودان ص ١٨٠ الاستقبال والحفاوة ، الخديو يضع آخر حجر ، مادة ، دعوة
الردار ، حفلة الوداع وشكر عباس
شئون الأزهر ص ١٨٢ تشكيل لجنة البحث في مطالب الطلبة والمعلماء ، استقالة الشيخ حنونة
وتعيين الشيخ سليم البشري للمرة الثانية
تولية السلطان محمد رشاد وسفر الخديو للاستانة وأوربا ص ١٨٢ تهنة عباس للسلطان
الحفاوة بسموه ، رجوع الخديو لمصر
انتدائي لادارة الاوقاف الخديوية ص ١٨٣ حفلة امتحان مدرسة خليل آغا ، خطبتي ، إن
المستندات بذهبن السيئات

حضور عزت العابد باشا إلى مصر ص ١٨٤ مقابلة الخديو
مرض السيد البكري ص ١٨٤ تحليله امتعاض الخديو وكل العالم له ، تلميح له
مهمة سياسية لمحمود شكرى باشا في الاستانة ص ١٨٥ موافقة الخديو لقاضي الجديد الذي
يرشحه الباب العالي ، التصريح لمصر بالاقتراض
مسألة امتياز قناة السويس ص ٨٦١ الرأي العام ضد ، نصيحة عباس لطبرس ، موافقة عباس
على عرض المشروع على الجمعية العمومية ، تدخل الباب العالي ، سعد يتافع عن
المشروع ، رفضه

سنة ١٩١٠

عباس يؤدي فريضة الحج ص ١٨٩ مدور الأمر إلى التناقص بطرس باشا ، البناء على الحكومة
العثمانية ، التنويه بذكر الخلافة الاسلامية للسلطان ، شعور الخديو نحو الأمة المصرية
الوصول إلى مكة ، إبلاغي الشريف حسين السلام الخديوي ، إعداد المال اللازمة ،
استقبال الخديو في جدة وبحرة ومكة ، مروره بين الأعلام والمصاييح ، صلاته صلاة
الصبح في الحرم ، الطواف والسعي ، نزوله في دار الامارة ، أنت تقم في ملكك
إطلاق المدافع ضد الشروق ، تشريفات وزيارات ، تفقد الشبكة المصرية استبشار
الاهالي ب نزول الامطار ، ولية الخديو لكبار القوم ، وكيل الولاية ، ترحيه بقدوم الخديو
الخروج إلى عرفة ، التلبية المؤثرة ، الوقوف على جبل الرحمة ، التلبية ، النظر الرائع
النزول إلى منى ، استعراض حرس المحفل ، الضحايا ، قراءة القرمان ، المحفل الشامي
وعمل بن دينار ، رمى الجمرات ، توزيع الصدقات في مكة ، لشيد الحجاج المدنيين ،
اغفر اغفر إن لم تغفر من يغفر ، أسواق مبيع الجوارى ، أستاذ بابا في مسلم ، عباس
وبعض الحاشية على الحير من مكة إلى بحرة ، كبر الركائب ووقوفنا ، حفلة الوداع

- ر -

في جدة . سبأ إلى الوجه بمرأته إلى البدائع . طريق وهر . الجنود الثمانية ترافق
 الخديو . من البدائع إلى المدينة بالقطار . الاستقبال بها . زياوات في الحرم ومقبرة
 المدينة ومسجد تقياء . صلاة الجمعة بالحرم . خطبة السيد محمد البلاوي . معاملة عباس
 بعض رجال الملية بالقتل واللعن . شكر المودعين والقيام إلى تبوك . الوصول إلى حيفا .
 الاستقبال الرسمي . ترجمة لقرآن الحجاج على حساب الخاصة . الوصول إلى القاهرة .
 مسألة امتياز قناة السويس في الجمعية العمومية ص ٢٠٤ خطبة عباس . الخفاف في الشوارع ضد
 المشروع والخديو والنظار . تقريران من صابر باشا صبري وطلعت بك حرب
 ضد المشروع . رفض المشروع بالإجماع . حديث للخديو
 مقتل بطرس باشا ص ٢٠٨ اعتداء الورداني عليه . في مستشفى الدكتور ملتون . تقبيل عباس له
 تأثر بطرس وشكره . وفاته . تشييع جنازته رسمياً . النظارة الجديدة . محمد سعيد باشا
 يظف بطرس . التحقيق والجاني . جمعية سرية . الحكم بالإعدام
 روزفلت رئيس جمهورية أمريكا بمصر ص ٢١٢ مأدبة في عابدين وأخرى عند البرنس احمد
 فؤاد باشا . خطبة روزفلت بالجامعة بدعوة رئيسها . الوطنيون وروزفلت . ما كتبه
 الشيخ علي يوسف ضد روزفلت في المجلات الأمريكية كطلها . سفر روزفلت إلى
 لندرة . خطابه الشديد عن المصريين في جلدهول . موافقة السير ادوارد جراهي على
 تصريحات روزفلت بخصوص مصر . خطبة فريد بك في لندرة ضد روزفلت وجراهي
 تعيين مدير ألدويان الأوقاف العمومية وبعض أعماله فيه ص ٢١٥ زيارتي للنظار
 كلتي لرؤساء الأوقاف بالأوقاف . فوضى الديوان وإنشاء قلم استعلامات نظافة المساحد
 تعيين مفتش للمعهد من غير العلماء وعظمهم توسيع اختصاص الموظفين . طلب الصحف
 واتباع هذه الخطة في دوائر الحكومة . تعديل المجلس الأعلى للأوقاف . رحلة لزيارة
 مأموريات الأوقاف . افتتاح مسجد مرسى مطروح . الاحتفال بذكرى محمد على الكبير
 حالة التكايا والمساجد السيئة . ضرر المقامى بحوار المساجد . التوظيف والترقي في
 الديوان . انتقال الموظفين . القاعدة . حالة بعض الموظفين . تعيين تلامذة . الظهورات
 وفاة ملك الانجليز ص ٢٢٦ البرنس محمد علي يشيع الجنازة . الاحتفال بالجنازة في ثكنة قصر النيل
 سقري للأسكندرية لقضاء فصل الصيف . اختياري لرياسة لجنة امتحانات مدرسة
 المعلمين الناصرية ص ٢٢٧ ملاحظات . شكر ناظر المعارف
 قضية ديوان وطني ص ٢٣١ الحكم على الشيخ الفايان والشيخ جابوش وآخرين
 الخطوة الثالثة لاصلاح الأزهر ص ٢٣٢

سنة ١٩١١

اشتداد روح المعارضة . سجن محمد فريد بك ص ٢٣٥ المعارضة في مجلس شورى القوانين
 حول الرتب والنياشين لأعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية ص ٢٣٦ تكريم
 المعارضين : تكريم الأغلبية

رحلتى للصعيد والسودان ص ٢٣٧
 الخطوة الثالثة فى إصلاح الأزهر ص ٢٤١ تنفيذ قانون الأزهر الجديد
 رأى الخديو وغورست فى المعارضة فى مجلس شورى القوانين ص ٢٤٢ رأى الخديو فى
 المعارضة . رأى غورست فيها
 المؤتمر القبطى ص ٢٤٤ معارضة بطرس باشا لها . كلمة الأستاذ واصف بطرس فالى عن المنصرين .
 المقاد المؤتمر ومطالبه
 المؤتمر المصرى ومباحثه ص ٢٤٥
 حديث غورست والخديو عن المؤتمرين ص ٢٤٧ حديث الخديو عن المسألة القبطية
 سفر الخديو للاستانة ص ٢٤٧ حديث عباس مع مكاتب جريدة الفيجارو باريس . زيارته لاطاليا
 وحفاوة ملكها به
 وفاة رياض باشا رئيس المؤتمر المصرى ص ٢٤٩ — وفاة غورست وتعيين كشتنر
 ص ٢٥١ — اتجاه السياسة الجديدة ص ٢٥١ . الانعام على بنيشان إيطالى ص ٢٥٢
 أعمال فى ديوان الأوقاف ص ٢٥٢ الأوقاف الأهلية . قسم القضايا . قلم التحصيلات . الاحتياطى
 للبعثات . الانتشار فى المزايا العلنى . تعديل مواهب الأقساط . تحديد مساحة الصيلى .
 تطهير المساق والمصارف . المستوصف العباسى . مسجد مصر الجديدة . أول تقرير عن
 أعمال الديوان
 أكبر أنجال السلطان رشاد فى مصر لتحية ملك إنجلترا ص ٢٥٧ وصوله للاسكندرية . سفر
 الخديو والوفد الفساحى إلى بورسعيد . وصول ملك إنجلترا وملكته إلى بورسعيد .
 استقبالها . زيارة الملك للخديو وللأمير ضياء الدين أندى . عود الخديو وضيوفه إلى
 القاهرة . سفر جلالة الملك . الانعام بنيشان على الأمير . زيارات للأمير . سفر
 الخديو والأمير للاسكندرية . سفر الوفد الفساحى للاستانة . إهداء السلطان صورته
 لعباس . أثر الهدية فى نفس عباس

سنة ١٩١٢

الحرب الطرابلسية ص ٢٦٢ جواب الباب العالي على إندار إيطاليا . استقالة السلطان بملوك أوروبا
 موقف مصر منها ص ٢٦٥ مظاهرات الأمايل . جهودات عزيز المصرى بك والأستاذ عبد الرحمن
 حزام . كشتنر وسياسته مع المصريين . جيوش السنوسى
 البرنس فؤاد ص ٢٦٧ تلذذ الخديو . عبد الحميد بك شديد ومهتة
 الخديو والحزب الوطنى ص ٢٦٧ الحضر على كراهة الحكومة
 المؤامرة على الخديو وكشتنر ومحمد سميد ص ٢٦٨ . اتهام فريد بك للخديو ص ٢٦٩
 مذكراتى فى نصف قرن ج ٢

— س —

محاكمة الشيخ جارش من ٢٧٠ استقالة سند باشا

كتشنر في مصر من ٢٧٣ تدخله في جميع الفنون

عملية خزان أسوان من ٢٧٥ . بيني وبين الشيخ علي يوسف من ٢٧٥

أعمال في ديوان الأوقاف من ٢٧٧ جناح جديد . رئيس قسم القضايا . تنظيم قسم الهندسة

ميادة الجذام . مستشفى الأمراض غير القابلة للشفاء . صندوق الاقتصاد والتعاون .

تعديل لائحة الديوان . تعليم بعض العلوم الأخرى . القيمة الأخرى لقرية الوطف .

فروش المساجد وإدارتها بالكهرباء للمرة الأولى . إلقاء إدارة المساجد بالمهدة . استبدال

التقود بالخير في المقاصد . قسم الصحة . تنظيم عزن الأدوية . تشييد معبد طعنا

ودمياط . مصاريف المعاهد الدينية . عدد المأموريات . انتخاب المال الأكفأ .

مشروعات بحث النظر . ما قاله في البرلمان حسين كامل ورأى كتشنر في

سنة ١٩١٣

حرب البلقان من ٢٨٨

مساعداً مصر للدولة من ٢٨٨ مؤتمر لولادة . إسقاط كامل باشا وتولية شوكت باشا . ألمانيا

والانجليون . عودة الحرب . مظاهرات النصر في الإسكندرية . هزيمة بعد انتصار

ومقوط أجزائه . نقل الصدر باشا . سعيد حلم صدر أعظم

خطة لاستقلال مصر من ٢٩٠ عقد الصلح

البرنس فؤاد وعرش ألبانيا من ٢٩١ . أفرح الحديو من ٢٩١ — صفقة طيبة

(أرض المطاعنة) من ٢٩٢

اختيارى للأوقاف الخصوصية الحديوية من ٢٩٤ عباس يطلق البحث عن صلح للأوقاف

الحديوية . ترشيح لعل بك أبي الفتح . كيف تلت إدارة الأوقاف الحديوية

بالملاح عباس

مدير الأوقاف العمومية يباع ويشترى بدراهم معدودة من ٢٩٦

عباس يصيب عصفورين بحجر من ٢٩٧

تحويل الأوقاف إلى نظارة من ٢٩٧ كتشنر يستقير الصدر الأعظم ويصبح الاسلام . النظام الجديد

للأوقاف . الانتماء من عبد الرحمن فهم بك

إنشاء الجمعية التشريعية من ٢٩٩ قانونها اختصاصاتها . قانون الانتخاب . كتاب أيضا لكتشنر عنها

انتخاب الحديوين . أول بيان انتخابي . المنشورات الانتخابية . انتخاب النواب

المعينين . رئيس الجمعية وركيها الدين . انعقاد الجمعية

مساعي الصلح بين الحديو ومحمد فريد بك من ٣٠٣ وساعة مدام روشيرون

شئون مختلفة من ٣٠٣ تقرير كتشنر

— ش —

سنة ١٩١٤

تصريح لرئيس الجمعية التشريعية من ٣٠٤ سعد باشا ووكالتها . مآذب لأعضائها . افتتاح الجمعية
لأمنها الداخلية

عيد الجلوس للخديوى من ٣٠٧ — حادثة الطيار فدرين الفرنسى من ٣٠٧ — سقوط
تظارة محمد سعيد من ٣٠٩

كتشنر يلجأ للخديوى من ٣٠٩ تنمى فى شئون الجامعة المصرية . الاكتتابات للجامعة . هدايا مدرسية
أجنبية وقبول بعض صفار الطلبة جهائاً

الاحتفال بوضع الحجر الأساس للجامعة من ٣١٠ امتحان العالمية . بشرات الجامعة

رحلة الخديوى فى الوجه البحرى وظهور نفوذ من ٣١٢

تألم كتشنر لنجاح الرحلة من ٣١٧ صورة الأسر الكريم الصادر لمطوفة رشدى باشا بتولى شئون
القائمقامية الخديوية أثناء غيبة سموه

تكريم واصف بطرس غالى من ٣١٨ لحة عنه . تكريمه

وداع المجمع العلمى للمسبرو الجامعة المصرية تكرم مسبرو

مبيع سكة حديد مريوط — تهديدات كتشنر للخديوى — تفكير عباس فى التنازل عن
العرش — حادثة الاعتداء على حياة الخديوى وشعور المصريين نحوها

الحرب العظمى

المخابرات بين الخديوى بالاستانة وقائمقامه بمصر من ٣٣١

الانجليز يمنعون عباس من العودة لبلاده من ٣٣٢ نصيحة الأتراك له بالرفض

ماذا فعلت الحكومة لدرء الطوارئ من ٣٣٨

مطالب الانجليز من مصر بعد إعلانهم الحرب من ٣٣٩ مصر تقطع علاقاتها مع ألمانيا

والنسا . إخراج معتدى ألمانيا والنسا من مصر

انتدائى بمهمة سياسية خطيرة لدى عباس من ٣٤١ عباس يردى له حادثة الاعتداء . عثمان
مرتضى باشا يمدنى بما دار فى التحقيق

تبشير عباس للمصريين بشفاته من ٣٤٩

وفاة مصطفى فهمى باشا من ٣٥٠ تمزيق عباس لسعد والرد

إلحاح الانجليز بترك عباس للاستانة والإقامة فى إيطاليا من ٣٥١ نصيحة الأتراك له بالرفض

قطع علاقته بالانجليز من ٣٥٣

تابع المخابرات الرسمية والحوادث ص ٣٥٥ الرب والنباشين
رسالة انتقاد من عباس إلى رشدى يعقبا ثقة وثناء ص ٣٥٨ — منع الجمع ومنع
التضحية والاكتتاب للصليب الأحمر جبراً ص ٣٦٠ — زيارة عباس لشكر الخليفة
والمائلة السلطانية والسفراء ص ٣٦١ — عباس والصدر والحزب الوطنى ص ٣٦٢
الاتفاق الثلاثى بين ألمانيا وتركيا وعباس ص ٣٦٩ — الحملة التركية على مصر ص ٣٧٥
منشور من الخديو إلى رعاياه مصريين وسودانيين ص ٣٧٨ تابع الحملة التركية على مصر
تحديد مهمة الحملة ص ٣٩٥ الصباحى يحمل الاوامر
عود إلى الحملة ص ٣٩٨ — طلب الاتحاديين إعانات مالية من عباس ص ٣٩٩ — تركية
تعلى الحرب على روسيا وانجلترا وفرنسا ص ٤٠١ — البعثات الخديوية للعراق بالحملة
التركية ص ٤٠٣ — قلق إيطاليا من الحملة التركية والتأمينات واشتداد القلق لاعلان
الجهاد ص ٤١٥ — كيف تخابر عباس مع مصر بعد دخول تركية الحرب ومع المنفيين
ص ٤١٨ قبض الانجليز على بعض المصريين الموالين للخديو ونهيم إلى الخارج
عرش مصر بين عباس وعز الدين وسعيد حلیم ص ٤٢٢ — مهمتى السياسية فى إيطاليا
ومحادثات هامة ومقابلات مع الملك وما دار بيننا من الحديث ومحادثات أخرى مع
المصريين وغيرهم ص ٤٢٣ محادثتى مع حب باشا . محادثتى الأولى مع البرنس محمد على باشا . محادثتى
الأولى مع مسيو بلفيل . محادثتى مع كير الامراء . محادثتى مع نابى بك
محادثتى مع الملك ص ٤٢٩ محادثتى الثانية مع نابى بك . محادثتى الثالثة مع بلفيل . محادثتى الثانية
مع البرنس محمد على . محادثتى الثالثة مع مسيو بلفيل . محادثتى مع محمد يكن . محادثتى
الثالثة مع نابى بك . محادثتى مع البرنس عزيز حسن . البرنس جيميل . مقابلاتى مع
دومريتنو . محادثتى الرابعة مع نابى بك
المساعى لخروج الخديو من الاستانة وإقامته فى فينا ص ٤٣٤ تهديد سفير النمسا للاتحاديين
حديث عباس بفيينا مع جريارس عن حادثة الاعتداء ص ٤٣٨ — رأى عباس فى حل
مسألة السودان ص ٤٣٨ — كيف استقبل عباس خبر عزله وتولية السلطان حسين
ص ٤٣٩ — قلق عباس بعد الانقلاب فى مصر ص ٤٤٠ — الحفاوة بالخديو فى فينا
ص ٤٤٣ — شئون مختلفة ص ٤٤٤ — كلبة ختامية ص ٤٤٨

— ض —

فهرس الاعلام

الواردة في القسم الثاني من الجزء الثاني من « مذكراتي في نصف قرن »

٣٢٦	احمد جودت	(١)	
٣٥٧٣١٧١٠٦	احمد حافظ عوض بك	٣٦٥٣١٢٣٠٥	ابراهيم آدم بك
٢٢٧٢٠٩١٦٢	احمد حشمت باشا	٤٠١٣٧٧	
٢٩٨٢٥٤٢٥١		١٥١١	ابراهيم الشريفاتي بك (باشا)
٣١٣٣٠٩٢٩٨	احمد حلى باشا	٥٤	
١٨٣٧٣٥١٢٥	احمد خيرى باشا	٢١١١٧٠١٠٠	ابراهيم الملباوى بك
٢٩٤٢٠٩١٩٤١٩١٠		٢٦٨٢٤٦٢٣٧	
٢٩٦		٩٧	ابراهيم حلى باشا، البرنس
٥٤٢٥٣٥٢١١٠	احمد زكى باشا	٣٦٧٣٦٦٣٦٤٢	٣١٠
١٤٠١٣٢١٢٠٧٣٢٣٥٦		٣٨٦٣٨٤٢٣٦٩٢	٣٦٨
٣٢٢٣١١٢٥١٢١٦١٦٣		٤٠٢٣٩٧٢٣٩٦٢	٣٨٨
١٧٧١٠٩	احمد زكى بك	٤٠٨	
٤٠٤	احمد سلام افندى الملام ثاني	٣٠٢١٥٥	ابراهيم سعيد باشا
١١٤٦٤٧	احمد شوقي بك الشاعر	٣١٤١٤٣٩٠	ابراهيم فتحى باشا، اللواء
١٤٢١٢٥١٢٤١٢٠١١٥		١٣٩١٣٨٧٦	ابراهيم فواد باشا
٣٤٢٣٢١٣١١		٣٢٠٢٥٤	
٢٩٧٢٩٦٢٩٣١٩٠	احمد صادق بك	٢١١٢٠٨	ابراهيم ناصف الورداني
٣٥٧٣١٧٣٠٥		٦١٦٠	احمد أبو خطوة، الشيخ
٢٥٧	احمد ضياء الدين نجل السلطان	٢٨٢٢٧٩	احمد الازهرى بك
٢٦٠٢٥٩٢٥٨		٧	احمد العريس بك
١٥٦	احمد عبد اللطيف المكباتى المحامى	١٨٢١٣٥١٣١	احمد الزناتى، الشيخ
٣٠٢٢٤٦٢٣٧		٢٦٦	احمد الشريف السنوسى، السيد
١٨٤١٤٩٢٨٦	احمد عزت العابد باشا	٣٤٦١٥١٢٤	احمد جلال الدين باشا
١٢٨١٢٧١٠٠	احمد فتحى زغلول	٣٦٥	

٢٤٣ ٢٣٨ ٣١٧ ٢٧٨ ٢٧٦	٢٠٩ ٢٠٨ ١٧٩ ١٤٣ ١٤٢
٤١٢ ٣٦٢ ٣٦١	٢٤٢ ٢٤١ ٢٣٤ ٢٣٣
٢٩٨ ١١١ اسماعيل حسنين باشا	١١٠ ٣٠ احمد فؤاد، البرنس (الملك)
٣٢٢	٢٩١ ٢٦٧ ٢٤٩ ٢١٢ ١١١
٣٨٦ ٣٥٢ ٣٠٦ اسماعيل حق بك	٣٢٢ ٣١٠ ٣٠٩
٤٠٠	٣٦٦ ٣٦٥ ٣٤٩ احمد فؤاد، الدكتور
٣٢٣ ٣١٢ ٣١١ اسماعيل رافت بك	٣٩٥ ٣٩٢ ٣٩١ ٣٩٠ ٣٦٧
٢٠٩ ١٦٦ ١٦١ اسماعيل سري باشا	٤١٥ ٤١٤ ٤١١ ٣٩٨
٣١٤ ٣١٣ ٢٨١ ٢٧٥ ٢٥٤	٥١٣ ٣٠٢ ٢٢ احمد مختار باشا، الفاروق
٣٢٢ ٣١٧	٩٠ ٨٩ ٨٧ ٨٦ ٨٥ ٨٣ ٧٩
٣٨٩ اسماعيل كامل افندي	١٦٨ ١٣٢ ٣٢ احمد مظلوم باشا
٢٣٣ ١١١ اسماعيل صدق باشا	٣٢٠ ٣٠٤ ٣٠٢
٣٢١ ٣١٧ ٢٣٤	١٢٦ احمد لطفى السيد بك (باشا)
١٤١ ١٠٩ ٨ اسماعيل كمال بك	٢٤٦ ٢٣٧ ١٧٠
٣٦٤ ٣٦٣ اسماعيل ليلى بك	٣٨٩ احمد طاهر افندي
٣٧٩ ٣٧٨ ٣٧٧ ٣٧٢ ٣٦٥	١٥٥ ١٥٤ ١٥٢ احمد يحيى باشا
٣٨٧ ٣٨٥ ٣٨٣ ٣٨٢ ٣٨٠	١٨٧ ١٨٦
٤١٥ ٤٠٩ ٤٠٧ ٣٩٦	٢٤٥ ١٠٩ ٩١ اخنوخ فانوس
٣١٢ ٣٠٥ اسماعيل مختار باشا، اللواء	٢٢٦ ١١٦ ادوارد السايك
٣٩٧	٢١٣ ١٠١ ٨٩ ادوارد جرائى، السير
٢٩٤ ٢٩٢ الباقى الحلبي	١٩١ ١٨٦ ١٠ ارلست كامل، السير
٤٣ ١٥ ١٤ الدون جورست، السير	١٦٥ ٩١ ٦٥ ٢١ ٢٠
١٢٢ ١٢١ ١٢٠ ١١٩ ١١٧	١٢٥ اسطفان بك الارمنى
١٤٣ ١٤٢ ١٢٥ ١٢٤ ١٢٣	١٢٨ ١٢٢ ١١٦ اسماعيل اباظه باشا
١٦٠ ١٥٩ ١٥٧ ١٥٦ ١٥٣	١٥٤ ١٥٣ ١٥٢ ١٤٥ ١٣٤
١٦٨ ١٦٧ ١٦٦ ١٦٣ ١٦١	١٦٧ ١٥٩ ١٥٧ ١٥٦ ١٥٥
١٧٦ ١٧٣ ١٧١ ١٧٠ ١٦٩	١٨٠ ١٧٩ ١٧٦ ١٧٥ ١٧٣
١٨٦ ١٨٥ ١٨٢ ١٧٨ ١٧٧	٢٧٣ ٢٤٤ ٢٤١ ١٨٩ ١٨٧

— ظ —

٣٢٠ ر ٣١٨ ر ٢٤٤ ر ٢٣٥ ر	٢٤٣ ر ٢٢٧ ر ٢٢٦ ر ١٨٨ ر ١٨٧ ر
بكري محمد عاشور الصدي، الشيخ ٧٦	٣٢٨ ر ٢٧٣ ر ٢٤٧ ر
٢٤١ ر ١٩١ ر	أمين سامي باشا ٣١٣
٢٠١٧ ر ١٦ ر ١٥ ر	اندر اوس بشاره باشا ٢٩٤
١٤٣ ر ٢٠ ر ١٩ ر	أنور باشا ٣٦٤ ر ٣٦٣ ر ٣٥٣ ر ١٤٦ ر
يوييل، المستر (السكرتير الشرق لكرور)	٣٧٥ ر ٣٧٣ ر ٣٧٠ ر ٣٦٩ ر ٣٦٧ ر
٤٠	٣٨٤ ر ٣٨٣ ر ٣٧٩ ر ٣٧٧ ر ٣٧٦ ر
(ت)	٣٩٧ ر ٣٩٦ ر ٣٩٥ ر ٣٨٧ ر ٣٨٥ ر
تحسين بك (الباشكاتب) ٥٤ ر ٥٠ ر ٤٩ ر	٣٩٨ ر ٣٩١ ر ٤٠٢ ر ٤٠٧ ر ٤١٦ ر
١٤٩ ر ٨٥ ر	أوف كنوت، الدوق ١٧٨ ر ١٧٧ ر ٢٩ ر
٣١٢	٢٧٥ ر
توفيق الحضري بك	(ب)
٨٩	٣٧٥ ر ٣٧٣ ر
توفيق فهمي بك، القائم مقام	٩٢ ر ٢٠ ر ١٤ ر ١٠ ر ٢ ر
٣٨٣ ر ٣٨٢ ر	١٣٢ ر ١٢٥ ر
٤٠٩ ر ٤٠٨ ر ٤٠٦ ر	بطرس خالي باشا ٤٠ ر ٣٩ ر ٨ ر ٧ ر ٦ ر
(ث)	٥٥ ر ٥٤ ر ٥٣ ر ٥٢ ر ٥١ ر ٤٨ ر ٤٤ ر
ثابت بك (أنواجي باشي السلطان) ٢٥٩	٧٥ ر ٧٤ ر ٧١ ر ٦٢ ر ٥٨ ر ٥٧ ر ٥٦ ر
٤١٣ ر ٢٦٠ ر	٩٥ ر ٨٧ ر ٨٥ ر ٨٢ ر ٧٩ ر ٧٨ ر ٧٦ ر
(ج)	١٢٠ ر ١١٩ ر ١١٠ ر ١٠٢ ر ١٠٠ ر
٣٢٢ ر ١١١ ر	١٣٨ ر ١٢٥ ر ١٢٤ ر ١٢٣ ر ١٢٢ ر
٣٩٣ ر ٣٩٢ ر ٣٧٢ ر ٣٦٨ ر	١٤٤ ر ١٤٣ ر ١٤٢ ر ١٤١ ر ١٣٩ ر
٤٠٠ ر ٣٩٥ ر	١٦١ ر ١٦٠ ر ١٥٩ ر ١٥٨ ر ١٥٦ ر
جراهام، المستر ١٧٣ ر ١٥٦ ر ١٥٥ ر ١٥٣ ر	١٦٦ ر ١٦٥ ر ١٦٤ ر ١٦٣ ر ١٦٢ ر
جمال باشا ٣٩١ ر ٣٩٠ ر ٣٨٢ ر ٣٦٨ ر	١٧٣ ر ١٧١ ر ١٦٩ ر ١٦٨ ر ١٦٧ ر
٤١٤ ر ٤٠٨ ر ٤٠٢ ر ٣٩٥ ر ٣٩٢ ر	١٧٩ ر ١٧٨ ر ١٧٧ ر ١٧٥ ر ١٧٤ ر
جميل طوسون، البرنس ١٠٣ ر ٤٤ ر	١٨٧ ر ١٨٦ ر ١٨٥ ر ١٨٣ ر ١٨٠ ر
٣٠٧	٢١٣ ر ٢٠٩ ر ٢٠٨ ر ١٨٩ ر ١٨٨ ر
جول فدرين	
جوليت آدام (الكاتبة الفرنسية) ٤٢ ر ٤١ ر	

١٤٢١٤١٧	حسين زكى بك	٢٥٩٢٥٧	جون مكسويل
٣٢٠	حسين نحرى باشا	(ح)	
١٢٠١١٠٠٩١٤	حسين كامل، البرنس	٣٢١٢٥١٢١٢	حافظ ابراهيم
١٧٣١٦١١٣٤١٢٢١٢١		٣١٣	حافظ عفيفى بك (باشا)
٢٥٥٢٥٤٢٥٠٢٤٩٢٢٧		٣١٣	حامد الشواربى بك (باشا)
٣٨٥٢٨٣٢٧٩٢٧٨٢٨٦		٣٤٢	حامد العلالي
٤١٢٣٨٧		٣٠٩٢٣٧	حسن زايد باشا
١٣٤١٣٣١٢٥٧٣	حسين عزم باشا	٥٠٩٤٦٤٥٣٥٤	حسن عاصم باشا
٢٠٥٢٠٢١٩٠		١٢٤٩٩٩٧٣٦٣٥١	
٢٩٨٢٢٠٢٤٢	حسين واصف باشا	١٥٢١٢٦	حسن عبد الرازق باشا
٣٠٢		٢٣٧	حسن عبد الرازق بك (الابن)
(خ)		٧٢٣٢٣٠	حسونه النواوى، الشيخ
٢٨٠	خالد القوال بك	١٤٠١٣٩١٣٨١٣٧٧٦٣٧٥	
١٧١١٦٤١٦٣٢٨	خليل حمادة بك	١٨٢	
٣٧٤٣٦٨٣١٦	خليل دبوس بك	٩٥٨٥٥٤٢٦١٠	حسنى باشا الياور
٤١٦٣٧٥		١٩١١٩٠	حسين، الأمير الشريف
٣٦٨٢٩٧	خيرى افندى (شيخ الاسلام)	١٤٧	حسين حلى باشا
٤١٣	خيرى باشا (الطيب الخاص للسلطان)	١٦٤١٦١١٣٨	حسين رشدى باشا
(د)		٢٠٨١٧٥١٧٤١٧٢١٦٩١	
٣٧٢	د. افندى	٢٦٧٢٥٨٢٥٢٢٣٣٢٠٩	
١٢٠	دوفيل بوا (قنصل عام هولانده)	٢٨٢٢٨٠٢٧٨٢٧١٢٦٨	
١٥١٤١٠٢٤١٢	دوميترو باشا	٣٠٨٢٩٩٢٩٨٢٩٧٢٩١	
٥٦٢٤٦٢٤٤٢٣٢١٨١٧١٦٦		٣٣٣٢٣٢٢١١٢١٠٣٠٩	
٣٢٦١٣٢٢١٢٤١١٧٩٢٩١		٣٣٨٢٣٧٢٣٦٢٣٥٢٣٤	
٣٠٨	دى فرانس، المسيو	٣٤٤٢٣٤٢٢٣٤١٢٣٤٠٢٣٣٩	
١١٧١١٦١١٥	ديسى (المكاتب)	٣٥٥٢٣٣٢٣٥٠٢٣٤٧٢٤٥	
(ر)		٣٦٢٢٣٦٠٢٣٥٨٢٣٥٧٢٣٥٦	
رشدى باشا (اللواء التركى قومندان العقبة)		٤١٢٢٤٠٩٢٣٩٧٢٣٧٠	

— غ —

٢٤١١٨٢٢٦٦	سليم البشري، الشيخ	٧٨٠٧٧	
٤٠٦	سليمان نعمان باشا الحكيم	٢٩١٠٤	رشيد بك
٣٦٥٣٦٤٢٣٦٢	سيد كامل، الدكتور	٩	رشيد بك (بالسفارة العثمانية بلندن)
٣٧٥٣٧٢٣٧١٣٦٩		٧٥	
٣٨٣٣٨٢٣٨٠٣٧٩	٢٧٨	١٤	رفرسو، الميركيز دي
٤١٢٣٩٤٣٨٨٣٨٦	٢٨٤	٤٠٦٢٥٩٢٤٩	رمزي طاهر باشا
٤١٥٤١٣		٤٠٨	
٣٤٤٣٤٢٢١٢٣	سيسيل، اللورد	٢١٣١١٢	روزفلت رئيس أمريكا
٣٨٤٣٦٦	سيف الله يسرى باشا	٢١٤	
٤٠٨٣٩٧		٤٠٦	رؤوف باشا التركي
(ش)		(ز)	
٢٦١٤١٢١٢١١	شاكر باشا، المشير	٧٠	زبيدة، البرنيسيس
٣٧٦	شكيب أرسلان	٤٦٢٤٥	زرفوداكي
٣٤٣٣٤٢٣٣٢	شيتهم، السير ملن	(س)	
٣٥٠٣٤٥٣٤٤٢		١٠٥١٠٢	سعد زغلول بك (باشا)
١٧٧١٧٦١٧١	شيتي بك	١٢٧١١٩١١٠١٠٩	
(ص)		١٦١١٦٠١٤٣١٤٢	
٢٧٩٢٠٧	صابر صبري باشا	١٨٦١٧٧١٧٦١٧٥	
١٠٣١٠٢	صادق رمضان، الدكتور	٢٠٥١٨٨١٨٧١٨٦	
١٠٩	صباح الدين بك (ابن الداماد)	٢٧٢٢٧١٢٦٨٢٠٩	
٦٢٢٦١٢٠	صفية السادات	٣٢٠٣٠٤٣٠١٢٧٦	
(ط)		٤١٣٣٧٥٣٥٨٣٥٣	
١٤٦	طلعت بك التلغرافجي التركي	٢٩٧٢٨٩١٢١	سعيد حليم باشا
٣٧٦٣٧٥٣٦٨٣٦٧	٣٥٢	٤٠١٣٤٦٣٣٤٣٢٧٧	
٤٠٠٣٩٩٣٩٦٣٩٢	٣٨٨	٢٢٦٢١٦٢١٢	سعيد ذو الفقار باشا
٤١٦		٢٩٨٢٥٩٢٤٩	
٢٠٧	طلعت حرب بك (باشا)		سلفي، المستر (سكرتير وزير خارجية
٣١٢٣١١	طه حسين	٣٢٩	بريطانيا)

٣٨٤ر٣٠٢	طونيزون باشا ١٠٦ر١٠٥ر٥١
٧٥٦ر١ عبد القادر الرافعي، الشيخ	١٢٦ر١٣٢ر١٤١
١٤٣٦٦ر٦٥ عبد الكريم سليمان	(ع)
٣٠٢ر١٥٣ عبد اللطيف الصوفاني بك	٣٩٥ر٣٨٧ عباس حليم، الأمير
٣١٦ر	٧٣ر٣٠ عبد الحليم عاصم باشا
٣٤٩ر عبد الله سليم البشري (البيكاشي)	٣٧٦ عبد الحميد الزهراوي، الشيخ
٤٠٦ر٣٥٨	عبد الحميد سعيد (نجل إبراهيم سعيد باشا)
٣٦١ عبد المجيد سلطان	٣٧٥ر٣٨٩
٣١٢ر٣٠٥ر١٠٠ عثمان مرتضى باشا	٢٦٧ عبد الحميد شديد
٣٣٥ر٣٣٢ر٣١٧ر٣١٦	عبد الخالق السادات، السيد ٦٥٦ر١٦٠
٣٤٩ر٣٤٧ر٣٤٣ر٣٤١ر٢٣٨	عبد الخالق ثروت باشا ٢٠٨ر١١١
٤١٢ر٣٦٢ر٣٦١ر٣٥٧ر٣٥٦	٣٢١ر٢٦٩ر٢٣٣ر٢١١ر٢١٠
٣١٤ر٣٠٨ر٣٠٢ عدلي يكن باشا	عبد الخالق مذكور باشا ٣٠٢ر٢٤٦
٣٥٨ر٣٥٧ر٣٥٦ر٣٣٠ر٣٢١	عبد الرحمن الشريفي، الشيخ ١٠٦ر٦٦
٤١٢ر	١١١ر١٣٦ر١٣٧
٣٣٥ عزيز حسن البرنس	٣٣٠ عبد الرحمن عزت بك القاضي
٣٣٠ عزيز جريس	٢٨٢ر٢٧٩ عبد الرحمن فهمي بك
٢٣٨ر١٧٢ علي أبو الفتوح بك	٢٩٨ر٢٩٣
١٤٣ر٦٦ر٦٥ علي البيلاوي السيد	٣٧٦ عبد الرحمن يوسف باشا
٢١١ر٢١٠ علي الشمسي افندي (باشا)	١٤٣ عبد الرحيم الدمرداش، الشيخ
٣٧٨ر٣٦٥ر٣٦٣ر٣٠٢ر٢٤٦	٣٠٢ر٢٩٦ر١٧٠
٢٣٢ر٢٣١ علي الغاياني الشيخ	١٧٣ر١٠٩ عبد العزيز جاويز، الشيخ
٣٢٢ر١١١ علي بهجت بك	٢٤٦ر٢٣٢ر٢١٢ر١٨٠ر١٧٩
٣٨٤ر٣٦٩ر٢٩٢ علي جلال باشا	٣٦٨ر٣٦٦ر٣٦٥ر٣٦٣ر٢٧٠
٣٢٢ علي كمال بك	٣٩١ر٣٧٨ر٣٧٠ر٣٦٩
١٥٥ر١٥٤ر١٥٢ علي شعراوي باشا	١١ر١٠ر٩ر٨ عبد العزيز عزت باشا
٢٣٦ر١٨٦ر١٧٩ر١٦٧ر١٥٧	١٦٣ر١٤١ر١٨ر١٦ر١٥
٣٨٤ر٢٤١	عبد العزيز فهمي بك (باشا) ٢٦٨

كاوتسكى، الدكتور ١٠ ١٢٥٧ ٣٤٧	على يوسف، الشيخ ٧ ١٥ ٢٦ ٣٥
كتشنر، اللورد ٢٥١ ٢٥٧ ٢٦٠ ٢٦٦	٣٦ ٢٦٠ ٢٦٢ ٢٦٧ ٢٧٢ ١٠٤
٢٦٧ ٢٦٨ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٥	١٠٨ ١١٦ ١٢٠ ١٢١ ١٢٤
٢٨٦ ٢٩٠ ٢٩٧ ٢٩٨ ٣٠١	١٢٥ ١٢٨ ١٦٢ ١٦٨ ١٦٩
٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٩ ٣١٧ ٣٢٦	١٧٤ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٩ ٢١٣
٣٢٨ ٣٣٥ ٣٤٢ ٣٤٤ ٣٤٦	٢٣٧ ٢٤٦ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧
٣٥١	عماد الدين وهبي بك ٢٩٧ ٣٢٧ ٣٦٧
كرومر، اللورد ٢٩ ٣٠٩ ٣١٠ ٣٣٣ ٣٣٤	٣٧٤
٣٥٨ ٣٧٣ ٣٨٠ ٣٩٠ ٤٢٤ ٤٦	عمر سلطان باشا ١٠٣ ٣٣٠
٤٨٠ ٥٦٠ ٥٨٠ ٦٢٠ ٧١٥	عمر طوسون البرنس ١١٠ ١٢١ ٢٤٩
٧٦ ٨٢٠ ٨٣٠ ٩١٠ ٩٢٠ ١٠١	٢٥١ ٢٦٥ ٢٨٨
١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٦ ١٠٩	(ف)
١١٠ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠	فارس نمر، الدكتور ٦٤ ٣٢٧ ٣٢٨
١٢١ ١٢٤ ١٢٨ ١٤٤ ١٥٢	٣٢٩
١٦٣ ١٧٣ ٢١٢ ٢٣٢ ٢٧٣	فاطمة هانم اسماعيل، البرنيسية ٣١٠
٣٢٨	٣١١
كمال الدين حسين، البرنس ١٩١ ١٩٣	فتح الله بركات باشا، محمد ١٠٥ ١٥٥
١٩٤	٢٣٦ ٢٤١ ٣٠٢
كوندى استيفن، السير ١٤ ١٥١	فرنسوا فرديناند، الارشيدوق ٢٩
(ل)	فريد باشا (الصدر) ١٢ ٤٩٣ ٥٣ ٨٦
لطيف سليم باشا ١٠٣ ١٠٤	١٤٧ ٢٩٠ ٣١٠
لويس مالت، السير ٣٥٣	فنان كوربت، المستر ١١٧ ١٦٥
(م)	فؤاد سليم بك ٣٦٦ ٣٩٨ ٤١٤
م. أفندى ٣٧١ ٣٧٢ ٣٨٩ ٣٩٧	(ق)
ماتشل لانيس ١٥ ٧٤ ١٢٢	قطه باشا ١٧٧ ١٩٠
محمد أبو الفضل الجيزاوى، الشيخ ٣٥	قلىن فهمى باشا ٣٠٢
٣٧ ١٠٦ ١٣٩ ٢٣٣	(ك)
	كامل باشا (الصدر) ٢٥٩ ٢٨٩ ٢٨٩

٢٦٨ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٩١	محمد البيلوى، السيد ٢٠٠ و ١٩٠
٢٩٢ و ٢٩٤ و ٢٩٦ و ٢٩٨ و ٣٠٥	محمد البوريني، الشيخ ٣١٢
٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣٢٦ و ٤١٤	محمد الصباسي ٣٩٧ و ٣٤٧ و ٢١٠
محمد سليمان أباطه بك ٢٢٠ و ٢٧٧ و ٢٧٨	محمد القاضي جمال الدين أفندي ٧٥
محمد شاكر، الشيخ ١٠٢ و ١٠٦ و ١١١	٣٩٠ و ٢٩١
١٣٩ و ١٤٦ و ١٨٠ و ١٩٠	محمد أمين بهجت بك ٣٣٠
محمد شكرى باشا ١٠٠ و ١٧٠	محمد بخيت، الشيخ ٣١ و ٣٣ و ٣٥ و ٦١
محمد عارف باشا ٣٠٥ و ٣٠٨ و ٣٥٢	٦٢ و ٩٦ و ٢٢١ و ٣٥١
٣٥٣ و ٣٦٢ و ٣٧٠ و ٣٧٦ و ٣٧٧	محمد بدر الدين بك ٤١١ و ٣٤٩
٣٨٤ و ٣٨٧ و ٢٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٥	محمد بكرى عاشور الصدفى، الشيخ ٩٥
٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٠٤ و ٤٠٦	١١١
محمد عبد المنعم، الأمير ٤١٣	محمد توفيق البكرى، السيد ١٥ و ٣١
محمد عبده، الشيخ ٢٠ و ٣٠ و ٣١ و ٣٤	٣٢ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٤٠ و ٦٠
٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٤٦ و ٦٥ و ٦٦ و ٧١	١٤١ و ١٨٤ و ١٨٥
١٠٢ و ١٤٠ و ١٤٣ و ٢٣٢	محمد توفيق بك (شقيق صاحب المذكرات)
محمد عثمان، الشيخ ٧٠ و ٧٣ و ٣١٢ و ٣٧٧	٢٩٢
٣٨٤ و ٤٠٤ و ٤٠٧ و ٤٠٨	محمد جلال الدين باشا ٢٩١
محمد عوت بك (باشا) ٤ و ٦ و ٨ و ١٠	محمد حافظ رمضان ٢٤٦ و ٢٥١
٢١ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٨ و ٤٩ و ٥١	محمد حسانين مخلوف العلوى، الشيخ
٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٦٢ و ٦٣ و ٧٠	١٢٧ و ١٣٨ و ١٤٠ و ١٨٢ و ٢٣٣
٧٥ و ٨٧ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٧ و ٩٨	محمد راشد، الشيخ ٣٤ و ٤٠ و ٢٢٢
٩٩ و ١٢٠ و ١٤٧ و ١٩٠ و ١٩٤	محمد رشاد السلطان ١٨٢ و ٢٦١ و ٣٣٦
٢٥٩ و ٢٦٠ و ٣٥١ و ٣٦٩ و ٣٧٦	٤١٢
٣٨٩ و ٣٩٦ و ٤٠٨	محمد رشيد رضا، الشيخ ٢٣٧ و ٢٦٩
محمد علوى باشا، الدكتور ١٥٥ و ٣٢٢	محمد سعيد باشا ٢٨ و ١٦١ و ١٦٣ و ١٦٥
محمد على، البرنس ٢٩ و ٣٠ و ١٠٢ و ١١٠	١٧١ و ١٧٢ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٧
١٧٨ و ٢٢٢ و ٢٢٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨	١٨٦ و ١٨٧ و ٢٠٧ و ٢٠٩ و ٢٢٥
٢٥٩ و ٢٧٩ و ٢٨٨ و ٣٩١ و ٣٠٧	٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٤٧ و ٢٤٩ و ٢٥٨

٣١٣	محمود سامى بك	٣٤٣	محمد على حليم باشا، البرنس
٢٣٦ و ١٨٦	محمود سليمان باشا	٣١٠	محمد على دلاور بك
١٤٦ و ١٣٥ و ٦	محمود شكرى باشا	٢٧٨ و ٢٧٧ و ٢٢١	محمد حماد الدين بك
٢٨٩ و ٢٠٥ و ١٨٥ و ١٨٣ و ١٦٩	محمود شوكت باشا	٣٦٥ و ٢٩٧	محمد فريد بك
٣٨٧ و ٢٨٩ و ١٤٧	٤٠٠ و	١٤٤ و ١٠٩ و ١٠٦ و ١٠٣	٢١٣ و ٢١٠ و ١٨٠ و ١٦٥ و ١٤٥
٣٥٠	محمود صدق باشا	٢٦٩ و ٢٦٨ و ٢٣٦ و ٢٣٥ و ٢١٤	٢٧٠ و ٢٧٠ و ٢٣٠ و ٢٣٠ و ٢٣٠ و ٢٣٠
١٦٢ و ١٦١ و ١٥٩	محمود نظرى باشا	٣٦٤ و ٣٦٣ و ٣٦٢ و ٣٦١ و ٣٦٠	٣٧١ و ٣٦٨ و ٣٦٧ و ٣٦٦ و ٣٦٥
١٧٦ و ٣٢٠	محمود فهمى بك (باشا) (باشمهندس)	٣٨٢ و ٣٨١ و ٣٧٨ و ٣٧٧ و ٣٧٥	٣٨٣ و ٣٨٢ و ٣٨١ و ٣٨٠ و ٣٧٩ و ٣٧٨ و ٣٧٧ و ٣٧٦ و ٣٧٥ و ٣٧٤ و ٣٧٣ و ٣٧٢ و ٣٧١ و ٣٧٠ و ٣٦٩ و ٣٦٨ و ٣٦٧ و ٣٦٦ و ٣٦٥ و ٣٦٤ و ٣٦٣ و ٣٦٢ و ٣٦١ و ٣٦٠ و ٣٥٩ و ٣٥٨ و ٣٥٧ و ٣٥٦ و ٣٥٥ و ٣٥٤ و ٣٥٣ و ٣٥٢ و ٣٥١ و ٣٥٠ و ٣٤٩ و ٣٤٨ و ٣٤٧ و ٣٤٦ و ٣٤٥ و ٣٤٤ و ٣٤٣ و ٣٤٢ و ٣٤١ و ٣٤٠ و ٣٣٩ و ٣٣٨ و ٣٣٧ و ٣٣٦ و ٣٣٥ و ٣٣٤ و ٣٣٣ و ٣٣٢ و ٣٣١ و ٣٣٠ و ٣٢٩ و ٣٢٨ و ٣٢٧ و ٣٢٦ و ٣٢٥ و ٣٢٤ و ٣٢٣ و ٣٢٢ و ٣٢١ و ٣٢٠ و ٣١٩ و ٣١٨ و ٣١٧ و ٣١٦ و ٣١٥ و ٣١٤ و ٣١٣ و ٣١٢ و ٣١١ و ٣١٠ و ٣٠٩ و ٣٠٨ و ٣٠٧ و ٣٠٦ و ٣٠٥ و ٣٠٤ و ٣٠٣ و ٣٠٢ و ٣٠١ و ٣٠٠ و ٢٩٩ و ٢٩٨ و ٢٩٧ و ٢٩٦ و ٢٩٥ و ٢٩٤ و ٢٩٣ و ٢٩٢ و ٢٩١ و ٢٩٠ و ٢٨٩ و ٢٨٨ و ٢٨٧ و ٢٨٦ و ٢٨٥ و ٢٨٤ و ٢٨٣ و ٢٨٢ و ٢٨١ و ٢٨٠ و ٢٧٩ و ٢٧٨ و ٢٧٧ و ٢٧٦ و ٢٧٥ و ٢٧٤ و ٢٧٣ و ٢٧٢ و ٢٧١ و ٢٧٠ و ٢٦٩ و ٢٦٨ و ٢٦٧ و ٢٦٦ و ٢٦٥ و ٢٦٤ و ٢٦٣ و ٢٦٢ و ٢٦١ و ٢٦٠ و ٢٥٩ و ٢٥٨ و ٢٥٧ و ٢٥٦ و ٢٥٥ و ٢٥٤ و ٢٥٣ و ٢٥٢ و ٢٥١ و ٢٥٠ و ٢٤٩ و ٢٤٨ و ٢٤٧ و ٢٤٦ و ٢٤٥ و ٢٤٤ و ٢٤٣ و ٢٤٢ و ٢٤١ و ٢٤٠ و ٢٣٩ و ٢٣٨ و ٢٣٧ و ٢٣٦ و ٢٣٥ و ٢٣٤ و ٢٣٣ و ٢٣٢ و ٢٣١ و ٢٣٠ و ٢٢٩ و ٢٢٨ و ٢٢٧ و ٢٢٦ و ٢٢٥ و ٢٢٤ و ٢٢٣ و ٢٢٢ و ٢٢١ و ٢٢٠ و ٢١٩ و ٢١٨ و ٢١٧ و ٢١٦ و ٢١٥ و ٢١٤ و ٢١٣ و ٢١٢ و ٢١١ و ٢١٠ و ٢٠٩ و ٢٠٨ و ٢٠٧ و ٢٠٦ و ٢٠٥ و ٢٠٤ و ٢٠٣ و ٢٠٢ و ٢٠١ و ٢٠٠ و ١٩٩ و ١٩٨ و ١٩٧ و ١٩٦ و ١٩٥ و ١٩٤ و ١٩٣ و ١٩٢ و ١٩١ و ١٩٠ و ١٨٩ و ١٨٨ و ١٨٧ و ١٨٦ و ١٨٥ و ١٨٤ و ١٨٣ و ١٨٢ و ١٨١ و ١٨٠ و ١٧٩ و ١٧٨ و ١٧٧ و ١٧٦ و ١٧٥ و ١٧٤ و ١٧٣ و ١٧٢ و ١٧١ و ١٧٠ و ١٦٩ و ١٦٨ و ١٦٧ و ١٦٦ و ١٦٥ و ١٦٤ و ١٦٣ و ١٦٢ و ١٦١ و ١٦٠ و ١٥٩ و ١٥٨ و ١٥٧ و ١٥٦ و ١٥٥ و ١٥٤ و ١٥٣ و ١٥٢ و ١٥١ و ١٥٠ و ١٤٩ و ١٤٨ و ١٤٧ و ١٤٦ و ١٤٥ و ١٤٤ و ١٤٣ و ١٤٢ و ١٤١ و ١٤٠ و ١٣٩ و ١٣٨ و ١٣٧ و ١٣٦ و ١٣٥ و ١٣٤ و ١٣٣ و ١٣٢ و ١٣١ و ١٣٠ و ١٢٩ و ١٢٨ و ١٢٧ و ١٢٦ و ١٢٥ و ١٢٤ و ١٢٣ و ١٢٢ و ١٢١ و ١٢٠ و ١١٩ و ١١٨ و ١١٧ و ١١٦ و ١١٥ و ١١٤ و ١١٣ و ١١٢ و ١١١ و ١١٠ و ١٠٩ و ١٠٨ و ١٠٧ و ١٠٦ و ١٠٥ و ١٠٤ و ١٠٣ و ١٠٢ و ١٠١ و ١٠٠ و ٩٩ و ٩٨ و ٩٧ و ٩٦ و ٩٥ و ٩٤ و ٩٣ و ٩٢ و ٩١ و ٩٠ و ٨٩ و ٨٨ و ٨٧ و ٨٦ و ٨٥ و ٨٤ و ٨٣ و ٨٢ و ٨١ و ٨٠ و ٧٩ و ٧٨ و ٧٧ و ٧٦ و ٧٥ و ٧٤ و ٧٣ و ٧٢ و ٧١ و ٧٠ و ٦٩ و ٦٨ و ٦٧ و ٦٦ و ٦٥ و ٦٤ و ٦٣ و ٦٢ و ٦١ و ٦٠ و ٥٩ و ٥٨ و ٥٧ و ٥٦ و ٥٥ و ٥٤ و ٥٣ و ٥٢ و ٥١ و ٥٠ و ٤٩ و ٤٨ و ٤٧ و ٤٦ و ٤٥ و ٤٤ و ٤٣ و ٤٢ و ٤١ و ٤٠ و ٣٩ و ٣٨ و ٣٧ و ٣٦ و ٣٥ و ٣٤ و ٣٣ و ٣٢ و ٣١ و ٣٠ و ٢٩ و ٢٨ و ٢٧ و ٢٦ و ٢٥ و ٢٤ و ٢٣ و ٢٢ و ٢١ و ٢٠ و ١٩ و ١٨ و ١٧ و ١٦ و ١٥ و ١٤ و ١٣ و ١٢ و ١١ و ١٠ و ٩ و ٨ و ٧ و ٦ و ٥ و ٤ و ٣ و ٢ و ١ و ٠
٣٩١ و ٣٨٨ و ٣٨٧	مدحت شكرى بك	٣١٢	محمد فهمى بك (الشرىفانى)
٣٠٢ و ٢٣٧ و ٢٣٦	مرفص سميكه بك	٣٦٢ و ٣٣٤ و ٣٣٢ و ٣١٧ و ٣١٤	٣٦٢ و ٣٣٤ و ٣٣٢ و ٣١٧ و ٣١٤
١٦٦ و ١٦٥	مشافه باشا	٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٧٨	٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٧٨
٢٤٩ و ٢٤٥ و ٣٠	مصطفى رياض باشا	٢٠٤ و ١٩٩	محمد لبيب البتاونى بك
٥٥ و ٥٤ و ٤٨ و ١٦	مصطفى فهمى باشا	٣١٧ و ٣١٣ و ٢٩٨	محمد محب باشا
١٠٢ و ٨٢ و ٧٦ و ٧٤ و ٦٤ و ٥٧	١٠٢ و ٨٢ و ٧٦ و ٧٤ و ٦٤ و ٥٧	٣٤٣ و ٣٣٨ و ٣٣٧ و ٣٣٦ و ٣٣٥	٣٤٣ و ٣٣٨ و ٣٣٧ و ٣٣٦ و ٣٣٥
١٤٤ و ١٤٣ و ١٤٢ و ١٤١ و ١٢٠	١٤٤ و ١٤٣ و ١٤٢ و ١٤١ و ١٢٠	٣٥٦ و ٣٥٥ و ٣٥٣ و ٣٥١ و ٣٤٥	٣٥٦ و ٣٥٥ و ٣٥٣ و ٣٥١ و ٣٤٥
٣١٤ و ٣٠٩ و ١٦٠ و ١٥٩ و ١٥٨	٣١٤ و ٣٠٩ و ١٦٠ و ١٥٩ و ١٥٨	٣٧٥ و ٢٦٢ و ٣٦١ و ٣٥٨ و ٣٥٧	٣٧٥ و ٢٦٢ و ٣٦١ و ٣٥٨ و ٣٥٧
٤١٠ و ٣٥٠ و ٣١٩	٤١٠ و ٣٥٠ و ٣١٩	٤١٢ و	٤١٢ و
٥٥ و ٤٢ و ٤١ و ٧ و ٦	مصطفى كامل بك	٢٣٢ و ١٤٦	محمد مصطفى المراغى، الشيخ
١٠٢ و ١٠١ و ٨٦ و ٦٠ و ٥٩ و ٥٧	١٠٢ و ١٠١ و ٨٦ و ٦٠ و ٥٩ و ٥٧	٣١٤	محمد نافع باشا
١٢٠ و ١١٥ و ١١٤ و ١٠٦ و ١٠٣	١٢٠ و ١١٥ و ١١٤ و ١٠٦ و ١٠٣	٢٩٣ و ٢٣٧ و ٢٢٠	محمد وجيه أفندى
١٤٥ و ١٤٤ و ١٤١ و ١٢٨	١٤٥ و ١٤٤ و ١٤١ و ١٢٨	١٥ و ١٤ و ١٠	محمد ياور بك
١٠٩ و ١٠٦	مصطفى كامل الغمراوى بك	١٧٩ و ١٠٩ و ١٠٠	محمد يوسف بك
٣٠٩	٣٠٩	٢٦٨ و ٢٤٦ و ٢١١	محمود ابو النصر بك

— م —

يوسف صديق باشا ١٦١ و ٣٠٥ و ٣٢٦	مصطفى ماهر باشا ١٦٠ و ١٧١ و ٢١٥
٣٢٩ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٩ و ٣٥٦	٣٣٠ و
٣٦٢ و ٣٦٤ و ٣٦٩ و ٣٧٠ و ٣٧٣	منصور رفعت ٣٣٠
٣٧٤ و ٣٧٥ و ٣٧٧ و ٣٧٩ و ٣٨١	منصور شكور باشا ٣٢٥
٣٨٥ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠	منير باشا (السفير العثماني بباريس)
٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٥	١٤ و ٤٣٦
٣٩٧ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤١٥ و ٤١٦	موزلي، المستر ٢٧ و ١١٤ و ١١٥ و ١٢٥
يوسف ضيا باشا ٧٣ و ١٢٠ و ١٣٣	موسى غالب باشا ١٤٥ و ٢٢٠ و ٢٣٧
يوسف طلعت باشا ووالده أحمد طلعت	(ن) .
باشا ٤٧ و ٤٨	نجيب غالى بك (باشا) ٢١١ و ٣١٨
يوسف عر الدين افندى ٣٩٨	٣٢٠ و
يوسف كمال، البرنس ٣١٠	نعوم شقير بك ٨٧ و ٨٨ و ٩٠
يوسف وهبه باشا ٣١٧ و ٣٢١	نيقولاى أوكونور ٨٩
واطسون باشا ١٠٥ و ١٢٠ و ١٢١	(ه)
ونجت، السير رجينلد (السردار)	هكسبوس السويسرى ٢٢ و ٢٣ و ٢٥
١٨١ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٥٧ و ٢٥٩	٢٨ و ٢٩
٣٤٤ و	هينز المستر ٢٩٨
(ي)	(و)
ي . بك ٣٧١ و ٣٧٩ و ٣٨٩ و ٣٩٧	واصف غالى بك ١٤٣ و ٢٤٤ و ٣١٨
يعقوب أرتين باشا ١١١ و ٢٥٤	٣٢٠ و ٣٢١

فهرست الصور

الواردة في القسم الثاني من الجزء الثاني من « مذكراتي في نصف قرن »

صفحة	بيان الصور	صفحة	بيان الصور
٥	رشيد بك	١٠٧	مصطفى كامل الغمراوي
٦	محمود مختار باشا	١٢٦	حسن عبد الرازق باشا
٧	أحمد شوقي بك	١٢٧	أحمد لطفي السيد
٩	صباح الدين بك	١٢٧	مصطفى كامل باشا
١٢	فريد باشا	١٢٧	الشيخ علي يوسف
١٤	اللورد بلפור، آرثر	١٣٥	ولي العهد وشقيقه مع أساتذتهما
٢٤	دير إيفيرون بجبل أنوس	١٣٧	الشيخ سليمان العبد
٣٣	محمود الداماد باشا	١٤٤	جنازة المرحوم مصطفى كامل باشا
٣٣	قصر بكنجهام	١٤٥	محمد فريد بك
٤١	مدام جوليت آدام	١٤٦	الشيخ محمد مصطفى المراغي
٤٧	يوسف طلعت باشا	١٤٨	أنور بك — نيسازی بك —
٤٧	أحمد طلعت باشا		طلعت بك — محمود شوكت باشا
٦٠	السيد عبد الخالق السادات	١٥٣	إسماعيل أباطه باشا
٧٠	البرنيس زيدة هانم	١٥٣	أحمد يحيى باشا
٧٨	الأميرالاي براملي بك	١٥٥	علي شجراوى باشا
٧٨	الأميرالاي سعد رفعت بك	١٥٦	فتح الله بركات بك
٨٧	القومندان ويموث	١٦٠	سعد زغلول باشا
٨٨	عمود الحدود برفح	١٦١	محمد سعيد باشا
٩٠	اليوزباشى اسماعيل المفق افندى	١٦١	اسماعيل سري باشا
٩١	السير أرنست كاسل	١٦٢	حسين رشدى باشا
٩٧	البرنس محمد ابراهيم وحيد الدين	١٦٢	أحمد حشمت باشا
١٠٠	أحمد فتحي زغلول باشا	١٦٣	خليل حماده باشا
١٠٠	ابراهيم الهلباوى بك	١٨٣	السلطان محمد رشاد

صفحة	بيان الصور	صفحة	بيان الصور
١٩٦	الكعبة — جدة	٢٥٠	البرنس عمر طوسون باشا
١٩٧	المحمل الشريف — بحرة — ملى	٢٥٨	صورة الأمير ضياء الدين أفندي ولى
١٩٨	منظر مرسى ملى والحجاج يقيمون فيه		عهد السلطنة ومعه الخديو والحاشية
	الحجاج على جبل الرحمة بعرفات	٢٧٨	محمد على دلاور
٢٠٢	استقبال الخديو بمحطة المدينة المنورة	٢٧٨	محمد سليمان أباطه بك
٢٠٢	المدينة المنورة	٢٨٧	رؤوف باشا القومسيه
٢٠٣	الركب المدنى وهو داخل المدينة	٢٩٥	المؤلف وكبار موطنى الأوقاف
	فى عودته من الحج	٣٠٦	افتتاح الجمعية التشريعية
٢٠٣	تبوك بمحطة معان	٣٢١	واصف بطرس غالى بك
٢٠٤	التسكية المصرية بالمدينة المنورة	٣٢٣	المؤلف
٢٠٧	طلعت حرب بك	٣٢٩	الباب العالى
٢٠٧	أحمد محمد خشبه	٣٤٨	صورة بالأشعة تبين الاصابات
٢١٤	السبر إدوارد جراى		بذراع الخديو وفه
٢٢٠	حسين واصف بك المهندس	٣٥٩	حسين رشدى باشا
٢٢١	افتتاح مسجد مرسى مطروح	٣٦٤	سميد حلیم باشا
٢٢٦	البرنس محمد على	٣٨٠	الدكتور سيد كامل
٢٣١	الشيخ على الفايق	٣٨٦	المؤلف بالبدلة العسكرية
٢٣٣	عبد الخالق ثروت باشا	٣٩٢	جمال باشا
٢٥٠	البرنس حسين كامل باشا	٤٠٧	توفيق فهمى بك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وہ نستعین

الحمد لله

الى مصر . .

الوطن الذي فيه نشأت وإياه أحبت وله أخلصت ووفيت أقدم
هذه المذكرات لأشهد أبناء الجيل الحاضر صفحة من أعمال الجيل القابر في
غير تزييف ولا التواء وما أخشى غير الله هو حسبي محمد شفيعي

[illegible]

منقول من إحدى مفكراتي على مقاسها الأصلي



عباس حلي الثاني

سنة ١٩٠٣

بيني وبين حسن عاصم باشا . رسائل رشيد بك عن سياسة المايين .
تذمر مختار باشا من الخديو . فوضى السرتب . اتفاق مؤامرة في مصر لقطع
عبر الحمير . رحلة الخديو الى الاسكندرية وأوربا كازبارته غير الرسمية للندرة
والتفاهم بينه والانجليز . عباس في ديفون لمرستفاه . مهمتي في طاسوز .
العودة الى الاسكندرية . العودة الى مصر . السبح على يوسف في لندرة وباريس .
هدية الخديو للحاج القضاة . الزهرهد في البحر الأحمر . سقيقة ملك الانجليز
في مصر وكبار الزوار الاجانب . افتتاح دار الامار المصرية . مسألة
صندوقه التوفير .

بيني وبين عاصم باشا . لما أحيل محمود فهمي باشا رئيس الديوان العربي إلى المعاش ، وخلفه حسن عاصم باشا ، أراد أن يسيطر على جميع الأقاليم العربية والأفريقية والتركية ؛ وكان يصدر أوامره إلى الموظفين الذين هم تحت رياسته مباشرة ؛ فاستأنت للاعتداء على اختصاصي . . وصارحته بذلك ، طالباً منه استصدار أمر بهذه السلطة ؛ إذ أتني لو فرطت في حقوق التي منحني إياها الخديو ، وهي الاستقلال في عملي ، والتوقيع على كل ما يصدر من المعية باللغة الفرنسية ، كنت مقصراً في الواجبات الملقاة على عاتقي . ولما لم ينته الأمر بيننا إلى حل ، عرضت المسألة على الخديو ؛ وبعد أيام جاءني دومينيو باشا وقال لي : « إن سموه لا يجب أن تمس وظيفتك فيما يختص بالأعمال الخصوصية لسموه ؛ وأما التوقيع على ردود المكاتبات الرسمية فتشكون من حسن عاصم باشا إذا كانت باسمه ؛ أو بتوقيعك إذا كانت باسمك . » وأبلغني أن سموه قال لحسن عاصم باشا عند تعيينه . « إن شفيق وعزت قد اكتسبا شبه استقلال في أعمالهما ، فيجب مراعاة ذلك . »

وقد تبين لي أن عاصم باشا كان يعتقد أنني غير مرتاح لتقلده رئاسة الديوان الخديوي ، ويستدل على ذلك بأنني لم أهنئه ؛ ولكنني لم أتأخر عن التهنية إلا لأعذار طارئة ، ولم يخرج الأمر عن سوء تفاهم عادي ؛ ثم تقابلنا بعد ذلك وتفاهنا ، وسارت الأمور بيننا على وفاق ، وأصبح ميالا إلى أخذ رأيي في الأعمال العامة ، وفي نصوص الخطاب التي يلقيها الخديو في الاحتفالات الرسمية ، وغيرها .

رسائل رشيد بك عن سياسة الماييم . رشيد بك من رجال تركيا الفتاة ؛ وقد حضر لمصر ، ورحب به عباس حتى إنه وظفه في الخاصة ، وأخيراً توسط له سموه وأعادته إلى الاستانة . وهو ينتمي إلى أحمد جلال الدين باشا ، السر خفية ، ؛ وقد استخدمه الخديو للوقوف على بعض المسائل من الباشا المذكور ، فوردت منه عدة رسائل في سنة ١٩٠٢ . تكلم فيها عن مسألة يالو جبوقلي ، وشكوى مالكة من عدم دفع السلطان ثمنه الذي اشتراه به ؛ وتكلم كذلك عن حضور البرنس حسين كامل باشا للاستانة (*) ، ونزوله ضيفاً عند أحمد جلال الدين باشا ، وبأن شركة هافاس علكت سفر البرنس تعليلاً قد يؤدي إلى استيائه ، وأن البرنس لديه من الأسباب ما يجعله يعتقد بأن التلغراف موحى به من منير باشا ، وأن أحمد جلال الدين باشا يؤكد أن سفر البرنس ليست له

١٩٠٣

— ٥ —

أية صلة بمسألة طاشوز؟ وإظن — رشيد بك — أن المسألة من تدبير جماعة تركيا الفتاة .

وقال مستر سندوز مدير شركة هافاس إن هذا التلغراف خطأ ، ولم يرسل إلا على سبيل الاستطلاع وجس النبض استجلاء للبعثات المعطاة من أناس هم على صلة بمنير باشا ، وقد أدلى سندوز بكثير من المعلومات فيما يتعلق بالدسائس التي يدسها حزب أبي الهدي ؛ وقد أذاع هذا الحزب في الأقطار الإسلامية منشوراً ضد الخديو (*) ، ووعد سندوز بالسعي للحصول على نسخة من هذا المنشور .



رشيد بك

وفي ٦ ديسمبر سنة ١٩٠٢ أرسل رشيد بك يقول إنه سأل نوري باشا من رجال المايين عن مسألة تعيين شفيق بك في منصب القبول كمتخدا ، فصرح بناء على ما جاء في تذكرة الصدارة ، بأن العرف المتبع يقضى بعدم تعيين أحد في هذا المنصب من غير موظفي الاستانة . وأن رشيد بك أعرب عن أسفه لذلك واطلع على الرسالة الموجهة من الصدر الأعظم إلى الخديو ، على أثر إعرابه عن رغبته في تعيين شفيق بك . فاذا بها تنص على أن هذا المنصب لا يمكن أن يشغله غير موظف تركي .

وأنه ترك الخديو حق اختيار الشخص الذي يريد أن يشغله . وقد جاء من رشيد بك في ٣ فبراير بهذا الخصوص أنه لا يبعد أن يعين شفيق بك بعد أن أقبل الصدر الأعظم من منصبه وحل آخر محله ، ويعرب عن رغبته في مخاطبة الخديو في شأن هذا المنصب ، مبنياً لسموه أنه ليس من مصلحته تركه حالياً إلى ما شاء الله ومستصوباً بإسناده إلى شفيق . وجاء في إحدى رسائله أيضاً أن الخاصة السلطانية باعت مناجم طاشوز إلى أحد الألمان بمبلغ سبعة عشر ألف جنيه .

(*) راجع ص (٢٦٨) من القسم الأول

تزم مختار باشا مع الخديو . في فبراير أقيمت الحفلة الراقصة السنوية في سراى عابدين فاستوقفنى الغازى أثناء الحفلة وسألنى سؤالاً علنت منه أن الخديو تحدث معه بما لم ير ضنه عن تقرير رفع من ولده إلى المايين بخصوص الأوقاف الخديوية فأجبتة بما أعلم (راجع صفحة ٩٠٩ من القسم الأول) .

فقال لى الغازى : « وإن الخديو يقول إنك رأيت هذا التقرير بعينك . » فأجبتة نفيًا .



محمود مختار باشا

وعقب الحفلة علنت أن الخديو اتفق مع النظار على أن يكون استقبال مختار باشا في المقابلات بعد البرنسات ، وأن السبب في ذلك استياء سموه من تصرف الدولة في مسألة طاشوز والاستقبال الفاتر الذى قوبل به في الاستانة ؛ وأما وشاية نجل الغازى فليست بذات أهمية في هذا القرار . وقد أخبر الغازى الدولة بذلك فأرسل فريد باشا الصدر الأعظم برقية شديدة اللهجة لعباس يطلب فيها إرجاع الغازى إلى مكانه

في التشريفات ، لأن آداب سموه لا تسمح باهانة رجل كالغازى في العمر والمقام . وقد خشى مختار باشا أن يرد الخديو على هذا منتقداً أعماله في مصر فتكون هذه نقطة سوداء له في الاستانة فوسط محمود شكرى باشا في الأمر ، لحادث الخديو في ذلك وعلم أن سموه لا يحمل شيئاً لمختار باشا شخصياً ، ولكنه يعمل ذلك ردأ على أعمال السلطان .

وقد كان المتبع أن يعطى للغازى قطار خاص عند سفره . أما في هذا العام فقد منع ذلك ؛ ولما حان موعد سفره لقضاء فصل الصيف بالاسكندرية وعرف أن النية متجهة إلى حرمانه من القطار الخاص ، وسط محمود شكرى باشا في الأمر فسمح الخديو بذلك على شرط أن يستأذن المعية ففعل .

وكان المظنون أن العلاقات تعود كما كانت ، ولكن لما سافر الخديو بعد ذلك بأيام إلى الاسكندرية ، لم يكن الغازى بين مستقبله كمادته ، وقد أثار عمله هذا استياءاً في السراى ولوماً من هيئة القناصل ، فخشى الغازى عاقبة ذلك وأرسل مصطفى كامل بك ليتوسط في الصلح ، وقد أرسلنى عباس مع عزت بك إلى بطرس غالى باشا ناظر الخارجية

لأخذ رأيه في الموضوع ، فكان من رأيه أنه لا مانع من استقبال الغازي إذا حضر نفسه ، ولكن لاداعي إلى دعوته .

وقال لي مصطفى كامل بك عقب مقابلة له مع الخديو والغازي : ه إن الغازي سيكتب برقية مطولة بالشفرة يقول فيها للسلطان ها هو ذا الخديو لم يشأ التوجه إلى إنجلترا ، قبل أن يقدم فرائض العبودية لجلالته ويطلب منه أن يحسن استقباله ، وكان الغازي يرى بهذا المسعى إلى إرجاع امتيازاته . وانتهت المسألة بصلح ظاهري ؛ غير أن هذه الامتيازات لم ترجع إلى ما كانت عليه .

فوضى الرتب . كانت مسألة الرتب منذ حين موضعاً للساعي والمساومات



احمد شوقي بك

المختلفة ؛ وقد لوحظ هذا العام أن المسألة بلغت حدّاً عظيماً من الفوضى ، وأن الرتب أصبحت كالسلع السهلة ؛ وكان لهذه التجارة وسطاء كثيرون : منهم الشيخ علي يوسف وحسين بك زكي وأحمد بك العريس وأبراهيم بك المويلحي ومصطفى الحصري — وهو مقيم بالانستانة ويأتي كل شتاء لأخذ بضاعة من مصر — وأحمد شوقي بك الشاعر ومصطفى كامل الذي كان ينفق ما يأخذه في الدعاية لقضية مصر ؛ وكان لكل رتبة سعر مخصوص يدفعه الطالب ، فالرتبة الثالثة يدفع عنها ٢٥٠ جنياً والثالثة مع لقب بك ٣٠٠ جنيه والثانية ٤٠٠ جنيه والمتمايز ٥٠٠ جنيه .

وكثيراً ما كان يعتدي بعض الوسطاء على بعض ، ويختلس البعض ثمرة جهود الآخر . ولقد جاءتني عدة رسائل من أحمد شوقي بك يشكو فيها الشيخ علي يوسف وحسن بكري بك ، وقد أفهما أحد الذين أنعم عليهم بواسطته أن هذه الرتبة لم تكن إلا بمجهود الشيخ علي يوسف !

ولما كثرت الانتقادات على ذلك حتى من رجال المعية ؛ مثل أحمد خيرى باشا وعزت بك وغيرهما ؛ ونظراً لما كان بيني وبين بطرس غالى باشا من صداقة فقد تحدثت معه بصفة

خاصة في إحدى زيارتي له ، وأشرت إلى بعض المسائل التي تؤخذ على الخديو ، وفي مقدمتها مسألة الرتب ، وأن الواجب على النظار أن يبذلوا النصح لسموه باخلاص في ذلك ، فقال بطرس باشا : « ولكن المحيطين بالخديو هم الذين يزينون له ذلك . » فقلت له : « إن هؤلاء يعملون ذلك لمصالحهم الشخصية ، وإن الواجب ألا يترك المخلصون للخديو من أمثالك هذه المسألة حتى يستفحل أمرها . » ولما لم يقم بطرس باشا بسعى في ذلك السبيل تشجعت وعزمت على أن أقوم به بنفسى ، وفاتحت سموه في مسألة الرتب ، فأجابني قائلاً : « يا شيخ أنا عارف ما أفعله فليس لأحد في المعية ولا غيرها دخل ؛ وأنا لى فئة خاصة يعيشون على مستحقى الرتب ويعرضون على بعضاً منهم وأنا أمتهم ١١ ، ولما تقام الأمر أصبحنا نخشى أن يتدخل الانجليز فينتهزوا فرصة منح رتبة لشخص محكوم عليه في تزوير أو غيره — كما حدث ذلك — ويشهروا بالخديو ؛ ولولا حسن التفاهم القائم الآن بينه وبين الانجليز لما تأخروا عن ذلك ، ومن الحوادث التي تدل على اسـئـال هذه الفوضى أنه أريد مرة إعطاء رتبة لعمدة ؛ وبما أنه معتبر موظفاً في الحكومة لا تعطى له الرتبة إلا بطلب منها ، وهذا ما يتعذر وقوعه ، فقد أوعز إليه بأن يستغنى ، وأوعز للمأمور المركز أن يؤخر إرسال استغفائه للبديرية بضعة أيام ، منح في خلالها الرتبة ثم استرد استغفاه ١١١

انقلاب مؤامرة في مصر لمنع عبد الحميد . في ٧ يوليو سنة ١٩٠٢ أثناء مأدبة في يلدز أمر السلطان بالألا يقدم الخديو مساعدة إلى اسماعيل كمال بك وزملائه من رجال تركيا الفتاة الموجودين بأوروبا لأن حالتهم ساءت ، فرد الخديو بأن أحداً منهم لم يتقدم إليه بطلب مساعدة .

غير أنه في شتاء هذا العام حضر كمال بك لمصر وقدمه عبد العزيز عزت باشا للخديو فرحب به ، وتقابلا مراراً وتكلما سوياً في أمور تختص بالسياسة التركية ؛ ويظهر أن اسماعيل كمال أخبر سموه بوجود جمعية غرضها الحصول على خلع السلطان ، وطلب مساعدة مالية من سموه ، فأجابه إلى ذلك وأعطاه أربعة آلاف جنيه بتحويل على أحد مصارف إنجلترا ، والمحول هو عبد العزيز عزت باشا . ثم إن سموه أجرى النفقة عليه مدة إقامته في مصر .

وفي ذات يوم أرسل لى سموه ولعزت بك وعبد العزيز عزت باشا للحضور للقبه ، ولما اجتمعنا علينا منه أن صالح بك سترتير الداماد حضر وطلب مقابلة سموه

فلما قابله عرفه بأن الجمعية أرسلته ليعرض عليه مشروعاً لخلع السلطان دبره رجب باشا مشير الفيلىق العثمانى فى طرابلس الغرب، وقد كان بعيداً عنها . فانه اتفق مع هذه الجمعية بواسطة مندوبين أحدهما انجليزى والآخر تركى هو رشيد بك بالسفارة العثمانية بلندره ،



صاح الدين بك

على أن ترسل له باخرة ترسو بالقرب من طرابلس بحجة تعليم العساكر يستقلها ويتوجه لمدينة طرابلس . ثم يبحر عليها إلى الاسطانة ، ويضم إلى هذا الاتفاق كبار الضباط فى جناق قلعة وفى الاسطانة ومن ضمنهم قومندان قشلاق السليمية باسكدار وآخرون فى نفس بلدز . وقال صالح بك أيضاً إن صباح الدين بك النجل الأكبر للامام مستعد للحضور لعرض التفاصيل إذا رغب الخديو ؟ وفعلنا حضر لمصر منتكراً يلبس قبعة .

ولزم الفندق فلم يخرج منه إلا قليلا حيث قابل عباساً فى سراى القبة مرتين ، وطلب من جنباه العالى إما أن يشتري أو يؤجر لهم باخرة من جيبه الخاص . فلها طلبنا الخديو لمعرفة رأينا وقد رأينا منه أنه يميل نوعاً لتصديق قول ابن الداماد واحتمال تنفيذ مشروع الجمعية . ولكننا نحن الثلاثة ، اتفق رأينا على أنه لا يمكن تنفيذه لوجود صعوبات ، وربما كان صباح الدين يرى فقط إلى اقتناص بضعة آلاف من الجنيهات من سموه . وأن مركز سموه على أى حال يقضى عليه بالابتعاد عن فتنة كبيرة كذه ، لأنها لو اكتشفت لكانت العاقبة شراً ، ولو شكى السلطان من سموه للدول لانتحت عليه باللائمة . ومن حسن الحظ أنه اقتنع بهذا رأى ، وصمم على الابتعاد عن هذا العمل . وفى هذه الاثناء علمنا منه أنه أحضر لمصر اسماعيل كمال ورتب له ٥٠ جنيهاً ، ولكنه لم يصرح لنا بأمر الأربعة آلاف جنيه التى تحولت له بواسطة عزيز باشا لاجتراء . وإنما علمت ذلك من محمد بك عوفى لأن صباح الدين لما فهم عدم اهتمام الخديو بكلامه

وسط البيك المذكور ، فحضر وقابل سموه وأراد إقناعه فكلفني الخديو أن أذهب إلى عرفى بك ، وأقول له أن يفهم ابن الداماد أن انتظاره في مصر لا يجدى نفعاً ، وعندئذ عرفنى بمسألة الأربعة آلاف جنيه ، وقال : « إن اسماعيل كمال صرف منها ٢٥٠٠ جنيه ، وإن سموه حجز في البنك بأنجلترا ما تبقى ، وإن صباح بك يطلب رفع هذا الحجز . » وقد تقابل عرفى بك بعد ذلك مع الخديو ولا أعلم ماذا كانت النتيجة . والظاهر أن سموه ارتاب فيما بعد في مزاعم اسماعيل كمال .

وقد علمت عند زيارتي للندرة أن اسماعيل كمال تمكن من سحب مبلغ الألفي جنيه ، رغم اشتراط سموه عند الإيداع أن يكون السحب باذن عبد العزيز باشا عزت . ولما ارتاب الخديو في الأمر أمر بوقف الصرف ، وطالب بالمبلغ كله ، ولكن وجدت صعوبات دون استرداد المبلغ المسحوب وكان في نية سموه أن يتخذ الاجراءات القضائية ضد البنك الذي قام بالدفع ، ولكنه عدل فيما بعد خوفاً من التشهير والفضيحة .

رحلة الخديو إلى الإسكندرية وأوروبا . تقرر السفر إلى الاسكندرية ومنها إلى لندرة ثم الذهاب لديفون والرجوع عن طريق الاسكندرية ؛ وقد أمر الخديو أن أكون برفقته باستمرار في هذه الرحلة ، ماعدا المدة التي سيكون فيها بالاسكندرية فيكون مع سموه على عبادى باشا قومندان المحروسة وعزت بك .

وتقرر أن يرافقتنا أولاً زكى باشا من الاسكندرية إلى فينا وفيها ينضم إلينا الدكتور كاوتسكى وفي باريس دومرتينو باشا وعبد العزيز عزت باشا ومحمد ياور بك ، وأن يتوجه بروستر بك إلى لندرة قبلنا ، وأن ينزل الخديو في لندرة ضيقاً على السير أرست كاسل بناء على دعوته .

السفر : فغادرنا الاسكندرية يوم ٣ يونيو . وفي ٦ منه وصلنا إلى الكلازومين ومنها أرسلنا برقيات إلى مصر والاسكندرية بالوصول لجاء الرد من السلطان نفسه مما جعلنا نستبشر خيراً ؛ وقد بلغنا أن مصلحة الصحة بالاسكندرية أرسلت لرئيس الحجر الصحى في أزمير لتحية الخديو عند وصوله ، فكان هذا الرئيس وجميع الموظفين في خدمة سموه ؛ وكانت هذه دلائل لتحسن الجو بين الخديو والسلطان .

وفي ٩ منه غادرنا مكان الحجر الصحى ، وأرسل الجناب العالى برقية بذلك للباين والتهنئة بالمولد النبوى لجاء الرد من السلطان مباشرة أيضاً .

وقد احتفلنا نحن ببليلة المولد على ظهر المحروسة ؛ وفي أثناء حديثي مع الخديو

في مساء ذلك اليوم قال لي سموه إنه يريد حفظ حقوقه في كل ما حصل في السنة الماضية من الاهانات ، وكذا ما حصل في الشتاء الماضي حتى قال إنه سيمتنع من قبول حسنى باشا لأنه يعتبره جاسوساً — مع أنه في الحقيقة أفضل من غيره — وقال سموه أيضاً : « إن هذا السلطان سيء السيرة ، لاني لو كنت دونت ما كان يقوله في حق إخوته من إدمانهم على السكر (*) » وخصلهم الذميمة وامتداحه لنفسه وما كان يرويه عن حريمه لكنت ملأت كتاباً . ، وقال : « إننا نحن الذين أفسدنا الأمور ، فستان بين استقبالنا في أول زيارة واستقبالنا الآن . »

فقلت : « نعم لو كنا تباطأنا في الزيارة على السلطان بدها عاين أو ثلاثة لكنا حافظنا على مركزنا . » قال نعم . وانهزت هذه الفرصة وقلت : « حقيقة إن الأتراك مقصرون ولا يخافون إلا عند المعاكسة ، فلو كان أفندينا في الصيف الماضي بعد الاستقبال السيء الذي لقيه عند حضوره للاستانة ، زار إنجلترا وقابل الملك كما سبق عرضته على أعتاب سیدی ، لكانت المقابلة عند رجوعه لدار السعادة أحسن بكثير مما وقع ، فأجابني : « كان السلطان يعتبر زيارتي لإنجلترا نكابة به . » فقلت : « حقيقة إن أفندينا يراعى عاظر جلالة فوق اللازم . »

وفي ١٠ يونيو وصلنا الدردنيل ، فلاحظنا أن العساكر العثمانية والطواشي تؤدي التحية بمجرد ظهور اليخت بدون أن يرفع العلم .

الحندي في الاستانة : وعند الوصول إلى جناح قلعة شاهدنا نفس الاهتمام والاستقبال ؛ ثم واصلنا السير حتى وصلنا الاستانة في صباح اليوم التالي . وكان في الاستقبال المشير شاكر باشا وحسنى باشا قايما الحنديوتحية السلطان ، وحضر الترجمان الأول لسفارة إنجلترا بالنيابة عن السفير . ثم توجهنا إلى بلدز حيث استقبل سموه ابراهيم بك السرتشريفاتي ونوري باشا المايينجي الأول ؛ وبعد الاستراحة قليلا تناولنا الغداء وقد كان الحنديو معزما رفض الأكل إذا كان مع غير السلطان ، ولكنه غير فكرته لما لقيه من مظاهر الترحيب . ثم دعى سموه لمقابلة السلطان ومكث بمحضته نحو ثلثي الساعة . وبعد خروجه استدعانا السلطان فثلث بين يديه مع زكي باشا وعزت بك لحاطبنا

(٥) وهذه المناسبة أقول عن علم أن هدايا الخليفة لأخيه مراد السلطان المزعول الذي كان منتفلا في سراي جرائان ، كانت عبارة عن مشروبات روحية من أجود الأصناف وغرضه من ذلك أن يفسد في السكر باستمرار .

معباً عن سروره بمقدم الجناب الخديوى ، وتمتعنا جميعاً بالصحة ؛ وكان يتحدث بصوت خافت ويرتدى معطفاً يغمر وجهه .

وقد علمنا أن الحديث بين عباس وعبد الحميد دار عن سياحة سموه ثم عن تعدد الزوجات وعدم استحسان جلالته له ، وكانت هناك مسألة شراء بالى جبوقلى من طرف السلطان وإهدائه للخديو ، فاعتذر الخليفة لسموه عن عدم إتمام الصفقة لتشدد أحباب البالى .

ولما انصرفنا توجهنا إلى بيك لتحية الوالدة ، وما كدنا نستقر حتى حضر شاكر باشا ، وعرض على الخديو كتاباً من الصدارة بأنها لم تتمكن نهائياً من شراء بالى جبوقلى وأن الصدر يرى إخلاءه ؛ فقال الخديو لأبأس ، وأراد عزت بك أن يعترض فقال له شاكر باشا : « إن الواجب تنفيذ أوامر الجناب العالى . » وعلى أثر انصراف شاكر باشا ، استدعانا سموه وهو فى كدر شديد ، وتباحثنا فى الموضوع ثم استقر رأى على مفاوضة أحباب البالى ، ومنهم أمر الله بك التابع لدولة روسيا ، فى استئجاره على حساب الخديو . وبعد مفاوضات كثيرة اتفقنا معهم على ذلك ودفعنا الأجرة ، وأبلغنا أمر الاتفاق للسراى ؛ وفى الوقت ذاته استأذن الخديو للسفر يوم ١٦ منه ، ولما عرض الأمر على السلطان أمر برد الأجرة التى دفعناها وطلب تأخير السفر . وقد حصل تزاور بين الخديو والسفراء كالمعتاد بين يومى ١١ و ١٣ يونيو .

مأدبة بقصر يلدى : وفى ١٤

منه دعا جلالته السلطان سموه إلى مأدبة عشاء رسمية تقام فى القلدلوداع .

وفى ١٥ يونيو ذهبنا إلى السراى وصعدنا إلى كشك شاليه ، فوجدنا هناك الصدر والكلاء ورجال معية السلطان ؛ وبعد قليل طلب الخديو لمقابلة جلالته فدخل ثم جاء الطلب لنا ، وأخبرنا بكراسينا المخصصة لنا . فدخلنا إلى غرفة المائدة وجلسنا بعد قدوم السلطان . يصحبه الخديو والصدر فريد باشا . وكانت المائدة




فريد باشا

١٩٥٣

- ١٣ -

مستطيلة وقد جلس السلطان وعن يمينه الخديو وعن يساره الصدر ويقابلهم ثلاثة من أنجال السلطان. وبعد الطعام، خرج السلطان والخديو والصدر، وجلسوا في غرفة على حدة؛ وجلسنا نحن في صالون كبير. وقد حضر الصدر أثناء استراحتنا فلاحظنا كثيراً، ومما لاحظته أن بقية النظار لا يحفلون به، وعند الخروج ودع عباساً إلى آخر درجات السلم؛ وقد أبدى سموه سروره من الترتيب في هذه المأدبة وحفاوة السلطان به، وعناية الصدر براحته، وإن كان قد أبدى رأيه فيه بأنه رجل لا يليق لمنصب الصدارة.

	أشنام طعامي
Dinner	في ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٢١ وفي ٢٠ حرير سنة ١٣١٩
du 19 Rabi-ul-awwal 1321. et du 21 Rabi-ul-awwal 1319.	طاووق الأعمى جورباني أبي نوع بورك صاندي لوزك قيهين سيزدي سبر قيهين تروفي مطاوي طاووق قيهين صدوي استول فوشو ناز بوتج بيج كاي بالو ميش انايان طاكيس وايتال فرم دو كدومه
Consummé: Saucique, Petites bouchées et beignets, Bar sauce Juhaville, Filet de bœuf Royale, Suprême de volailles truffées, Harvard en belle-vue, Asperges, Purée, Potlets de grain rôtis, Pâté, Auberges à la creole, Bavaroise à la vanille, Glaces.	

قائمة الطعام في مأدبة قصر يلدز

سفر الخديو إلى فينا : وفي ١٦ يونيو جاء شاكر باشا لوداع الخديو من قبل السلطان ؛ وكان السفر قد تقرر على الوابور الرومانى . ولما وصلنا إلى ميناء قسطنجة ، كان فى الانتظار محافظ البلد فتقدم للجناب الخديوى مرحباً ؛ وكذلك عدد عظيم من الأهالى المسلمين . ثم نزلنا جميعاً بين صفين من البوليس حتى وصلنا للقطار الذى تحرك بعد منتصف الليل إلى بخارست فوصلها فى الصباح ؛ وقد حضر مندوبون عن الحكومة الرومانية لتحية سموه ولكنه كان نائماً فاعتذرت لهم ، وشكرتهم حسب تعليمات سموه لى منذ أمس .

وفى ١٨ منه وصلنا إلى فينا ونزلنا بفندق أمبريال وقد زار سموه وزير الخارجية ثم الماركيز دى رفرسو سفير فرنسا بفينا .

السفر إلى باريس : وأمضينا فى فينا يومين ثم سافرنا إلى باريس فوصلناها صباح ٢١ منه . وكان بانتظارنا محمد ياور بك . وقد حضر السفير العثمانى منير باشا للسلام على الخديو فرد له سموه الزيارة .

زيارة غير الرسمية للندرة والتفاهم بينه والبرلمان . كان الخديو قد عزم منذ

العام الماضى على زيارة لندرة والحضور حفلة زواج السير الدون جورست التى ستكون يوم ٢٥ يونيو .



المورد آرثر بلفور

فى ٢٤ يونيو تقرر أن أسافر مع ياور بك ومعنا الخدم إلى لندره ولما وصلنا إلى محطتها جاء دو مرتينو باشا وبروستر بك ، ثم أبقنا للخديو بتمام الاستعداد للمقابلة ؛ ولما وصل سموه فى نفس اليوم إلى محطة شارنيج كروس ، كان فى استقباله السير كوندى استيفن نائباً عن جلالة الملك وحاملاً سلامه ، وقد تعين مهنداراً للخديو ، والسير بارنيتون نائباً عن وزير الخارجية ،

والسير أرنست كاسل والسير الدون جورست ، والمستر ماتشل مستشار الداخلية المصرية ، واسكندر فهمى باشا العضو الوطنى بمصلحة السكك الحديدية المصرية . وبعد أن صافحهم ركب سموه مع مضيفه السير كاسل إلى منزله الذى أعد لزيارته .

وفى اليوم التالى توافد الكثيرون من الكبراء ورجال المعية الملكية للسلام ، فقيدوا أسماهم ، وحضر مندوب من قبل اللورد آرثر بلفور رئيس الوزارة يدعوه سموه إلى مأدبة عشاء ، ثم حضر اللورد نفسه للتحية ، ثم السفراء إذ أن الحديو يعامل فى لندره كأمر مستقل ، فيحضر السفراء أولاً للسلام عليه ، ثم يرد لهم الزيارة ، بخلاف الزيارات فى الاسنانة .

فى قصر بكنجهام : وعند الساعة الثالثة جاءت عربة ملكية ركبها الحديو يرافقه السير كوندى استيفن ودومرتينو باشا ، إلى سراى بكنجهام حيث استقبلهم الملك والمملكة وكريمتها الكبرى ، وكانت المقابلة عائلية لأن سموه كان فى هذه الزيارة بصفة غير رسمية .

الحديو يشهد الاحتفال بزواج جورست : وفى ٢٥ منه خرج سموه توأ إلى منزل عروس السير الدون جورست الذى احتفل بقرانه فى هذا اليوم ؛ وقد ذهبت مع عبد العزيز عزت باشا وياور بك ، لحضرت الاحتفال فى الوقت الذى جاء فيه الجناب العالى ؛ وكان المنزل غاصاً بكثير من المدعين وبينهم وزير الخارجية وكانت الهدايا التى وردت للعروس مرتبة فى غرفة كبيرة ، ومن بينها هدية الحديو وهى قرط وأساور وعقد وخاتم كلها من الزبرجد المحلى بالماس ، وكانت أئمن هدية قدمت للعروس . وقد أخذت صورة لسموه بين العروسين فى حديقة المنزل . وعند رجوعنا بعد الحفلة ، وجدنا بطاقات لجلالة الملك والبرنس دوجال والدوق أوف كنوت وبعض الأمراء .

حفلة الاستعراض بمناسبة عيد جلوس الملك : وفى صباح ٢٦ منه اشتد الزحام فى منزل السير كاسل الذى نزل به الحديو ، ووفد كثيرون من كبار الانجليز من الأعيان والموظفين الذين كانوا بمصر ومارشالات مثل روبرتس وجزالات وغيرهم لا ينقطع سيلهم ، وقد قابل الحديو بعضهم كما قابل السيد محمد توفيق البكرى والشيخ على يوسف وكان قد وصلا إلى لوندريه فى اليوم السابق .

وعندما كان الحديو مع جلالة الملك أمس ، دعا سموه لحضور حفلة استعراض

عسكري لمناسبة عيد جلوسه (٥) في هذا اليوم ، فبعد انتهاء الزيارات وحوالى الساعة العاشرة صباحاً حضرت عربتان ملكيتان ؛ ركب في إحداها الخديو ودهمنداره ودومرتينو باشا ، وفي الثانية عبد العزيز عزت باشا وضابط كان في خدمة الجيش المصرى برتبة ياور للسردار للذهاب إلى مكان الاستعراض ؛ وكان سموه يرتدى بذلة فريق ونيشان الامتياز المرصع ونيشان فيكتوريا ؛ وبعد الاستعراض دعى سموه لمأدبة عائلية في قصر بكنجهام ؛ وقد أمر الملك بعد الطعام بقهوة تركية للخديو فقدمت لسموه وصانها مصرى في السراى الملكية .

وفي المساء ذهب سموه لمأدبة اللورد بلفور الرسمية ، وقد شهدا كثيرون من الأمراء الانجليز ؛ وكان عن يمين رئيس الوزارة ولى العهد وعن يساره الخديو .

وبعد عودة سموه كلفني بكتابة رسالة إلى مصطفى فهمي باشا عن رحلته فكنتبتها ووقع عليها سموه بخطه ، وأرسلناها . وفيها أن الحفاوة التي لقيناها من السلطان كانت حسنة ، والحفاوة التي استقبل بها في لندره كانت أعظم سواء من الملك والأمراء ورئيس الوزارة وكبار الانجليز في لندرة والموظفين منهم في الحكومة المصرية .

مشاهدة معرض زراعى : وفي صباح ٢٧ منه ركبنا القطار من لندرة إلى ضاحية أقيم بها معرض زراعى ، فشاهدنا بعض نواحيه ، ثم توجهنا إلى كشك معد للملك والأسرة الملكية ، وكانت به موسيقى عسكرية حيث الخديو عند وصوله ؛ وقد وجدنا ولى العهد في الاستقبال . وبعد الاستراحة ذهب بنا إلى مدرج ثم سرح أمامنا عدد من الثيران المعروضة من مختلف الأجناس الانجليزية ومن بينها ثور بيع بمبلغ ألف وخمسمائة جنيه . وبعد ذلك ودعنا ولى العهد وعدنا بالقطار إلى لندرة .

دعوة الأمراء للخديو : وقد لبى الجناب العالى بعد العودة ، دعوات من شقيق الملك والدوقة أوف كنوت ، والبرنيسيس أوف باتنبرج أخت الملك ، ثم رد سموه الزيارة للأمراء .

الخديو في المسرح : وبعد تناول العشاء دعانا السيرارنست كاسل لحضور إحدى الروايات في تياترو ، لا جيتيه ، ، وقد بلغنا أن ثمن كل كرسي خمسة جنيهات فعجبنا لغلاء الأسعار في هذا المسرح .

(٥) الحقيقة أن يوم ٢٦ يونيو ليس يوم التولية ولكنه في يناير ، ولما كان ذلك الشهر في العادة شمر الأمطار والبرود والتلوج ولا يمكن عمل استعراض فيه لذلك حددوا يوم ٢٦ يونيو لهذا الاحتفال في إنجلترا فقط ، وأما في الرسيات فالتأني من الملوك تأتي في اليوم الحقيقي للتولية .

مأدبة الخديو للسير لإرنست كاسل : وفي مساء ٢٨ يونيو أعد الخديو في محل نزوله مأدبة للسير لإرنست كاسل وأخته وابنته وقربنها ، ودعى إليها المهندار والدكتور سيمونسن .

في قصر وندسور : وفي ٢٩ منه ركبنا قطاراً خاصاً إلى وندسور حيث السراى الملكية وهناك كان في الانتظار عربتان ملكيتان كل منهما بأربعة جياذ ؛ وبمجرد وصولنا وضع سموه إكليلاً من الزهور على قبر الملكة فيكتوريا ؛ ثم طفنا في السراى التي صارت متحفاً للأسلحة التاريخية ، وبما شاهدناه علم نابليون الأول وسيفه ، وعلم التعايش ومصحف كبير من مخططات المهدي ، وكثير من أثار الدراويش . وفي المتحف كثير من الصور الزيتية والصيني النادر ؛ وبعد إتمام الزيارة تناولنا شيئاً من المربطات ثم ركبنا العربات إلى كنيسة السراى الملكية ، وبها مقابر بعض الأسر الملكية الانجليزية . ثم عدنا بعد ذلك إلى لندره فزار سموه وزير الخارجية ، إجابة لدعوة سابقة منه إلى مأدبة غداء ، وكان اللورد قد دعا ، إكراماً للخديو ، كثيرين من عظماء الانجليز ، وجلس سموه عن يمين الماركةيزة والدوق دى بورتلاند عن يسارها ، وكان في المدعوين السير توماس ساندرس ابن عم اللورد كرومر ، والسير واللاى رينل روود ، والسير فرانك لا سلس قنصل جنرال إنجلترا في مصر سابقاً .

وبعد الظهر قام الخديو بعدة زيارات من بينها زيارة لسفير فرنسا .

مأدبة شبه رسمية في قصر بكنجهام : وكان من المدعوين رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، وبعض كبار الانجليز في مصر ، وقد استقبل سموه من رجال التشريفات استقبالا نفيا ، ثم استقبله ولي العهد بعد ما صدحت الموسيقى بالسلام الخديوى .

وعلى المائدة جلس الملك وعن يمينه الخديو ، ثم اللورد بلفور ؛ وعن يسار الملك الدوق أوف كنوت وأمامهم ولي العهد وعن يمينه الدوق أوف كبريدج وعن يساره الماركةيزة أوف لانسداون وزير الخارجية ، ثم باقي المدعوين حسب درجاتهم وفي آخر الحفلة وقف الملك والمدعوون وشرب نخب صحة الجناب العالي قاتلاً ما ترجمته : ه إلى مسرور بوجودكم وأهم بمصالح سموكم الشخصية ، وبصالح مصر ، وإلى أمل أن أرى سموكم بيتنا في غالب الأوقات . ثم شرب قدحا وشرب الجميع معه ، وجلس . وقد انتظر الملك برهة منتظراً أن يرد سموه على كلمته ، ولكنه لاحظ أن سموه كان ذا هلا فتكلم مع الدوق أوف كنوت ، وهذا حادث دومرتينوباشا ، فأوماً إلى الخديو قاتبه من

غفلته ، واعتبرته الحيرة لأنه لم يكن ينتظر وقوع هذا المنظر ، وأخيراً وقف ورفع قدحه قائلاً : « إننى أشرب في صحة جلالة الملك . » ثم التفت إليه وتم بصوت خافت كلمات لم يسمعها أحد .

وقد كان الخديو في هذه الحفلة موضع إكرام الأسرة المالكة وكبار رجال الحكومة . وبعد الانتهاء قال الملك لعبد العزيز عزت باشا : « ها أنت ذا قد سمعت دعوتى للجناب الخديو لتكرار زيارته للندرة فعليك تذكيره . » وربما كان الغرض من ذلك تشجيع سموه على قطع زيارته للاستانة والاكتفاء بزيارة العاصمة الانجليزية ، وذلك ما كان يدور بيننا بعد الحفلة .

الخديو عضو شرف في نادى السباق : وفي ٣٠ يونيو أجاب الخديو دعوة السير إرنست كاسل للتوجه إلى نيوماركت وتمضية ليلتين في قصره هناك ، ومشاهدة المسابقات التى ستحصل فيها ، فذهب في صباح ذلك اليوم مع المهندار ودو مرتينو باشا والسير إرنست كاسل الى المحطة ، وركبوا قطاراً خاصاً . ولما وصل سموه توجه إلى القصر ؛ وهو واقع وسط حديقة غناء شاسعة وفيها أنواع من خضر وفاكهة نادرة المثال ومعنى بها غاية الاعتناء ، وهناك أيضاً خيول السباق ملك السير وعددها أربعة وأربعون منها ٢١ مضمونة تنزل السباق ، ولها اسطبل بديع جداً والأمكنة التى توضع بها مؤوتها عند الأكل في غاية النظافة .

وكان السير إرنست كاسل قد دعا كذلك جلالة الملك لضيافته والمبيت عنده هذه الليلة ، فأرسل جلالاته يدعو الجناب العالى للغداء معه في ساحة السباق ، وقد قضى جنباه في هذه الضيافة يومين ؛ ولما عاد علمت تفاصيل هذه الرحلة ، وذلك ان سموه بعد حضور السباق اقترح جلالة الملك تعيينه عضواً شرف في النادى المسمى « جوكرى كلوب » ، فاجتمع مجلس إدارة النادى في الحال وقرر ذلك بإجماع الآراء ؛ وكان هذا شرفاً عظيماً لدى كبار الانجليز لأن هذا النادى لا يضم سوى المعروفين منهم لدى الملك وليس به من الأجانب إلا امبراطور ألمانيا . ولذلك سارع الأعضاء إلى تهنئة سموه بهذا الشرف العظيم وأبلغوه أنه في العام المقبل سيقام سباق باسم جنباه . فشكر لهم سموه جميل عواطفهم . وبعد انتهاء المآدب التى أقيمت قال الملك للخديو عند وداعه للعودة إلى لندره : « إنى أقول لك الى الملتقى . » وكررها ثلاثاً .

الخديو وجمعية مسلى لندره : وقد عاد الخديو إلى لندره في ٢ يوليو وكان قد

حضر لزيارته قبل عودته الكاتب والمشرع الأشهر السيد أمير على أحد أكبر قضاة الهند وصاحب كتاب «روح الاسلام» ، فأسف لعدم لقاء سموه . وترك بطاقة ؛ ولما أخبرت الخديو بذلك أبدى أسفه وبعد الغداء حضر وفد من «جمعية مسلمي لندره» مؤلف من السيد على بلكرامى وزير المعارف بمحدر آباد الدكن سابقاً ، وأستاذ بعض اللغات الهندية بكلية كمبردج ، والسيد عبد الله المأمون السهروردى ، وعبد الرحيم خان من رؤساء طائفة الافريدين وغيرهم ، وقد ألقى رئيس الوفد خطبة بين يدي سموه عرفه فيها بأغراض الجمعية من اتحاد المسلمين ونشر الاسلام ورفع كلمته ؛ ثم رحب بسموه وأظهر سرور المسلمين من عنايته بالأمور الدينية ولا سيما بالأزهر الشريف ؛ فرد سموه عليه شاكرآ ، ثم وجه أنظارهم إلى قلة عدد الطلبة الهنود بالأزهر ، وأنه عند زيارته الأخيرة له لم يجد به غير سبعة فقط ، وختمهم على إرسال أكبر عدد ممكن من الطلاب إليه .

وأشار سموه أيضاً إلى شعوره بالمشاق التي يعانها الحجاج ، وأن أمير الحج المصرى يبذل جهده فى حماية الحجاج الهنود وغيرهم من البلاد الأخرى أسوة بالمصريين ؛ وقال سموه : «إن الحج ركن من أركان الدين الاسلامى ، وإبطال هذه الفريضة بسبب هذه المشاق والمساغيب يكون ضربة قاسية وخطراً كبيراً على الاسلام الخ . » وتبرع سموه للجمعية بمبلغ خمسين نجينا مصرى ؛ واتصرف الوفد شاكرآ بعد أن أهدى إلى سموه فهرساً بكتابات القرآن . يدل المطالع على موضع كل كلمة ، وفى أى آية ومن أى سورة ، وكذلك ترجمة كتاب «تمدن العرب» لجوستاف لوبون وقد ترجمت التيسم الخطاب ورد سموه عليه .

حديثى مع السير إرنست كاسل : وقبل السفر تحدثت الى السير كاسل معرباً عن إعجابنا بكرم ضيافته لنا ، فنزل به وعرباته ومائدته وغيرها كانت كلها ملكاً لنا وكانت على خير حال ؛ وبعد ذلك قلت له : «لأننى مع احتفاظى بذكري هذه الضيافة أريد تذكاراً خاصاً لى ، ذلك هو إفهامى السر فى الريح من الأوراق المالية . » ففكر هنيهة ثم قال : «تشتري الأوراق عند انخفاضها وتبيعها عند ارتفاع أثمانها . » قلت : «إن هذه هى العقبة فكيف أعلم أنها منخفضة اليوم وسترتفع غداً ، ولو علمت ذلك لا اكتشفت السر بنفسى . » فضحك وقال : «هذا مرجعه إليك . » وضحكنا .

الخديو ومستربلت : والشئ الوحيد الذى كدر الخديو فى لندره ، هو أن

المستر بلنت المعروف بصداقته للعرايين كان قد اتصل بسموه بصلات الود في العهد الأخير بواسطة الأستاذ الشيخ محمد عبده ؛ وقد كتب لسموه من ضيعته القريبة من لندره ؛ يرجو تشريفه بها لمشاهدة الخيول العربية التي يعنى هو بتربيتها وإنتاجها ، فأمر سموه بروستر بك بأجابه ملتصه وتحديد وقت لهذه الزيارة ؛ ولكنه لما تحدث مع السير إرنست كاسل في هذا الموضوع أشار عليه بعدم الزيارة ، لأن مستر بلنت مكروه من الملك ، فتألم الخديو لذلك وقال في أثناء حديثه لنا : « عجباً للانجليز ، كيف يدعون حرية الفكر ، ويهجرون على بلادهم ! »

وفيما عدا هذا الحادث كانت زيارة لندره فاتحة عهد جديد في صلة سموه بالانجليز .
نتائج هذه الزيارة : ويمكن تلخيص أثر زيارة الخديو لندره فيما يلي :

التعارف - فانه عرف كثيراً من الانجليز وعرفوه كذلك ؛ وقد علمت أن بلفور رئيس الوزارة أعجب بسموه ، لما هو عليه من جميل الخصال ، وأبدى إعجابه لكثيرين . كانت الزيارة في غاية المودة والمحبة ، وظهر من تسابق كبار الانجليز لزيارته ودعوته والاحتفال به ، أنهم يرغبون اجتذابه إليهم ، وقد كان الاحتفاء به عاماً ، حتى إن التيمس قالت في مقالة افتتاحية : « إن المظلم قلباً يستطيعون الانزواء بأنفسهم والتخلص من مراقبة العيون الناظرة إليهم ليتمتعوا بالعملة التي كثيراً ما يتحسرون عليها ويتلهفون إليها ، ولقد تحولت زيارة الخديو المعظم الخصوصية إلى زيارة شبه رسمية ، لا ينقصها إلا ما استراح منه سموه من مشاق الرسميات التي تقتضيها هذه الزيارات ؛ ولما زار سموه بلادنا في المرة السابقة لم يحسن استقباله في هذه الديار كثيرة التقلب ، ونال من المرض ما أثر تأثيراً كبيراً على الحواس الذي دب في جسم الأمة احتفاء وترحيباً بسموه . وأما في هذه المرة فقد كان الجو صحوً بهيجاً ، وشهد به سموه في أحسن مظاهره وأرق حالاته ، وبذلك مهد له الوقوف على أحوال الأمة الانجليزية على حقيقتها ؛ وسواء أكانت زيارات جنابه رسمية أم غير رسمية فهو دائماً لدينا ضيف كريم ترحب به الأمة ؛ وربما كانت زيارة عادية كهذه أحب إلى مجموع الأمة وأقرب إلى ميول قلوبها ، لأن مثل هذه الزيارات تبرهن على ارتياح قلبى للوجود بيننا ، وتدل على الثقة أكثر عما تدل الزيارات الرسمية . »

وقد كتبت معظم الصحف كذلك ، حتى الصحف الصغيرة التي تنشر في الأقاليم ونشر بعضها صورة سموه .

كانت العلاقات بين عباس والانجليز قد تحسنت منذ زيارته الأولى للندره ؛ وهذا وضع مقدار الحفاوة التي قوبل بها من الأمراء خاصة والشعب عامة ، والمودة التي أظهرها الملك له ، وتمنياته تكرار الزيارة في وقت كانت سياسة السلطان قبله غير مرضية . كل ذلك زاد التحسن ، وشعر عباس بضرورة وجود الثقة بينه وبين الانجليز . فبل استمرت هذه الثقة ؟ (*) .

الرجوع إلى باريس : وفي صباح ٣ يوليو ودعنا السير كاسل وكثيرون غيره . ثم رافقنا المهندار حتى دوفر . وقد أرسل الخديو قبل مغادرته لانجلترا برقية يعبر بها عن شكره وعظيم امتنانه للملك . وكان قد كلف السير كاسل بمثل هذه التشكرات ،

وصلنا إلى باريس في المساء ؛ وفي اليوم التالي ذهب مع سموه الى سراى الاليزه وبركت بطاقة باسمه ، وكذلك في وزارة الخارجية ؛ وقد رد مسيو دل كاسيه الزيارة في فندق بوسيت الذي نزلنا به .

عباس في ديفون لوستشفاء . وبقينا في باريس إلى ١٠ يوليو ؛ ثم سافرنا إلى ديفون لأخذ الحمامات حسب المعتاد .

وفي ١٢ منه جاء خطاب من عزت بك بالاسانة يقول فيه : « طلبت أمس إلى المايين بالتلغراف . فلما قابلت الباشكاتب أعطاني صورة مقالة مترجمة عن التيمس ، ومرسلة من سفارة الدولة بلندره ، عبارة عن رد الخديو على خطبة وفد الجمعية الاسلامية بلندره . وقال عزت بك ولما أتممت قراءتها قال الباشكاتب : « إن جلالة السلطان يأمركم بتبليغ الخديو أسف جلالته كثيراً من الجملة المختصة بالحجاج ، مع وجود مجال أوسع للكلام في ذلك الصدد نحو الاسلامية والاسلام ؛ وجلالته لم يقبلها قطعياً ، ويرغب معرفة ما إذا كانت هذه الجملة حقيقة صدرت من نظامته أو هي من محرر الجريدة ؛ وإن كان صحيحاً ، فما سبب ذكرها ، وما هي المشاق التي عاناها الحجاج ؟ مع أن السلطان لا يصدق صدورها من سموه في بلاد أجنبية ، وفي وسط الأجانب . وجلالته منتظر الجواب بالتلغراف الرقي ، ويطلب أيضاً إرسال صورة من خطاب الخديو للاطلاع عليه . » وقد أبدى الخديو استياءه لسفير الدولة في باريس عند وجوده بها ، وطلب منه التحرير للباين قائلا : « كيف يغضب السلطان من ذكرى لأشياء أغلبها حق العلم ؛ وأنا لا أغضب من طلب جلالته عمل شبه تحقيق معي بهذا الخصوص ؟ ، فلي السفير الطلب ، وجاء الرد بأن السلطان تناسى هذه المسألة ؛ وعلى الخديو ألا يفكر فيها .

لطيفة و السمك الطازة . . وكان يصحب الخديو بديفون عادة الطيب كاو تسكى بك . وترينون باشا و المير اخور ، و السكرتير (وهو فى الغالب أنا) . وفى مرة خرجنا ، نحن الثلاثة ، بصحبة الخديو ؛ وركبنا عربة بأربعة جياد للرياضة على جبل دجورا ، و صعدنا إلى مكان مرتفع . ومكثنا حتى جاء موعد الغداء ، فذهب ترينون باشا إلى مطعم هناك ، وكان هو الذى يتولى عادة إعداد قائمة الطعام . وكان يميل إلى التظاهر بالاندماج فى البيئة الشرقية ، فيتكلم بالعربية العامية ، ويتفوه بألفاظ أولاد البلد ، ويأتى ببعض حركاتهم ، كأن يتجشأ بصوت مسموع . . الخ .

فلما ذهب للطعم وعاد ، ذكر أصناف الأطعمة به ، وخص بالذكر السمك ، فنوه بجودته ، وقال إنه طازة . . وقد اختار الخديو أكلة السمك ؛ ولكن ما كاد يحضر حتى تبين أن له رائحة كريهة لطول مكثه ، فسأله الخديو : أهذا هو السمك الطازة ؟ ، وهنا قال ترينون : أنا ظننت يا سمو الخديو أنه أطيب من كده ، عندئذ أغرقنا فى الضحك على هذا الاشتقاق العجيب ، ثم سألناه : من الذى عليك اسم التفضيل هذا ؟ ، فأجاب : أستاذى فى العربية محمود شكرى باشا ،

مهمنى فى طاشوز . ثم بقيت فى ديفون حتى يوم ١٥ اغسطس حيث كلفنى الخديو بالسفر الى طاشوز ؛ لمعرفة حالتها وكتابة تقرير عنها بمساعدة مسيو هكسيوس مدير معمل الزيتون ، على أن أعود بعد رحلتى الى فينا حيث ألتقى بسموه هناك .

وسبب ذلك أنه تم إنشاء معصرة الزيت بهذه الجزيرة بمعرفة هكسيوس بعد صعاب كثيرة ، ولكن هذا المشروع لم ينجح تماماً لعمل السلطة التركية على عرقلة أعماله . وتحريضها الأهالى على عدم بيع محاصيلهم من الزيتون إلا بثمن مرتفع ، حتى فكر هكسيوس فى وقفه فى العام الآتى ، ليعلم الأهالى مقدار الخسارة التى تنالهم .

ونظراً لهذه الصعوبات أراد الجناب العالى استبدال مدير الوقف محمود رفعت بك بالكونت سورمانى الموظف بالديوان الخديوى ، لأنه قد يكون أقدر على تلافى الحالة . وفى أثناء استعدادده للسفر لطاشوز ، جاء بلاغ من السفارة الإيطالية فى الاستانة الى قنصل جنرال إيطاليا بمصر ، بمنع الكونت من السفر ؛ لأنه لو توجه فسيمعنه قنصله فى قوله . وقد كان هذا من جراء تهاون الخديو فى الاسراع بهذه المسألة ، حتى تمكنت تركيا من السعى لدى إيطاليا . وقد كان هذا سبباً فى استياء الخديو ، وتوتر العلاقات بينه وبين الاستانة ، وما ترتب عليه من توتر فى علاقة سموه بالغازى احمد مختار باشا

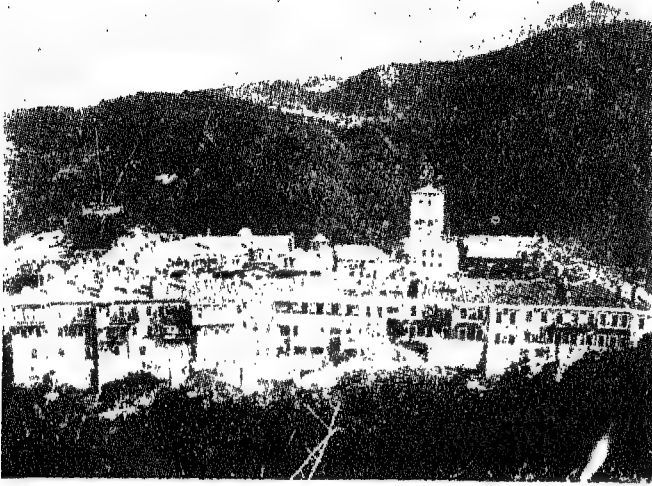
كما سبق التنويه عنه في مسالة نجله محمود مختار باشا .

غادرت جنيف في ٢٥ أغسطس إلى برنديزي ، ثم ركبنا البحر إلى بتراس ، ومنها بالسكة الحديدية إلى بيريه حيث أقلتني باخرة صغيرة اسمها « طاشوز » تابعة للأوقاف الخصوصية ، إلى الجزيرة . وهذه المرحلة الأخيرة من سفري كانت شاقة جداً لأن البحر كان هائجا وكانت الامواج تتقاذف الباخرة حتى طفت المياه على غرفة الرهان ، وخبل إلى أني على وشك الهلاك ولا سيما أني لم أذق الطعام مدة ٢٤ ساعة . وقد قابلت بالجزيرة مسيو هكسيوس وفي اليوم التالي لوصولي اضطررت للسفر على نفس الباخرة سالكا طريق قوله لتعمد حالة عمارة محمد على الخيرية ، وقد استغرقت هذه الرحلة أربع ساعات ذهاباً وإياباً ولكنها كانت رحلة موفقة باعثة على الارتياح .

وفي اليوم الثالث تجولت في بعض قرى الجزيرة بصحبة مسيو هكسيوس وشاهدت معصرة الزيت ، وفي اليومين التاليين فحست الدفاتر ، وحالة الأوقاف وهي فرصة اغتنتمتها لاخلد إلى الراحة ، لأن التعب كان قد أخذ مني مأخذه ، ثم عدت فاستأنفت السفر مستغلا الباخرة ومعى مسيو هكسيوس إلى جبل أنوس الشهير المعروف باللغة التركية باسم « أيناروز » وهو في جزيرة ليس فيها أنش حتى الدجاجة ! ويقم فيها جماعة من الرهبان والنساك من يونانيين وروس وصريين وبلغاريين وغيرهم ولهم أملاك وكثير من أشجار الزيتون في جزيرة طاشوز . ثم زرنا دير فاتويدي وهو أقدم أديرة جبل أنوس وأحفظها بالتحف وبه مكتبة الأثرية القديمة التي تحوى مؤلفات نفيسة بينها مؤلفات سترابون المصورة ، وهي فيما يزعم أمين المكتبة النسخ الوحيدة من نوعها . والدير واقع في جوار التربة التي عمد « أكسرس » إلى شقها اجتناباً للبرور بالرأس الأرضي الممتد في الجزيرة وهو الرأس الذي تحطم عليه جانب من أسطوله ؛ ورهبان الدير يشتغلون في الزراعة والصيد ، ويعيشون عيشة النساك . وكثيراً ما يطرق الجزيرة زائرون من كل جهة ، وفي السجل المعد لتدوين أسماء الزائرين اسم ملك إيطاليا الحالي وفوكيه ورونشيلد وغيرهم من عظماء العالم .

وفي جبل أنوس نحو عشرين ديراً للروم والروس ، وأغلب الرهبان من الروس وهم يتكون أهم الأديرة وأغناها ، ويبلغ مجموعهم نحو خمسة عشر ألف راهب .

ولما عدنا إلى طاشوز استأنفنا التجول حول الجزيرة منذ مطلع الشمس ثم تركناها وسافرنا بحراً إلى دده أغاش فوصلناها الساعة السادسة مساءً ، في جو صاف



دير ايفرون بجبل أنوس

بديع ، وغادرتها متأخرين عن الموعد المقرر المعتاد ، وكان القطار غاصاً بالجند والضباط والركاب غير أنى تمكنت بواسطة البقشيش ، من تدبير ديوان خاص لى ورفيق هكسيوس ، ولاحظنا فى أثناء السفر أن الجود قائمون على خفارة الطريق . وفى منتصف الساعة التاسعة وقف القطار فجأة فى مكان بعيد عن إحدى المحطات فسأل الركاب الكسارى عن السبب فأجابهم بأن الحرارة التى اعترت الفاطرة لثقل القطار وازدحامه تقضى بهذا الوقوف . وبينما نحن فى هذا الحديث إذا بشرذمة من الفرسان تدنو منا بسرعة ، فكانت الظلة حالكة فلم نبصرها ولكن وقع حوافر الخيل طرق آذاننا فزاد ذلك فى رعبنا وحسبنا له ألف حساب لأننا ظننا أنهم أفراد إحدى العصابات البلغارية وكان كلما اقترب الصدى زاد قلقنا ، وما زلنا نضرب أنحاساً فى أسداس حتى أبصرنا الفرسان فإذا بهم فرسان أتراك مقبلون علينا من الجبل على خيول بيضاء ، وتقدم الضباط إلى سائق القطار سائلاً عن سبب وقوفه ، ثم أمر أحد الفرسان بالعودة إلى زملائه لتطمينهم وكان ذلك من بواعث التطمين للركاب فهذا روعهم . على أن هذا الاطمئنان كان وقتياً وكان القلق الذى أخذ علينا مقدمة لقلق آخر أشد وقماً ، ذلك أنه ماكد القطار يسير بنا مدة حتى عاد ، وقف بنا قبل محطة قللى بورغاز ثم عاد

القهرى إلى أوزون كوبرى ، وحينئذ دب الرعب فى القلوب مرة أخرى .

وبعد أن وقفنا نحو ثلاث ساعات وعوامل الخوف تازعنا ، تلقينا الأمر بعدم النزول فى تلك المحطة ومتابعة السفر إلى أدنة . ولا يخفى أن محطة قللى بورغاز ملتقى الخطوط الحديدية التى تتقابل فيها القطارات الآتية من أوروبا والقادمة من الآستانة إلى أوروبا أو من سلاينك ودهه أغاش ، وقد أثر فىنا هذا الأمر القاضى بعدم النزول فى هذه المحطة ، قللى بورغاز ، لركوب القطار المسافر من الآستانة إلى فينا ، فأردنا أن نستطلع جلية الأمر وبعد إلحاح شديد اضطر الكومسارى أن يصرح لنا بالحقيقة فقال : « إن بلغارياً من رجال المصابات وضع آلة جهنمية فى طريق القطار ، فانفجرت تحت مركبة الطعام ، فى محطة قللى ، فقتل رئيس الخدم وثلاثاً من النساء التركيات وثلاثة أشخاص آخرين مع عدد من الجرحى . ، والذى تحققت أنه الآلة كانت قد وضعت تحت المركبة فى محطة فليوبولى بعد أن أدير الآلة المركبة فيها بحيث تنفجر حين وصول القطار إلى الجسر المقام على نهر ماريتزا وراء محطة قللى بورغاز فتدمره وبذلك لا يعود فى إمكان الجنود والركاب أن يعبروا الضفة الثانية من النهر .

وقد شاهدنا فى المحطة المركبة المحطمة ، وجثث القتلى وهى مغطاة بأقشة بيضاء ، وكان المنظر محزنًا للغاية . على أن تأخيرنا بسبب وقوف القطار ، كان باعثاً على إحباط سعى الثوار البلغاريين الذين دبوا هذه المكيدة . وكان رحمة وسلاماً إذ لولاه لرحنا ضحية تلك الجريمة ! وتأخر القطار بنا ثلاث ساعات ولذلك لما وصلنا إلى صوفيا كان القطار البلغارى غادر المحطة إلى فينا تقضينا هناك أربعاً وعشرين ساعة ، وأخيراً وصلنا عاصمة النمسا بخير وأخبرنا الخديو بكل ما تقدم وأطلعته على تقرير مفصل لرحلتى . وسلته بعد رجوعنا لمصر إلى أحمد خيرى باشا .

فمن ذلك كانت رحلتى هذه شاقة حافلة بالمتاعب والأخطار . والغريب أنى لما ركب القطار فى دده أغاش حدثت نفسى بأن حادثاً ينتظرنى فى الطريق وخطر لى أن أعهد إلى مسيو هكسيوس فى إيصال أوراقى المحفوظة فى حقيبى إلى المنزل ، وقد وقع هذا الحادث فعلاً ولكنه وقع فى قطار آخر . ومن المصادفات الغريبة أنه فى أثناء سفرى من جزيرة طاشوز رأيت طائفة من الدرافيل تسابق الباخرة وتداعبها ودنا منى أحد سكان الجزيرة وأنا أنظر إلى هذه الدرافيل قال : « إن هذا فأل حسن . ، وفى الواقع إنه كان مصيباً .

وقد نشرت جريدة «جورنال دى جنيف» فى عدد ٢ سبتمبر نبأ هذه الرحلة فى رسالة ضافية بقلم المسيو هكسيوس لا تختلف عما تقدم .

العودة الى الاستانة . وقد بقينا فى فينا حتى يوم ١١ سبتمبر ثم غادرناها على قطار السكة الحديدية الرومانية إلى ثغر قسطنجة على البحر الأسود ومنها بالبحر للاستانة فوصلناها يوم ١٤ منه . ولما ألفت الباخرة مراسيها أمام جبوقلى كان فى الانتظار المشير شاكر باشا واللواء حسنى باشا وضابط من الياوران ، يحملون تحية السلطان . ثم ركبنا الزورق رهبر إلى ضوئله بفسجة ، ومن هناك أفلتتا العربات إلى سراى يلدىز ، فحضرنا مأدبة شاهانية . وبعد الغداء دخل الحديو عند السلطان وظل معه نصف ساعة حدثه فيها جلالته عن ثورة حدثت فى بلاد البلغار ، وعن إشاعات خلاصتها أن الثوار سينشرون الطاعون فى أنحاء تركيا بواسطة عشرين زجاجة من باسيل الطاعون ؛ وكذلك كان جلالته متخوفاً من أن يسمموا مياه الاستانة المعدة للشرب !! وبعد انتهاء الزيارة ذهبنا للسلام على الوالدة ثم عدنا إلى جبوقلى .

خطأ نبيل رتبة : وفى ٢٠ سبتمبر جاءنى اللواء حسنى باشا متألماً ، وقص على حكاية غريبة ملخصاً أنه دعى للمايين برقية أرسلت إليه بعنوان «الفريق حسنى باشا» ، وكان يترقب الانعام عليه بهذه الرتبة الكبيرة . فظن أنه أنعم بها عليه فعلاً ، وأذاع ذلك بين إخوانه فرحاً مسروراً . ولكنه لما ذهب إلى المايين ليقدم شكره على هذا الانعام أخبره الباشكاتب أن هناك خطأ فقط وقع من كاتب البرقية ؛ وأنه لذلك حائر متألم لا يدري ماذا يصنع ، وكيف يدارى خجله أمام أصدقائه الذين أخبرهم بالنبا ، وهم كثيرون !

فأبلغت ذلك للحديو ، وانتهر سموه فرصة وجوده مع السلطان فى اليوم التالى لتناول طعام الغداء على المائدة السلطانية ، وذكر له الواقعة ملتصقاً بالانعام بهذه الرتبة على الرجل ، فصدرت الارادة السلطانية فى الحال بهذا الانعام !!

العود الى مصر . وقد بقينا فى الاستانة حتى ٢٨ سبتمبر ، ثم غادرناها بعد مأدبة وداع فى يلدىز يوم ٢٧ منه قاصدين الاسكندرية فوصلناها يوم ٢ أكتوبر . واستقبل الحديو فيها كالمعتاد .

الشيخ على يوسف فى ندره وباريس . كان الشيخ على يوسف من

المتهمين للسراى ، فانتز فرصة زيارة الحديو للتندره وسافر اليها ليتبع أخبار هذه الزيارة كما ينشرها في المؤيد ، ثم بارحها الى باريس وتقابل مع بعض السياسيين فيها ، وتكلم معهم بخصوص المسألة المصرية ، كما سيجي . ثم أرسل اليها من لندره في ٥ يوليو خطابا يقول فيه : « كانت مأدبة المستر موزلى — وقد كان قاضياً بمصر — في « نيو سان استيفان كلوب » ، وهو كلوب المحافظين ، مساء أمس وأجاب الدعوة اثنان وعشرون شخصاً بينهم عضوان في البرلمان ومدبرو جرائد استاندرد والديلى تلغراف والديلى نيوز وغيرهم من الكتاب والأعيان ، ومع أنى كنت سمعت من المستر موزلى نفسه أنه لا خطب ولا كلام بل حفلة تعساف وسمر بسيط ، فقد جر الطعام إلى المدام ، والمدام إلى الكلام ، وانتهى الأمر بالقوم أن كانوا في حلة خطابة فخطب منهم سبعة منهم عضوا البرلمان ، وأصحاب الجرائد الثلاثة وشخص اسمه المستر ديسى مؤلف كتاب « الحديو في مصر » والمستر موزلى واضطرت أن أتكم أيضاً . وكان مدار الخطب كلها مظاهره للجناب العالى الذى شربوا نخبه مراراً ، وحيوه مراراً بكلمة « هورا » .

وأضاف إلى ذلك أنه رد عليهم بالشكر ، وبسط القضية المصرية ، وما للحديو من منزلة بين أمته .

ووردت لنا منه أيضاً رسالة من باريس يصف فيها احتفاء الصحفيين الفرنسيين به ؛ وما تبادلوه من الأحاديث بخصوص مصر وسياسة فرنسا .

ثم أرسل لنا رسالة أخرى جاء فيها : « سيذهب وفد من مجلس النواب الفرنسى إلى لندره ليجتمع مع مندوبين من برلمان انجلترا للفاوضة في المسائل المختلف عليها بين الدولتين . وقد طلبت مقابلة مسيو اتين وكيل مجلس النواب الفرنسى بواسطة دولونكل لأعرف منه إن كانت مسألة مصر من جملة المسائل التى يجرى الكلام فيها أم لا ، وقد كتبت لصاحب لى فى انجلترا ليعرف شيئاً من ذلك أيضاً حتى إذا كان هناك قسط من الكلام لمصر عدت إلى لندره لأعرف ما يمكننى الوقوف عليه من أسرار المخبرات فى شأن مصر خصوصاً إذا كان من أعضاء البرلمان ، الذين نعرفهم ، من يكون فى اللجنة المختصة لذلك ولعل هذا هو السبب فى كثرة الأسئلة التى تتوارد على من لندره فى المواضيع المصرية . »

وكتب لنا بعد ذلك ما يأتى : « عاد النواب الفرنسيون وقد قابلت دولونكل وهو متفخ بالآمال الكبار ، ويقول إن المسألة المصرية لا بد أن تعرض أول المسائل

على مجلس التحكيم الذي يراد عقده ، وقد كان في المادبة البرلمانية على يسار المستر تشمبرلين وعلى يمين السير شارل ديلك وتكلم مع الاثنين في المسألة ؛ ومن رأيه أن تشمبرلين لا يبقى طويلا بل الوزارة كلها ستغير وتأتي وزارة الأحرار ، ولما خطب قال لابد من عرض المسألة المصرية في مقدمة المسائل ولكنه لم يرد أن يتعمق معنى في الكلام حتى يعرض ما لديه رأساً على الجنب العالى ، وهو مسافر غداً إلى البلدة التي بها مسيو اتين وكيل مجلس النواب وبعد مقابلته يتوجه إلى ديفون ، وربما اقتضى الحال تأخير سفره إلى يوم الخميس أو الجمعة التاليين .

هجرة القربى للملجأ اللقطاء . تفضل سمو الخديو ففتح ملجأ اللقطاء الذي أسسته جمعية مكارم الأخلاق بالاسكندرية مبلغ ألفين وثمانمائة جنيه تصرف له كل عام . وقد حضر للسراى وفد مكون من المحافظ بصفته رئيس شرف الجمعية ، وقاضى الثغر ومحمد بك سعيد رئيس جمعية العروة الوثقى ، والشيخ عبد الفتاح شريف رئيس جمعية مكارم الأخلاق وعبد القادر الغريانى بك و خليل بك حماده وكيلاهما لشكر الخديو على هبته .

وقد افتتح هذا الملجأ يوم ٢١ أكتوبر وكنت بمن رافقوا سموه وبعد الاحتفال رسمياً تفقد جناحه غرف الملجأ ، وسأل عن نظمه وأوصى القائمين بأمره بزيادة العناية بأمر هؤلاء البؤساء الأبرياء .

الزبرجد فى البحر الأحمر . أخذ الخديو بعد عودته من الاستانة يعنى بمسألة استخراج الزبرجد من جزيرة الزبرجد بالبحر الأحمر ، بعد ما انتهى أمر طاشوز إلى انتزاعها من الإدارة الخديوية .

وقد كلفنى أن أعاطب مسيو هكسيوس فى الموضوع ليوافينا بأخبار استخراج الزبرجد وبيعه ، وقد جاء الرد منه يوم ٥ نوفمبر أنه قد وصلته أنباء من باريس ولندره بأن تجار الزبرجد غير مترشحين إلى أثمانه لكثرة ما يعرض منه عليهم من جهات مختلفة وبأثمان رخيصة ويقول فى بيانه بأنه لا بد أن يكون هذا الزبرجد مسروقاً .

وبوصول هذا الردهم الخديو بالأمر ، وبعث محمد سعيد بك رئيس نيابة الاسكندرية إلى الجزيرة لتحقيق الأمر ، فقام ، وبعد رجوعه قرر أن نصف الزبرجد قد امتدت إليه أيدي السارقين وأنه قبض على من اشتبه فيهم ، وقد أبلغنى الخديو بعدئذ

أن هكسيوس يسعى لدى شركة انجليزية لشراء امتياز الزبرجد بهذه الجزيرة بمخمين ألف جنيه .

شقيقة ملك الانجليز في مصر وكبار الزوار الوهاب . في ٢٣ ديسمبر وصلت إلى القاهرة الرئيسيس دى باتنبرج شقيقة ملك الانجليز ، فاستقبلها على المحطة من قبل الخديو البرنس محمد على باشا وكذلك اللورد كرومر وقنصل جنرال ألمانيا ، ونزلت في فندق الجزيرة .

وفي اليوم التالى لوصولها زارها عباس في الفندق . وكانت هذه الرئيسيس قد أقامت مأدبة للجناب العالى عند وجوده بلندره كما ذكر ، وقد أدب لها سموه يوم ٢٨ مأدبة فخمة في سراى عابدين ، حضرها اللورد كرومر والنظار والمستشاران ، ورؤساء المعية ، واستمرت الحفلة حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .

وبعدئذ حضر الدوق أوف ككنوت وقربنته واللورد تشمبرلن عند مروره ببور سعيد أثناء سفره إلى الكاب وقد جاء إلى العاصمة وزار الخديو وشاهد الخزان .

وزار مصر ولى عهد ألمانيا وشقيقه بصفة غير رسمية ، وقد مرضا ولكن لم يمنعهما المرض من مشاهدة بعض الآثار المصرية ، خصوصاً آثار الأنصر ثم رؤية خزان أسوان .

وقد قدم إليهما الجناب العالى إحدى سفن الركائب الخديوية لهذا الغرض ، وأعد لهما مأدبة عشاء في عابدين ورافقهما إلى زيارة القناطر الخيرية ، فتركا مصر شاكرين ، وتبادل الخديو مع الدهما البرقيات بخصوصهما . وأظهر ابتهاجه بهذه الزيارة التي عوضت ما كان ينويه الإمبراطور من زيارة مصر في السابق ، لجهاء الرد منه لطيفاً ، وأنعم على بعض الحاشية بنياشين .

وكذلك حضر الدوق دوساكس فأولم له الخديو ولية غداء في عابدين ، وكنت من ضمن المدعوين وقدمنى سموه إليه كباقي أفراد الحاشية التي حضرت الولية ، ولذا أنعم على بنيشان فيليب من الدرجة الثانية .

وزار مصر أيضاً الأرشيدوق فرانسوا فردينند ولى عهد النمسا (*) بصفة غير رسمية ، وبينه وبين الخديو مودة عظيمة ، فرحب به سموه وخصص له ليلتين لزيارة الآثار القديمة

(*) وهو الذى قتل في البوسنة وكان قتل سيئاً في نشوب الحرب العظمى .

في الصعيد، ونزّه معه نزّهة بديعة في القناطر الخيرية، وتغدى معه في القبة وكانت تصحبه قرينته. وملكة البرتغال ونجلها ولي العهد وقد زارا الصعيد على واپور خديوى. زارها الخديوى في فندق سافوى، فاستقبلت سموه عند مدخل الفندق وبعدئذ ردت له الزيارة في سراى عابدين، وزارات والدته وكذلك الحرم، وأعدت لها وليمة فاخرة في سراى عابدين. وبعدئذ توجهن معاً إلى الأوبرا؛ ولما سافرت الملكة ونجلها ودعها الجناب العالى على المحطة؛ ولما عادت إلى مملكتها أبدت شكرها وموئنتها، وأعلنت ذلك في جريدة اللواء، فإن صاحبه زارها وتكلم معها. وكتب خلاصة الحديث بعد استئذانها؛ ومن حوادثها في مصر أنها حضرت الليلة التي أقامها صالح باشا ثابت في منزله بجوار نزل سافوى لمناسبة زفاف ابنته، فدخلت الحريم ورأت العروس وتكلمت معها، ثم خرجت وجلست مع ابنها بين المدعويين من الرجال وافتتحت المقصف.

افتتاح دار الآثار العربية. في صباح ٢٩ ديسمبر كانت احتفال ديوان الأوقاف بافتتاح دار الآثار العربية في ميدان باب الخلق، وقد حضره البرنس محمد على باشا والبرنس فؤاد باشا، والغازى مختار باشا ورياض باشا والنظار واللورد كرومر وقناصل الدول الجزالية، والشيخ حسونة النواوى والسيد عبد الخالق السادات والسيد محمد توفيق البكرى والشيخ محمد عبده، وكثير من أعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية وأصحاب الصحف، وعدد عظيم من الأعيان الأجانب مع قربانهم.

واجتمع المدعوون في سرادق نغم مواجه للدار في انتظار الخديوى، فلما قدم حياه المنتظرون وضدحت الموسيقى بالسلام الخديوى. وبعد أن استقر به المقام ألقى عبد الحليم عاصم باشا مدير عموم الأوقاف خطبة الافتتاح. والتبس من الجناب العالى فتح الدار. وقد رد سموه عليه بخطبة قصيرة جاء فيها: «إذا كان لمصر أن تفتخر ببقايا أول مدينة قامت في العالم، فمن حقها كذلك أن تنبأى بالجانب العظيم الذى وصل إليها من مدنية العرب وحضارتهم.»

ثم تقدم سموه فدخل الدار وكان هذا إعلاناً بافتتاحها رسمياً، ثم تفقد حجرها وخلفه المدعوون حتى انتهى سر بنظامها. ثم عدنا مع سموه للسرادق فتناولنا شيئاً بما في المقصف الفاخر الذى أعده الديوان، وبذلك انتهى الاحتفال.

مسألة صنوبرى التوفير. كاد هذا العام ينقضى على وفاق بين الخديوى والإنجليز.

ولكن حدث في ديسمبر خلاف جديد بين الخديو واللورد كرومر على مسألة صناديق التوفير بالبوستة (*) .

ذلك أن اللورد أوعز إلى النظار أن يهينوا مشروعا أوسع من مشروع الصندوق الذي كان موجوداً ، ولم يقبل الأهلالي عليه لاعتقادهم مخالفته للشرعة لأنه نص على فائدة وهم يعتبرونها ربا محرما . وكان اللورد يعتقد أنه لو تم إقبال الفلاحين على إيداع أموالهم في صناديق التوفير ، لقلت حوادث السطو والسرقات في الأرياف وأهم أسبابها الحصول على الأموال المخزونة في المنازل .

ولم يكن الخديو يعلم بإيعاز اللورد ولا بالمشروع حتى جاء ذكره في جلسة مجلس النظار فعارض الخديو فيه لأنه لم يستوف صيغته الشرعية ولم تستبدل كلمة « فائدة » التي هي حجر عثرة في المشروع القديم ، فقام اللورد وقعد لهذا الاعتراض من جانب الخديو ، ولذلك رأى سموه أن يدعم موقفه بآراء العلماء من الوجهة الدينية فأحضر عدداً مهم لسراى القبة وفي مقدمتهم الشيخ محمد نجيت والسيد محمد توفيق البكرى ، ولم يكن الشيخ محمد عبده الملقى من المدعويين نظراً لسوء تفاهم بينه وبين سموه ، واستدعاني جنباه عند وجود العلماء بالسراى واثنتين إلى تقرير المشروع الآتى :

المادة الأولى : كل من أراد أن يضع شيئاً من ماله فعليه أن يقدم طلبه على استمارة مطبوعة تشتمل على ما يأتى :

أولاً - توكيل الطالب لمدير البريد توكيلاً عاماً باستعمال ما دفعه الطالب في أنواع التجارة الجائزة شرعاً .

ثانياً - إذن الطالب لمن يكون مديراً عاماً للبريد بأن يخلط ماله المدفوع منه بمال غيره من المشتركين .

ثالثاً - قبول الطالب الاشتراك مع باقى أرباب الأموال المدفوعة في الربح بقدر ما يقابل ما دفعه .

المادة الثانية : لكل واحد من أرباب الأموال المذكورة أن يسترد ما دفعه ويطالب بما خصه من الربح عند انتهاء السنة وتسوية حساب الربح بنسبة مقادير الأموال وعلى مدير البريد إجابة طلبه .

المادة الثالثة : بخصوص ضم الربح على رأس المال .

المادة الرابعة : في حالة وفاة أحد من أرباب الأموال فلورثته الحق فيما دفعه أو تجديد الاشتراك .

المادة الخامسة : تكون جميع الأموال المودعة بالصندوق تحت مراقبة الحكومة المصرية وحفظها .

ولما كان الخديو في يوم هذا الاجتماع على أهبة السفر للاسكندرية ، كلفني أن أقدم نسخة من المشروع لمظلوم باشا وأخرى لدومرتينو باشا لتسليمها إلى اللورد كرومر ، وكلف السيد محمد توفيق البكري أن يتفق مع محمد بيرم بك (*) القاضي بالمحاكم المختلطة ليفهم مستر بويل السكرتير للورد بكل ما عمله الخديو . وأمرني سموه أن أطلع قاضي مصر أولاً على المشروع وأعرف رأيه وكذلك الشيخ حسونة النواوي ، حتى إذا عرض هذا المشروع على مجلس شورى القوانين — وهما عضوان به — لا يعارضانه . فذهبت للشيخين أولاً . فلاحظ القاضي أن يضاف إلى جملة « في أنواع التجارة الجائزة شرعاً ، جملة « الخالية عن معاملة الربا بوجه من الوجوه » ، وقد خط هذه الزيادة بقلمه وكتب أمامها : « عن القاضي ، فاستغربت في نفسي لهذه الزيادة التي لا تأتي بشيء جديد ، أما الشيخ حسونة فقد زأى أن يغير عقد الشركة الوارد في البند الثاني من المادة الأولى فيكون : « أشركت فلاناً صاحب هذه القسيمة مع الموكلين لي المشتركين في صندوق التوفير . » ثم نقح بعض أشياء في الأسلوب .

ولما أطلعت البكري على هذه الإضافات والتفحيحات وسأله إن كان يرى ضرورة لإضافة شيء آخر أجاب بالنفي ووافق على التنقيح .

وبعد ذلك توجهت بنصوص المشروع إلى مظلوم باشا فلاحظ على ما جاء منه بأن في انتظار المودع لآخر السنة حتى يمكنه سحب شيء من ماله المودع تشديداً وصعوبة تحول دون نجاح المشروع . وقد عدت إلى العلماء وناقشتهم في هذه الملاحظة واتبيننا إلى أن يكون النص كما يلي : « لكل واحد من أرباب الأموال المذكورة أن يسترد ما دفعه ويطلب بما خصه من الربح متى أراد . »

ولما انتهت هذه الاجراءات كتبت نسختين سلبت إحداهما لمظلوم باشا وطلبت منه أن يطلع عليها وكيل المالية المستر متشل أينس . والثانية لدومرتينو باشا ، وكان

(*) وهو من عائلة مغربية وكان أبوه من كبار العلماء ومن المقربين لكرومر .

١٩٠٣

— ٣٣ —

تناظر المالية قد اقترح تحديد الفائدة باثنين ونصف في المائة ليكون ذلك أسهل في العمل، ولكن العلماء لم يرتضوا ذلك .

وقد أخبرت الخديو أولاً وأولاً بما تم في هذا الموضوع، وكان يريد إنهاء المسألة قبل عودته من الاسكندرية، وقد سألتني إحدى البرقيات عن كان له الفضل في إنهاء نصوص المشروع فأجبت بأنه الشيخ محمد بجيت .



محمود باشا الداماد السابق ذكره في سنة ١٩٠٣

وكان سموه يرى من وراء إيجاد النصوص الجديدة إلى إظهار أن المفتي ضعيف في المسائل الشرعية، لأنه أشار بابقاء النص الأصلي، ليكون ذلك ذريعة إلى فصله كما كان يرغب سموه، وفاته أن المفتي مؤيد من اللورد كرومر .

ولما عاد سموه زاره كرومر وحادثه بحدة في أنه يعرقل مشاركة . فقال له عباس إنه لم يعلم برغبته حتى يحتاط ويجعل النص موافقاً للشرع قبل عرضه على المجلس .

وقد كان ذلك سبباً في سوء التفاهم بينهما، لأن الخديو ظهر بمظهر المحافظ على الشرع ضد المحتلين وهو ما يتحاشونه كثيراً.



قصر بكنجهام ص ١٧

مذكراتي في نصف قرن ج ٢

سنة ١٩٠٤

دسائس البكرى في الأزهر ضد المفتي . محاولة أخرى للسيد البكرى .
 مدام هوليت آدام والاعلم . الاتفاق الهوى بين فرنسا وانجلترا . فضائح
 فوضى الرتب . في العائلة الخديوية . سقط الخديو على عرس هاشم باشا . يوسف
 طلعت باشا والدة . سفر الخديو الى أوربا ثم الاستانة وسفرى مع الحرم العمقات
 الخديو مع الاعلم . تركيا والحدود الغربية . قطع العمقات بين مصطفى كامل
 وهاس . قضية زواج صاحب المؤيد . فاضى مصر التركى ودبرانه الوقاف .
 تعيين رئيسا للديوانين العربى والافرنجى .

دسائس البكرى في الأزهر ضد المفتي . كان الخديو قد استمع إلى نصيح
 الشيخ محمد عبده في العمل لإصلاح الأزهر كما قدمنا ، وفوض للشيخ أمر السير بحركة
 الإصلاح ، معتقداً أن الشيخ في مقابل ذلك لا يعارضه في تصرفاته ورغباته ؛ ولكن
 الخديو خاب ظنه في تقدير صلاته بالشيخ واستقلاله ؛ فقد انحلت كسوة من الدرجة
 الأولى من كساوى التشرىف العلية بموت أحد كبار العلماء ، فأرسل الخديو لشيخ الأزهر
 يبلغه أمر سموه الشفوى بتوجيه هذه الكسوة إلى الشيخ محمد راشد مفتى المعية ، فلم ينفذ
 الأمر وأبستدت الكسوة إلى شخص آخر ، فلما اجتمع العلماء عند سموه في التشرىفات
 النصف الشهرية قال الخديو لشيخ الأزهر غاضباً : ألم أمرك بتوجيه كسوة فلان إلى فلان ؟
 فتلعثم الشيخ معتذراً ، فرد الشيخ محمد عبده قائلاً : إن الذى قرره مجلس إدارة الأزهر
 إنما هو التنفيذ لأمر أفندينا وهو ما نص عليه القانون المتوج باسم سموكم ؛ وأما الأوامر
 الشفوية فلا يعتمد عليها المجلس ، فإذا شاء أفندينا أن تكون كساوى التشرىف العلية

بمقتضى إرادته الشخصية ، فيصدر بذلك قانوناً آخر ينسخ هذا القانون ، أو مادة قانونية نصها : كساوى التشريف للعلماء . توجه بأمر منا . ، فلما سمع الخديو هذا الرد احم وجهه ووقف إيداناً للحاضرين بالانصراف .

وعلى أثر ذلك طلبنى الخسديو فرأيت فى غاية الكدر وبادرنى بقوله مختداً :
« تعرف إيه الى حصل النهارده ؟ » فأجبت سلباً ، فأخبرنى بما حصل ملوحاً بالانتقام من الشيخ محمد عبده .

وقابلت الشيخ بعد ذلك فلتته على هذا الرد الجاف ، وقلت إن الواجب يفضى عليه بأنه يحسن القول فى الرد ، وأفهمته أننا بهذا الأمر قد خسرنا كل ما قمنا به من الجهود وفقدنا الخطوة الأولى فى سبيل إصلاح الأزهر .

وزاد فى غضب الخديو على الشيخ محمد عبده ما كان من توثق العلاقة بين الشيخ واللورد كرومر ؛ فقد كان اللورد يحمله ويقدره قدره ويستشيريه فى بعض المسائل الحكومية الهامة . ولما ذاع أمر هذا الحادث قام المشايخون الناقون على الإصلاح بالأزهر ، بتمضيد من الخديو ، ضد الشيخ .

وأكثر السيد محمد توفيق البكرى من التردد على سموه فى هذه الأيام ، وكان يعمل على إيداء الشيخ المفقى لأنه عدوه وعدو الخديو . وفى ذات يوم طلبنى سموه لقصر القبة ، وجمعى مع البكرى قائلاً : « يا سيد أنا لا أتق إلا بشفيق بك » ، فليكن هو الواسطة فى مخابراتنا .

وفى ٩ يناير حضر السيد عندى وطلب مقابلة الخديو وكان على وشك السفر إلى المنتزه . وبعد المقابلة ، قال لى سموه إن السيد البكرى سيحضر لى أوراقاً أتسلها منه وأعطيها لحسن عاصم باشا باعتبار أنها واردة له من الخديو . وبعد ذلك حضر الشيخ على يوسف وتحادث مع سموه فقال له : « اتحد مع شفيق فيما أمرته بخصوص السيد البكرى . » وأمرنى أن أعرض على سموه برقباً كل المحصل .

وقد علمت منهما بعد سفر الخديو أن الغرض من هذا المسعى الذى دبره البكرى والشيخ بخيت عضو المحكمة الشرعية . هو حمل بعض أعضاء مجلس إدارة الأزهر على الاستقالة وهم : الشيخ ابو الفضل الجيزاوى ، والشيخ سيجان العبد ، وشيخ الحنابلة ، ليستبدلوا بالشيخ بخيت والشيخ محمد راشد وثالث يكون من خصوم الشيخ محمد عبده ، وبذلك يكون فى مجلس الادارة حزب قوى لمعارضة نفوذه .

وكان الشيخ على يوسف يعترض على هذا العمل وينوه بخطورته إذا انكشف ، وقد ذكرته بهذه المناسبة بأنه هو السبب في اتصال السيد توفيق بالخدوي بعد مجافاته ، لأنه سعى في صفح الخديو عنه .

وبينا نحن نتحدث عن هذا الموضوع في إدارة المؤيد إذ حضر الشيخ المفتي وقال إنه بلغه أن هناك مؤامرات في الأزهر ، وأنه عالم بالغرض الذي ترمى إليه ؛ وأن الحكومة لا بد أن تعلم ذلك . وأضاف على ذلك أن الأعضاء المطلوب استعفاؤهم لا يفعلون ذلك إلا بطلب من الخديو نفسه .

وكنيت قد فكرت في حل لهذا المشكل ، وذلك أن يأتي المفتي إلى في عابدين ويطلب مني أن أرسل إشارة برقية للخديو خلاصتها : « أن الشيخ محمد عبده بلغه ما يجري في الأزهر ، وإنه يعرض على أعتاب الخديو استقالته من عضوية مجلس إدارة الأزهر ، وأنه مسافر إلى المنزه لهذا الغرض . »

وكان غرضي بهذا الحل أن يعرف الخديو أن المفتي علم بالدسائس التي تدبر فيحذرهما ، وفي الوقت نفسه حينما يرى خضوع الشيخ يتنازل عن خصوصته له ، فينتهي المشكل بذلك . فلما عرضت هذا الحل على الشيخ محمد عبده قال إنه سيفكر ثم يخبرني برأيه . وفي اليوم التالي قابلي وقال لي : « إن ممثل أينس وكيل المسالية علم بالمناورات الواقعة في الأزهر ، وإنه ربما طلب مني الإفصاح عن أسباب استقالتي فإذا أقول ؟ » فأجبت بـأن خير حل لذلك هو أن يتوجه للمنزه في الغد ويعرض الاستقالة على الخديو ، محتجاً بأنه لا يريد إحداث متاعب لسموه ببقائه فوافقتني .

وأرسلت للخديو في ١٠ منه رسالة بأنه لم يستقل أحد من فاضلهم البكري . وجاءني الشيخ المفتي مساء وقال إنه عازم على السفر غداً ، فأرسلت لسموه برقية بأن البكري لم يفلح في سمعه ، وأن الشيخ محمد عبده رأى من نفسه أن يقدم استقالته لإراحة لخطاطر الخديو ، وسيحضر للمنزه لهذا الغرض وذلك تصرف حسن منه ومسلط طيب نحو سموه .

وقد ذهب الشيخ المفتي وقدم استقالته فلم يقبلها الخديو ؛ ولكنه قدح أمام سموه في حق البكري بما جعل عباساً يزيد تمسكاً بعلاقته واعتماداً على سعيه في الدس للشيخ محمد عبده .

وقد جاءتني برقية من المنزه في ١٢ منه فيها : « إن الشيخ المفتي حضر أمس وتشرف

بالمقابلة ولكنه لم يحصل على نتيجة بالمرة ، ولذا يجب مقابلتك لشيخ الأزهر وتفهمه ذلك ، إذ ربما يدخل المفتي بتمويهات لا أصل لها ، ومن جهة أخرى يجب مقابلة توفيق البكرى وتفهمه أن يستمر في إتمام المشروع المكلف به وهو إنهاء مسألة الشيخ أبي الفضل حين عوده سموه .

أما مسألة الشيخ أبي الفضل فقد كان البكرى يصرح بأنها من أيسر الأمور ، لكنه حضر لي وأفهمني أن شيخ الأزهر يماطل ويصانعا في الظاهر ثم يوعز في الخفاء لزملائه بعدم الاستقالة ويوصفه بأنه « جزويت » ، أى شديد المكر . ثم أبدى لي ما يفيد عجزه حتى يحضر الخديو ويحادث كرومر في الأمر . فأرسلت لسموه برقية بذلك ، وبأنى قابلت الشيخ الكبير ففني لي ما قاله البكرى ، وقرر خضوعه للجناب العالي ؛ ولكنه يرى أن الدسائس زادت في الأزهر ، وأن المتوسطين لم يحسنوا الخطه ، فأنكشفت الدسائس بشكل غير مستحسن .

وفي ١٣ يناير حضر عندى السيد البكرى وحادثني طويلا في هذه المسألة ، فنصحت له بأن يكتب للخديو بما يريد ويسله لي لارساله لسموه ، وكنت أرى بذلك إلى أن يعلم سموه بمجهل البكرى سفر المفتي ، ويطلع على فكرته في طلب المساعدة من كرومر وهو الأمر الذى يكرهه عباس ، وبذلك يفضى عن السيد توفيق محور هذه الدسائس فتقطع أسبابها ؛ ولم أخبره بأن الخديو سيحضر للقاهرة اليوم حسبا أعلم لكلا يمتنع عن الكتابة . فوافق السيد وكتب ما نصه : « مولاي أدام الله ملكه — أخبرني محمد يرم بك أمس بخبر ، ولكنه يقبل قدم أفندينا بأن لا يسمعه أحد فانه إن سمع لفظ ؛ وذلك الخبر هو أن الشيخ محمد عبده توجه أول أمس إلى اللورد كرومر وقال إن سمو مولانا الخديو يريد رفقى ورفق مجلس الإدارة جميعه ، وطلب منه أن يتدخل في الأمر ؛ فقال اللورد بأنه لا يمكنه التدخل . ولما يتس الشيخ محمد عبده منه قال له : إذن لي حينئذ أن أتوجه للاسكندرية وأنكلم مع سمو الخديو . فقال له اللورد : أنا لا أمنعك بأن تتوجه ، ولكن الأليق أن تنتظر سموه إلى أن يحضر ، فخرج الشيخ محمد عبده ، وقابل بطرس باشا غالى فأشار عليه بالسفر إلى الاسكندرية ، فقال الشيخ محمد عبده لكثير من أصحابه ، بأنى سأسافر في هذا المساء إلى الاسكندرية لمقابلة ولى النعم ، فأشيع الخبر في مصر بأنه سافر حتى أنه كتب في بعض الجرائد ، ولكنى طلبت مقابلة الشيخ محمد عبده أمس لحضر عندى فسألته عن المسألة بوجه الاجمال لأعرف فكره . فوجدت أنه خضع وغير الموضوع حيث قال بأنه لا يوجد أدنى توقف مناس في تغيير

مجلس الادارة، ولكن لم يفهم قصد سمو أفندينا تماماً فنحن ننتظر مقابلته بالذات لنفهم الغرض فنفذه، وكذلك شيخ الجامع قال لشفيق بك صباحاً بأن المشايخ مستعدون لتقديم الاستعفاء، ولكن لسمو أفندينا بالذات، وهذا كله غير ما كانوا يقولونه قبل مقابلة الشيخ عبده لكرومر، ورأى عبديكم أن سموكم لا تظهرون لهم أدنى غضب، ولكن حيث إنهم لم يفهموا أو لم يثقوا بأن أكون أنا واسطة بين سموكم وبينهم، فسموكم تفهمونهم المسألة وتأمرونهم بتنفيذها في الحال وقبل صدور الأمر بالتنفيذ فتكلمون مع اللورد كرومر فيها من باب حسن المعاملة.

هذا وعندي أشياء كثيرة سأتشرف بعرضها عند تشريف الركاب العالى إلى هنا
أدام الله مولاي ولى النعم مؤيداً بالعز والنصر دوام الدهر؟
العبد الخاضع
إسماعيل — محمد توفيق البكرى

حاشية — المبدأ الذى يتخذه مولاي في هذه المسألة هو هذا : إني أريد إصلاح الأزهر لأنى أعتقد أنى بإصلاحه أصلح حالة الاما الدينية والأدبية، ولكن لجنة الادارة الحالية لا يمكنها أن تنفذ الإصلاح، لسبب هو أن أعضاءها قسبان : قسم ضعاف جداً لا يصلحون لعمل، وقسم أذكاء ولكن الثقة الدينية مفقودة منهم، فلجنة بهذه الصورة لا يمكن أن علماء الأزهر يقبلون لها أمراً ولا نهياً، وكل إصلاح منها يقابل بالرفض والهياتج، فأحببت أن أبقي الأذكاء، وأبدل الضعاف بأخريين حائزين للاقتدار والثقة، فيكون من مجموع الكل لجنة مقتدرة ذكية فيها ثقته فيمكنها أن تقنع العلماء بقبول الإصلاح.

أما الأعضاء فعندنا أسماء كثيرة منها الشيخ النجاشي مفتي الأوقاف الذى شمله مولاي بعنايته أخيراً؟
العبد الخاضع
إسماعيل — محمد توفيق البكرى
١٣ يناير سنة ١٩٠٤

ووصل الخديو في المساء عائداً من المنزه، فانتظرتة في المحطة وركبت معه القطار إلى القبة؛ وفي أثناء الطريق قرأت عليه رسالة البكرى فلم يستحسن ما جاء بها من الآراء ولا سيما مسألة استشارة كرومر.

ولما لم يفلح السيد توفيق البكرى في مهمته ألقي التبعة أمام الخديو على شيخ الأزهر وقد استغربت حينما حادثني سموه في الأمر، وردد أمامي كلمة « جزويت، وصفاً للشيخ، وهى الكلمة التى قالها البكرى، فكان الخديو يردد حتى ألفاظه لا أفكاره فقط

وكان من جراء ذلك الشغب أن استاء الشيخ الأكبر، وطلب الاستقالة. ولكن بطرس باشا أشار على الخديو بعدم قبولها، لأنها أتت في وقت حرج، فأرسلني سموه للشيخ لاهدي. فخطأه؟ ثم قابل الخديو بناء على نصحي في مسجد المطراوى حيث كان يؤدي فريضة الجمعة، فقال عنايته ودعاه لتناول طعام الغداء معه في القبة.

وقد انتهت الدسائس ضد المفتي، بأن صرح اللورد كرومر يوم ١٤ يناير أثناء مقابلته للخديو، بأنه مهما كانت الأحوال فإنه لا يوافق على فصل الشيخ المفتي من الافتاء ما دام موجوداً.

ولكن ذلك كله لم يثن الخديو عن خطته. فأثار على الشيخ جريدتي اللواء والظاهر وعلى الأخص في فتوى صدرت منه ردأ على سؤالين من بعض مسلمي الترنسفال وهما:

(١) بقر يضرب على رأسه بالبلطة حتى تضعف مقاومته، ثم يذبح قبل أن يموت بدون تسمية. هل يجوز أكل لحمه؟

(٢) يوجد أفراد في هذه البلاد (الترنسفال) يلبسون البرانيط لقضاء مصالحهم وعود الفوائد اليهم. فهل يجوز ذلك أم لا؟

فأفتى الشيخ المفتي بالإباحة في الحالتين فقام العلماء وقعدوا بخصوص الفتوى الأولى على الأخص يحرمون فيها أكل لحوم هذه الأبقار باعتبار أنها موقودة، ويطعنون على الشيخ. فرد عليهم الشيخ بأن الموقودة هو ما ضرب بنير محدد كالخشب والحجارة حتى انحلت قواه ومات.

لم يكتف الخديو بذلك، بل حرض العلماء عليه، فرموه بأنه وهابي كما رموه بالزندقة لعدم أخذه بأراء شيوخ المذاهب؛ فرد عليهم الشيخ بما يدحض فريتهم.

وزاد خصوم الشيخ على ذلك بأن لفقوا صورة شمية له مع بعض نساء الأفرنج وحملوها إلى اللورد كرومر وأفهموه أن هذا في عرف المسلمين إزاره بالشيخ ومنصبه، وأنه ينبغي إقائه مراعاة لشعورهم. فتبسم اللورد ساخرأ من هذه السخافة، وأبدى رية في صحة هذه الصورة. وقال لهم: إن الأستاذ يزورنا هنا وتحضر مجلسه ليدي كرومر وغيرها من عقائلنا، فهل يصح أن نعد هذا إهانة له أو لنا؟ وبذا خاب مساعهم لدى كرومر. وكنت أنظر إلى هذه الدسائس بعين التوجس لأنها لا تجدى الخديو نفعاً بل تشجع الدسائسين على غيرهم.

وقد نشرت هذه الصورة في جريدة «حارة منيقى» كما نشرت جريدتا «البابا جلاو» المصرى، و«الأرنب» صورة وثقة أثارته دهشة الجمهور وكانت سبباً في قضية جنائية حكم فيها في ٢٥ فبراير على عبد الحميد كامل افندى صاحب الجريدة الأولى بالحبس ستة أشهر وحسين توفيق افندى صاحب الجريدة الثانية بالحبس أربعة أشهر لانتهاكهما حرمة الآداب في حق فضيلة المفتى بواسطة إشهار رسمه وتصويره واقفاً مع امرأة لباس الرقص بحالة شائنة، ثم القذف في حقهما أسندا إليه الكفر وتحليل المحرمات، وغير ذلك من الأمور الموجبة احتقاره عند أهل وطنه.

. وفي ٢٥ فبراير قرأت في بعض الصحف العربية أن المفتى قابل بطرس غالى باشا وقال له: «يظهر أن الجناح العالى اتفق مع الانجليز على إبعادى من منصبى، فإذا كان هذا الخبر صحيحاً فانى مستعد لتقديم استقالتي».

ولما سألت بطرس باشا عن هذا الخبر أجابنى: «إنى سمعت من الخديو أن المحتلين عرفوا خبث المفتى وأنهم غير راضين عنه — وإن كان سموه لم يسمع ذلك من كرومر نفسه — ولكنه كان يعلم أن اللورد قال مرة بأنه مهما قيل عن هذا الرجل فانه لا يمكن تعويضه في كفاءته، ولذلك فانى أستبعد جداً موافقتهم على فصله».

وكانت لدسائس الأزهر ذيول أخرى؛ فقد قام الشيخ محمد الرفاعى والشيخ محمد راشد وآخرون بتقديم مذكرة ضد الشيخ الكبير والمفتى ولكنها حفظت لرضاء الخديو عن الأول وعجزه عن تنفيذ ما يريد ضد الثانى (*).

محاولة أخرى للسيد البكرى. وقد كان من الآراء التى عرضها السيد البكرى على سمو الخديو في هذه الأثناء العمل على استمالة المستر بويل، السكرتير الشرقى للورد كرومر، وأصحاب جريدة المقطم للمعاونة في هذا النضال.

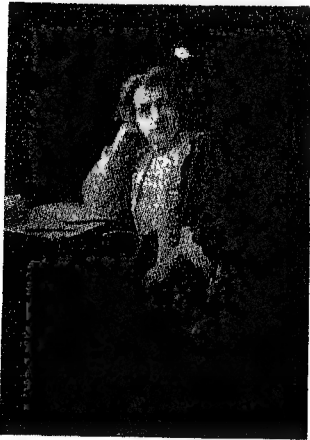
أما الأول فقد قال عنه السيد: «إنه مستشار اللورد المطاع، وإن استمالته سهلة بواسطة بيرم بك». ولكنى شرحت للخديو ما تتطلب عليه هذه المحاولة من الخطر إذا علم بها اللورد، وأنه من المرجح أن يرفض بويل نفسه هذا العرض.

ومع ذلك فقد جاءنى السيد يوماً وقال إنه يريد إبلاغ كرومر بواسطة بويل أن مصلحته الاتفاق مع الخديو، الذى تقف الأمة من ورائه تؤيده، ثم تحدث فى

مسائل أخرى ، فلم أستحسن شيئاً من ذلك فأنصرف وأرسل لي كتاباً يقول فيه
 « حيث إنكم لم تستحسنوا ما عرضته عليكم فلا داعي لفرصته على الخديو ، ولكن على
 كل حال أرجو أن تعرفوا أن أهم سلاح لنا هو أن الأمة كانت ناثرة على الحكومة
 في مسألة صندوق التوفير ، وأن الخديو هو الذي أسكنها وهدأها ، وأنه إذا رفع يده
 عن إسكانها عادت إلى ما كانت عليه ، وكانت المتاعب على الحكومة وأنصارها ، وهذا
 أمر سيعلم لهم أى الانجليز من جملة طرق . »

وقد تكلم معي أيضاً في أنه يستطيع ضم أصحاب المقطم للخديو ، فقلت له أن
 يصنع ما يريد ، فحدثهم في ذلك ، فأجابوه بأنهم يلقون من الخديو إغراضاً على الرغم من
 الخدم التي قاموا بها لسموه . فقال لهم السيد إن سموه لم يغض الطرف عنهم ، وإنه يقدر
 خدماتهم وينوى إظهار ذلك التقدير بالانعام برتبة على صديقهم أخنوخ فانوس افندي ،
 فشكروا لسموه ووعدوا بالمساعدة .

ولم يمض يوم واحد على ذلك حتى طالعت في المقطم مقالا فيه طعن على الخديو
 والحاشية ، فلفتت نظر السيد إلى ذلك ، وأن الاتفاق لم يمض عليه أكثر من يوم .
 ولكنه اعتذر بأن المقال كان معداً من قبل الاتفاق ، وأنه لن يحدث شيء من ذلك
 في المستقبل .



مدام جوليت آدم

مدام جوليت آدم والانجليز

وقد حدث احتكاك جديد بين الخديو
 والمحتلين بسبب قدوم مدام جوليت
 آدم الكاتبة الفرنسية الشهيرة إلى مصر؛
 وكانت قد تقابلت مع سموه في العام
 السابق بباريس ، وعرفها قبل ذلك
 بأعوام على يد مصطفى كامل ، فدعاها
 لزيارة مصر على نفقته الخاصة لتقضي
 بها فصل الشتاء . ولما كانت معروفة
 بمحصولتها للانجليز ، فقد تقرر أن يتولى
 دعوتها مصطفى كامل باشا فقدمت
 وأقامت أياماً في القاهرة شهدت خلالها

عدة مآذب أقامها مصطفى كامل باشا وحسين واصف باشا والبرنس حيدر بك وغيرهم وحضرت أنا بعضها ، ثم سافرت إلى الصعيد مع مصطفى كامل باشا والبرنس حيدر بك وهناك خلال رحلتها دعاها كثير من الوجهاء إلى مآذب أخرى ، ولما عادت آذب لها سموه مأدبة في سراى القبة ، ثم عادت بعد ذلك إلى فرنسا شاكرة مسرورة .

وبعد قليل ظهرت مجلتها الشهرية « نوفيل ريفو » ، وفيها فصل طويل عن مصر تنتقد فيه سياسة فرنسا التي أدت إلى احتلال الانجليز لمصر ، وتقول في ختامه : « إن كل الاصلاحات التي تمت بمصر وضع أساسها الفرنسيون ، ثم ادعاها الانجليز لأنفسهم » ولقد ثار اللورد كرومر لنشر هذا المقال وكتب إلى وزارة الخارجية الانجليزية ، فأرسل وزيرها يطلب في لطف بيانات عن زيارة مدام آدام واحتفال الخديو بها مع العلم بأنها تخاصم انجلترا . وحضر اللورد إلى السراى وتحادث مع سموه وأطلعته على رسالة وزير الخارجية ، فأجابته بأنه يعرف مدام آدام منذ سنوات ، وكانت قد دعتة لمأدبة أثناء زيارته لفرنسا فرأى من باب المجاملة — وقد حضرت لمصر — أن يرد لها الدعوة وإن الدعوة كانت خالية من كل معنى سياسى .

وطلب سموه من كرومر أن يكتب الرد بطريقة يقنع بها وزير الخارجية . فسر اللورد بهذا الطلب لما يشف عنه من تقرب الخديو من الانجليز والعمل على رضائهم . وقد قال لى الخديو إنه ورد في رسالة وزير الخارجية جملة مفادها أن الجناب العالى لا ينسى مركز انجلترا في مصر ، وهو سيكون عما قريب أقوى مما هو الآن ، وأن سموه يبدى شعوراً طيباً نحو انجلترا ، ولكنه يجب كذلك أن يعلم العالم أن هذا الشعور حقيقى لا ظاهرى .

الانقراض الودى بين فرنسا وانجلترا . في ٨ أبريل من هذا العام وقع حادث سياسى خطير له علاقة وثيقة بمستقبل مصر ، وذلك هو عقد الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا .

وكانت السياسة الفرنسية ترى إلى مناوأة السياسة الانجليزية في مصر بعد أن فازت انجلترا دونها باحتلال وادى النيل ؛ ولكن فرنسا لقيت في ذلك الحين مصاعب جمة في مراکش ، وخشيت أن يؤدى فشل إدارتها إلى تدخل الدول ولا سيما انجلترا وأسبانيا في مصالح مراکش ؛ ولكن أسبانيا كانت مشغولة بمتاعبها في المنطقة الأسبانية (الريف) ، وكانت انجلترا هي التي يخشى منها ، ولهذا كان من الواجب أن تحصل

فرنسا على حياد إنجلترا، وكان الثمن الطبيعي لذلك هو أن تحصل إنجلترا على حياد فرنسا في شئون مصر. وبدأت المفاوضات بين الدولتين على هذا الأساس منذ سنة ١٩٠٣، وانتهت بعقد الاتفاق الودى بينهما، ووقعه اللورد لانسدون وزير خارجية إنجلترا ومسيو كامبون سفير فرنسا في لندرة.

وتنص مواد هذا الاتفاق الخاصة بمصر على حرية الحكومة المصرية في المسائل المالية، وعلى موافقة إنجلترا على اتفاقية قنال السويس التي عقدت عام ١٨٨٨ خاصة بحيدة القنال. وقد اتدب السير الدون جورسبت. نظراً للمسامه بالأحوال المصرية عامة والمالية خاصة، لوضع ما يخص بمصر في هذا الاتفاق. وهذا هو أهم نص فيه :

«تعترف الحكومة الانجليزية أنها لا ترغب في تغيير نظام مصر السياسي وتعترف الحكومة الفرنسية من جانبها أنها لا تعرقل أعمال إنجلترا في مصر بسؤالها أن تتحدد بوعود الجلاء عن مصر أو بأية طريقة أخرى، وبعبارة أخرى اعترفت فرنسا بالاحتلال الانجليزي لمصر وتركت لإنجلترا حرية أكثر مما كان لها قبلاً في الشؤون المصرية. وقد وافقت ألمانيا والنمسا وإيطاليا على هذا الاتفاق.

وفي ٢٨ نوفمبر صدر ديكريتيو يؤيد هذا الاتفاق.

وكان من نتيجته فضلاً عن فشل فرنسا في مسألة فاشودة أن تحقق المصريون أنه لا يمكن الاعتماد على فرنسا في أي أمر يتعلق بالمسألة المصرية.

وكان عند الشاب المصرى المملوء وطنية والذي كان يسير وراء الخديو المتحمس لبلاده أمل في مساعدة فرنسا لمصر ضد الاحتلال ولكن عندما وقعت مسألة فاشودة قل هذا الأمل وتوجس من فرنسا حتى إذا ما كان إتمام هذا الاتفاق أقفنا كلنا من سباتنا وعلمنا أن لمصر أن تعتمد على نفسها فقط دون مساعدة أى دولة أخرى لأن كل دولة تضحي بكل مصلحة لأى بلد آخر، ولو كانت على حق، مقابل مصالحها الخاصة.

فضائح فوضى الرتب. لم تكند تنتهى مسألة مدام آدم حتى عادت مسألة الرتب تثير في الجو سحباً كثيفة.

ولقد تحدثت عن فوضى الرتب فيما تقدم، وذكرت ما كنت أخشاه من تحرك الإنجليز لمحاصرة الخديو في شأنها. وقد حدث ما توقعت هذا العام؛ ذلك أن الخديو

ظل يدون في مذكرته أسماء المرغوب في الانعام عليهم ، حتى انتهى شهر مارس ، فأخرج مذكرته وأخذ يملئ على عزت بك بعض أسماء من بينها نديم افندى الذى كان موظفاً في ديوان الأشغال وفصل بسبب الاختلاس ، وطلب له الرتبة عبد القادر حلى باشا ، مع أن القرار الذى يقضى بفصله أصدره مجلس النظار وبرئاسة الجنساب الحديوى . فلم يفتن الديوان الحديوى إلى ذلك فنشر اسمه في الوقائع الرسمية فثار السير جارستن وكيل الأشغال وأبلغ الأمر لكرور الذى كلف بطرس غالى باشا بإلغاء الرتبة ؛ وكان الحديوى عندئذ يثق به كثيراً ويشاوره في كل أمر هام ، وبعد البحث تقرر أن تُلغى الرتبة بطريقة خفية ، وذلك بأن يعلن أنه حدث خطأ في الأسماء ، ويعاد نشرها مع حذف اسم نديم ، وقد تم ذلك !

وما كاد يسدل الستار على هذه الفضيحة حتى تلتها أخرى من نوعها تماماً ، تلك أنه أنعم على أشخاص من بينهم ابراهيم افندى لمضى الذى كان موظفاً في « الضربخانه » دار السك ، وفصله وكيل المالية لتدخاله في مسألة المطبعة العثمانية ، فقصد الوكيل إلى كرومر شاكيا ، فطلب اللورد سجل هذا الموظف ، وطلب من دومرتينو باشا أن يتفاهم مع الحديوى فبعث إلى المنتزه بالأمر فأرسل الحديوى برقية بالانتظار مساء ، وبأن يكون بطرس باشا في القبة ؛ ولما اجتمعنا تباحثنا في الأمر ، وتقرر إلغاء بعض الرتب ؛ وعلت أثناء الحديث أن الانجليز يستغربون أن يكون هذا خطأ فقط ، ويشيرون إلى أن في إمكانهم أن يقدموا تقريراً عن الأموال التي دفعها العمدة وغيرهم لنيل هذه الرتب على يد الوستاء ، ولحقوا إلى سحب امتياز إعطاء الرتب إذا تكررت هذه الأخطاء .

وكان من جراء ذلك أن أخذت الصحف المعادية كالمقطع والبروجريه تنشر فصولاً شديدة اللهجة ؛ وكانت فضيحة أكبر من الأولى .

في العائلة الحديوية . منذ ثلاثة أعوام حدث بين البرنس جميل طوسوت وقريته البرنيس نعمة الله هانم افندى شقاق أدى إلى الطلاق فعادت البرنيس من الاستانة إلى مصر ؛ وقدم البرنس في هذا العام إليها بعد أن عرف من وكيله بها أن البرنيس تميل للرجوع إليه ، ولا سيما بعد أن أخذ ابنه منها بمجرد بلوغه السابعة فبرح بها الألم لفراق نجلها .

وكان البرنس يعتقد أنه بمجرد حضوره إلى مصر مع الصبي ورؤية والدته له ،

فأمرنا بالتوجه للقاهرة ومقابلة البرنس والمفاوضة معه في هذه المسألة وأن نطلب إليه الموافقة على الشروط الآتية :

وكان الخديو وقت قدوم البرنس في المنزه ، فأرسلت دولة الوالدة تخبره بحضوره والتماسه ؛ وعندئذ استدعاني جنبه حيث وجدت معه عزت باشا وألماس الباشا أغا ، فأمرنا بالتوجه للقاهرة ومقابلة البرنس والمفاوضة معه في هذه المسألة وأن نطلب إليه الموافقة على الشروط الآتية :

- (١) أن تكون العصمة بيد البرنيس .
 - (٢) أن تكون دائرتها منفصلة عن دائرته .
 - (٣) ألا تقيم معه في أوروبا .
 - (٤) أن ينشر في الجرائد خبر رجوعه إليها ، نحو ما كان قد كتبه قدما فيها .
- ولما عرضنا على البرنس هذه الشروط ، قال إنه يرغب الرجوع إلى البرنيس بدون شرط ، فأفهمناه تعذر ذلك ؛ واقترحنا عليه أن ينتظر ريثما يحضر الخديو إلى القاهرة فيقابل به ويطلب منه الصفح . وكان قد طلب الزيارة في الاسكندرية فرفض الخديو لأن البرنس لم يزر سموه في فينا وقت أن كان بها في صيف العام الماضي ، وأخيراً أرسل البرنس إلى الخديو برفية يطلب فيها الصفح والموافقة على الزواج وتعهد بقبول الشرط الرابع وهو النشر في الصحف ، وأعد ثلاث برقيات لذلك وقد أردنا أن نعرف رأى البرنيس ، ففهمنا أنها مبالغة إلى العودة دون الشروط المذكورة ؛ ولكن الخديو رفض فقط عدل الشرط الأول بأن تكون العصمة في يد سموه ؛ فأبلغنا ذلك للبرنس ؛ وبعد قليل حضر وكيله وقال إنه سيقابل البرنيس شخصياً ، فذهبتا إليها ؛ وسألها عما إذا كانت حقيقة تريد أن تكون العصمة بيدها أو يد سمو الخديو ؛ فأجابته : « نعم أطلب أحد الأمرين » وعندئذ قال بلهجة جافة : « إن البرنس جميل برفض » .

وقد كان هذا الرد سبباً في استيائنا جميعاً ؛ وقالت البرنيس : « ولماذا إذا كان السؤال ؟ » ، وبذلك انقطعت المفاوضات .

سخط الخديو على حسن عاصم باشا . غضب الخديو على حسن عاصم باشا وذلك لاعتقاده أنه غير حريص على المصالح الخديوية ، وأنه بالعكس يعرفها ؛ وسبب ذلك أن بيت زرفوداكي في الاسكندرية ، اشترى من الحكومة حديقة وسراى الجيزة

وجزءاً من الأرض الزراعية التي أمامها على النيل ؛ ثم اتفق أن يستبدل أرض الوقف الواقعة بجوار الكوبرى الأعشى ، بتفتيش الخديو بمشتهر ؛ وكان سموه يرغب في هذه الصفقة من ناحيتين : الأولى بيع تفتيش مشتهر والثانية الاشتراك مع زرفودا كى في الأراضي التي تشتري من الوقف ؛ فطرح المسألة على مجلس الأوقاف الأعلى وكان حسن عاصم باشا عضواً فيه وبصفته رئيساً للديوان الخديوى ؛ وكان بيت زرفودا كى يقدر أرض الوقف بمبلغ مائة وثلاثين ألف جنيه وتفتيش مشتهر بمبلغ مائة وخمسين ألف جنيه ؛ ولكن حسن عاصم والشيخ المفتى طلبا العكس في تقدير ثمنى الوقف والتفتيش وقال المفتى : إن الأنفع للوقف في مثل هذا إنما يعرف بتقدير الثمن لا بالغلّة السنوية فلا بد من تعيين لجنة من أهل الخبرة برئاسة باشمهندس الأوقاف لتقدير ثمنها وثمن أرض مشتهر . وقرّر المجلس الأعلى أن يدفع زرفودا كى مبلغ ٢٠ ألف جنيه وزيادة حتى يكون ثمن التفتيش مائة وثلاثين ألف جنيه فقط فاغتاز الخديو لذلك ، وزاد في غضبه ما بلغه من دومرتينو باشا من أن كرومر قال إنه يحمّد الله على وجود أشخاص ذوى مقدرة ونزاهة في حاشية الخديو مثل حسن عاصم باشا ؛ ومن هذا اليوم أصبح الخديو والمتفلقون في الحاشية يتناولونه بالذم الشديد .

أما عذر حسن عاصم في ذلك فهو أن الخديو لم يخبره برغبته حتى يعمل لتحقيقها من جهة ؛ ومن جهة أخرى فإن المحتلين كانوا واقفين بالمرصاد لقرار المجلس ، ولو تم الأمر كعرض زرفودا كى ، فربما كانوا يطلبون نقضه . وهم يعتقدون في الوقت نفسه أن الخديو يستخدم نفه هذه المصالحه الخاصة ؛ أما الآن فقد عرفوا نزاهة سموه ونزاهة رجاله ؛ ولكن هذا العذر لم يقبل لدى الخديو .

ومن هذا الوقت أحال الخديو على كل الأعمال والمخابرات التي تحدث بينه وبين النظار وغيرهم .

وعما زاد العلاقات توتراً بين عباس وعاصم باشا أنه وردت برقية من الاستانة بالشفرة ، فأمر عاصم باشا بحلها ، وكان ذلك يوم الجمعة ، فبدلاً من أن يذهب بها إلى السراى اكتفى بإرسالها داخل ظرف للخديو ؛ فغضب سموه واستدعاني وهو محتد وقال : « كان عليه أن يرسلها مع أحد الموظفين حتى يتلقى الأوامر إذا كان هو لا يتنازل بالحضور بنفسه . » ثم أمرني أن أتسلم أعمال القلم التركي وأعرضها على سموه ؛ فصرت أتلقى الأوامر بهذا القلم وأنفذها ؛ وأذكر أن سموه قال لي ذات يوم : « سبحان الله

كان حسن باشا عاصم يريد أخذ الأشغال من يدك ، ولكنك قد أخذتها أنت منه ، ولم يبق عنده شيء يذكر . ، وقد علمت أنه ذكر مثل ذلك لآخرين من رجال المعية .

ومع هذا فقد لبثت علاقاتي الودية مع عاصم باشا ؛ ولم أتجنب مقابله أو الجلوس معه كما فعل كثيرون غيري ؛ وقد سلك أحمد خيرى باشا مسلكي معه .

يوسف طلعت باشا والده . رفع يوسف طلعت باشا شكاية من والده أحمد طلعت باشا رئيس الديوان الخديوى في عهد اسماعيل لأنه يريد حرمانه من الميراث في أمواله ، بالاتحاد مع شقيقه أحمد طلعت بك ووكيل الدائرة مختار بك ؛ وذلك بوقف أملاكه غير الموقوفة ، وإخراجه منها وإقامة أحمد طلعت بك ناظراً عليها ومن بعده شقيقه له ومن بعدها أولادها من عبد اللطيف باشا ، فكان ثروة بيت طلعت تنتقل إلى بيت عبد اللطيف .



أحمد طلعت باشا



يوسف طلعت باشا

ولما علم يوسف باشا اتحاد مع شقيقته الكبرى وعزما على طلب الحجر على والدها حتى لا يتمكن من وقف أملاكه . ولما علم الخديو بذلك لم يسترح إلى فكرة الحجر لما فيها من المساس بكرامة هذه الأسرة الكبيرة .

وكلفني بالمخاطبة مع المحافظ لعمل ما يلزم لحفظ أموال طلعت باشا لابنائه مع

حفظ كرامته كذلك ؛ وأمر عزت بك أن يذهب للقاضي ويرجوه عدم الموافقة على الوقفية إلا بعد التحقق من وجود الباشا في صحة تؤهله لعملها ؛ وبذلنا مسمى لدى أحمد طلعت بك لاستبدال الوكيل ، وهو صاحب فكرة الوقفية . ولكن هذا المسمى لم يفلح ، وانتهى الأمر بادخال يوسف طلعت باشا بالوقفية بشروط .

سفر الخديو الى أوروبا ثم الاستانة وسفرى مع الحرم . سبق أن سافرت الوالدة إلى الاستانة ومعا عزت بك ، وقد انتظرنا الأخبار التي يرسلها ليتخذها الخديو أساساً لخطه سفره ، والقيام بالزيارة إذا كان الجو ملائماً لها .

وفي أوائل يونيو جاءنا منه أنه حادث الباشكاتب في شأن يالى جوقلى ، فأخبره بأن عقود الملكية تحت يده ، ولا ينقص إلا إذن السلطان بتسليمها ، وأن سبب تأخير صدور أمر السلطان هو تكدر خاطره من الخديو ، بسبب مسلك الصحف التي تصدر في مصر نحو جلالته ، ولما بلغه من أن الخديو يقدم في الإدارة التركية بالحرمين ، ويقول بأن هناك صعوبات في سبيل الحاجج ، وكذلك لأجل مسألة سكة حديد مريوط التي بنى الخديو مدها ويبيعها للإنجليز .

فلما وردت هذه الأخبار ، سألتى سموه عن رأيي في مسألة السفر فاستحسن عدم زيارة الاستانة هذا العام ؛ وعلمت منه أن دولة الحرم تريد قضاء الصيف بالاسكندرية فأجبت به بأن لا مانع من ذلك ، إذا وافق رأى سموه . وظننت بادىء الأمر أنه موافق على ذلك ، ثم تبين بعدها أنه مصمم على السفر . ولكن جاءت رسالة من عزت بك يقول فيها إنه يستصوب عدم السفر للاستانة ، وأن الصدر الأعظم أفهمه ذلك وهنا قال سموه : كيف أتأخر ، وقد علم النظار بالأمر وكذلك اللورد كرومر ؟ وفي تأخرى ما يفيد أن العلاقات بيني وبين السلطان ليست مرضية وهذا ما لا أريده بحال . ثم كلفني بالتفاهم مع بطرس غالى باشا في حل مناسب دون أن يعلم بذلك أحد غيره ، فقلت لسموه : إن الأفضل أن بطرس باشا نفسه لا يعرف فكر سموكم . وأيدى في فكرتى محمود بك صادق أحد موظفي السراى . وكان حاضراً ؛ فقال الخديو : إذا ماذا أصنع وأنتم لا تشيرون على بحل ؟ ، ففكرت قليلاً ثم عرضت على سموه أن يقول بأن أخبار الاستانة تفيد أن جلالة الخليفة دعا أمير البلغار للزيارة ، وقد يتفق وجوده مع وجود سمو الخديو ، ويؤثره السلطان بحفاوة أكثر ، وهذا ما لا يريده الجناب العالى ، ولذا عدل عن الزيارة . فاستحسن سموه هذا الحل وكلفني بأخبار رئيس النظار وبطرس باشا

فذهب إليهما، وسألني الرئيس عما إذا كنا قد أخبرنا بلدز بالعم على السفر قبل الآن، لأنه لو كان الأمر كذلك فلا يحسن التخلف، فأجبتني بالنفي، فوافق على الفكرة وكذلك بطرس باشا .

سفري مع الحرم : وقد تقرر بعد ذلك أن تسافر دولة الحرم إلى الاستانة، وأن أكون برفقتها . وفي يوم ١٨ يونيو نزلنا إلى المحروسة ؛ وبتنا بها وفي الصباح أقلمت بنا بعد تلقي التعليمات من الخديو ؛ وخلاصتها أن المحروسة حينما تدخل الاستانة تهدي السير أمام منولة بشجة ، ويؤدي البحارة التحية ، وإذا حضر أحد من السراى للاستقبال على زورق أو حضر زورق الوالدة ، فلا تقف المحروسة بل تستدر في السير حتى جبوقلى خوفا من أن يلدز ترسل أخيراً بعدم النزول في البالي والنزول في بيك ، وأمرت كذلك بأن أقابل الصدر الأعظم فريد باشا وأبلغه تحيات سموه وشكره على إحساسه نحوه .

هدية الخديو للسلطان : وأرسل الخديو معي جمجمتين للحيوان المسمى «جاموس البحر» في صندوقين ، ومنبراً مطعماً على الطراز العربي ، هدية من سموه للسلطان . وقال لي إنه عند سؤال تحسين بك عن السبب في تخلفه أجيبه بأن السبب هو الدسائس الأخيرة التي كثرت ضد سموه .

سفر الخديو لأوربا ، ووصولنا الاستانة : وأما سموه فقد سافر بعدنا بيوم واحد إلى ديفون لأخذ الحمامات .

وقد وصلنا إلى جناق قلعة يوم ٢٢ منه ؛ وفي صباح اليوم التالي وصلنا الاستانة ومنها إلى جبوقلى ، وحضر القزلر أغاسي والباشمصاحب فأبلغا دولة الحرم تحية الوصول من قبل السلطان . وبعد قليل خرجت دولتها ونزلت في الزورق رهبر مع الأنجال إلى بيك ، للسلام على الوالدة ثم عادت لجبوقلى .

وبعد الغداء توجهت مع عزت بك إلى بلدز لمقابلة تحسين بك فلم يتح لنا ذلك ، مع وجوده في غرفته ، فنزلنا إلى دائرة المسابين فوجدنا نوري باشا ، فرجوته أن يعرض على السلطان إخلاص الخديو ، ثم عدت إلى بيك وأبلغت الوالدة بتقبل الخديو ليديها .

الوالدة والحرم في التياترو الخصوصي : وفي ٢٥ يونيو دعا السلطان الوالدة والحرم ، فقابلتنا جلالتهم وأمر لها بدخول التياترو الخصوصي ، ولكنه لم يسألها عن الخديو إلا

عرضاً ، مما دل على تكدر خاطره بسبب الدسائس ؛ وقد كتبت الحزم بذلك خطاباً إلى عباس .

مقابلي لتحسين بك : وفي ٢٦ منه حررت مذكرة صغيرة ، بعثت بها إلى الباشا كاتب وقلت فيها : « إن حضوري للمقابلة كان لمهام رسمية لا لأحراجه بشيء . » وذلك لكي أبلغه أولاً — أني معين لمرافقة دولة الحزم . ثانياً — إبلاغ جلالة السلطان تحية الجساب العالي وإخلاصه . وثالثاً — للاتفاق معه على ما يجب لإجراؤه في تقديم هدية من الخديو للسلطان .

لجئاني الرد منه بطلب المقابلة ، فقابلته يوم ٢٧ منه فاعتذر بأنه كان مشغولاً ، ثم اتفق معي على إرسال الهدية في عربة إلى سراي يلدر ، ففعلت .

سفرى لفيينا : وفي ٨ يوليو ذهبت لمقابلة الخديو في فيينا ، فسافرت إليها ووصلت في العاشر منه ، فقابلته وحدته عن الحالة في الاسكندرية بما تقدم ، وكان سبب استدعائي هو السفر إلى مصر لمعرفة حالة العمل في سكة حديد مريوط والأدوات اللازمة خصوصاً الفلنكات التي كان يعتزم سموه شرائها من تركيا .

رجوعي للاسكندرية : فسافرت من فيينا إلى باريس ، ثم أبحرت من مرسيليا فوصلت إلى الاسكندرية يوم ١٩ بعد رحلة مكيدة فأبلغت تحية الخديو لغضري باشا نائب القائمقام ، ولطرس غالي باشا ومظلم باشا وعبان باشا ، وكانوا بالاسكندرية . وقد بقيت بمصر أباشراً بالأعمال في سكة حديد مريوط ، وشغلتنى عن كل أمر آخر ، فلم أقيد مذكراتي مدى شهر أغسطس ومنتصف سبتمبر .

رجوعي إلى فيينا : وفي ١٧ سبتمبر سافرت من الاسكندرية إلى تريستا ، فوصلتها يوم ٢١ منه وقضيت بها بضع ساعات مع صديق سوسييك بك أحد موظفي المالية السابقين ، وتحوّلت في المدينة . ثم ركبنا القطار إلى فيينا فوصلتها صباح ٢٢ سبتمبر ، وتقابلت مع الخديو في الفندق ، فسألني عن نتيجة الأعمال الجارية وعن مجرى الشئون في مصر ، ومن بيننا دعوة محمود فهمي باشا إلى الاحتفال يوم ٣١ أغسطس الماضي بعيد جلوس السلطان مع أنه ليس من المقيمين في الاسكندرية ، وعما إذا كان حسن عاصم هو الذي وجه إليه الدعوة لتدخله معه واتفاقه ، فأجبت سموه بأنني أنا الذي دعوتني على مسئوليتي ، وعندئذ قال لي سموه إذا كان الأمر كذلك فلا بأس .

وكان سمو الخديو قد كلفني أن أقابل خيرى باشا ، وأكله بشدة في شأن اتصاله بعاصم باشا ، كما بلغ الخديو ذلك ؛ وأن سموه مستاء لوجود رجال في معيته يصاحبون من يفضض سموه عليهم .

وقد كانت مأوريتى شاقة ، لأن خيرى باشا صديقى ، ولكننى تلطفت في إبلافة ملاحظات الخديو ، فطلب منى أن أجتهد لدى سموه في نفي ما علق بنفسه من جهته ، وأن أذكر لجنابه أنه ليس غيباً ، حتى يميل لحسن عاصم ، ويترك الخديو صاحب الأيادى البيضاء عليه .

وقد كنت بتبليغ ذلك للخديو ، ونصحت في تطيب خاطره من ناحية خيرى باشا . زيارة الخديو للغازى مختار باشا : وفي ٢٣ سبتمبر أرسل الغازى احد مختار باشا — وكان وقتئذ في فينا — بطاقة كتب عليها أنه طريح الفراش ، فهو يتأسف لعدم تمكنه من زيارة سموه .

وعندئذ أوفدنى الخديو إليه للسؤال عنه ، وقال لى : إنه إذا كان الغازى مريضاً حقيقة ، فاقب أتوجه لزيارته .

وقد ذهبت إلى الغازى ، فوجدته مريضاً طريح الفراش ؛ ولما أخبرت الخديو بمد رجوعى قام بزيارته ، وأنا بصحبته ؛ وقد تأثر لحالة الغازى وأظهر عطفه عليه ، فقبل دولته هذا العطف بالشكر .

وقد مكث معه نحو نصف ساعة ، وأخبره بأنه سيصحب معه إلى الاستانة بطرس خالى باشا ، وكان قد حضر إلى فينا صباح اليوم .

وكان الغرض من إخباره أن يبلغ المابين بذلك أن يكون معلوماً للسلطان أن بطرس باشا سيكون بمعية الخديو ؛ وكانت هذه هي أول مرة يصحبه فيها للاستانة .

سفر الخديو للاستانة : وكان سموه قد استعفى عزت بك من الاستانة إلى فينا في أثناء غيابه ، ثم كلفه عند عودته أن يراقب الحالة ، ويقيده عما إذا كان الجو مناسباً للزيارة . وبعد رجوعه بعث برسالة يقول فيها بأنه لا مانع من الزيارة ، وأنه تفاهم مع الصدر الأعظم والباشكاتب في ذلك .

وفي يوم ٢٥ سبتمبر ، ركب الخديو قطار العصر إلى بودابست ؛ وأرسل إلى

تفصل جنرال الدولة في بودابست برقيه يرجوه أن يبقى في القنصلية مساء ، حتى يقوم بالتأشير على جوازات السفر ، ثم أرسلت إليه الجوازات .

رسالة ودية من ملك الانجليز للخدو : وفي أثناء الطريق أخبرني الخديو أنه كان قد كتب رسالة لملك الانجليز ، فجاءه رد رقيق ، وفي ديباجته : « صديقي العزيز ، » وقال جنابه : « إن هذا شيء يدعو للآفة التي يعمل لها الانجليز . » وكان يلوح عليه السرور وهو يحدثني بذلك ، وقال : « إنهم حقيقة يدلون الجهد في اجتذاب إليهم . »

الوصول للاستانة : وصلنا إلى الاستانة يوم ٢٧ قبيل الظهر ، وكان على المحطة ابراهيم باشا التشريفاتي والفريق حسنى باشا ، من قبل السلطان ، وعزت بك وقومندان المحروسة وكاوتسكى بك وغيرهم ، فرحبوا بنا العربات إلى يلدز ، وكان بانتظارنا في « شاليه كسك » ، الحاج على باشا الباشا بينجى وسعيد باشا رئيس شورى الدولة ، وقد جلس أمام سموه على المائدة .

الخدو والمعية في حضرة السلطان : وبعد الغذاء طلب الخديو لمقابلة السلطان ، ومكث عنده ثلاثة أرباع الساعة ، وخرج مسروراً من حسن استقبال جلالاته لسموه وحفاوته به .

ثم طلب السلطان تقديم الحاشية ، فدخل ثانية وقدم بطرس باشا قائلاً إنه من عيد مولانا المخلصين ، فقال السلطان لبطرس باشا : « إننى سمعت بمدحك وتمن من زيارتك للاستانة . » ثم قدمنا أنا واحمد زكى باشا السر تشريفاتي وعزت بك ، فقبلنا الأعتاب .

وبعد ذلك خرجنا إلى بيك ، وقد أمرني الخديو أن أبقى فيه للبيت مع بطرس باشا ، وعاد هو والمعية إلى جبوقلى ، بعد أن شكر ابراهيم باشا ؛ وقال إن وجوده في استقباله دليل رضا السلطان .

حديث السلطان والخدو في هذه الزيارة : وقد علمت من الجناب العالى أن السلطان تحادث معه في مسألة مقدونيا ، وأن الثوار بها أخذوا يتحركون بتشجيع بلغاريا ، وأن هذه الدولة تستعد خفية للقتال ، فتشتري المدافع السريعة وغيرها ، ولكن الدولة واقفة على حركاتها وتدابيرها ، وتتخذ احتياطاتها لكل الطوارئ . وتشتري السلاح والذخيرة . وقال السلطان أيضاً إنه أوصى على جملة مراكب « طوربيدو » ، لأن المراكب الكبيرة لا تنفع في الحرب مثل الخفيفة السريعة ، كما تبين من الحروب الأخيرة .

وتكلم مع سموه أيضاً في مسألة موت السلطان مراد ، ودحض ما قيل من أنه توفي مسموماً ، وأنكر كل ما أذيع عن سوء معاملته له ، وبالاختصار تبرأ من كل ما نسب إليه في ذلك .

وفي صباح ٢٩ منه أرسل السلطان إبراهيم باشا للسؤال عن الخديو ؛ وحدث التزاور كالمعتاد بين سموه والسفراء .

الانعام على كريمي الخديو : وفي ٣٠ منه كانت دولة الحرم مدعوة للسرائى ، وقد ذهبت معها الأميرتان عطية الله هانم وفتحية هانم كريمتا الخديو بناء على رغبة السلطان ، فأنعم على كل منهما بنیشان شفقت من الدرجة الأولى ؛ ولم يرض الخديو أن يرسل ولي العهد ، لأنه لا يرغب أن يمنح شيئاً وهو صغير لثلاثتهم أنه أصبح عظيماً ، فيأخذه الفرور .

مأدبة عشاء في يلدز : وفي أول أكتوبر دعى الخديو إلى مأدبة عشاء في يلدز ومعه بطرس غالى باشا واحمد زكى باشا وعزت بك وأنا ، فتوجهننا بالكساوى والتشريفية والنياشين إلى كشك شالية ؛ فدخل الخديو لدى الخليفة ؛ ووقف كل منا أمام كرسيه حتى حضر السلطان والخديو ، جلس عن يمين جلالته والصدر عن يساره ، ودعى رئيس شورى الدولة ومستشار الصدارة والحاج على باشا وعزت باشا ونورى باشا وتحسين بك وفاق باشا الميراخور وقائمقام بحرى أمريكى الجنس ورجال التشريفات ؛ وكانت الموسيقى تعرف أثناء الطعام وبعده .

وقد لاحظت في هذه المأدبة أن خطأ المائدة والمناشف والفوط لم تكن مكوية ، وبها بعض القذر ، وأن بعض الشوك والملاعق اعتراها شيء من الصدأ ؛ وكان الطعام عادياً غير معتنى بأعداده ؛ وعند الخروج قال السلطان للخديو إنه سيدعوه إلى التيازو غداً . وفي ٧ منه سيعمل له استعراض للجيش التركى ؛ ولما كان سموه ينوى السفر يوم ٥ منه فقد تكدر لذلك واحمر وجهه .

بين بطرس باشا وناظر خارجية الدولة : وتحدث بطرس باشا مع الصدر فريد باشا وناظر الخارجية ، وفي أثناء حديثه مع الأخير ، سأله بطرس باشا عما إذا كان قد زار مصر فقال الناظر : ه إنى أمضيت عمرى في السفارات الأوربية ولم أعرف آسيا . ، كأنه يحسب أن مصر في آسيا !

مأدبة ثانية في بلدر ومشاهدة التياترو : وفي ٣ أكتوبر دعينا لمأدبة في السراى وبعدما دعينا للتياترو ؛ ثم خرج الخديو لجلس مع الصدر ؛ وحادثه الصدر في أنه عمل كل مايجب لتصفية العلاقات بين جلالة الخليفة وبين سموه ؛ فشكره على حسن مسعاه . ثم حضر ابراهيم باشا وسأل الخديو عما يريد أن ينعم به السلطان على رجال معيته ، لأن ذلك من حق جنابه ؛ فطلب المجيدى المرصع لمصطفى فهمى باشا وبطرس غالى باشا ، والجران كوردون مجيدى لأحمد زكى باشا ولعزت بك ولى ؛ وطلب ثمانين مدالية فضية وعشر مداليات ذهبية لبشارة المحروسة .

فذهب الصدر للخليفة ، ثم عاد فأعلن موافقة جلالته على هذا الطلب ، وصدور أمره بهذه الانعامات .

وشاية ضد الباشكاتب : وفي صباح اليوم التالى توجهت بناء على طلب الباشكاتب فقال لى : ، إن السلطان متكدر جداً لما بلغه من أحد الواشين أنى لم أقابلكم بمقابلة حسنة وأنى رفضت رؤيتكم ؛ فأرسلت لك اليوم لأعاتبك على ذلك . ، فأكدت له أنه لم تصدر منى أية شكوى في حقه ، وطلبت منه عرض ذلك على السلطان . وبالفعل توجه ، وبعد ساعتين عاد فقال لى : ، إن الخليفة لم يصدقنى فأرجوك أن تكتب معلوماتك في هذا الموضوع . وقد فهمت من حديثه أن الذى ألقى هذه الوشاية هو حسنى باشا مهنددار الخديو ، وكنت أعلم أن الخديو ميال إلى تغييره فقلت لتحسين بك : ، ولماذا لم تعينوا بدله في مهمته . ، فقال : ، لأنه تعرف بالخديو وربما لا يود سموه تغييره . ، فأجبت : ، ما دام قد تحقق لكم كذبه فلا داعى لوجوده حتى تقطع الدسائس . ،

وكتبت مذكرة قصيرة تلتخص في : ، أنى لما حضرت للاستانة في معية الحرم الخديوى لم أحضر عند الباشكاتب إلا مرتين : الأولى ، كان دولته فيها مشغولا فلم أتمكن من لقائه . وفي الثانية قابلى بلطف وإنى أعترف بأنى لم أجد من دولته إلا كل معاملة حسنة . ،

وقد ترجم هذه المذكرة بالتركية وأبدى لى سروره وارتياحه ، وتوجه للعرض على السلطان وبعث لى بأن لا داعى للانتظار .

ثم أخذت النياشين والمداليات وذهبت بعد أن أعطيت — كالأمر — الخدم الذين حملوها مكافأة ، وعدت إلى الخديو لحدثته بما جرى فاستغرب هو وبطرس باشا من أن الباشكاتب مع مكانته السامية في المابين يحتاج لمثل هذه الشهادة لدى الخليفة .

مأدبة الوداع وهدية السلطان للخديو : وفي اليوم الخامس من أكتوبر ذهبنا إلى بلدز للوداع وحضرنا مأدبة للغداء ، وقد أهدى السلطان للخديو أزرارا للقمص من البرلنت وأهدى إلى بطرس باشا علبة سجائر من الذهب نقش عليها بالبرلنت الحرفان « ح . ج » ، بشكل زخرفي رمزاً لاسم عبد الحميد ، ظهر بالدعاء لجلالته . وتحدث الخديو مع السلطان في مسألة دير الأقباط بالقدس وهي مسألة تهتم بطرس باشا ، ولما خرج أخبره بذلك ، وبأن الخليفة وعده بأنه سيكون دائماً مع الأقباط فشكلته لجلالته ذلك العطف . العودة إلى مصر : وبعد ذلك رجعنا إلى جبوقلى ثم ركبنا المحروسة عائدين إلى مصر فوصلنا الاسكندرية في صباح ٨ أكتوبر .

وقد كان في الاستقبال ثغرى باشا وعباني باشا وإبراهيم فؤاد باشا والمحافظ محمود صدق باشا .

هزومات الخديو مع الإنجليز . أسرعت المحروسة في السير بين رودس والاسكندرية بناء على نصيح بطرس باشا للخديو ، وذلك بقصد الوصول إلى مصر قبل مصطفى فهمى باشا - وكان عندئذ في طريق العودة من أوروبا إلى مصر - حتى يستطيع بطرس باشا أن يقابل اللورد كرومر قبل رئيس النظار ، لأنه كما قال بالنص يريد أن يوضعه حسب المرغوب . ، ولما حضره مصطفى فهمى باشا يوم ١٠ أكتوبر قابل الخديو فأبلغه بإنعام السلطان عليه بالمجدى المريع ، ثم أخبره بأنه ، أى سموه ، غاضب على مصطفى كامل باشا لظلمته الجارح على الحكومة ، وزاد بأنه لا يزال يذكر الحفاوة التي لقيها في لندره ، وأنه سيذورها كل عام . فخرج وهو مسرور بمحدث الخديو .

وكان ذلك كله بقصد أن يبلغ رئيس النظار هذا الكلام إلى اللورد عندما يقابله ؛ وفي ١١ أكتوبر عاد بطرس باشا من القاهرة وقص علينا نبأ مقابلته للورد ، وأنه حكى له ما حدث في الاستانة أثناء زيارة الخديو ، والاستقبال الفخم الذي لقيه والانعام عليه هو ورئيس النظار وهدية السلطان له قال : « وكنت أتوقع أن يغضب اللورد لذلك . ولكنى على العكس وجدت منه ارتياحاً للحديث . » ثم قال : « إن مصطفى فهمى باشا أبلغ اللورد حديث الخديو فسر منه . وبالأخص لما علم من سخطة على مصطفى كامل ؛ ولكن قال له اللورد إنه علم أن الخديو لا يعود للقاهرة إلا في منتصف نوفمبر ، وربما أول الناس ذلك بأن سموه لا يرغب حضور استعراض الجيش الإنجليزي يوم ٩ نوفمبر لمناسبة عيد ميلاد الملك . » وبعد المباحثة في هذا الموضوع تقرر أن يرجع الخديو قبل الاستعراض ،

وأن يظل من شرقه عابدين كما كان يفعل والده .

بين الحديبو وكرومر : وفي ١٢ منه جاءت برقية من اللورد كرومر يطلب موعداً للقبالة ، فعرضت على سموه أن يدعو له الغداء يوم حضوره فوافق ، وبذلك كتب له زكى باشا برقية بأنه يظهر في الحضور يوم ١٥ أكتوبر أو يوم ١٧ منه ، وأنه مدعو للغداء مع الجناب العالي لجاه منه الرد بالفكر والقبول وأنه سيحضر يوم ١٧ منه على أن يعود في نفس اليوم .

وفي اليوم المذكور حضر اللورد وكنت في الانتظار مع زكى باشا في محطة سيدى جابر ، وحضر مستر جولد فنصل المجلتا بالاسكندرية ؛ وقد ركب اللورد معنا في القطار الحديبو الخاص بعد أن قدمنى زكى باشا له ولبشنا نتحدث حتى وصلنا المنزه ، وكان الحديبو بالسلامك عند وصولنا فصالح اللورد باشاً . وبعد الاستراحة تناولنا طعام الغداء ثم اختلنا مدة ساعة ؛ وعلينا أن الحديث دار فيها حول زيارة الحديبو للاستانة والحفاوة التى لقيها ؛ وبعد ذلك ركبنا حربة وطافا ببعض جهات المنزه وبعض أراضى التفطيش ؛ وقد سر اللورد من هذه الرياضة ، وقال : « الآن علمت لماذا يحب الحديبو الإقامة في الاسكندرية » .

وأخيراً استأذن شاكرآ وودعه في المحطة دومرتينر باشا .

مسألة استعراض الجيش الانجليزى : وفي ٢ نوفمبر تقابلت مع بطرس باشا لحادثى في مسألة حضور الحديبو للاستعراض وأخبرنى بأن اللورد اتفق مع قومندان الجيش الانجليزى على أن يحضر سموه في ساحة عابدين يوم ٩ نوفمبر عيد الملك ، ويستعرض الجيش أمامه ثم ينزل من عربته ويقف بجوار العلم الانجليزى ؛ وعندما تنتهى الحلقة الرسمية يركب الحديبو جواده ويمر على الجنود فتحية بالسلام الحديبوى . ثم يعود إلى جوار اللورد كرومر تحت العلم وتستعرض الجنود أمامه مرة أخرى وأخيراً تتقدم الجنود صفاً واحداً وتعرف السلام الملكى ثم السلام الحديبوى .

وقد سألته : « ولكن الحديبو يشاء على ذلك سيفتح تحت العلم الانجليزى وهو مالا تخفى دلالاته » ، فزكتفيه وسكت .

ولما أخبرت الحديبو بهذا الترتيب فكر برهة ثم قال بدون ارتياح : « طيب النزول من السراى والوقوف بجانب العلم أخف من دفع العلم على عابدين » . فقلت لسموه : « إن بطرس باشا لما يعلمه من عدم استحسان سموكم الوقوف في الشرفة لانه

لامعنى له رأى أن الترتيب الأخير أفضل وربما أنه هو الذى أوعز به . ، فقال : ، ولكنى عندما أقابله سأقول له إنه هو الذى خسر المسألة !

ولكن جنابه عاد فى ٣ نوفمبر فقال لى إنه بعد التروى رأى أن عمله سيكون موضع انتقاد من الشعب إذ سيقول عنه إنه صار انجليزياً ، ولا سيما بعد سوء التفاهم بينه وبين مصطفى كامل باشا ، وطلب منى أن أطلب بطرس باشا لمقابله عند حضوره للاسكندرية .

وفى ٦ منه حضر بطرس باشا ، فقابلته على المحطة ، وفى الطريق حدثته عن أفكار الخديو ، فقال إنه لم يكن ينتظر أن يهتم الانجليز إلى هذا الحد بمسألة وجود الخديو فى الاستعراض ، لأن اللورد أخبره أنه استأذن جلالة الملك فى أن يأخذ الضباط السلام للجناب الخديو فأذن ؟ ثم قال : ، ومع ذلك فإذا أراد سموه الوقوف فى الشرفة فقط فلا مانع ؟ ولكن كرومر لا يستحسن ذلك بعد ما تقرر . ، ثم فكر برهة وقال : ، وهذا هو الذى كان يريد مصطفى فهمى باشا منذ أعوام فلم يحصل عليه ؟ وما دامت المسألة قد وصلت إلى هذا الحد فلنعمل ذلك اليوم مختارين قبل أن نعمله غداً مرغحين ؟ وإذا أراد الخديو فى المستقبل أن يغير خطته فلا مانع عند اللزوم . ،

واختل بطرس باشا بالخديو نحو ساعة وبعد خروجه سألته عما تم فقال لى :
« لقد استحسن الخديو كل شئ . »

وعدا إلى القاهرة يوم ٨ منه وفى يوم ٩ حصل الاستعراض فى الساعة التاسعة والنصف صباحاً فى ميدان عابدين على التفصيل المتقدم .

وكان هذا أول حادث من نوعه فى عهد الخديو عباس حلى .

تدخل الانجليز فى مسألة أمير الحج : وكان سموه قد كلفنى بمقابلة بطرس فالى باشا ليتحدث مع كرومر فى أن جنابه يرغب فى تعيين محمود حسنى بك — وهو بالمعاش — أميراً للحج هذا العام ، وأنه تكلم مع السردار فى ذلك فوافق . ولما قابلت بطرس باشا علمت منه أن اللورد يرغب أن يكون أمير الحج عارفاً باللغة التركية ليستطيع التفاهم مع السلطات فى الحجاز اتفاقاً للشاكل ، وطلب منى أن أقابل محمود بك حسنى لأعلم ما إذا كان يعرف التركية ، وعما إذا كان أصله تركياً فقابلته وعلت منه أن معرفته بها قليلة وأن أصله من الأكراد .

فأخبرت بطرس باشا بذلك فسألني عما إذا كنت أعرف رجلا مستكملا هذه الشروط فذكرت اسم محمود فهمي باشا فوافق عليه وأردفه باسم محمود شكرى باشا ، وبعد ذلك عرضت على الخديو ما حصل فوافق على أن يكون محمود فهمي باشا مع محمود حسنى بك وقد ذهبت لأخبار الباشا بذلك فقبل شاكرآ ، وتم تعيينهما الأول أميناً للصرة والثاني أميراً للحج .

تركيا والحدود الغربية . وبعد ذلك أرسلنى الخديو إلى بطرس باشا لآخبره أنه بينما كان سموه فى سيدى عبد الرحمن القريبة من مرسى مطروح ، حضر عنده المأمور وأخبره أن الأتراك بنوا فى السلوم التابعة لمصر مخزنين للذون بحجة أنه يصعب عليهم أن يصعدوا بها على الجبل المشرف على الميناء حيث تقع النقطة التركية ، وأن مأمور العشور التركى نزل فى الأراضى المصرية على بعد يوم ونصف من هذا الجبل الذى يعتبر حداً فاصلاً بين مصر وطرابلس وجبى العشور من العربان مع أنهم فى أرض مصرية . وأمرنى سموه أن أعطى مذكرة بذلك لبطرس باشا ليخبر اللورد كرومر فيها . وأن رأى سموه أن ترسل مراكب تابعة لخفر السواحل لاحتلال بناء السلوم ، وأن ينبه على سفن خفر السواحل بزيادة المرور على الميناء المذكورة ، وأن تقام نقطة مصرية على مسافة يومين من مرسى مطروح تتألف من ملازم ثان وستة عساكر قبل أن يضع الأتراك يدهم على هذه الأراضى ، لأنهم يعتبرون أن الحدود هى فى أم الرخم التى لا تبعد عن مرسى مطروح بأكثر من ثلاث ساعات بالهجين ، فمن اللازم الإسراع بعمل الاحتياطات لحفظ حقوق مصر ، ولو أخذت الدولة السلوم لحسرت مصر ميناء حرية هامة ، هذا فضلاً عن أنها أقرب طريق إلى واحة سيوه .

واقترح سموه إرسال هنتر باشا مدير عموم خفر السواحل والقائمقام دومريكو لعمل مشروع للحدود ، يرسل لسكرومر بعد الاتفاق عليه . وقد تقابل بطرس باشا مع اللورد وحدته فى ذلك فشكر الجنساب الخديوى ، ووافق على ذلك .

ثم أبلغنى بطرس باشا أن الحكومة المصرية احتجت لدى تركيا على هذا الاعتداء ، وأن كرومر أوعز إلى سفير إنجلترا فى الاستانة بالاحتجاج لأن الضابط العثمانى قال للندوبين المصريين إنه حصل ذلك بناء على أوامر الدولة غير أن مصر احتلت أرضها .

قطع العلاقات بين مصطفى كامل وعباسي . كانت أسباب الخلاف تشتت

بين الخديو ومصطفى كامل شيئاً فشيئاً (١) . ولما ثارت قضية زواج صاحب المؤيد ، وعمل الخديو لتأييده من وراء الستار ، زاد نفور مصطفى كامل من خطة الخديو . فلما سافر سموه إلى ديفون هذا العام زاره هنالك مصطفى كامل ، وصارحه برأيه في مضار هذه الخطة ، وبين له أن الرأي العام لا يعطف على الشيخ ، ثم حدثه في أمور أخرى من هذا القبيل وكان حديثه للخديو بلهجة شديدة ، فغضب الخديو وغضب مصطفى كامل أيضاً . فلما عاد الثاني إلى مصر ، اعتزم قطع العلاقات بينه وبين الخديو فأرسل إلى الخطاب التالي لتسليمه للخديو (٢)

د مولاي . تشرفت في ديفون بالمثل بين يدى سموكم يوم ٢٧ أغسطس الماضى ورفعت إلى مقامكم السامى أن الحالة السياسية الحاضرة تقضى على بأن أكون بعيداً عن نفامتكم وأن أتحمل وحدى مسؤولية الخطة التى اتبعتها نحو الاحتلال والمحتلين منعاً لتكدير خاطرهم الشريف ودفعاً لما عساه يقع من الخلاف والزراع وقد رأيت يامولاي بعد التفكير أنه صار من المحتم على القيام بهذا الواجب وأنه أول عمل يلزمى تأديته عقب عودتى إلى الوطن العزيز لأن الانجليز أظهروا في خلال السنوات الأخيرة من التضييق على جنابكم العالى ما يجعل وجود رجل ينتقد سياساتهم في الصباح والمساء بجانب سموكم داعياً لاعتدائهم على حقوق ذاتكم السنوية وحجة لتداخل جديد غير محمود .

ولإني ، بعد أن رأيت احتجاجهم على جنابكم الرفيع بمناسبة المقابلة التى تفضلت جلالة ملكة البرتغال بمنحى إياها ، ومعارضتهم للعنفية لفخامتكم بسبب الاستقبال الودى الذى نالته مدام جوليت آدم من لدنكم ، وتصريحهم بأن انجلترا لا تسمح لجنابكم العالى باكرام من يعاديه ، وادعائهم بأن كل ما يكتب أو يقال ضدكم موعز به من سموكم ، أعد نفسى مقصراً تقصيراً حقيقياً في تأدية الواجب نحو مقامكم الرفيع إذا بقيت صلتى بسموكم على حالها وفضيلة نعمة التقرب منكم على القيام بواجب تدعو اليه الوطنية والسياسة .

ولإني أرجو أن يعتد مولاي ، حفظه الله ، أنى لم أقصد إلا محض خدمته بما قلته لسموه بشأن أولئك المفسدين الذين يلتصقون بالمعية ويضرون بها أكثر من أعدائها

(١) انظر صفحة ٣٤٧

(٢) وقد دامت الحال على ذلك حتى سكات سنة ١٩٠٦ حيث وقعت حادثة دلتواى فرجعت

العلاقات بينهما براسطى .

الظاهرين ويدخلون اسمكم الكريم في كل حادث غير حاسبين للرأى العام حسابا غير
ذاكرين أن عرش الخديوية هو البقية العزيرة لاستقلال البلاد وأنه يجب أن يكون
على الدوام محاطا بالاحترام التام والالجلال التام ليقاوم القوتين المحاربتين له ألا وهما
الاحتلال والزمان .

ولنه يحلولى أن أبقى إلى آخر لحظة من حياتى خادما لتلك المبادئ الوطنية العالية
التي كنتم سموكم أول الداعين إليها والمنادين بها وأن تزداد كل يوم اتساعا الهوة التي
بينى وبين الذين ادعوا خدمة الوطن ليعدموا مصالحهم ثم انقلبوا عليه بلا خجل ولا
حياء . وإلى أنشر يامولاي بأن أرفع إلى سدتكم العلية واجبات الشكران على جليل
التفانك وسامى رعايتكم وأقدم إلى المقام الرفيع أسمى ما يدين من التجلة والاعظام .

مصطفى كامل

مصر في ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٠٤

قضية زواج صاحب المؤيد . كان من أهم حوادث هذا العام قضية زواج
صاحب المؤيد . ففي آخر ربيع الثانى سنة ١٣٢٢ عقد عقد السيدة صفية السادات على
الشيخ على يوسف بسرأى الخرنفش بمنزل السيد محمد توفيق البكرى وتولى الوكالة عن
الزوجة الشيخ حسن السقا ؛ فلما علم والدها
السيد عبد الخالق السادات بذلك ، رفع
دعوى بالترقة بين كريمته والشيخ على
يوسف بعدم أهليته لها ؛ وتحدد لذلك
جلسة ٢٥ يوليو بمحكمة مصر الشرعية ،
ورأس الجلسة فضيلة الشيخ احمد أبى خطوة
وحضر عن الشيخ على يوسف ، حسن بك
ضربى الحامى ، وعن زوجه ، الشيخ محمد
عز العرب بك ؛ وحضر عن السيد عبد الخالق
السادات ، الشيخ عثمان الفندى .



السيد عبد الخالق السادات

وفي هذه الجلسة قضت المحكمة
بالحيلولة بين الزوجين فاحتجت السيدة
صفية على ذلك بعريضة أرسلتها لقاضى قضاة
مصر ، وأرسلت صورة منها إلى ناظر الحفانية وفيها تقول : : إنها لا يمكن أن تقبل

تنفيذ حكم الحيلولة لبلوغها سن الرشد ، ولأنها تزوجت من الشيخ على باختيارها وكفائها .
وفي ٢٧ يوليو صدر قرار المحكمة بوقف السير في الدعوى حتى ينفذ أمر الحيلولة
السابق صدوره .

وتوجهت السيدة صفية إلى منزل الشيخ الرافعي ؛ وفي الوقت نفسه طلب الشيخ
على منه أن يتوسط لدى زوجته بالعودة إلى منزل والدها ؛ ولكنها أبت ذلك رغم
معارضه الشيخ الرافعي من أنه سيتوجه معها بمرافقة شيخ الأزهر والمفتي والشيخ حسونة
النواوي ليضمنوا لها الراحة عند والدها .

فلم ترض بذلك قائلة إن والدها بعد أن قبل مكثها عند الشيخ الرافعي أشاع أنه
لم يوافق على ذلك .

وفي ٢٨ منه اجتمع وكيل الحقانية وعثمان بك مرتضى والشيخ محمد نجيب والشيخ
أحمد أبو خطوة وقرروا تعديل قرار الحيلولة من ضرورة إرسالها عند والدها إلى
إبقائها مع الحيلولة عند رجل مؤتمن ؛ وحيث إن الشيخ الرافعي الذي هي عنده رجل
مأمون ؛ لهذا لم يروا مانعاً من بقاءها طرفه . وبهذا حل الاشكال .

وكان يوم أول أغسطس محمداً للسير في الدعوى فعددت الجلسة برئاسة الشيخ
أحمد أبي خطوة ؛ وترافع الخصوم وكان النزاع قائماً في هذه الجلسة على كفاءة المتداهين
حتى يكون الزواج صحيحاً ، أو عدم كفاءة الشيخ على يوسف حتى يكون فاسداً ، وقررت
المحكمة تكليف كل من المدعي والشيخ المدعي عليه ، أن يثبتا بالطريق الشرعي ما يدعيانه
فقرر وكيل المدعي عليه أن اسم موكله مقيد بدفاتر الاستحقاق في أوقاف نقابة الأشراف
في سنة ١٨٩٧ ، ثم تأجلت الجلسة بعد ذلك إلى ٦ أغسطس ، لسؤال السيد على البيلوي
عن أساس قيد الشيخ على يوسف بدفاتر الأشراف .

وفي جلسة ٨ أغسطس حضر نقيب الأشراف بسوهاج ، وقرر أن الشيخ على يوسف
شريف علوي ينتهي نسبه إلى سيدنا ومولانا أبي عبد الله الحسين ، وقال إنه عرف ذلك
البيت من الشهرة العامة .

وأخيراً تقرر تأجيل الجلسة إلى ١١ أغسطس للتأمل وتقرير ما يرى ، وفي هذه
الانثناء ردد كثير من الصحف بأن الشيخ على يوسف والشيخ الرافعي لا ينفذان قرار
الحيلولة وأن الشيخ على يتوجه في ساعة متأخرة من الليل لمنزل الشيخ الرافعي ويخرج
منه في الصباح المبكر ، وأن الملابس تؤخذ يومياً من منزل الشيخ الرافعي ويستحضر

بدلها من منزل الشيخ على ؛ وقد كتب وكيل السيد السادات خطأياً بهذا المعنى للشيخ الرافعي ، فاشتغل الشيخ لذلك وثار ، وبلغ السيدة صفية ذلك فتأثرت وعولت على الخروج ؛ فكتب الشيخ إلى قاضي مصر الكتاب الآتي : « تمت السيدة صفية بالخروج من المنزل فدفعتها ، ولكنها مصممة على الخروج متى تمكنت من ذلك ؛ وبما أنه لا يمكن إقامة الحيلولة فأطلب من سماحة القاضي أخذها من منزلي . »

وفي جلسة ١١ منه صدر الحكم بإعلان عقد الزواج لأسباب ذكرت في حثيات الحكم ، أهمها قيمة نسب الشيخ على يوسف ، والفارق بينه وبين السيد عبد الخالق السادات من حيث المنزلة .

ولما كان السيد عبد الخالق السادات يركن في هذه المسألة إلى الشيخ راضي الكبير توصل الشيخ على يوسف إلى استرضاء الأخير حتى أقنع الأول بقبول العقد ثانية للشيخ على يوسف على السيدة صفية السادات وقد تم ذلك .

قاضي مصر التركي وديوانه الأوقاف . كان قد وقع خلاف بين قاضي مصر التركي وديوان الأوقاف لأنه قرر في جلسة المجلس الأعلى محاسبة نظار الأوقاف فرأت المحكمة الشرعية أن ذلك من حقها فكتب القاضي إعلاناً في الوقائع الرسمية بأن نظار الأوقاف الخيرية والأهلية عليهم أن يقدموا الحساب في آخر العام المهجري لقاضي أفندي فتدخلت الحكومة وكرومر في المسألة خشية أن يعتبر القاضي حكومة داخل حكومة ، ولأنه ادعى أن له الولاية العامة الشرعية في مصر ؛ وأرسل الخديو عزت بك إلى القاضي فأقنعه بسحب إعلان ، ووعده بأن ينظر سموه في الأمر ويسويه على ما يرضيه ، فقبل وكتب إعلاناً آخر يسحب به إعلان الأول في ٢١ نوفمبر .

وفي هذه الأثناء أراد القاضي أن يقدم استقالته ، وكان في عزم الحكومة والورد كرومر قبولها وانتهاز هذه الفرصة لتغيير التقليد المتبع ، وتعيين قاضٍ مصري بدله ، وخطب الخديو في ذلك فقال إنه يرشح الشيخ حسونة النواوي . فقبل له إن الشيخ عبد القادر الرافعي أهل لهذا المنصب فقال سموه نعم ولكن بعد الشيخ حسونة .

ولما رأى القاضي هذا الجولم يقدم استقالته واكتفى بسحب إعلان .

وقد أوقعت الحكومة مسئولية هذا العمل على الشيخ محمد بخيت ، لأنه عاون القاضي في إعلان الأول ، فاتفق الرأي على فصله ، وأقنع بطرس الورد بذلك فوافق

عليه ؟ وكان في هذا إرضاء للخديو وقد كان يستخط على الشيخ بحيث لأنه كان المحرك لمسألة الشيخ على يوسف وزواجه بينت السادات بحجة أنه ليس أهلاً لها رغم علمه بأنه من رجال الخديو .

تعييني رئيساً للديوانين العربي والافرنجي . في ٢٧ ديسمبر حضر إلى زكي باشا وأخبرني أن الخديو عازم على إحالة حسن عاصم باشا إلى المعاش في هذا اليوم ، وأنه يأمرني مع عزت بك أن نبحت عما إذا كان من المعتاد في مثل هذه الحالة أن يصدر أمراً أو لا .

وقد اتضح لي أنه لا بد من الأمر فأخبرت زكي باشا بذلك وعرضه على الخديو ؛ وبعد الافطار بسرأي القبة — وكنا في رمضان وكان عاصم باشا ضمن الموجودين — أحضر الخديو حجرة بك رئيس القلم العربي وأعطاه الأمر بالإحالة وكان من إملاء بطرس باشا وأرسل لحسن عاصم باشا بعد عودته لمنزله ، وهو مختصر وجاف وفيه يقول الخديو ما ملخصه : « اقتضت إرادتنا إحالة سعادتك على المعاش ولذا لزم إخطارك بذلك » ، وكان هذا نتيجة لما كان منه في نفس الخديو منذ مسألة تفتيش مشتمر وما ترتب عليها . وهذه المناسبة أذكر أن عباساً عندما كان يأمر بفصل أحد الموظفين اعتاد أن يقول لرئيس القلم العربي : « طرطره » .

وقد دافعت جريدتا اللواء والأهرام دفاعاً شديداً عن حسن عاصم باشا وعرضتنا بالخديو في مطامحه المالية التي هي سبب غضبه عليه .

وظل منصب عاصم باشا خالياً حتى يوم ٣١ ديسمبر ، حيث حضر إلى زكي باشا وأخبرني أن الخديو — بعد محادثات بينه وبين بطرس باشا — عزم على إسناد منصب رئيس الديوانين العربي والافرنجي إلى وأن يعطى لعزت بك منصب رئيس الديوان التركي .

ولم يسارع الخديو سراي عابدين في هذا اليوم حتى وقع الأمر بتعيين وتعيين عزت بك رئيساً للديوان التركي . وهذا نص الأمر الذي صدر بتعييني : « سعادتلو أحمد شفيق بك — بناء على ما نعهد فيكم من الصداقة وحسن الإدارة والدراية — اقتضت إرادتنا تعيينكم رئيساً لديوانينا الافرنجي والعربي ابتداء من أول يناير سنة ١٩٠٥ وأصدرنا أمراً هذا لتباشروا أعمال وظيفتكم بالهمة والنشاط . »

سنة ١٩٠٥

القديرو وأصحاب المقطم . الدسائس في الزهر أيضا . السبرارنت فامل
في مصر . شركة للزهرجد والنحاس . لجنة الاحتفالات القديوية . عادة تعمل
على استمالة عباس . رحلة القديرو لروستانة وأوربا . وفاة الشيخ محمد هبده .
القديرو وعين عاصم باشا . بعد العودة . قاضي مصر وطلب السفر لروستانة .
منصب القبر كخرا . تعيين مفتي جدير .

القديرو وأصحاب المقطم . في ٢١ يناير جاء في الدكتور فارس نمر أحد أصحاب
المقطع ثم قابلي مصطفى فهمي باشا ، وطلب مني كلاهما أن أرسل إلى المطبعة الأميرية
بالأنا تنشر إنعام الخديو على فارس نمر برتبة المتجايز . وقد صرحا لي بأن الفرض هو
بقاء أصحاب المقطم أحراراً غير مقيدين بجهة معينة ، وربما كانت السبب الحقيقي هو
استصغار شأن هذه الرتبة . وبناء على ذلك أرسلت إلى المطبعة بعدم ذكر اسمه في
كشف اليوم .

وفي ٢٣ منه تحدث مصطفى فهمي باشا مع الخديو بشأن هذه المسألة ، فغضب
سموه ؟ وعندما قابلته مساء في قصر القبة وجدته متوجهاً لذلك ، لأنه فهم من حديث
مصطفى فهمي أن المعية هي التي تسمى إلى استمالة أصحاب المقطم بالرتب ، وأن فارس نمر
لا يقبل أية رتبة كانت .

ثم قال لي : : وهذا نتيجة تسرعك يا شفيق ! ، فدافعت عن نفسي بأن فكرة
استمالة أصحاب المقطم لم تكن فكرتي ، وأني لم أعمل شيئاً لتنفيذها . ثم تقرر أن يتحدث
أحمد شوقي أفندي مع فارس نمر في هذا الخصوص ، على أن يتوسط مصطفى فهمي باشا

في إزالة ما وقع في نفس الخديو من سيء الأثر ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، وكان ألم الخديو لذلك عظيماً .

السيرة أرست لامل في مصر . في ٢١ مارس أقام عباس مأدبة بسرائر القبة للسيرة أرست كاسل . وكان قد حضر إلى مصر مع شقيقته ؛ وفي أثناء الحفلة لفت نظرها حجر جميل من الزبرجد في رباط رقبتى فأبدت استحسانها له ؛ وفي الغد أرسلته لحسا مع رسالة صغيرة قلت فيها : « أرجو ألا ترفض قبول هذه الهدية الصغيرة التي أسعدني الحظ بتقديمها إليك إذ رأيت أنها وقعت من نفسك وقعاً حسناً ، وأنا واثق أنها متى كانت على صدرك صار لها من الرويق ما ليس لها في رباط عنقي ؛ وقد تركت لك صياغة هذا الحجر ، على أمل أن تختاري له الصياغة التي تلائم ذوقك ، وإنني أتهرب هذه الفرصة لأعرب لك أيتها السيدة العزيزة عن أسى شعائر إخلاصى واحترامى . ،

لجأنى منها في اليوم التالى رد رقيق نصه : « سيدى العزيز — لا أدري في الحقيقة كيف أعبر لك عن شكرى على ما أظهرته لى من العطف والمودة . وفي الواقع أنك ذهبت في تكريمى وبجائتى الى أبعد مدى في إهدائك هذا الحجر الجميل الى ، ولقد أخجلتني بجمالك هذه ، وخيل الى أن إشارتى اليه هي التي أوجت اليك أن ترسله الى وهذا ما زاد في خجلي ؛ على أنى أؤكد لك أن هذا العطف من جانبك وقع من نفسى أحسن موقع ، وسأحفظ هذا الحجر الجميل تذكيراً للجمالة التي رأيتها من الذى أهدها لى ، فشكراً لك ألف مرة وا قبل أركى تحياتى . ،

الرسائل في الأزهر أيضا . ذكرت ما وصلت اليه الدساتر في الأزهر في العام الماضى ، ثم تلت ذلك فترة ساد فيها النظام في الأزهر ولكنها ما لبثت حتى قامت حركة جديدة من المدرسين ، وشكوى من قانون الأزهر وشيخه وقهها المتطلبون ؛ وكان القائمون بهذا الشعب يدخلون في روع الآخرين أن هذه الشكوى كرهية الخديو ؛ وفي هذه الأثناء ثارت مسألة زواج الشيخ على يوسف من كريمة السيد عبد الحالى السادات كما أسلفت ، وكان الشيخ على يوسف يدعى أن المفتى هو الذى يحرص السيد السادات ، فأراد الخديو أن يلتزم من المفتى بتغيير مجلس الادارة ، وإخراج الشيوخ محمد عبده وعبد الكريم سلمان ، فلم يرق ذلك في عين شيخ الأزهر السيد على البلاوى ، ففكر في تقديم استقالته ، إلا أنه قبل رجائى ورجاء المفتى في البقاء من منصبه ، ولكنه

علم أخيراً بأن الشيخ سليم البشرى والشيخ المنصوري توصلا إلى الحصول على مرب في الأوقاف العمومية دون عله ؛ فعزم على الاستقالة لما كان يعرفه من أن هذين الشيخين هما روح الشغب في الأزهر ؛ وحضر الى السراى فى يوم ١٥ مارس ، وقدم استقالته الى بصفتى رئيس الديوانين العربى والافرنجى ، فقبلت وأرسلت اليه خطاب قبولها مشفوعاً بالشكر الرقيق .

وفى ٢١ مارس استقال الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلان من عضوية مجلس الأزهر وخلف السيد الببلاوى فى مشيخة الأزهر الشيخ عبد الرحمن الشربى فى ١٩ منه . وقد خلع عليه الخديو الخلة المعتادة فى حفلة بسراى عابدين حضرها كثير من العلماء وذلك فى ٢٤ مارس ، وهذه المناسبة ألقى الخديو كلمة قال فيها : إن الجامع الأزهر قد أسس وشيد على أن يكون مدرسة دبلية تنشر علوم الدين الحنيف فى مصر وجميع الأنظار الاسلامية ؛ وأول شيء أطلبه أنا وحكومى أن يكون الهدوء سائداً فى الأزهر الشريف ، والشغب بعيداً عنه ، فلا يشتغل علماءه وطلبته إلا بتلقى العلوم الدبلية النافعة البعيدة عن زيف العقائد وشغب الأفكار ، لأنه هو مدرسة دبلية قبل كل شيء . ثم قال : وقد قبلت استقالة الشيخ الببلاوى لآتى منذ اثنتى عشرة سنة أسير على قاعدة قبول استقالة كل من يقدم لى استقالته . وقد أسندت وظيفة مشيخة الأزهر للأستاذ الشيخ الشربى المعترف له من جميع الطبقات ؛ أزهريين وغيرهم ؛ بالعلم والتقوى والصلاح ، وأطلب منكم أيها العلماء أن تكونوا بعيدين دائماً عن الشغب وأن تحثوا إخوانكم والطلبة على ذلك . وهكذا فشلت الخطوة الأولى لاصلاح الأزهر .

شركة للزبرجهر والنحاس . فى ١٤ فبراير عقد بناء على الأمر الخديوى اتفاق بين مسيو شارل هكسيوس وعبد الرحمن كاسى بك من أعيان السويس وشريكه حنا عنصره . اللذين كانا يبحثان عن المعادن فى جزر البحر الأحمر وفى طورسينا ؛ والفرض من هذا الاتفاق أن ينصرف عبد الرحمن كاسى بك وشريكه الى شراء اللؤلؤ والأحجار الكريمة ويرسلانها الى هكسيوس فى جنيف ، ليبيعهما على أن يقسم الربح مناضفة بين الفريقين شهراً فشراً ، وقد جعلت مدة هذا الاتفاق خمس سنوات وعهد الى فى حفظ العقد الخاص به . وكذلك وقع بين الطرفين اتفاق آخر مؤداه ، أن يتعهد عبد الرحمن كاسى بك وحنا عنصره لمسيو شارل هكسيوس بأن يرشدها الى الأماكن التى وجدا فيها مناجم نحاس من النوعين الأصفر والأحمر ، على أن يفحص مسيو هكسيوس هذه المناجم

ويتصرف فيها بما يراه ملائماً بحيث يتولى هو بنفسه طلب امتياز باستخراج المعدن والبحث عنه، ويكون له أن يستثمره هو بنفسه أو بواسطة شركة يؤلفها لهذا الغرض، ويكون لعبد الرحمن بك وحنا عنصره ثلاثون في المائة من الأرباح الصافية، بشرط أن يقوموا بالرحلات التي يستلزمها العمل، ويقدموا إلى هكسيوس كل ما يجدها من القطع المعدنية في خلال مدة الاتفاق مهما كان نوعها، تاركين له الحرية في استثمار الأرض التي توجد فيها المعادن، وألا يعقدا اتفاقاً آخر مع سواه قبل مضي خمس سنوات. وعهد إلى كذلك في حفظ العقد المحرر بينهما، والحكم فيما يشجر بين الطرفين من خلاف. وبعد ذلك أرسل إلى عبد الرحمن كامي بك رسالة عن نتيجة مباحثه وخريطة عن الأمكنة المرغوبة، وبعض نماذج من النحاس فأرسلتها لمسيو هكسيوس في جنيف؛ ثم جاءتني رسائل أخرى من كامي بك بها تفصيلات عن الأحجار التي وجدها، وذكر لي أيضاً أنه علم أن جماعة من الانجليز ذهبوا إلى العثور للبحث عن المعادن، مزودين بجميع التوصيات والتسهيلات. ولما علم الخديو بذلك، قال إن هذه التوصيات هي من صنائع الانجليز في مصر. ولم يستطع أن يقدم إليه التوصيات التي طلبها نظراً لوجود الانجليز المشار إليهم.

لجنة الاستفتاءات القديونية. ألفت في القاهرة لجنة للاحتفال بالخديو في أعياده وعند سفره واستقباله، وأخرى كذلك في الاسكندرية. فلما سافر الخديو في هذا العام إلى الثغر في أول مايو استقبلته اللجنة هناك بحفاوة كبيرة فشكل سموه أعضاها شفوياً ثم أمر بإرسال كتاب لهم بشكره.

ولما كانت لجنة القاهرة هي صاحبة الفكرة، ولم تنل هذا الشرف والعناية من جانب سموه، فقد تضرر أعضاؤها وتحدث بعضهم أمام الشيخ علي يوسف بذلك، فبعث برسالة لسموه يعلبه فيها بذلك وإلى أن لجنة القاهرة قد تفتت عن مهمتها إذا لم تنل ما تستحقه من الرعاية.

وقد أجاب عباس علي ملاحظة الشيخ علي يوسف فكتبت المعية إلى اللجنة خطاباً رقيقاً.

غادة تعمل على استمالة عباس. كانت مدام الكسندرا أفيرينوملتاى، وهي سيدة يونانية متمصرة، تصدر مجلة أنيس الجليس، بالاسكندرية، وقد حاولت الزنى بجهاها عند الخديو مراراً، وحامت حوله سنوات، ولكنه غض النظر عنها فأرسلت

لسموه الرسالتين التاليتين ؛ الأولى بتاريخ ١٧ مايو نصها : « لقد تعودت أن أفتح كتابي
بالتساء والدعاء للذين لا أبرح عن تقديمهما على الدوام بالسر والجهر ، ولكن بلغنى
من سعادة حسين بك زكى ما جعلنى أن أفتح كتابى بالشكوى والاسترحام بشأن تلك
المقابلة التى ضاقت فى التماسها صدرى وذهب كل صبرى ؛ وحقاً إنه ليست الصاعقة
تنقض على " فترىنى بأشد عندى من الخبر الذى رواه لى حسين بك بشأن تأجيل تلك
المقابلة إلى بعد عودة مولاي المعبود بالسلامة من رحلته المباركة وذلك لكثرة شغفى
بها واضطرارى إليها وطول انتظارى إليها ، إلى أبعد مما يتحمله فؤادى وأكثر مما تطيقه
نفسى ، مع أنى أعهد ذاتى ملتزمة تلك المقابلة من سيدى الرحيم الشفيق ، فضلاً عن
أن سموه لا يعدم على كل حال فرصة لذلك ، لأن الفرص تحت أمره وطوع يديه .
وقد آن أن يكون لى حق فى إحداها بما يتفق جبراً لحاظى الكسير وإجابة لالتماسى
لدى طال عليه الأمد ونفذ معه الصبر . آه يا مولاي من يصف الآلام التى تحرق فؤادى
رأى الأس المستحوذ على " ؛ أشعر بأنى مدفوعة بيد القضاء إلى هذه الشقاء ومنها إلى هذه
الفناء ؛ وإن حسين بك لو كان يروى لسموه ما شهدته من قلق وسوء حالى حين بلغنى
ذاك الخبر بالتأجيل ، لتيقن ما ينطوى عليه فؤادى وعزف مبلغ ما أنا فيه من التلغى
الشديد لتلك المقابلة السلية التى هى طوع إرادة مولاي فى كل حين يريد بها فيه ، وفى أى
مكان يعينه لها ؛ وإننى لقد أكثرت من إظهار الأسى والحزن مضطرة بسبب ما يعلمه
مولاي ، فلعل كرمه يريخنى من عناء المدة الطويلة المستقبلية فقد كفانى ما قاسيت من
أطول منها قبلاً ، وعسى أن يكون هذا الرجاء كأنه آخر الأياس المتصل بأول النجاح ،
وتكون تلك المقابلة أتعلى بها مدة تلك الرحلة . ولقد عهدت مولاي يمنح السعادة لكل
من يطلبها منه ، ولهذا صرت فى جانب الأمل الكبير بأن هذه التعيسة المخلصة تنال
تلك السعادة التى صارت تستحقها بكثرة ما بذلت لها من الصبر الوافر والقلق الطويل ،
ولا شك أن كرم مولاي والعطافه يكونان ضامنين لهذا الأمل إذ هو بعد الله على كل
شئ قدير وبكل دعاء من هذه المخلصة جدير .

عبدة سموكم التعيسة

الكسندرا أفيريرو ،

الاسكندرية فى ١٧ مايو سنة ١٩٠٥

وهذا هو نص الرسالة الثانية وتاريخها ٣٣ مايو :

« ولئى نلقى ومعبودى — أفتح كتابى بتقديم واجب الاخلاص والتكريم مع
الدعاء لله تعالى بأن تكون السلامة مرافقة لمولاي فى رحلته السعيدة باذن الله ورجوعه
المبارك . وبعد فقد تقابلت مع سعادة حسين زكى بك فوجدت من رقة حديثه ما اتخذته

كنسخة من حديث مولاي ورقته ولطفه ، حتى ابتهج بذلك فؤادى المضطرب ، وسرّ خاطري القلق ، واتعش أملى الذابل ، ولا سيما بعد حرمانى من تلك المقابلة التى كنت أنتظرها انتظار الأرض العطشانة لندى الصباح ؛ ولكننى أسلى نفسى عن كل ذلك بسلامة مولاي ، وأعزّيتها بأننى قد صبرت عدة سنوات فلا صبر عدة أشهر ، وإن كانت على أطول من سنين ، حتى يمن الله ويعطف المولى المحبوب على عبده التعيّسة ... ثم لئن مرّسلة مع سعادة حسين بك الرواية التى علم سيدى بها ، وقد كتبها بخط يدي لتكون كأنها عيون تنظر إليه بالنيابة عني ، ولعل مولاي يشرفني بتلاوتها في أثناء رحلته السعيدة وأوقات فراغه ، فيجد فيها لأول وهلة ما ينطوى عليه مضمونها من حكاية حال وأمبيليا ، التى أرجو أن تكون عاقبتى شبه عاقبتها مع ذاك الأمير ، كما أن مولاي يدرك بلا شك تلك المواطف والوجدانات التى أملت على تلك الرواية ، وعباراتها المؤثرة ، مما كنت فيها لسان حال نفسى ؛ فعسى أن تصادف هذه الرواية من عند مولاي ما رجوته من وضعها في هذا القالب ، الذى صورت فيه حالتي تصويراً تاماً بشخص أمبيليا مع ذاك الأمير ، بل غاية ما أرجوه قبولها وتشریفها بالنظر العالى فان ذلك حسبي وكفى .

ثم لئن قد تعودت رجاء مولاي على الدوام فلا عدمته مرجواً ولا عدمنى راجية فضله ، وسائلة إسعافه ومعوته ؛ وذلك أن لى سوقاً في الرمل وقطعة أرض بجانبه وقد أخذ الخواجا مانولى زرفودا كى بمعاكستى فيها معاكسة تفضى إلى الضرر في ضرراً لا يريد وقوعه مولاي بهذه المخلصة ، وذلك أن الخواجا زرفودا كى يريد أخذ قطعة الأرض بالشفعة ؛ لذلك اتّمس من جنبه العالى لإصدار إشارة منه بالإيعاز إليه بأن يمتنع عن أخذ قطعة الأرض بالشفعة ، وعن معاكسة السوق ؛ لأن أقل إشارة من مولاي يكون منها كل النفع لى ، ومنع الضرر عني . ولئن في الختام أكرر شدة أسنى لفراق سيدى وغيابه ، وحرمانى من طلعه السنية ؛ بل وجوده في هذا الثغر الذى كنت مؤتسمة معه بظله الظليل ، وقربه المؤنس ولكننى أفرج أسنى بهذا الصبر لحين رجوعه السعيد ، سائلة المولى أن يشمل مولاي بعنايته العميمة ، وأن يجعله تحت حراسته أينما حل وسار ، كما أسأله أن يربنى طلعه المباركة وهو على ما أحب وأشتهى من العافية الدائمة ، والسلامة الملازمة باذن الله ودعاء هذه العابدة المخلصة التى ترجوه ألا ينساها كما أنها لا تنساه إلى الأبد .

عبدة سموكم الطائفة

الكسندرا أفيرينو

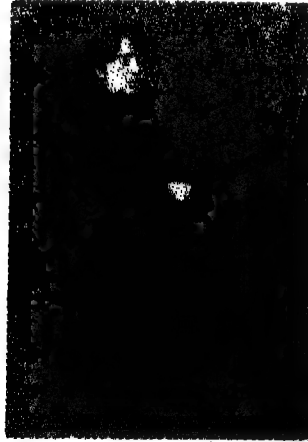
الاسكندرية في ٢٣ مايو سنة ١٩٠٥

ولكن مدام أفيرينو رغم هذه المساعي المتكررة لم تنز من الخديو بطائل .

رحلة الفريق إلى الاسكندرية وأوروبا . في ٢٥ مايو غادر الخديو المياء المصرية إلى الاسكندرية مودعاً كالعادة . ولم أكن بمعته هذا العام لأن سموه أراد إبقائي في مصر لأن كُن قريباً من النظار لما عسى أن يطلبوه من المعلومات . وكان محمد عزت بك رئيس القلم التركي من رفاقوا جنابه ؛ فوصل سموه إلى الاسكندرية في ٢٩ مايو واستقبل فيها بحفاوة ولم يمكث بها إلا مدة وجيزة ثم برحها في ٣ يونيو إلى فينا .

وفي ١٣ يونيو، وردت لي رسالة من عزت بك أخبرني فيها أن الخديو كان مسروراً من الاستقبال والوداع بالاسكندرية

شكوى البرنيسيس زيدة للملك الانجليز : وقد سافر الخديو بعد ذلك إلى إنجلترا فبقى فيها خمسة أيام كان فيها محل حفاوة وإكرام من جانب ملك بريطانيا والأمراء الانجليز والرجال الرسميين ، وأقيمت له عدة مأدب . وفي إحداها ، وكانت بسرأي وندسور ، وقع ما كدر سموه ، وجاءني تفصيل ذلك برسالة من الشيخ محمد عثمان أحد المرافقين للخديو بتاريخ ٢٧ يونيو ملخصها :



البرنيسيس زيدة هانم

أن الجنباب العالي بينما كان في ضيافة ملك الانجليز في وندسور ، إذ جاءت له شكوى من البرنيسيس زيدة هانم ضده ، مدعية أنه لم يحترم اتفاقاً حصل بينه وبينها بخصوص ترتيب ثلاثة آلاف جنيه لها سنوياً ، فتكدر سموه من ذلك ؛ وأرسل يأمرني أنت أتقابل مع البرنيسيس ومع شاكر باشا قرينها ، وأتوصل بكل حيلة إلى أخذ كتابة من البرنيسيس بأن ما كتبه للملك ليس شكاية ، بل استرحاماً ليتوسط لدى الخديو في إجابة رجائها ، وبعد الحصول على الكتابة المذكورة يجب أن

أنوجه إلى شاكر باشا وأسمعه كلاماً قاسياً مرأ في هذا الموضوع ، لأن ما حدث من البرنيسيس بعيد عن الآداب والتربية ، وكان عليه أن ينصحها بعدم الاقدام على هذا العمل الشنيع ؛ وقال لي إن الخديو ينتظر الرد بمجرد وصول هذه الرسالة .

وعندما وصلتني في ٣ يوليو كانت البرنيس وشاكر باشا قد سافرا إلى كارلسباد ، فأرسلت بذلك برقية للخدوي ، وأشرت بأن يأمر دومرتينو باشا الموجود بكارلسباد أن يحصل على الكتابة المطلوبة .

وكان الغرض من ذلك أن تعرض هذه الكتابة على ملك الانجليز حتى يعلم عدم أحقية البرنيس فيما ادعته على الخديو .

وفي ٢٩ أكتوبر عاد اللورد كرومر إلى مصر من الخارج ؛ وكان الخديو في الاسكندرية فأرسل اللورد برقية يعلم سموه برجوعه ؛ فأجابه برقية لطيفة هناك فيها سلامة الوصول . ولكنه لما قابل الخديو في أول يوم من رمضان ، لم يهتبه كالعادة ، بل وجه إليه انتقاداً مرأى في مسألة البرنيس زيدة ، فاستاء الخديو أيما استياء لهذه المقابلة الجافة .

وقد تحدثت مع بطرس باشا في شأن هذه المقابلة يوم ١٠ نوفمبر واستطرد بنا الحديث ، فذكر لي أنه عندما أرسلت البرنيس شكايته لملك الانجليز أمر بأحالتها إلى كرومر فرد طاعناً على الخديو بأن سموه يتدخل لدى القضاء الشرعى في المسائل الشرعية ، ويحصل على ما يريد من الأغراض .

وفي ١١ نوفمبر تقابلت مع المستشار المسالى فطلب منى أن أعرض على الخديو تخصيص مبلغ مائتي جنيه معاشاً شهرياً للبرنيس وأن يعطيه مبلغ ألف جنيه مصاريف المحامى عنها ، وقد تم ذلك .

وفاة الشيخ محمد هبده . كان الشيخ محمد عبده مريضاً منذ عدة أشهر ، وكان قد أزمع السفر للاستشفاء في الخارج ، ولكن رأى أن صحته لا تساعد على السفر ، فسكت بالاسكندرية يغالب المرض ويغالبه ، ويؤوره العظام والكبراء والعلاء ، ويعنى به الكثير من البرنسات حتى أن بعضهم أرسل طبيبه الخاص لعلاج .

وفي ١١ يوليو فاضت روحه إلى بارئها ، وقد شهدت تشييع جنازه إلى مقبره الأخير في مشهد حافل وموكب جليل .

وكتبت الصحف فصولاً صحافية في رثائه ، منوهة بذكره ورفيع خلاله وأعماله .

عقب الخديو : وقد كان سبرى في جنازته سبياً في غضب الخديو فأرسل إلى رسالة أثبت لها فيها من دلالة ومغزى : « كان الجناب العالى يظن أنكم تحافظون على تنفيذ

رغبته السنية غاية المحافظة ، وكان يعلم أنكم تقدرون أوامره العالية حتى قدرها ، وكان يعتقد أنكم لا تخطون خطوة إلا في سبيل رضاه وبأمره الكريم ، وكان يتيقن أنكم تكونون على من رغب عنه ومع من رغب فيه ، ولكن قدر فكان .

قلتم في جوابكم الأخير إن المفتي مكث أربعة أيام كواحل من يوم الجمعة ٧ الجارى (يوليو) إلى يوم الثلاثاء ١١ منه . الروح تنازعه وهو ينازعها إلى أن غلبته فتركته أى . أنكم كنتم متوقعين له حصول الأمر آنأ بعد آخر خلال هذه المدة ، بن على ما بلغنا أن أقاربه حتى الحكومة جهزت له ما يلزم لتشييع جنازته قبل موته يومين ، وسعادتكم على ما أنتم عليه من معرفة الحقيقة والحالة ، فلم لم تستفهموا بأشارة برقية عما يلزم وقت أن تبلغ الروح الحلقوم . هذا أمر واجب عليكم كان اللازم أن توجهوا فكركم إليه قبل كل شيء . ولكنه يا للأسف فاتكم .

علتم بموته فكان من الضروري أن تعلموا أيضاً بأنه سترد إليكم تعليمات بخصوص ذلك الحادث ، وما كنتم تبرحون السراى ولا إلى منزلكم حتى تأتى أوامر الخديو اللازم اتباعها .

أخبر الجناب العالى أطال الله بقاءه بأشارة برقية عن هذا الحادث . فما معنى ذلك ؟ معناه أن ما الذى يعمل في هذه الظروف . وتعتقدون أن الجناب العالى لابد وأن يصدر أوامره بما يعمل إزاء هذا الأمر فاذا أصدرت بعمل شيء . فقوموا بتنفيذه ، وإن وردت بدونه فاعلموا أن الأمر مهمل ، الجنائز حارة والميت كلب ؟ ، فلا تعملوا شيئاً .

يظهر ، والله أعلم ، أنكم أردتم بالسبر وراء نعشه المجاملة بعد الموت وهو على ما تعدونه عدو الله وعدو النبي وعدو الدين وعدو الأمير وعدو العلماء وعدو المسلمين وعدو أهله ، بل وعدو نفسه ؟ فلم هذه المجاملة ؟

صدرت لكم أوامر بما يعمل ، فلم لم تبدلوا جهركم في تنفيذها ولم لم تسعوا وراء سريان مفعولها حتى بذلك تكونون أدبتم ما فرضه عليكم الاخلاص ؟

قلتم إن الأوامر وزدت والجنة بين مصر والاسكندرية فلم يمكن تنفيذها بالشر ولكننا نفذت بالقاهرة ، فأين ذلك التنفيذ وقد سار في الجنائز القاضى والشيخ حسونة وغيرهم .

قلتم في جوابكم إنكم منعم الشيخ على يوسف من كثرة الاطناب ، والمدح فما فائدة ذلك وأنتم أول من يعلم أن مثل ذلك ألفاظ سيالة تنقض بمجرد النطق فلا أثر

لها ، لكن تنفيذ الأوامر هو الذى يترتب عليه المقصود . على أن المؤيد أفرغ جعبته فى بدح الرجل فلم يبق شيئاً مما منع عنه ، ولو فرضنا أن المؤيد لم يذكر شيئاً للرجل ، فهناك جرائم أخرى لا يمكن منها تقوم بالأطباب والمدح ، وقد قامت فعلاً والأوامر العالية على خلاف ذلك . سعادة أحمد زكى باشا موجود عندكم فلم تستشيروا ؟ ألم تعلموا سبب امتناعه عن تشييع الجنازة ؟ ألم تعتقدوا ما كان عليه المفتى من العداء والمماكسة للدين وأهله وأنصاره ؟ ولكنه أمر فأت والرجل مات وغير يمكن رد ما قد فعل . .

وفى طلى الرسالة السابقة ملحق هذا نصه : « ترون طلى هذا قصيدة رثاء قالها أحد مستخدمى ديوان الأوقاف العمومية وقد طبعت أيضاً بمطبعة الديوان المذكور ، والجناب يجب أن يعرف إن كانت مطبعة الديوان جعلت لأعمال المصلحة فقط أو لها ولغيرها أو لغيرها فقط . فاستدعوا عبد الحليم عاصم باشا عندكم واستفهموا منه هذه الاستفهامات وأسألوه إن كان ذلك الشاعر المطبوع طبع هذا الرثاء بأمر من الباشا أو بغيره ، فإذا كان بغيره ، فكيف يقع ذلك وسعاده يشرف على كليات وجزيئات هذا الديوان ؟ وإن كانت طبعت بأمره ، فكيف يكون ذلك وصاحب الأمر موجود ؟ وبالجملـة فالمطلوب كتابة تقرير مسهب عن تفصيل هذه المسألة ويكون مضى بمضاء سعاده وإمضاء سعادتكم ، ولا يمنعكم ذلك من تعليق ملحوظاتكم وأرسلوا جميع ذلك إلى الجناب العالى ليطلع عليه فيرى رأيه فيه . .

التدبير ومصروف عاصم باشا . وقد كان حسن عاصم باشا من الذين اهتموا بوفاء المرحوم الشيخ محمد عبده وساروا فى مشهده ، وعملوا على الاحتفال بتأيينه ، مما زاد فى حق التدبير عليه . فأرسل لى سموه بمضاء محمد عثمان ، الذى أتى بتاريخ ٢٣ أغسطس : « اجتمعوا لديكم حسين محرم باشا ويوسف ضيا باشا وراشد بك باشكاتب الخاصة وسعادة أحمد خيرى باشا وعند اجتماعهم خاطبوا خيرى باشا بما يلى :

« إن الجناب العالى فى غاية العجب والاستغراب من جهة اهتمامكم بأشغاله الخصوصية والعمومية ، وميلكم إلى جنابه الرفيع وإظهار إخلاصكم لسدته السنية ومحبتكم الذاتية ، لأنه لا معنى لذلك مع ما أنتم عليه من كثرة اجتماعكم فى مجالس أناس مفسدين مثل حسن عاصم (الذى سبق إقالته) ، فهل لكم علاقة كبيرة تجارية أو سياسية مع أصحاب هذه الجمعية ؟ فإذا كان الأمر كذلك فالجناب العالى لا يرى مانعاً من انفصالكم عن شرف خدمته واشتغالكم مع الشركة بكل جهدهم وكال حربكم مع أعضائها المحترمين .

وسبب إرسال هذه المذكرة بهذا الشكل هو عدم علم الجنب العالى بوجود أحد من الموظفين الأكبر الحائزين للرتب والنياشين والميداليات والوظائف السامية ، الحاصلين عليها سعادتهم ، يسلك هذا المسلك الذى يأباه الدين والذمة وتبرأ منه الانسانية والمروءة .

أما مذكرات سعادته — التى أرسلها وعرضت — فلم يرد الجنب العالى تلاوتها ولا النظر إليها لأنه حفظه الله يعلم أنها محشوة بالنفاق والتلق ، وليست صادرة عن إخلاص ومحبة كما يزعم سعادته ، ولذلك ضرب بها عرض الحائط ، وعليه فنبهوا على سعادته بعدم إرسال مذكرات ولا خلافها للجنب العالى حتى يشرف سموه ثغر الاسكندرية أو عاصمة ملكه .

ثم أفهموه أن الجنب العالى لم يرد بجمعه هذه الذوات المتلوة أمامهم هذه المذكرة ، إلا ليظهر لهم أنه لا تخفى عليه خافية من أعمال كبيرهم وصغيرهم ، وأنه يعلم المنافق منهم من المخلص ، وأنه يجازى من يخالف الرغبة السنية ويحيد عن الطريق السوى . بذلك كله صدرت الارادة السنية .

وقد جمعت هؤلاء المذكرة أسماؤهم وتلوت عليهم الرسالة المتقدمة وتقرر أن يكتبوا تقريراً باخلاصهم للجنب العالى ، وأنهم يتبرأون مما يذكره عنهم الدساسون ؛ وقدموا إلى هذا التقرير فأرسلته للخديو .

بعد العودة صبح أوروبا . عاد الخديو إلى الاسكندرية يوم ٢٧ سبتمبر وكان فى استقباله النظار ومعهم نائب المستشار المالى ؛ وقد تحدث سموه معهم فى عدة أمور تختص بسياحته ، ومن ذلك أن السلطان قال له : إنه متأسم من الأثرمن كثيراً ، وإنه سيقضى عليهم بعد عمل التدبيرات اللازمة . وأضاف متشككاً : وسنرى ماذا تفعل الدول ؟

وقد جاءتني رسالة من بطرس باشا متعجباً ، كيف أن السلطان يفضى بهذا السر إلى الخديو ، ثم يذيعه الخديو حتى للإنجليز ؛ وقال الباشا إن متشمل إينس تحدث مع النظار فى هذا الموضوع بعد خروجه من عند الخديو .

قاضى مصر وطلبه السفر لمرستاته . فى ٢٣ أكتوبر جاءتني برقية من مصطفى فهمى باشا هذا نصها : أرجو أن تبلغ الجنب العالى حالا بالبرق نص الآتى .

زارني كبير القضاة وأبلغني أن شيخ الاسلام أرسل إليه برقية يشير عليه فيها بناء على الارادة السلطانية ، بتعين وكيل عنه والسفر إلى الاستانة ؛ فأجبت أنه باعتبار كونه من موظفي حكومة الجناح العالي ، يجب عليه أن يتقيد بالقانون فيما يتعلق بالأجازات . وخرج من غير أن يبدى إشارة تدل على أنه ينوى العمل بنصيحتي هذه . ثم كتب إلى نظارة الحقانية ينبئها بأنه عازم على السفر ، وسترده الوزارة عليه اليوم أنه بتعين عليه أن يقدم إليها طلباً قانونياً فيما يتعلق بأجازته ؛ وحيث إن لهذه المسألة شأنها وأهميتها كما لا يخفى على سموكم ولا بد أن يزور كبير القضاة سموكم قبل مغادرته القطر يوم الأربعاء القادم ، فقد بادرت إلى عرض الأمر على سموكم بتفصيلاته لتكونوا على بينة منه ؛ هذا وألفت نظر سموكم إلى مسألة تعيين وكيل لأن هذا التعيين من اختصاص حكومة سموكم وقد عاد القاضي فاسترد كتابه بناء على المساعي التي بذلتها نظارة الحقانية ووعده بأن يقدم طلباً قانونياً .

وفعلما قدم القاضي طلباً لنظارة الحقانية يطلب أجازة عشرين يوماً . وفي ٢٤ أكتوبر قابل الحديو مستأذناً في السفر ، وبارح الثغر إلى الاستانة . وفي ٢٠ نوفمبر أرسل يطلب مد أجازته إلى شهرين واعتمدت الحقانية ذلك ولكن في ديسمبر صدر أمر السلطان بعزله وتعيين جمال الدين افندي قاضي مكة (*) بدلاً عنه ووصل القاضي الجديد إلى مصر في ١٣ ديسمبر .

منصب القبر كنفرا . كان منصب نائب الحديوية في تركيا لا يزال شاغراً فارسل الحديو يطلب إسناده لرشيد بك الذي سبق أن أشرنا إليه وإلى رسائله السياسية . وفي ٢٥ أكتوبر جاءت برقية من الباشكاتب ، بأن جلالة السلطان لا يستحسن تعيين رشيد بك ، نظراً لأنه سبق له الفرار من الاستانة ؛ وإنما يرتاح لتعيين محمد بك عزت رئيس الديوان التركي ؛ ولكن الحديو لم يوافق وكذلك لم يرغب عزت بك ، وكتب للسلطان بأن تعيين رشيد بك إنما بصفة معاون فقط للقبر كنفرا .

تعيين مفتي هدير . وفي ٥ نوفمبر كلف الحديو بطرس باشا بالتوجه إلى كرومر لمحاادثته في شأن تعيين الشيخ حسونة النواوي خلفاً للشيخ عبد القادر الرفاعي الذي توفي .

(٥) وتعين بعده يحيى افندي عبد الرحمن فاضل ثم لبيب افندي الأرنؤوطي وأخيراً السيد محمد لودي افندي إلى أن ألغيت وظيفة قاضي مصر في سنة ١٩١٤ عند نشوب الحرب الكبرى .

بعد أن يكفّ يومين فقط ومات بالفالج؛ فسأل بطرس باشا عن اسم آخر احتياطاً
لكى يرشح إذا لم يقبل الشيخ حسونة ، فاختار الخديو الشيخ بكري محمد عاشور الصدفى .
ولما قابل اللورد رضى بالشيخ حسونة ؛ وكذا لك وافق مصطفى فهمى باشا بعد
أن علم بموافقة كرومر ؛ ولكن المستشار المالى توقف لأز ابراهيم فؤاد باشا أخبره
أنه لا يصلح للافتاء إلا الشيخ الصدفى ؛ وبهذا تم تعيين الشيخ الصدفى . وقد شكّا
مصطفى فهمى باشا بهذه المناسبة لكرومر من تدخل بطرس باشا فى مسألة ليست من
اختصاصه والمقصود بهذه الشكوى أن يعلم اللورد أن الخديو لا يثق به ، لأنه مقرب
لدى الانجليز .

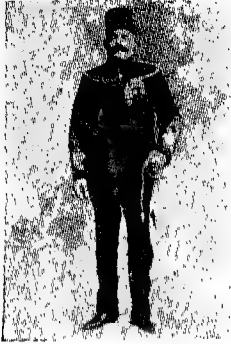
سنة ١٩٠٦

مسألة طابا، تقرير هام من مختار باشا للحكومة المصرية. سفرى لعمالة
منزها المسألة. احتجاج الحكومتين المصرية والانجليزية الرسمية. بلوغ إنجلترا
النهائي. تعيين أعضاء اللجنة ومحمد بن الخوص. ملك الانجليزية هانس على عباس.
ولى عهد إنجلترا فى مصر ومطاب البكرى ر
الحدود فى الامانة. عود الى دسائس الاثره. وفاة البرنس محمد ابراهيم
ومير الدين. وشاية يعقبها انقاص مرتبى. هادئة دنشواى. القديو والنظار
والانجليزية. تأسيس شركة لبتنار والامانة ارد. مسألة المرتب أيضاً.

مسألة طابا. أسلفت أنه لما تولى عباس، أرادت تركيا لإخراج سينا من فرمان
التولية فعارضت إنجلترا، وانتهى الخلاف بأن بقيت إدارتها فى يد الحكومة المصرية.
وفى يناير أصدرت الحكومة أمرها إلى براملى بك مفتش جزيرة سينا بوضع
خفر من البوليس فى نقيب العقبة لمراقبة الحدود منعاً لتهرب الأسلحة، فلم يسمح له
اللواء رشدى باشا قائد الحامية التركية بالعقبة بذلك، فرجع وأخطر الحكومة التى
طلبت من السلطان تعيين لجنة من الأتراك والمصريين لتحديد التخوم بين سينا وسوريا،
فلم يحرك ساكناً.

عند ذلك أرسلت الحكومة المصرية بلوكا من العساكر النظامية مع الاميرالايين
سعد رفعت بك قومندان سينا وبراملى بك، على الواور نور البحر لاحتلال وادى طابا
فخزلوا بها رغم معارضة الأتراك.

وفى ١٠ يناير وردت برقية من الصدارة للتخديو هذا نصها : « علمنا من جواب



الاميرالاي سعد بك رفعت



الاميرالاي براملى بك

اللواء رشدى باشا، أن الاميرالايين سعد بك رفعت، وبراملى بك الانجليزى المرسلين من طرفكم على الواوور نور البحر الى طابا، أنزلا هناك خمسين جندياً نصبوا لهم معسكراً صغيراً. وأنه بالرغم من أن امير اللواء رشدى باشا أفهمهما بأنه لا محل لاقامتهم تجاه القره قول العثماني فانهما أصرا على رأيهما ومن حيث إن هذه الحال ربما جاءت بنتيجة قد لا تتفق مع الرضا العالى ومن حيث إنه يفهم أنكم لم تعطوا الآن تنبيهات من قبلكم فترجو حيتكم وديانتكم المسلم بهما العمل بسرعة على ملافاة هذه الحالة .

فاستدعى الخديو بطرس باشا، وتفاهم معه في الموضوع واجتمع بطرس بعد ذلك بالنظار، ثم تقرر بعد أن صدر الأمر بسحب القوه المصرية إلى جزيرة فرعون الرد على الصدر بالتالى : من القديم فأن موقع طابا تحت إدارة الحكومة المصرية . ومن الثابت أن التلغراف الوارد من مقامكم السامى يوم ١١ رمضان سنة ١٣٠٩ - ٩ أبريل سنة ١٨٩٢ بخصوص شبه جزيرة سيناء يقرر حفظ الحالة على ما كانت عليه ومن حيث إن قومندان العقبة يمانع في وجود العساكر المصرية هناك في حين أن الغرض من وجودهم هو منع تهريب الأسلحة ، ولكن منعاً

لسوء التفاهم أمرنا بسحبهم، ومن حيث إن ثقتي بأن هذا لا يرضى صاحب الجلالة الخليفة ، لحسماً لهذه المشاكل ومنع تكرارها ، أرجو تعيين مندوب من قبلكم ليتفق مع المندوب المصرى على تعيين الحد الفاصل وبذلك لا يقع تعرض آخر لاقامة العساكر المصرية الذين



جزيرة فرعون

نقضى الضرورة بوجودهم .

جاء الرد من الصدارة العظمى في أواخر يناير بما يأتي : « لعدم وجود خلاف بنقطة طابا المجاورة للعقبة فلا محل لتعيين خط فاصل ، ونرجو بذل هممكم في منع الخطر الذي يحدث من إنشاء نقطة عسكرية هناك . »

وبناء على هذا الرد أرسلت المدرعة وديانا ، إلى طابا في ١٧ فبراير لمنع المسكر التركية من التوغل في سيناء وللحفاظ على القوة المصرية بجزيرة فرعون وعدم احتلال الأتراك لها . وفي ١٨ منه تزاور قومندانها مع اللواء رشدي باشا .

وفي ٢٢ منه وردت برقية من الصدارة جاء فيها : « بما لا شك فيه أن حوالى العقبة هرت تحت إدارة السلطة السنية وأيضاً فإن المقاطعة المصرية هي من الأجزاء المتممة للمالك الشاهانية ولا حاجة لتعيين مندوب لاقامة خط الحدود ؛ وبالرغم من أنه كان يلزم صرف النظر عن إنشاء القره قولات العسكرية التي أرسلنا عنهما برقيتين ، فقد علينا أخيراً مع الأسف بإرسال مدرعة من طرفكم إلى طابا . وإرسالها لا يتفق مع سابق إشعار نظامتكم . ومن هنا تحدث مسألة لا موجب لها قد تكون منافية لصداقة التبعية ، إذا فرض وأنزلت المدرعة المسكر وأقامت نقطة هناك فترجو خاصة سحب المدرعة . »

تقرير هام من مختار باشا للحكومة المصرية . بعد ذلك قدم الفاضل مختار باشا إلى بطرس غالى باشا ناظر الخارجية تقريراً مطولاً عن المسألة تثبت به نصه لأهميته : « قبل الدخول في ماهية الحادثة نبين وجهة نظر الدولة العلية فنقول إنه في ١١ كانون ثانى سنة ١٣٢١ روى تسلمت برقية سامية من استانبول بناء على المعلومات الواردة عليها من قومندان العقبة جاء فيها : إن الإدارة المصرية شرعت في إحداث نقط عسكرية في جهات متعددة بين العقبة والعريش وأنه صار مخافة قومندان العقبة بمنع الانشاءات المذكورة وأخطرت الحدودية المصرية تلغرافياً بصرف النظر عن أمثال هذه المنشآت ، ذلك لأن الدولة العلية لا يمكنها السماح بإنشاءات عسكرية في نقط كان متروكا لإدارتها لمصر بصفة مؤقتة . وبناء عليه لما زورت الحدود وأكدت له المسألة ، قال لي بأنه أرسل تلغرافاً إلى نظامتكم بأن التدابير المذكورة كانت لتدعيم النظام في تلك النقط ، ولأنه لم يسبق تعيين الحدود فانه طلب في تلغرافه المذكور إرسال مندوبين لتعيين الحدود . وبعد ذلك سمعت بأن قومندان العقبة أخطر مأمورى مصر بعدم القيام بعمل أى منشآت هناك ، وأنه على الرغم من هذا الاخطار فقد علم بحصول الانشاءات . لذلك أرسل قوة

عسكرية لجدم ما استحدث ومنع العمل ؛ وعند وصول القوة تصادف وصول الوابور نور البحر وإخراجه خمسين نفرأ من المساكر للقيام بعمل الانشاءات ، ومن هذا الوقت حصل الخلاف الذى ما زال مستمراً . ولازالة هذا الخلاف يجب إيضاح ماهية المسألة فى تفسير علاقات مصر بالدولة فنقول :

التصرفات الملكية لمصر وإدارة أمورها الداخلية : كانت مصر من القديم فى قبضة الدولة وكلما دعت الحاجة تعين من قبلها والياً عليها لإدارة شئونها الداخلية لأنها من الأجزاء المتممة للدولة .

ولكن لسبب من الأسباب فان الوالى محمد على باشا قام ضد الدولة واتصرع عليها . وكان من أثر ذلك تصديق مندوبى انجلترا والنمسا وروسيا وبروسيا على حصول محمد على باشا على الفرمان العالى رقم ٢ ربيع الآخر سنة ١٢٥٧ الذى جاء فيه ... أبقي فى عهدكم بطريق الامتياز إدارة الخطة المصرية المحدودة بمحدودها القديمة المعينة بالخريطة المختومة بخاتم الصدارة ، مضموماً إلى ذلك الورائة وشروطها أنه كلما خلا محل الوالى يكون إسناد الولاية لأولاده وأولاد أولاده الذكور ؛ الأكبر فالأكبر ويكون تعيينهم بمعرفة الدولة العلية .

وفى حين انقراض الذكور يكون التعيين من حق الدولة وليس لأبناء الاناث حق فى منصب الولاية ... الخ ... وفى هذه العبارة ثلاث نقط مهمة .

أولاً : الخريطة المذكورة ، وعندى صورة منها ، وهى تحدد مصر شرقاً من العريش إلى السويس بوصل خط مستقيم يبقى فى شرقه أراضى ولاية الحجاز وسورية .

ثانياً : كلمة إبقاء التركية ، معناها أن مأموريته هى بحسب القديم ، أما إدارة مصر الداخلية فهى تحت قيود معينة منها امتياز الورائة ، أما حق التصرفات الملكية فهى بمثابة سائر الايالات الشاهانية (أى كما كانت فى قبضة الدولة العلية) .

والدليل هو أولاً : إنه عند انقراض الذكور ترجع الى الدولة أمور الادارة وثانياً : سكان مصر هم تابعون للرعية العثمانية وثالثاً : أن ليس للخديوية مناسبات سياسية مع الدول الأجنبية ورابعاً : قوتها العسكرية معدودة من القوة العمومية العثمانية . وأمثال ذلك لا يجعل فى الملكية من فرق بين مصر وسائر الولايات الشاهانية . وفقط إدارة الأمور الداخلية تدخل تحت القيود الموضوعه للامتياز وصاحب هذا الامتياز هو المرحوم محمد على باشا ومن بعده حسب قاعدة الورائة لواحد من أولاده وأحفاده

الذكور . وخلاصة القول أنه عند العودة لكلمة (مصر) يرد على المخاطر تصرفات الملكية والإدارة الداخلية ؛ فالكلمة الأولى دائماً محفوظة في قبضة الدولة ، والثانية هو أنه في دائرة القواعد المرسومة يكون من ورثة محمد علي باشا خديو يحمل رتبة الصدارة .

طريق الحج : قديماً كان طلب والى مصر التصريح له باستخدام موظفين مصريين وعساكر مصرية للحفاظ على طريق الحمل الذي يمر بطورسينا والعقبة ومذائن صالح ، ودام هذا الحال خلوفاً بعد سلف إلى ما قبل ١٥ سنة . ولما صار البدء بإرسال الحمل المصرى بحراً من السويس لم يبق من لزوم لطريق البر فالدولة رأت أن تربط إدارته بولاية الحجاز ، وعلى هذا كانت حدود مصر تبتدىء من الوجه وبعده ضبا ومويلح . وبعد تولية الحضرة الخديوية صار استرداد العقبة وصار ترك شبه جزيرة طورسينا لمصر بصفة حدود (بمقتضى تلغراف) يستبان منه هذه التفاصيل : أن الدولة بحسب قرار الدول المعين فيه الحد من العرش إلى السويس هو عبارة عن جزء ألحق ببناء على لزومه إلى الخريطة المصرية ، ولزوال الحاجة صار استرداد قسم منه وبقي شبه جزيرة طورسينا إلى إدارة مصر تحت استرداده عند اللزوم . لهذا لا يمكن قبوله بصفته حدوداً وإن قيام الإدارة المصرية بإنشاءات عسكرية فيه مخالفة ظاهرة كالشمس .

العساكر الشاهانية الموجودة بموقع طابا ، هي للحفاظ على هذا الحق وفي قسم من ممتلكات الدولة كان ملحقاً بمصر على سبيل الأمانة ؛ وقد يستخلص أيضاً أن التصرفات الملكية في مصر هي بيد الدولة مثل تصرفاتها في باقي الولايات وليس في الأمر معاهدة مبرمة عن طريق أجنبي فالدولة باعتبارها صاحبة الإلحاق لها كذلك حق الاسترداد ، خصوصاً أن الأراضي المتحدث عنها خارجة عن القرار الدولى . لهذا فهي في كل وقت خاضعة لما هو جار لسائر الولايات .

فاذا قيل بفرض أن هذه الأراضي بموجب التلغراف رقم ٧ أبريل سنة ١٨٩٤ بقيت لمصر ، كما صار لإبلاغ بعض الدول ، فالجواب هو أن التبليغ لم يتضمن الإلحاق وليس هناك صراحة قطعية بذلك بل على العكس فإن كلمة إبقاء التي ذكرت في البلاغ لبعض الدول تفيد المحافظة على الحدود القديمة وهي بمثابة إعلان فقط بأن مصر هي المرجع في كل ما يتعلق بهذه النقطة .

لذلك لم نفهم السبب الموجب للحدة والاعداد الحاصل من جراء منع الانشاءات العسكرية ، وعدم قبول تعيين الحدود في أرض تركت لمصر مع قابليتها للاسترداد ؛

مع كون ذلك من الحقوق الصريحة للدولة وعلى الخصوص التهديد الواقع بارسال الوابور البحرى ديانا قد يفهم أن مصر ظنت أن لها الخط المرسوم بين العقبة والعريش . ولكن الحقيقة أن النهاية لشبه جزيرة طورسينا وقال السويس وخليج العقبة من الشمال والخط الواصل منها الى الجنوب يتشكل منها قطعة مثلثة .

وإن هذا الخط هو حدود بين الدول — فادارة المثلث المتخلف من هذا الخط بين العريش والسويس وإن كانت لولاية الحجاز إلا أنه صار السكوت عليها الى الآن . على أن تطور مسألة العساكر الشاهانية وتهديدهم في موقع طابا إن هو لإلا حق صريح للدولة جعلها مجبورة للبحث فيه .

وفي الواقع كذلك أن الخط الممتد من العقبة الى العريش وإن كان بشكل شبه جزيرة كبيرة وأن النهاية الشمالية للخليج مع إحصائها بالخط المتقدم يتشكل منها منطقة صغيرة هي طورسينا وأن كل خليج من خلجان هذه المنطقة يعرف باسمه الخاص .

بناء عليه يجب العلم بأنه من حق الدولة العليا في كل يوم إرسال عساكرها لغاية جهة السويس .

موقع طابا المختلف عليه والداخل في شبه الجزيرة إن كانت إدارته تركت لمصر فإن مرور فرع خط السكة الحديد الحجازية من العقبة يجعل منه ميناء بالخليج وأن سواحل الميناء لا تكون في يد إدارتين . ومع أن الملكية للدولة فإن كل ما هناك هو عبارة عن ساحة جبلية صخرية لا تنفع بشيء . وإن ترك إدارتها للدولة لن يضر ذلك لمصر في شيء .

وحيث إنه لم يكن لدولة انجلترا أى مناسبة في موقع طابا فليس لوجود الباخرة ديانا أى معنى لأية شكوى لحق الكلام هو لسمو الخديو وحده فلذلك يرد على الخاطر بأن سموه هو العامل على وجود هذه السفينة هناك .

وحيث إنه من أهم وظائف الخليفة المعظم تأمين سلامة طريق الحج ، وكان أمر المحافظة يقوم به ولاية مصر إلا أنه من بعد سيكون جلالة الخليفة مجبوراً على القيام به . فأعرض لفخامتكم الكيفية رجاء أن تفضلوا بمطالعة الشيء في وقته .

ولما اطلع الخديو على هذا التقرير تباحث ومصطفى فهمى باشا وبطرس باشا فيما جاء به . وبعد محاضرة الأخيرين للورد كرومر قدما لسموه تقريراً منه بوجوب حفظ

١٩٠٦

— ٨٣ —

حقوق مصر في سيناء ، وبعد المناقشة فيه عدلت عباراته الشديدة . وفي اليوم التالي بعث سموه برسالة سرية للصدارة هذه ترجمتها :

« بناء على التلغراف الوارد أخيراً من نظامتكم حصلت محادثتنا مع صاحب الدولة مختار باشا بحضور رئيس مجلس النظار وناظر خارجتنا ، وكان من الطبعي الرد على جوابه في اليوم التالي .

لمحضر لدينا في اليوم التالي الرئيس مع ناظر الخارجية ، وعرفنا بأن تقرير دولة مختار باشا لا يمكن قبوله لما فيه من تجاوز لحقوق مصر المتنازعة ، وقدمنا إلينا تقريراً بهذا الصدد ، وقالوا بوجوب إرساله إلى الباب العالي ، فبعد محو وإثبات فيه قبلناه منهما مع الاضطرار والأسف ، لأن الرفض قد لا يمكن توقيعه مع موقفنا ولا أرى من حاجة للايضاح .

ماهية هذا التقرير هو أن الحدود المصرية في شبه جزيرة طوبر سيناء تنتهي بالعقبة ، ويدخل في هذا التحديد موقع طابا ؛ ذلك لأنه بمرور تلغرافكم السامي مع فرمان الأخير كانت نظارة خارجتنا بينت الحدود المصرية بناء على طلب المورد كرومر فيما مر ، وهذا هو سبب الاحتجاج الواقع الآن .

ولما كان هذا التقرير مغايراً بالمرّة لأرائي وأن صداقتي ووجداني لا يقبلان كتمانها ، وكنت أيضاً مجبراً على تقديمه ، فقد فملت ذلك بعد محو وإثبات ، تاركا تقدير الواقع لشرف نظامتكم .

وحيث إنه من ضمن الأغراض الخفية ، التي يعمل بعضهم عليها ، تصويري في نظر متبوعي المعظم بصورة أخرى ، لكنني أمين بأن حالي ومقالي يحولان دون ذلك . أما فيما يختص بطريقة حل وتسوية هذه المسألة فانه جاء في خاطري أن يكون رد نظامتكم على التقرير المذكور بما يأتي :

إن التفسير والايضاح هما من حق صاحب الأمر والفرمان دون سواء . وعلى كل حال فانه من الأمور المسلم بها أن الدولة التي تترك مؤقتاً لجهة من جهاتها أمر إدارة جهة ، لها عند اللزوم والحاجة أن تستردها فيقال في هذه الحال :

قضت الضرورة بالحاق الجهة الفلانية بصوردة قطعية إلى ولاية الحجاز ، والحدود

المصرية تعتبر من نقطة د كذا ، ويكون تفرافكم بصورة قطعية بغض النظر عن جوابنا الذى نص فيه على عدم القبول ، هذا على ما أظن هو الحل .

وحيث إنه ثابت من تحرياتي الخصوصية أنه ليس ثم من حق سياسى ولا من سبب للتطور فاني كفيل بأنه لا يمكن تدخل أى طرف آخر . ،
وعلى أثر وصول هذه الرسالة السرية للاستانة جاء الرد بما يأتي :

وكان قد صرح للادارة المصرية بإيجاد عساكر بقدر اللزوم في الوجه ومويلح وطابا والعقبة وبعض مواقع من شبه جزيرة طورسينا وسواحل الحجاز بسبب إرسال المحمل المصرى بطريق البر كما هو في علمكم السامى .

وبما أن هذه المواقع لم تدخل في خريطة التحديد المصرية المرفقة مع فرمان الصادر إلى المرحوم محمد على باشا في سنة ١٢٥٧ هـ ، ولمساس الحاجة أعيدت الوجه أولا وبعدها طابا ومويلح والآن العقبة إلى ولاية الحجاز .

أما شبه جزيرة طورسينا فقد صدرت الارادة الشاهانية بالمحافظة على الحدود المنوطة إلى محمد على باشا وجدكم اسماعيل باشا والدكم كما كانت من قبل . ،
ثم وردت رسالة خاصة من الباب العالي للتخديو هذا نصها :

و أنشرف بأن أعرض لسموكم أن إشعار نقامتكم المتضمن لإعادة موقعى طابا والمويلح إلى إدارة ولاية الحجاز وتبليغاتكم الفخيمة في شأن طريق الصدق والاخلاص الذى اتخذتموه مع الباب العالي ، قد استوجب حصول التقدير والمحظوظية لدى مولانا ملجأ الخلافة ، وبحسب ما أمرت به أبشر نقامتكم بسلام الحضرة السلطانية العالي .

وعلى حسب إشعار نقامتكم قد أجرينا التنبيهات على من لزم لأخذ موقعى طابا والمويلح تحت الادارة مباشرة

أما موقع العقبة فالف فرمان العالي الذى أعطى إلى المرحوم محمد على باشا في ٢ ربيع آخر سنة ١٢٥٧ كما أنه مندرج به جملة الآيالة المصرية المحدودة بالحدود القديمة المعلومة المشروجة في الخريطة التى أرسلت في ذاك الوقت محتوم عليها بختم مقام الصدارة .

كذلك كافة فرمانات العالية التى أعطيت إلى مصر كان معطوف فيها حدود مصر على فرمان العالي المين أعلاه .

وحيث لا بد أن يكون الفرمان الصالى المذكور والخريطة المنبأ عنها موجودين وعحفوطين هناك ، فطلبهما والاطلاع عليهما لا شك أنه يزول التردد الحاصل لدى نظامتكم في هذا الخصوص .

ثم بناء على أن إعادة ارتباط مرفق العقبة في الوقت الحاضر إلى ولاية الحجاز هو من أم وأزم الأمور ، والهمة الجليلة التي تقع من نظامتكم في هذا الباب تستلزم محظوظية على انفرادها لدى الحضرة الشاهانية صار ينتظر من اتساع وعبودية نظامتكم المسئلة للأعتاب العلية حصول نهو هذا الأمر بدون إعطاء فرصة لتسكن المداخلات الأجنبية واستكمال الأسباب السريعة لإعادة ارتباط موقع العقبة بولاية الحجاز كما تقتضيه شيتكم الجليلة المنظوية على العلم بدقائق الأمور .

هذا وقد أمر حضرة احمد مختار باشا باعطاء الايضاحات المقتضية لذاتكم السامية في هذا الخصوص التدم .

سفرى لمرستات زوهار المسألة . عند ذلك تقرر سفرى في معية الوالدة وسافرنا من القاهرة في ١١ أبريل ومعى ملف بصور جميع المكاتبات والوثائق المتعلقة بمسألة طابا .

تعليمات الخديو : وكانت التعليمات التي أعطيت لى أن أقول في السراى إن الجناب العالى بذل كل ما يستطيعه ولا يزال على ولائه للسلطان ، وأن أقابل سفير إنجلترا ؛ ولكن لا أبوح له بالمكاتبات السرية ؛ وكنت قد استشرت بطرس باشا قبل السفر فيما إذا طلب السفير محادثتى فهل أحادثه في شىء ، فأجاب بأن لا مانع وأنه سيخبر كرومر بذلك .

السفر : وركبنا الباخرة « برنس عباس » ، وفي ١٥ منه وصلنا الاستانة لجاء القزلز أغاسى والفريق حسنى باشا للسلام على دولة الوالدة من طرف السلطان .

في المابين : وقد ذهب على الأثر إلى بلد ، فلم أجد رئيس الكتاب ، فتوجهت إلى نوري باشا وسلته الوثائق ورجوته عرض احترام وإخلاص الخديو للسلطان ، وتقبيل الاعتساب من طرفى ، فدخل ثم عاد بشكر الخديو والسلام لى ؛ وقال لى إن جلالته أمر بمحضورى غداً عند رئيس الكتاب .

وقد ذهب في الميعاد المحدد فسلبت على تحسين باشا وأبلغته تحية الخديو ؛ ثم دخل على السلطان وعاد فأبلغنى أن جلالته متأكد أن سمو الخديو يعارض الرغبات السلطانية في مسألة العقبة ، وأبدى ملاحظات ومعاومات تؤيد أن طابا من أراضى

الدولة ، وكلفني أن أكتب للخديو بذلك ثم قال : إن مختار باشا أرسل يطلب أن تبعث الدولة برقية معينة للحكومة المصرية فلم يوافق السلطان عليها وفضل أن تحمل المسألة بمعرفة الخديو .

زيارتى للصدر الأعظم : وفي ١٦ أبريل قابلت فريد باشا الصدر الأعظم فرحب بي . وقد قال لي مثل ما قاله تحسين باشا من جهة السلطان وعن مسألة العقبة . ثم أضاف بأنه كان الوحيد الذى دافع عن الخديو حتى اتهمه السلطان بالتحير له ؛ ولكنه اقتنع أخيراً باخلاص عباس وبأن من صالح الدولة أن يكون التسامح والمتبوع على وفاق ، لا سيما والخديو رجل غلص وصادق الاسلام ومحب للدولة والسلطان ؛ ثم كلفني أن أخبر الجناب العالى بأنه سيبدل كل مجهود لمعاونة سموه فى الاستانة فى المسائل الرسمية ، وأنه ينصح أن تكون المراسلات الخاصة بالعقبة للسراى رأساً وأن الانجليز أميل الآن إلى التساهل فى الموضوع .

حديثى مع سفير إنجلترا : وفي ١٧ منه قابلت سفير إنجلترا ودار بيننا الحديث حول مسألة العقبة ، فعلمت منه أنه فى ابتداء المشكلة طلب إلى الباب العالى إخلاء طابا وبعدئذ تدور مفاوضات لحل المشكلة ؛ وكان الباب العالى عازماً على القبول ، ولكن ثبت أن الأتراك ينوون احتلال جزيرة فرعون لولا إرسال العساكر المصرية واحتلالهم إياها ؛ وقد هددهم الأتراك باخراجهم بالقوة إلا أن حضور المدرعة الانجليزية ديانا حال دون ذلك ، وأن الباب العالى كان قد عين اثنين من الضباط للتفاهم فى مسألة الحدود ولكنهما عادا للاستانة بعد مقابلة الغازى لها .

ويمزى تغيير خطة الباب العالى فى التمسك والتشدد إلى الغازى مختار باشا وأحمد عزت العابد باشا .

وقد فهمت من حديثه أن دولته متمسكة بوجهة نظرها وهى إخلاء طابا من الجنود الأتراك ، وذلك عكس ما فهمت من الصدر الأعظم عن خطة إنجلترا . وقد قال لى السفير : إن هذه المسألة لو سلمنا فيها للباب العالى فانه يتدخل بعدها فى كل شيء . ثم تحدثت معى فى أن الصحف المصرية عدا المقطم تناصر الباب العالى وتسامل عن السبب فى ذلك ، فأجبت بأن اللواء — لسان حال مصطفى كامل وجماعته — متصلة بالغازى فتبدأ بنشر آرائه وتتبعها الصحف الأخرى ، فليج لى بأنه يجب القيام بعمل شيء لتدارك هذا التيار الضار .

١٩٠٦

ثم قابلته في اليوم التالي في مادبة عند سفير إيران فقال لي : د إنه ينتظر النتيجة كمتفرج مثل أبي الهول ! أوجريدة اسكتاتور الانجليزية ١ ،

وفي ٢٢ أبريل ورد لي من مصر كتاب باسم الصدر الأعظم ، وكتب لي عزت بك بأن أحمله إليه بنفسى ، وأخبرنى أن الصدر كان قد أرسل برقية لمصر خاصة بنتيجة المخابرات مع مختار باشا ، فأرسل الرد عليه في صيغة غير لائقة ، واضطر الحديو أن يجارى رجال الاحتلال في قبول هذه الصيغة ، وهو بأسف لذلك ويكلفنى إبلاغه للصدر شفاهاً فضلاً عن أن سموه كتب له تقريراً بالأسباب التى دعت إلى أن يكون الرد بهذه الصيغة والتقرير مرفق بالرد .

وقد توجهت للصدارة في اليوم التالى فسلمت الرسالة الصدر ، وبينما كان يقرأها دخل شخص لا أعرفه فبدأ على الصدر الامتناع لوجوده وثنى بجانب التقرير حتى لا يرى ما فيه ، ثم قال لي بالفرنسية : د أخبر الجناب العالى أننا نجري اللام الآن لانها مسألة طابا ويلزم أن يساعدنا ، فقلت له : د إن بطرس باشا ينتظر المعونة في مسألة الدير بالقدس . فاجابنى : د عليه مساعدتنا في مسألتنا ، وعلى أن أرضيه تمام الرضاء . ثم خرجت .

وقد قابلت زمباكو باشا فعلبت منه أن الباب العالى سيعمل على حل المشكل بصفة ودية ، يعنى أنه سيتساهل في موقفه ، ففهمت معنى ما قاله لى الصدر من أن المسألة في طريقها للحل .



القومندان ريموث

انفجاج الحكومتين المصرية

والانجليزية الرسمية . بعد ذلك جاءني نبأ بأن الأتراك أرسلوا نفراً لاحتلال رفح . وفعلا أزالوا صمودى الحدود ونصبوا الأعمدة التركية محل أعمدة التلغراف المصرية فصدرت الأوامر بقيام المدرعة مينرفا وعليها قومنذاتها ويموث معتمداً من قبل الحكومة البريطانية ونعموم بك شقير معتمداً من قبل الحكومة المصرية ، فلها

وصلت المدرعة في ٢٨ أبريل أرسل قومندانها إلى قومندان العساكر الشاهانية ما يأتي:
 « قومندان العساكر الشاهانية برفح . بعد السلام أكتب إليكم هذا لأخبركم أني
 جئت مندوباً من قبل الحكومة البريطانية لمقابلتكم بشأن خط الحدود ويمكنني الانتظار
 هنا ساعتين فقط فاما أن تأتوا إلى أو أذهب إليكم ومعى نعم شقيق بك الذى حضر
 مندوباً عن حكومة مصر وأرجو أن تتكرموا بالرد حالاً مع رافعه . واعلموا أن
 مأموريتنا هذه هي مأمورية ودية سلمية ويمكن انتهائها بمقابلة قصيرة . فلنالم بحضور رغم
 الانتظار أرسل المبعثدان إليه هذا الاحتجاج :



عمودا الحدود برفح

« حضرة قومندان العساكر الشاهانية
 برفح . نعلم حضرتمكم أننا انتظرنا خمس ساعات
 في بيت التلغراف ثجه معسكركم لأجل مقابلتكم
 فلا حضرتم ولا أرسلتم جواباً ، فعدنا إلى
 الواور وقد لاحظنا أن عمودى الحدود اللذين
 كانا قائمين عن جانبي السدرة التي عسكرتم
 بقرها قد رفعا من مكانهما ولا حظنا أيضاً أن

عمد التلغراف المصرى من خط الحدود إلى طريق بئر رفح قد بدلت بعبد أخرى ،
 فبالنيابة عن الحكومة المصرية والحكومة البريطانية نحتج على فعلكم هذا احتجاجاً شديداً
 ونطلب أن تعيدوا عمودى الحدود وعمد التلغراف إلى أماكنها وتحفظوا على الحدود
 المقررة وسنرسل نسخة من كتابنا هذا إلى رجال الحل والعقد من المصريين والانجليز
 في مصر وإذا أجبتكم مخاطبتنا فالطراد لا يسافر من ميناء رفح قبل صباح الغد الثلاثاء
 الساعة تسعة أفرنجى . »

وفي اليوم التالى حضر القومندان وقابل نعم شقيق بك وقال له : « بما أنك معتمد
 الحكومة المصرية فاني أفأوضحك ولكن الكبتن ويموث معتمد الحكومة البريطانية فاني
 أستقبله كزائر . » ثم أفهمه نعم بك أن هذه الرسالة هي احتجاج رسمي ؛ وحفظاً
 للسلمة عليه أن يكتب لحكومته بتعيين لجنة مختلطة من أترك ومصريين لتعيين حدود
 طابا والعقبة .

بلاغ انجلترا النهائي . وفي ١٢ مايو سمعت إشاعة مضمونها أن انجلترا
 أرسلت أسطولها إلى بيرة للقيام بمظاهرة بحرية ضد الدولة بخصوص طابا وأنها أرسلت

للدولة لإنذاراً باخلاستها ، ولم أستطع التأكد من صحة هذه الاشاعة تماماً فقابلت السفير لانيجليزى فأعلمنى أن انجلترا لما رأت أن في قبول مطالب تركيا خطراً على حرية القنال ومصر والعائلة الخديوية أو عز وزير خارجيتها السير ادوارد جراى إليه فرفع إلى الباب العالى بلاغ حكومته النهائى بتاريخ اليوم بدعوه إلى إجابة مطالب انجلترا فى عشرة أيام وهذه المطالب هى : ١ — إخلاء طابا ٢ — عود عساكر رفع إلى خدم ٣ — إعادة عمودى الحدود فى رفع إلى مكانهما .

وقال لى إن السلطان صرح له بأنه لم يكن يعلم أن مسألة طابا قد تخرجت إلى هذا الحد وأن جلالة لما علم أمر بقبول وجهة النظر الانجليزية بشأنها .

وفى ١٤ منه بعث توفيق باشا الصدر الأعظم الذى خلف المرحوم فريد باشا الرسالة الآتية إلى السير نيقولاس أوكونور السفير الانجليزى بالاستانة : « نشرف بالمذكرة التى تكرمت بارسالها إلى فى ١٢ الجارى بشأن احتلال طابا وقد قرأ رأى على أن الضباط أركان حرب الموجودين الآن فى العقبة والموظفين الذين يتنبذون من قبل سمو الخديو يبرون معاً على الأمكنة اللازمة ليجهرو التحريات الفنية على مقتضى القواعد الطبوغرافية ويعينوا على خريطة النقط الطبيعية التى يكون بها ضمان الحالة الحاضرة وبقاء القديم على قدمه فى شبه جزيرة سينا وأن يرسموا خطأ للحدود يتبدى من رفع بقرب العريش ويتجه جنوباً بشرق على خط مستقيم تقريباً إلى نقطة على خليج العقبة تبعد على الأقل ٣ أميال من العقبة وبذلك تكون الرغائب التى أبدتموها سعادتكم فى رسالتكم المشار اليها قد تحققت تماماً — هذا ونسأل سعادتكم أن تبلغوا ذلك الى لندن ونأمل أن حكومة جلالة الملك ترى بذلك برهاناً جديداً على رغبتنا الشديدة فى دوام حفظ العلاقات بيننا على دعائم المودة التامة وأن فى إبداء حكومة جلالتنا تمام ارياحها لذلك دليلاً على القيمة التى تعلقها على حفظ وتوطيد العلاقات الحسنة الكائنة لحسن الحظ بين الحكومتين — افندم الامعاء تولىق »

وقد أرسلت للخديو رسالة بتاريخ ٢٨ مايو جاء فيها : « انتهت مسألة طابا ، ولكن الجميع ساخطون هنا على الغازى مختار باشا وبالأخص السلطان والصدر وناظر الحرية وقد سمعت أحد النظار يقول إن مختار باشا خدم صالحه الشخصى بأخذه سراى نمرة ٣ ولم يفكر فى خدمة الدولة ، والصدر يقول إن الدولة العلية لم تتخابر حتى اليوم بصفة رسمية مع انجلترا بشأن مصر ، ولكن سياسة مختار باشا اضطرتها للخبايرة فى مسألة طابا ولا يخفى ما فى ذلك من النتائج الضارة بتركيا ومصر .

وبالاختصار فالرأى العام هنا تبيح ضد الغازى وراض عن خطة الجناب العالى لدفاعه عن مصالح الدولة والدين رغم حرج مركز سموه . وقد ظهر لسيدى مما سبق عرضه أن سكوت الانجليز لم يكن إلا ظاهرياً وأنهم ضغطوا على الدولة عند اللزوم للحصول على غايتهم ، لأنهم يعلمون أن سياسة الدولة فى كل المسائل كانت تشديداً ثم تهرباً كما حدث مع كثير من الدول .

وقد حدث فى الايام الاخيرة أن وابوراً بخاريماً ألمانيا كان بمياه السفور فضبطه رجال الدولة أمام باشا بفجعه بحجة فارغة ، فاشتغل السفير لهذا التصرف وركب فى هذا الوابور ورفع فوقه العلم الألمانى ، وأمر قومندانيه بالسير فلم يتعرض له أحد ، وهو الآن يطالب بمبلغ سبعمائة جنيه تعويضاً عن العطل والاضرار . فهكذا أحوالنا هنا ولا حول ولا قوة إلا بالله . . .

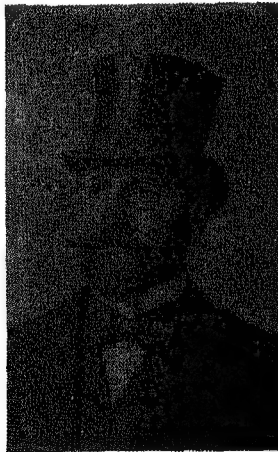
نعيين أعضاء اللجنة ومحريري النصوص . بعد ذلك عدت إلى مصر فوصلتها يوم ٢٨ يونيو . وصدر أمر الباب العالى إلى المندوبين العثمانيين فى العقبة أن يجتمعوا مع من تفتدبهم مصر لتعيين خط الحدود ، فانتدبت الحكومة المصرية لجنة مكونة من اللواء ابراهيم فتحى باشا والأمير الاى أوين بك مدير المخابرات وتعين نعم شقير بك سكرتيراً لهذه اللجنة التى قامت بمهمتها وعينت الحدود بتعيين خط فاصل إدارى بين ولاية الحجاز ومتصرفية القدس وبين شبه جزيرة طور سيناء . وفى أول اكتوبر وقّع مندوبو الحكومتين التركية والمصرية هذه الاتفاقية وأنهى الاشكال .



اليوزباشى اسماعيل الملقى افندى

وصدرت الاوامر إلى اسماعيل افندى الملقى اليوزباشى بمصاحبة الاشغال بالجيش المصرى والمستتر ويد أحد مهندسى اللجنة المصرية ، بالقيام إلى طابا مع بعض الضباط والعساكر والبنائين ، لإقامة أعمدة الحد . فوصلوها فى ٤ ديسمبر وفى ٣١ منه أنهوا بناء أول عامود على رأس طابا وأعطى نمرة ٩١ ، وآخر عامود على تل الحراب فى ميناء رفح أنهموا لإقامته فى ٩ فبراير سنة ١٩٠٧ . وأعطوه نمرة ١٠١ .

ملك الانجليز هانن على عباس . سمعت من البرنس حسين كامل باشا أن ملك الانجليز كان يعطف على الخديو ويحبه ؛ وكان يعتقد أنه إزاء هذا العطف مخلص له ولكن مسألة طابا غيرت مجرى الأمور ، لأن الانجليز في مصر وفي الاسنانة تمكنوا من الحصول على صور البرقيات التي تبودلت بين الخديو والاسنانة وكانت كلها ضدهم ، مع أن الخديو كان يظهر لهم بالعكس أنه معهم ومخابراته في صالحهم ؛ فلما اطلع عليها الملك قال : « كنت أظن أن الخديو معنا ، ولكننا نعرف الآن أنه يظهر لنا غير ما يضمن فلا تثق به . » وهذه الحالة خسر الخديو عضداً قوياً ضد كرومر ، لأن الملك كان يعترض على تصرفات اللورد ضد الخديو ، أما الآن فان جلالة قد غير اعتقاده وخطته . وأخبرني البرنس حسين كامل باشا أيضاً أن هناك سبباً آخر لوقوف الملك ضد كرومر ؛ ذلك أنه كان يود أن يعمل اللورد على مساعدة السير إرنست كاسل في مشروعاته المالية بمصر حتى تثمر وتزدهر ، لأن الملك في حاجة مستمرة للبال ؛ ولكن كرومر لم يكن ميالاً لمساعدة كاسل ، لأنه صديق الملك ويمد جلالاته بالمال ، فلهذا كان الملك والسير كاسل يضمنان معارضة اللورد .



السير إرنست كاسل

ثم قال البرنس بأن السير كاسل زاره بعد مقابلاته للجناب العالي ، وتكلما سوياً عن الخديو فلم يجده متحمساً له ؛ وقال إنه كتب اسمه في دفتر التشريفات أولاً وإنه عندما قرب ميعد سفره تذكر أن الخديو كان ضيفه يوماً من الأيام وبينهما مودة فطلب مقابلة سموه .

وأضاف السير كاسل إلى ذلك أنه يتوقع أن تقع بمصر في الشتاء المقبل حوادث سيئة لأن كرومر سيعود بالأوامر الشديدة ؛ فسأله البرنس عما يحسن أن

يفعله الخديو مع الملك ، فقال إنه يجب التأنى وعدم الاندفاع في شيء .

هذا وقد أخبرني دومرتين باشا أنه رجا السير إرنست كاسل في أن يعمل لاصلاح العلاقات بين الخديو والملك .

ثم علمت منه أيضاً أن اللورد كرومر ، أثناء المفاوضات التي جرت بخصوص طابا ، جاء للخديو يوماً وقال له بصراحة : إنه حصل على صور البرقيات والمكاتبات المتبادلة بينه وبين السلطان ، ويفهم منها بأن الانجليز ضد صالح مصر . وأنه علم من بروستر بك أن الذى يشجع الخديو على العمل ضد الانجليز هى شخصية تعمل من وراء ستار وأنها كلما جاء اللورد لمقابلة سموه ، فانها تجلس وراء الباب الفاصل بين قاعة الاستقبال وغرفة المكتب ، وتستمع للمحادثة التي تدور بين الاثنين . وقال له بروستر إن الانجليز يبشون الآن فى مسألة خلع الخديو .

وحدثني دومرتينو باشا بأن كاسل قال للخديو عند مقابلته لسموه إن ملك انجلترا متأثر جداً من سموه ، وأنه قال : : إني لا أعتذر للخديو أنه جعلني على وشك الدخول فى حرب مع تركيا . ، وأضاف كاسل إلى ذلك أنه يصعب ، الآن تحقيق أمنية الخديو فى إصلاح الأمور بين الطرفين .

ولى عهد انجلترا ومطالب البكرى له . فى ٢٩ مارس حضر البرنس دوجال وقريته وكان فى استقباله فى المحطة الخديو وشقيقه ، والنظار والمستشارون والوكلاء والمحافظ ، وكبار رجال المية ؟ وكذلك استقبله اللورد كرومر وقريته ؛ وقد ركب الجناح العالى مع البرنس فى عربة ، وركب البرنس محمد على مع البرنيس دوجال ، وركب الباقون العربات خالفهم .

وكانت الطريق خاصة بالجمهور المحتشد بين المحطة وسراى عابدين لمشاهدة الموكب ولكن الاستقبال كان فاتراً فلم يصفق ولم يهتف أحد .

وبلغنى من الخديو أن البرنس استاء من الفرقة الموسيقية الانجليزية التي كانت فى استقباله ، لأنها لم تتم عزف السلام الملكى .

وفى ٣١ مارس تناول طعام الغداء على مائدة السردار بالعباسية ، وشاهد ألعاباً رياضية قامت بها الجنود .

وفى مساء اليوم نفسه أقام له الخديو مأدبة عشاء فخمة .

ولى العهد وأعضاء مجلس الشورى : وكان أعضاء مجلس شورى القوانين قد طلبوا مقابلة البرنس فأذن لهم بذلك وساء الخديو تصرفهم هذا ؛ إذ كان سموه يريد

أن يقدمهم أحد رجال التشريفات . ولما قابلهم البرنس خاطبهم باعتبارهم نواب البلاد . وقد خطب رئيس الجمعية العمومية أمام سموه ، وطلب في خطبته أن يراد الجزء المخصص للتعليم من الميزانية المصرية ، لأن المقرر الآن لا يكفي لسد حاجة البلاد .

وبعد خروجهم من عنده فكروا في إرسال عريضة إليه ، يطلبون منه فيها التوسط لدى خديويهم في منح البلاد نظام الحكم الدستوري . ولكنهم عادوا فأروا أن في هذا التصرف إخراجاً لعباس . فقرروا أن يتقدم السيد محمد توفيق البكرى عضو مجلس الشورى إلى البرنس على صفحات الصحف بكتاب مفتوح . يعرب فيه لسموه عن أمانى الأمة المصرية ، وهذا نص الكتاب :

« إلى صاحب السمو ولى عهد الدولة البريطانية . من سباحة السيد البكرى نقيب أشرف الديار المصرية .

يا صاحب السمو الملكى :

إن المصريين لمتهجوا سروراً بزيارة سمو ولى عهد أكبر دولة في الأرض بسطة في الملك ، ونفوذاً في عالم السياسة . هذه الدولة التى قام بناؤها العالى المتين على أساطين قوة الدستور والحرية الشخصية ، ورعاية ألحق لها وللغير . هذه الدولة التى احتلت بلادنا منذ ثلاثة وعشرين عاماً ، على أن تمنحها كل وجوه الرق ، لتسلبها زمام أمرها .

ولقد استبشر المصريون وابتهجوا في أنكم تنازلتم وخصصتم أعضاء مجلس شورى القوانين بخطوة مقابلتكم العلية ، بل فوق ذلك تفضلتم ولقبتموهم في خطاب سموكم المنيف « نواب الأمة » ، مما أودع في المصريين الأمل أن تكون هذه المقابلة أشرف ذكرى عند الأمة المصرية ، متى أصبح أمثال هؤلاء الذين تشرّفوا بمقابلة سموكم من رجالاتها نواباً حقيقيين .

المصريون يا صاحب السمو الملكى أكثر الأمم وفاء لمن يسديهم الجليل ، وهم يعترفون سراً وجرراً بالتقدم المادى العظيم الذى نتج لوادى النيل من مهارة المهندسين الانجليز ، ومن أعمال موظفى الاحتلال الصادقين .

ولكن الأمة التى كان لها دستور نيابى قبل عهد الاحتلال ، ولم ينشأ مجلس الشورى بشكله الذى هو عليه في أول الاحتلال ، الا مع وعد من اللورد دوفرين مندوب بريطانيا العظمى إذ ذاك — أن يكون هذا المجلس بعد قليل من السنين مجلساً

نيابياً كاملاً، يساعد الحكومة على أداء وظيفتها أحسن أداء، لابد أن تذكر هذا الامتياز الذى كان لها دائماً، كما أنها لا تنسى هذا الوعد بالحصول عليه، وهى اليوم وقد سميت أعيانها نواباً أكثر ما تكون ذكراً له، رجاء أن تكون زيارة سموكم سبباً كبيراً فى مساعدة عاجلة من دولة بريطانيا العظمى، لنيل المصريين دستوراً نيابياً شريفاً. ذلك الدستور الذى التمسته الجمعية العمومية (وأعضاء مجلس شورى القوانين من جملتها) من جانب الحكومة الخديوية رسمياً قبل سنتين . ذلك الدستور الذى قال عنه جلالة والدمك المعظم أخيراً فى البرلمان : « إن البلاد التى منحتها الإمبراطورية الانجليزية حكومة نيابية أدى ذلك الى نموها وتقدمها وسعادتها ، كما أدى الى ازدياد روابط الصداقة بينها وبين الإمبراطورية . فنفعل يا صاحب السمو الملكى ، واجعل هذه الزيارة الشريفة خير مذكر لدولة بريطانيا العظمى بالوفاء بوعدها ، فى أول عهد احتلالها ، لتبقى لهذه الزيارة أشرف الذكرى وأدومها لدى المصريين . »

وقد نشر هذا الخطاب أولاً فى صحيفة المؤيد بتاريخ ٣ أبريل، وعلقت عليه بقولها :
« لقد أحسن سياحته فى أسلوبه ، وبتضمنه تلك الكلمة العالية التى ألقاها جلالة الملك ادورد السابع ملك إنجلترا وأمبراطور الهند والمستعمرات البريطانية ووالد صاحب السمو ضيف مصر العظيم اليوم ، من أن كل أمة لانجلترا سيادة عليها أو شأن فيها منحها دستوراً نيابياً ، عاد عليها بالتقدم والسعادة ، وزاد فى روابطها مع الدولة البريطانية . »
وبعد ذلك نشرته الأهرام والمقطم والظاهر والجوائب المصرية ، ونشرت خلاصته جريدتا الوطن ومصر ، وترجمته من العربية إلى الانجليزية جريدة الغاريت اجديسيان والجورنال دى ~~سكس~~ سطر والبروجريه ، ونشرت خلاصته جريدة الاجبت ومورنن نيوز والفارادى الكسندى وكثير من الصحف الطليانية ، وعلق كثير من الصحف المصرية عليه تعليقات مؤداها أن الشعب المصرى أصبح يشعر بحقوقه ، وأن هذا الخطاب دليل الحياة وشعور الأمة بالضغط عليها .

أما الجرائد الانجليزية فلم تعلق عليه بشئ . وأما جريدة البروجريه المنحازة لدار المعتمد الانجليزى ، فقالت انه لم يحن الوقت لمصر أن تكون فيها حكومة نيابية . ونحن لا نرى من الوطنيين واحداً فقط متضلماً فى المعلومات الأساسية اللازمة لهذه الغاية ، وكذلك قالت بعض الصحف الفرنسية بهذا الرأى .

وقد ردت المؤيد قائلة :

١٩٠٦

ولا يهيم المصريون أن يكون بعض الأجانب في مصر أو كلهم ضد هذا الاقتراح ؛ لأن هؤلاء يجنون أن يتوغلوا في استنزاف ثروة المصريين واستلاب أموالهم وأملأهم بكل العوامل التي في أيديهم الآن من الامتيازات ، ومبادلة المنافع بين بعضهم البعض ، وباخلاق الوطنيين إلى الفتور العميق الذي لا ينهم منه منبه .

ولقد كان الخطبة رئيس الجمعية العمومية ، وطلب زيادة ميزانية التعليم ، وخطاب السيد البكري يطلب مجلس نيابي ، ضجة وأثر كبير في الرأي العام المصري ، وكان هذان الأمران موضوع شرح الصحف وتعليقاتها عدة أيام .

وفي ٥ أبريل ركب البرنس وقرينته من سراي عابدين إلى المحطة عربية خديوية دون احتفال رسمي ، وودعهما الخديو والنظار واللورد كرومر وكبار الموظفين الإنجليز . وقد أبدى سمو البرنس لدى ركوبه عظيم شكره للجناب الخديوي على حسن لقائه وحفاوته .

وقد سافرا إلى بورسعيد ، وركبا الدارعة د رينيون ، للتجول بها في البحر الأبيض المتوسط .

وكانت الوالدة على وشك السفر للاستانة ، فجاءت إلى عابدين في عصر ١١ أبريل . فأوفدني الخديو إليها لرعايتها الانتظار قليلا .

الخديوي في الاستانة . في ١٠ يونيو حضر الخديو للاستانة ، واستقبل بها كالعادة . وقد قابل سموه جلالة السلطان ، وخرج من لدنه مسرورا بالحفاوة التي لقيها . وفي ١٢ منه دعى سموه إلى مأدبة في يلدز ، ومعه حسنى باشا وبعض الحاشية . وقد قام سموه بالتزاور بينه وبين السفراء كالمعتاد في ١٤ و ١٦ يونيو .

وبقي سموه في الاستانة حتى ٢٦ يونيو ، ثم بارحها بعد ذلك إلى الحمامات في ديفون ، وظل عرت بك مع الوالدة ، وسافرت أنا إلى مصر لانتفاء مهمتي ولأكون على صلة بالنظار .

عود إلى دسائس الزهر . في أثناء وجود الخديو بالاستانة وردت إليه شكاية رفعها المفتي الشيخ محمد بكري عاشور الصدفى إلى قائمقام الخديو في مصر ، وهو رئيس النظار ، ملخصها : ه في أثناء امتحان الشيخ حسين محمد الرفاعى في الشهادة العالمية

على يد ستة أعضاء ، من بينهم المفتي ، سأل شيخ الجامع (*) المتحتمين عن هذا الطالب ، فأجابوا ما عدا أحدهم وهو الشيخ البحراوى بأن الطالب يستحق الدرجة الثالثة ، وقدم تقرير من اللجنة بذلك ؛ ولكن الشيخ البحراوى لم يرد التوقيع عليه ، مع توافر أغلبية اللجنة ، بحجة أن الطالب لا يستحق شيئاً . وفى اليوم التالى أرسل شيخ الأزهر بأنه غير أعضاء اللجنة ، وقد أتى بأربعة أعضاء جدد ، وأبقى الشيخ البحراوى وواحداً آخر فقط وعين الشيخ بحيث بدل المفتي ؛ ويعتبر الشيخ المفتي هذا التغيير فى أواسط الامتحان وبدون سبب ظاهر ماساً بشرفه وشرف الأعضاء الذين غيروا .

وهو يطلب النظر فى شكواه ، والعمل على صون كرامته ، وكان ذلك فى ٢٥ يونيو . وبعد عودتى إلى مصر ورد لى من الجناب العالى باسم محمود محمد افندى أحد موظفى الديوان العربى رسالة مؤرخة فى ١٣ يوليو ، وفيها : « إن الجناب العالى اطلع على شكوى المفتي التى قدمها للقائمقام ، وأمرنى باستحضار المفتي وتعنيفه على شكواه وطعنه فى الشيخ الأكبر ، وبأنه كان الأولى تقديم هذه الشكوى إلى الجناب العالى بدل تقديمها إلى رئيس النظارة ؛ ثم أطلب كذلك شيخ الأزهر ، وأخبره باستياء الخديو لهذه الأعمال التى تستدعى تكدير خاطره فى السفر الذى قصد منه إلى الراحة والاستشفاء ، وأن سموه كان قد نبه على الشيخ قبل سفره بتلافى مثل ذلك إذا حدث .

والخلاصة أن الجناب العالى لا يريد مطلقاً أن تتكرر هذه الفصول وتلك الضججات ، ولا سيما بين رجال الأزهر .

وقد قلت بما كلفت به فى أسلوب أدنى لا يغضب الشيخين .

ثم وردت لى رسالة أخرى بتاريخ ٢٢ يوليو ، وفيها يأمر الخديو أن أستحضر الشيخ المفتي ، وأخبره بأن الخديو مقتنع الآن بأنه يعنى بالمسائل الشخصية . أكثر من أى شيء آخر ، وأن هذه هى النقطة التى كان يخشى سموه أن تسقط مركزه ومهابته ، ودليل ذلك ما حدث الآن من دسائسه فى حق شيخ الأزهر ؛ وأن شيخ الأزهر غير كفء ، حقيقة لأنه مكنه من التحدث ضده ؛ ولكن الجناب العالى لابد أن يتخذ خطة لإزاء شيخ الأزهر وإزاء المفتي معاً عند عودته ، وأنه منذ اليوم قد أمر بفصل ابنه الموظف بالأوقاف الخصوصية ؛ ويأمر جنابه بتبليغ هذا القرار إلى مدير الأوقاف الخاصة للعمل به من اليوم ؛ أما الشيخ نفسه فسيكون حسابه معه يوم يعود .

وفي الرسالة أمر كذلك بأن أقابل شيخ الأزهر وأفهمه أن يسير في طريقه دون تغيير في خطته حتى لا يفهم أحد أن المفتي ظفر به أو فاز عليه .

وأن أقابل بطرس باشا وأخبره بأنه إذا حضر له المفتي فانه يعتفه ويفهمه بأن ما حدث من الجناح العالي في موضعه ،

وأن أنه على أحمد شوقي بك بالإيعاز إلى الصحف الوطنية لتعلن طرد ابن الشيخ المفتي من الأوقاف الخديوية ، حتى يذاع الأمر ويعلمه الجميع .

فنفذت هذه الأوامر في الحال ، وحاول الشيخ المفتي أن يبريء نفسه ويشكو من قسوة القرار القاضي بفصل نجله ، ولكنى أريته خطاه في تصرفاته .

وفاة البرنس محمد ابراهيم ومير الدين . في ٢٠ أغسطس توفى في فرنسا

البرنس محمد ابراهيم وحيد الدين ، وشيعت جنازته في ٤ سبتمبر بالاسكندرية وفي اليوم التالي بالقاهرة ؛ ودفن بمدافن الامام الشافعي؛ ورافقت جثمانه من الاسكندرية إلى القاهرة حرمه البرنيس صالحة هانم والبرنس ابراهيم حلى باشا ، وبعض البرنسات .



البرنس محمد ابراهيم وحيد الدين

وشاية بغيرها انقاص مرتبي . في ١١ أبريل قصدت إلى المستشار المسالي وأتممت :
— بناء على الأمر — معه موضوع الزيادة المطلوبة لمرتبات الديوان الخديوي في الميزانية — وكانت لم تغير من عهد توفيق — فأصدر الأوامر اللازمة لتنفيذها .

وكنت قد لاحظت أثناء وجود الخديو بالاستانة تغيراً من ناحيتي لم أعرف سببه في حينه ، وبعد رجوعي للقاهرة جاءتني رسالة بتاريخ ٩ يوليو من جنيف بامضاء (محمود محمد) بأنه بناء على الأمر الخديوي يجب أن يكون مرتبي كمرتب عزت بك ألفاً ومائة جنيه بدلاً من ألف ومائتين كما هو الآن ، وذلك لأن سموه لاحظ ألا يكون هناك فارق في مرتبات رؤساء الديوان . وقال لي محمود محمد افندي في الرسالة ، إنه عرض

لسموه أن هناك وفراً في ميزانة السراى يمكن أن يكفل منه مرتب عزت بك إلى ألف ومائتى جنيه فأمر سموه بيقام المتوفر ، ووعد بأن يكفل مرتبتنا في العام الآتى .

وقد فهمت ، عند ورود هذه الرسالة ، أن لما شعرت به من تغير الجنب العالى نصيباً من الصحة ، فحاولت أن أعرف السر في ذلك . وأخيراً علمت أنه أثناء وجودى بالاسنانة وشى في حقى لدى سموه بأتى أمرت بصنع « سقالة » لوابور « فيض ظفر » ، لدى مصلحة الركاب ومن أخشابها . وهذه الوشاية تطوع بها زامر افندى ضابط بوليس السراى .

وعلى أثر ذلك بعثت برسالة لسمو الخديو أننى فيها مارقى إليه ، وأبين أننى دفعت ثمن « السقالة » لمصلحة الركاب ، وكذلك كل ما تكلفه « فيض ظفر » من الاصلاحات وبعثت بالايصالات التى تبنت ذلك ، ورجوت سموه صفاء خاطره من ناحيتى مع استعدادى لتنفيذ إرادته فيما يختص بمرتبى — وإن كان الثلم في ذلك أننى أنا الذى سأقدم الميزانية لنظارة المالية وسأعاقب نفسى يديى ... الخ .

وفي ٢٧ أغسطس جادنى رد بامضاء محمود محمد افندى يتلخص فيه « أن الجنب العالى لم ينظر في مسألة المرتبات إلى الوشاية التى ذكرتها في رسالتى ولم يبد على سموه أى غضب أو تأثر حينما أمر بذلك ، وأنه متأكد أن الجنب العالى سيقب بوعده في العام القادم . » وفي ٢ أكتوبر قدم الخديو من الاسنانة وكنت في المستقبلين ، وقد أردت أولاً أن أعاطبه في الموضوع ، ولكننى فضلت الانتظار حتى تسنح فرصة مناسبة : وكان ذلك في يوم ٤ أكتوبر إذ استدعانى سموه إلى قصر المنزه ، واستقباني ببشاشة ولكننى كنت لا أزال منقبض الصدر ، وقد سألتى رأيي في تعيين « زامر افندى » ، ملاحظاً لمربوط ، وكان أمره قد صدر بذلك ، فاتهزت الفرصة وقلت لسموه : « لولا أن هذا الرجل في خدمة أفندينا لما تأخرت عن مقاضاته أمام المحاكم على وشايتة وزعمه . أننى استخدمت « سقالة » لمصلحة الركاب في فيض ظفر مع أنى دفعت ثمنها كما ينطق بذلك السند الذى بعثت به لأفندينا ١ ، فطلب خاطرى من هذه الوجهة ، وأرائى ، في تल्प ، أننى عخطى في تكليفي واحداً من المصلحة بعمل « السقالة » ، وكان الأولى أن أوسط أجد أصحابي . فقلت لسموه : « إننى لم أجد بين أصحابي من أستطيع تكليفه هذا العمل . » ثم قال لى : « لى أعرف أنك دفعت أجراً عن كل شىء أجرى في فيض ظفر . ولكنهم خدعوك واستخدموا عمال المصلحة . » ثم أشار إلى من طرف خفى أن أحمد الله على

أنه لم يعاملنى كما عامل عزت بك وغيره ، وذلك لأنه علم أننى دفعت نقوداً ؛ أمام
فأستخدموا بعض الزوارق لمصالحهم الخاصة .

وفى أواخر أكتوبر أتممت عمل ميزانية المعية وعرضتها على سموه وقلت : إنه بناء
على الأمر وضعت يدي أمام اسمى ١٠٠ جنيه فى العام وكذلك أمام اسم عزت بك ؛
ولكن يا أفندينا ماذا يكون موقفى أمام المالية التى قررت لى ١٢٠٠ جنيه ؟ ، فأجابنى :
« يا شفيق ، أنت تعلم أن حسن عاصم باشا مع تمسكه بالرياسة وحبه أن يعمل مستقلاً
لم يعمل ما عملته أنت . » ، فمرفت فى الحال سبب غضبه وهو أنى كتبت فى الميزانية عنارين
جديدة لبعض الوظائف ، فاعتذرت عن ذلك لسموه بأن غرضى أن تكون ميزانية
المعية مرتبة ، واستسمحته فى أنى لم أستشره فى ذلك فنظر فى الميزانية ورأى فيها وفراً
فأضاف منه إلى مرتبى وترتب عزت بك مائة جنيه لكل منا ؛ وقدمت الميزانية على ذلك .

حادثة دنشواى . كان من أعظم حوادث هذا العام حادثة دنشواى المروعة
التي اهتزت لها البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، وكان لها أسوأ الآثار ، وخلاصتها أن
فرقة من الجنود الإنجليزية خرجت مع ضباطها قاصدة إلى الاسكندرية بطريق البر ؛
وكانت الحكومة قد أرسلت أوامر إلى العمدة والحكام الإداريين بالعمل على راحتهم
عند مرورهم ببلادهم ؛ فلما وصلت هذه الفرقة إلى منفى أخبر بعض رجالها مأمور
المركز برغبتهم فى الصيد ببلدة دنشواى المشهورة بكثرة حمامها ، وتوجه إليها بالفعل
خمسة من الضباط للصيد ؛ ولما وصلوا إليها انحدروا بعضهم إلى أجران البلدة ، وأراد
أحدهم صيد حمامة فأخطأ التصويب ، وجرح امرأة كانت تسوق النورج ، واشتعلت
النار فى ذلك الجرن ؛ وكان زوج المرأة حاضراً فهجم على الضابط وأراد أن يقوده إلى
مركز الحكومة ؛ واجتمعت حولها الأهالى ، وجاء بقية الضباط لانتقاذ زميلهم ؛ وفى
أثناء ذلك حضر الخفراء وشيخهم لانتقاذ الضابط ، فظن بقية الضباط أنهم آتون للفك
بهم فأطلقوا النار عليهم ، فأصيب شيخ الخفراء وعدد من الأهالى .

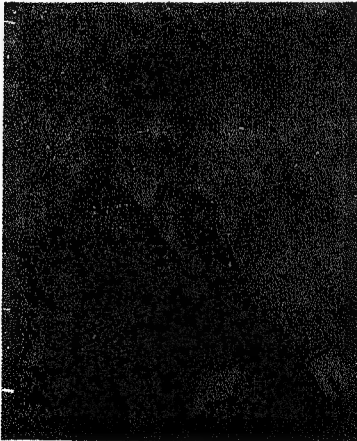
وعندئذ هاج السكان ورجعوا الضباط بالحجارة ، وضربهم بالعصى النخيلة ،
فأصيب منهم الماسجور كوتين وجرح اللقنتن سميث ؛ وقد قبض الخفراء على هذين
الضباطين وثالث معهم وجردوهم من سلاحهم وجسومهم حتى جاء ملاحظ البريس ،
وأوصلهم إلى معسكرهم . أما الضابطان الآخريان ؛ وهما الكابتن بول والطبيب البيطرى ،
فخبريا وقطعا نحو ثمانية كيلو مترات عدواً ، ثم سقط الكابتن صريعاً لأنه كان مصاباً

بجراح خطيرة وتوفي على الاثر . واخيراً توجه الطبيب وأخبر العساكر فحضروا على الفور ، وقبضوا على من كان حول القتييل من الالهالى وفرد أحد الالهالى من أمامهم فقبضوه وقتلوه ومثلوا بجثته

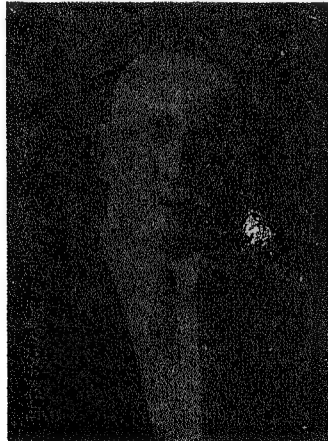
وأبلغ الحادث إلى السلطات العليا فحضر في الحال مستشار الداخلية ومدير المنوفية ورئيس النيابة وعدد عظيم من رجال البوليس مسلحين بالبنادق والسونكى ؛ وقبض على عدد كبير من اهالى دنشواى ، وبدى بالتحقيق معهم في الحال ؛ واستمر التحقيق عدة أيام ؛ ثم صدر القرار باحالتهم إلى المحكمة المخصوصه في يوم ٢٤ يونيو ليحاكوا أمامها ؛ وكانت مؤلفة من بطرس غالى باشا رئيسا ، والمستر هيتر وفتحي زغلول بك والمستر بوند والقائمقام لادول القائم بأعمال المحاماة والقضاء في جيش الاحتلال .

ثم وقف عثمان بك مرتضى وتلا قرار نظارة الحقاينة بعقد المحكمة المخصوصه للنظر في التعدي الذى وقع في ١٣ يونيو ؛ ثم قرأ تقرير الاحالة الصادر من سعادة شكرى باشا مدير المنوفية بناء على اتدابه من حكمذار العاصمة ، وهو يتضمن تفصيل الحادثة .

وعلى أثر ذلك قام ابراهيم الهلباوى بك المحامى العمومى وذكر وقائع الحادثة ، وقال : حيث إن هذه الجريمة من الجرائم الشديده ، فطلب معاقبة المتهمين بأشد عقوبة بعد سماع شهادة الشهود . . وكان محامو-المتهمين هم أحمد لطفى بك ، ومحمد يوسف بك عثمان يوسف بك . واسماعيل عاصم بك .



ابراهيم الهلباوى بك



أحمد فتحي زغلول بك

وبعد انتهاء الاستجوابات والدفاع قام ابراهيم الهلباوى بك وقال : لا يوجد مصرى لا يشار كفى في شعورى نحو الحادثة ، ولذلك أطلب الحكم على المتهمين بأشد عقوبة .
ثم قال : و فاذا تقدمت اليكم و طلبت رفع كل رحمة من نفوسكم لمعاقبة هؤلاء المتهمين و خصوصاً رؤساء العصاية لا أكون متالياً .

وفي ٢٧ يونيو أصدرت المحكمة حكماً لا يقبل الطعن وهو يقضى على أربعة بالاعدام ، وعلى اثنين بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وعلى واحد بالسجن خمس عشرة سنة ، وعلى ستة آخرين بالسجن سبع سنين ، وعلى ثلاثة بالحبس مع التشغيل سنة ، و جلد كل واحد منهم خمسين جلدة ، وعلى خمسة بجلد كل واحد منهم خمسين جلدة ؛ و تبرئة الباقين و الافراج عنهم في الحال إن لم يكونوا محبوسين لسبب آخر .

وفي يوم الخميس ٢٨ يونيو نفذ حكم الاعدام والجلد في وقت واحد في قرية دنشواى . وكانت الاجراءات الشنتعة التي لجأ اليها رجال الاحتلال في هذا الحادث مثار سخط عميق في مصر والخارج . وأذكر هذا السخط ما قام به مصطفى كامل من الحملات القوية في مندليات أوروبا و صحفها منوها بفضاعة الأحكام التي صدرت وشدوذا الاجراءات التي اتبعت وكونها تتنافى وأبسط قواعد المدنية والعدالة والانسانية . وكان لهذه الحملات أثرها في انجلترا ذاتها ، وتأثر بها فريق كبير من الرأى العام البريطانى ولا سيما دوائر الاحرار ؛ وظهر صدى هذا الأثر في البرلمان حيث استجوب السير ادوارد جراى عن حادثة دنشواى ، فلم يجد ما يدافع به عن خطة المحتلين في هذا الحادث سوى اتهامه المصريين بالتعصب وبأن هذا التعصب قد بلغ حداً يخشى منه على شمال إفريقيا كله . ولكن المصريين ، وحتى النزلاء الأجانب في مصر ، احتجوا على هذه التهم الباطلة ، ودورى هذا الاحتجاج ثانية بين أرجاء البرلمان الانجليزى ، فاضطر السير جراى في تصريح ثان أن يستبدل كلمة التعصب بكلمة القلق . وكان لهذا التراجع مغزاه وأثره في الافراج عن المحكوم عليهم في حادثة دنشواى كما سيحيى .

وقد نوهنا فيما سلف بقطع العلاقات بين الحديو ومصطفى كامل في سنة ١٩٠٤ فلما عزم مصطفى على السفر لأوربا لقيامه بالمداخلة عن شناعة هذه الحادثة رأى أنه من الواجب عليه أن يعيد الصلات الحسنة بينه وبين الحديو حتى يستير برأيه ويظاھر على إثارة الرأى العام في أوروبا وانجلترا ضد هذا الحادث . فكتب الحديو بوساطتى قوافى عباس وأبلغت مصطفى ذلك فسافر إلى باريس فلتدره وقام بحركة ضد كرومر وخطب

هناك خطباً كبيرة في مجمع من الكبراء كما كتب عدة مقالات في الصحف الفرنسية وخصوصاً الفيجارو .

وانتهت جهوده باثارة الرأي العام الانجليزي نفسه على شناعة الاجراءات التي اتخذت ، وبما وقع في مجلس الموم الانجليزي من استجواب كان له أثره في صدور العفو عن مسجونى دنشواى كما سياتى ..

الطربو والنظام والانهيار . في يوم ٢٦ اكتوبر زار اللورد كرومر الجنباب العالى وأبلغه أنه اتفق مع ناظر خارجية انجلترا على توسيع اختصاص النظار ، والتس من سموه تعيين سعد بك زغلول ناظراً للمعارف ، فوعده سموه بابداء رأيه في الغد . وبعد المداولة في اليوم التالى بينه وبين رجال المعية ، قر الرأي على أن أقابل مصطفي فهمى باشا وأبلغه موافقة الخديو على هذا الاقتراح . وقد تسلمت الدكرتو الخاص بذلك وعدت للاسكندرية فوقعه سموه ، وأعدته ليلا .

ولم يرتح الخديو أولاً لتعيين سعد زغلول ، ولكنى تعاونت مع الدكتور صادق رمضان ، طبيب المعية ومن أصدقاء مصطفي كامل ، على تحسين العلاقات وإزالة سوء التفاهم الذى يرجع إلى كثرة اختلاط سعد بك بالمرحوم الشيخ محمد عبده (*) .

وفي ٣ نوفمبر صدر لى الأمر بالسفر إلى القاهرة ومقابلة بطرس باشا وتفهمه أن الجنباب العالى كان ينتظر منه بعض معلومات عن مسألة الأزهر وعزم شيخه على الاستقالة وعما إذا كان الشيخ شاكر يصلح خلفاً له . وذلك قبل مقابلة المستشار المالى لجنايه حتى يكون على بينة من هذه الشئون ، وأن الجنباب العالى ينوى عند استقالة شيخ الأزهر أن يطلب تعيين الشيخ حسونة أو الشيخ شاكر . وأن أسأله رأيه كذلك في حضور البرنس محمد على باشا صلاة الجمعة اليتيمة بجامع عمرو بالنياية عن الخديو ، وكذلك رأيه في أن يرسل برقية لسكرومر يوم عيد الملك بالأعراب عن أسفه لعدم سهود هذه الحفلة أو بكتفى بإرسال برقية تهنئة للملك .

فوافق بطرس باشا على مسألة الانابة في صلاة الجمعة ورأى أن يرسل الخديو برقية بالاعتذار . أما مسألة الأزهر فاستحسن بقاء الحال على ما هى عليه وحمل شيخ الأزهر على عدم الاستقالة ، لأن الظروف غير ملائمة الآن .

(*) وقد منح سعد بعدئذ رتبة الباشوية .

تأسيس شركة لبتاندر والستاندر . تم الصلح بين الخديو ومصطفى كامل
 كما نوهنا سابقاً دون أن يتقابلا . فلما رجع الخديو من أوروبا إلى الاسكندرية ثم عاد
 إلى القاهرة وكذلك رجع مصطفى كامل من أوروبا في ١٥ أكتوبر توسط الدكتور
 صادق رمضان ومهد السبيل للمقابلة وفعلا اجتمع مصطفى كامل والدكتور صادق رمضان
 ومحمد فريد بك ولطيف سليم باشا وقابلوا الخديو في سراى مسطرد واتفقوا على تأسيس
 الحزب الوطنى وجريدتى ليتاندار الفرنسية والاستاندارد الانجليزية . وأوعز الخديو سراى
 إلى الكثيرين من الاغنياء بالمساعدة ومنهم البرنس جميل طوسون واحمد مدحت يكن باشا
 وعمر سلطان بك ومحمد بك فريد كما وعد الخديو بالمساعدة في هذا المشروع . وقد
 تكررت المقابلات السرية بينهم والخديو في جامع سيدى التبرى بزمم القبة . وقد
 علمت هذه التفضيلات من عباس . وقد سرى هذا الوفاق .
 وفى ديسمبر سافر مصطفى وعمر بك فريد إلى أوروبا لانتخاب المحررين في
 الجريدتين .

وعاد الخديو إلى القاهرة في ٢٤ نوفمبر ، وفى ٢٩ منه قابل اللورد سموه وقال له :
 « إن وكالة روتر ورد إليها تلغراف فيه أن جريدة التيمس نشرت مقالا لمكاتها في
 مصر يدعى فيه أن الخديو يمضد مصطفى كامل بالمال لنشر جريدة فرنسية (٥) ، واتقد
 اللورد هذا العمل بشدة ، فأجابه الخديو بأن ذلك لا أصل له وأنه لم يتقابل مطلقاً مع
 مصطفى كامل ولم يمدّه بمعاونة ما ، لا مباشرة ولا بالواسطة ؛ فقال اللورد ربما كان
 المشجع من أعضاء العائلة الخديوية ، فأجابه سموه بأن أغلبهم فقراء ولا يستطيعون
 بذل مثل هذه المعاونة ؛ فقال اللورد : « إن محمد بك فريد يمدّه بالمال . ، فأجاب سموه
 بأن هذا البيلك ليس من العائلة الخديوية ولا سلطان للخديو عليه .

وقد رأيت الخديو عقب هذه المقابلة فوجدته في غاية الغضب والتأثر ، وقال لى
 إنه لا يطبق صبراً على هذه الحالة ولا يحتمل هذه الاهانات بل يفضل الاعتزال على
 هذه المعاملة ، فبدأت روعه واشترك معى في ذلك محمود بك صادق من رجال المعية .
 وقد جال بخاطرى أن جنوح الانجليز إلى هذه المعاملة يرجع إلى مسألة طابة
 وعلمهم أن الخديو كان في الظاهر معهم وفى الباطن مع السلطان وأكد ذلك لديهم عدم
 حضوره في حفلة الملك .

(٥) هى جريدة (L'Étandard égyptien) التى صدرت بعدئذ سنة (١٩٠٧) .

مسألة الرتب أيضاً . في ٢٨ ديسمبر تقابل المستشار المالي مع الخديو ، فتحدث إليه في أمر الرتب والنياشين ، وأنه من الضروري أن تطلبها الحكومة للموظفين والأعيان في عيد الجلوس ؛ وطلب الرجوع إلى دكتور رياض باشا الذي يقضى بذلك فرأى سموه تأجيل البحث في هذا الموضوع حتى يقابل اللورد كرومر في الغد .

وفي اليوم التالي ، وهو المحدد لمقابلة اللورد كرومر ، حضر الشيخ على يوسف أولاً وتحدث معه الجتاب العالي في الموضوع ، وعرض على سموه أن يقبل إعطاء الموظفين رتباً ونياشين . أما العمدة والأعيان فلا ؛ لأن المفتشين الانجليز يوعزون للبدلين باعطاء منافعهم أو من يقدمون الرشوة إليهم .

ثم حضر اللورد بعد ذلك وتحدث مع عباس ولكنهما لم يصلا إلى نتيجة حاسمة ؛ وكان سموه عقب المقابلة في حالة تأثر واتفعال شديدين .

سنة ١٩٠٧

الانجليز وعبد الجبار الحديوي . كيف أُنشئت الجامعة (الاهلية) وانتخب
رئيسها . التزامهم على مشيئة الازهر . مدرسة القضاء الشرعي . تقرير كرومر
عن الحركة الوطنية . اصدار جريدتي ليتاندار والاستاندار . اهاويث سياسة
للخديوي . اقامة اللورد كرومر وتعيين السير الدود جورست مظان . جورست
وسياسة الوفاق الجديد . أرضى يهود الخديوي . الازمة المالية . قيام الاهواز
المصرية . من استبعاد عباسي . شئون مختلفة .

الانجليز وعبد الجبار الحديوي . انتهى العام الماضي وبين الخديو والمحتلين
سوء تفاهم مستحكم الحلقات يعود بالأخص إلى مسألة طلاب وموقف الخديو منها ، وإلى
عدم حضور سموه حفلة عيد الملك . واستهلت سنة ١٩٠٧ ، والمجوقام ، والاحتكاك
يضطرم بين الخديو وكرومر ورجال الاحتلال ، وتمتد آثاره إلى كل المشروعات العامة
بل والخاصة التي عرضت في أوائل هذا العام .

امتد هذا الاحتكاك إلى مشروع الجامعة وتأليفها وإلى مسائل الازهر ومدرسة
القضاء الشرعي وإلى علاقة الخديو بنظاره ولا سيما سعد زغول باشا ، كما امتد إلى شئون
المسألة الخديوية الخاصة ، فتدخل الانجليز فيها وفي سواها . ولما كانت ظواهر هذا
الاحتكاك متصلة متشابكة ، فقد آثرنا سرد الحوادث متتابعة بتاريخ وقوعها ، لأنها تكاد
تكون مرتبة ترتيباً طبيعياً ، ومدارها النزاع بين سلطة الخديو وسلطة رجال الاحتلال .
ففي ٦ يناير حضر عندى طورنيزن باشا وطلب منى كشفاً بأسماء المدعويين من
الانجليز في الأوبرا ليلة عيد الجلوس لاعطائه لواطسون باشا الياور الخديوي وقد قال

له إن كرومر يود أن يحضر هذه الحفلة ، وأن يطلب إلى الانجليز المدعورين عدم التأخر ليكون ذلك بمثابة ترضية لسمو الخديو عما كان من سوء تفاهم بينه وبين اللورد ؛ ولعل من الأسباب التي حلت اللورد على ذلك - فضلا عما تقدم - ما كان من أثر حادثة : نشوأي المعروفة في العام المنصرم وشعوره باستياء المصريين جميعاً منها ، والحفلة التي شهرها عليه مصطفى كامل في أوروبا ؛ وهي حملة كان يتهم الخديو بأنه يدها بالمال عن طريق محمد بك فريد .

وقد أجهت طورنيزن باشا بأن الكشف المطلوب عند رئيس لجنة الاحتفال ، وهو عبد الحميد باشا رئيس مجلس شورى القوانين قد ذهب لأخذه منه وقد علمت أنه وجد في هذه الحفلة عدد من الانجليز .

عيد الجلوس في الأزهر : وفي ٨ يناير كان عيد الجلوس ، فالتدني الخديو لحضور الاحتفال الذي سيقام في الجامع الأزهر لهذه المناسبة ، وكان الأزهر يضيء بالأنوار في الداخل والخارج وقد فرشت به الأبسطه وجلس الحضور عليها ، وفي وسطهم الشيخ محمد شاكر نائباً عن الشيخ الشربيني شيخ الأزهر ، وعن يمينه الشيخ أبو الفضل وعن يساره المفتي .

وافتح الحفلة بتلاوة القرآن الكريم ، وبعدها قام أحد العلماء وخطب معدداً حناق الخديو وداعياً له ولأنجاله ؛ وبعد أن انتهى قمت وشكرت الخطيب على شريف شعوره ، وقلت : « إن هذا الشعور يحتلج بلا ريب في صدور كل المحتفلين المخلصين للسدة الخديوية . » ثم شكرت القائمين بأمر هذا الاحتفال الجليل ، ودعوت لسمو الخديو . واختتمت الحفلة بقراءة ما تيسر من القرآن ؛ وبعدها قال لي الشيخ شاكر : « هذه أول مرة شكر المندوب الخديوي فيها المحتفلين ١١ » .

كيف أنشئت الجامعة (الزاهية) وانتخب رئيسها . أثار الأستاذ أحمد حافظ عوض على صفحات المؤيد نقاشاً ومناظرة في موضوع : « أي أنفع للقطر المصري في حالته الحاضرة الكتائب أم مدرسة كلية عالية ؟ » وذلك في سنة ١٩٠٥ . وقد استدرجت المناظرة كثيراً من الكتاب للاشتراك فيها على صفحات الجرائد المختلفة وانتهت بغير طائل ولا نتيجة .

أما الخطوة الأولى الأساسية في بناء الجامعة فقد بدأها مصطفى كامل الغمراوي بك في العام الذي يليه ؛ فقد رأى قصور الحصول العلمي في مصر عن إدواء من شاء

التعمق في العلم ، وكان لازماً على من يريد استكمال معارفه التحول إلى أوروبا ، وفي ذلك مافيه من مشقة في السفر وبعد عن الأهل وإرهاق في النفقات . ففكر في إنشاء جامعة تضم كليات مختلفة على مثال جامعات أوروبا تكفي طالبي العلم . وفكر في الدعوة لمشروع الجامعة والتبرع لها . وكان ذلك في سنة ١٩٠٦ . بنى سويف ، وكان مستشاره القانوني في ذلك الأستاذ نجيب شقرا بك المحامي .



مصطفى كامل للفرأوى بك

بدأت الخطوة الأولى العملية في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٠٦ ، بأن نشر نداء في جميع الصحف العربية والأجنبية في مصر داعياً لفكرة الجامعة مهيباً بالقادرين من الأمة أن ينزلوا الميدان . قال في ندائه :

« كثر بحث الجرائد في الزمن
الآخير في ارتقاء المعارف في مصر .
والمعارف والعلوم ، كما يعلم الناس ، حياة الأمة
وركن ترقىها وتقدمها . وقد استلفت أحد
المحاميين بمقالة نشرها في إحدى الجرائد أنظار
المرحوم منشأوى باشا إلى تخليد ذكره

بإنشاء مدرسة جامعة ، فصادف الاستلفات أذنًا وأعية وكان في نية المرحوم إنشاؤها لو لم يعاجله القضاء . فهل تعجز الأمة المصرية ، وهي تزيد على عشرة ملايين ، عن أن تقوم بمشروع حيوى نوى تنفيذه فرد واحد لم تكن ثروته تبلغ جزءاً يسيراً من ثروة غيره من الأفراد ؟ وهل لا يعد إحجام أغنياء الأمة عن الاكتتاب دليلاً على أنها لا تزال بعيدة عن الترقى الحقيقى ؟ وهل يعتقد الناس أن الوطنية تقوم بشقشة اللسان أو ببذل النفس والنفيس في سبيل الوطن وترقيته بالطرق التى تفيد ولا تضر ؟ بالطرق التى يجمع عليها العقلاء المعتدلون .

هذه الأمور جالت في خاطرى زمنًا ، ووجدت أن من العار علينا أن نفق وغيرنا يتقدم ، وأن نكتفى بالشكوى والتحسر من الزمان والاقدار ، ونحن أن نشكو من قلة وطنيتنا وبخلنا على الأعمال العظيمة المرقية للوطن .

لذلك ، ولاعتقادي بأن على كل منا ديناً لوطنه يجب وفاؤه وعدم الماطلة فيه ،

بادرت للاكتتاب بمخمساته جنيه أفرنجي لمشروع إنشاء مدرسة جامعة مصرية على الشروط الآتية :-

أولاً : ألا يختص بجنس أو دين بل تكون لجميع سكان مصر على اختلاف جنسياتهم وأديانهم فتكون واسطة للآلفة بينهم .

ثانياً : أن تكون إدارتها في السنين الأولى في أيدي جماعة ممن يصلحون لإدارة مثل هذا المعهد العلمي الكبير وثبت كفاءتهم للملا .

ثالثاً : أن يكتب على الأقل ألف من سكان مصر كل منهم مبلغ لا يقل عن مائة جنيه ، ويجوز أن يزيد عن هذا المبلغ الى ما شاء كرم الواهب وجه لوطنه وللإنسانية .

رابعاً : أن يقام بناء هذه المدرسة الجامعة في بقعة خلوية من أجل بقاع مصر على شاطئ النيل ؛ وتعمل لها حديقة من أجل الحدائق وغير ذلك من الأمور التي يقررها المنتسبون .

ويقضى أن كل من في فؤاده ذرة من حب الوطن الحقيقي من المسورين يجود بمائة جنيه أو أكثر لخير وطنه وخير أولاده ليتربوا في وطنهم التربية الحسنة ولكي نبرهن للأمم الغربية على أن فينا بعض الاستعداد والكفاءة .

وأمل أن جرائدنا تترك النزاع الشخصي وتنشئ المقالات الصافية في استهاض المهم لاتمام هذا المشروع العظيم .

وفي الختام أقول إذا لم يجب هذا النداء ألف من أغنياء مصر ، وهم ألوف عديدة ، فلننجي . وجوهنا أمام كل الأمم ولنعتزف بأننا عاجزون عن مباراة الأجانب في مضمار الحياة الأدبية والمادية .

وها أنا ذا في انتظار ما يكون ! فلعل أغنياءنا يقبلون بكليتهم على هذا المشروع المفيد لأفرادهم وللأمة ، حتى يكون ذكر من يشترك منهم في هذا العمل خالداً في سجلات كبار الرجال الذين كانت لهم الأيدي البيضاء في ترقية أوطانهم ، وسيق لهم بين الخلق أثر جميل لا يمحي . .

وبناء على برقية وردت له من الشيخ علي يوسف حضر لمصر فأخبره صاحب المؤيد أن الحدو راض عن هذا المشروع ومشجع له ، ويطلب منه الاستمرار فيه . فاتفق على أن يكون محل الاجتماع الأول برضاء الجميع في دار سعد زغول بك القاضى

مساء الجمعة ١٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦ وقد غص المكان بالملمين للدعوة ، ومنهم رجال القضاء والعلم والسياسة والجاه ؛ منهم قاسم أمين بك وحفنى ناصف بك ومحمد فريد بك وعلى فهمي بك وحسن سعيد بك وزكريا نامق افندى والشيخ عبد العزيز شاويش واحمد رمزي بك وحسن جمجوم بك وحسين السيوفى باشا ومحمد عثمان أباطه بك ومحمد راسم بك وحسين أبو حسين بك ومحمود الششيني بك ومحمد يوسف بك وحفنى ناجى بك ومحمد هاشم بك وتشاوروا فى حماسة ويقين . وقد بلغت المبالغ التى اكتب بها الحاضرون ٤٤٨٥ جنيه مصرى ، وقرروا ما يلى :

أولاً : انتخاب لجنة تحضيرية من حضرات سعد زغلول بك وكيل ، وقاسم بك أمين سكرتيراً ، وحسن سعيد بك أميناً للصندوق ، ومصطفى كامل الغمراوى بك ومحمد بك عثمان أباطه ومحمد بك راسم وحسن بك جمجوم وحسن باشا السيوفى وأخنوخ افندى فانوس وزكريا نامق افندى ومحمود بك الششيني أعضاء .

ثانياً : تأجيل انتخاب الرئيس الى الجلسة القادمة .

ثالثاً : نشر الدعوة فى جميع الصحف المحلية .

رابعاً : الاجتماع مرة أخرى بدعوة خصوصية لانتخاب الرئيس وأعضاء اللجنة النهائية .

خامساً : تسمية هذه الجامعة بالجامعة المصرية .

وكان احمد زكى بك قد انتخب سكرتيراً لمجلس الادارة فتكلم مع الغمراوى بك محاولاً إقناعه بتحويل هبته الى عقمار لأن حركة الاكتاب كانت قد ركدت وخيف عليها ، أما التبرع بعقارات فهو أساس متين ودعامة ثابتة للمشروع . فافتتح وتبرع بستة أفدنة فتبعه الكثيرون فى ذلك وأقبلوا على الاكتاب .

رأى العميد الانجليزى لورد كرومر أن المشروع سائر فى سبيل النجاح وكان لم يصادف لديه هوى ولا قبولاً لما ينتظر فى حالة نجاحه من ثمرات طيبة فى سبيل ترقية مصر والنهوض بها ، فعاد لما بدى . به عام ١٩٠٥ ونادى بأن الأمة أحوج الى التعليم الاولى من التعليم العالى ودعا لانشاء الكتاتيب وأقبل بعض الاعيان على إنشائها .

فأثبت بذلك إمكان القيام بمشروع التعليم العالى الجامعى والتعليم الاولى فى آن واحد .

بعد ذلك عين سعد زغلول ناظراً للمعارف كما سبق ؛ وكان الفكر السائد بيننا هو أن كرومر يريد تعيين سعد في نظارة المعارف أن يبعده عن الاشتغال بالجامعة ، ظنا منه أنه بذلك يقضي عليها ، ولهذا أمرني الحديو بالتوجه مع اسماعيل أباظه باشا لمقابلة سعد وأن نطلب منه ، بأمر من سموه ، ألا يقفل أمر الجامعة وأن يستمر إشرافه عليها . فلما قابلناه وأبلغناه رسالة الحديو لم يؤكد لنا عزمه صراحة في تنفيذ هذه الرغبة ولكنه وعد بالأينساها . ولما أبلغنا الحديو ذلك لم يسر لتلك الاجابة .

فقام مقامه قاسم أمين بك وسعى في سبيل إنجاح المشروع وقابل الحديو وعرض عليه أن يأخذ سموه المشروع تحت رعايته واعتبار ولى المعهد رئيس شرف فقبل سموه ذلك ؛ وبعدئذ قرأ رأى على اختيار أحد البرنسات لمصب الرئاسة ؛ واتجهت الأنظار أولا الى البرنس حسين كامل باشا .

وقد كلفت من قبل الحديو بمقابلته لهذا الغرض ، ولكنه اعتذر لسببين : الأول أنه أحس بعدم رضاء الانجليز عن وجوده في رئاسة الجامعة ، والثاني تخوفه من التبعات المادية في حالة عدم كفاية مواردها المالية . فعرضت الأمر بعد ذلك على البرنس عمر طوسون ، فاشتراط أن يكون هو رئيساً عاملاً ويكون ولى المعهد رئيس شرف ؛ ولما كان هذا لما لا يقبله الانجليز بحال ، اتجهت أفكارنا الى البرنس محمد على باشا ، ولكن اللورد كرومر عارض في ذلك أيضاً ، فعرض الأمر ثانية على البرنس حسين كامل باشا ، فاقترح تعيين شقيقه دولة البرنس احمد فؤاد باشا ؛ إذ ربما لا يعارض المختلون في قبوله ؛ فأمرت بالذهاب الى بطرس غالى باشا لأعرض عليه الاسم الجديد .

وزارني بعد ذلك الشيخ على يوسف وقاسم أمين بك ، فأخبرتهما بترشيح الحديو لدولة البرنس احمد فؤاد باشا فارتاحا لذلك .

وفي ١١ يناير عدت الى بطرس غالى باشا ، بعد حضوره من الوكالة البريطانية ، فأبلغني أن اللورد لم يبد اعتراضاً على المرشح الجديد .

وفي ١٧ منه توجهت بساء على الأمر الى البرنس حسين كامل باشا لأخذ رأيه نهائياً في تعيين دولة شقيقه البرنس احمد فؤاد باشا ، فأخبرني أنها بحث الأمر ، وأنه نصح لدولته بالترؤى والنظر في برنامج الجامعة وفي مقدار الاكتسابات وكفايتها .

وبعد ذلك كلفني الحديو أن أذهب الى تفتيش بردين لمقابلة البرنس احمد فؤاد باشا ، وهناك قضيت السهرة في التفاهم مع دولته ، وبعد أخذ ورد قبل هذا الترشيح ، ورغب

في تعييني وكيلًا للجامعة ، فعدت واخبرت الخديو بذلك فارتاح لهذا الحل .

وتم الأمر بتعيين دولة البرنس احمد فؤاد باشا رئيساً ؛ وبعدها انتخبت مجلس الادارة للوكالة . وكان الحاضرون من أعضائه أصحاب السعادة والعزة محمد علوى باشا مراقب الجامعة وعبد الخالق ثروت باشا واسماعيل صدق باشا ويعقوب أرئين باشا واسماعيل حسنين باشا ومقرس فهمى بك وعلى بهجت بك وجناب السير جاستون ماسيرو (*)

التزامهم على مشيئة الأزهر . وقف القارى على ما كان بالأزهر من الدسائس في العام الماضي ولا سيما بين الشيخ الأكبر الشيخ الشربيني وبين المفتي الشيخ محمد بكري عاشور الصدفى . ولما عاد الخديو من أوروبا في العام المنصرم أخذ الشيخ الشربيني إجازة وكان المفهوم أنها مقدمة لاستقالته نظراً لعدم ارتياح الخديو لما وقع ؛ فانتدب الشيخ محمد شاكر للادارة ، وبعد ذلك بدأ البحث في اختيار خلف للشيخ الشربيني وكان الاختيار معلقاً بين الشيخ حسونة النواوى والشيخ محمد شاكر ، ولكن نظراً لأن الأخير كان مقرباً من الخديو وبينهما صلابة وثيقة ، فقد كان المفهوم أن الانجليز لن يرضوا عن تعيينه ؛ وهذا ما حدث بالفعل حينما تقابل اللورد كرومر في يوم ٢٢ يناير مع الخديو للمحادثة في الموضوع ، وانتهى الأمر بالاتفاق على إسناد هذا المنصب الى الشيخ حسونة النواوى .

وفي اليوم التالى أرسلنى الخديو للمفاوضة مع بطرس غالى باشا في رغبة سموه الانعام على الشيخ شاكر برتبة أو نيشان ليحدث اللورد في ذلك ، فلاحظ الباشا أنه أنعم على الشيخ منذ ثمانية أشهر بالمجيدى الثانى ، وأنه منح منذ أيام قلائل علاوة قدرها عشرة جنيهات ؛ فإذا يقال لو منح ترقية أخرى ؟ قلت : إن المكافأة المطلوبة إنما هي لقيامه بادارة الأزهر مدة انتدابه . فوعد بمحادثة اللورد في ذلك .

ولما عدت للخديو وعلم بما دار بيننا قال : « إذ سألتهم أنا شخصياً مع اللورد ..

مدرسة القضاء الشرعى . وعلى أثر ذلك سافر الخديو يوم ٢٨ يناير الى سيوه

في رحلة استغرقت حتى يوم ١٩ فبراير ؛ فلما عاد أرسل رئيس مجلس النظار يقول إن المجلس سيعقد في يوم ٢٥ فبراير فلما أعلمت الخديو بذلك بدا على سموه الغضب ، وقال : « عجيب بأن مصطفى فهمى يعاملنى كأتى أحد النظار ..

وأمرنى بأن أخبر بطرس باشا بالتوجه للقبة يوم ٢١ منه ، فلما حضر حادثه في

(*) تراجع سنة ١٩١٤ من هذه المذكرات .

فك فازال ما في نفسه من التأثير ووافق سموه على عقد المجلس في التاريخ المذكور .
 وكان من أهم المسائل المعروضة عليه مشروع مدرسة القضاء الشرعي ؛ ودارت بشأنه مناقشة طويلة حادة أبدى سموه فيها للمجلس عدم ارتياحه لهذا المشروع لعدم رضا العلماء عنه ؛ وقد ظن سموه أولاً أن ناظر الحقاينة إبراهيم خواد باشا معضد له في رأيه ، ولكن ظهر في النهاية بعدما أيد سعد باشا زغلول المشروع أن جميع النظار معه ما عدا ناظر الأشغال حسين غجري باشا فقد انضم للتخديو طالباً تأخير المشروع لجلسة أخرى ، ولكن الأغلبية انحازت لسعد باشا فلم يسع التخديو إلا أن يمضى القانون مكرهاً وهي أول مرة حدث فيها ذلك .

فلما خرج النظار تكلم سموه مع المستشار المالي فقال لسموه : : إن ما فعلتموه سموكم هو عين الحكمة وبهذه الطريقة ارفعتم ، وصغر النظار .

وقد بلغنا من سموه أن سعد باشا قال أثناء المناقشة في حدة ظاهرة : : حيثئلا يستطيع الانسان أن يتكلم هنا . : وأنه ضرب يده على المنضدة ، وقال أيضاً : : إنه إذا فصلت مدرسة القضاء عن الأزهر ولم تنسب اليه يقال عن القاضي المتخرج منها إنه كافر . : وكان سموه متأثراً لذلك جحد التأثير ، وقد صرح لنا أنه منذ اليوم لن ينحضر جلسات مجلس النظار ، لأنه سيرغم على الموافقة على مشاريع لا يريد بها وينسب اليه الرضاء عنها .
 وفي ٢٧ فبراير تقابلت مع سموه بحضور اسماعيل أباطه باشا ، فأبدى أسفه لما حدث في مسألة مدرسة القضاء الشرعي ، فقلت لسموه : : إنه يمكن لجنا بكم العالي القضاء على هذا المشروع بتنظيم الأزهر وإدخال الإصلاحات عليه وأن تقدموا له النعم والخيرات والمرتبات ؛ وقد ترك الانجليز لنا الأزهر فلم نفعل نحن شيئاً . :
 وقد سر اسماعيل أباطه باشا لفكرتي كما رأيت من التخديو ميلا لتنفيذها .

وفي ٥ مارس تقابل اللورد مع التخديو ودار الحديث حول عدة مسائل من بينها مسألة المدرسة ، فأثنى اللورد على سعد باشا ومقدرته وذكائه ، كما امتدح بهذه المناسبة خطبته التي ألقاها في الجمعية العمومية عن وجوب التعليم باللغة العربية .

فرد سموه بأن مشروع المدرسة قد أثار غضب العلماء ، وأنه كان الأولى التريث فيه فقال اللورد : : ولكن المفتي وشيخ الأزهر بحثاء ولم يعترضوا عليه .

تقرير كرومر عن الحركة الوطنية . يلاحظ اللورد في تقريره عن سنة ١٩٠٦
 أن الحركة القائمة بها بعض المصريين لتأسيس حزب يدعون أنه الحزب الوطني هي

شئ جديد لم يسبق له وجود في مصر؛ إذ أن المصريين لم يكونوا مستقلين في عصر من العصور، بل تقلبوا من جيل إلى جيل تحت نير الفرس واليونان والرومان والعرب والجرس وأخيراً الأتراك، وأنه لا يوجد إلا عصر الفراعنة المظلم الذي يظن أن المصريين حكموا فيه أنفسهم.

أما الحزب القسام بالحركة الحالية إن لم يكن قائماً بكتيته على أساس التعصب الاسلامي فإن ذلك التعصب هو سلاحه وأنشوده.

وهو يستتج ذلك من كون المحرك الوحيد الذي يؤثر على شعوب الشرق هو الدين، وأن شكل الحكومة الدينية هو الوحيد الذي يميل إليه الشرقيون ويعتزون به. ولهذا يجب على الدول أن تلاحظ حركات التعصب الاسلامي أينما ظهرت؛ لأنه ينفش منها إقلاق النظام وتعمير الراحة العامة كما كاد يحصل في الربع الماضي في القطر، غير أن اللورد لا يظن أن ذلك الحزب المستر تحت رداء الوطنية تقوم له قائمة، ولا أن مبادئه المتعصبة تسرى في عروق الأمة المصرية لأن القائمين به أفراد مغرورون لم يولم أحد الزعامة. بل يظن أنه يوجد في القطر حزب آخر أجدر بأن يلقب بالحزب الوطني، وهو مؤلف من عقلاء الأمة الذين يشتغلون بسكون وصبر لما فيه المصلحة العامة، وتقدم البلاد؛ وهو يسميه حزب تلاميذ المغفور له الشيخ محمد عبده، ويستشهد بواحد منهم وهو سعد زغلول باشا ناظر المعارف الآن.

اصرار هيريرتي ليتاندار والاستاندارد. في ٣ مارس صدر أول عدد من ليتاندار إجبسيان، باللغة الفرنسية و الإجبسيان استاندارد، باللغة الانجليزية. وهاتان الجريدتان أسسهما مصطفي كامل عقب حادثة دنشواي وقام فيهما بمجلة شديدة ضد انجلترا بسبب هذا الحادث؛ وكانت نتيجة هذه الحملة أن وزير خارجية انجلترا، بعد أن اتهم المصريين، بإعزاز كرومر، بأقبح التهم، وبعد أن أقره على خطئه واستحسن كل ما أتاه، عاد فسحب ما قاله من الألفاظ الخارجة في مجلس العموم؛ ثم بعد ذلك عزل اللورد كرومر شر عزلة، ولم تمض بضعة أشهر حتى أعقب ذلك صدور العفو عن مسجون دنشواي وأفرج عنهم بمناسبة عيد الجلوس في ٨ يناير سنة ١٩٠٨.

أهداف سياسي للفهرمو. في ٢٤ مارس نشرت جريدة الإجبسيان استاندارد تصريحات كان قد أفضى بها الحديو لمكاتب الطان وهذا نصها: «أنا أحب بلادى حباً صحيحاً كما يعرف كل مصرى كيف يجب أن يحبها وتعلقنا بهذا الوطن عظيم، فهو وطننا مذكراتى في نصف قرن ج ٢

الخاص وفيه خبرنا وله كل محبتنا ونكره أن نموت في وطن آخر سواه .

ويدهشني ما يديه المصري من السهولة العجيبة في اقتباس التهذيب الأوربي ، ولقد حان الوقت ليبدل كل جهد لتحقيق أمانى الشعب المصرى فيما يتعلق بتقدمه . ، وأنكر سنوه بصفة قاطعة وجود أقل تعصب في مصر ، وقال : « إن الشعب المصرى صالح من طبعه ، وعامل أمين لين العريكة ، كما أن التسامح من أعظم قواعد ديننا . ، ثم تكلم عن التهمة الموجهة إليه ، وخلصتها أنه يريد أن يوجد لنفسه سلطة شخصية ليستعملها على الخط الشرقى ، فقال : « إننى تعلمت وأدركت بواسطة تربيته الأوربية أنه لا بد من اتحاد الأمة مع ملكها في العمل لمصلحة البلاد وحسن إدارتها . أما الحكومة الاستبدادية فانها عمل شاق ولا أقوى على احتاله . ، وختم كلامه بقوله : « قد بذلت كل قوى عاملا لمصلحة بلادى وما عارضت مطلقاً في عمل اعتقدت أنه نافع لمصر ، ولم أرفض في حياتى الاصغاء للنصائح والارشادات . ،

وقد نشرت اللواء ترجمة هذه التصريحات بالخط العريض ، بعد أن وزعت إعلانات يدوية تلفت فيها النظر لما ستشره .

وفى اليوم التالى طلب إلى الخديو أن استدعى إليه الشيخ على يوسف فلما قابله قال له : « الحقنا !.. الولد مصطفى كامل عمل عملة بطالة ؛ أولاً وزع منشوراً أمس صباحاً فيه يلفت أنظار الناس لتصريحاتى ، ثم نشرها في جريدته بظنة ورنه . ، واتفق الخديو مع الشيخ أن يكتب المؤيد اليوم والمذبر غداً بأنه لم يكن ثمة ما يدعو لهذه الحركة الصيانية ، وأن ما قاله الخديو لمكاتب الطان هو نفس ما يقوله على الدوام لمحدثيه ؛ وبالفعل تم ذلك ؛ وقد قال سموه بهذه المناسبة أيضاً : « الغرابة أن رجالنا الباشوات وجدتهم أمس موافقين على ما فعله مصطفى كامل من الطيش ! ، وعلت من سموه أنه يعنى لطيف سليم باشا ، واحمد شوق بك ، ثم قال : « وإن صاحبنا مستر موزلى (*) خاضب كثيراً لما حدث . ، وقال أيضاً : « إننى لا أقول شيئاً ضد اعتقاده ، وحينما أقول أنا أحب مصر مثل حب المصريين لها ، وإننا لا نريد أن نموت بعيدين عنها لا بأبلغ ؛ لأننى فى الحقيقة لما ذهبت إلى الخرطوم ، وحينما أكون فى الاستانة كل سنة ، أرى على وجوه المصريين وعلى لسانهم حينئذ بلادهم ، وشوقهم الشديد للرجوع إليها حتى أصغر

(*) كان قاضياً فى المحاكم الأهلية وخرج منها ، واشتغل بمكاتبه بعض الصحف الانجليزية بلندن ، وهو يحب مصر والمصريين ، ونصح الخديو فى الأعمال التى تهتم الانجليز وخصوصاً بالنسبة للصحافة .

واحد فيهم مثل الشنه جي (*) الذي، في معية والدني .
وقد بلغني مما سمعته بخصوص مكاتب الطان ، أن مصطفى كامل باشا هو الذي
أوعز لإليسة بالتوجه إلى القبة ومحاذة الخديو ، وربما كان الوسطة أجد شوقي بك ؛
وبعد أن دون المكاتب رسالته عرضها بواسطة شوقي بك على الخديو لحذف منها بعض
عبارات ، ثم توجه بها شوقي بك إلى موزلي لأخذ رأيه فقال : « إذا نشر ذلك يضر
ولا ينفع . » وألح في عدم نشر الحديث ، ولكن سموه رغماً عن هذه النصيحة أمر
بارسائها إلى الطان .

و النقطة الدقيقة في هذا الحديث ، هي التي تمس الحالة القائمة وفيها تليج لمسألة
المجلس النيابي في قول الخديو : « إنني تعلت في أوروبا وبأنه لا بد من اتحاد الأمة مع ملكها
في العمل لصالح البلاد وحسن إدارتها ؛ أما الحكومة الاستبدادية فانها عمل شاق
لا أقوى على احتماله . » ولو صدر هذا الكلام في وقت آخر لما كان له كبير أهمية ؛ وقد
قالت البروجيه ، وهي جريدة فرنسية محلية ميالة للسياسة الانجليزية ، بمناسبة هذه
العبارة : « اتضح الآن أن الخديو من الحزب الوطني ، أي الذي يطلب المجلس النيابي . » ثم
وردت برقية بأن التيمس قالت : « إن سموه أظهر الآن أنه موافق على سياسة
مصطفى كامل . » وأنها تهدده بأن يعدل عن هذا المسلك لأنه مدين لانجلترا بمركزه .
وقد نهجت الجرائد الفرنسية هذا المنهج إلا أن الاجبشيان جازيت هونت الأمر
فكتبت تقول بأنه لا يوجد في حديث الخديو ما يوجب تهديد التيمس لسموه .
وزاد هذا الحديث توتر العلاقات بين الخديو والمحتملين .

حديث سياسي آخر : وفي ٣١ مارس كتبت الصحف حول الحديث الذي أدلى
به الخديو إلى المستر ديسي مكاتب الديلي تلغراف قبل سفره لانجلترا ؛ وفي هذا الحديث
ينوه المكاتب بثلاث نقط مهمة :

(١) استنتج المكاتب من كلام الخديو أنه يرى الاحتلال أمراً طبيعياً ، ويفضله
على احتلال أي دولة أخرى .

(٢) أنه يرى الشعوب الشرقية ميالة للسلطة المطلقة بدلاً من السلطة النيابية ،
وعليه ينصح للانجليز أن يتركوا له هذه السلطة وأن يتفقوا معه في الأعمال حتى يكون
الجميع يدأ واحدة لصالح البلد .

(٣) هو الذي يحمل الطعام من المطبخ لفرقة المائدة .

(٣) أبدى الخديو أنه رغم احترامه للسلطان باعتباره الرئيس الدينى ، لا يمكن أن يتنازل لتركيا عن أى امتياز نالته أجداده ، وأن المصريين يؤيدونه فى ذلك ؛ وعلى ذلك فإن اتهامهم فى حادثة طابا بالاشتغال لصالح تركيا مردود وليس له أصل .

وفى الحديث أشياء أخرى مثل اعتراف الخديو بحميل الملك ادوارد الذى أبدى لسموه ، فى كل مرة زار فيها إنجلترا ، كثيراً من العطف وكرم الوفاة ؛ وقد نوهت الصحف المالية للانجليز بهذا الحديث ، وأشارت إلى الصحف الوطنية بقولها : « ها هوذا الخديو على غير فكركم ، فهو يريد الاحتلال ولا يطلب مجلساً شورياً . » فردت الجرائد الوطنية بأن كلام مكاتب الدايلى تلغراف لا يعول عليه ، لأنه استطراد واستنتاج لا يبرره الحديث ، وأنت بشواهد عديدة على أن الرجل فى كتاباته يخلط ، هذا فضلاً عن أنه لم يطلع الخديو على ما كتبه قبل النشر كما هو المعتاد فى هذه الأحوال ، ولهذا لا يمكن التعميل على كلامه وكتابته .

وفى أول يونيو سألنى الشيخ على يوسف تليفونياً من مصر عن هذا الحديث ، وعما يمكن أن يكتبه بشأنه ، فوعده بالمقابلة فى اليوم التالى عند رجوعى لمصر من الاسكندرية بمناسبة اجتماع مجلس الأوقاف الأعلى ، ثم عرضت على الخديو الأمر فقال لى : « أنا لم أقل مطلقاً ليدى إننى مبال للسلطة الشخصية ، وقد صرحت لمكاتب الطان بعكس ذلك ؛ فكيف أقول الآن العكس . أما بالنسبة لما يقوله ليدى من أنى موافق على الاحتلال ، فهذا لا يعقل ؛ لأنه لا يوجد مصرى يرغب احتلال بلده بدولة أجنبية ؛ أما تفضيل الانجليز على غيرهم ، فهو لاشك مما يقوله كل إنسان . » وأخيراً قال لى : « عندما تقابل الشيخ على يوسف فى مصر أخبره بأن فكرى لم يتغير بالنسبة للاحتلال ؛ وقد أوضحته رأى لمكاتب الطان بالنسبة للحكومة الشخصية ولا بأس أن يكتب ذلك . » ثم قابلت الشيخ وأخبرته بذلك فكتب شيئاً بهذا المعنى ؛ ولما رجعت عرضته على الخديو ، وكان اسماعيل أباطه باشا موجوداً ، فوافقا عليه ، وأمرنى سمزه أن أخبر الشيخ على يوسف بأن يقول : « إن مكاتب المؤيد قابل أحد رؤساء المعية — بدلا من أن يذكر اسمى — وعلم منه كيت وكيت . » قال الخديو : « وإن سئلت أقول لى أجهل ذلك . » وقد حصل ونشر المؤيد تحت عنوان « صحيح الحديث ، ما يأتى :

« قطعت جبهة قول كل خطيب . كتب إلينا كثيرون ، ومن جملتهم احمد ائندى عبد اللطيف الحامى ، بعد اقتناعهم من استنتاجات المؤيد ، وعب الحامى المذكور عليه

بعدم نشر خطاب له ، ولكن لم يشأ المؤيد أن يناقش ألفاظاً بألفاظ فأوفد مكاتباً خصوصياً للاستندرية فقابل أحد رؤساء المعية وهذا ما قاله وأذن بنشره حرفياً ؛ نقلت الجرائد في هذه الأيام حديثاً عن جريدة الديلي تلتزاف عزاء مكاتبها للجناب العالي الخديوي وقد جاء فيه كلام عن مركز الاحتلال الانجليزي في مصر وعن الحكومة الشخصية في البلاد الشرقية ، والحقيقة أن المستر ديسى طلب قبل سفره من القطر المصري مقابلة الجناب العالي وجرى معه حديث لم تعرض صورته بعد على سموه ، ومع اعتقاد الجناب العالي بحسن نية المكاتب فيما نشره ، إلا أن رأى سموه في الاحتلال لم يكن من قبل مجهولاً ورأيه فيه لم يتغير ؛ وأما رأيه في أمر الحكومة الشخصية فقد قاله سموه بأجلى عبارة لمكاتب الطان قبل الآن ولم يبد لسموه رأى جديد يخالفه .

اقامة اللورد كرومر وتعيين السير البرون جوست . بلغ الاستياء من سياسة الاحتلال غاية ، سواء في ذلك الخديو والشعب المصري ؛ وعرف الانجليز أن نفوذهم الذي عمّل اللورد كرومر على تقويته وتدعيمه ، منذ تعيينه ممثلاً لانجلترا خلفاً للسير ادوارد مالت سنة ١٨٨٣ بدأ يتضاءل ويضعف على يد كرومر نفسه بسبب أخطائه الأخيرة ، ولا سيما فيما يختص بمصادمة دنشواي التي صدعت من هيبته في نظر أوربا كلها ، ولما أحدثته هذه السياسة الفاشمة من رد الفعل وتقوية النزعة الوطنية ، وتنبه الأفكار بين عامة الشعب ؛ عندئذ رأت انجلترا أن تضحي بفرد هو اللورد كرومر على أن تضحي بمصالحها العامة ؛ فقررت تعيين السير البرون جوست معتمداً بريطانياً خلفاً له ، ووضعت سياسة جديدة تقوم على اجتذاب الخديو إلى جانب انجلترا ، واستمالة الأحزاب الوطنية التي كانت تتمخض عن الظهور .

وصدر هذا القرار في أول أبريل فكان له وقع حسن في النفوس ، بعدما بلغ التذمر نهايته ، وبذلك أخذت البلاد تستعد للعهد الجديد بشيء من الرجا .

وفي ٢٥ أبريل تألفت لجنة للاحتفال بوداع اللورد ، بأشراف مستر فنسان كوربت المستشار المالي ، وقد قابل دومرتينو باشا وأشار إليه من طرف خفي أن اللجنة تود لو شرف الجناب الخديوي الأوبرا يوم الاحتفال ، وأنه إذا لم يحضر فإن اللورد يتحدث عن الخديو اسماعيل والخديو توفيق ، ولا يشير إلى سموه بشيء ، بل ينتقد على الأوقاف والأزهر والمحاكم الشرعية .

فسأل الخديو دومرتينو باشا عن مناسبة الحديث بينه وبين كوربت فقال :

و عندما أراد توزيع اللوجات ، فكر في لوج الجناح العالى ولمح إلى أنه إذا لم يحضر سموه ، ففي وسعه أن يرسل من ينوب عنه .

وفي ٢٧ ابريل جاء اللورد وزار الخديو زيارة الوداع وقال لسموه ما باتى : و جئت لآخر مرة ، وقد لا تقابل بعد ذلك ؛ فالآن أريد ألا أخفى عليكم شيئاً فأقول بصراحة إن العلاقات الشخصية بيني وبينكم كانت طول المدة التى أقمتها حسنة . فأبدى الخديو شكره ؛ ثم قال اللورد : و أما العلاقات السياسية فكانت سيئة وخصوصاً فى السنوات الأخيرة ، فان سموكم اندفتم فى تيار اللواء والمؤيد وطلب مجلس نياي . فأجاب الخديو بأنه لم يطلب ذلك ، وأتم اللورد كلامه قائلاً : و فما نفع هذا المجلس ؟ ألم تعلموا أنه يكون ضدكم وأنكم تلعبون بالنار ، فليكن أن تشجعوا وتخرجوا من المأزق الذى اندفتم بنفسكم اليه وتركوا هذه الأمور لثلاث تعرضوا مركز الخديوية للخطر . واعلموا أنه إذا حصل اختلال فى مصر واضطر الحال لاستخدام القوة العسكرية الانجليزية ، وأطلقت رصاصة واحدة فانها تكون القاصية على مصر وعلى العائلة الخديوية . ولقد كان اعتصاب سائقي العربات مصبوغاً بصبغة سياسية وهذا شيء غير حسن ، ولكن لما يعلمه المعتصوبون من قوتي وشدتي انتهى الأمر بسلام ولم يستمر الاعتصاب . ولكن بعد خروجي سيرجع وهناك الطامة الكبرى ، وأن المسيحيين والوطنيين وأغلب المصريين مستاءون من هذه الأمور .

وما الذى دفعتك لمقابلة مكاتب الطان الذى نشر حديثك معه ؟ ولكن أما وقد حصل تغيير الآن فى المعتمد ، فان الفرصة أمامك فيمكنك تغيير خطتك أولى من أن تكون سبباً للضرر بشخصك والخديوية وعائلتك .

فرد الخديو على اللورد بقوله : و إذا كنت تعنى بكلمة عائلتي أولادى ، فأنا والله الحمد عندى ما يكفيني ويكفيهم ؛ أما إذا كان القصد الأمراء الآخرون ، فأنت ضيقت عليهم دائرة الانتساب لاسرقي ، أعنى الذكرى والمحدد لأعضاء العائلة الخديوية ، وقد شجعتهم ضدى وعينت منهم أوصياء على أبناء العائلة بدون علمي ، ولم أعلمه إلا من الصحف .

ومن جهة سياسى فأنا أعلمكم أنني لا أريد الضرر لبلادى وأننى أبعد عما يجلب لها أى ضرر . وفى مدة الخمسة عشر عاماً كانت الاستقامة من شعائري ، وكنت أجتهد فى تسهيل مهمتك ، وأنا آسف على نسيانك الخدمات التى قمت بها لك ، وأستغرب من

وصول كل إشاعة سيئة ضدى إلى أذنك ، وعدم وصول شيء من المساعي الحميدة التى كنت أقوم بها .

وبعد خروجه قال لنسا الخديو : « ... وكان كلامه فى نهاية الغلظة ينم عن نزوع إلى الانتقام والثبني من خصم لم ينل بغيته منه ويريد تهديده وتهديد مركزه . » وإزاء هذه الغلظة قرر الخديو ألا يرسل مندوباً عن سموه فى حفلة الوداع بالأوبرا واكتفى بأن يتوجه سموه يوم ٢ مايو فيزور اللورد وزوجته فى الوكالة البريطانية .

وفى عصر ذلك اليوم جاء السير الدون جورست وقابل الخديو وتحدثا معاً ، وأعلم سموه أنه لم يقابل الملك قبل سفره إلى مصر ، وأنه سيمكث لآخر يونيو لمراقبة الأحوال هنا ، ويعود إلى إنجلترا لشرحها لوزير الخارجية ، لأثر التقارير ليست كالمشاهدة ، وبعد أن يمضى إجازته يعود للعمل . فأبدى له الخديو ارتياحه لتعيينه وقال له : « إني أعتبر ذلك التفاتاً وترضية من جلالة الملك وحكومته لى ، حيث اختاراً رجلاً أعرفه واشتغلت معه وهو صديق لى ، فأؤمل ياسير جورست أن تكون فى المستقبل نفس الرجل الذى عرفته فى الماضى . » فأجابه السير بأنه يؤكد لسموه أن خطته لا تتغير ، وأنه سيكون دائماً الصديق القديم ، فرجاه الخديو ، لمعرفته بشئون الداخلية والمالية والبلاد ورجالها وباللغة العربية ، ألا يعتمد فى معلوماته على واسطة ثم قال الخديو : « عندما يبلغك شيء فلا تغضب بل احضر عندى فى أى وقت كان ، وتحادث معى حتى لا يقع سوء تفاهم بيننا ؛ وأؤكد لك أننى أريد خدمة بلادى باستقامة ولا أميل إلا للحق ، ولتكن وجهتنا واحدة ، ألا وهى العمل النافع لمصر . »

وبهذه المناسبة تحدث الخديو مع جورست عن جلسة مجلس النظار التى حدث فيها المناقشة فى مشروع مدرسة القضاء الشرعى وتوجه شيخ الجامع على أثرها إلى اللورد كرومر وشكا اليه ، فلم يمض يوم أو اثنان حتى أرسل سعد باشا لشيخ الجامع خطاباً يعدل فيه ما ورد فى الذكريتو الخديوى . وقال الخديو :

« فهل يمكن أن يعدل الذكريتو الخديوى بخطاب بسيط من ناظر المعارف ؟ » وبعد انتهاء الزيارة ، بلغنى من دومرتينو باشا نقلاً عما سمعته ، أن الإنجليز يقولون إن جورست سيكون سهلاً ليناً فى البداية حتى يتحدث من الخديو ما يستوجب الملاحظة فيكون عندئذ شديداً جداً على سموه .

وفى ٣ منه علمت من بطرس غالى باشا ، أن اللورد كرومر نقل كل ماجرى بينه

وبين الخديو من الحديث بنصه لمسيو دوفيل يوا قنصل عام هولانده وأقدم القناصل الموجودين بمصر ؛ وعلم بطرس باشا من كرومر أيضاً أن الخديو وعد بأن يتبرأ من الحزب الوطنى فى الخطاب الذى سيلقيه يوم استقبال جورست ، وأنه ألقى على سموه نصائح بصفته محباً له بأن يعتمد عن مصطفى كامل وعلى يوسف واحمد شوقى ؛ ثم قال لى بطرس باشا : « إن اللورد حدثنى بغاية الاعتدال ، وليس كما سمعته وقاله لى الخديو ؛ وقد أبدى لى اللورد أنه بتغييره وتعيين جورست قد أتيحت لسموه فرصة ثمينة للخروج من المأزق الحرج الذى زج فيه بنفسه . ولم يقل لى شيئاً عن تهديده للأريكه الخديوية بل قال فقط : إن السياسة الحالية مما تضرر الخديو . »

وفى أول مايو توجه مصطفى فهمى باشا وقابل البرنس حسين كامل باشا ، واجتهد فى إقناعه بقبول حضوره فى حفلة وداع كرومر . وأرسل المستشار المالى خطاباً لرياض باشا يطلب منه فيه الاشتراك فى هذه الحفلة ، فقيل ؛ ولما سئل إذا كان ينوى الخطابة ، أجاب نفيًا .

وبلغى بعد ذلك ، أن وكيل البنك الأهلى بالاسكندرية ، وهو انجليزى ، بذل وسعه فى ضم الوطنيين للاحتفال باللورد فلم ينجح ، فهدد بعدم مساعدتهم وقت الزوم . وقال لكامل بك تيمور : « أنت رجل مالى ولك أشغال كثيرة وتحتاج إلى المال فاذا أبيت الانضمام فانا نحن أيضاً نمنع عنك المال حين احتياجك إليه . » ومع هذا التهديد فقد رفض الحضور .

وفى ٢ مايو توجه الخديو صباحاً لزيارة اللورد بدار الوكالة البريطانية وكان اللورد فى انتظاره على آخر درجة من السلم ؛ وتقابل الخديو مع زوجة اللورد ، ولم يحضر الاجتماع أحد ، وجرى الحديث عن الهواء والمناخ والأزمة المالية وبعد ذلك أوصله اللورد حتى الباب الداخلى .

وقد بذل رجال الاحتلال كل مجهود لاحضار أكبر عدد من الوطنيين فى حفلة الدواع ولكن بالرغم من هذه الجهود فقد رفض الكثيرون الحضور .

وجاء فى اطسون باشا الياور الخديوى يسعى فى حضوري فاعتذرت بأنى سأكون يوم الاحتفال فى الاسكندرية ، كما اعتذر عزت بك بأنه لا يعرف اللغة الفرنسية التى يستلحق بها الخطب ؛ أما احمد زكى باشا فقد اضطر للقبول .

ورفض يوسف ضيا باشا الحضور وقال : « إنه لاوقت لديه للتوجه للأوبرا . »

وقد علمت من الحديو أن واطسون باشا كتب أمام أسبأ رؤساء الجمعية الاعتذارات التي قالوها عندما عرض عليهم أن يحضروا حفلة الأوبرا .

وقال لي سمموه أيضاً إن البرنسات الذين يخاصمونهم من عائلة حلیم وعائلة فاضل وربما أيضاً البرنس عمر طوسون ، قبلوا الدعوة للاحتفال بكل ارتياح ، وإن البرنس سعيد حلیم كتب خطاباً إلى اللورد يفيض مدحاً وشكراً للرعاية التي كان يوليم إياها . وكثبت الصحف الوطنية تندد بالذين سيحضرون الاحتفال ، ولا سيما بالبرنس حسين كامل باشا . وهكذا مرت الحفلة يوم ٤ مايو دون أن يحضرها من الوطنيين إلا عدد قليل من أثر عليهم صنائع الانجليز ؛ أما هؤلاء فقد حضروا جميعاً بطبيعة الحال في الاجتماع .

وقد ألقى اللورد خطبة ضافية في هذا الاحتفال ؛ لا حاجة بنا لايرادها ؛ ويستطيع القارئ أن يراجع هذا الخطاب الذي تلاه كرومر بالطعن على الأمة المصرية ورجالها ، في الصحف التي صدرت في هذه الفترة ، ولكننا نحيله على المقال الشهير الذي رد به الشيخ على يوسف صاحب المؤيد على خطاب كرومر وفند فيه مطاعه بقوة وذلاقة ؛ وقد نشرته جريدة المؤيد عقب الاحتفال .

جورست وسجاسة الوفاء المجريد . في ١٠ مايو اطلعنا على الخطبة التي سبقتها جورست يوم استقبله الرسمي ، فوجدنا بها نقطتين هامتين : الأولى أنه نوه فيها بتأكيد روابط المحبة من زمن بعيد بين انجلترا والدولة العلية ، والثانية اعترافه في آخر خطابه بأن حكم مصر إنما هو للجناب الحديوي .

وقد أرسلنا فأحضرنَا خطبة كرومر سنة ١٨٨٣ للوزانة بين الخطبتين فوجدناهما متماثلتين تماماً ، ولكن جورست أشار فقط في خطبته إلى السنين التي قضاها في خدمة الحكومة المصرية بنظارة المالية .

وفي ١٦ مايو كانت الاستقبال الرسمي ، فالتقى السير الدون جورست خطبته المذكورة بعد تعديل فيها يحذف اسم الدولة العلية ، لأنه رأى في الرد الذي أعدته — بصفتي رئيساً للديوان الأفرنجي ، وبعد عرضه على نظارة الخارجية كالمتعاد — أننا سنقول : « روابط الود بين انجلترا والدولة العلية وبالأخص مصر . » فاكثفي هو بذلك مصر فقط ؛ وكان في ردنا جملة أخرى وهي : « تأكد ياسعادة الوزير أنك ستجد مني كل المساعدة بالاخلاص . » وقد أراد الحديو حذفها ولكن بطرس باشا استصوب بقاءها .

ثم إن الذى سر الخديو فى خطبة جورست اعترافه بسيادة الدولة العلية حيث تكلم عن توثيق روابط المودة بين إنجلترا والدولة العلية ثم اعترافه بأن الحاكم لمصر هو الخديو حيث قال جورست : « لى أشعر فى خاصة نفسى بارتياح لاختيار الملك لى وكيلا مفوضاً ، وقصلاً عاماً فى بلاد أنت مليكها الكريم . »

وفى ١٩ مايو قابلت البرنس حسين كامل باشا ودار الحديث بيننا عن المعتمد الجديد ، فقال البرنس إنه قابل جورست وفهم منه أنه ميسال لاصلاح الأمور ، وقال دولته للمعتمد : « إن المديرين مغلولة أيديهم عن العمل بسبب المفتشين الانجليز ، مع أنهم أدرى بمصلحة البلاد . فرد بأنه يجب تغيير هذه الخططة . »

وفى ٢٥ مايو زار المعتمد عباساً ودار بينهما حديث ودى ، وقال جورست إنه سيسافر إلى إنجلترا لعرض الحالة على ناظر الخارجية شخصياً بدل التقارير ، وإنه سيعود بعد ذلك لمصر للعمل بكل إخلاص مع جنابه العالى .

وقد زار المعتمد الخديو مرة ثانية فى ٥ يونيو ، ولكن سموه لم يصرح بشئ مما دار بينهما من الحديث ؛ بيد أنه بعد خروج جورست قابل سموه اسماعيل أباطله باشا ففهم من سموه أمرين مما يتعلق بهذا الحديث : وهو أن جورست ابتدأ فى انتقاد أعمال كرومر ولم يرد عليه الخديو ؛ والثانى أن جورست نصح بعدم الاشاعة إلى أن فى مصر أحزاباً ؛ وقد فهمت من ذلك أن جورست أراد ألا يتكلم الناس عن الحزب الوطنى لأنه ربما هو الذى يثير أفكار الانجليز .

وفى ٢٢ يونيو ، سافر الخديو إلى الأستانة فوصلها يوم ٢٧ منه ؛ ومكث بها أسبوعاً ثم بارحها إلى سيفون لأخذ الحمامات .

وفى ١٠ يوليو سافر جورست إلى لندن ؛ وقد كلفنى بطرس غالى باشا أن أرسل برقية للجناب العالى : « بأن المعتمد سافر مرتاحاً من حسن معاملة الخديو له ومن سير الأمور فى مصر على العموم ، ووعده بأنه سيعلم بذلك وزارة الخارجية الانجليزية لتطمئن الخواطر ، لأن تقارير كرومر كان لها تأثير سيئ فى النفوس . » ففعلت .

وفى ٢٥ منه جاءنى مظلوم باشا ناظر المالية وطلب منى أن أرسل برقية للجناب العالى بأن المستشار المالى سيقدم استقالته ؛ وقد فهمت من حديثه أن سبب استقالته ملاحظة جورست عليه وانتقاده لسياسته المالية وكثرة الانفاق من الاحتياطى ؛ وفهمت كذلك أن جورست غير مستريح لمستشار الداخلية المستر متشل اينس ، ولا إلى

اللورد سيسل الذى رشح لأن يكون مستشاراً مالياً ؛ وقد أرسل جورست للخدوي فى ديفون خطاباً رقيق العبارة يفيض بعبارات الاحترام . يعلم سموه باستقالة كوربت ، ويعرض على اعتابه تعيين خلف له إذا وافق ولى النعم عليه . وهذا أمر ما كان يصدر فى عهد كرومر ؛ إذ كانت التعيينات كلها تجري دون أخذ رأى الخديو .

فرد الخديو عليه بخطاب يقول فيه إنه واثق من الشخص الذى انتخبه لثقة سموه فيه ، ولهذا يوافق عليه ؛ وقد خلفه فى ٩ اكتوبر المستر هنرى بول هروى . وعاد الخديو فى يوم ٢ اكتوبر . وقضى ليلة فى المحروسة ، وقابل النظار فى سراى رأس التين فى اليوم التالى .

عهد جديد : هذا وقد بدأ عهد جديد فى البلاد من ناحية سياسة المحتلين بعد رجوع جورست من لندن ؛ فكان أول أعماله أن جمع لديه كبار الموظفين الانجليز فى الحكومة المصرية ، وأوصاهم بمعاملة أقرانهم المصريين بالحسنى . وعدم الخروج عن دائرة نفوذهم واختصاصهم ؛ ولم يحضر هذا الاجتماع سون الموظفين الانجليز ، وقد أمرهم بكتيان هذه النصيحة ؛ ولكن الغريب أن المؤيد نشرت الخبر فى اليوم التالى . وفى أول ديسمبر تقابل بطرس باشا مع الخديو ، فأبدى سموه ارتياحه للبعثت الجديد وخطته .

وفى ١٧ منه قابلت بطرس غالى باشا . فقبلت منه بمحصول الوفاق بين الخديو وجورست على منح الرتب والنياشين ، سواء أكان ذلك بواسطة الداخلية أم من لدن جنابه .

وقد أفهمنى أنه يخشى أن تحدث فى هذا الشأن أخطاء كالتى وقعت ، وأن تعود تجارة النياشين ؛ وذلك لا يحسن أمام جورست .

وفى ٢٣ ديسمبر ، بعد مقابلة بين الخديو والمعتمد ، علمت أنه أخبر سموه أن الحكومة الانجليزية لا تسامح فى العفو عن مسجونى دنشواى ، وأنه قر الرأى على إصدار العفو فى عيد الجلوس الخديوى .

وهكذا سارت الأمور فى هذو . فى ظل العهد الجديد .

أرضى يهود الخديو . فى ذلك الحين تغيرت حالة الخديو عن ذى قبل . وأصبح كثير الصخب . يتكدر ويسخط لأقل شئ . وغدا مشئت الأفكار ؛ فراعتنا هذه الحالة التى لا نعلم لها سبباً :

وفي يوم ٢٥ مايو قابلت بطرس غالى باشا ، وعرضت عليه الحالة ، فقال لى إنه توجد إشاعة بأن الخديو كان يكلف أحد الانجليز بالكتابة فى صحف انجلترا ضد كرومر ، وأن هذا الرجل ، نظراً لوجود مكاتبات لديه من الخديو ، يطلب مبلغاً عظيماً ؛ وإلا فانه يفضح الأمر ؛ وهذا ما يخشى الخديو حدوثه من وقت لآخر .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان سموه متكدر من السلطان ، لأنه رغب أن يشتري أرضاً واسعة بالضلبان فيها غابات يمتلكها رجل اسمه شريف افندى من أزمير بمبلغ ١٢ ألف جنيه ، وقد أراد سموه أن يكون البيع باسم الركدار احمد أغا الكريدلى . فلما علم السلطان بذلك ، حال دون إتمام الصفقة ، فتأثر الخديو جد التأثر ؛ ولكن انتهى الأمر بشراء عباس هذه الأرض ويظن بطرس باشا أن الخديو لهذا السبب لا توجه هذا العام إلى الاستانة ، وتمنى لو حدث ذلك ؛ ولكن سموه لم يتأخر عن السفر إليها .

وفى أثناء هذه المقابلة جرت سيرة احمد شوق بك ، فقال بطرس باشا : « إنه ربما كان الوسطة بين الخديو وهذا الانجليزى . » وزاد على ذلك قوله : « ما هو انت يا شفيق الذى جتبه كما بلغت ، لأن أفندينا كان زعلان منه ، وأراد أن يخرج من المعية لولا مساعدتك له . » وقد كان يظن بطرس باشا أن ذلك حدث فى الأيام الأخيرة ، ولكنى أفهمته أن ذلك حدث أيام حسن عاصم باشا ؛ إذ أراد شوق بك أن يقدم استقالته ؛ ولكن نظراً لذكائه ونشاطه ومقدرته فى الترجمة وحاجة المعية لى خدماته ، فقد منعه من ذلك ؛ ولم أكن أعلم أنه يصل به الأمر لما نراه الآن ، كما أخبرت بطرس باشا بأنه وثى فى عند الخديو ، فقال لى إنه يعلم ذلك .

وبعد ذلك سألت دومر تينو باشا عن مسألة هذا الانجليزى ، فقال لى : « نعم هى مسألة حقيقية ؛ وقد علمت أن هذا الرجل كان قد حضر لمصر ، وطلب الحصول على امتياز كثير الفائدة ، ولكن جورست وقت أن كان مستشاراً مالياً رفض ذلك . فلما ذهب الشيخ على يوسف إلى لندن ، وعده بمساعدة مالية إذ ارضى أن يكتب الجرائد الانجليزية ضد كرومر وأعماله ؛ وقبل وكتب واستمر على ذلك مدة ؛ ولم يعرف اللورد سر المسألة حتى توصل قبل خروجه من مصر إلى معرفة هذا الرجل ، وعلم أن يده خطابات كثيرة عدا خطابات أخرى من الشيخ على يوسف بأمر الخديو ، ومنها يعلم أنه أرسلت إليه نقود تبلغ الألفى جنيه . وخطابات أخرى تفضح الخديو وكاتبها . وأخيراً طلب اللورد من هذا الرجل أن يعطيه هذه الخطابات مقابل إعطائه الامتياز الذى يريده فأبى .

وأخيراً تفاوض الرجل مع الوسطاء بينه وبين الخديو، وطلب مائة ألف جنيه وإلا فإنه يسلم الأوراق للوكالة البريطانية؛ وعليه اتدب سموه كلا من أحمد شوقي بك وحسين محرم باشا للخبرة في هذا الشأن مع الرجل، ولكنه رفض خمسين ألف جنيه تعويضاً.. مسكين الخديو لا يعرف من أى جهة يأتيه الكدر والضرر!

وفي ٢٩ مايو علبت من بروستر بك حقيقة مسألة الانجليز؛ وهو مسترموزلى الذى كان قاضياً بالمحاكم الأهلية وأرغم على الاستقالة؛ ولكنه ليس هو الذى يهدد بتسليم الأوراق للوكالة البريطانية، أو يطالب بتعويض، لأنى أعرف أنه يوجد اتفاق يقضى بمنحه ١٢٠ جنياً كل ثلاثة أشهر، وقد صرف له ذلك عن يدي من الخاصة منذ أسبوع فقط؛ أما الرجل المقصود فهو رجل أرمنى كانت له علاقة بالشيخ على يوسف وموزلى، وتقام مع الخديو بخصوص الكتابة في الجرائد واسمه اسطفان بك، وأعرفه لما كنا في الخارجية معاً، ويعمل الآن في بيع وشراء الأراضي، وكان هو الذى طلب من الحكومة أراضى أظنها بجهة النوبارية، ولم تساعده الوكالة ولا جورست أيام أن كان مستشاراً مالياً. وقد انتهى الأمر بحصوله على مبلغ من الخاصة، وطويت المسألة.

الزراعة الحالية. في السنوات السالفة ارتفعت أثمان العقارات والأراضى الزراعية لدرجة لم يسبق لها مثيل، فكانت الصفقة تباع في الصباح بثمان عال، وفي المساء تباع بثمان أعلى؛ وكثرت المضاربة حتى أنى كنت أملك ثلاثة أفدنة من الأراضى الزراعية في شارع الحرم اشتريتها بمائة جنيه للفدان فبعتها بسعر ١٣٠٠ جنيه؛ كما أنى اشتريت ثلاثة أفدنة أخرى في شبرا بسعر الفدان ١٨٠٠ جنيه، وكنت أرجو المكسب الطائل؛ ولكن غاب ظنى فهبطت الأسعار إلى درجة كبيرة؛ وكذلك اشتريت ٢٠٠ فدان أرضاً غير مزروعة خارج زمام الفيوم بسعر الفدان ١٠ جنيهات، ولكنها هبطت إلى جنيه واحد للفدان (٥).

وكان كرومر في تقريره السنوى قد أشار إلى أن هذا الارتفاع الفاحش في الأسعار لا بد أن يكون له رد فعل وأنه سيمتد هبوط كبير؛ وقد تحقق ظنه! ووقعت الأزمة، وامتعت المصارف عن التسليف خصوصاً تلك التى كانت تستورد أموالها من الخارج، وأخذت تطالب بما لها من الديون، فأرهق الكثيرون وكنت منهم. وفي ٢٠ يوليو بعثت برفقة للدكتور كاوتسكى بك بناء على طلب بطرس باشا

ليعرض على الخديو أن الأزمة المالية أثرت في التجارة ، وأن رجال المال في مصر يسعون في توقيع مذكرة يرفعونها للدالية ، لأقراض البنك الأهلى ثلاثة ملايين من الجنيهات ، للعمل على تخفيف الأزمة .

وكان رأى السير جورست أن الأزمة الحالية لا ينتظر انقضاؤها قبل عامين أو ثلاثة ، حتى تعود الثقة المالية التي أثرت فيها تقارير كرومر وخطة الحزب الوطنى . ومن هنا بدأ نقده لكرومر وسياسه .

وفى ٢٦ يوليو أرسلت لسمو الخديو برقية بذلك ، وأتبعها فى اليوم التالى برقية أخرى عن إحصاء المحال التجارية التى أعلن إفلاسها ، وقد بلغت الثمانين ١

وفى نفس اليوم وردت لى برقية من طورنيزن باشا بأن أطلعه يومياً على الحالة المالية وموقف الحكومة منها ، لاحاطة الخديو بها تبعاً ، فأرسلت اليه برقية فى ٢٩ منه بتفصيل عن الحالة ، وبما جاء فيها : إن المزارعين باعوا قطعهم بنقص ٢٠ قرشاً عن أسعار الكونترات بسبب المناورات التى قام بها تجار الصادرات ، ليتمكنوا من الشراء بأسعار رخيصة ؟ وكان المعتاد أن يكون البيع فوق الكونترات ، ثم تفاصيل أخرى توضح حرج الحالة ونفاقها .

قيام الأحزاب المصرية . منذ أواخر العام الماضى نشطت حركة تأليف الأحزاب المصرية بصفة منتظمة ؟ وهى ثلاثة : الحزب الوطنى ، وحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية ، وحزب الأمة .

وابتداً تأليفها منذ اكتوبر سنة ١٩٠٦ ، وانتهى فى سبتمبر سنة ١٩٠٧ ؛ وإليك خلاصة عن ظروف تأليفها ، وبيان برامجها المختلفة :

الحزب الوطنى : كان مصطفى كامل قد سافر فى صيف هذا العام إلى أوروبا للدعاية لمصر ، وعاد فى أواخر سبتمبر ، وخطب فى الاسكندرية فى ٢٢ اكتوبر خطبة طويلة أعلن فيها مبادئ الحزب الوطنى ؛ وكان مصطفى كامل معتل الصحة فى ذلك الوقت ؛ فلما رأى تأخر صحته أسرع بتأسيس الحزب ، وخطب خطبته فى ٢٧ ديسمبر بالقاهرة ، وكان معظم الوطنيين يلتفون حوله قبل تأليفه بطريقة رسمية

وكان برنامجهم واسعاً يفرى أصحاب النفوس الطامحة ، ويرضى المتطرفين والشبان

وهذا هو : —

- (١) استقلال مصر كما قرره معاهدة لندره سنة ١٨٤٠ ، ذلك الاستقلال الذى يضمن عرش مصر لعائلة محمد على مع الاستقلال الداخلى عن تركيا .
 - (٢) إيجاد دستور فى البلاد بحيث تكون الهيئه التنفيذية مسئولة أمام مجلس نيابى تام السلطة كمجالس النواب فى أوروبا .
 - (٣) احترام المعاهدات الدولية ، والاتفاقات المالية التى ارتبطت بها الحكومة المصرية لسداد الديون ، وقبول مراقبة مالية كالمراقبة الثنائية ؛ ما دامت مصر مدينة لأوروبا ؛ إذا طلب منها ذلك .
 - (٤) الصراحة فى انتقاد الأعمال الضارة ، وتشجيع الأعمال النافعة للحكومة المصرية .
 - (٥) العمل لنشر التعليم على أساس وطنى صحيح ، بحيث ينال الفقراء منه أوفى نصيب .
 - (٦) ترقية الزراعة والصناعة والتجارة .
 - (٧) بث الشعور الوطنى فى الشعب ، وإفهامه حقوقه الوطنية ، ودعوته للائتلاف والتساند بين عنصريه .
 - (٨) العناية بالشئون الصحية .
 - (٩) بث روح المحبة بين المصريين والأجانب .
 - (١٠) تقوية العلاقات بين مصر والدولة العلية .
 - (١١) الدعاية لمصر فى الخارج ، ونفى كل شبهة عنها يلصقها بها خصومها .
- ويشترط لقبول الأعضاء بالحزب الوطنى ما بأتى :
- (١) أن يكون الطالب مصرياً ، معروفاً بالأخلاق الفاضلة . لم تصدر عليه أحكام تمس شرفه وسمعته .
 - (٢) ألا يكون عضواً فى حزب آخر .
- أما الأعمال التى ستعرض على الجمعية العمومية للحزب الوطنى للتصديق عليها فأمهما :
فى ميدان السياسة :
- وضع تقرير سنوى باللغات الثلاث : العربية والفرنسية والانجليزية عن حالة

مصر، ردت فيه على ما يورده معتمد الدولة البريطانية في تقريره ضد مصالح المصريين وأماهم، وتبين فيه مقاصد الأمة ومطالبها والأمور الشاغلة لها.

في ميدان التربية والتعليم :

إعداد المعدات لمؤتمر التربية . والسعى في تنفيذ قراراته بعد انعقاده . وسيدعى الذين اشتركوا مبدئياً في هذا المؤتمر للاجتماع في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٠٧ بمدرسة مصطفي كامل ، لتقرير الأمور المبدئية اللازمة لعقد المؤتمر (*).

وهذا الحزب هو أقوى الأحزاب المصرية ، وأعظمها في العدد والنفوذ .

حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية : بعد تأليف الحزب الوطني ، تحركت فكرة تكوين الحزب الذي رأى الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد إنشاءه ، خصوصاً وقد شعر الحديوي بأن الحزب الوطني قد توسع في برنامجه بما لا يناسب الحالة الجديدة ، حالة الوفاق بين سموه والسير الدون جورست ، وأنه لا بد من قيام حزب يؤيد سموه ويكون عاملاً من عوامل التوازن .

عندئذ ألف الحزب الثاني في أبريل ، وسمى « حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية » برئاسة الشيخ علي يوسف ، وكالة احمد حشمت باشا ؛ وهذا ملخص مبادئه :

(١) تأييد السلطة الخديوية فيما منحتها الفرمانات الشاهانية لاستقلال مصر الاداري .

(٢) الاعتماد على الوعود والتصريحات التي أعلنتها بريطانيا المظلي عند احتلالها القطر المصري ، ومطالبتها بتحقيقها .

(٣) المطالبة بمجلس نيابي مصري يكون تام السلطة فيما يتعلق بالمصريين والمصالح المصرية .

(٤) أن يكون التعليم الابتدائي عاماً وجماعياً .

(٥) أن تكون اللغة العربية لغة التعليم في البلاد .

(٦) أن تعطى الوظائف في المصالح المصرية للوطنيين بمقتضى الكفاءة ، مع تقليل عدد الأجانب بقدر الامكان .

(*) ولكن هذا المؤتمر لم يعقد .

(٧) أن تكون محاكمة الأجانب جنائياً أمام المحاكم المختلطة .

حزب الأمة : بينما كان الحديو

في أوروبا ، كان محمود سليمان باشا ،
وحسن عبد الرازق باشا يولفان
حزب الأمة ، وتم ذلك في ٢١
سبتمبر ، وجعلت الجريدة ، التي
يشرف على تحريرها الأستاذ احمد لطفي
السيد بك لسان حاله . وقد خطب يوم
تأليفه عبد الرازق باشا ، نائباً عن محمود
باشا (الرئيس) الذي تخلف لأسباب
صحية . وقد كان الحديو يخشى أن يكون
لسعد زغلول باشا وأخيه احمد فتحي
زغلول باشا يد في تأليف هذا الحزب ؛



حسن عبد الرازق باشا

لذلك سألتى مرتين وهو بأوروبا عن ذلك فأجبت به أنه لم يظهر لي أن لها علاقة به .

وكانت تلتخص مبادئ هذا الحزب في :

(١) معاضدة حركة التعليم ونشره بكافة الطرق وجعله إجبارياً في الأولى
والابتدائي .

(٢) الحصول على حق البلاد الطبيعي في الاشتراك مع الحكومة في وضع
القوانين والمشروعات العامة ، وتوسيع اختصاص مجالس المديريات
ومجلس شورى القوانين ؛ تدرجاً إلى إيجاد مجلس نواب .

(٣) توسيع نطاق الجمعية الزراعية توصلاً إلى تقدم البلاد الزراعي ، وعدم
إهمال الصناعة والتجارة ، والسعى لترقيتهما .

وبعد حضور الحديو من أوروبا دارت عدة أحداث بين رجال معيته في
شئون هذا الحزب . وقد ظهر بعد ذلك أن لسعد باشا بدأ في تأليفه ، وأنه يعمل سراً مع
أخيه فتحي باشا لتقوية نفوذه . وقد علمنا أن اللورد كرومر كان من المعضدين لقيام هذا
الحزب إذ كان يتوسم فيه مناهضة سياسة عباس .

مذكراتي في نصف قرن ج ٢

وكان رأى الشيخ على يوسف تأليف حزب يعضده رجال اللجسة المصرية فى البرلمان الانجليزى ، التى تشكلت للبحث فى الشئون المصرية ، كما سبق الاتفاق بينهم وبين مسيو موزلى ، ولكن روى أن الانتظار أفضل .

١ - صورة لشيخ على يوسف

٢ - صورة لشيخ على يوسف

٣ - صورة لشيخ على يوسف



وفي ٦ أكتوبر بلغني من اسماعيل أباطه باشا أنه تقابل مع بعض أعضاء حزب الأمة ، وطلبوا منه الدخول فيه فأبى لعدم انتظام الحزب ، حتى إن جميع محرري الجريدة ، أعضاء فيه ، وأنه طلب إليهم إجراء انتخاب ، وانتقاء الأعضاء حتى يستطيع العمل معهم ؛ وقد فهم منهم أنهم غير مرتاحين لخطة الجريدة .

وبعد تأليف الأحزاب الثلاثة اشتدت المنازعات بينها ، ولا سيما بين الحزب الوطني وحزب الإصلاح .

وكانت جريدتنا اللواء والمؤيد ميداناً لهذا النزاع ، الذي وصل في كثير من الأحيان إلى حد المهاترة والالتمات الخطيرة ، حتى لقد اتهمت المؤيد ، مصطفى كامل بأنه يقلد عرابي .

وقد كتب مراسل التيمس بتاريخ ٢٠ نوفمبر كلمة عن الأحزاب في مصر ، جاء فيها ما يلي : « إن الحرب الصحافية التي دارت رحاها بين ما يدعى أحزاب الوطنيين ^(١) ، لا تزال قائمة بحدة وشدة .

و أما الحزب الوطني (الرسمي) الذي أُلِف سنة ١٩٠٦ ، فقد انقسم إلى قسمين : حزب المتطرفين . برئاسة مصطفى كامل باشا ؛ وحزب المعتدلين ، برئاسة الشيخ علي يوسف ^(٢) .

« وإنك لا تجد فرقاً بين ما عرضه هذان الصحافيان المتناظران من المشروعات الإصلاحية . ولكنهما اختلفا في أمر واحد ، وهو أن كامل باشا يطلب لجلاء الانجليز عن مصر في الحال ، وينتقد المحتلين والحكومة المصرية الحاضرة بلهجة عنيفة .

« أما مناظره — وهو أوفر منه حكمة ، أو أكثر خوفاً وتديراً في سوء العواقب — فانه يرى الآن ، أو يتظاهر ، أن مسألة الجلاء خارجة عن دائرة السياسة الممكن تنفيذها . وينكر على زعيم المتطرفين وأنصاره حدة لهجتهم (وقد كانت لهجته من قبل) ولكن يصح أن يقال أن المؤيد والمنبر — وهما لسان حال المعتدلين — قد أظهرتا تمقلهما السياسي وحكمتها . بسعيهما أخيراً وراء إيجاد تفاهم أفضل وأنفع مع الأمة المحتملة . و أما حزب الأمة الذي تألف حديثاً . فانه حتى الآن لم يقم بعمل يستحق الذكر .

(١) يرى بذلك إلى الحزب الوطني وحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية وحزب الأمة

(٢) الحقيقة أن الشيخ علي يوسف لم يكن منغياً للحزب الوطني

ولعله أقرب إلى المحافظين في تأثيره على طبقة الملاك ، لا على طبقة الموظفين والشبان والطلبة والمحامين ؛ فان من اهتم من هؤلاء بالسياسة ، كان مناصراً لمصطفى كامل باشا .

من اسبقاده عباسى . فى ١٩ مارس سمعت من الشيخ احمد الزناتى أن أحد متخرجى مدرسة القبة المسمى جمعة افندى الموظف بتفتيش المنتزه ، أتى فى الصيف الماضى أن ينفذ أمراً ، فصدر الأمر بتشغيله فى مشال الخم ؛ ولما علم بذلك هرب ، واستخدم فى إحدى الشركات ، فنبه الخديو على الشيخ احمد أن يبحث عنه ويسترجعه للخدمة الخاصة بأى مرتب كان ، حتى يوقعه تحت طائلة عقابه العارم .

وفى ٣٠ مارس طلبنى الخديو فوجدته متكديراً جداً ، وسألنى عن شرف افندى رئيس فراشى سراى عابدين ، فقلت لا بد هو موجود . وبعد أن سبه ولعنه أمرنى أن أعمل تحقيقاً معه فى سبب غيابه ، وعدم مباشرته أعماله ، وكذا مع فراش آخر أهمل فى واجباته ؛ وبعد التحقيق أقطع خمسة عشر يوماً من مرتب شرف افندى . وأفضل الثانى .

فبعت بالتحقيق المطلوب . فاتفع لى أن شرف افندى لم ينقطع عن عمله مدة وجود الخديو فى عابدين ، أو فى غيبة سموه ؛ وأنه فى ذلك اليوم لم يخرج من السراى إلا لاستحضار أحد العمال ، لوضع لوح من الزجاج فى مشرفة السلامك .

أما الفراش الذى يقول عنه الخديو إنه أهمل فى واجباته . فقد ظهر أن الخديو أمر بإيقاد الحمام للاستحمام ، فنبه شرف على أحد الفراشين ، وهذا نسي أن يبلغ الشخص المختص بهذا العمل . وعند دخول الخديو إلى الحمام لم يجد ماء ساخناً ، فأحضره فى الحال من ماء القهوة . وهذا ما كدر الخديو .

ولكن رغم هذا التحقيق فقد أصر الخديو على قطع خمسة عشر يوماً من مرتب شرف افندى ، وطرده الفراش الماهل .

وقد أمر الخديو بفصل عويس بك أحد موظفى سراى رأس التين ، لأن سموه طلب منه مراتب وكراسى من الموجودة بالسراى لارسالها إلى تكية المنتزه ، فرفض عويس بك قائلاً : إن المراتب يمكن أن يقال عنها إنها استهلكتك وأدخل قطعها فى التجديد ، أما الكراسى فنظراً لأنها مقيدة فى المهدة فلا يمكن إرسال شئ منها !

سؤره مختلف .

أراضى واحة سيوة : قام الخديو فى هذا العام برحلة إلى سيوة ما بين ٢٨ يناير

و ١٩ فبراير . وفي أثناء وجوده هناك أنعم ببعض الهدايا على الأهالي ، وأعطى للمأمور سيوة نقوداً وقاشاً لتوزيعها على الأهالي ؛ وحدث عند توزيعها أن تألم البعض من مساواتهم جميعاً في هذه المنح سواء من كان منهم يعمل بأرض الخديو أو لا يعمل ، وقاموا ضد المأمور واتهموه بالتحيز والفرص .

وقام بعض المشايخ وادعوا أن المأمور كان اشترى لى ولحسن رمزي باشا ويوسف ضيا باشا أرضاً بثمن يبلغ الأربعمائة جنيه ؛ أى أكثر مما قبضوه عند توقيع عقد البيع ، وطلبوا منه دفع الباقي فأفهمهم أن الثمن كله مدفوع فأنكروا وتأمرؤا عليه . وبعد جهد اتفق معهم على إعطائهم مبلغ سبعين جنيهاً مصرياً زيادة على المبلغ المدفوع منى و ٥٨ جنيهاً من يوسف ضيا باشا و ١٣٠ جنيهاً من حسين رمزي باشا . فرضوا وانتهى الأمر على ذلك . ولكن المشايخ عادوا فأوعزوا للأهالي برفض هذا الاتفاق وأرسلوا عرائض مع مندوبين من قبلهم للخديو ولنظارة الداخلية . فأرسل المأمور تقريراً وطلب فيه من سمو الخديو أن يرسل مندوباً لتهدئة الأهالي وإنقاذه من هذا المأزق الحرج ، وقدم المندوبون ورفع الأمر إلى الخديو وكان من رأيه أن تتنازل عما اشتريناه ؛ ولما قابلت الخديو لا منى على أنى لم أخبره بأمر هذه الصفقة . فقلت إن المسألة ترجع إلى الصيف الماضي حيث كان المأمور في الاسكندرية ، وطلبت منه أن يشتري لى أطبائاً ، ولكن بعد أن يستأذن لى النعم ، وقد استأذن من سموكم لأنه عرض عما إذا كان بعض المصريين يريدون مشتري شيء فهل يساعدكم فأجيب بالقبول ، وقلتم سموكم إن المصريين أولى من الأروام مثل جورجي وغيره .

فقاطعتي الخديو قائلاً إنه ظن أن الأمر متعلق ببعض أقرباء المأمور . أما الآن فإن أهل سيوة اشتكوا للداخلية ، سيفتح ذلك أعين المحتلين وآذانهم فيتدخلون في أحوال سيوة وهذا ما لأرضاه !

وبعد أخذ ورد بيننا وبين مندوبي سيوة انتهى الأمر بتنازلاً عن الصفقة ، ثم طلبهم الخديو وبوجههم على أفعالهم وثورتهم ضد المأمور وأمرهم بالرجوع مباشرة إلى سيوة . وكان المأمور يعمل لعقد هذه الصفقات نظير حصص يستولى عليها من الأراضي المشتراة ؛ ولقد أثرت هذه المسألة على مركز المأمور حتى فكرت وزارة الداخلية في تغييره .

ففي ١٣ مارس بلفتي من حسين محرم باشا أن الخديو كلفه بالتوجه لمستشار الداخلية ليطالب منه عدم إرسال مأمور جديد بدل المأمور الحالي لأن ذلك مما يساعد

السيويين على الاستخفاف بالمأمورين ويفهمون أن في إمكانهم عزل من لا يريدونه ، وطلب كذلك أن يجرى تأديب الشيخ عثمان حيون أصل الفتنة . فرد المستشار بأن نقل المأمور كان مقررأ من قبل لأنه مكث زيادة عن حقه نصف سنة . وبعد صدور الأوامر وتعيين خلفه الذى توجه للسفر لا يمكن تغيير شيء إنما فيما بعد يمكن إرسال مفتش من الداخلية لسيرة وحينذاك يعزل المشايخ المشاغبين وينتهى الأمر .

ثم إن المستشار أفهم حسين محرم باشا بأنه يعلم مسألة تدخل المأمور في مشترى أراض لبعض مستخدمى المعية ، ولما أخبره حسين بأن الخديو عندما بلغه شكوى السيويين أمر المشتريين بالتنازل عما اشتروه ، وحدث ذلك فعلا ، رد عليه المستشار قائلا : ، وأظن أن أفندينا اشترى أيضاً ١٠٠٠ ،

وأراد بذلك أن يعلم هل تنازل الخديو عن أرضه التى يعلم المستشار أنه اشتراها هناك أو لا (*)

سعى الخديو لاجتذاب الأهالى : في ١٢ مارس أقام الخديو بسراى عابدين مادبة غداء دعا إليها أعضاء لجنة المعرض الزراعى والنظار والمديرين ، وكانت المائدة معدة لتسعين مدعوا .

وسبب هذه الدعوة هو أن البرنس حسين كامل باشا كان قد لاحظ في حديث مع الخديو بأن سموه لم يفعل شيئاً لاجتذاب الأهالى ، واستحسن أن يدعى أعضاء لجنة الجمعية الزراعية لتناول الشاى أو الطعام عند سموه .

وفي ٢٧ فبراير لما كنت بحضرة الخديو ، ومعنا اسماعيل اباطه باشا ، جرى الحديث حول وجوب سعى سموه إلى استمالة الأهالى ، فانتهزت الفرصة وعرضت عليه فكرة البرنس حسين كامل باشا ، كأنها من عندى ، فاستحسن اسماعيل اباطه باشا هذه الفكرة ولكنه فضل أن تكون الدعوة لأعضاء الجمعية العمومية ، فقلت يخشى أن الحكومة تنسب هذه الدعوة إلى غرض سياسى ، خصوصاً وأنه ستلقى على الجمعية جملة طلبات لا يستريح لها الانجليز . فوافقنى اسماعيل باشا وعلى ذلك فقد جعلت الدعوة لأعضاء لجنة المعرض الزراعى ، وكان لها أثر حسن جداً .

(*) والحقيقة أنه بعد تنازله اتفق الخديو مع المالكين لها فاشترأها منهم باسم البرنس عبد المنعم ولى العهد .

١٩٠٧

- ١٣٥ -

تعليم ولى العهد وشقيقه : كانت تربية البرنس محمد عبد المنعم وعبد القادر تجرى داخل الحرم لغاية هذا العام ، فلا يخرجان للزهة إلا فى الخلوات فى ضواحي العاصمة ، ولا يشهد المصريون طلعتهم ؛ فحادثت والدمهما فى ضرورة إخراجهما ليراهما الشعب ، ويجهز لها محلا فى سراى عابدين لتعليمهما ، فوافق على هذه الفكرة ، وعين محمود شكرى باشا مرافقاً لمرافقتهم والاشراف على تعليمهما . وفى أول نوفمبر سنة ١٩٠٩ صدرت إرادة سنية بتعيينه مرياً لدولة الأمير محمد عبد المنعم . وقد كلفنى عباس بالبحث عن معلم انجليزى فاستشرت وزارة المعارف فى ذلك ، وتعين المستر روب ثم خلفه فيما بعد أستاذ اسكوتلندى .

وها هى ذى صورتها مع أساتذتهما .



ولى العهد وشقيقه مع أساتذتهما

وقد وقف الشيخ احمد الزناتى (المعلم العربى) فى الوسط . وعن يمينه البرنس عبد المنعم وعن شماله البرنس عبد القادر وخلف عبد المنعم محمود شكرى فالمعلم الانجليزى فالمعلم الفرنسى (كومب) .

سنة ١٩٠٨

الخطوة الثانية لا صلاح الأثر. مسائل الرتب أيضا. سياسة الوفاق بين
جورست والحدود. وفاة مصطفى كامل باشا وانتخاب محمد فريد بك رئيسا للحزب
الوطني. لائحة المطالبات الجديدة. سفر الحدود لمستأنة وأوربا. قاضي قضاة
السودان. اعلمه الدستور في تركيا. مواطنون يسمون باشا هن عرفة عبد الحميد
بعباس. عودة الحدود إلى مصر. الحركة الوطنية وطلب الدستور في مصر. عرفة
مصر بتركيا. إنجلترا. من استبداد عباس أيضا. نظارة بطرس غالي باشا مدير
الوقوف العمومية الجديد. بين النظارة الجديد. الزفاف للدستور. رسالة تهديد
للحدود. الانجليزية يعثرون بالاحتياط. الانجليزية والوظائف. الحدود والأعمال
الهامية. مجلس شورى القوانين والدستور. اضطراب الامن. قاضي مصر
والولاية الشرعية. المتابعة بين الحدود والحزب الوطني. تدخل الحدود في الانتخابات

الخطوة الثانية لا صلاح الأثر. لماعين الشيخ الشريفي شيخا للأثر
سنة ١٩٠٥ حضر بعد قليل من تعيينه ومعه الشيخ سليمان العبدان كبار العلماء الشافعية
وقابلا الحدود. ثم حضرا عندي، وتحدثنا في شأن الأثر، وما يحتاج إليه من المعونة
المادية والأدبية، فأبدت عطني على الأثر واهتمامي بأمره وبمؤنته على تأدية مهمته؛
وسألت الشيخ عما يطلب علاوة على الميزانية. فقال: « ألف جنيه ». فقلت له: « إن شيخ
الأثر ينبغي أن يطلب أكثر من ذلك ». فلما سألتني عما يلزم طلبه قلت له: « خمسة
آلاف ». فأبرقت عينا الشيخ وقال: « إذن أدع لك هذا الأمر، فقلت: « إننا إذا أعطينا
أخذنا ». ولفت نظره إلى حالة الفوضى التي تسود طلاب الأثر ونظمه. وقلت: « إنه

يجب للسير بالاصلاح أن يقبل الشيوخ والطلاب النظام الحالي بالانصراف إلى
الدرس المنتظم الذي يعقبه امتحان سنوى ، وأن ينقى الأزهر من الدخلاء بين الطلبة ،
وأن تحدد نظم الدرس حتى توافق روح العصر .

فقال الشيخ : إننا اعتدنا في مستهل كل عام دراسى أن نوزع الأعمدة على الشيوخ
ونخصص لكل شيخ كتاباً وللطالب أن يختار شيخه فيستمع إليه . . . فأجبت بأن ذلك
لا يمتشى وروح التعليم ونظمه في عصرنا الحاضر .



الشيخ سليمان العبد

وبعد مدة قليلة من هذه المحادثة
توفي الشيخ الشربيني إلى رحمة الله وخلفه
الشيخ حسونة النواوى للبرة الثانية . ولما علم
ما دار بينى وبين سلفه وتأكد من اهتمامى
بحالة الأزهر والأزهريين ورغبتى في المساعدة
على زيادة المرتبات زيادة توافق كرامة العلم
والعلماء نجاء لمقابلتى ومعه الشيخ سليمان العبد
أيضاً ؟ بعد انصرافهما من لدن سموه ،
فأعدت له ما دار بينى وبين الشيخ الشربيني ،
وقلت له مع ذلك إن فضيلة الشيخ يعرف النظم
الموجودة في المدارس العالية التى يدرس هو
فيها ، وما هى عليه من التنسيق في الأحكام ،
وما تسبغه من جليل الفوائد على الطلبة وعلى

العلم والعلماء . فوعدت بالنظر في هذا الأمر ، وأبدى لى ما يعترض تغيير النظم الأزهرية
من الصعاب ؟ ثم تحدثنا بعد ذلك مرة أخرى واتفقنا على البحث في النظم التى يمكن
إدخالها في الأزهر والمعاهد الدينية ، وأبدت استعدادى لوضع مشروع في هذا الصدد .
ثم عرضت على الخديو ما دار بيننا فاستحسن الفكرة ؛ وقلت لسموه إننا بهذه الوسيلة
يمكن أن ندخل الإصلاحات اللائقة بالأزهر ، ويكون للجناب العالى أكبر فضل في
تحسين حالة التعليم والمعاهد الدينية على الوجه اللائق بكرامتها ؛ وكان سموه إذ ذلك
على أهبة السفر إلى أوروبا ؛ وفعلاً أخذ مجلس إدارة الأزهر في تعديل القوانين المعمول
بها في الأزهر ؛ وكان من ضمن أعضائه الشيخ محمد حسنين العدوى ، فعهد إليه يبحث

هذه القوانين وتعديلها ؛ ووضع في ذلك تقريراً أرسلته المشيخة إلى المعية للنظر فيه ؛ ولكن يظهر أن الشيخ العدوى مع كونه واضح المشروع وموافقاً للجلس فيما رآه ، لم يكن مقتنعاً بهذا التعديل في بعض أبوابه ، ولذلك قدم إلى المعية وتشد مذكرة تختص بالدراسة والتعليم يرى فيها أولاً إصلاح الأزهر على الوجه السابق ، وأن يبقى تعليمه حرّاً وأن يضاف إليه من العلوم الحديثة بقدر ما تتطلبه لإجادة العلوم الأزهرية ؛ وبعد ذلك سافر الخديوي إلى أوروبا .

ولما كنت بالاسكندرية عند سفر سموه اجتمعت بالشيخ محمد شاكر شيخ معهد الاسكندرية لما كنت أتوسمه فيه من أصالة الرأي ، وراجعنا قوانين الأزهر وغيرها . وبعد عدة جلسات اتفقنا على مواد القانون ووضعنا مشروعاً . وكان يشترك معنا في بعض الاجتماعات الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى .

ولما عاد الخديوي من السفر عرضت عليه هذا المشروع فرأى أن يكون هناك ثلاثة مجالس إدارية : أحدها للأزهر والثاني لمعهد الاسكندرية والثالث للمعهد الأحمدى ، ويكون هناك مجلس عال يجتمع في الأزهر تحت رئاسة شيخه مع بقاء مواد القانون على حالتها ، فأدخلت هذه التعديلات على المشروع .

وفي ٣ ديسمبر سنة ١٩٠٧ اجتمعت بناء على الأمر الخديوي مع بطرس غالى باشا رئيس النظار و ابراهيم فؤاد باشا ناظر الحقاينة وحسين رشدى باشا مدير الأوقاف العمومية وقرأنا القانون ، وبعد المناقشة وتعديل بعض المواد تقرر عرضه على مجلس النظار ليرى رأيه فيه ؛ ولكن روى بعد ذلك أن تشكل لجنة لراجعته يكون بين أعضائها شيخ الأزهر والمفتى وشيخ المالكية والشافعية والحنابلة وأنا ، وأن يرأسها ابراهيم فؤاد باشا ناظر الحقاينة ؛ فشكلت اللجنة وراجعت القانون وبعد مناقشات طويلة وإدخال تعديلات أخرى وافقت على المشروع . ولما كنت أخشى تدمير بعض العلماء ولا سيما الرجعيين منهم ، طلبت أن تقرر اللجنة أن هذا القانون ليس فيه ما يتنافى وأصول الدين الاسلامى ؛ وقد حصل ذلك .

وفي فاتحة يناير سنة ١٩٠٨ أخبرنى الشيخ حسونة أن كثيراً من العلماء قد امتنعوا لعدم أخذ رأيهم فى القانون ، وأنهم يقومون الآن بتوقيع عريضة لترفع إلى الجنب العالى ، يطلبون فيها إرسال القانون إليهم لفحصه ، فطلبت أن ترسل إلى العريضة والمشايخ الموقعون عليها ، وأفهمته أننى واقف على أسماهم وحركاتهم ، ولكنى فقط

أريد مواجهتهم . وانصرف الشيخ على ذلك ولكن أحداً منهم لم يحضر ، وكنت أعلم أن الشيخ محمد راضى من علماء الحنفية هو زعيم هذه الحركة ، وأن القائمين بالعمل بها من صغار العلماء ، وأن الشيخ حسونة أفهمهم خطأ فكرتهم واستحالة تحقيقها ، وأنه نائب عنهم في لجنة المراجعة . وقد استمعوا إلى قوله واقنعوا وعدلوا عن حركتهم ، ولكن جاءنى الشيخ محمد شاكر فأخبرنى أنهم بعد أن اقتنعوا عادوا إلى فكرتهم . فقابلت شيخ الأزهر وأفهمته ما يترتب على موقف هؤلاء العلماء من استياء الخديو ، فأبدى استعداده للبعد عن كل ما يكدر خاطر الجنب العالى ؛ ثم قابلت إبراهيم فؤاد باشا ، وهو صديق الشيخ ، فشرحت له الموقف فبادر إلى الشيخ ونبهه إلى خطورة الأمر ، وطلب إليه منع إرسال العريضة ؛ ولكن أصحابها كانوا قد أرسلوها بالفعل . وفى يوم ٤ يناير بلغنى من الشيخ محمد شاكر ، وكان قد قابل سمو الخديو فى الاسكندرية ، أن سموه متسكدر جداً وغاضب على شيخ الأزهر . وكنت أعلم من بطرس باشا برغبة الخديو فى تعيين الشيخ أبى الفضل ؛ وبالرغم من المساعى التى بذلتها لتهديم الحال فقد بلغنى أن الخديو يعتقد أنى مقصر فى مسعى !

ثم تحدثت مع أصدقاء آخرين للشيخ لاقناعه بخطأ موقفه وخطأ تعلقه بأذيل الزغوليين بدلا من التعلق بشخص الجنب العالى . ففى الشيخ وجود أية علاقة بينه وبينهم .

وفى ٦ يناير حضر الخديو من الاسكندرية وطلب معلوماتى فى هذا الموضوع فأطلعتة على كل ما تقدم ، وفى يوم ١٠ منه كانت صلاة الجمعة فى السيدة سكينة وقد تقابل سموه مع شيخ الأزهر ، فسأله عن إجازة العيد فى الأزهر فأجاب الشيخ على السؤال . ثم قال : « يظهر أن افندينا لا يريد أن يرى وجهى فهل هو غاضب على ؟ » فقال سموه : « والله أنا سمعت كثيراً من الأقوال فى حقك ولكنى ألزم الصبر ! » وبعد الظهر أمرنى سموه أن أستحضر الشيخ لسراى عابدين ؛ ورغبة منى فى حسم الخلاف تحدثت معه طويلا قبل المواجهة فى خطر موقفه ، ورسمت له طريق إصلاحه والابتغاء للخديو طويلا ، بل يوافق على انتقاداته ويعد بإصلاحها ؛ لأن هذه رغبة الحكام عادة ؛ وقد كان ذلك وذهب من نفس الخديو كثير مما كان بها من جهته ؛ وبذلك زالت من الجو إشاعة كانت تتردد باستقالته نشرتها جريدة اللواء قبل ذلك بأيام .

طرد الشيخ راضى : وبقى الخديو ساخطاً على الشيخ محمد راضى حتى إنه فى يوم عيد الأضحى كان ضمن الوافدين على السراى للتهنئة ، ولما انتظم العلماء حضر احد زكى باشا

رئيس التشریفات وسط الحجرة التي هم بها ونادى الشيخ راضى وقال له بصوت مرتفع :
« يا شيخ راضى ، افندينا غير راض عنك ولا نحبك أنت يقابلك . » وسلبه إلى أحد
التشریفات ليرافقه إلى خارج السراى .

وبعد صدور الأمر العالى بهذا القانون انعقد المجلس الاعلى لأول مرة بمشيخة
الأزهر فى يوم ١٧ مارس تحت رياسة الشيخ حسونة النواوى وعين الشيخ محمد حسين
عظوف العدوى فى هذه الجلسة مفتشاً للأزهر .

وقرر تشكيل لجان من المشايخ لامتحان سائر الطلاب فى الأزهر ووضعهم فى
السنين اللاتفة بمعلوماتهم حسبما تقتضيه ، وعهد باجراء ذلك إلى مفتش الأزهر ، فأجراه
كما عهد اليه فى مسجد محمد بك أبى الذهب بجوار الأزهر وقدم كشفه سنة سنة إلى
المشيخة ؛ وكان ذلك فى أواخر السنة الدراسية . وفى شهر شوال ، أول السنة الدراسية
الجديدة ، ابتدأت الدروس بالأزهر على هذا الوضع وكان ذلك يوماً مشهوداً لم يسبق له
نظير فى الأزهر حضره شيخ الجامع بنفسه ومعه المفتش وكثير من الشيوخ وعمال
المشيخة لمعاونتهم فى ضبط الطلاب وإجلاس المدرسين وتعريفهم أماكن الدراسة ؛
واستمرت هذه الحركة أياماً بين الأخذ والرد وفى نهايتها تعين الشيخ محمد حسين
شيخاً للجامع الاحمدى ؛ وسار الحال على ما يرام .

ولمّا أحمد الله على توفيقه فى خدمة العلم بالأزهر ، وإذا لم ينجح قبل المرحوم
الشيخ محمد عبده فى معالجة إصلاحه فذلك يرجع أولاً إلى أن كبار العلماء كانوا يذمرون
من قبول رأى أحد تلامذتهم ولا يرضخون لما يقرره من الاصلاحات التى لم تعودوها
وخصوصاً فى شأن العلوم الحديثة التى كانوا يعتبرون أن فى بعضها ما يخالف الدين ،
وثانياً لأنه كان يترفع عنهم ويعتد بنفسه معتقداً أنه أوفر منهم مقدرة وعلماً .

أما أنا فكنت أحترمهم بتقيل أيديهم وإكرامهم وملاطفتهم ؛ وأجتهد فى
إقناعهم بالأرغبة لى إلا إصلاح حالهم مادياً وأدياً ، فكان يسهل عليهم الأخذ بأرائى
خصوصاً وقد كانوا يعلبون أنى أعطى بتعضيد الخديو وحكومته .
وهذه تعد الخطوة الثانية لإصلاح الأزهر .

على أن هذه السكينة لم تدم طويلاً ؛ فقد حدثت بعد ذلك دسائس أضطت إلى
اضطرام الأزهر وأضرب الطلاب عن الدرس ، وتظاهروا واشتبكوا مع الشيوخ فى
سباب وعداء ، ودخل بينهم دخيل السياسة والفساد .

مسائل الرتب أيضاً . في ٧ يناير أمرت بفرض الكشوف الواردة من النظارات بطلب رتب ونياشين للوظفين والعمد والأعيان وبعض الأسماء التي رؤى حذفها من هاته الكشوف، وقابلت مصطفى فهمي باشا وأعطيته الملاحظات الخاصة بذلك. وفي ٨ منه توجهت لسراى القبة وهناك الخديو بعيد جلوسه ، فأمرني أن أخبر مصطفى فهمي باشا بأن يفصل التجار والأعيان عن العمدة في الكشوف ، وأن يكون منح الرتب والنياشين للأوليين من الخديو ، والآخرين كطلب نظارة الداخلية وقد تم هذا . وبقى الحال على ذلك حتى أواخر العام حيث علمت من بطرس غالى باشا أنه قد حصل الاتفاق بين جورست والخديو على منح الرتب والنياشين للعمدة والأعيان ، سواء كان ذلك بواسطة نظارة الداخلية أو برغبة الخديو . وقد تخوف بطرس باشا أن تقع غلطات جديدة من سموه وأن ترجع عادة شراء الرتب كما كانت ، فتقع من جراء ذلك فضائح أخرى .

وجرى حديث في شأن الرتب بين الخديو وجورست ، فأبدى هذا الأخير أن مستشار الداخلية يشكو من توقف إعطاء الرتب ، وأفهمه أن تشجيع العمدة بالرتب مما يفيد الأمن ، فأجابه الخديو بأنه وقف إعطاء الرتب لأن الداخلية كانت تعاكس من يمنحون الرتب رأساً من الخديو ؟ وادعت بأن العمدة قد يترك وظيفته لأجل أن ينال رتبة ثم يعمل الوسائل لرجوعه إليها ، وقد كان يجدر بالداخلية ألا تقبل مثل هذا العمدة في مركز العمودية ثانية ؟ ثم ضرب مثلاً لجورست بأنه كان قد أراد أن ينعم على واحد في القيوم ، برتبة فتوقفت الداخلية ، وعلى ذلك لم ينعم عليه ؛ وبعد مدة أرادت الداخلية مرتين أن تمنح رتبة لنفس هذا الشخص ، فأبى الخديو نظراً لعدم موافقة الداخلية أولاً وكان سموه يحاذر في مسائل الرتب بعد الذي ثار من فضائحتها . ومن ذلك ما سمعته في شهر مايو من حسين زكي بك أن زوجته السويسرية حصلت على الكشوف التي كان يقدمها سابقاً للخديو لما كان منوطاً به بيع الرتب والنياشين بالمبالغ المتحصلة ، فوُشر الخديو عليها بخطه ، مبنياً كيفية توزيع هذه المبالغ بعد خصم نصيب الوسطاء . ومن ذلك مبلغ أربعة آلاف جنيه لطورنيزون باشا لدفعها لمحل الرهونات بباريس ، عن بعض مجوهرات لسيده يهيمه أمرها ، ومبلغ أربعة آلاف جنيه لعبد العزيز عزت باشا ليسلبها لاسماعيل كمال بك من جماعة تركيا الفتاة ، ومبلغ خمسمائة جنيه للسيد محمد توفيق البكري ، ومثلها لمصطفى كامل باشا ، ومبلغ سبعمائة جنيه للكونت دلاسلا باشا

ليسلمها لصاحب جريدة البروجيه للكف عن انتقاد السراى ، وغير ذلك من المبالغ التى كانت تصرف فى مثل هذه الوجوه بعد تحصيلها من طلاب الرتب والنياشين .

وقد كان هذا العمل منوطاً بحسين زكى بك ، ولما أحيل أخيراً إلى أحمد شوقي بك غضب الأول ، ولوح بأن زوجته ستنشرها ، إذا لم يحصل على مبلغ مناسب لإزاء تسليمها .

فرفت الأمر للخديو فاهتم به كثيراً ، وأخذنا بعد ذلك فى المفاوضة مع حسين زكى بك حتى تم الأمر بالصلح نظير مبلغ معين . ولعله يجدرى أن أثبت أن وساطة الرتب كانت غالباً محصورة فى حسين زكى وأحمد شوقي ، وأما غيرهما فقد كانوا ينفقون ما يحصلونه على الدعاية للخديو .

سياسة الوفاق بين جورست والخديو . منذ أن عين جورست معتمداً بريطانياً ، والأمور تسير فى هدوء بين الخديو والمحتلين ؛ ولكن بعض الصحف ، كالجريدة والمخبر والأهرام ، ظلت تنتقد أعمال المعتمد الجديد بشدة ، ولا سيما الجريدة التى كانت تتهمه بأنه لم ينهج غير سياسة سلفه ؛ وفى حديث بينى وبين الخديو عرضت لهذه الحملات فدافع عن جورست قائلاً : « إن هذا الرجل كانت نيته ولا تزال طيبة بالنسبة لمصر والمصريين ، ولهذا فقد طلب العفو عن مسجونى دنشواى من تلقاء نفسه . ثم إنه أظهر للوظفين الانجليز رغبته فى أن يحسنوا معاملة المصريين ، وكذلك ساعدنا على إصلاح الأزهر ، رغم أن مصطلقى فهمى باشا أراد أن يلغى بالدساتين بينى وبينه . ثم أضاف إلى ذلك : « وإذا كانت أفكار المعتمد الجديد بدأت تتغير ، فذلك من جراء سعد باشا وتشجيعه طلبه الحقوق وغيرهم على التدخل فى الأمور السياسية ، وانضمامهم للأحزاب ، حتى قال لى جورست : إذا كانت أفكار الطلبة بهذا الشكل ، فإذا يكون منهم عند تقلدهم الوظائف العامة ؟؟ »

الخديو وفتحى زغلول : فى ٩ يناير استقبل الخديو أحمد فتحى زغلول باشا ، وبعد خروجه علت من سموه أنه أراد أن ينفى لجناحه ما يشاع عن ميوله ضد الخديو وقال : « إذا كان ذنبى هو الحكم الذى أصدرته فى قضية دنشواى ، فإنى كنت معذوراً . » فأجاب الخديو بأنه لا يفكر فى ذلك ، ولا سيما أنه لم يكن رئيس المحكمة المختصة ، وأنه إذا كان هناك انتقاد من هذه الوجهة ، فيكون على بطرس غالى باشا . وهو من المخلصين لسموه . فاتهز فتحى باشا هذه الفرصة وقال : « وأنا أعلم ذلك ، ولهذا لا أعمل عملاً إلا

بارشاداته . قال الخديو : « إني أعتقد عليك قبل كل شيء أنك من حزب الشيخ محمد عبده الذى افترضت نياته السيئة في هذه الأيام ؛ إذ أن بلنت أورد في كتابه خطابين للشيخ يقول فيهما إنه لا بد من سحب كل سلطة من يد الخديو إذا أريد وضع نظم جديدة لإدارة مصر بحيث يخرج من سلطته الأزهر والأوقاف والرب والنياشين ، ألا يتدخل في الإدارة أبداً ، وأنه استشار في رأيه هذا كثيراً من المفكرين فوافقوا عليه . »

وقد سأل الخديو فتحى باشا عرب هؤلاء الذين استشارهم الشيخ ، فقال إنهم سعد باشا والشيخ عبد الكريم سليمان والشيخ عبد الرحيم الدمرداش .

قال الخديو : « وأعتقد عليك كذلك أعمالك في حزب الأمة ، وفي الجريدة . » فقال : « يا أفندينا نحن غير راضين عن خطة الجريدة ولهذا حررنا لمديرها خطاباً بذلك . وواعد أن يحضر لسموه الخطاب . »

وقد قال لى الخديو بعد ذلك : « وعند أخذ هذا الخطاب أساسه لجورست ، وأقول له هل يلقى بموظف كبير أن يتدخل في مسائل الجرائد والمسائل السياسية ويكون عضواً في حزب ؟ »

وفي ١١ يناير تقابلت مع بطرس غالى باشا فأخبرته بما وقع بين فتحى باشا والخديو . الخديو والتظار : وفي هذه المقابلة سألتى بطرس باشا عن زيادة التفتات الخديو لمصطفى فهمى باشا في هذه الأيام فقلت له : « ربما كان ذلك على أثر ما عرفه سموه من أن الباشا عمل زينة كبيرة يوم الاحتفال بعيد جلوسه ولأنه يعرض على الخديو كل أمر هام ويأخذ رأيه فيه أولاً ، بناء على نصيح جورست لمصطفى فهمى باشا . » وسألتى بطرس باشا أيضاً عن وقت خروج أودان بك من الخدمة في الديوان الأفرنجى ، فأجبت أنه بعد أن يبلغ الستين ، وفهمت أنه يقصد من ذلك أن يعين بدلاً منه ابنه واصف غالى بك الموظف بالخاصة ، وقد كنت بالفعل أفكر فيه لأنه شاب نشيط يجيد اللغة الفرنسية والعربية .

وفي ١٥ يناير كلمتى الخديو بمقابلة سعد زغلول باشا والتحدث معه في مسألتين : الأولى رغبة سموه في إعطاء نيشان إلى مسيو بارودى مدرس علم الكيمياء مكافأة له باعتباره كيمائى الخاصة الخديوية ، والثانية طلب رأيه في رجاء فصل ألمانيا الجنرال يا عطاء نيشان لمسيو موريس أمين المكتبة الخديوية ؛ وقد قال لى سعد باشا عن المسألة الأولى إن الأمر فيها للخديو . أما الثانية فقال إنه من زمن وجيز أرسل لندأراً لموريس ، وفهم بعد ذلك من الخديو ومن القنصل أنهما سيرسلانه إليه للاعتذار ، ولكنه لم يحضر

للآن، ولهذا لا يستطيع الموافقة على الانعام عليه ما لم يحضر ويعتذر .
وعلمت على أثر مقابلة جرت بين الحديو والمستشار المال، أن الأخير قال لسموه :
« إن بطرس باشا يتوجه يومياً لرؤية جورست ، وكذلك مصطفى فهمى باشا يزوره
لرؤيته كل ثلاثة أيام أو أربعة ، بعكس ما كانوا يفعلونه في أيام كرومر حيث كانوا
يتوجهون يومياً تقريباً كل صباح . »

وفاة مصطفى كامل باشا وانتخاب محمد فريد بك رئيساً للحزب الوطنى .
في يوم ١٠ فبراير وقع حادث جلل اهتزت له البلاد كلها ؛ وهو وفاة مصطفى كامل باشا
صاحب اللواء ورئيس الحزب الوطنى وزعيم الحركة الوطنية .

كان مصطفى كامل يمانى أوصاب المرض قبل ذلك بأسابيع . وكانت الجهود
المتواصلة التى يبذلها فى بث الدعوة الوطنية والدود عن حقوق مصر ، سواء فى داخل
البلاد أو فى خارجها تصدع من بنيه الضعيفة ، ولكنه استمر فى جهاده حتى اللحظة الأخيرة .

وفى اليوم التالى - ١١ فبراير - شيع جثمان مصطفى كامل إلى مقره الأخير ؛
وكان يوماً مشهوداً لم يسبق له نظير فى تاريخ مصر الحديث ؛ وكان الاحتفال



جنازة المرحوم مصطفى كامل باشا

بجنازة الزعيم الشاب آية على بقطة الشعور القومى، وذلك العطف الفياض الذى به
الفقيد العظيم برائع خلاله فى نفوس مواطنيه؛ وقد اشتركت فيه طبقات الامة كلها من
الكبراء والأعيان والموظفين والطلبة والعامل، ولبست البلاد جميعاً ثوب الحداد
وكانت البقطة القومية التى استطاع الزعيم الشاب أن يثبتها فى الامة، دعامه هذه
الحركة الوطنية القوية التى انفجرت بعد الحرب، وما زالت تسير فى مجراها.

وبعد وفاة مصطفى اهتم الحديو بانتخاب من يخلفه فى رئاسة الحزب الوطنى حتى



محمد فريد بك

كان يوم ١٤ فبراير حيث عقدت الجمعية
العمومية للحزب فانتخب محمد فريد بك
بالاجماع وطلبه الحديو فهنا وشجعه على
الاستمرار فى خطة سلفه منوها بحسن مركز
عائلته المادى والأدبى وبأنه ليس فى حاجة
إلى منصب أو مادة وبهذا سيكون وجوده
فى رئاسة الحزب مفيداً جداً. وقد هنأته
بدورى أيضاً.

لائحة المعاشات الجديدة . فى ٢ أبريل

حضر المستشار المالى إلى سراى عابدين فقدم
للحديو مشروع لائحة المعاشات للموظفين
الملكيين، وطلب أخذ رأى سموه فيها فكلفى

بالاطلاع عليها مع اسماعيل أباطه باشا وموسى خالب باشا، فاجتمعنا وقارنا هذا
لمشروع بلائحة توفيق باشا.

وفى اليوم التالى توجهت صباحاً للبعية وعرضت على الحديو خلاصة البحث فى
مشروع اللائحة، فكان الفرق بين اللائحتين ما يأتى :

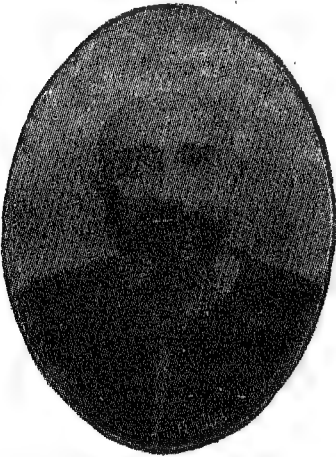
أولاً - أن أقصى المعاش صار بمقتضى المشروع الجديد ٨٠٠ جنيه سنوياً
بدلاً من ستمائة.

ثانياً - أن معاش البنت أو الولد ينقطع عند بلوغ أحدهما سن الثامنة عشرة بدل
السادسة عشرة.

مذكراتى فى نصف قرن ج ٢

سفر القنصل لبريستول وأمروبا . وفي ٣١ مايو سافر الخديو للاستانة ومكث بها أسبوعاً ثم بارحها إلى فينا فباريس ولندرة ثم رجع إلى أوروبا وأمضى بها بضعة أسابيع ورحل نهائياً إلى الاستانة ثانية . وبقيت في مصر لمباشرة الأعمال والاتصال بالنظار .

قاضى قضاء السودان . في أثناء غياب الخديو عرضت مسألة تعيين قاضى قضاء السودان بدلا من القاضى السابق الشيخ هارون ؛ فأرسلت مذكرة بذلك للجناب العالى لجاء إلى الرد بتاريخ ١٥ يوليو من محمود شكرى باشا المرافق لسموه وفيه : أن المطلوب قبل صدور الأمر أن أتقابل مع الشيخ شاكر واستعلم منه عن المذهب الذى تجرى عليه الأحكام فى السودان وبمن كان يستمد القاضى سلطته فى القضاء ، وهل يعتمد فقط على الأمر الصادر إليه بالتعيين أو من الجناب العالى مباشرة .



الشيخ محمد مصطفى المراشى

وبعد استيفاء هذه المعلومات أرسلت بتاريخ ١٥ يوليو برقية بأن الأحكام تجرى فى السودان طبقاً للمذهب الحنفى ، والقاضى السابق كان يصدر الأحكام بمقتضى الأمر الشفوى الصادر للسردار من الجناب العالى عند تعيينه . وبتاريخ ١٩ يوليو جاء الرد بالموافقة على تعيين فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراشى فى هذه الوظيفة ، وهو الذى وقع الاختيار عليه وأن يصدر القاتمقام أمراً بذلك ، ويكون من ضمن الأمر : أن تكون الأحكام الشرعية التى يصدرها القاضى منطبقة على ما يجرى فى المحاكم الشرعية بالقطر المصرى .

أعماله الدستورية فى تركيا . كانت تركيا فى السنوات الأخيرة تتمتع عن انقلاب وضعت أسسه جماعة تركيا الفتاة ، وكانت الأفكار رغم الضغط عليها تتخفى للوثوب حتى انفجرت أخيراً فى هذا العام ، وانتهت الثورة - التى كان من كبار محركيها الضابطان أنور بك و نيازى بك ومساعدهما طلعت بك التلغرافى فى سالونيك بأفشاء

الأوامر التي كانت تصل من الاستانة بالتدابير العسكرية لتقمع الثورة — باعلان الدستور في طول البلاد وعرضها رغم إرادة السلطان ورجال المايين . وكان محمد عزت بك مراقباً لدولة الوالدة أثناء وجودها بالاستانة فبعث إلى برسلتين وصف فيها الاستانة وقت هذا الانقلاب الذي تم بدخول جيش سالونيك بقيادة محمود شوكت باشا إلى الاستانة .

وقد جاء في الرسالة الأولى بتاريخ ٢٨ يوليو ما يأتي : « في اليومين الماضيين ابتدأت المظاهرات من الصبح للمغرب والمجتمعون لا يقلون عن خمسين ألف رجل بين عالم وضابط وكاتب وتاجر وكثير من العوام وكل منهم يحمل علماً ، وقد طافت المظاهرات بالوزارات جميعاً والموسيقى تصدح أمامهم ، وحلفوا جميع الوزراء على مبادئ الانقلاب بما فيهم شيخ الاسلام . وبعد ذلك توجهوا لسراى يلدز وكنت بين المتفرجين عليهم من تكية الشيخ ظافر ، واستمر الموكب أربع ساعات بالضبط يمر من أمامي وتصور كم ألفاً تمر في هذا الوقت بملء شارع يلدز ، وكلهم يصيحون هاتفين للدستور والحرية والمساواة بما لم يكن يخطر على بال أحد . فسبحان مقلب الأحوال في طرفة عين . وقد أصبحت الجرائد حرة وجوازات السفر كذلك ، والأهالي يتحدثون في الشؤون السياسية ملء أفواههم وطلبة الحقوق وغيرهم كانوا في مقدمة الجميع ، وقد خرج طلاب مدرستي الطب والبحرية رغم أنف ضباطهم .

والنهاية أن الواقع هنا يكاد الانسان لا يصدقه ويعتبر نفسه في حلم من الأحلام . وجاء في رسالته الثانية بتاريخ ٣ أغسطس ما يأتي : « لقد اختصرت في رسالتي السابقة لأن الحاصل هنا لا يمكن شرحه أما سبب هذه النعمة التي حصل عليها الأتراك فهي قوة الأوردء الثالث(*) واتحاد ضباطهم بواسطة الجمعيات السرية المشكلة في ولايات الروملی الثلاث ، حيث كانت المخابرات فيها حرة بسبب الإصلاحات المطلوبة . وقد أخبر حسين حلي باشا رئيس لجنة الإصلاحات المطلوب إدخالها في الروملی بما يجري فيها ، وأندز بوخامة العاقبة . ولما عرض ذلك على السلطان طلب الصدر فريد باشا وأراد منه أن يطفئ نار هذه الفتنة فأجاب الصدر بعدم إمكان ذلك وب لزوم منع الدستور ، وبالطبع لم يقبل جلالة هذا الرأي فاستقال فريد باشا . ثم طلب السلطان سعيد باشا الصغير « كوجك » فأبدى استعداداه لإصلاح الأمور ، وتولى الصدرة وكتب إلى حسين حلي باشا برقية توبيخ وتأنيب فرد عليه بلهجة شديدة قائلاً : « إنه إذا

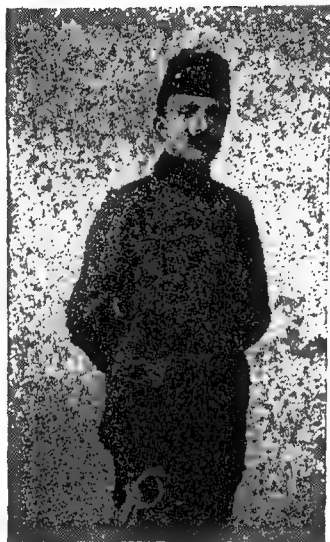
(*) فريق من الجيش أكبر من الآلاى .

— ۱۴۸ —

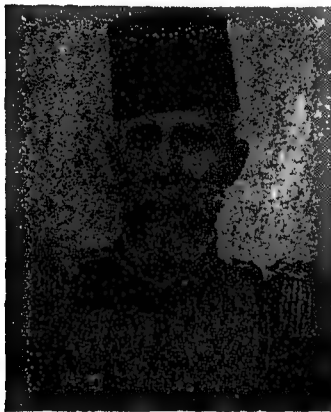
۱۹۰۸



سید نیازی بك



أنور بك



عمود شوكت باشا



طلعت بك

لم يعط الدستور في مسافة أربع وعشرين ساعة تكون العاقبة وخيمة ، وتضمحل الدولة حيث أعلن الاتحاديون الدستور هنا في سلانك .

وفي الحال اجتمع الوزراء وتقرر إعلان الدستور ، ثم صدر فرمان شرح أحكام هذا الدستور ، وأرسل إلى الباب العالي بواسطة نوري باشا ؛ إذ أن رئيس الكتاب تحسين باشا ، لم يستطع الخروج من السراي لشدة تحقير الشعب له ؛ وكذلك عزت العابد باشا مشيعاً بالسخط من الأفواه والصحف ، والجمهور هنا في نهاية الثورة والهياج على رجال الحكم السابقين .

أما السلطان فقد خرج بدون تحفظ ، وواجه من الأهالي نحو الحسين ألفا وسار بينهم بالعربة ذهاباً وإياباً ، فسبحان من يغير ولا يتغير (٥) .

مرواثر تحسين باشا عن عمركه عبد الحميد بعباسي . علم القاري : أتى كنت حلقة اتصال بين عباس وعبد الحميد بواسطة الباشكاتب تحسين باشا الذي أنزوى بعد الانقلاب في بيته فقيراً .

وقد أخرج تحسين باشا فيما بعد خاطراته عن الأشياء المهمة التي مرت به ، ومنها طبعاً علاقة عباس بعبد الحميد في السنوات الأولى من زيارة الخديو للخليفة . كانت هذه العلاقات حسنة أولاً ثم ما لبثت أن تغيرت عند فرار رجال تركيا الفتاة والتجائهم لمصر . وطلب الخليفة منهم من نشر مقالات السخط على إدارة الحكومة التركية الاستبدادية وإغلاق جرائدهم ونفى أصحابها من مصر ، عند ذلك حصل الفتور بين التابع والمتبوع . قال تحسين باشا : « إن عبد الحميد ما كان ينظر إلى الخديوي في أي وقت من الأوقات بعين الارتياح . وفي الواقع كان طبعياً جداً ألا يأمر السلطان خديوي مصر وأن يضعهم على الدوام تحت يقطته ومراقبته نظراً لسياسة محمد علي (القول له) (القول له) وبثورته وحركته المعهودة ضد الحكومة المتبوعة .

ولقد سبب زيادة وسوسة السلطان إلى غايتها ما بسطه الانجليز من نفوذهم على مصر بعد الثورة العراقية . والخلاصة يمكن القول أنه لم يكن في قلب عبد الحميد أي اطمئنان لمصر في أي وقت كان .

لم يقبل السلطان أن يأذن لاسماعيل بالاقامة في استانبول إلا بعد أن قدم لجلالته

تأمينات الولاء ابنة حسن باشا ، ومع ذلك كان تحت المراقبة .

(٥) وقد عول فيما بعد واحتجز في سراي بسلانك .

لما تولى عباس باشا الشاب ، كان السلطان يظن أنه سينطبع بالسياسة الانجليزية لعدم تجاربه ولطامعه في تحقيق بنص آماله .

قد كان السلطان على علم بمطامع الانجليز في مصر وبلاد العرب ، ولذا كان متيقظاً على الدوام نحو هذه السياسة ، وكان يتوقع أن عباساً سيساعد الانجليز على تنفيذ هذه السياسة .

وكان يوجد بعض ذوى المطامع الشخصية الذين يدسون الدسائس ، حتى إن السلطان يكون في رية وقلق نحو الخديو ومصر

. ومن المعلوم أن تمضية الصيف في مصر غير ممكنة للطبقة الغنية لشدة الحرارة ؛ فمنهم من يمضيها في أوروبا والبعض في استانبول . فاذا أراد الخديو تمضية الصيف في إحدى ممالك أوروبا كان من الواجب عليه أن يمر على لندرة ، ومن المحتمل أن يتفق مع الانجليز على سياستهم . أما إذا أمضى الصيف في استانبول فانه لا يحرك ساكناً ، فوجوده في الاستانة أقل خطراً لسهولة مراقبته ، لأن تعيين المهندرات والياوران الشاهانية كان القرض منه مراقبته لا المغالاة في مظاهر احترامه .

وكان الخديو في أثناء إقامته يحضر إلى السراي ويدعى لتناول الطعام من حين إلى حين ، وكان يحظى بالمقابلة بعض مرات ويطيب خاطره بمختلف المظاهر (١) .

وزيادة في الحفاوة عين من الوزراء رائف باشا مهندراً للخديو ، ولكن نظراً لبعض التدابير التي اتخذت من جراء توالى التقارير تأثر عباس وكادت الالفة التي كانت تسود في أول الأمر تزول ومشت النجاسة بينهما فتضايق السلطان من ذلك . ولقد استفحل الأمر حتى صار من الضروري إرجاع الحالة إلى ما كانت عليه من قبل . وكان للخديوكاتبان أحدهما العربي والآخر للتركي ؛ وكان كاتب العربي شخصاً يسمى شفيق باشا (٢) اكتسب محبة الخديو وصداقته وكان ذا دراية وريانة . ولقد دعوت شفيق باشا بناء على أمر السلطان إلى السراي وتباحثنا طويلاً وانكشفتم جميع الوشائيات وفهم أمرها ، ورجع شفيق باشا إلى مصر صادق الاقتناع وقابل عباساً وأوضح له حقيقة الأمر . ولقد ظهر بعد ذلك من الآثار ما يفيد أن الحالة رجعت إلى سابق صفتها .

(١) يعني الهدايا الثمينة وأعلى نياشين الدولة وما إلى ذلك ، وكان عباس يجب عليها بالمثل كما ذكرت آنفاً .

(٢) يريد صاحب هذه المذكرات .

وكانت هذه المناسبة عبرة عظيمة لمقدمي التقارير السرية ؛ فقد كان بعض أشخاص من العطاء كلما حضر الخديو إلى استانبول يقدمون ضده التقارير إلى السلطان ويلقون على حركاته وأحواله ظلاً من الريبة حتى تزداد وسوسة السلطان منه . وكانوا في الوقت نفسه يكتبون للخديو يعرضون اخلاصهم . فلما جادت بين السلطان والخديو سابق العلاقات الحسنة ، قدم الخديو للسلطان تقارير الولاء والاخلاص لسموه من الذين كانوا يدسون الدسائس ضده عند الخليفة ، وكان هذا دليلاً على ما وصلت إليه الأخلاق من التدهور .

إخلاص عباس باشا : كانت عباس في المدة الأولى لزيارته للاستانة مخلصاً لعبد الحميد راعياً في تنفيذ أوامره ، لدرجة أنه لما طلب منه إبعاد رجال تركيا الفتاة أرسل جانباً منهم على مركب شراعى لإيصالهم إلى استانبول . ومن ذلك أيضاً أن جلال الدين باشا ، بعد زواجه بالأميرة المصرية عصمت هانم ، قد فر إلى أوروبا وحضر إلى مصر وأقام فيها ، فأرسل عباس للسلطان يقول إن المذكور يعاون رجال تركيا الفتاة بالمال . وقال عنه أيضاً إنه طمعاً في ميراث زوجته عمد إلى قتلها .

عباس وبناء كمشك ذى برج في الجبل : أنشأ الخديو في أرضه الكاتبة بجوقلى كمشكا ، والرأى لهذا الكمشك من بعيد يشاهد برجاً . وما كاد البرج يتم بناؤه حتى قدم واحد من العطاء المجاورين له تقريراً للسلطان ذكر فيه أن الناس يلهمون بأن هذا البرج جار عمله لوضع نظارة معظمة في أعلاه ليتيسر له بواسطتها مشاهدة حركات وسكنات عبد الحميد في بلد . وهذا الكمشك لفت أيضاً نظر أحد السلاطين المقيم فوق كمشك كلندار (وهو متزه على البوسفور) فأرسل للسلطان يخبره عنه (*) .

عودة الخديو إلى مصر في ١٧ سبتمبر عاد الخديو وحدثنا بما لاقاه في رحلته ، ثم قص علينا أنه بعد زيارته للاستانة ورحلته لأوروبا زار قوله ورودس وبعض سواحل الأناضول من جهة مرماريس ومكرى كوى ، وكان ذلك محظوراً عليه من قبل . وقد سمعت منه أنه لم ير احتفالاً بمقدمه أجمل من ذلك الذى لقيه في قوله ؛ فقد استقبلته الحكومة والآلهى بمظاهر ودية جميلة جداً ثم دعاه الآلهى لتناول العشاء في اليوم التالى وقالوا له إن الاحتفالات نظمت في اليوم الأول حسب برنامج الحكومة المحلية ، أما اليوم فإن الآلهى يريدون أن يعملوا ما يرون . فشكر سموه المندوبين عن الآلهى

(*) ولما كنت مباشراً لبناء هذا البرج علت بصدور الأمر بإيقاف البناء وطرد العمال ولكنى أبقيتهم ومنعهم من الخروج حتى أتوا البناء بارتفاع أقل من ارتفاع الرسم الموضوع له .

من أترك وأروام ويهود وقبل العشاء عندهم ؛ وقد أعدت عربة لركوبه ، ولكنه ما كاد يصعد إليها حتى جاء ستة من الأهالي الأشداء فخلوا الخيل ووضعوا أنفسهم مكانها ، وساروا جرياً بالعربة وحولها ألوف من الأهالي حتى محل الدعوة ؛ وهناك كانت المائدة . وبعد الطعام ابتدأت الخطب فرحب أحد القناصل بالخدوي بالنيابة عن زملائه وبالأصالة عن نفسه ، ثم خطب مدير البلدية وغيره . وفي النهاية قام أحد رجال الانقلابات (أى الدستور) وقد حضر خاصة من سلانيك ورحب في خطاب لطيف بالجناح الخديوى . وقد طلب أحد الحاضرين من سموه أن يمد البلد بعنايته في استحضار المياه الكافية لها فوعدهم بذلك وأغدق على فقراء البلد الاحسانات وزار قبور أسرة محمد على وبيته والمدرسة والتكية ومكتباً ابتدائياً لوقف محمد على ، وقال عباس إن الذى يزور مقابر أجداده ومنزل محمد على يرى أنهم كانوا من أسرة حسنة وليست فقيرة ؛ والخلاصة أن سموه سر جداً من الحفاوة به .

ود : احتفال الحكومة بإيعاز من الصدر الذى أرسل برقية بهذا المعنى ، لأنه علم من سموه قبل السفر بيوم عزمه على زيارة قوله . أما طاشوز فاتفق على عدم زيارتها حتى يفصل في مسائلها ، ولذلك مر الخديو حوالها فقط .

الحركة الوطنية وطلب الدستور في مصر . في هذا العام ازدادت قوة الحركة الوطنية وتنبه الشعب إلى حقوقه السياسية ؛ ويرجع ذلك لأسباب منها التنافس بين الأحزاب السياسية الثلاثة التى تألفت في العام الماضى ، واتساع دائرة المناقشات في حقوق الشعب وما إليها ، ومنها إعلان الدستور في تركيا وأخبار الاستانة التى كانت تصور الانقلاب العثمانى تصويراً واضحاً وتبين قوة الشعب وأثرها ، مما كان له وقع عميق في مصر ، وأثر قوى في إذكاء الشعور الوطنى ، ومنها إحساس المصريين بتراجع الانجليز واضطرارهم لتغيير عييدهم في مصر اللورد كرومر أمام قوة الوطنية المصرية .

وقد كان من الأعضاء البارزين في مجالس شورى القوانين أمثال حسن عبدالرازق باشا ومحمود سليمان باشا واسماعيل أباطه باشا وعلى شعراوى باشا واحمد يحيى باشا من يعمل بكل قواه لتمتع مصر بدستور يشرك الأمة مع الحكومة في تصريف الأمور ؛ وكان الخديو لا يكره مثل هذا الطلب على أن تتبع في تحقيقه طريق معقولة هادئة ؛ وكان يرى أن اسماعيل أباطه باشا هو خير من يستطيع " ير في هذه الطريق بعيداً عن الأحزاب . لهذا شجع اسماعيل أباطه باشا ، عند فكر في السفر إلى لندن ، لتقديم مذكرة

لوزير الخارجية يشرح بها الحالة في مصر ، ويطلب المزيد من الاشتراك بين الشعب والحكومة في تصريف الشئون . بل زاد على ذلك فطلب من السير الدون جورست التوصية عليه لدى وزارة الخارجية . وقد فعل ، عملاً بسياسة الوفاق .



احمد يحي باشا



اسماعيل أباطه باشا

وسافر الباشا ومعهم محمد الشريعي باشا ، السيد حسين القصبى ومحمد عثمان أباطه بك وعبد اللطيف الصوفانى بك وناشد حنا بك . وكان الدكتور ابراهيم الجوريجى متطوعاً لمساعدتهم والترجمة لهم طول مدة إقامتهم بلندن أثناء وجود الخديو فى أوروبا ، فأتى من وزير الخارجية الرعاية وحسن الاستقبال ، وعاد إلى مصر فى منتصف أغسطس .

وكانت وصاة جورست لهم أن يحصروا كلامهم فى مسألة توسيع نطاق اختصاص مجلس شورى القوانين دون الكلام عن الجلاء .

وفى اليوم الذى غاد فيه الخديو من أوروبا وهو يوم ١٧ سبتمبر ، لما توجه لغيرى باشا مع النظار لمقابلته فى المحروسة ، أخبره أن مستر جراهام النائب عن جورست يريد أن يتشرف بمقابلته فأذن سموه أن يرسل إليه فى الحال خيراً لحضوره لسراى رأس التين ؛ وفى المساء قابل الجنب العالى مدة طويلة علت بعدها أن سبب المقابلة هو أن جورست كتب له أنه بمجرد وصول سمو الخديو يقابله ويرجوه ألا يقول لاسماعيل أباطه باشا شيئاً عن نتيجة عمله فى لندرة ولا يعده بشئ . ما ؛ فأجاب سموه : لا أتى لأعلم شيئاً حتى أأعد وأقول شيئاً لاسماعيل باشا ؛ ولكن الذى أعرفه مما كان يأتينى من مصر وأنا بأوروبا ، أنه يوجد الآن تيار قوى نحو طلب الدستور ، وأن هذا

التيار حقيقي غير مصطنع فلا يستهان به ؛ لأن مجموع الأمة هو الذى يطلبه . وأنه ليس حركة عسكرية كما هى الحال فى تركيا ، وأن الأصوب هو التفكير فى شيء يعطى للأمة . وإن كنت لا أنصح باعطاء دستور كامل كما فى فرنسا وإنجلترا مثلاً ، وإنما يمكن اشتراك الأمة مع الحكومة بدون مساس بالامتيازات .

ثم قال سموه إنه لا يكون مستولاً عما يحدث إذا لم ينظر بالمعطف لمطالب الوطنيين ؛ فالدستور الآن ، مودة ، وكل الشعوب تطلبه كما فى تركيا وفارس وسواها ، فلا عجب إذا طلبه المصريون .

غير أنه كانت هنالك مناقشات من أباطه باشا وعلى شعراوى باشا تفت فى جهودها ، وكنت أرى من الخير اتحاد هذين الرجلين وأنصارهما حتى يكون لقوتيهما المجتمعة أثرها ؛ ولهذا فقد دعوتهما لمأدبة يوم ٣١ أغسطس بحضور الشيخ محمد شاكر ؛ وكان الغرض من ذلك إصلاح ذات بينهما . ودار الحديث فى الموضوع فأبدت لها أنه لا يمكن لمصر أن تنال خيراً ما لم تتحد وتجتمع على رأى واحد ؛ وأنه يجب لكى نعطي للشعب نموذجاً حسناً أن يبدأ بذلك كبار الرجال فى مجلس الشورى وفى الجمعية العمومية ؛ ولكن مع الأسف فإن هؤلاء يعطون أمثلة للشقاق والخلاف ، وأخص من بينهم بالذكر على شعراوى باشا وإسماعيل أباطه باشا .

أما على شعراوى باشا فقد راوغ وقال إنه لا يوجد فى نفسه شيء ضد إسماعيل أباطه باشا ، وأنها كانا حتى آخر لحظة متحدين فى المجلس .

وأما إسماعيل باشا فقد كان صريحاً وقال : « الحقيقة أنه يوجد بيننا شيء وأن كلا منا يشعر ببعده عن الآخر . »

وبعدئذ طلبت منهما أن يدعا ما فات ، وأن يعمل معاً لوضع برنامج يتبعه مجلس الشورى فى طلب ما ترجوه البلاد ، ودعوتهما لانتهاز هذه الفرصة وعدم إضاعتها على الوطن بسبب المنافسات الشخصية .

وفى ٣ سبتمبر كان اجتماع آخر ولكننى لاحظت أنه لا يزال بينهما نفور وأنهما لم يعمل شيئاً فى الموضوع .

وجاءنى يوم ١٠ منه أحمد يحيى باشا ، لحادثته فى جمع كلية أعضاء مجلس الشورى ، وقصصت عليه ما حصل بين إسماعيل باشا وشعراوى باشا وطلبت منه أن يجتمع بهما فوعد أن يبذل كل مجهود للتوفيق .

وفي ٢٤ سبتمبر عقد اجتماع بين اسماعيل أباطه باشا وعلى شعراوى باشا والدكتور محمد علوى باشا طبيب العيون واحمد يحيى باشا وابراهيم سعيد باشا وابراهيم مراد باشا وتناقشوا فيما يجب عمله .

وفي ٢٥ سبتمبر كنت مدعواً للعشاء مع اسماعيل أباطه باشا وعلى شعراوى باشا ، فدارت بينهما مناقشة حادة وأخذ الأول يعير الثانى بحزب الأمة وأن مكانه فى مجلس الشورى هو أسمى من ذلك ، وأنه خير للبسد أن يصرف تفكيره فى جمع كلمة أعضاء هذا المجلس فيكون حزباً واحداً أقوى من جميع الأحزاب ؛ وشعراوى باشا يعير أباطه باشا بأنه بعد أن اعتزل الأحزاب عاد يحى الآن لتأليف حزب جديد .



على شعراوى باشا

وقد تدخلت بينهما ، وقر الرأى على أن يدعو شعراوى باشا الحاضرين إلى مأدبة ثم يقيم أباطه باشا مأدبة أخرى لاتمام الصفاء والوفاق ؛ أما أنا فقد اعتذرت حتى أدع لها فرصة لتصفية ما بينهما بعيداً عن تدخلى .

وقد علمت فيما بعد أنهما اتفقا على الاتحاد وأن شعراوى باشا اقتنع بذلك ، بعدما أقنعه كل من ابراهيم سعيد باشا وعلوى باشا وابراهيم مراد باشا بذلك ، اتفقوا جميعاً على عقد المجلس بعد أن يجتمعوا أولاً بأعضائه ويتفاهموا معهم على عمل مفيد .

ولما أخبرت الحديو بمسعى من مبدئه إلى نهايته لم يرق فى نظره أن أظهار بذلك التدخل ، فدافعت عن عملى بأنتى تدخلت بصفة شخصية محضة لم يشعر أحد بها .

وفي ١٢ اكتوبر قابل مستر جراهام الحديو وحادثه فى الحالة الحاضرة ، وجرى الكلام عن الحزب الوطنى فقال جراهام إنه الآن فى هبوط ولا قيمة لتهديداته ، وعن مجلس شورى القوانين فقال إنه يوجد شقاق بين الأعضاء فيما يختص بطلب الدستور ؛ حتى إن بعض الأعضاء خرجوا من الجلسة حينما علموا أن المناقشة ستدور حول هذا الموضوع — يقصد بذلك طلبه سعودى باشا — والبعض لم يحضر الجلسة وسافر إلى بلده ومنهم فتح الله بركات بك وآخرون وكلهم مستاءون من اسماعيل أباطه باشا لأنه قال عنهم لوزير الخارجية الانجليزية إن الحكومة رشتهم فأنتمهم على مراكزهم الحالية .



وفي ١٥ أكتوبر قابلت
بطرس غالى باشا فعلت منه أن
جراهم قابله وحده عن ضعف
الحزب الوطني، فأجابه الباشا بأن
ذلك صحيح، ولكن ظهر ما هو أهم
وهو حزب الأمة، فاعترف بذلك
جراهم؛ وقال لى بطرس باشا:
« إن الفرض من ذلك هو أن نوهم
الانجليز بوجود قوة تخيفهم في
البلاد حتى لا يعتقدوا أن الجو قد
خلا لهم ».

عمارة مصر بتركيا وانجلترا.

في ١٦ أكتوبر تقابل جورست مع
الخدوي لأول مرة بعد رجوعهما من أوروبا. وعقب المقابلة اجتمع سموه ببطرس
غالى باشا واطلعه على كل ما دار بينهما.

وفي المساء صحبتى سموه معه للمنتزه، وكان فى الانتظار هناك اسماعيل اباطه باشا
ولما اجتمعنا نحن الثلاثة علينا من سموه أن مقابلة جورست له كانت ودية كالعادة.
وأنه تحدث عن حالة أوروبا العمومية: النمسا وبلغاريا وكريد وسياسة انجلترا مع تركيا،
وفهم سموه أن الانجليز سيعضدون الأتراك إلى النهاية؛ ولكن النتيجة ستكون اعتراف
أوروبا باستقلال بلغاريا وبضم البوسنة والهرسك للنمسا وكريد لليونان. وقد ظهر
للخدوي أن انجلترا لا يمكن أن تخرج بلا غنم يخصها، ويقول إنه تجرى محادثات بين
هذه الدولة والأتراك بتعديل بعض نصوص فرمان مصر، بأن يكون لها حق فى عقد
قرض بدون مراجعة الدولة. وهى نقطة خطيرة على مصر لأن مصر تؤول للمصريين،
ويؤول المصريون إلى نير انجلترا، خصوصاً إذا تم للاتراك إلغاء الامتيازات فذلك
يسرى على مصر فتصبح بذلك مستقلة فعلا بالنسبة لأوروبا، وربما تشتري مصر من
الدولة الجزية بدفع ملايين معدودة فتصبح بذلك مستقلة بالنسبة لتركيا ويكون الخطر
على مصر عظيماً.

جورست واسماعيل أباطه باشا : وقد أبدى جورست استيائه من أباطه باشا . لأنه لما تكلم مع وزير الخارجية بلندرة ، لم يظهر له أن جورست مساعد للمصريين . مع أن الباشا قال للخدوي أن وزير الخارجية لما سأله إن كان قد حصل كلام بخصوص قانون المديرية . مع جورست . فأجاب الباشا بأن المعتمد أعطى ما يمكنه إعطاؤه ؛ وكذلك قال جورست للخدوي : « أنت طلبت مني أن أساعد أباطه باشا . لأنه أحسن أعضاء مجلس الشورى . وقد فعلت وقابلته وتناقشت معه . فلما ذهب إلى لندره لم يهتم بي ، وعمل كل شيء بدون رأيي مع أتى حين سألتني وزير الخارجية عما إذا كان يحسن مقابلة أباطه باشا أجبتة بالإيجاب . »

وظهر من كلام جورست أنه يلوم الخديوي على وصايته له باسماعيل أباطه باشا . وظهر أيضاً أن الحكومة الانجليزية لم تعطه أوامر بخصوص عمل تغييرات في حالة مصر ، لأنها مشغولة بالمسألة الشرقية ؛ وعليه فلا أمل للمصريين في شيء .

الدستور : ولما وقف أباطه باشا على ذلك قال : « إننا سنعمل الواجب علينا ، فسيجتمع مجلس الشورى في ٣١ أكتوبر ، ويقرر طلب عمل قانون لاشتراك الأمة في إدارة مصر بدون مساس بالامتيازات وصندوق الدين وخلافه . ولا نقول برلمان ولا قانون سنة ١٨٨٢ ؛ وسأسافر بعد أربعة أيام للاجتماع مع إخواني أعضاء المجلس ورتب بيننا الخطأ ، ونجمع الأعضاء كلهم معنا إن أمكن ، وتوجه للحكومة ، ونعرض طلبنا . وننتظر حتى اجتمع الجمعية العمومية في فبراير سنة ١٩٠٩ . فتؤيد طلبنا ؛ وبعدئذ إن لم تحرك الحكومة ساكناً نفتصب ولا تتوجه للمجلس . » ، غير أنه نظراً لما عليه الخديوي من استياء الانجليز من تأخير مجلس الشورى في إنجاز الأعمال ، وأنهم عزموا على استصدار دكرتو بأنه إذا لم يبد المجلس رأيه في مسألة عرضت عليه في مدة معينة يعتبر كأنه صدق عليها . فقد وعد أباطه باشا أن يحضّر إخوانه على إنهاء ما هو باق تحت النظر ، مثل لأتممة المعاشات ، ولوائح القضاء الشرعي ، وغيرها .

أما تعديل مجالس المديرية فان المجلس يقرر تأخيرها حتى تنظر الحكومة في طلبه الخاص بإنشاء مجلس نيابي .

وتقرر أن يتوجه أباطه باشا ويترك بطلقة عند حرمه .
لأنه ربما رفض ، كما أنه رفض استقبال على شعراياها (الأمير) فخرج على من
اسماعيل أباطه باشا إلى القاهرة . ففكرنا في أنه ربما يكون كلام جورست من باب

الايهام الذى يقصد به تثيظ الهم للمصريين فلا يحركون ساكناً .
وقد بلغنى من بطرس غالى باشا ، ثم من الخديو . أن المستشار المالى كلم سموه
بخصوص الجرائد العربية . وكانت الاجابة مثل ما أجب به جراهام . وقد قال لى الباشا
إن المستشار قال له : « كيف يمكن طلب البرلمان مع وجود الاحتلال » .

مع استبعاد عباسى أيضاً . فى أول يوم من رمضان ، أهان الخديو بعض
موظفى سراى رأس التين بالسب الشديد ، وعاقبهم باستقطاع أيام من مرتباتهم ؛ ووقع
مثل ذلك فى سراى المنتزه ؛ واستمرت هذه العاصفة الاستبدادية عدة أسابيع .

وقد شاهدت بعينى أنه حقق على شخصين من الموظفين فى سن الشيخوخة . فطردهما
من الخدمة بعد توبيخ شديد ؛ وغضب على تركى يعمل بوظيفة وقاد ، فدعا إليه بعض
العساكر السود ، وأمر أقوامهم وأضخمهم — حتى إنه كان يلقب بالهلوات — بأن
يمسك به (يحتمضه) ، وأخذ الخديو يضربه بسوط كان معه ضرباً مؤلماً ، وهو يقول له
بالتركية : « انت عربيت الأتراك وأهالى شواطىء البحر الاسود . انت أنفقت وابورات
الكبرياء بسراى القبة ، لحرفت خزانها ، أما التركى ، فكان يتلقى الضربات ولا يتأوه .
ولا يزيد على أن يقول : « العفو العفو » ، ولما تعب الخديو من ضربه ، تركه وأمر بطرده
من الخدمة .

واستمر الضرب والسب وخصم المرتبات وكذلك الانذارات ، وكل ذلك لأجل
هفوة ، فكان موظفو السراى فى انزعاج دائم ؛ وكان الخديو يعانى مثل هذا الاضطراب
فى ظل هذه الحياة العاصفة .

نظارة بطرسى غالى باشا . فى ١٩ اكتوبر ، عاد مصطفى فهمى باشا من أوروبا ،
فداعت الاشاعة بزمه على الاستقالة . لأن صحته ليست على ما يرام ، ورددتها الصحف .
وفى ٢٦ منه ، قابلت بطرس باشا . فأبلغنى أنه تكلم مع الخديو فى إدخال ضمن
النظارة التى ستشكل ، وذاعت إشاعة بأنى سأعين ناظرًا للمعارف ؛ ولم أسأل بطرس باشا
عن التفاصيل . ولا عن أفكار الخديو ، وما قاله بخصوصى ، حتى لا أبدى له اهتمامى ؛
ولكنه لما سألنى عما إذا كنت مسروراً بذلك . أجبته بالإيجاب .

وفى ٥ نوفمبر عاد الخديو إلى مصر ، ومعه النظار والمستشار المالى ورجال المعية ؛
وبعد أن اختلى بالنظار والمستشار معاً ، اختلى بالآخر وحده مدة طويلة . ثم شاركهما

بطرس غالى باشا ؛ وعليت أن المستشار قال للخديو إن مصطفى فهمى باشا سيطلب مقابلة خصوصية ، وربما التمس بعض أشياء ففهم سموه أنه سيتلمس إحالته على المعاش بشروط خاصة مثل إعطاء مكافأة أو غيرها ، فأجاب الخديو بأنه ليس عنده شيء يعطيه .

وفى ٩ نوفمبر أخبرنى الخديو أن مصطفى فهمى باشا أرسل يطلب مقابلة خصوصية اليوم التالى وقال : إنه لا يبعد أن يكون هذا الطلب لتقديم الاستقالة ، وعليه يلزم أن ترسل لى فى القبة اسماعيل أباطه باشا ، وتبر على بطرس باشا وتستحضره معه هناك . ، فنفذت الأمر وتوجهت مع الثانى ؛ وبعد مناقشة طويلة قر الرأى على أن الخديو يطلب جورست الساعة العاشرة يوم ١٠ منه ، ويحدد لمصطفى فهمى باشا الساعة الرابعة مساء من اليوم نفسه ؛ وفى أثناء الكلام مع جورست يخبره بطلب فهمى باشا ، فان علم أن سبب طلب المقابلة هو تقديم الاستقالة فيتكلم سموه مع جورست فى الخلف ؛ والخديو يفضل بطرس باشا على نظرى باشا ولو أنه مسيحى ؛ وقد كان يفضل الثانى ؛ ولكن تأثر بمساحى اسماعيل أباطه باشا فى هذا الاختيار وقال إننى سأطلب من جورست تعيين بطرس رئيساً للنظار ، وأقول له إننى ضامن له بحيث لو حصل منه مالا يرضى فانى أطلب منه الاستقالة .

وفى ١٠ منه حضر جورست حسب الاتفاق وتحادث مع الخديو نحو الساعتين أولاً فى أمور عادية ؛ ثم عطفوا على مسألة مصطفى فهمى باشا ، فقال جورست إن طلب الباشا للشول بين يدى الخديو هو لأجل تقديم الاستقالة فقال سموه عندئذ يجب طبقاً لاتفاقية التجلتر مع مصر أن نتكلم سوياً فيما يقع بعد هذه الاستقالة ؛ فقال جورست إننى لم أتعهد فى هذا الشأن معكم لأنى أرغب ألا أتعهد فيما بينكم ورئيس نظارتكم ؛ وأخيراً دار الكلام على من يخلف مصطفى فهمى باشا ، فقال الخديو إن كل الحمل الآن علىّ وعليك ؛ فنحن نريد رجالاً يعملون ونظرى باشا وبطرس باشا كلانا يتفق على دخولهما فى النظارة الجديدة من أول الصيف ، والأول يظهر لى أنه لا يتحمل هذا العبء أما الثانى فانه يعول عليه ؛ فقال جورست : وهلا يحصل انتقاد من الأهالى بتعيين رئيس قبلى ؟ ، قال : إنه قبلى ولكنه مصرى ؛ أما نوبار فلم يكن مصرياً . ، ثم اتفق الحال على أنه إذا تراءى بطرس باشا رئيساً للنظار فتبقى معه نظارة الخارجية ولا تعطى له الداخلية ؛ ثم قال الخديو لجورست : وأنا لا أريد أن أضغط على فكرك من حيث تعيين بطرس باشا ، فلنا أن تروى فى هذه المسألة ونقرر نهائياً ما يجب عمله بعد مقابلة مصطفى فهمى باشا مساء هذا اليوم . ، فقال جورست : ولا أنا موافق منذ الآن . ، وبعد ذلك قال

نجورست عن اختيار النظار إنه يحسن أن يكون ذلك باتفاق سموه مع الرئيس الجديد .



سعد زغلول باشا

ثم تكلم جورست عن سعد باشا ، فقال إنه مستاء جداً منه بالنسبة لجهلاء أخلاقه فهو متكبر وكلامه قاس مثل الحجر ، ولكنه إذا خرج مع الخارجين فربما يحصل منه ما يسوؤنا — يعني أنه خائف من لسانه وأعماله — فاذا استصوب الخديو يبقى مدة شهرين أو ثلاثة ، ثم نعمل طريقة لإخراجه .

قال الخديو : وإن بطرس باشا قال لي إذا طلب الانجليز إبقاء سعد ، فأتركه لي وأنا أعرف ما أفعله لخروجه .

ثم حضر مصطفى فهمي باشا وقدم استقالته شفويًا وقبلت استقالته ؛ وحضر جورست وتكلم مع الخديو في النظار الجدد وأشار بتعيين مصطفى ماهر باشا للداخلية نزولا على رأى المستشارين الذين اجتمعوا عنده ؛ فقال الخديو عنه إنه طيب ومجتهد ولكنه ذو أغراض شخصية فهو ليس كباقي المرشحين من حيث النزاهة .

ثم دعاني الخديو أمامه بحضور جورست ، وأمرني بالتوجه لمصطفى فهمي باشا لأجوجه ألا يتكلم عن مقابلته مع سموه اليوم ، حتى تنتهى مقابلة جورست وإن لم أجده فأتارك له إفاضة بذلك ، ففعلت .

ثم حضر بطرس باشا مع أباطله باشا وكان لديه قبل ذلك للظفر في اختيار النظار الجدد ولأجل أن يقنعه ببقاء الخارجية في عهده فقبل ، أما سبب إرسال مصطفى باشا فهو لفرصتين : الأولى للوثوق منه أن الاستقالة تشمل النظارة بأجمعها لا عن شخصه فقط ، والثاني حتى يأتي رد من إنجلترا بالموافقة على تعيين بطرس رئيساً للنظار .

وفي ١١ نوفمبر جمع مصطفى فهمي باشا جميع النظار في منزله ، وأخبرهم بأنه رفع استقالته للجناب العالي ، وشكرهم على مساعدتهم له في مدة رياسته .

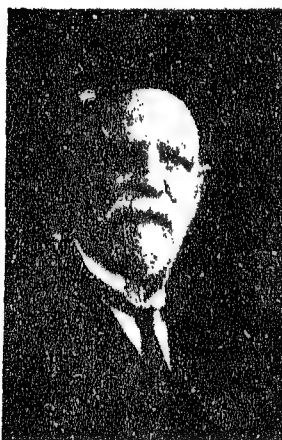
وعلمت من الخديو أن جورست عرض على سموه اسم سابا باشا ليكون في النظارة الجديدة ، وذلك مكافأة له على خدماته وتطبيقاته لخطره نظير خروجه بصفة غير مرضية من إدارة البريد ؛ فقال له سموه إنه يجب سابا باشا ويرى فيه الكفاءة . ولكن وجود ناظرين مسيحيين لا يروق في أعين الناس ، ولذا سحب جورست اسمه .

وعلمت أن النظارة ستشكل على هذا النحو :

بطرس غالى للرياسة والخارجية — سعد للعارف — إسماعيل سرى للأشغال والحربية — نقرى باشا للبالية — محمد سعيد للداخلية — حسين رشدى للحقانية .

وقد سئل جورست عن رأيه فى إبراهيم نجيب باشا فقال إنه لا يستحسن وجوده ليس فى النظارة فقط بل وفى وكالة الداخلية أيضاً .

وسمعت من الحديو أن يوسف صديق بك تكلم معه فى تعيين البرنس حسين كامل باشا رئيساً للنظار ؟ ويطن سموه أن اليك مدفوع سراً من البرنس نفسه ؛ ولكن الحديو قال إنه يظن أن البرنس لا يرغب فى هذا التعيين وقطع الحديث . فلم يجرؤ يوسف بك أن يلجح حتى لا يبدو هذا الابعاز .



إسماعيل سرى باشا



محمد سعيد باشا

وفى ١٢ نوفمبر أنبأ جورست وزارة الخارجية تلغرافياً بتعيين بطرس باشا رئيساً للنظارة الجديدة . وتقرر أن يكون رئيس النظارة مشمولاً أمام الحديو ، وكل ناظر مشمول أمام الرئيس — وهذه سلطة جديدة منحت لبطرس باشا — واتفق جورست مع الحديو على ذلك ، وعلى أنه إذا حصل خلاف بين سعد باشا ودنلوب فعلى سعد أن يرفع الخلاف لبطرس ، وهذا ينظر فى الأمر .

وقد فاتح بطرس باشا الخديو فيما إذا كان يستحسن تعييني ناظرًا للبالية بدلا من
نغرى باشا إذا امتنع عن قبول هذا المنصب ، فلم يجبه الخديو ، بل قال له : لا . لا .
يلزم أن تلح على نغرى باشا حتى يقبل ؛ وإذا رفض فأنا أرسل وأطلبه وهو لا يتأخر
عن القبول . ، وشفع ذلك بقوله إنه لا يستغنى عني في الديوان ، ثم حضر جورست
وعرض على الخديو برقية وزير الخارجية بالموافقة على تعيين بطرس باشا فشكره سموه
على معاونته ؛ وفي الحال حضر الباشا وتسلم الأمر بتعيينه ، وتوجه للنظار الجدد وتكلم
معه فوافقوا جميعاً ما عدا نغرى باشا .

وبعد ذلك أخذنا نفكر في اختيار ناظر للبالية ، وكان معنا الشيخ علي يوسف ؛
فأضرت على الخديو بتعيين احمد حشمت باشا وكيل حزب الاصلاح ؛ وبعد المداولة
والخاير مع جورست اتفق الرأي علي تعيين احمد حشمت باشا بدلا من نغرى باشا .



أحمد حشمت باشا



حسين رشدي باشا

وفي ١٣ نوفمبر حضر بطرس باشا ومعه خطاب بتشكيل النظارة الجديدة وأمر
بتعيين النظار ، فعرضت الأول على الخديو ، وأمضيت منه الأمر وهنأت الجميع ،
ودعوتهم لتناول الغداء عندى يوم ١٨ نوفمبر .

ثم التفت من الخديو أن يكلمهم في مسألة الأمن وأن بلغت نظرهم إليها ، فخطابهم

بالفعل في هذا الموضوع وغيره ، وهناك وأعراب لهم عن ثقته وتأيدته ، فانصرفوا شاكرين .

وكان في العزم أن يتوجهوا جماعة واحدة كما ذهبوا مع بطرس باشا إلى الوكالة البريطانية ، فاستصوب الخديو أن يتوجهوا متفرقين حتى لا يقال إنهم خرجوا من لندن الخديو لا بداء خضوعهم لجورست ، وكلفني أن أهدى لبطرس باشا هذه الملاحظة فوافق الباشا على رأي سموه .

وعلمت أن الخديو كان قد كلف بطرس باشا بالتحدث مع جورست لتعيين أحمد زكي باشا للحريية ، فأجاب بأنه لا يحسن الآن أن يعين أحد من المعية لئلا يعترض كرومر عليه . وعلى ذلك فقد صار من اللائق ألا يفاتحه في دخوله في النظارة ؛ وربما عرض جورست اسماً آخر للحريية مثل عبد العزيز عزت باشا ؛ وقال لي الخديو إنه سعى كثيراً لدى الانجليز لملء منصب في النظارة ، ولكن خشية أن يقع شقاق بين سموه وجورست قرر إحالة هذه النظارة على ناظر الأشغال .

مدير الأوقاف العمومية الجديد . وفي ١٧ نوفمبر أمرني الخديو بأن أحضر



خليل حمادة باشا

الأمر القاضي بتعيين خليل حمادة باشا أمين جرك الاسكندرية مديراً للأوقاف العمومية ؛ ويظهر أنه كان متردداً في تعييني في الأوقاف وذاعت الاشاعة بأنه قر الرأي على انتخابي مع أنه لم يفاتحني أحد في هذا الأمر بعد كلام بطرس غالي باشا معي يوم ١٢ نوفمبر .

ولم يرض المستشار المال وغيره عن تعيين حمادة باشا في الأوقاف ، ولكن الخديو قال للمستشار إن محمد سعيد باشا هو المتكفل به فقبل .

ثم كلف الخديو محمد سعيد باشا بإرسال برقية باستحضار حمادة باشا وأن

يتوجه إليه في سرى القبة صباحاً قبل أن يسافر سموه إلى بلبيس ، فجاء الباشا وتمت
المسألة ؛ وبعد ذلك صدر الأمر وسلته لخليل حمادة باشا ثم رافقته إلى الأوقاف .
وقدمت له الرؤساء وخطبت فيهم مظهراً ثقة الجناب العالى في المدير الجديد لأنه انتخبه
لجدارته وإخلاصه ؛ فعلمهم أن يساعده كما ساعدوا سلفه ، وأظهرت لهم أن المصلحة
تقدمت في السنوات الأخيرة باجتهادهم وإخلاصهم ولكن يجب عليهم أن يضاعفوا
العناية والمثابرة فقام دلاور بك مدير الادارة والحسابات وشكرنى على ما قلته
بالنسبة للوظفين ووعد بأنهم جميعاً سيشتغلون يداً واحدة ، ثم قام المدير الجديد وطلب
منهم المساعدة وقال إنه لا يصل إلى الغاية التى يرى إليها الجناب العالى من تقدم هذه
المصلحة إلا إذا تعاونوا جميعاً ، وحثهم على العمل على النظام ، ثم ودعت المدير وانصرفت .

النظار الجرد والازهر . وفى نفس ذلك اليوم تناول النظار ورئيسهم ومدير
الأوقاف الجديد طعام الغداء على مائدة ؛ وبعد الانتهاء دارت مناقشة عنيفة بين سعد باشا
وحسين رشدى باشا حول الازهر ، فقال الاول : « إن الاصلاح الذى تقرر ما هو
إلا حبر على ورق (*) » لأنه لا توجد المعدات اللازمة لهذا الاصلاح ، فلا يتوفر
المدرسون اللازمون في العلوم العصرية للمعاهد الدينية ، والمشايخ الموجودون لا يمكنهم
القيام بما يتطلبه النظام الجديد .

فقال رشدى باشا : « نأخذ من دار العلوم ومن المتخرجين في مدرسة القضاء
مساعدين للشايخ ، وكذا نستحضر من الخارج من يلزم . » فرد عليه سعد باشا بأن هذا
لا يمكن افاشتد الجدال حتى قال رشدى باشا : « أنت يا سعد لا تريد إلا بقاء مدرسة القضاء
الشرعى ، وتريد محو الازهر ! »

وفى ٢٢ منه بلغنى من بطرس باشا أنه حصل خلاف بين ناظر المعارف
والمستشار المالى ، فاستدعاهما رئيس النظار وفصل في الخلاف ، وكان الحق بيد المستشار ،
فمنع سعد باشا للحكم . وكان الخلاف بخصوص تغيير بعض المواد المتعلقة بالتعليم ،
وأبلغنى رشدى باشا أن نظارة المعارف كانت تريد استمرار السير على تأويلها في
صالحها ، ولكن المستشار يريد تأويلها بغير ذلك ؛ وعلى رأى حسين رشدى باشا يكون
الحق بيد سعد باشا .

المناف للرستور . كان يوم ٩ نوفمبر يوم عيد ميلاد ملك الانجليز ؛ ولم

يحدث وقوف تحت العلم الإنجليزي كالعادة ، ولكن الخديو ونظاره والمستشار المال ورجال المعية وقفوا في الشرفة المظلة على ميدان طابدين أثناء الاستعراض ؛ ولما انتهى صدحت الموسيقى بالسلام الملكي ، وقبل أن تصدح بالسلام الخديوي صاح طلبة مدرسة الحقوق ، وكانوا منتشرين فوق سطح المدرسة وفي حديقتها ، وكثير من الأهالي الواقفين بجوارها : يعيش الخديو ، وكرروها ثلاثاً ؛ ويعيش الدستور ، وكرروها ثلاثاً . ولما انتهوا صدحت الموسيقى بالسلام الخديوي ؛ فرد عليها الطلبة والأهالي . أفندم جوق يشا ، ثلاثاً ؛ وقد أعجب الجميع بنظام الطلبة والترتيب بحيث كان يميل للسامع والرائي أن هذه المظاهرة كانت ضمن برنامج الاحتفال الإنجليزي .

رسالة تهميد للخديو وفي ١٤ منه وردت رسالة للجناب الخديوي بأعضاء أحد رجال جمعية الانتقام المصري ، جاء فيها : يا أيها الأمير ؛ إن المرفعات الجهنمية ، التي تنسف الأرض ، قد أعدت لنسفك بمرتك وغيوها ومن يكون معك فيها أثناء مرورك رغم أنف جواسيسك وحرسك . فاعزل بطرس رئيس المحكمة المخصصة واحذر حيث لا يغني الحذر والمدة خمسة عشر يوماً من تاريخه .

وكان رأى الخديو أن محرر هذا الخطاب هو أحد رجال الحزب الوطني من أتباع محمد بك فريد .

الانجليز يمشون بالاحتياطي . في ٢٢ نوفمبر سألت مشاقة باشا الذي كان مراقباً لخزينة المالية ، عن كيفية استعمال مبلغ احتياطي الحكومة ، فقال إنه في ذات يوم طلب منه فنان كوربت المستشار المالي السابق أن يكتب كشفاً بالأسم التي يمكن للحكومة المصرية شراؤها بالذهب المخزون في صناديق الدين وتحول بعد الاتفاقية الانجليزية الفرنسية للحكومة المصرية ، فصعد بالأمر وقدم إليه كشفاً بعد أن دقق في اختيار الأسم المطلوبة . وعرضه على كرومر . وبعد مدة علم أن المستشار كلف السير ارنست كاسل شراء أسهم لم تدرج في الكشف وهي أسهم الفصيليد الانجليزي وأسهم الترنسفال ؛ وأرسل مشاقة باشا تحت إمضائه وحده شيكا بمبلغ مليون وثلاثمائة ألف جنيه باسم السير ارنست كاسل قيمة ما اشتراه من الأسهم ؛ ولا بد أنه بعد خروج مشاقة باشا استمر الحال على ذلك حتى تحول الاحتياطي إلى أسهم سعرها الآن في هبوط مستمر ولا بد أن اختيار أسهم الفصيليد الانجليزي وأسهم الترنسفال كان

لغاية وهي خدمة الحكومتين الانجليزية والفرنسالية ، لأن هذه الأسهم كانت وقت الشراء مرتفعة القيمة ، ثم هبطت بعد ذلك .

ولم يعلم أحد بهذا السر إلا كوربت وكرومر ومشاقة وبعض الموظفين الانجليز .

وانجليز والوطنائف . في ٢٨ نوفمبر دار حديث بين وبين بطرس غالى باشا ورأينا معاً ضرورة تغيير مستر هول ناظر مدرسة الحقوق ؛ وكان دنلوب قد طلب استحضار ستة وأربعين معلماً انجليزياً في السنة الماضية ، ولكن جورست خفض هذا العدد إلى ستة عشر . وفي هذه السنة خفض العدد المطلوب إلى أربعة ، وقرر أنهم منذ الآن فصاعداً لن يستحضروا سوى الضروري . وقال جورست أيضاً إنه يعلم بأن الذين استحضروا شبان ليس لأغلبهم نصيب كبير في الأدب والعلم ، هذا مع أن جورست هو الذى أشار بتعيين مستر هول لنظارة مدرسة الحقوق ؛ أما بطرس فكان من رايه تعيين ناظر مهيرى ووكيل انجليزى له .

التخديو والاعمال الهامة . ذكرنا أن جورست مد عين معتمداً بريطانياً في مصر ، قد ترك الاعمال الداخلية للتخديو يتصرف فيها ؛ وقد كان التخديو مهتماً بمباشرة هذه الاعمال . وفي أثناء حديثي المشار إليه مع بطرس باشا قلت له إن سموه يجتهد جداً مع النظاري مباشرة الاعمال وأن هذا هو اللازم ، فأظهر الباشا سروره من هذا الاشتراك . وأشارت عليه بضرورة زيارة سموه للديريات لأنه لم يزرها منذ بعيد ، فيحسن أن يتصل الآن بالشعب ، خصوصاً بعد مزاعم الحزب الوطنى عن سموه ، كما سياتى .

والواقع أن سموه كان يهتم بتصرف الامور اهتماماً متواصلاً حتى إنه عند وجوده بالقبة كان يأمر بحضور رئيس النظار أو بعض النظار مع الرئيس وفي الغالب محمد سعيد باشا واسماعيل سرى باشا ليتناقش معهم في الامور وكان بما اهتم به مسألة اختيار المديرين ثم مسائل الطلبة ، وكان طلبة مدرسة الهندسة قد اعتصبوا لأن نظارة المعارف قررت حضورهم ثلاثة أيام في الأسبوع لغاية الظهر فقط والثلاثة الأخرى لبعد الظهر ؛ وكان المتبع أن يحضروا للظهر فقط كل يوم ، فهاجوا وطلبوا الرجوع للقرار الأول مع أن النظارة لم تغيره إلا لشكاية علوى باشا الذى قال للنظارة إن المعارف تساعد الطلبة على البطالة فاذن لم يشتغلوا بعد الظهر فغضوا أوقاتهم في اللعب والمقامى .

وقد ساعدتهم بعض الأساتذة الانجليز لطلب الرجوع للقرار الأول ، ولكن الحكومة قررت عقاباً لهذا الاعتصاب تعطيل الدروس شهرين جزاء الطلبة وعبرة لغيرهم ، وعزمت على عقاب كل مدرسة تكرر هذا العمل ، فهاب السلامة العقاب وسكتوا ، بعد أن كان تلامذة الحقوق قرروا الاعتصاب أيضاً مجاملة لطلبة الهندسة .

وكان قد بلغ الداخلية أن الطلبة سيوقفون عربة سموه يوم الجمعة عند ذهابه لمسجد السيدة زينب ، فأعطيت أوامر للبوليس باتخاذ الاحتياطات الشديدة ، ومنع الناس من الوقوف على الأرصفة مع أن الحديو نبه بأن يكونوا فوقها ، ومنع أيضاً الاحتشاد في الطرقات . الخ . حتى خيل للإنسان أنه سيحدث شيء مضر من الطلبة ، ولكنهم وقعوا عريضة فقط يتبرأون فيها بما ينسب للانجليز من أمور لم تخطر ببالهم ويؤكدون حسن إخلاصهم .

وكذلك كان يشغل الحديو مع بطرس باشا وناظر الحقانية والقاضي والمفتي لحل المسائل الموقوفة المختصة بلوائح المحاكم الشرعية التي بعد أن صادق عليها القاضي وأمضاها عدل عنها لأنه يريد إثبات الولاية العامة له ، ولكن الحقانية رأت أن الولاية العامة هي للحديو وليست للقاضي .

مجلس شورى القوانين والرسوم . وعنى سموه أيضاً بما سيرضه مجلس شورى القوانين في أول ديسمبر من طلب مجلس نيباني ؛ وقد اتفق بطرس باشا مع رئيس المجلس على أن يطلبوا نظاماً كافياً لاشتراك الأمة مع الحكومة في إدارة شئونها الداخلية ، عدا ما يختص بالمعاهدات الدولية .

أي أنهم لا يأتون بكلمة مجلس نيباني ، إنما يطلبون كل ما يريدونه . وقال لهم بطرس باشا إني سأقول رداً على ذلك إنكم الآن مشتركون مع الحكومة ؛ وقد علم جورست بذلك فوافق كما أنه وافق على طرح لوائح التعليم على مجلس الشورى .

وفي أول ديسمبر عقد المجلس جلسته وبعد أن كان الانقسام موجوداً بين أعضائه ؛ إذ يريد البعض طلب مجلس نيباني ، وهم محمود سليمان باشا وعلى شعراوي باشا ومحمود عبد الغفار بك ، ومعهم اثنان أو ثلاثة آخرون ؛ والبعض الآخر وهم جماعة اسماعيل أباطه باشا يرون طلب نظام بدلاً من كلمة مجلس نيباني يضمن لاشتراك الأمة الفعلي مع الحكومة ، اتفقت آراؤهم على ما يأتي : « يطلب المجلس من حكومة

الجناب العالي إعداد مشروع قانون يمنح الأمة حق الاشتراك الفعلي مع الحكومة في إدارة أمورها الداخلية وفي تدبير شئونها الأهلية ، وأن يكون لها رأيها تقريريا في مشروعات القوانين واللوائح التي تطبق على الأهالي . وفي تقرير الضرائب والرسوم بحيث لا يكون لهذا القانون تأثير على نصوص المعاهدات الدولية والامتيازات القنصلية والدين العمومي وأحكام قانون لجنة التصفية ، ولا على كل ما يتعلق بالأوربيين من المصالح والحقوق الواجبة الاحترام . ولا على كل ما ارتبطت به الحكومة من التعهدات والاتفاقيات ، وبعد وضع هذا القانون يقدم إلى مجلس شورى القوانين لبدء رأيه فيه وهذا وذلك عملا بالمادتين ١٨ و ١٩ من القانون النظامي .

وبذلك عدل الأعضاء عن كلمة مجلس نيابي .

ولم يحضر هذا القرار شيخ الجامع الأزهر فانه قام من الجلسة وانسحب قبل انتهائها أما القاضي فلم يحضر مطلقاً .

وقد كنت بعد ظهر هذا اليوم مع الشيخ علي يوسف عند الحديو بالقبة ، ولما سمع بما وقع في الجلسة قال : « علي بطرس باشا الآن أنت يشتغل عند الآخرين . (يعني الانجليز) » ، وهذا دليل على استحسان سموه لما قرره مجلس الشورى .

اضطراب الامم . في ٢ ديسمبر زار السير جورست الخنديو ومكث معه طويلاً ، وكان موضوع الحديث أولاً اضطراب الأمن ، وقد عرفه الخنديو أن الناس يخشون السفر للأرياف مخافة القتل ، وروى له حادثة وقعت لشكيب باشا ؛ وهي أنه سرقت بعض أجزاء من وابور الري الذي بأرضه ولم يتمكن من استرجاعها إلا بعد إرسان رشوة لسارقها ؛ وقد حضر للعرض هذا العام أيضاً لتكرار ما عملوه في العام الماضي ، ولكن الخفير أطلق عليهم الرصاص ليملا ، فأصاب أحدهم وظهر أنه ابن مأذن الناحية .

وروى مظلوم باشا أن أحد الكبراء كان يريد أن يشتري حربة ولكنه توقف خوفاً من سطوة الأشقياء عليها وربما قتلوه ؛ وقال الخنديو إنه إن استمر الحال على ذلك لابد وأن تهبط أسعار الأاطيان ، ولا يخفى ما يترتب على ذلك من الضرر . فأجاب جورست بأنه سيبحث عن علاج لهذه المسألة .

قاضي مصر والولاية الشرعية . في عصر ٧ ديسمبر بينما كنت أعرض بعض

الاعمال على الخديو إذ حضر خطاب من محمد القاضي جمال الدين افندي فقضه وقرأه، ثم بعدها أمرني أن أستدعي بطرس غالي باشا وحسين رشدي باشا لحضرا وتداولاً مع سموه . وقد علمت أن القاضي يريد أن يجعل نفسه خديوياً لمصر ، بمعنى أن سموه يكون الخديو السياسي ، والقاضي يكون الخديو الشرعي ؛ ففلاول الولاية العامة الادارية والثاني الولاية العامة الشرعية !! وبعد ذلك ذهب سموه للقبة وبقي بطرس باشا ورشدي باشا يتداولان ثم اتفقا على استشارة جورست في إرسال محمود شكركى باشا للاستانة لللدولة مع أولى الشأن في دعاوى القاضي .

وقد استدعاني بطرس باشا بعدها ، وطلب الى إرسال إشارة تليفونية للجناب العالي في القبة أقول فيها إنه تم الاتفاق على انتداب محمود شكركى باشا للسفر الى الاستانة ، وطلب صدور الأمر ليحضر لمقابلته .

الشهادة بين الفريقين والحزب الوطني . في ١١ ديسمبر تقابل الشيخ علي يوسف مع الخديو وكنت حاضراً ، فأظهر جناحه استيائه الكبير مما يفتري به عليه اللواء والحزب الوطني من خيالاته للوطن وقال : « كيف أقضي خمسة سنين عاماً في حروب عنيفة مع الانجليز ، والآن ينسب هؤلاء المفترون ذلك ، ويقولون إنى عائن ، ولوادعوا شيئاً آخر لما صعب علي ، ولكن لا يمكن أن أكون عائناً .

« وقد كانوا يظهرون للعالم أن الأمة جميعها معهم في هذا الاعتقاد ، ولكن موقف الجمهور في يوم الاحتفال بالمحمل ، قد كشف سر هذا الحزب وبدأ على الوجه السرور والانسراح .

« فمن وقت ركوبى في العربة حتى المصطفة ثم أثناء رجوعى لعابدين كان الهدوء سائداً ، ولم يقع إلا خروج بعض الشباب في شرفة أحد المنازل بشوارع محمد علي وصباحهم : « يعيش الخديو ، يعيش الدستور . » ثم عند الملقية أراد بعضهم أن يهتف كذلك فنفطى على صباحهم زحردة النساء .

وبالاعتصار فان يوم أمس كان من الأدلة الواضحة على أن الأهالي مسالمون . وكان الحزب الوطني يثير الطلبة ، ولكنهم عرفوا الآن أن لا فائدة تعود عليهم من المتناف والضياع ، وأصبحوا لا يدعونون لاشارة الحزب الوطني مثل ما كانوا يدعونون ؛ والآن انكشف الستار وظهر أنه لا معضد للحزب من الأهالي ، وهذه ترضية عظيمة لشخصى فالمد لله .

تدخل الحديرو في الانتخابات . في ١٣ ديسمبر بعد صلاة الجمعة في المطراوى (بالمطرية) رجعتا مع الحديرو ، وبعدها حضر المحافظ ومحمد شكرى باشا مدير المنوفية ؛ وبعد الغداء تحدث سموه في مسائل الانتخابات فقال المدير : « إن هلباوى بك رشح نفسه للانتخاب في مديريته ، وكذلك احمد لطفى السيد بك مدير الجريدة . » قال الجناب العالى ، إنه يتحدث ألعيب مع بعض المرشحين للانتخاب ، فمن ذلك ما حصل من الدمرداش فانه أحضر مشايخ البيومية وحلفهم بالطلاق ألا يساعدوا أحداً خلافه لأنه كان أحس بحركة ضده لاسقاطه من الجمعية العمومية ، واستبداله بضابط في المعاش اسمه ابراهيم راجى بك ، فولا هذه الألوية لسقط الدمرداش ، لأن راجى أخذ فوق الستين صوتاً ولكن الشيخ نال فوق المائة والعشرين .

ومما يؤسف له أن الحديرو صرح لنا بأنه عمل بواسطة أهوانه لاسقاط الشيخ فلم يفلح ولم يكن من الحكمة أن يتحدث الحديرو بمثل هذا الكلام في مثل هذا المجلس . كذلك قال الحديرو إنه لما قابل جورست في المرة الأخيرة وجدته جدا عن كثرة الاضطراب في مصر أجاهبه الحديرو بأنه لا أهمية لذلك ولا خوف منه ، وقال له إن الشاهد على ما يقوله هو أن أهالى العاصمة وقدرهم نصف مليون لم يحضر منهم للاقسام يوم الانتخاب إلا ألف وخمسمائة شخص ، فدهش جورست لذلك ، ودون هذا الكلام في مفكرته حتى يسأل مستشار الداخلية في هذا الأمر ؟ وقد كان عما يسوء كل مصرى أن يقف عميد الاحتلال على هذا الأمر الذى يشوه من أمانى البلاد في سبيل الحكم الذاتى !

سنة ١٩٠٩

أمين جمرک الاسكندرية . الحزب الوطنى والموظفون . بين المستشار المالى
والنظار . تعيين البرنسى مسبق لامل باشا رئيساً لمجلس شورى القوانين . بحث
قانونه المطبوعات واضطهاد الصحافة . صدرى القانون . افتتاح بورسودانه .
شئون الازهر . نوبية السلطان محمد رشاد وسفر الخديو لهيستانه وأوربا . انتداب
لدارة الاوقاف الخديوية . مضمون عزت العاير باشا طهر . مرضى السيد
السكرى . مهام سياسية لمحمود شكرى باشا فى الؤسسات . مسألة امتياز قناة
السويس .

أمين جمرک الاسكندرية . جاء فى مذكرات العام الماضى أن خليل باشا حمادة
أمين جمرک الاسكندرية عين مديراً للاوقاف ، وكان من الضرورى اختيار خلف له ،
وقد اجتمع لدى الخديو يسراى عابدين بطرس باشا ومحمد سعيد باشا وشيخ بك وبعض كبار
الموظفين الانجليز للنظر فى تعيين ذلك الخلف ، فأظهر سموه ميلاً لتعيين مصطفى ماهر باشا
مدير الغربية ، ولكن شيخ بك رأى أن يبقى ماهر باشا مديراً لينظم المديرية كما نظم
الدقيلية قبلها . وعندئذ فكر الخديو فى تعيين فوافق على ذلك محمد سعيد باشا و بطرس باشا
ولكنهما طلبا من سموه أن يفكر فىمن يخلفنى فى الديوان الخديوى . فعاد سموه وألح
على شيخ بك بقبول مصطفى ماهر باشا ، وكلف سموه بطرس باشا بمحاضرة جورست
فى الأمر وفى أن يكون الأمين هو ماهر باشا أو شقيق بك . وقد وافق جورست على
ماهر باشا لأنه كان قد رشح له للنظارة أو وكالتها فى العام الماضى ورفض الخديو .

وقد ظننت أن اسنى طرح أمام جورست واختار مع ذلك ماهر باشا فأنثرت

لذلك وتحدثت الى بطرس باشا في الامر ، فنى لي ما غنيت وقال : « إنه لم يعرض سوى اسم ماهر باشا فوافق عليه جورست مباشرة . »

الحزب الوطني والموظفون . في ١٢ مارس حضر إلى السراي على بك ابو الفتوح الذي عين مديراً لجرجا ليشكر الخديو على هذا التعيين ، وكان قد بلغ سموه أن الحزب الوطني يسعى لعزم الموظفين إلى جانبه وخصوصاً رجال الادارة ليكونوا له عضداً وسنداً ، وأن على بك ضمن المتعين لهذا الحزب . ولما قابل سموه قال له : « يا على بك أنا وطني وأحب وطني ، وكل المصريين وطنيون يحبون وطنهم ، ولكني لا أود أن أكون عضواً في الحزب الوطني ؛ وأظن أن الأفضل ألا تكون أنت أيضاً كذلك . » فترا المديراً عما نسب إليه .

المستشار المالي والنظار . في ١٣ مارس كانت مز بين المسائل المعروضة في جلسة مجلس النظار برئاسة الخديو مذكورة من المستشار المالي بخصوص شراء الحكومة لسكة حديد الواحات بمبلغ قدره مائة وخمسة وعشرون ألف جنيه من شركة الواحات بشروط منها بقاء جزء من الأرباح للشركة لمدة معينة ...

وقد طلب محمد سعيد باشا إرجاء النظر في هذه المسألة الهامة إلى جلسة أخرى لأنها بلغت إلى النظار في آخر وقت . وقال سعد باشا إنه لم يقرأ المذكرة للآن ؛ فغضب المستشار وطلب البت في الموضوع بهذه الجلسة لأنها من اختصاصه هو وناظر المالية ومتى كانا متفقين فيجب أن يكون لبقية النظار ثقة فيما يقرانه . فأجاب محمد سعيد باشا : « إذا كان الامر كذلك فلا معنى لطرح المسائل المالية على المجلس . » واشتد الجدل وطلب حسين رشدي باشا بيانات من المستشار فأجابه إلى ما طلب . وعندئذ قال رشدي باشا : « إذن المسألة ستكون شركة بين الحكومة وشركة الواحات ، وعندئذ غضب المستشار واحتد ولوح باستقالته لأن النظار لا يثقون بأعماله . »

وهنا تدخل الخديو وأشار على محمد سعيد باشا بعدم الإصرار على تأخير المسألة فأطاع هو وزملاؤه ، وقرر تنفيذ الاتفاق الذي عمله المستشار مع الشركة . ولولا هذا الاتفاق لأفلس وعادت السكة الحديد والأراضي التي أصلحتها والآبار الارتوازية التي أنشأتها الحكومة بمقتضى عقد الامتياز .

ولم ينكر المستشار هذه الحقيقة ، ولكنه احتج بأن إفلاس هذه الشركة يذهب بثقة أصحاب رموس الأموال في مصر فلا يوظفونها فيها وتقف حركة الأعمال المالية .

ثم دارت مناقشة حادة أخرى على موضوع آخر لأن المستشار طلب الموافقة على لائحة المعاشات، وطلب النظار تأجيلها وصمموا على موقفهم رغم تشدده . وقد صرح الخديو لنا بعد انتهاء الجلسة بأنه لم يشهد من قبل مناقشات حادة بالمجلس كالتى شهدناها اليوم . فقلت لسموه : « هذا شيء حسن ؛ لأن المستشار من الآن فصاعداً سيحسب للنظار حساباً ، ويعلم أنهم غير من سبقهم من النظار فهم لا يقبلون شيئاً إلا بعد الاقتناع . »

تعيين البرنسى مبعوثاً لرئيساً لمجلس شورى القوانين وفى يوم ١٤ مارس اجتمع بطرس باشا واسماعيل أباطه باشا والبرنسى حسين كامل باشا بعد اختياره رئيساً لمجلس شورى القوانين فى سراى عابدين ، وتناقشوا مع الخديو فى الحالة الحاضرة وما يجب عمله ، فقر الرأى على أن يذهب بطرس باشا إلى جورست ويطلب منه أن يوافق على عمل تعديل فى مشروع مجالس المديرية بحيث يكون لها الحق فى فرض ضريبة لا تزيد عن خمسة فى المائة من قيمة الأموال لصرفها فى التعليم ، وأن تكون قراراتها نافذة فى هذه المسألة ، وأن يقنع جورست بضرورة ذلك . واتفق أيضاً على أنه متى انتهى بطرس باشا من هذه المهمة يتوجه البرنسى إلى جورست ويطلب منه توسيع اختصاص مجلس شورى القوانين .

بعض قوانين المطبوعات واضطهاد الصحافة . فى ١٢ أكتوبر تقابل الخديو مع جراهام نائب جورست وتحدثا عن الصحف العربية فقال جراهام إنها تبادت فى الطعن على الكبير والصغير دون مبالاة وطلب سن قانون لكبح جماحها فأجاب الخديو بأن قوانين البلاذ كافية لذلك ، وأن إصدار قانون شديد الآن ربما حرك الساكن فيحدث الانفجار .

وفى ١٦ منه قابل جورست الخديو ، وكان المظنون أنهما سيتكلمان فى مسألة الصحف ولكنهما لم يطرقا هذا الحديث ، وكان اسماعيل أباطه باشا قد طلب منى أن أنبه الخديو — قبل المقابلة وقد حصل — كيلا يظهر سموه معارضة فى سن قانون لها بل يقول إنها مسألة تفتضى التروى لأن أباطه باشا سمع من كرومر فى إنجلترا أن المنتظر عمل قانون ضد الصحافة العربية سواء أكان مديروها أجنب أم مصريين وأن الدول وافقت على ذلك بدليل أن عبد العزيز جاويز محرر اللواء التونسى لم تعترف فرنسا بحمايتها له .

ولكن بعض الصحف، وخصوصاً المتتمة للحزب الوطني، تبادت في شدتها ضد شخص الخديو حتى كانت ترميه بخيائته لوطنه والاتفاق مع الانجليز ضد مصالح الأمة؛ فضايق سموه ذرعا بهذه الحملات وسلم بالنظرية الانجليزية في سن القانون، بل أظني هو صاحب الرغبة والسعي في ذلك؛ فكلف بطرس باشا بالتعجيل في تنفيذ هذه الفكرة واستقر الرأي على بحث قانون سنة ١٨٨١ ولتجاسب الصحف بمقتضاه، وهو قانون قاس شديد.

ولما علم الشيخ على يوسف بعزم الحكومة على بحث هذا القانون الذي سن أيام الثورة العرابية جاء إلى الخديو يوم ١٩ مارس وقال لسموه: «إن هذا أمر لا يصح بعثه بعد ربع قرن، وإنه يسمى إلى الجميع من حيث الحرية التامة، وسنحتاج لاستقبال هذه الحرية في وقت ما فلا نجد لها، فأجابه الخديو: «إن ذلك صحيح ولكن المخاطر بيننا وبين انجلترا تقدمت تقدماً عظيماً ولا يمكننا الرجوع إلى الوراء، فقال الشيخ على: «وما ذنبنا إذا خرج بعض الصحف عن حد الأدب في انتقاداتها على الحكومة فكيف يؤخذ البريء بجريرة المذنب مثل محرري اللواء والجريدة الذين لا ذمة لهم، فأجابه: «إن هذا ما حدث وإنتى أحسن بأننا لم نعمل عملاً في صالحنا الحقيقي ولا بأس يا شيخ على بأن تذهب إلى بطرس باشا وتتكلم معه في هذه المسألة». وكان الخديو قد بدأ يعود إلى رأيه الأول ولا سيما بعد هذا الحديث الذي دار بينه وبين صاحب المؤيد، فأرسل في طلب محمد سعيد باشا وحسين رشدي باشا وتكلم معهما في مسألة قانون المطبوعات وبعد أن كان هو الذي يطلب تنفيذ قانون سنة ١٨٨١ عاد ووافقهما على أنه ليس في المصلحة خصوصاً وأنه سيقال عن سموه وعن نظاره أنه لما سلبت الحكومة الانجليزية قيادة الأعمال الداخلية إلى الوطنيين كانت فاتحة عملهم أن رجعوا بالمصريين إلى الورا، وهذه وصية شنيعة! واتفقوا على تدبير الأمر.

وفي اليوم التالي دعاهما إلى سراي القبة وتكلم معهما في مسألة القانون ووافقهما على عدم تنفيذه، وأمرهما أن يتوجها إلى بطرس باشا وأن يتكلمتا معه.

وعلمت في هذا اليوم من اسماعيل اباظه باشا أنه توجد أزمة نظارية فاتفقنا على أن توجه لبطرس باشا في المساء لنعلم الخبر فذهبتا وفهمنا منه أن النظار علوا قبل المخاطبة مع جورست بالموضوع وبعد أن قبلوه برمتهم جاءوا يعترضون على بعض نقط فيه. وخرجنا من المناقشة بأن الحق في جانب بطرس باشا وقد سمعنا منه أنه في الحقيقة

لا يرغب في بحث هذا القانون ، ولم يكن بعثه إلا بناء على إلحاح الخديو في إجراء ما يجب لاسيكت الصحف الجاحقة وفهنا أيضاً أن بطرس باشا مستاء جداً لمداولات الخديو مدى يومين مع حسين رشدى باشا ومحمد سعيد باشا بدونه ومستاء أيضاً من تقلب أفكاره حيث طلب سن قانون المطبوعات ثم هو يعترض الآن عليه ، فكان بطرس باشا وحده هو الذى يطلب تنفيذ هذا القانون ولا يخفى ما يناله من العار لو علم الجمهور بذلك .

وفي ٢٢ مارس قابلت أنا وأباطه باشا حسين رشدى باشا وسعيد باشا فتفاهنا معهما في موقفهما فعلينا أنهما لم يتناقشا مع زملائهما عدا الرئيس في هذا الموضوع قبل المحادثات مع جورست بل بعدها بكثير ، وكان كلما أبدى أحدهما ملاحظة أجابها الرئيس بكلام مبهم وبدأ لهما جلياً أنه يريد إقرار القانون بنصه وبلا مناقشة . فاستاء النظار من استبداده لأنه لا يريد أن يمكنهم من بحث القانون وأظهروا له أنها مسألة هامة لا يمكن أن يأخذوها على مسئوليتهم ولهذا أرادوا أن يحولوا فكر الخديو عن هذا القانون فسمى لديه محمد سعيد باشا وحسين رشدى باشا حسماً قدمنا ، وكان ذلك سبباً في غضب بطرس باشا وخصوصاً حينما أبلغناه رأى الخديو في العدول عن رأيه الأول . ولما سمعت واسماعيل أباطه باشا هذه البيانات حكمتا للنظار ضد بطرس باشا . ولكنه ظل على إصراره وغضبه حتى إنه لوح بالاستقالة أمام النظار . واعتذر عن الحضور بانحراف محنته حينما دعاه الخديو فذهب إليه أباطه باشا وأقنعه بمحسنة سموه ووجوب التوجه إلى السراى . وأما النظار فثبتوا على موقفهم من المعارضة . وأبدى ثلاثة منهم استعدادهم للاستقالة ، وهم محمد باشا وسعيد باشا وحسين رشدى باشا . ولما تخرج الموقف كلفنى الخديو أنا وأباطه باشا بالتوجه إليهم والتفاهم معهم ، فقمنا بالمهمة وحادثناهم منفردين ثم مجتمعين بأن لا معنى للتوقف بعد أن تمخبرات مصر مع انجلترا وهذه مع الدول لقبول تنفيذ اللامحة على الأجانب وأن تنفيذها سيكون مؤقتاً لحين عمل لامحة أخرى ملائمة للحالة الحاضرة وتعرضها للحكومة على مجلس الشورى ، وأعطى ناظر الداخلية الحرية في تنفيذ هذه اللامحة على أرباب الجرائد أو إحالتها بواسطة قلم المطبوعات على النائب العمومى ، ثم قلنا إن مركز الخديو قد أصبح حرجاً لأن جورست لما قبله وأراد سموه تحويله عن تنفيذ اللامحة لم يوافق وعندئذ قال النظار ما معناه : « نحن نفدى سموه لأننا نعلم أن إحساساته شريفة رأيت لنا ذلك عند حديثنا معه لأنه علم أن رجوع اللامحة في هذا الوقت الذى أعطتنا فيه انجلترا

الحرية في العمل بما يثبت لها ولاوريا أن الأمة المصرية ليست أهلاً للحرية ، مع أن المشاعين هم فئة قليلة تعد على الأصابع ، ولهذا وافقنا على الرجوع عن هذه اللائحة .
وانتهى الأمر بقبول النظار ثم انصرفنا حيث كان الليل قد انتصف . وفي اليوم التالي توجه النظار لسراى القبة وقابلوا الخديو ولما خرجوا وجدتهم بما فيهم الرئيس ضاحكين ، وعلبت أنا واسماعيل اباطه باشا من سموه أن سعد باشا ظل ساكناً حتى أعلن الآخرون قبولهم ثم قال : . إن هذا الأمر غير مرجح لضميرى ؛ أنا لما كنت محامياً وأدافع في قضايا وأخسر بعضها كنت أتكدر ولكن كنت أقبل الحكم وضميرى مرتاح . أما في هذه المسألة فضميرى غير مرتاح مع قبول هذه اللائحة .

ونظراً لوجود إشاعة بأن هناك أزمة نظارية ، وبعد خروج النظار من السراى سمعت من الخديو أنه إذا قدم النظار استعفاهم فإنه لا يكلفهم بعد ذلك بشئ مطلقاً وأنه يكون مضطراً لتشكيل نظارة أخرى تحت رئاسة نظرى باشا .

وبلغنى أنه حصلت مخبرات بين النظار والرئيس في إدخال تغييرات على مشروع تنفيذ قانون المطبوعات سنة ١٨٨١ . وقال النظار لرئيسهم إن جورست قبل فكرة التعديل بناء على نصيح شيتى بك .

ولما اجتمعت مع حسين رشدى باشا وسعد باشا ومحمد سعيد باشا في الداخلية وقرأت المشروع المعدل ، وجدته لا بأس به فلما توجهوا عند الرئيس وعرضوه عليه قال إنه ليس صريحاً - وذلك قبل أن توجه لجورست ومحدثه ، ولما عاد من عنده قال إنه لم يقبله فأرتاب النظار لهذا التناقض . واعتقدوا أن الرئيس ليس مخلصاً في عمله وأنه يريد أن ينفذ قراره الأول ثم أرسلوا القانون المعدل مع المستشار المالى إلى جورست وأخيراً جاء الرد بالقبول فاجتمعوا في بيت الرئيس وتناقشوا في الموضوع ، وعاد بطرس باشا ثانية إلى جورست ليلاً ليأخذ منه الكلمة الأخيرة قبل المشروع مع تعديل لبطرس باشا مقتضاه عمل قرارين أحدهما بتنفيذ لائحة سنة ١٨٨١ والثانى بالتعديل به .
وانتهى الأمر على ذلك .

وفي مساء ذلك اليوم استدعانى الخديو وطلب ميزانية الديوان الخديوى ولما اطلع عليها أمر أن يزداد مرتبى أربعائة جنيه في السنة من وفورات الميزانية ، فشكرت لسموه هذا الانعام وقلت : . إن لسائقى يعجز عن إيفاء حق الفكر . فأجابنى : . يا شفيق باشا إن الحالة تغيرت وصارت أشغالنا كثيرة ولنا أمزار جديدة ، فأنا شخصياً لا آتمن سواك

عليها ولذلك رأيت أن تبقى معنا الآن وفي المستقبل كما كنت معنا من قبل . فقلت — وقد تأثرت بهذا الكلام — : إني يا مولاي غرس نعمة يثلك الكريم في الشرف أن أخذته إلى ما شاء الله ولا سيما بعد أن سمعت هذا الكلام المشجع الذي اعتبره أعظم مكافأة لي . وقبلت يديه وانصرف .

وفي ٢٥ مارس اجتمع النظار بسموه لخطابهم بشدة وكان موجهاً كلامه بالأخص لمحمد سعيد باشا واتقدحهم ، وهو أنهم بعد أن اتفقوا على قبول لائحة المطبوعات في الجلسة السالفة رجعوا في قولهم ، ووسطوا المستشارين بينهم وبين جورست في قبول بعض تعديلات اقترحوا إدخالها ، ولو أنه حصل الاتفاق أخيراً بينهم وبينه وبين الرئيس . ولكن التقرير ثم التغيير فيه شيء لم يره سموه من النظار السابقين مدى السبعة عشر عاماً الماضية .

ولا يبعد أن جورست الذي يسير معنا بالاتفاق التام يفضب يوماً من الأيام عندما نطلب منه المساعدة في مسألة فلا يجيبنا إلى طلبنا ويعمل ما يراه لأنه لا يعتمد على ما نعرضه عليه خوفاً من أن نرجع فيه كما رجعنا في هذه المسألة وبذا نخسر معاوته .

وكان هذا الكلام للنظار أمام المستشار المالي وقطة باشا واحمد زكي بك فاستأدوا من ذلك وتكبدوا أيما كدر . ولما ذهبت مساء اليوم إلى وكالة فرنسا ، حيث كنت مدعواً لتفضية السهرة بمناسبة وجود الدوق أوف كنوت وعقيلته هناك ، قابلني في حلقة المدعوين سعد باشا ثم محمد سعيد باشا ثم حسين رشدي باشا واحمد حشمت باشا وكلوني في هذا الموضوع وكان التأثير ظاهراً بالأخص على سعد باشا وسعيد باشا ، فبدأت زوعهم وأكدت لهم أنهم قاموا بالواجب وأن الخديو لا بد أن يكون مقتبلاً بالتعديل الذي أدخل لأنه لم يكن موافقاً على القانون ولكنه استاء فقط من الطرق التي اتبعت .

وفي اليوم التالي حضر سعيد باشا إلى القبة فقابل الخديو وعلم منه أنه كدره كان من توسط شقيق بك بينه وبين جورست في قبول التعديل ومع ذلك فإن سموه أظهر له الرعاية والعناية فزال عنه بعض الكدر وبعد الظهر توجهت إلى بطرس باشا فدعاني للغداء وعلبت منه أنه مقتبلاً بما قاله الخديو للنظار وأنه قال لسموه أثناء محادثة شخصية إنه لو كان سموه رضى بالرجال الذين كان قد اتخهم أولاً ومنهم شقيق باشا لما حصل كل ذلك ولكن سموه طلب منه قبول هؤلاء النظار فامتثل لأوامره .

وكان سموه قد سافر إلى بليس وعند عودته ركبته معه في القطار من محطة مصر إلى القبة وعرفته بالمطلوب لإجرائه في قرار تنفيذ قانون المطبوعات فسأني عما إذا كان بطرس باشا قد قبل فسألت سعيد باشا تليفونياً فقال: نعم إن بطرس باشا قد قبل. فقلت لأنفدينا: الحمد لله إن المسألة قد انتهت مع النظار والرئيس وجورست. فقال: ولكن لم تنته معي فكيف يحصل هذا التغيير بعد أن قررنا ما قررناه؟

مصرى القانون. نشرت الوقائع الرسمية في ٢٧ مارس قرار مجلس النظار بتنفيذ قانون المطبوعات لسنة ١٨٨١ على الصحف والمطابع والقرار الخاص بتكليف ناظر الداخلية بأحالة المتهمين على القضاء ما لم يقرر مجلس النظار تطبيق مادة ١٣ من القانون المذكور فثارت لذلك جميع الصحف وحملت اللواء على القانون بعنف ووردت تفرافات للجمعية وللحكومة بالاستياء منه. وفي اليوم التالي ذهب الخديوي إلى المحطة لتوديع الدوق أول كنوت وفي أثناء ذهابه وعودته إلى عابدين لاحظ أن بعض الطلبة الذين ينتمون للحزب الوطني كانوا جالسين على قهوة الشيشة وشربها وهم في حالة عدم اكتراث ولما مر عليهم لم يتحركوا ولم يقفوا لإداء السلام بل بالعكس رفعوا ساقاً فوق ساق ونظروا إليه. وقد شعر سموه أنه لا بد وأن يكون الحزب قد كفهم بتنظيم هذه المظاهرة انتقاماً منه بسبب قانون المطبوعات والصحافة.

وفي يوم ٢٩ مارس حضر السراي سكرتير الحزب الوطني. وسأني خطاباً باسم الخديوي وفيه احتجاج من لجنة إدارة الحزب الوطني خاص بتقييد حرية الصحف. ومما ورد في هذا الاحتجاج.

« إن الحزب الوطني هو قوة لا يستهان بها. وهو مخلص للسدة الخديوية. فلما أرسلت الخبر تليفونياً للجناب العالي جاءني الأمر بإرسال هذا الاحتجاج لبطرس باشا.

وبلغني من سموه بعد ذلك أنه ورد للنظار إنذار بأن عشرة من الطلبة سينتمون منهم ويقتلونهم نظراً لآقارهم إرجاع قانون مطبوعات سنة ١٨٨١ وأن النظار متخوفون من هذه الجمعية.

مظاهرة الطلبة: ولما عاد سموه إلى القاهرة في ١ أبريل بعد افتتاح بور سودان. — كما سيجي. — كان النظار في انتظاره بمحطة القبة مع الرئيس محمد علي باشا، فعلمنا منهم أنه وقعت أثناء غياب سموه مظاهرة كبيرة قام بها الطلاب المنتمون للحزب

الوطني ، وأن هارفي باشا الحكمدار الذي كان مشرفا على تشديدهم سقط عن جواده .
ولكن البوليس تمكن من القبض على ناصية الحال وقبض على عدد من المظاهرين
لتقديمهم للمحاكمة . وعلنا أن جيش الاحتلال كان على استعداد لأول إشارة وأن القائد
العام كان يراقب المظاهرة بنفسه في ميدان الأوبرا .

وقد لامهم سموه على عدم إرسال الأخبار إليه مدة غيابهم ، ولا سيما في أمر
هذه الخطورة .

في مجلس الشورى والقانون : وفي ١٣ أبريل اجتمع مجلس شورى القوانين
فاقترح على شعراوي باشا ، وأيده ثمانية من الأعضاء ، إلغاء قانون المطبوعات ؛ فرد عليه
أسماعيل أباطه باشا بأن هذا الطلب غير قانوني ، فانه لا حق للمجلس في طلب إلغاء
قانون ، واقترح أن يطلب من الحكومة عمل مشروع قانون للمطبوعات بدل الذي تقرر
تنفيذه ، ثم عرض المشروع الجديد على المجلس . فقام مقام باشا عبد الشهيد ، وطلب
الأيضار القانون الحاضر وألا يلغى ، بل يبقى كما قرره الحكومة . ولما أخذت الأصوات
كانت الأغلبية مع مقام باشا فتقرر إبقاء القانون على حاله .

وقد كانت هذه نتيجة سيئة المغزى بالنسبة للأمة المصرية وتقديرها لحرياتها
وحقوقها ، ولكن الذنب في ذلك يرجع إلى الخلاف بين أباطه باشا وشعراوي باشا
وهو الذي مكن عبد الشهيد باشا من إحراز الأغلبية .

إنذار اللواء والحكم على الشيخ جاويش : وبالرغم من سن قانون المطبوعات
فان الحكومة والانكليز كانوا يتخرجون من تنفيذه على الصحف التي ظلت تكتب
بعده متناهية ، وقد علنا أن البرلمان الانجليزي نفسه أوصى وزير الخارجية الانجليزية
بعدم التصديق على حرية الصحف في مصر .

ولكن حدث أمران اضطرارا الحكومة إلى الخروج عن هذا التحفظ :

الاول : أن اللواء نشرت فصولا طويلة مدحت فيها ، دنجرا ، الهندى قاتل
الورد كرزون في إنجلترا واعتبرت عمله عملا وطنياً خالداً ، وحضت الشبان على التشبه
به في وطنيته .

والثاني : أن الشيخ جاويش نشر في اللواء مقالا شديداً للبهجة طعن فيه على حق
بطرس باشا وفتحى باشا زغلول ومحمد بك يوسف

أما اللواء فقد تقرر إنذاره بعد أخذ ورد بين مصر ولندره حتى إن بطرس باشا لوح بالاستقالة إذا لم يندر ؛ لأن هذه الكتابة تعتبر تحريضاً صريحاً على ارتكاب جرائم القتل السياسى .

وأما الشيخ جاويش فقد قدم للمحاكمة وحكم عليه بالغرامة .

مظاهرة سياسية : وقد قابلت الصحف الانجليزية والوطنية هذا العمل بالارتياح . أما جرائد الحرب الوطنى فاستخدمته فى الدعاية للحزب وقالت إن الشيخ جاويش يعتبر شهيد الحرية .

وفى يوم ٢٩ أغسطس تألفت مظاهرة كبيرة فى حديقة الأزبكية لتحية الشيخ جاويش نظمها الحزب الوطنى . ولما علمت الحكومة بخبر المظاهرة اجتمع ناظر الداخلية مع المحافظ لعمل الاحتياطات اللازمة ، ونبه على الشيخ شاكر لبذل كل مجهود حتى لا يشترك فيها طلاب الأزهر . ونصحت المؤيد والجريدة بالهدوء ، وقد انتهت المظاهرة بسلام .

وفى نفس الوقت بذل الخديو مجهوداً لا قالة محمد فريد بك زعيم الحزب الوطنى من الاشراف على تصفية الشركة التوفيقية للملاحة فى النيل ، وكان المنشاوى له نصيب كبير فيها ، وكان فريد بك يتناول نظير عمله مائة جنيه شهرياً ، هذا فضلاً عما يقال من أن مركزه هذا يفيد الحزب الوطنى مالياً . ولهذا كلفنى الخديو بأن أسعى لدى أفراد أسرة المنشاوى للعمل على رفع يد فريد بك عن الشركة ، واستعنت على ذلك باسماعيل أباطه باشا . ورشحناه هو للحلول محل فريد بك . ولكن السعى لم يتم . ولما علم فريد بك بذلك أرسل إلى أباطه باشا يلومه على هذا العمل الذى اعتبره غير لائق بمكانته .

افتتاح بورسودان . كانت الحكومة قد انتهت من إنشاء ثغر بورسودان ، وقر الرأى على أن يفتحه الخديو رسمياً .

وفى ٢٩ مارس تحرك القطار الخصوصى من القبة يقل سموه والنظار وكبار رجال المعية إلى السويس حيث كانت المحروسة فى الانتظار . فنزلنا بها فى منتصف الليل والبحر هادى . والهواء رطب وسارت حتى بلغت الميناء الجديدة يوم أول أبريل ، وهناك أطلقت المدافع من الشاطئ . وأذن الشيخ محمد الجياوى المرقى . لإعلانا بافتتاح بورسودان رسمياً .

ثم افتتحت الحفلة بخطاب من حاكم السودان العام مرحباً بالحديد وتلاه كندى بك مدير أشغال السودان فشرح بإيجاز الأعمال التي تمت في الميناء وقام بعده دبورى بك مدير الموانئ والفنساتارات فوصف الميناء وفائدتها التجارية وأنه قد نصب في مدخلها فانار من الدرجة الثالثة يمتحنى نوره كل عشر ثوان وقد وضع هذا الفانار بحيث ينبعث منه شعاع أحمر علامة على الخطر في بعض الجهات .

فرد عليهم الحديدو شاكرآ ومشجعاً ، ثم توجه سموه الى البناء فوضع آخر حجر ثم أنتم على بعض كبار الموظفين الانجليز بنياشين مختلفة الدرجات .

وكان في الاستقبال ونجت باشا السردار والضباط والموظفون وقاضى القضاة ومفتى الخرطوم وشيخ علماءها ؛ وأديت العساكر التحية ، ثم صعد إلى الباخرة ونجت باشا ومعه سلاطين باشا لشكر الحديدو على تفضله بالحضور . ثم نزل سموه إلى الشاطئ . وركب العربية الخصوصية وطاف في مركب بعض شوارع الثغر التي كانت مزينة بالأعلام .

ثم عاد للمحروسة فاستقبل بها أعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية الذين حضروا مدعوين لشهود الاحتفال . ثم أصحاب الصحف وغيرهم . ودعا إلى الغذاء كبار موظفي السودان وأعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية .

وفي الساعة الرابعة زرنا مخازن الجمرك ووابورات الكهرباء ، ثم مررنا بالنقطة التي تصل القسم التجارى من المدينة بالقسم المدنى . وزرنا منزل حاكم المدينة ثم عدنا للمحروسة .

وفي المساء كنا مدعوين للعشاء عند السردار وكانت الميناء والمحروسة ووابوران صغيران لحكومة السودان تتلألا بالأنوار الساطعة ، وبعد العشاء أطلقت النيازك ؛ وما لفت الأنظار ظهور صورة الملك ادوارد السابع وصورة الحديدو في ألوان زاهية واضحة . وما لاحظته سموه وجود أعلام انجليزى بجانب الأعلام المصرية في ساحة الاحتفال ، ولم يدع أحد من المجلس ولا الجمعية إلى هذه المأدبة .

وفي اليوم التالى ركبنا المحروسة عائدین بعد الوداع الرسمى المعتاد ، فوصلنا إلى الطور يوم ٤ منه حيث يوجد المحجر لاجراء الرسوم الصحية المعلومة . وكان هنالك الوابور برنس عباس يقل المدعوين للاحتفال عائدین كذلك فأرسل إليهم سموه بيلغهم أسفه على عدم دعوتهم للمأدبة السردار وأنه آسف بسبب ذلك .

ووصلنا إلى السويس يوم ٦ منه ، فاستقبل سموه من جميع الطبقات بمصاهرة
كبيرة ، ونزل بالمدينة وطاف ببعض شوارعها ثم غادرنا السويس إلى القاهرة فوصلناها
في الساعة الخامسة مساء .

شؤنه الأزهر . في ٩ أبريل كنت في سراى القبة مع الشيخ شاكرو والمفتي
والشيخ محمد حسين مخلوف العدوى ثم حضر الشيخ احمد رثاق فاجتمعنا بناء على الأمر
الحديوي للناقشة في شئون الأزهر ومطالب الطلبة إزاء القانون الجديد ، وفي الشكاوى
التي وصلت للسراى من الطلبة ومن جمعية اتحاد العلماء . وقد كان من رأي أن يأمر سموه
بتفكيك لجنة من أحد علماء الأزهر وآخر من المعهد الاسكندري وثالث من طنطا ومن
ابراهيم ممتاز باشا رئيس الأقاليم العربية بالداخلية وحسن بك جلال أحد رجال القضاء
وثلاثة آخرين مثل اسماعيل بك حسين ناظر مدرسة المعلمين العليا واسماعيل رافت
بك المدرس بها وأمين بك سامي ناظر المدرسة الناصرية . وتنتظر هذه اللجنة في مطالب
الطلبة ولها أن تنظر في تعديل القانون واللائحة الداخلية ، وأن تقترح التغييرات اللازمة
لدخالها لراحة الطلبة والعلماء في جميع المعاهد .

ولكن اقتراحي هذا لم يزل مقبولا وقال الحديوي : « إننا ننظر في جلسة غير رسمية
في تقرير اللجنة ، ثم يجتمع المجلس العالي بصفة رسمية ويقرر ما يراه في هذا التقرير . »
استقالة الشيخ حسونة وتعيين الشيخ سليم البشرى للمرة الثانية : أسلفنا ذكر
ما كان بين الحديوي وبين الشيخ حسونة من سوء تفاهم لم يزل إلا ظاهراً ؛ ولذلك فإن الشيخ
اتهم فرصة التدمير من القانون الجديد وبادر في أوائل هذا العام بتقديم استقالته فقبلت ،
وبعد المداولات قر الرأي على تعيين الشيخ سليم البشرى شيخاً للأزهر ؛ وكان الأمر
محل بحث بين النظائر وجورست ، وانتهى بموافقتهم وصدور الأمر بالتعيين في ١٣ منه .
وفي ١٧ منه حضر الشيخ الجديد للسراى بين جمهور من العلماء تطلع عليه الحديوي
(الكرك) ولم يكن ذلك متبعاً من قبل .

تولية السلطان محمد رشاد وسفر الخديوي لإستانة وأوروبا . وردت التلغرافات
بتولية السلطان محمد رشاد خلفاً للسلطان عبد الحميد الذي أرسل إلى سلايك للاقامة
فيها ، وفي يوم ١٤ أبريل احتفلت البلاد بهذه التولية ، وفي ٣٠ مايو سافر الحديوي إلى
الاستانة لتهنئة الخليفة الجديد فوصلها يوم أول يونيو ، ومن هناك أرسل سموه إلى

بطرس باشا القائمقام برقية يصف فيها حسن استقباله عند وصوله وحفاوة السلطان
ورجال المابين به ، وكذلك رجال
حزب الاتحاد والترقي ، وأمر
بموافاته بالأخبار تباعا وكذلك
أرسل محمود شكرى باشا الى
رسالة مطولة يصف الاستقبال
ومجاءه فيها : وكانت المدرعات
العثمانية الراسية أمام السراى
السلطانية تؤدى التحية العسكرية
للحضرة الخديوية وموسيقاها
تعزف بالسلام الخديوى وهذا
لم يحصل قبل الآن . وجاء فيها
أيضاً : وصدرت الارادة
الشاهانية مؤذنة للخديو المعظم
بزيارة الخزانة الجليلة التى تحوى
الآثار النبوية بسراى طوب قو .



السلطان محمد رشاد

وقد نشرت هذه الرسالة بالوقائع المصرية ونقلتها عنها بعض الصحف فكان لها
وقع كبير لدى الأهالى الذين كانوا يظنون تغير نفس السلطان على الخديو نظراً لسياحة
الوفاق مع الإنجليز فى العهد الأخير .

وعاد الخديو من رحلته فى ١٧ سبتمبر بعد تجماله فى أوروبا

اتتبعه لادارة الاوقاف الخديوية . فى ٢٠ يونيو قام احمد خيرى باشا
مدير الاوقاف الخديوية بالاجازة وكلفنى بناء على الامر السابق صدره اليه من الخديو
بقيامى بعمله حتى يعود من الاجازة فمكت بالعمل . وفى أول يوليو كانت الاحتفال
بامتحان مدرسة خليل أغا وافتتحت الحفلة بتلاوة القرآن ، ثم قام بعض الطلبة بتمثيل
رواية أدبية وبعدئذ أقيمت الخطبة التالية : أيها السادة . إني سعيد لاشتراكى معكم فى
هذا الاحتفال الذى يذكرنا بمؤسس هذا المعهد الفخيم وهو المرحوم خليل أغا . أتعلبون
من هو ؟ كان إذا ذكر اسم خليل أغا أيام سطوته وضع الناس أصابعهم فى آذانهم رغبة

عنه ، واليوم كلنا أذان مصغية لذكرى هذا المحسن العظيم ؛ ولم ذلك ؟ الجواب في قوله تعالى :
 « إن الحسنات يذهبن السيئات ، حكمة بالغة وعبرة تكبرى . فاذا ذكرنا اليوم خليل أغا
 ذكرنا أعمال البر والاحسان ولا سيما المعاهد العلمية التي هي الأساس الوحيد لرق
 الأمة ثم قلنا بعد ذلك إن العبد الرقيق الخصى هو خير من كثير من أغنيائنا — أسيادنا
 البخلاء — لأن خير الناس أنفعهم للناس .

« فنلنا بأمثال خليل أغا وأمثال بطل الرواية التي سمعناها وهو زهدى بك لنهوض
 المصريين وتقديمهم ؟

« اللهم أكثر من الرجال النافعين لامتنا فإن ذلك ليس عليك بعزير .
 « وإنى فى الختام أشكر جميع الذين شرفوا الاحتفال وأثنى على همه حضرة ناظر
 المدرسة وأسائذتها الكرام . »

وقد علقت إحدى الجرائد على هذه الخطبة بقولها : « يا حبذا لو أن أمثال خليل أغا
 من الذين أثروا من وجوه غير شرعية أن يكفروا عن سيئاتهم بعمل الخيرات ، »

مضبور هزئت العابر باشا إلى مصر . حضر لمصر عزت العابد باشا ونزل ضيفاً
 على الشيخ على يوسف وقد توجه مساء ١٦ يوليو لمقابلة الخديو بالقبة ومكث معه مدة
 ثم انصرف يثنى عليه .

مرض العبد البكرى . بمناسبة مقالة كتبها السيد محمد توفيق البكرى فى جريدة
 اللواء فى السنة الماضية وأطلع عليها الخديو غضب سموه عليه لأنها لم تكن تتناسب مع
 مركزه الدينى ، وبلغ السيد ذلك فأرسل إلى رسالتين كلتاها استرضاء واستعطاف
 للخديو . وقد بدأ البكرى يعانى آلام مرض عصبى شديد ، واستمر فى شدته وتفاقه
 وأصبح فى حالة صعبة .

وفى ١٦ أغسطس وصلى رسالة من الشيخ على يوسف يقول فيها إن حالة
 السيد البكرى سيئة جداً وإنه فى مرضه يخيل إليه أنه مضطهد من الخديو والحكومة والعالم
 كله حتى أقاربه وأهل بيته ، فهو فى حالة تشبه الجنون ، وإنه يريد من الشيخ على يوسف
 المساعدة فى أمرين :

الأول أن أعاون السيد فى عمل سلفة ليتمكن من السفر إلى الخارج ، وربما احتاج
 الأمر لادخاله فى مصحة « سنا توديوم » .

والثاني أن أحضر للقاهرة ، وأقابل السيد (*) وأطمئنه برضاء الخديو عنه . ولما أطلعت بطرس باشا على خطاب الشيخ على يوسف أخبرني أنه أرسل إليه جملة رسائل فيها تفصيل عن حالة السيد البكرى تؤكد جنونه . ثم أطلعتني على برقيات وتقارير من السيد نفسه يطلب فيها حمايته من المضطهدين له . وأنه ، أى بطرس باشا ، أرسل إليه برقية يؤكد له فيها أن الحكومة ستتخذ الاجراءات اللازمة لمساعدته في كل ما يطلبه وأرسل له النائب العموى ليطمئنه .

وبعد التفاهم مع بطرس باشا اتفق الرأى على أن يأمر مدير الأوقاف بمساعدته في عسمل سلفة على أوقاف البكرى الخيرية بمخمسمائة جنيه ، ليتيسر له الذهاب للخارج مستشفياً ، وأن أتوجه إليه وأطمئنه من قبل الجناب العالى .

وقد زرتة فوجدته في حالة يرثى لها من التطورات المؤلمة ، وبذلت كل جهد لطمأنته ونهبت كل موطنى دائرة أوقاف البكرى لرعايته ، وأبلغته برضاء الخديو عنه وعمله على معوته ، وخرجت من عنده بعد أن قمت بكل ما أمكننى لراحته .

وبعد ذلك تمت مسألة السلفة وسافر البكرى للاستشفاء في العصفورية في لبنان .

صها م سياسي لمحمود شكري باشا في الاستانة . أسلفت أن محمود شكري باشا سافر للاستانة بناء على الاتفاق بين جورست و بطرس باشا والخديو ، للمفاوضة في مسألة القاضى التركى واختصاصه ؛ بعد أن تشبث بأن تكون له الولاية الشرعية العامة ورفضت الحاقية ذلك . وقد استقال القاضى بعدئذ وأصبحت مهمة محمود شكري باشا أن يسوى مسألة تعيين القاضى الجديد . وقد انتهت بأن يعين الخديو خلفاً له يختاره الباب العالى ، ثم جدت مسألة جديدة هي حاجة مصر لقرض تعقده تفرجاً للآزمة التى كانت تأخذ بخناقها ؛ فكلف محمود شكري باشا بأن يتفاوض مع الباب العالى فيها على أن يتمها ثم يعود جمعية دولة الوالدة .

وقد حضر مع دولتها يوم ١٩ أكتوبر ؛ وعلى أثر وصوله عقد مجلس بحضور الخديو ومحمود شكري للباحثة في نتيجة مهمته ، وإن كانت الحكومة قد عدلت عن القرض أخيراً .

وفي هذه الأثناء وردت برقية من الصدارة تقرر أن الدولة العلية توافق على عمل

(*) وقد ذكرته قبل وفاته بدسائله ضد الملقى تنفيذاً لأغراض الخديو عما هو مذكور في مذكراتي

فقال : « لى أعرف بطلى الناتج من نوعة الشباب وعدم الخبرة . »

قرض لتنمية ثروة البلاد على أن تبين الأوجه التي سيصرف فيها القرض . فأرسلت هذه البرقية إلى دار الوكالة البريطانية لترى رأيها ، وبعد قليل ورد منها رد مكتوب باللغة الفرنسية ليُرسل للاستشارة على لسان الخديو ، فسلبه لي سموه لترجمته فكان نصه ما يأتي :

« ردأ على كتاب غلامكم أنشرف بأن أخبركم أن قرار مجلس الوكلاء في الاستانة قد أنابني في عقد قرض . ولكن حكومتى لا تنوى الآن أن تعقد قرضاً فلا يعوزها تصريح بهذا الصدد ، على أن منع مصر من الاقتراض دون إذن سابق من حكومة السلطان هو عقبة مستمرة في سبيل تنمية موارد البلاد بأحسن الوسائل الاقتصادية ، ومن شأنه أن يؤخر تقدمها المادى الذى لا نملك أنه يهيم جلالة السلطان وبهم غلامكم أيضاً . لذلك أبدى أشد الرعبسة في أن يرد لى ما كان لسلطنى من الحق الكامل في عمل القرض . »

ولكننا لاحظنا أن الرد لا يتفق مع القرار ؛ لأن تركيا لم تمنع أن تقرض مصر بل اشترطت فقط أن تغبرها بمصارف القرض . ولهذا تقرر أن يكون الرد بناء على اقتراح بطرس باشا ، بأن الحكومة تفكر الدولة على مساعدتها لعقد القرض ، ولكن الحكومة ليس في نيّتها الآن عمله ، والذي يهيمها فقط أن يرد إليها ما كان لها في مدة الخديو السابق من الحق في عقد القروض عند الحاجة بدون استئذان .

ثم دارت المخاطرة بين جورست وحسين رشدي باشا في ذلك فوافق على الرد الأخير .

صالح امتياز قناة السويس . لما شعرت شركة قناة السويس بحاجة الحكومة إلى المال انتهت هذه الفرصة وعرضت على الحكومة أن تصرح لها بمد امتياز القناة أربعين سنة جديدة مقابل أربعة ملايين من الجنيهات ؛ وكان المستشار السالى يميل للأخذ بهذه الفكرة وكذلك السير جورست و بطرس باشا ، إلا أن الرأى العام كان ضدها ، وكذلك بعض النظار كسعد باشا ورشدي باشا ومحمد سميد باشا . وكتبته الصحف بهذه المناسبة كتابات شديدة . وتماطرت البرقيات والاحتجاجات على السراى من الأعيان والأحزاب والهيئات المختلفة . ووردت لنا برقيات من محمود سليمان باشا وعلى شعراوى باشا واحمد يحيى باشا يطلبون فيها طرح المشروع على الجمعية العمومية ، وكذلك جاءنا مثل هذا الطلب من حزب الإصلاح ، وأرسلت الاحتجاجات لناظر

الخارجية الانجليزية ولرئيس النظار بطرس باشا . وقد كلفني سمو الخديو أن أسلم لبطرس باشا هذه البرقيات ، وأن أقمه أن سموه يخشى أن تكون هذه الحركة ضده شخصياً فيلزمه أن يحتس منها ، وأن سموه لا يرى مانعاً بعد هذه الحركة القوية أن يعرض المشروع على الجمعية العمومية حتى تخف مسئولية النظارة . وقد قابلت قبلها محمد سعيد باشا وفهم مهمتي ، فألح عليّ في القيام بها خير قيام ، وإقناع بطرس باشا إقناعاً تاماً ، ولما قابلته أبلغته رأي الخديو وزدت عليه : « إننا نجتهد الآن يا باشا في إزالة ما علق بالنفوس من حادثة دنشواي بدلاً من أن نضيف إليها أمراً جديداً تقع مسئوليته عليك » ، فقال لي : « حينئذ يلزم أن يتفاهم أفندينا مع جورست » ، قلت له : « وأنتم أيضاً » ، فوعد بذلك ، وظهر لي أنه اقتنع بطرح المسألة على الجمعية العمومية .

وفي ٣٠ أكتوبر تقابلت مع محمد سعيد باشا فصرحت له بأن عمل محمود سليمان باشا ومن معه قد سرني وشرح صدرى ، لأنه يساعدهم على الوصول للغاية التي تطلبونها فأجابني بما فهمت منه أن له يبدأ في تحريك المطالبين بتقديم المشروع للجمعية العمومية . وربما كان الوسيلة هو احمد يحيى باشا .

واجتمعت بعدها بأباطه باشا فأخبرني أنه تقابل مع بطرس باشا وأقنعه بفكرة عرض المشروع على الجمعية العمومية أو مجلس الشورى فإن أمكن إقناع جورست بذلك كان بها وإلا فيلوح رئيس النظار بالاستقالة .

وقد حدثت أباطه باشا برأى الخديو ورغبته في أخذ رأى الآمة . فقال لي : « يظهر أن بطرس باشا مقتنع الآن تماماً » ، ولهذا ذهب إلى جورست ليتفاهم معه .

وتوجهت للنتزه يوم ٣١ أكتوبر فعرضت على الخديو كل ما سمعت من الأحاديث ؛ وبينما كنت معه حضر محمد سعيد باشا وأخبرنا أن الرئيس تقابل مع جورست وأقنعه بضرورة استشارة الجمعية العمومية فقبل . وبالفعل حضر جورست في صباح اليوم التالي وقابل سموه في سراي رأس التين وتحادثا طويلا في الموضوع واتفقا على عرض المشروع على الجمعية على شرط أن يدافع سعد زغلول عنه ويكون رأى الجمعية قاطعاً . وقال جورست إنه إذا لم توافق الجمعية فيسكتب لحكومته لتصرف نظرها عن المشروع . وقد اطمأنت الأفكار وهدأت النفوس عندما أذيع قرار الحكومة بصفة رسمية .

أما موعد انعقاد الجمعية العمومية. فقد أجل أسبوعاً حتى يثلى جورست رأى حكومته في الموقف ..

وفي أول نوفمبر وردت برقية للجناب العالى من الصدارة بأنه : « بلغ الباب العالى حدوث مخبرات في شأن امتياز قناة السويس ، وأن ذلك يدعو لأخذ رأى الباب العالى في هذه المسألة حيث لا يمكن تعديل شيء في فرمان الامتياز إلا بإرادة شاهانية و فرمان آخر . » وقد أبلغ الخديو الأمر لجورست ثم تقابل معه بطرس باشا وانفقاً على الرد بكيفية مختصرة مضمونها : « إنه صحيح حدوث مخبرات بين الحكومة الانجليزية وشركة قناة السويس في الموضوع . »

وقد عرض المشروع على الجمعية العمومية ، ودافع عنه سعد باشا طبقاً لما تقرر ، ورفضته الجمعية بأغلبية كبيرة كما سيحيى مفصلاً .

وسيرى القارئ في السنة التالية أداء عباس لفريضة الحج التي بدأت في شهر ديسمبر سنة ١٩٠٩ وانتهت في يناير سنة ١٩١٠ .

سنة ١٩١٠

عباس يؤدى فريضة الحج . سأنه امتياز قناة السويس في الجمعية العمومية . مقتل بطرس غالى باشا . الرئيس روزفلت رئيسي الجمهورية أمريكيا بمصر . تعييني مدير الديوانه الوُفَّاقب العمومية وبعض أعماله فيه . وفاة ملك الانجليز . سفرى لمؤسسية نقضاء فصل الصيف بالنظر . اختياري لرئاسة لجنة امجاد مدرسة المعلمين الناصرية . قضية ديوانه « وطنيتى » . الخطوة الثالثة لاصلاح الازهر .

عباس يؤدى فريضة الحج . عزم الخديو على أداء فريضة الحج منذ العام الماضى مع دولة الوالدة فأبلغنا الاستانة بذلك لتقوم باتخاذ ما يلزم لراحة سموه أثناء السفر وأداء الفريضة . وتقرر أن يكون بطرس غالى باشا قائمقام خديو ، مدة غيابه . وقد كتبت صيغة الأمر الخديوى بهذا التعيين فى ٦ ديسمبر سنة ١٩٠٩ بحضور اسماعيل أباطه باشا والشيخ على يوسف . ولوحظ أنه يحتوى على نقطتين هامتين : الأولى التناء على الحكومة العثمانية وعلى السلطان بقصد إرضائهما بعدما كان من موقف الحكومة المصرية فى مسألتى القاضى والقرض ، والتنويه بذكر الخلافة الاسلامية للسلطان . والنقطة الثانية إظهار شعور الخديو نحو الأمة المصرية لتقريب النفوس وجذبها إليه . ومما جاء فى آخر الأمر : « وسنرفع أكف الضراعة إلى مقام العزة الالهية فى تلك البقاع الطاهرة بأن يوفقنا إلى خدمة الأمة العزيزة المصرية التى لا نفارقها إلا وقلبنا معها ، وفكرنا مشغول بما يؤدى إلى خيرها ومجدها فى الحال والمستقبل . كما أننا على يقين من أن دعواتها الصالحة تكون ملازمة لنا فى الحل والترحال . »

ثم توجهت لبطرس باشا لأعرض عليه المشروع ولكنى لم أجده فتركته مع

قطة باشا سكرتير مجلس النظار ، ولقت نظره إلى النقطتين السالفتين بنوع خاص ، ثم ذهبت إلى سراى عابدين لوداع الموظفين بأقلام المعية إذ كنا على أهبة السفر .

الوصول إلى مكة : رفى مخي يوم ٧ ديسمبر سنة ١٩٠٩ تحرك بنا القطار من القبة ، وكان معي اللواء حسين غرم باشا السرياور ، ومحمد عويش باشا ، وأحمد خيرى باشا ، وأحمد صادق بك وكيل الخاصة ، ومحمود محمد بك من القلم العربى ، والشيخ محمد شاكر وكييل الأزهر ، والسيد محمد البيلاوى من العلماء ووكيل الكتبخانة الخديوية ، والشيخ محمد عاشور مفتى الأوقاف الخصوصية ، وبعض ضباط الحرس لئدما يلزم لاستقبال الخديو فى مكة .

وقد وصلنا إلى السويس الساعة الرابعة مساء فنزلنا بالباخرة « برنس هيبس » وقضينا بها الليلة . وفى مساء ٨ منه غادرنا السويس وأحرنا صباح ١٠ منه عند وصولنا أمام نهر رابغ وبدأنا بالتلبية . وفى عصر هذا اليوم وصلنا إلى جدة ونزلنا فى منزل السيد عمر ناصف وكيل الشريف فى جدة ، فاستقبلنا بحلة أحسن استقبال وبتنا بها . وفى صباح اليوم التالى لحقنا بركب المحمل ، فوصلنا إلى بحرة فى الساعة العاشرة مساء ، وفى الطريق شاهدنا قلاعاً تحتلها العساكر الشاهانية ، وكانت عند اقترابنا تحييتنا بالسلام ، وفى بحرة قدم لاستقبالنا فيصل بك وعبد الله بك (*) لجمال الشريف والشريف جمال بك ابن أخى الشريف موفداً منه ومعه ياور الشريف أحمد بك ، ولما وصلنا إلى المدخل الضيق الموصل إلى مكة والمعد لتعداد الجمال والحجاج ، دعينا لركوب عربتين . فركبنا ودخلنا المدينة ومررنا بين شوارع قفرة وبيوت عتيقة حتى وصلنا إلى الحرم الشريف . وبعد أن أدبنا مراسم الحج قصدنا دار الامارة . فأبلغت الأمير الشريف حسين السلام الخديوى ونحن وقوف . فنشكر ثم جلسنا وشكرته على العناية التى لقيناها فى جدة ، وفى طول الطريق .

وقد علمت أن الشريف أعد داره لنزول الخديو ، وأما الوالدة فقد خصص لها منزل بانجا باشا أمام الحرم ، وكذلك أعدت المساكن لرجال الحاشية وبعضها مطل على الحرم .

وفى ١٤ منه زرنا بعض المقامات والمقابر ، وطفنا ببعض الشوارع الضيقة ، وعلى العموم لم ترق البلدة فى نظرى من حيث نظافتها وأحوالها الاجتماعية .

(*) ما نجا بند المرحوم الملك فيصل ، وسمو الأمير عبد الله أمير شرق الاردن

استقبال الخديوي : وفي ٢٥ منه ووصل إلينا نبأ وصول الخديوي إلى جدة وقيامه منها إلى بحرة ، فذهبت للشریف وأبلغته ذلك ، وبعد المحادثة قررنا إرسال مذكرة لسموه بكيفية الاستقبال التي اتفقنا عليها ونهضنا :

« ينتظر الشریف في قهوة البستان مع وكيل الوالي والعساكر الشاهانية وقومندانها وبعض الأشراف ، وتقيم البلدية سرادقاً للاستقبال ، ويقدم أعيان البلدية والأعيان بواسطة الشریف . »

ولما وصل الخديوي إلى بحرة كان يرافقه سمو البرنس كمال الدين حسين ، والشيخ بكرى الصدى المفتي ، والدكتور على لبيب بك الجراح وبعض الياوران والحاشية ، وكان سموه ممتطياً صهوة جواده وسائراً في الطلبة خلف ثلة من الحرس السوارى ، ويحيط هذا الركب فرقة من الجنود العثمانية ومعهم أنجال الشریف ومندوب حكومة الحجاز ، وهم غفير من الأشراف .

ولما نزلت الوالدة وكرمتها ركن عربة « لاندو » تجرها أربعة بغال ، أما البرنيس فاطمة فاضل خانم انصدى والقلقوات فركبن عربة الشریف والهادج ، وأعدت شقائف لباقي رجال المعية ، وكان حول الموكب سوارى الحرس الخديوي وعساكر الشریف ومن خلفه حرس الدولة .

ثم تناول البرنس كمال الدين حسين ومعه جميع الحاشية وأنجال الشریف طعام الغداء على الطراز الأفرنجى ، أما في العشاء فقد رأس المأدبة الخديوي وأبدى شكره لأولاد الشریف على تلك الحفاوة . ثم بارح سموه بحرة ممتطياً جواده ومعه الحاشية قاصداً مكة . وبالقرب من قهوة البستان استقبله أحمد خيرى باشا ، وعطوفة أمين بك القائم بأعمال ولاية الحجاز ، وقومندان العساكر الشاهانية . وكان الشریف حسين أمير مكة منتظراً سموه في القهوة المذكورة ، وسار برفقة سموه مع بعض الأشراف إلى السرايدات التي أعدتها الحكومة خارج مكة احتفالاً بسموه . وكان العلماء والوجهاء والأعيان والتجار في انتظاره ، وعند نزوله عن جواده في السرادق المخصص له تقدم له كبار القوم ومن بينهم أعضاء بلدية مكة ، فأبدى الخديوي شكره للجميع .

وبعد تناول القهوة سار إلى مكة عفوفاً من الجانبين بالجنود العثمانية ، حتى وصل إلى قشلاق الحيدية ، وعرفت الموسيقى بالسلام الخديوي . ولم أحضر الاستقبال لمرضى . ودخل سموه مكة من باب جرول حيث كان حرس المحمل واقفاً لأداء السلام .

وسار في طريق الشبيكة ومر أمام التكية المصرية التي كانت مزينة بالأعلام والمصابيح ، وكذلك دار الامارة ودار البلدية وغيرها ، وكان الطريق مزيناً ، ووصل إلى باب الحرم الشريف فجر يوم الخميس ١٦ ديسمبر وصلى الصبح مع الامام المالكني ، ثم طاف طواف القدوم وخرج للسمي بين الصفا والمروة ، وكانت الشريف قد عرض عليه أن يقوم بالسعي راكباً ، ولكنه أبى وأراد أن يكون كباقي الحجاج ، وبعد ذلك نزل في دار الامارة وهناك قال له الشريف : « أنت تقيم في ملكك ؟ لأن هذه من آثار جدك محمد علي باشا » ، ف شكره ثم انصرف .

وعند طلوع الشمس أطلقت المدافع ترحيباً بمقدم الجناب العالي ثم تبادل الزيارة مع الشريف ، وجاء بعده القائم بأعمال الولاية أمين بك . وبعد الغروب طاف بيت الله المعظم .

ولما وصلت والدة ومن معها بموكبها إلى مكة في الغروب أطلقت المدافع ، وعزفت الموسيقىات واستقبلتها الجموع أحسن استقبال . ونزلت في دار بناجا باشا . وبعد هزيع من الليل طافت دولتها طواف القدوم ثم سعت في عربتها مع البرنيسيات .
تشریفات وزيارات : وفي يوم الجمعة ١٧ منه وفد المصريون إلى دار الامارة لكتابة أسمائهم بسجل التشریفات ، ورد الخديو الزيارة إلى القائم بأعمال الولاية . وكانت فرقة من الجنود الشاهانية مصطفة على جانبي الطريق إلى بابها ، ولما وصل الركب عرفت الموسيقى بالسلام الخديوي . فأسرع القائممقام الذي كان ينتظر على بابها مرحباً بمقدم سموه . وهناك قدم له العلماء والمأمورون الملوكيون والعسكريون ، وأعضاء المجلس البلدي ، والأعيان والتجار ، ثم زار سموه التكية المصرية وتفقد محالها ومخازنها ومطبخها . وأكل من خبزها ثم عاد إلى دار الامارة وزار الشريف .

ولما آن وقت الظهر قصد الحرم الشريف لصلاة الجمعة ، وأنعم سموه على الخطيب بمخلة سنية . وفي أثناء الصلاة هطلت الأمطار فاستبشرت الأهالي لأهم كانوا محرومين منها مدة طويلة .

وفي ١٨ منه زار الأماكن المباركة مع حاشيته وزار المحمل المصري في جرجول ، فاستقبل استقبالاً فخماً وقدم لسموه أمير الحج جميع ضباط المحمل وموظفيه . ثم زار بعد ذلك مولد النبي صلى الله عليه وسلم ثم مولد سيدنا علي كرم الله وجهه ثم عاد للسرائي . وبعد الظهر استقبل كثيراً من الزائرين . وبعد الغروب قصد بيت الله الحرام ؛

ووضع المدرج فصعد ووصل هو والحاشية في محل فوق الكعبة . وقد أوقدت الشموع فيه . وبعد الدعاء المأثور نزلنا وعدنا .

وفي مساء ١٩ منه أوم سموه وليمة للشريف وأئجاله وأمين بك وعلية القوم وكبار المأمورين والقاضي والمفتي وشيخ الحرم ومديره وقومندان العساكر الشاهانية ورجال المعية . وبعد العشاء والاستراحة في البهو الكبير خطب أمين بك خطبة بليغة رحب فيها بقدم سموه .

وفي ٢٠ ديسمبر تبادل الزيارة مع دولة الشريف وزاره كثير من الزائرين . وفي المساء طاف بالكعبة .

وفي يوم التروية خرج سموه من مكة إلى عرفة راكباً جواداً بملايس الاحرام مع حاشيته وكلهم محرمون . وكان يرافق سموه عبدالله بك نجل الشريف ومعه كثيرون من عليا الاشراف . وتقدمت هذا الركب فصيلة من عساكر الحرس الحديوي السواري تتبعها فرقة من جنود البيشة (من عرب الحجاز) على هجنهم وهم يضربون نوتهم ويوقعون أناشيدهم البدوية وباقي الركب يلي قائلًا : ه ليك اللهم ليك ، لا شريك لك ليك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وكان هذا الحشود الروحي الرنان ، بنغماته المؤثرة ، وما يتجلى فيها من آيات الخشوع ، ينفذ الى أعماق القلوب . ويحدث في النفس أعمق الآثار . وكان يحيط بالركب جميعه فرقة أخرى من الحرس الحديوي . وقد استراح سموه بإسرايق الشريف الخصوصي بمنى وبعد ذلك توجه إلى مسجد الخيف . وصلى الظهر ثم توجه لزيارة والدته بمنزل الشريف هناك ، ورجع إلى السرايق بعد صلاة العصر . وبعد صلاة صبح يوم ٢٢ ديسمبر ركب في موكب إلى عرفة فوصلناها الساعة الحادية عشرة صباحاً ونزل سموه في السرايق الذي أعده الشريف له . وأما الحاشية فنزلت في سرايق أخرى . وبعد صلاة العصر بنحو ساعة ركب الحديوي جواده ، وسار الى يساره الشريف ومن خلفهما البرنس كمال الدين ووكيل الولاية وحجم غفير من كبار الاشراف ورجال الدولة وحاشية سموه ، حتى وقفنا حذاء جبل الرحمة على مرتفع ، وقد اجتمعت هناك ألوف الحجاج ، والكل في خشوع يلبون ويسألون الله ما يريدون . وهنا يعجز القلم عن تصوير هذا المنظر الرائع الذي تمتزج فيه آلاف الأنفس والأرواح في صعيد واحد . وتوجه كلها إلى وجهة واحدة ، هي مقام العلي الأعلى . وما زلنا وقوفاً هناك حتى أفاض الناس فأفصنا معهم .

وكانت إفاضة الجناز العالي من عرفات من الفخامة بما لم يشهد له مثيل. وماكاد يتحرك الممهلان حتى سار سموه وإلى جانبه الشريف ثم من في معيتهما من الأمراء والعظماء في ركب نظم رهيب ، حتى وصلنا إلى المدفلة ونحن في غاية ما يكون من الراحة وسارت صاحبة الدولة والدة والبرنسيات في موكب نظم آخر .

استعراض حرس المحمل : ولما وصلنا جميعاً إلى المدفلة نزلنا في الأماكن التي أعدت لنا وقضينا فيها ليلة النحر ، وبارحنا فجر يوم الخميس ١٠ ذى الحجة الموافق ٢٣ ديسمبر إلى منى ورمينا جمرة العقبة وتحللنا من الاحرام ، ثم صلينا صلاة العبد ونحمرت الضحايا الكبيرة بمحضور الخديو ، ونزلنا مكة وطفنا طواف الإفاضة ، ثم تغدى سموه في دار الإمارة وعدنا إلى منى بعد صلاة العصر .

وفي يوم الجمعة ١١ ذى الحجة الموافق ٢٤ ديسمبر احتفل بقراءة فرمان الشريف وذلك في السرايق المعد للجناز الخديوي ، جلس سموه في الوسط وعن يساره الشريف ثم أمين بك ثم أنجال الشريف وعليه الأشراف ، وعلى يمين سموه البرنس كمال الدين حسين فأنا ثم عزت باشا وخيري باشا ثم موظفو المشيخة . وبعد ذلك حضر الوفد الحامل للفرمان والخلة السنية فقام مكتبتي الولاية وقرأ فرمان بالتركية ثم قام كاتب يد الشريف وتلا ترجمته بالعريية . وعقب ذلك فك خلاف الخلة وألبسها أحد المهمندارين للشريف ثم أمر الجناز العالي بتوزيع الشربات على الجميع ، وبعد شرب القهوة انصرف الشريف مودعاً من الخديو بكل تجملة واحترام .

وبعد ذلك استعراض حرس المحملين الشامى والمصرى ، وقد لمع سموه حساكراً على بن دينار سلطان دارفور مع رئيسهم وقد أتوا بمحملهم وراء الصفوف ، فاستدعى سموه رئيسهم . وبعد أن لاطفه وحياء أمره بأن يسير بجندته في هذا الاستعراض فلبى الدعوة . وبعد نهاية الاستعراض استقبل الخديو المسيرين بالعيد في سراحته ، ثم رد الزيارة للشريف . وبعد تبادل التهانى ركبنا السننريف معنا إلى رمى الجمرات وعدنا إلى مقرنا . وفي المساء أعدت وليمة عشاء للشريف وعظماء قومه .

وفي أثناء العلام كانت الموسيقى تعرف وسهام الألعاب النارية تشق كبد الفضاء وقضينا يوم ٢٥ ديسمبر بمنى .

وفي ٢٦ منه بعد صلاة العصر نزلنا إلى مكة وبقينا بها . وفي ٢٧ منه وزعت الصدقات والهدايا من الخديو والوالدة وقامت الحاشية عند الظهر إلى بكرة ، وبعد صلاة

العشاء طاف الخديو وبعض رجال المعية طواف الوداع .

وعما أذكره أن الحجاج المدنيين عند دخولهم مكة كانوا ينشدون بنغمة طلبة
النشيد الآتي :

يا سلام اكتب سلام	بين زمزم والمقام
فاطمه ست النساء	وعلى سيد الاحكام
ومحمد بن عبد الله	يا قارى كتاب الله
اقرأ الحمد باسم الله	أيا داخل الجنة
خبرني بما فيها	فيها الروح والريحان
دار الله لا حسد فيها	ومحمد وعلى فيها
فيها القبة الخضراء	فيها طير من جواهر
يغرغد بين حوالبها	سيدي الحاج يا شريعت
أما بشاره والا عليت	والا عروسه ما جينا
فك الكيس واعطينا	سيدي الحاج يا حكمة
ربي يوصلك مكة	من مكة للدينه
من المدينة لبلادك	من بلادك لأولادك
زمزمى والعلابرى	شيعنى عبد القادر
والنبي من عادته	فرشوا سجادته
يا صلاة الله عليه	كلكم صلوا عليه

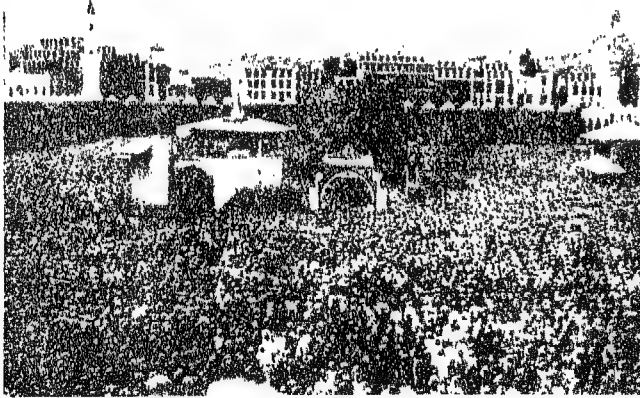
ثم يصيحون : يا حى .

وعند طواف البدر حول الكعبة كانوا يرددون صرختين : ه اغفر اغفر إن
لم تغفر من يغفر ؟ وكذلك أذكر أنه عند تجوالى فى حوارى مكة وجدت أسواقاً لمبيع
الجوارى والعبيد بدون مراقبة ، وأيضاً تعرفت بأستاذ يابانى مسلم فى جامعة طوكيو
وعليت منه أنه أسلم منذ سنوات بعد أن قرأ القرآن مترجماً إلى الانجليزية فأنجذب إليه
وكان يتكلم العربية بصعوبة .

وبعد أن خرجنا من باب مكة وجدنا الشريف وأنجاله وعظماء القوم فى الانتظار
لوداعتنا ، وهجنبا الشريف ناصر ، الذى كان تعين مهندداً للخديو من قبل الشرافة
المظلى مدة وجود سموه بالحجاز ، وقد أعدت الخير الحصاوى لركوب الخديو . ومن

منه من الحاشية. وكان منظر الصحراء في غاية البهجة لاكتمال القمر، والسرور شامل. وكانت حوافر الخبير تقوص في الرمال وتسكب ويقع بعض راكبيها فيضحك الباقون عليه، ومع مزيد حرصي فقد وقعت. ولم تمض برهة حتى وقع الخديو أيضاً ولكن من يقع لم يكن يصاب بسوء. واستمرت هذه التسلية حتى وصلنا بحيرة في منتصف ليلة ٢٧ ديسمبر واسترحنا قليلاً. ثم ركبنا إلى جدة فوصلناها يوم ٢٨ منه. وقد استقبلنا فيها قائمقامها وقومندان عساكرها مع كثير من الأعيان وسرنا جميعاً حتى غل الكورتينة وركبنا زورقاً بخاريّاً إلى المحروسة، وكانت الوالدة قد سبقتنا إليها مع حاشيتها. أما باقي رجال الحرس والمعية فقد نزلوا بالباخرة الرحانية التي كانت في انتظارهم.

ثم استقبل الخديو في اليخت أنجال الشريف وقائمقام جدة وقومندان عساكرها ثم فاصل الدول وكانوا قد حضروا بصفة رسمية لتوديع سموه فشكروهم على رقتهم وأرسل برقيات الامتنان والشكر إلى جلالة السلطان ومقام الصدارة العظمى ودولة الشريف وحكومة الحجاز.



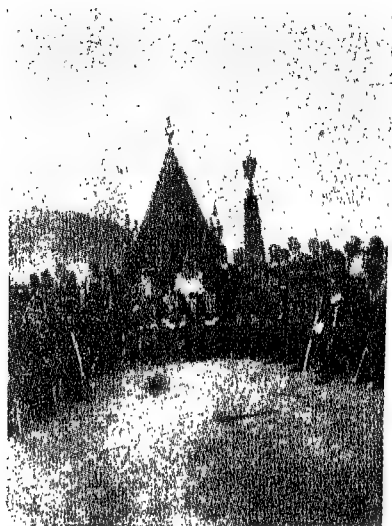
الكعبة



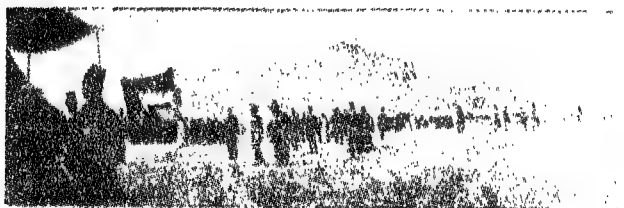
ميناء جدة

١٩١٠

- ١٩٧ -



المحل الشريف



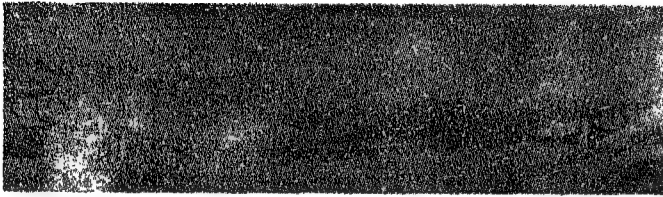
بحرة



مبنى



منظر صومى لى والحجاج عظيمون فيه



الحجاج على جبل الرحمة بمرقات

وقامت المحروسة من جدة إلى الوجه فوصلناها ظهر يوم ٢٩ منه .

وفى ٣١ منه نزلنا إلى البر سالمين فاستقبلنا قائم مقام الوجه وسليمان باشا أبو رفادة شيخ قبائل بلى والمتعهد بمحملة الركاب العسالى ، فركب الخديو مع بعض رجال المعينة الطهين فى ركب حافل من عربات هذه الجهة ، أما باقى الحاشية فكانوا فى شقائف فوصلنا فى اليوم الأول من يناير سنة ١٩١٠ مكاناً به ينبع ماء فاسترحنا وأمضينا اليوم هناك فى الخيام المعدة لنا . وفى اليوم الثانى ركبنا حتى وصلنا إلى منبع ماء آخر فاسترحنا فيه أيضاً وأمضينا الليلة . وفى اليوم الثالث وصلنا إلى مسيل النجد . وقد وجدنا هناك أورطة من الجيش العثمانى ، كانت أتت لحراسة الخديو من قبل الدولة وسارت معنا حتى وصلنا خشم يلع . وفى يوم ٤ منه ركبنا بعد صلاة الصبح إلى شرفة النجد فى أرض صخرية وعرة المسالك ، يصعب السير فيها على الخيل والبغال والحمير والجمال ، حتى إن أحد سوارى الترك كان يسرع فيها بجواده فانقلب به وأرطم رأسه بحجر فانكسر وغاب شعوره . وقد مررنا على رأس الحجر وهى قمة عالية سوداء تشرف على واد ضيق فرشت أرضه بحجارة صوانية حمراء وصفراء ، ومازلنا سائرين فى أراض جبلية وعرة حتى وصلنا النجوة .

وفي ٦ يناير وصلنا إلى محطة البدائع الساعة العاشرة صباحاً فاستقبل سموه عدة من الرجال الرسميين والأشراف والمفاتيح فشكروهم وتوجه معهم إلى صيوانه الخاص واصطفت في الطريق فرقة من الجنود البيادة العثمانيين ، وقد أمر الخديوي بتوزيع الكساوى على من كان في خدمة الركاب الخديوي من الضوية والسقاين والعكامة والفراشين والحيمية ، وقد أمر الخديوي بسفر الحرس السوارى الخديوي وبعض بلوكات البيادة إلى محطة العلا لانتظار عودة سموه بها ، كما أمر بتجهيز قطار خاص يقوم مساء ذلك اليوم إلى المدينة المنورة بجانب من الحرس والخدمة وبعض رجال المعية ومعهم الخيام والصاوين اللازمة .

أما قطار الجناب العالى ودولة الوالدة فقد تحرك من البدائع صباح ٧ يناير ، وعندما وصل إلى محطة هدية بلغه أن السبول قطعت الطريق فرجع القطار الأول إلى محطة هدية المذكورة وانتظر بها .

وكان يوم ٨ يناير هو يوم عيد الجلوس ، ولكن الجناب العالى لم يرغب في عمل احتفال في هذا اليوم ؛ وتقدم ليب بك البتانونى ، بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عنا جميعاً بالتهنئة لسموه .

وفي ٩ يناير وصل الخبر باصلاح الطريق ، فأمر سموه بقيام القطار الأول وكذلك القطار الخديوي حتى محطة الحفيرة حيث بات القطار الأول بها ، وأما القطار الخاص فبات بمحطة البوير التي قبل المحطة السالفة .

وفي ١٠ منه قمنا فوصلنا المدينة في الساعة السادسة مساءً تماماً ، فاستقبل سموه على رضا باشا محافظ المدينة وأبلغه سلام الدولة العلية ونهاى الحكومة المحلية ، والشريف شحات وكيل شريف مكة وقومندان عموم القوة العسكرية الموجودة بها وكثيرون غيرهم ، وأطلقت المدافع إيداعاً بالوصول . ثم نزل سموه فقدم له المحافظ والمستقبلين الذين حضروا واحداً واحداً فشكروهم ، وسار ومن خلفه المحافظ والبرنس كمال الدين ورجال المعية يتلوم شيخ الحرم وأعيان المدينة المنورة ، بين صفوف العساكر التي كانت تؤدي التعظيم وموسيقاها تعرف السلام الخديوي . فدخلنا من باب العنبرية حتى وصلنا إلى الصيوان الخاص بالخديوي ، وهناك استقبلهم سموه بكرمه وإيناسه وشكروهم شكراً جويلاً . وبعد الاستراحة زار مع البرنس والحاشية الحرم الشريف وأدى صلاة المغرب وقام بواجب الخدمة بالمقصورة الشريفة وكان الخشوع متملكاً القلوب .

وزار الوالدة في منزل شيخ الحرم الذي خصص لاقامتها ثم عاد إلى سراحه .
وكانت عباس مدة وجوده بالمدينة يكثر من صلاته في الحرم ويؤدي الخدمة
بإيقاد القناديل في الحجرة الشريفة مساء وإطفائها صباحاً مرتدياً فروجية بيضاء ويشد
عليها حزاماً ويلف رأسه بهامة على نظام خدمة الحجرة ثم يدخل من باب البتول .

وفي ١١ يناير بعد صلاة الفجر في الحرم قصدنا البقيع وهو مقبرة المدينة وورنا
بها قبة سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا الامام مالك وسيدنا ابراهيم ثم زوجات الرسول
صلى الله عليه وسلم وسيدنا العباس وغيرهم . وبعد الظهر زرنا التكية المصرية وقصد
سموه دار الحكومة الثانية لرد الزيارة لمحافظةها .

وفي ١٢ منه وبعد صلاة الفجر وأداء الخدمة ، قصد سموه مسجد قباء ثم عاد
قبل الظهر إلى المسجد الشريف فصلى الظهر ورجع إلى صيوانه وأمضى اليوم في
استقبال الأعيان .

وفي ١٣ منه أدى الخدمة وقصد زيارة سيدنا حمزة . وفي اليوم التالي — بعد أداء
الخدمة وصلاة الصبح — رجع إلى المعسكر المصرى لاستقبال الزائرين ثم قصد الحرم
وصلى الجمعة .

وبعد أداء الصلاة خطب السيد محمد البلاوى الخطبة الآتية قبالة المقصورة الشريفة
أمام الخديو والحاشية : الحمد لله الذى ألب بين قلوب عباده المؤمنين ، ورفع درجات
من أحسن فى عمله ، وأخلص لله فى سره وجهره وأشهد أن لا إله إلا الله ، شهادة عبد
معتزف بربريته . مقر بوحدايته ، راجع رحمته ، خائف من عذابه ، وأشهد أن سيدنا
محمد رسول الله . هادى الخلق الى الحق ، ومرشدهم الى طريق السعادة ، اللهم صل وسلم
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، الذين ألب بين قلوبهم بالاسلام ، فتعاونوا على
البر والتقوى ، أولئك الذين هدام الله ، وأولئك هم أولو الألباب ؛ قال الله تعالى .
« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . واذكروا نعمة الله عليكم . إذ كنتم أعداء فألف
بين قلوبكم . فأصبحتم بنعمته إخواناً . »

« عباد الله . إن سعادة الأمم . وأزقتها . وتقدمها . وبلوغها غاية الشرف ، ونهاية
المجد ، إنما يكون بائتلاف أفرادها ، وتضامنهم فى جلب المنافع ، ودفع المضار ، وتطهير
قلوبهم من دنس الحسد ، ودرن الأحقاد ، حتى يكونوا — وإن تباينت مساكنهم . وتباعدت
أماكنهم — كجسم واحد إن ألم منه عضو ألم لأجله سائر الأعضاء ، إذ ذاك يكون المسلمون

آباء رحماء ، وأبناء بررة ، يشملهم الله برحمته ، ويعممهم باحسانه ؛ لهذا آخى بعد الهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ، لجعل لكل مهاجر أخاً من الأنصار ، فتواصلوا وتحابوا واتحدوا في إهراز دين الله ؛ وإعلاء كلمته ، فأورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها ، وما ادخر لهم في دار السعادة خير وأبقى . وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المحبة ، وهذا الإخلاص ، من علامات الإيمان . فقال : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

هـ فهل منا من أخلص وده لأخيه اهل منا من أحب لأخيه ما يحب لنفسه اهل منا من مد لأخيه يد المعونة ، إن رآه سالكا طريق خير وهدى اهل منا من أشفق على أخيه ونصحه وقومه إن رآه سالكا طريق ضلال لم يكن شيء من ذلك ، بل اتخذنا الحقد قريناً ، والحمد سميماً ، ولم نكن على عمل خيري ، ولم نساعد في شيء من أعمال البر ، واتبعنا الشيطان ، وكان الشيطان لربه كفوراً . والأجيب من ذلك كله ، أنه إذا وفق الله رجلاً منا للقيام بعمل يعود علينا خيره ، ويشملنا نفعه ، نقف في وجهه ، ونسفه رأيه ، حسداً من عند أنفسنا . والواجب بقضي علينا أن نمرض عمل العامل منا على العقل والشرح ، فما وافقهما قبلناه من صاحبه وشكرناه عليه ، وما خالفهما ردناه إلى صاحبه ، ونهناه إلى مواطن الخطأ فيه ؛ لكن بالأدب والحكمة ، لا بالقسوة والغلظة ، كي تقدم نفسه على الابتكار ، ولا نتعجم عن عمل تظنه خيراً عاماً .

هـ فيا عباد الله ، اتقوا الله وكونوا إخواناً متناصرين ، وأعرافاً متساندين . وإياكم والدخول فيما لا يبنى ، والاشتغال بما لا يفيد ؛ لعل الله يصلح حالنا ، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن للؤمن كالبليان يشد بعضه بعضاً .

وقد كان لهذه الخطبة تأثير عميق في النفوس ، حتى إن شيخ الحرم أثنى على الخطيب وهناه .

وبعد ذلك بارحنا الحرم ، وتوجه عباس لزيارة والدته .

وفي ١٥ منه أدى سموه الخدمة ، وصلى الصبح ، وزار زيارة الوداع ، وقصدنا المحطة حيث اكتظفت بالمودعين ، فذكرهم وصالحهم ، وتحرك القطار إلى تبرك ؛ وكان قطار المعية قد سبق قبل القطار الخاص .

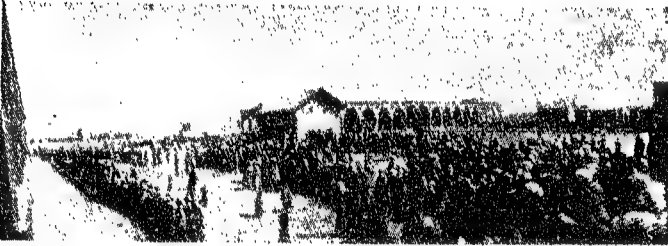
وبما أذكره أن عباساً في مدة إقامته في المدينة كان يعامل بعض رجال المعية معاملة

سيئة بالشم واللعز ، وبالأخص حين يحرم باشا ، لفترات بسيطة ؛ وكنا نتسائل عن هذه الحدة ، فقال أحدنا إنه لاشتغال فكمكره بما عساه يحدث في مصر .

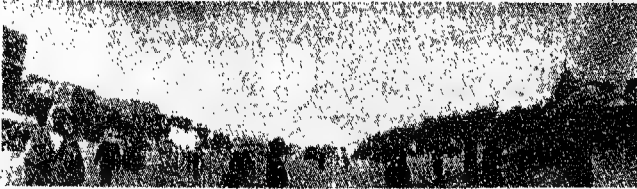
وفي صباح ١٦ منه وصلنا تبوك ، ودخل القطار الخاص إلى السكورتينة ونزلت به الوالدة . أما الخديو والمعبية فأتتا نزلنا في صواوين خصوصية ؛ ومكثنا في تبوك خمسة أيام عانينا فيها كثيراً من شدة البرد .

وقد حضر إلى تبوك منيسر باشا الألماني ، باشمهندس الخط الحديدى الهجرى ووفاء بك قائمقام معان ، فلم يتمكننا من مقابلة الخديو ، حملاً بتعليمات السكورتينات فبقيا في الضيافة حتى يوم ٢١ منه حيث قابلهم .

وبعدئذ قمنا من تبوك فوصلنا معان في منتصف الليل ، وهناك صدر الأمر للحرس بالقيام إلى العقبة فالسويس برأ . وفي معان تناول سموه الغداء في دار منيسر باشا .



استقبال الخديو بمحطة المدينة المنورة



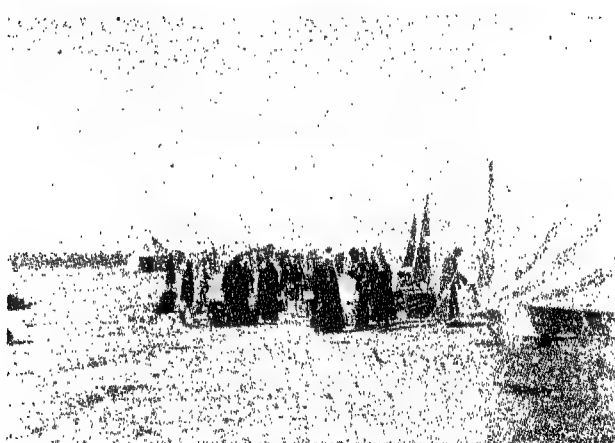
المدينة المنورة

١٩١٠

— ٢٠٣ —



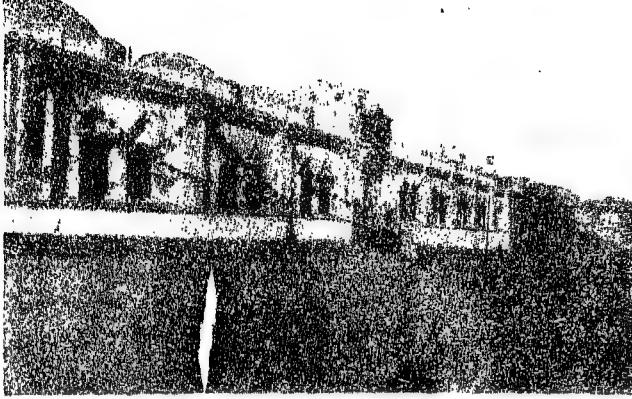
الركب المدني وهو داخل المدينة في عودته من الحج



تبوك



محطة مبان



النكية المصرية بالمدينة المنورة

وفي الساعة الثالثة من مساء يوم ٢٢ منه تحرك القطار الخاص إلى حيفا ، فوصلناها بعد ظهر يوم الأحد ٢٣ منه ، فاستقبلته بها الوفود ، وفي مقدمتهم مأمور الدولة وقناصل الدول والعلماء والمتصرف ووكيله وقومندان عموم القوة العسكرية ، وأطلقت المدافع تحية بمقدمه ، وعزفت الموسيقى بالسلام الخديوي ؛ فنزل سموه إلى هو المحطة الذي أعد لاستقباله ، وتناول القهوة ، ثم ركب القطار إلى الاسكفة ، ومنها بزورق بخاري إلى المحروسة

وقد أمر سموه بترجيل فقراء الحجاج المصريين إلى بور سعيد على نفقته بإحدى بواخر الشركة الخديوية . وفي الساعة العاشرة من مساء ذلك اليوم تحركت المحروسة ، فوصلنا الاسكندرية بعد ظهر يوم الاثنين ٢٥ يناير ، وكان الاستقبال نفما عظيما . وبذلك انتهينا من تأدية فريضة الحج .

وكان قد رافق عباس في حجه الكاتب القدير محمد لبيب البتوني بك لتدوين الرحلة الحجازية . وبعد رجوعه أخرجه بالتفصيل وزاد عليها تعليقات تاريخية قيمة عن هذه الأصقاع ، وجعلها في سفر جليل باسم « الرحلة الحجازية » .

مسألة امتياز قناة السويس في الجمعية العمومية . سبق أن قدمنا أن مسألة مد امتياز قناة السويس تقرر عرضها على الجمعية العمومية لأخذ الرأي فيها على شرط

أن يتولى سعد زغلول باشا الدفاع عن وجهة نظر الحكومة فيها ، وقد انقضت دورة الجمعية والمسألة لا تزال تحت البحث .

وفي ٧ فبراير افتتح سمو الخديو دور الانعقاد السنوى كالمعتاد . وكنت بمعية سموه مع رئيس النظار ومحمود شكرى باشا وحسين محرم باشا . وقد ألقى سموه على الأعضاء الكلمة الآتية :

« أيها السادة . نهدي إليكم تحياتنا ونبدى لكم سرورنا من اجتماعكم في هذا اليوم .
« دعوناكم لأخذ رأيكم في الاتفاق الذى يراد عقده مع شركة قناة السويس ،
فان هذه الشركة قد عرضت على حكومتنا منذ سنة امتداد أجل امتيازها . وبعد المخاطرة الطويلة أمكن الوصول إلى المشروع المطروح أمامكم . وقد علمت أن حكومتنا بجمعة على قبوله إذا رضيت الشركة بالتعديلات التى اقترحتها الحكومة عليها . فالغرض إذا من اجتماعكم إنما هو البحث فيما إذا كان من مصلحتنا مد أجل الامتياز إلى أربعين سنة مع اقتسام الأرباح في هذه المدة بين الحكومة والشركة منصفة ؛ وفي مقابل إعطاء الشركة نصف الأرباح عن المدة الجديدة تدفع للخزينة مبالغ موزعة على الستين سنة الباقية من مدة الامتياز الحالى وقد قدر هذه . القيمة بعد البحث الدقيق أشخاص من ذوى الخبرة في الشؤون المالية . وهم يرون أنه إذا حصلت الموافقة على التعديلات المذكورة تكون الفائدة التى تالها مصر موجبة تمام الرضاء وأن ذلك غاية ما يصح طلبه من الشركة .

« ولا يخفى أن هذه المسألة ليست من المسائل التى يقضى القانون النظامى بأخذ رأى الجمعية فيها . ولكن نظراً لأهميتها الاستثنائية بالنسبة إلى الجيل الحاضر والأجيال الآتية . قرر مجلس النظار ألا يبت فيها برأى قبل أن يعلم إن كانت الجمعية العمومية توافق على امتداد الامتياز .

« ونظار حكومتنا مستعدون لاعطائكم البيانات التى ترونها لازمة في هذه المسألة ، ونحن واثقون أن كل واحد منكم يشعر بالمسئولية التى يتحملها أمام بلاده عند نظره هذا المشروع المهم والله أسأل أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير البلاد . »

وبعد انتهاء الخطبة هتف الرئيس والأعضاء لسموه وعدنا للسراى ؛ ثم حضر الأعضاء لشكر سموه على افتتاح الجمعية فقال لهم جنابه :

« اننى أرغب أن أجمع الجمعية العمومية كلها عن لى عمل من الأعمال الهامة . والمسألة المطروحة الآن أمام الجمعية هى من المسائل الدولية التى لم يسبق للجمعية النظر فى مثلها بمقتضى القانون النظامى ، ولكننى آمل من الأعضاء ألا يكون هناك تأثير عليهم من الاشاعات والأقاويل ، وأن يجعلوا نصب أعينهم مصلحة البلاد وحدها ، لأن الآراء التى سيبدونها فى هذه المسألة ستعرض على الراى العام الأوروبى الذى يحكم حينئذ حكمه على الجمعية التى هى هيئة البلاد النابتة ، وعنوان كفاءتها وفهمها للأشور . »

وفى هذا الوقت كانت المظاهرات تطوف شوارع العاصمة هائفة ضد مشروع قناة السويس ضد الاستبداد ، وضد جريدة الأهرام لأنها تروج للمشروع ؛ وكانت صحف الحزب الوطنى والجريدة تكتب بلهجة حادة ضد مروجى المشروع ، وتتهم بطرس باشا خاصة والنظار عامة بالخيانة والاجرام فى حق الوطن . حتى لقد امتد اتهامها إلى الخديو نفسه بعد إلقاء خطبته السابقة . وكان الجو مكهرباً من جراء هذه الحملات وتواترت هذه المظاهرات الحماسية عدة أيام ، وانتهت بمقتل بطرس باشا كاسيانى .

تقرير الجمعية العمومية : وقد تألفت لجنة خاصة فى الجمعية العمومية لفحصه ، وفى يوم ٢٢ مارس عرضت اللجنة تقريرها على الجمعية وخلاصته ما يأتى :

١ — أن المشروع المعروض على الجمعية لم يستوف الاجراءات القانونية ، فان الحكومة والشركة لم تتفقا عليه اتفاقاً صريحاً .

٢ — وأنه لا يحق للجمعية العمومية تعديل المشروع لأنه ليس اقتراحاً من الحكومة المصرية ، بل هو مجرد مشروع تعاقد بين الحكومة والشركة .

٣ — ومع ذلك فان هناك غيباً فاحشاً فيه تقدره اللجنة بنحو ١٣٠.٥٩٨.٠٠٠ ر. جنيه أصلاً وفائدة على قاعدة حساب المستشار المالى الذى قدمه فى المشروع .

٤ — أنه لا حقيقة للخواف التى تتوقعها الحكومة فى حالة رفض المشروع كأن تعلن الدول أن القناة دولية مثلاً .

٥ — لا توجد ضرورة مالية ملجئة لهذا التعاقد بالغبن الفاحش ولا سيما وهو واقع على مستقبل بعيد . لا بد فى الحكم عليه من الخطأ العظيم الذى لا يقبله الجليل الحاضر ولا يرضى بتحمل تبعته أمام الأجيال القادمة . ومثل هذا التعاقد لا يصح إلا إذا ظهر ربحه ظهوراً يبنياً .

٦ — أنه حتى اليوم لم تشترك الأمة في تدبير الشؤون المالية حتى تضمن استخدام المبلغ المقابل لمدة أجل القناة في أغراض مشمرة ، وهو أقل ما يطلب في مثل هذه الحالة وبناء على هذه الأسباب قررت اللجنة رفض المشروع بالاجماع .

ولما انتهت اللجنة من ثلاثة قراراتها صفق الأعضاء وحددت الجمعية جلسة أخرى للنقاش في يوم ٥ ابريل ، وفيها تقدم محمد سعيد باشا رئيس النظار فألقى بياناً على الأعضاء بأن الحكومة حين قررت عرض المشروع على الجمعية ، قررت كذلك أن يكون رأيها فيه قطعياً بصفة استثنائية ، والحكومة تقرر لهم ذلك قبل النظر في المشروع حتى يكون لهم كل الحرية في قرارهم الذي يصدرونه وحتى يقدروا مسؤوليتهم أمام هذا الجيل والأجيال القادمة والرأى العام الأوربي .

ثم وقف بعده سعيد زغلول باشا فدافع عن المشروع حسبما تقرر ، وبعد ذلك سمع الأعضاء تقريرين قدمهما صابر باشا صبرى وطلعت حرب بك في بيان الخسائر الفادحة التي تتعرض لها البلاد من جراء المشروع ثم تقرر تأجيل القرار النهائي يومين .
رفض المشروع بالاجماع الآراء : وفي ٧ ابريل اجتمعت الجمعية ودارت مناقشات



احمد محمد خشيه بك



طلعت حرب بك

طويلة بين الأعضاء والنظارة ثم أخذت الأصوات فتقرر رفض المشروع بالاجماع .
وكان لهذا القرار وقع عميق في جميع الدوائر المصرية والأجنبية ، وقد أزعج
النزمات الوطنية المتطرفة والمحتدلة على السواء .

حديث الخديو : وفي ١٩ منه تحدث سمو الخديو مع مراسل جريدة الطان
حديثاً جاء فيه :

« إننى أحب بلادى وشعبى ، وإن أمنتى أن أكون حاكماً دستورياً ، ومن الأدلة
على ذلك منح الجمعية العمومية رأى القطعى فى مشروع مد امتياز قناة السويس . »

مقتل بطرسى باشا . وفى يوم ٢٠ فبراير وصل إلينا فى السراى نبأ خطير وهو
إطلاق الرصاص على بطرس باشا رئيس النظار من قى يدعى إبراهيم ناصف الوردانى
المنتمى للحزب الوطنى ؛ وذلك عند مغادرة الرئيس لنظارة الخارجية فى الساعة الواحدة
بعد الظهر .

وتفصيل الخبر هو أن بطرس باشا اعتاد أن يغادر الخارجية (سلم الحقاينة الآن)
كل يوم فى الساعة الواحدة . وفى هذا اليوم نزل من الديوان ومعه حسين رشدى باشا
وعبد الخالق ثروت باشا النائب العام ، وأحمد فتحى زغلول باشا وكيل الحقاينة
وأرمولى بك التشرىفات بالخارجية ، ثم فارق من كانوا معه عند السلم الخارجى . وبينما
هو بهم بركوب عربته إذ دنا منه هذا الفتى ، الوردانى ، متظاهراً بأنه يريد أن يرفع
له عريضة ، وأطلق عليه رصاصتين أصابته إحداهما فى جاحصته والأخرى فى صدره .
وما كاد يلتفت خلفه ليرى صاحب الفعلة حتى أطلق عليه الفتى ثلاث رصاصات أخرى
أصابت إحداهما عنقه من الخلف واثنان فى كتفه ، وأطلق رصاصة سادسة أصابت ثيابه .

وكان خلف القاتل أحد سماء النظارة فقبض عليه ، بينما كان الناظر قد سقط إلى
الأرض أمام عربته ، فحمله الحاضرون إلى فناء النظارة ، وحضر على الأثر الدكتور
سعد بك الخادم فأخرج الرصاصات من العنق والكتف ، وأفاق المجرع قليلاً . ثم
نقل إلى مستشفى الدكتور ملتون بسباب اللوق ، وهناك وافاه الأطباء وقرروا إجراء
عملية لإخراج الرصاصات الباقية .

ولما وقف الخديو على هذا النبأ بلغ التأثير منه ومن رجال الحاشية مبلغه ، نظراً
لما كان يتمتع به بطرس باشا من ثقة الجناب العالى ومحبة له .

وأصدر سموه أوامره في الحال تليفونياً إلى فتحى زغلول باشا باتخاذ جميع الوسائل الممكنة بكل سرعة للعناية بالجريح، ثم أوفدنى سموه وأحمد خيرى باشا للسؤال عن صحته وإبلاغه بأسف سموه وتمنياته في الشفاء، وأن ترسل لسموه أخبار الجريح حتى يزوره بالمستشفى بنفسه.

وبعد قليل من وصولنا حضر سموه ودخل على بطرس باشا في غرفته، ثم دنا منه وقبله والدموع تسكب من عينيه ودعا له بالشفاء، وكان الجريح أثناء ذلك يقول:

« العفو يا أفندينا . مرسى . مرسى . »

ثم غادر سموه المستشفى آسفاً متأثراً بعد أن شجع الجريح وحث الأطباء على بذل كل ما في وسعهم لانقاذه، وأمر أن تبلغ إليه الأخبار لحظة ف لحظة وبقيت أنا بالمستشفى لهذا الغرض. وبعد ذلك حضر البرنس حسين كامل ودنا من الجريح وقال له:

« تشجع ، فرد بطرس باشا بقوله : « أنا لا ألوم نفسى على شيء فقد قضيت ما يجب على الوطن . »

وبعد انتهاء العملية لاجراج الرصاص ارتاح الجريح نوعاً ولكن الألم ازداد بعد قليل وارتفعت درجة الحرارة، وأصبح في خطر قريب، ولم تأت الساعة الثامنة والرابع مساءً، حتى أسلم الروح بين بكاء الحاضرين.

وفي صباح ٢١ فبراير صدر أمر الجناب الخديوى بأن يكون الاحتفال بمنارة المرحوم بطرس باشا رسمياً.

وفي الساعة العاشرة والنصف صباحاً سار الجناز من مستشفى الدكتور ملتون إلى كنيسة بطريكية الأقباط ثم إلى المدفن.

النظارة الجديدة : وفي الساعة الثالثة بعد الظهر تم تأليف النظارة الجديدة على الشكل الآتى:

محمد سعيد باشا لرياسة النظارة والداخلية، وسعد زغلول باشا للحقانية، ويوسف سابا باشا للبالية وأحمد حشمت باشا للعارف، وحسين رشدى باشا للخارجية، وسرى باشا للأشغال والحربية.

التحقيق والجاني : وكان المحققون قد تسلموا الجسائى منذ ساعة الجريمة، وهو شاب فى الثالثة والعشرين من عمره، تلقى العلوم فى المدارس المصرية حتى حصل على

مذكراتى فى نصف قرن ج ٢

شهادة البكالوريا وتوفى والده فقام بتربيته عمه الدكتور ظيفل حسن (باشا) وأرسله إلى سويسرا لتلقي علوم الصيدلة فكسب في لوزان سنتين ، ثم ذهب إلى إنجلترا فقصى بها سنة وعاد إلى مصر فافتتح بها صيدلية في شارع عابدين واتصل بالحزب الوطنى ، وهو شاب عصى المزاج شديد الانفعال .

وقبل أن يفتح معه محضر التحقيق الرسمى سألوه وكيل الحفانية : لماذا فعلت فعلتك بالباشا ؟ ، فأجاب غاضباً ، لأنه غائن للوطن ، فرد عليه بقوله : يا مسكين لو عرفت أنه أكبر وأصدق وطنى في خدمة البلاد ما فعلت فعلتك . .

وقد تولى النائب العمومى ثروت باشا التحقيق ، وسئل عدة أشخاص من لهم صلة بالجاني والذين وجدت أسماؤهم أو صورهم بين أوراقه ، وأوراق أعضاء الحزب الوطنى وفى مقدمتهم محمد بك فريد الذى قرر ، أنه عرف الجاني منذ سنة ١٩٠٦ فى جنيف حيث كان أميناً لمندوب جمعية الطلبة المصريين بها ، وأن هذه الجمعية أسست لمساعدة الطلبة المصريين الذى يقدون إلى جنيف ، وأن علاقته بالقاتل كعلاقته بكل عضو من أعضاء الحزب الوطنى . .

وقبض على شفيق منصور وعباس حسنى ومحمد الصباحى الطالب بمدرسة رأس التين وعبدالله حلى المهندس بالأوقاف ومحمد زكى على افندى الهامى الذى تولى رئاسة المظاهرة التى تقدم ذكرها ، ثم قبض بعد ذلك على اثني عشر آخرين .

جمعية سرية : وفى ٢٥ فبراير أطلق سراح ثمانية من هؤلاء المتهمين ، وبقي تسعة منهم الوردانى ثبت أنهم أعضاء فى جمعية سرية للقتل السياسى ألفت منذ ست سنوات * وقد ضبط قانون الجمعية بين أوراقهم ، كما ضبط خطب وارد إلى شفيق منصور يقدم له فيه مرسله ابراهيم ناصف الوردانى بأنه : صيدلى كياوى بارع وعارف بتركيب الديناميت . .

وسمعت النيسة أقوال على الشمسى افندى وخلاصتها أنه رأى الوردانى يوم العقاد الجمعية العمومية للنظر فى مشروع امتياز القناة وهو ثائر متعجب . وذكر عن أخلاقه أنه شديد الاخلاص لأخوانه حتى إنه كان ينفق عليهم بعض ماله ويدع نفسه فى حاجة

وشدة ، وكان يلاحظ فيه الجيـء في مجالسه وقلة الكلام مع شدة الحماسة في الجدل ولكنه لم يكن يجاوز حدود الأدب في مناقشاته إذا احتد ،

وقد تأيدت أقوال على الشمسى أفندى عن تبيج الجاني في يوم اجتماع الجمعية بشهادة القاضي مراد سيداحمد بك واحمد حجازى بك وغيرهما .

واستدعت النيابة صاحب طوابع الملوك ، لأنه ذكر في طالع الذى ظهر منذ ثلاثة شهور أياتاً ، يؤخذ منها أن بطرس باشا يقتل وينعم على ابنه بالباشوية ويتولى رئاسة النظار سعد أو سعيد .

ولما سئل عن ذلك قال إنه لا دخل له في السياسة ، ولكنه يقدر تقديرات فلسفية تدل على مثل هذه الحوادث . ولو فرض أنه كان عالماً بالمؤامرة فهل كان أيضاً يعرف أن الخديو سينعم على ابن القتل ، نجيـب خال ، بالباشوية ؟

نقص القانون : وقد ظل التحقيق حتى يوم ١٤ مارس ثم أصدر النائب العام قراراً بأحالة الوردانى والمقبوض عليهم على قاضى الاحالة ، ونظرت القضية بالاحالة في يوم ٢٢ منه وكان القاضى متولى بك غنيم فأصدر قراره بأحالة الوردانى وحده إلى محكمة الجنايات وإخلاء سبيل الآخرين لأن القانون حتى ذلك الوقت كان ينص على إعفاء المشتركين في الاتفاق الجنائى إذا لم يرتكبوا حوادث بالفعل ^(١)

وفي جلسة ٢٠ ابريل نظرت القضية أمام الجنايات وسمعت المحكمة شهادة الشهود ثم قررت انتداب بعض كبار الأطباء لبيان ما إذا كانت العملية التى أجريت للفقيد كانت ضرورية كما قرر الأطباء الذين قاموا بها أم لا .

الحكم بالاعدام : وفي يوم ١٢ مايو سمعت المحكمة تقرير الأطباء وهو يفيد ضرورة العملية . وألقى النائب العام ، ثروت باشا ، مرافعة بليغة قوية . وقام بالدفاع عن المتهم محمود بك ابو النصر واحمد بك لطفى وابراهيم بك الهلباوى ، وطلب الدفاع لحص المتهم من الوجهة العقلية فرفضت المحكمة هذا للطلب . وقررت الحكم بالاعدام وأيد هذا الحكم فى النقض .

وقد حاول رجال الحرب الوطنى استصدار عفو من الخديو . وأيدت الصحف الانجليزية والجالية الايطالية بالعرائض والمنشورات هذا الطلب ولكن لم يجد ذلك نفعاً

(١) بمذلة كسبيل عدل هذا القانون وأصبح مجرد الاتفاق الجنائى جريمة بماتب عليها .

وبما هو جدير بالذكر أن الفتى المحكوم عليه أبدى ثباتاً مدهشاً حتى آخر لحظة .

روزفلت رئيس جمهورية أمريكا بمصر . كان هذا الرئيس قد حضر إلى مصر يوم ٢٤ مارس ، فاستقبله من قبل الخديو سعيد ذو الفقار باشا التشريفاتى الأول وزار سموه في عابدين فرد له سموه الزيارة ثم أقيمت له مأدبة شائقة .

وفي ٢٦ منه أدب له الرئيس أحمد فؤاد باشا رئيس الجامعة الأهلية المصرية مأدبة عشاء ودعاه لالقاء محاضرة في الجامعة . فلبى الدعوة وألقى محاضرته في اليوم التالى وتكلم فيها عن أهمية الجامعة وأنها الطريق القويم للتربية الصحيحة ، وتحدث عن واجبات الذين يلون أمرها والطلبة الذين ينتسبون إليها .

وبعد ذلك تكلم عن فضل بطرس باشا وأشار إلى أن هذه الجرائم مكروهة في نفوس الجميع وأنها وبال على الأمانى الوطنية . وتطرق من ذلك إلى الحديث عن الأمم التى تمنح الدساتير وهى لم تول في دور التكوين ، وقال : « إن مثل هذه الأمم تكون خطراً على نفسها لأنها لم تتم فيها الصفات التى تمكنها من الانتفاع بالدستور ، وأنت الأمر الجوهري ليس هو الإسراع للحصول على سلطة ليس أسهل من سوء استعمالها ، وإنما هو ترقية الصفات التى يسمو بها الفرد والأمة ترقية دائمة وإن تكن بطيئة ، وأن هذه الصفات هى التى تجعل الأمة قادرة على حكم نفسها بنفسها » .

ثم أشار إلى الإدارة الانجليزية في السودان (*) وأثنى على اللورد كرومر وسيامته في مصر .

الوطنيون وروزفلت : وكان هذا الخطاب مثار عاصفة من النقد في المؤيد والمجريدة ومصحف الحزب الوطنى ؛ ووجه الشيخ جاويش رسالة إلى روزفلت بلغت نظره فيها إلى أنه في بلد إسلامى ، فليس له أن يبشر بمحسنات المسيحية ، وأن ينسى فضل التعاليم الإسلامية ؛ ونظم حافظ إبراهيم قصيدة قوية يذكر فيها روزفلت برأى الأمريكين في الانجليز يوم كانوا يحتلون بلادهم وما جاء فيها :

يا نصير الضعيف : مالك تطرى	خطة القوم بعد ذاك التكثير
لم تطلقوا جوارهم بل أقسم	في حماكم من دونه ألف سور
أنت نظريهمو وثقى عليهم	نائباً آمناً وراء البحور

() وكان قد رجع من زيارته للسودان

ليت شعري أ كنت ، تدعو إليهم يوم كانوا على تخوم الثغور ؟
يوم نسجلتم على صفحات الدمس تاريخ مجدكم بالنور
ووثبتم إلى الحياة وثوباً ونفضتم عنكم غبار القبور
يا نصير الضعيف حبيب إليهم هجر مصر تفر بأجر كبير .

وجه محمد فريد بك إلى روزفلت رسالة برقية باسم اللجنة التنفيذية للحزب
الوطني يظهر فيها استياء البلاد من هذه الخطوة التي ترمي إلى تشييط همه الأمة المصرية
عن الاستمرار في جهادها السلي للحصول على الدستور .

وجهت إلى روزفلت أيضاً برقيات الاحتجاج من كثير من الهيئات والأفراد .
وكتب الشيخ علي يوسف في المؤيد خطاباً مفتوحاً إلى روزفلت حمل فيه على
مسلكه وخطته وإخلاله بواجب الضيافة ، ونشرت ترجمة هذا الخطاب الشهير في بعض
الصحف الأمريكية فكان له وقع كبير في أمريكا . وكتب إحدى المجلات الأمريكية
الشهيرة إلى الشيخ علي يوسف تطلب إليه أن يكتب لها فصلاً في هذا الموضوع يتحدث
فيه عن روزفلت ، وما كان لإيادته من أثر في نفس الشعب المصري ؛ فلبى الشيخ
الدعوة وبعث إلى المجلة المذكورة بمقال رنان كان من خير ما كتب (١) .

سفر روزفلت : وقد غادر روزفلت مصر بعد هذا كله يحمل في نفسه أثر هذه
الاحتجاجات وتلك الردود وما كاد يصل في طريقه إلى مدينة لنسدره حتى أتى في
٨ جلد هول ، عن مصر خطاباً في منتهى الشدة جاءتنا البرقيات بتفصيله في يوم ٧ يونيو ،
وفيه يدعو روزفلت الانجليز إلى تثبيت أقدامهم في مصر ، لأنهم ليسوا حراس مصالحهم
فيها فقط ، بل هم فوق ذلك حراس مرافق المدنية . ، وطعن في أخلاق المصريين ورمهم
بالتورحش والذل ، وقال : إن الانجليز أصلحوا مصر ولكنهم أخطأوا أخيراً إذ مكثوا
المصريين من التبع بشئ من الحرية ، فأظهر مقتل بطرس باشا أن هذه غلطة فاحشة
يجب أن يتداركها الانجليز قبل فوات الوقت . ، إلى غير ذلك من المثالب والمطاعن .
وقد كتبت الجرائد المصرية جميعها ما عدا المقطم منددة بهذا الخطاب ، مينة
ما فيه من غلو وتحامل في فهم المصريين ، وما يدل عليه من الحقد والتعصب على الشرقيين .
تصريح السير جراي : وفي يوم ١٤ يونيو حملت لنا البرقيات تصريحاً السير



السير إدوارد جراى

إدوارد جراى عن موقف
انجلترا فى مصر بعد حادثة
مقتل بطرس باشا وبعد
خطاب روزفلت على أثر
سؤال من أحد النواب .
وقد جاء فى هذا التصريح :

« لئننى أوافق على جميع
الآراء التى أبداهها المستر
روزفلت بشأن القطار المصرى
إلا قوله إن لبننا المتساهى
لأعداء الاحتلال قد عرض
عمل انجلترا بمصر إلى الضياع ،
فقد يمكن ألا أوافق على أن
عملنا عرضة للخطر ، ومن
الطبعى أن ينتقد التأخير
الذى حدث فى معاقبة

الوردانى ، ولكن لا يمكن توجيه اللوم إلى القضاة . ومن المتفق عليه أنه يجب حتماً
أن نستعمل سلطتنا حتى نظهر جلياً أن المصريين الذين يديرون شئون بلادهم برأينا
— دون أن تكون لهم مندوحة عن اتباع هذا رأى — يجب حمايتهم من الاعتداء
عليهم بهذه الطريقة المستحدثة . »

خطبة فريد بك فى لندره ضد روزفلت وجراى : وعقب ذلك سافر محمد فريد
بك إلى لندره لحض هذه المطاعن التى أذاعها روزفلت وذلك التصريح الذى ألقاه
السير جراى ، وقرأت فى برقيات يوم ٩ يوليو أنه ألقى خطاباً جامعاً فى لندره جاء فيه :
« يسرنى أن أتكلّم هنا لأنى أشعر بأنى حر فى الكلام أكثر منى فى بلادى التى
تحكمها عصابة من المستعمرين الانجليز الذين يضرون انجلترا وهم يظنون أنهم يخدمونها .
« لئنا لا يمكننا أن نقر الاحتلال الانجليزى ، بل إننا نعتبره ظالماً لا يستند إلا
إلى القوة التى لا تحول حقاً ، إن أمتكم تستطيع — مدفوعة بيد الاستعماريين الماليين —

أن تعلن حاجتها على مصر ، وأن تضمها إلى أملاكها ، ولكن لا يمكنها أن تجعل مركزها في مصر شريعياً . والحماية والعزم ذاته لا يسقطان حقوقنا .

و لقد اتخذ الاستعماريون فعلة الورداني متكاً لهم في إنفاذ حكم الارهاب بمصر فأصدروا قوانين منها :

أولاً : محاكمة الصحف أمام محاكم الجنايات التي لا تستأف أحكامها .

ثانياً : فصل الطلبة الذين يشتركون في المظاهرات السياسية داخل المدارس أو خارجها .

ثالثاً : معاقبة كل من يتفقون على ارتكاب جريمة وإن لم يرتكبوها .

و وقد قوبل ذلك بالسكون واكتفت الأمة بالاحتجاج في الصحف ضد قوانين لا تسن إلا إرهاب الثورات .

و وهكذا يريد الاستعماريون أن يمثلونا بالفوضويين ليبدوا وجود الاحتلال وخرماننا عما بقي لنا من حرية قليلة . ولا يضح الحكم على أمة بأنها فوضوية لأن شخصاً متحمساً من أبنائها ارتكب جريمة سياسية ، فالجرائم التي من هذا القبيل ترتكب كل يوم في أوروبا وأمريكا دون أن تضطرب الانسانية ، فالرئيس ، ماكنلي ، في أمريكا و كارنو ، في فرنسا والمملك ، همبرتو ، في إيطاليا ... الخ قتلهم الفوضويون فلم يخطر لدولة احتلال بلاد القاتلين . . .

ثم تحدث عن بطلان الاحتلال وبطلان اتفاقية السودان وغيرهما وذكر الانجليز بوعدهم بالجلاء في لحظة قوية قاسية .

نصفني صديراً لديوانه الأوقاف العمومية وبعض أعمالي فيه . قدم مصطفى ماهر باشا مدير الأوقاف تقريراً عن حالة الديوان المسالية قال فيه إن الديوان مشرف على الافلاس بسبب كثرة المطالبات منه . وكان المعروف عن هذا الديوان أن أعماله سر من الأسرار التي لا يطلع عليها أحد ، حتى نوهت بعض الصحف بهذه الحالة وأشارت بوجوب تعيين انجليزى يشرف على أعماله . وقد دارت المحادثات بيني وبين النظار بناء على الأمر لتعيين مدير جديد لديوان الأوقاف يستطيع إصلاح هذه الحالة فقر رأيهم على تعييني رغم تمسك الخديو بأبقائي في المنية ، ولكن الضرورة حملته على قبول ما كان يأباه من قبل .

مسعود بنو جرشنبیو پٽ

قالوا له عجل ربنا يا ذا الجلال والإكرام فاقام مشركوا لربهم معاجلة وادام عبد الله وصبره وادى حرمهم الاوقات الطويلة
في ما ساجد ودموع فخره ودفونته بمنتهى كبره وحبك من عظيم مبتدئ فدعا الله فاجابه الله فخلص ذواته من كبره وخلص
الملك لربهم عز وجل وخلص من عذاب سوزنا وحرنا وخلص من النار التي فيها وخلص من النار التي فيها وخلص من النار التي فيها
بقرهم مودعكم من النار يا ذا الجلال والإكرام والله تعالى على كل شيء قدير

« عرفتموني وعرفتكم من بضع سنوات أى منذ اشتغالى فى المجلس الأعلى ؟ ولهذا البت أشعر بأنى حديث بينكم وأظنكم تشعرون بأنكم لستم غرباء منى . ومتى كان هذا حالنا فلا ريب فى أن الثقة متبادلة بيننا وكل ما أطلبه الآن هو المساعدة من جانبكم على توثيق عرى هذه الثقة السكى بإسهل على- وعليكم العمل فى طريق المصلحة العامة . »

« ولأنى أحب أن أعلنكم وكافة الناس المرتبطين بهذا الديوان بالمصالح المتعددة بأننى سأسير فى هذه المصلحة الخيرية من الطريق الذى سرت فيه بالديوان الخيدوى فأفتح بابى لكل قاصد من أرباب الاشغال : غنياً كان أو فقيراً ؛ ولكل فرد من أفراد الموظفين : كبيراً كان أو صغيراً ، لأقف بنفسى على مطالبهم أو شكاويهم فأبدل جهدى فى إعطاء كل ذى حق حقه ومنع أى مظلة تقع على أحد منهم ومنكم ولا بد لى لذلك أن أطلب من الرؤساء ومرؤوسهم ألا يضنوا على- بأى فكر يبدو لهم لاصلاح شأن

هذا الديوان . وإنى أؤكد لكم أننى لا أنسى صاحب الفكر الصائب والنية الحسنة من المكافأة والتعصيد . وإننى مع اعترافى بتقدم ديوان الأوقاف فى السنين الأخيرة أصرح بأنه لا يزال فى احتياج عظيم للإصلاح ؛ وكل عمل فى الوجود قابل للإصلاح والنمو حسب الطبيعة فعلينا بصفتنا حراساً على هذه المصلحة ، مسئولين عنها أمام الله وأمام الناس ، أن نهض بها إلى الرق المطلوب حسب رغبة الجناح العالى حفظه الله كما نوه بذلك فى أمره العالى .

• المساجد محتاجة على الدوام لتعميرات ونظافة وعناية ، والمعاهد الدينية لالتفات خاص ورعاية ، والوعظ إلى انتشار على سنة نافعة مفيدة . والأحياء الجديدة إلى محال لإقامة شعائر الدين بها ، والزراعات إلى ترقية ونمو مع استبدال القطع الصغيرة منها ، والخرابات التى فى صقع جيد إلى تجديد واستبدال ما كان منها فى صقع غير جيد ، والأحكار إلى طريقة موصلة لاستبدالها فى زمن قصير .

• ولا تحفى عليكم علاقة الديوان مع المحكمة الشرعية الغراء فىلزم على الدوام أن يكون حسن التفاهم سائداً بيننا وبينها لنسكى مساعدتنا على الإصلاحات الجمة المطلوبة منا خصوصاً فى عهد سماحة قاضى الحال المذلل للصعاب بفكره الصائب .

• وأمام هذه الأعمال الكبيرة الكثيرة التى وصفتها إجمالاً لكم وتفصيلها وواقعها لا تحفى عليكم لا يتيسر النجاح فى القيام بها والفوز لاتمامها إلا ببذل الهمة والاخلاص فى العمل والمثابرة على تأدية الواجب وما هو فوق الواجب بنية صالحة لا يشوبها تكلف أو تظاهر أو اشتغال بالصغائر وما يجرى مجراها من الأمور الشخصية أو المنافسات الفردية ؛ فلنكن كلنا بدأ واحدة وقلباً واحداً متوجهين إلى فكرة واحدة وهى القيام بالواجب الذى وجدنا من أجله فى هذا المكان .

• لاهسوية ولا عناية ولا تساهل فى الواجب هنا . من قام بواجبه وأخلص النية فله منى التعصيد والرعاية ، ومن قصر فلا ينتظر منى إغضاء عن تقصيره أو تراخياً فى إنذاره أو معاقبته . فلا لين فى حق ولا تراخى فى باطل .

• هذه كلتى لكم أقولها بكل إخلاص من قلبى وأرجو أن تصل إلى مكان الإخلاص من قلوبكم والله أسأله أن تكون هذه الإدارة مثال الكمالات فى كل حال . .

فوضى الديوان وإنشاء قلم استعلامات : كان أول ما لاحظت فى الديوان أن الفقراء الذين يقصدونه لانتقام المساعدة أو لآخذ استحقاقهم وكذلك أصحاب الأعمال

العامة الذين يريدون قضاء أعمالهم لا يصلون إلى غايتهم إلا بعد مشقة أو تسلم أمورهم للخدم والفرشين وهؤلاء لا يستطيعون التصرف بشكل مقبول. ولهذا رأيت أن أحسن حل لهذا الموضوع هو إنشاء قلم في فناء الديوان باسم قلم الاستعلامات ليكون واسطة بين الإدارة وأصحاب الأعمال فيستقبل العرائض والمطالب ويوجهها إلى أقسامها ليأخذ عنها الجواب فيبلغه لأربابها. وقد عاد هذا القلم بالراحة على أصحاب المصالح ومع احتكاكهم بالموظفين مباشرة لما كان معروفاً من أن بعضهم كان يرتشى، وذكرت جريدة الأهرام بعددها الصادر في ٦ أبريل لإطراء هذه الفكرة.

نظافة المساجد : وفي أول أبريل أديت فریضة الجمعة بالمسجد الحسيني وتفقدت حالة المسجد وملحقاته ومراقبه، وكان معي بعض كبار الموظفين في الديوان فلفت نظرم إلى العناية بالمساجد ونظافتها، وخصوصاً دورات المياه منعاً للأمراض ومحافظة على حرمة المساجد وجلالها.

ولبت أودی صلاة الجمع في مساجد مختلفة دون علم القائمين بأمرها لنفس هذه الغاية حتى يشعر المباشرون لها أن هناك رقابة على أعمالهم، فكان لذلك أثره الحسن. تعيين مفتش للمعاهد من غير العلماء : ثم فكرت في إدخال بعض العناصر الجديدة في الأزهر بقصد إصلاحه، فتقرر تعيين عبد الفتى شاكرك مفتشاً لإدارة المعاهد الدينية وسكرتيراً لمجلس الأزهر الأعلى، ولكن هذا التعيين أثار ثائرة العلماء باعتبار أن منصب مفتش إدارة المعاهد من حقهم وأن عبد الفتى بك غريب عن الأزهر، فرفعوا عرائض بالاحتجاج لشيخ الأزهر، وكذلك جاءني الشيخ علي سرور الزنكوفني والشيخ محمد الشنواني وشكوا إلى من هذا القرار واتسما النظر فيه.

وقد رأيت موافقتهم والسير في الإصلاح الذي أقدره بخطوات وثيدة فوعدهما بأن يكون عبد الفتى بك سكرتيراً فقط للمجلس الأعلى وتركزت التفتيش لإدارة الأزهر وأرسلت التعليمات الخاصة بذلك إلى المشيخة.

توسيع اختصاص الموظفين : ولاحظت بعد ذلك أن حصر السلطة في يد واحدة وحرمان الموظفين إلا من سلطة محدودة يقلل من تفكيرهم وتصرفهم، ويجعلهم آلات تتحرك دون أن تفكر، وقدرت أن توزيع السلطة يزيد عدد العقول المفكرة في الأعمال، ويعطيها الفرصة الكافية لتنتج وفي الوقت نفسه يخفف العبء الثقيل الملقى على غاتق الرئيس.

لجمعت في منزل كبار الموظفين والمأمورين للتفاهم معهم في توسيع اختصاصهم وألقيت عليهم الكلمة الآتية :

« قد جمعتكم اليوم للدعوة في الأمور المختصة بوظائفكم لعلنا نهتدى من مبادلة الأفكار معكم إلى نتيجة تزيد في تحسين الأحوال وتعلل من سعة الديوان .

« ثم أوصيكم قبل كل شيء بصفتمك نائين في الجهات عن مدير الأوقاف أن تكون علاقتكم مع الإدارة في الأقاليم وفروع الحكومة خصوصاً المحكمة الشرعية ، لارتباط أعمالكم بأعمالها في كثير من الأمور ؛ على أحسن حال وأهدى سبيل وأن تجتهدوا دائماً في تحسين هذه العلاقات لتسهيل الوسائل في إنجاز أعمال الأوقاف .

« وأود منكم بصفتمك مثلين لديوان الأوقاف أيضاً، وهو المصلحة الخيرية المتشعبة العلاقات مع طبقات الناس، أن تكون معاملتكم للأفراد قائمة على الطريقة المثل والخطة الحسنى والأل تشوب سيرتكم الخصوصية شائبة تضع من أقدارك في النفوس وتزرى بكم في العيون . نعم ربما يقال إن السيرة الشخصية تتعلق بشخص الإنسان ولا دخل لها في وظيفته ما دام مؤدياً لها أحسن الأداء ؛ لكننى أرى أن الموظف إذا جمع إلى حسن الإدارة حسن السيرة ، كان ذلك أليق به وأكمل له ، واحترام الموظف لنفسه يكسبه احترام الناس ، خصوصاً من كان حوله من العمال فتربى له في النفوس سلطة أدبية هي في الواقع أرفع وأنفع من السلطة المادية ، وتلك هي زينة الوظيفة وجمالها .

« ثم لئن أود أن يكون المأمور منكم عالماً بكل ما تحت إدارته محيطاً بأطراف عمله ، فاذا سئل عن أى شيء من هذا القليل كان جوابه عن علم ومعرفة وألا يكتفى بالنظر فيما أمامه من الأعمال الكتابية فوق مكتبه وإنجازها فقط ، بل يجب عليه أن يتنقل في أنحاء مأموريته ويطلع بنفسه على جميع الأماكن والمحال المتصلة بإدارته .

« والآن أطلب منكم أن تبدوا إلى ما يمن لكم من الملحوظات في مشروع الأمر الإدارى المتعلق بتوسيع اختصاصاتكم .،

وبعد أن استمرت الجلسة أكثر من خمس ساعات صدر الأمر الإدارى مفتحاً بالمقدمة الآتية :

« قدرأنا أن نوسع لكم في اختصاصاتكم ما لم يكن لكم من قبل وقصدنا بذلك أن يكون في أيديكم من سمة الاختصاص ما يؤهلكم إلى الاحسان في العمل ويوصلكم إلى

الارتقاء في الأعمال والوظائف ولتدركوا عظم المسؤولية التي توازي سعة الاختصاص وقصدنا من جهة أخرى توفر الوقت في العمل للتمكن من إنجاز الأشغال في أوقاتها وانتظام السير فيها على وجه السرعة . وقد بدأنا باعطائكم بعض الاختصاصات على سبيل الاختبار لنبنى حكماً في المستقبل على سيركم فيها .

كان لهذه الخطة أثر حسن جداً وعلقت عليها الصحف باستحسان وألحت على اتباعها في جميع دواوين الحكومة .

تعديل المجلس الأعلى للأوقاف : في ٢٧ يوليو صدر لي أمر خديوي بتعديل هيئة المجلس الأعلى في ديوان الأوقاف . وخلاصته أن هذا المجلس يؤلف من مدير عموم

الأوقاف رئيساً ومن رئيس الديوان العربي الخديوي ومفتي الديار المصرية ومحافظ مصر والعضو المندوب عن القاهرة في مجلس شورى القوانين وموسى غالب باشا المهندس والدكتور محمد شكرى باشا . وحسين واصف بك المهندس بالأشغال أعضاء . وينوب رئيس الديوان العربي عن الرئيس عند غيابه .



حسين واصف بك المهندس

رحلة لزيارة مأموريات الأوقاف :
وفي ١ أغسطس سافرت إلى الوجه البحري لزيارة مأموريات الأوقاف وتفقد أحوالها والوقوف على ما يعوزها من وسائل الإصلاح والتحسين . وكان يرافقني محمد

سليمان أباطة بك مدير قسم الزراعة بالأوقاف ومحمد أفندي وجيه السكرتير الخاص . وقد بدأنا بزيارة مديرية البحيرة فررنا على أملاك الأوقاف بدمهور وعائنا ما نتجاجة من التعمير ثم قصدنا زراعتي الإبراهيمية وجنبواي وغيرهما فوجدناها جميعاً في حاجة للإصلاح وقد تقرر فتح اعتماد قدره ثلاثون ألف جنيه لذلك .

وفي ٣٠ منه زرنا زراعة مشتهر في القليوبية ، ثم سافرنا إلى الرقازيق فتفقدنا زراعة كفر الحمام ومأمورية الأوقاف بها وكانت في حالة مرضية .

١٩١٠

- ٢٢١ -

وفي ٢٣ منه كنا في قلبن وشباس ، ثم زرنا مأمورية المحلة في اليوم التالي وتفقدنا وقف أبي العباس والمساجد في البندر ومدرسة الجمعية الخيرية بها .

وذهبنا للنصورة يوم ٢٧ منه فعابنا الأملاك بها وشاهدنا زراعات طلخا ثم شربين وسررت من حالتها .

وانتهت الرحلة يوم ٢٩ منه فعدت إلى الاسكندرية .

رحلة إلى مرسى مطروح : وفي أول سبتمبر ركبت الباخرة عبد المنعم ومعى محمد على دلاور بك مدير الادارة ويوسف بك لطفى مأمور الأوقاف في الاسكندرية والشيخ محمد نجيت قاضي النفر الشرعى وغيرهم من موظفى المصلحة قاصدين مرسى مطروح لافتتاح مسجد جديد قررت الأوقاف تشييده من قبل وأنفقت عليه نحو ألف وخمسمائة جنيه . وقد وصلنا في اليوم التالى فاستقبلنا نائب قومندان خفر السواحل بصفة عسكرية ثم ركبنا الهجن إلى أن وصلنا إلى مسجد سيدى العوام ، حيث استقبلنا مأمور المركز وموظفوه في سرادق أعد لذلك وكذلك أعيان الجهة والتجار ومشايخ العربان . وبعد أن أقام العربان حفلة و برجاس ، ألقى خطبة أعلنت فيها افتتاح المسجد باسم الحديو



١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ افتتاح مسجد مرسى مطروح

(١) إبراهيم أدهم بك (٢) يوسف لطفى بك (٣) محمد على دلاور بك (٤) أحمد شفيق باشا (٥) الشيخ محمد نجيت (٦) الشيخ محمد البورينى

فتمتف الجميع بالدعاء لسموه وتناولنا المرطبات في السراىق ثم أدينا فريضة الجمعة بالمسجد وخطب الشيخ بخت وعدينا للباخرة .

وفي الساعة السادسة مساء قمنا من مرسى مطروح فوصلنا الاسكندرية صباح ٣ سبتمبر ثم عدت إلى القاهرة في ١٠ منه .

الاحتفال بذكرى محمد على الكبير : جرت عادة ديوان الأوقاف أن يحتفل في يومى ١٣ و ١٤ من رمضان كل عام في مسجد القلعة بذكرى وفاة محمد على الكبير وذلك بقراءة القرآن وتوزيع الصدقات . وقد رأيت أن الاكتفاء بذلك لا يمثل ذكرى المحتفل به حق التمثيل وأنت اللازم ذكر شيء من تاريخه في هذه المناسبة ، فكتبت فعلا خطبة بها شيء عن إصلاحات محمد على ، على أن يلقيها الشيخ محمد راشد إمام الحضرة الخديوية في المسجد . ولما كان الخديو في أوروبا فقد أناب عنه دولة شقيقه البرنس محمد على وحضر النظار وكبار الموظفين كالمعتاد وبعد قراءة القرآن وقفت وألقيت الكلمة التالية :

« ورد في الحديث المأثور : « اذكروا نحاس موتاكم » ، وفي ذكر هذه المحاسن من تجميع أعمال السلف وتحليل آثارهم ما يجرى بجرى حسن الجزاء على ما أنوه من جليل الأفعال وما اتصفوا به من حميد الصفات فهو حق لهم في ذمة الخلف يجب علينا القيام به وحسن أدائه لهم . ولما كانت هذه الليلة ليلة الاحتفال بذكرى وفاة ذلك البطل العظيم رأس هذه العائلة المالكة فقد رأينا من الواجب المحتم أن نذكر شيئا من آثاره على طريق الاجمال والإختصار بوجه عام ، فوضعنا في ذلك نبذة جعلناها كالفهرست لتلك الأعمال الجليلة نضيف إليها في كل عام إن شاء الله تفصيل ما أجملناه وتوضيح ما لحصناه . وإنى أستأذن دولة البرنس النائب عن الحضرة الفخيمة الخديوية بسماحها والله يتقبل منا صالح الدعوات لصاحب هذا الضريح في هذه الليلة المباركة إنه بالاجابة جدير : » ثم وقف الشيخ راشد فألقى الكلمة التي سبق أن كتبتها لتلقى في هذه الليلة .

حالة التكايا والمساجد : لما كانت التكايا داخلة في اختصاص الأوقاف وقد سمعت عنها أموراً غير مشرفة مع أنها لم توجد إلا لمساعدة المحتاجين ، كلفت مأمور قسم ثالث أوقاف أن يبحث هذه المسألة ويكتب لى عنها تقريراً وعن حالة المساجد التي تقع في دائرة اختصاصه . وقد بعث إلى بالتقرير الأول في ٦ سبتمبر وبالتقرير الثاني في ٢٠ منه ، فبنت لى أن حالة التكايا أسوأ مما بلغت عنها ، وأنها أصبحت ملجأ لغير

المحتاجين ، على حين أن المستحقين فيها لا يتناولون أرزاقهم ؛ وأصبح بعضهم مباءات للفساد بسبب إهمالها وعدم تنظيم شئونها .

وقد قررت بعد ذلك أن يكون في كل تكية سجلات خاصة بأسماء الفقراء يوقعون فيها على ما يتسلمونه من الصدقات منعاً للتلاعب ، مع تغيير بعض مشايخ التكايا المفسدين .

أما حالة المساجد فقد علت من التقرير أن بعضها فتحت أمامه وبجواره مقاهٍ تزدهم بروادها وتعطل شوارع الصلاة بوضائهم ، فكتب إلى نظارة الداخلية لخطر هذا الأمر وإغلاق هذه المقاهي وعدم التصريح بفتحها بجوار المساجد .

التوظيف والترقي في الديوان : إن التكلم على التوظيف في ديوان الأوقاف لمن النقط الأساسية التي عليها قوام العمل ، خصوصاً وقد ذهب الناس مذاهب شتى في أمره وأطلقوا فيه من الظنون ما لا يصادف الواقع ؛ فهم يظنون أن مجرد كون الديوان مصلحة خيرات وإحسان كاف لأن يقبل كل ملتجئ إليه طالب للخدمة دون أن يكون للكفاءة والنظام ورعاية وجوه الميزانية موضع من الاعتبار .

توهوا هذا وتوهوا أن الديوان لا يرد رجاء راجع ما دلم متوسلاً بشفاعة أو محسوبة فتصوروه ملوئاً بالمعاطلين الذين ضاقت في وجوههم سبل العيش وأهجزتهم وسائل الرزق وصدوا عن كل عمل . وفي هذا القول مبالغة شديدة وغلو ظاهر .

والحق أن الديوان قد درج في المدة الأخيرة في أمر التوظيف على خطة اختيار الأكفاء الذين تستقيم بهم حركة الأعمال ملتزماً بحدود ميزانيته جاريّاً على حكم نصوص القانون المالي ولوائح الاستخدام التي تسير عليها الحكومة في ترتيب الدرجات وفي التعيين والترقي والعلاوة والمعاش .

انتقاء الموظفين : وقاعدتنا في انتقاء الموظفين إذا خلت وظيفة في الأوقاف أن ننظر في استعداد موظفيه وكفاءتهم وحسن سابقتهم في الخدمة فننتخب من بينهم أليقهم لها وأحقهم بها أو نعلم إلى الكفاء الذي شهد له عمله في خدمة الحكومة فنعينه أو نعلم عنها في الصحف لينتقدم إليها أرباب الشهادات من متخرجي المدارس أو من مرفوق الحكومة حتى إذا اجتمعت الطلبات عرضت على لجنة من رؤساء الأقسام لاختيار أكفأ الطالبين وأعظمهم أهلية للوظيفة التي يراد التعيين فيها .

حالة بعض الموظفين : وقد أكون مبالغاً إذا لم أستدرك على ذلك القول بأنه يوجد بالطبع بجمور الأكفاء المستخدمين عدد قليل الأهمية واللياقة سواء كان بين كبار الموظفين أو بين صغارهم .

وقد تأكدت من ذلك بنفسى أثناء طوافى بمأموريات الأوقاف في الوجهين البحرى والقبلى إذ سألت أحد المأمورين عن مقدار المبالغ المتأخر تحصيلها عنده فأجاب بأنها لا تتجاوز مائة وخمسين جنياً وهى في ذمة رجل مضمون ولما طلبت من كاتب الحسابات كشفاً ببيان هذه المبالغ ظهر أنها تقدر بآلاف الجنيات ، فلما راجعت المأمور أجاب بأن ما زاد على المائة وخمسين جنياً إنما هو قيمة المبالغ المرفوع بها قضايا أمام المحاكم ، وكأنه قد جرى في خياله أن مجرد تقديم القضايا إلى المحكمة يخرج مبالغها عن وصف كونها مبالغ متأخرة فهى لا تستحق منه اهتماماً ولا تترقى قيمتها عنده إلى مجرد ذكرها ، ومن ذلك تتبين درجة تقدير ههنا المأمور لعمله ومسئوليته . كذلك لاحظت أن أحد المأمورين لا يعرف مواقع المساجد من المدينة التى يقيم فيها منذ أكثر من سنة ؛ وهذا وحده يدل على قدر اهتمامه بها ومبلغ تمهده لها ، وإنما ضربت هذين المثالين لأهمية الموظفين المشار إليهما ، وأما الحال في صغار المستخدمين فلا يعدم الناقد أن يجد من بينهم من يجرد عن الكفاءة والأهلية ؛ وسيلبدل الجهد إن شاء الله فيما تنتظم به الأمور وتستقيم به الأحوال .

تعيين تلامذة : وقد اتخذنا طريقة جديدة لاعداد الموظفين في الدرجات الصغيرة وتمريضهم على العمل حتى يتدرجوا في الوظائف محيطين بأعمالها فقررنا عشر وظائف تلامذة مرتب كل منها ثلاثة جنيات ينتخب لها عشرة أشخاص من حاملى الشهادة الابتدائية بعد الاعلان عنها في الصحف ؛ وقد كان ذلك ، وهم الآن ينتقلون في أقسام الديوان وفروعه للتمرن على أعماله قسماً بعد قسم حتى إذا خلت وظيفة من الدرجة السابعة التى بدآيتها خمسة جنيات ونهايتها تسعة ، ألحق بها التليد سواء كان في أقسام الديوان أو في مأمورياته .

الظهورات : وهناك باب آخر من أبواب التوظيف ربما تناولته الشبهات وكان محملاً للظن بأن التعيين فيه جار على حسب الأغراض والأهواء وهو باب الظهورات . - وقد رأينا من المصلحة منذ تولينا إدارة الديوان أن نضيق حدوده ما أمكن ولا نجد بعد الآن شيئاً من هذه الوظائف . ورأينا من جهة أخرى أن نتدرج إلى حيث هؤلاء

العمال الظهورات الموجودين الآن شيئاً فشيئاً حتى ينتهي الأمر على طول الزمان بسد هذا الباب الذي ربما كان موضعاً لعبث الأيدي في الرفق والتعيين .

وقد رفعنا بذلك مذكرة إلى المجلس الأعلى نالت مصادقته وقررنا فيها وجوب تثبيت العامل الظهورات متى توفرت فيه شروط أربعة وهي: (١) أن يكون حائزاً لرضا رؤسائه شاهدين له بالكفاءة والاستعداد وحسن السلوك (٢) ألا يكون وقع عليه مدة خدمته من الجزاءات التأديبية ما يمس بوظيفته (٣) أن يكون أمضى في خدمة المصلحة ثلاث سنوات على الأقل (٤) ألا يكون به داء عضال .

وبما يحسن ذكره في هذا المقام ، للدلالة على ترقى حالة التوظيف في ديوان الأوقاف ومراعاة المستخدمين فيه ، من حيث إنالتهم كل ما يستحقونه من الترقية والعسالات بلا تمييز ولا تفریط وحسن معاملتهم في تطبيق نصوص القانون في أمر معاشاتهم ، أن موظفي الحكومة كانوا قبل الآن يعتبرون خدمة الأوقاف أقل درجة في الشأن من خدمة الحكومة فكانوا لا يقبلون عليها ؛ أما الآن فقد ظهرت شدة ميلهم لخدمتها رغبة في التمتع بمزايا إدارتها .

هذه هي حال التوظيف في ديوان الأوقاف بقيوده وشروطه الآن ؛ إلا أنه مع علم بعض الناس بها لا يزال لهم ولع بالسعي والرجاء وراء التوظيف به ، فإذا ذكرت لهم هذه القيود ، ردّدوا القول بأن المصلحة خيرية لا ينبغي فيها التدقيق في بذل الخير للضعفاء والمعوّزين بتعيينهم في الوظائف التي ينالون بها وجوه العيش ويتوسلون بها إلى أبواب الرزق . ولكنه قول باطل ونظر منصف ، فإن الخير كل الخير للناس وللواقفين والمصلحة الأوقاف أن يكون الموظف المؤتمن على مال الوقف وإدارته من خير الناس وأكفأ العاملين ، وأضرب لك مثلاً أن رئيس الحكومة محمد سعيد باشا أوصاني على شخص لتوظيفه فعرضت عليه الدخول في الامتحان فأبى . ولما سألته عن مؤهلاته ، لم أر منه الكفاءة لأخذ الوظيفة التي كان يرغب فيها فرفضت طلب الباشا . وتصادف وجوده في المنزّه عندما توجهت لأداء صلاة الجمعة مع الحديوي ففأخني أمام سموه عما فعلته بخصوص الشخص المذكور فأجبتّه بأنه غير لائق لدخوله في الوظيفة المطلوبة له فقال بالنظرية السابق التنويه عنها فرددت عليه بأنني لا أقبل أن يحسب على موظف غير كفء للقيام بوظيفته فإذا كان الغرض مساعدته على معاشه فليكن من باب الاعسالات . وما على الباشا إلا أن يتمس من أفندينا بتخصيص مرتب له فكان عباس من جماعتي .

مذكراتي في نصف قرن ٧

أما الترقية فقد انتهالت منذ وطأت أقدامى هذه المصلحة رسائل التوصية بترقى بعض الموظفين فكنت أؤشر عليها للبحث فى ملفات خدمتهم فإن وجدت من بينهم المستحق كتبت اسمه فى كشف المستحقين لترقيته فى الوقت المناسب والباقي أرفضه ولو كانت التواصى من رجال المعية أو من النظار . فإن أحد النظار طلب ترقية لأخيه وآخر لابن مرضعته فرفضت لعدم استحقاقهما لأننى لو أجبت طلبهما لاتقصد على الموظفين ورموني بالمحاباة .

وكان بعض أصدقائى يرتكنون على مودتى لهم فيطلبون ترقية بعض المتتمين إليهم ولكننى كنت أتبع نفس هذه الطريقة .

وفاة ملك الانجليز . فى يوم ٧ مايو وصلت البرقيات بوفاة ملك الانجليز إدوارد السابع ، وقد أرسل سمو الخديو عقب وصول هذا الخبر بريقة من الاسكندرية إلى السير الدون جورست يعزبه فيها هو والحكومة الانجليزية وهذا نصها :

« علنت الآن الخبر الهميب بوفاة جلالة الملك إدوارد السابع فجأة ، فأرجو أن تبلغ تعزيتى للحكومة الانجليزية وتعرب لها عن مشاركتى لها فى أحزانها . ولو كنت بالقاهرة لحضرت بنفسى إلى الوكالة البريطانية لأعرب لكم عن كل ما أشعر به فى هذا المصاب المحزون الأليم ، ولكن نظار حكومتى سيزورونكم ليعربوا لكم عن أسف حكومتى ومشاركتها للحكومة الانجليزية فى أحزان هذا اليوم الذى نشترك كلنا فيه . »



البرنس محمد على

البرنس محمد على يشيع الجنازة :

وفى ٩ منه سافر سعيد ذر الفقار باشا التشريفاتى الأول والواء واطس باشا والصاغ محمود خيرى من الياوران إلى لندن ليلقوا هناك بالبرنس محمد على للاشتراك فى تشييع جنازه الملك .

احتفال بالجنازة فى ثكنة قصر

النيل : وفى ٢٠ منه احتفل فى ثكنة

قصر النيل بجنار للبلک المتوفى ، وحضر هذا الاحتفال البرنس حسين كامل باشا وكثير من البرنسات والنظار ووكلاؤهم وأعضاء مجلس شورى القوانين ، وكنت من حضروا هذا الاحتفال بصفتى مديراً لديوان الأوقاف العمومية .

وفى الساعة الخامسة عزفت الموسيقى بالحان محزنة وأقبل الموكب يتقدمه رئيس كهنة البروتستانت ويحف به رجال الدين حتى وصل إلى منصة فى وسط ساحة الشكنة فاعتلاها الرئيس وتليت الصلوات المعتادة ، ثم أطلقت المدافع ونشر العلم البريطانى لحياه الجنود الانجليز هاتفين للبلک الجديد ، جورج الخامس ، . وبذلك انتهت الحفلة ، وخرجنا بعد أن قدمنا للسير جورست عبارات التهنئة ثم التهنئة بالملك الجديد .

سفرى لموسكندرية لقضاء فصل الصيف فلانظار . وفى ١٤ يونيو سافرت إلى الاسكندرية لقضاء فصل الصيف وأخذت محلاً خصباً لأعمال الديوان فى سان استفانو .

انتخبت لى لرياسة لجنة امتحان مدرسة المعلمين الناصرية . كان أحمد حشمت باشا ناظر المعارف طلب منى قبول رياسة امتحان مدرسة المعلمين الناصرية فى أواخر شهر مايو الماضى، فقبلت هذه المهمة . وبعد انتهاء الامتحان والتصحيح والمراجعة رفعت لناظر المعارف تقريراً فى ١١ يوليو عن حالة المدرسة ، وهذا نصه :

« بناء على إفادة نظارة المعارف العمومية المتضمنة لانتخابى رئيساً للجنة الامتحان بمدرسة المعلمين الناصرية :

« أتشرف بأن أرفع إلى سعادتكم تقريرى هذا بعد اطلاعى على جميع التقارير المقدمة من حضرات الممتحنين . وأتبرهن هذه الفرصة فأؤكد لسعادتكم بأن نظام الامتحان كان بالفاً حذاً يوجب الإعجاب والاستحسان بهمة سعادة ناظر المدرسة وحضرات الممتحنين والمراقبين .

« قد تبين لى من جملة تلك التقارير أن هذه المدرسة تسير سيراً جيلاً فى طريق التقدم والصلاح . وأن النتيجة فى هذا العام كانت أحسن منها فى العام الماضى جرباً على سنة الترقى . وقد وجدت فيها من الملاحظات والآراء ما يليق أن يوضع موضع النظر والعناية طلباً للكمال والاتقان .

والذي توجه إليه الأفكار وتجتمع حوله الآراء هو وجوب صرف المهمة في هذه المدرسة إلى العناية بتقديم فن الانشاء لأنه مقصد المقاصد من التعليم فيها ما دامت الغاية منها تخريج الطلبة إلى وظيفة المعلمين اللغة العربية .

ولا وصول إلى هذا الغرض إلا بكثرة الدرس لتربية ملكة الانشاء . وهذه الملكة لا تنمو وتغزر مادتها بمجرد حفظ قطع معينة من النظم والنثر ، فإن الاقتصار على طريقة اللفظ وحده تنتهي بالطالب الى أنه يعتمد كل الاعتماد على الاتيان بما حفظه دون أدنى تصرف . ومن المحقق أن سلوك هذه السبيل مما يعطل تربية الملكات التي لا تنأق إلا من طريق تصرف الذهن وتشعب الفكر . ولا يتيسر تكوينها إلا بكثرة المطالعة في الكتب المشتملة على جيد القول وحر الكلام فينتقل الطالب فيها ما شاء من باب الى باب ومن مطلب الى مطلب من غير كد ولا استكراه وبدون أدنى سأم أو ضجر فيتولد عنده حينئذ من الارتياح والاشتياق ما يجعل ذهنه منبسطاً لالتقاط محاسن التعبير وبدائع التركيب بما تنمو عليه الملكات الصالحة . هذا فضلاً عن اتساع محصوله من العلوم والفنون التي يتقلب في أبوابها أثناء المطالعة في مثل تلك الكتب المطولة فيتكون لديه منها ومن جملة ما يحفظه من قطع النظم والنثر مادة غزيرة يتصرف بها في وجوه الكلام والانشاء .

و فأرى لأجل ذلك مطالعة كتابين أو ثلاثة من هذا القبيل مثل كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني وكتاب الكامل لأبي العباس المبرد وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه وما يماثلها من كتب الأدب واللغة والتاريخ .

وأرى فوق ذلك من وجوه التحسين . أن يعين درس محاضرة في آداب اللغة مرة في كل أسبوع حتى يضمن الطلبة بكثرة المناقشة والمباحثة على قوة التصرف وصحة الرأي فيتكون لهم بذلك حكم يقدرون به على تصريف عقولهم دون الاتكال على أحكام الغير ، ويكون لتفكيرهم تحكيم في الموازنات ولعقولهم تصرف في المفاضلات .

ثم لا بد أن يسار بالطلبة في طريق التفسير للقرآن الكريم . سبيل التوسع في التطبيق لأحكامه الشريفة على حاجات الهيئة الاجتماعية نظامية واقتصادية ؛ فلا يقفون به عند حد التفسير اللفظي . ولقد عز على ما رأيته من أحد الطلبة من التقصير في تطبيقه الآيات الكريمة التي تعتبر أساساً لعلم الاقتصاد وهي قوله تعالى : ، وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين

وكان الشيطان لربه كفوراً ، الى قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً . »

« فان الطالب لم يحسن تطبيق معانيها الشريفة على أحوالنا الاجتماعية والاقتصادية التي نعيش في حاجة الى معالجة أدائها بقوة الأحكام الالهية المؤثرة في النفوس تأثيراً لا يقسى لغيرها من الأحكام الوضعية .

« وإن ألزم ما يكون لطلبة هذه المدرسة الذين يتخرجون منها لممارسة صناعة التعليم والتربية ، فتعلمهم من علم الأخلاق فانه الأساس لاصلاح النفوس وتهذيب الطباع . وليس ينفع التبريز في العلوم والفنون ما دامت النفس خالية من فضائل الأخلاق ومحاسن الصفات ؛ بل ربما كان النفع منها موهوماً والضرر محققاً . ولذلك أرى أن يزداد نصيب هذا العلم الواسع في أوقات الدراسة فان مدته في البروجرام المحاضر لا تزيد عن ساعتين في الأسبوع كله في السنة التحضيرية فقط .

« وأرى أيضاً أن تفتح نظارة المعارف باب الترغيب لمن تعلو درجاتهم من الطلبة في علوم اللغة العربية أدبياً ومادياً . أما الأدنى فهو أن تأمر النظارة بطبع ما تراه جيداً في باب الانشاء وغيره مما يحى في أوراق الامتحان ثم تجعله بمجموعة تنشر بأسماء الطلبة المجيدين مع التنبيه على ما يكون فيها من التقصير ثم توزع على سائر الطلبة . وأما المادى فهو أن تقرر النظارة مكافأة أو نوعاً من الترقية لمن يستمر على الاشتغال بما يجيد فيه بعد تخريجهم من المدرسة مدة سنتين ويحوز السبق في الاختبار الذى يخصص لذلك فينشط المتخرجون الى بلوغ درجة الاتقان في العلم الذى يصرفون همهم نحوه كما ألما الى ذلك في خطابنا الذى ألقيناه عليهم وكما يشير إليه حضرة الممتحن في الخط حيث ذكر في تقريره أنه يوجد أربعة من بين الطلبة حازوا الدرجة النهائية في هذا الفن وأنه يجب على نظارة المعارف أن تستخدمهم في مدارس القاهرة للافتتاح بهم وللحفاظة على تقدم الفن حتى يتمكنوا من إتقانه على أسانذته فيصلوا الى درجة النبوغ فيه .

« وجملة القول أن حال هذه المدرسة يتدرج من حسن الى أحسن ، خصوصاً إذا نالت من عناية النظارة بها ما تستحقه ؛ وعدلت بعض التعديل في أوقات الدروس ، بتخفيض بعضها فيما هو ليس بضرورى جداً لطلبتها كالتضلع في مثل الجغرافيا الطبيعية والعمل الكيماوى ؛ وازدياد بعضها في العلوم الجوهرية لهم لمزاولة صناعة التعليم المخصصين له مثل علوم اللغة والتفسير وعلوم التربية والأخلاق ، وفي كثرة المطالعة والمحاضرة حتى

لا تكون نسبة الناجحين أقل منها في الرياضيات مثلاً .

وإني لأجد نفسي مقصراً عن الواجب إذا أنا ختمت تقريرى هذا ولم أكتب حرفاً عن المنافع والفوائد التي لا تزال هذه المدرسة مصدراً لها في السابق واللاحق . فكم أنجبت من الطلبة في مدة خمس وثلاثين سنة منذ إنشائها إلى اليوم وكم انتفعت الأمة بعلومهم ومعارفهم . وكم استفادت الحكومة من استعدادهم للقيام بمهام وظائفها . فهي جديرة بأن تكون في المقام الأول بالنسبة لحسن سابقتها ولشدة الحاجة إليها اليوم ولضرورة الاستفادة منها في المستقبل .

وفي الواقع فإن الحاجة شديدة إليها داعية إلى صرف العناية نحو تقدمها وتوسيعها . إذا نحن ألقينا نظرة إلى الفئو المتواثر كل عام في عدد طلبة المدارس ، أميرية كانت أو حرة . ويكفيها الاطلاع على جداول الامتحان في هذا العام ليقوم لنا البرهان الواضح على أن الأمة في حاجة مستمرة الى زيادة عدد المعلمين . ولا يقال إن المدارس المعنية لتخرج المعلمين بما تسد الحاجة أو تقوم بالمطلوب . فأننا إذا نظرنا الى عدد الداخلين في هذا العام في امتحان الشهادة الابتدائية وقدرهم ١٨٩٥ من المدارس الأميرية و ٢٥٩٦ من المدارس الحرة و ١١٣٣ من المعلمين في منازلهم مع ازدياد هذا العدد عاماً فعاماً . وجدنا عدد المعلمين ينقص نقصاً ظاهراً بالنسبة لهذا العدد العظيم . نعم ربما قامت مدارس المعلمين بالحاجة لمدارس الحكومة الأميرية . ولكن من لنا بوجود العدد اللازم من المعلمين لتعليم طلبة المدارس الحرة ومدارس الجمعيات الخيرية وتعليم الطلبة في منازلهم ، وعددهم عظيم كما يبينه والزيادة فيه متوالية كما نراه .

وهناك أمر آخر وهو أننا إذا نظرنا نظرة أيضاً الى أن عناية نظارة المعارف أصبحت متجهة نحو تعميم التعليم في مختلف العلوم باللغة العربية ، ظهرت زيادة الحاجة الى كثرة عدد المعلمين من هذه المدرسة ووجب صرف العناية الى ترقيةها وتقديمها كل الوجوب لتكفلها بهذا الغرض أكثر من سواها ؛ لا أننا نراها في ضعف التوسعة عن سنة . فقد ألقى منها فصل في هذا العام من السنة التحضيرية فاستبدل الفصلان بفصل واحد . فإذا استمر الحال على هذا المتوال في كل عام فلا تمضي خمس سنوات حتى تنخفض فصولها الى خمسة فتتهدر هذه المدرسة العظيمة الفائدة في طريق النقص بدل أن تملأ في طريق النمو .

وإنما دفنى الى الاسباب في هذا الموضوع ما لا أزال أراه وأسمعه من كل

طرف عن شدة الحاجة والعوز الى وجود العدد العظيم من المعلمين بين الامة المصرية وأن هذا هو الأمر الأولي المقدم على سواء من وجوه انتشار التعليم فيها . ولو فرضنا أن العناية بهذه المدرسة جاءت بزيادة عدد المعلمين اللازمين فإن المتخرجين منها يأتي منهم النفع العام على كل حال للامة بأسرها ، فضلا عن أن الحكومة ليست مكلفة باستخدام ما يزيد عن حاجتها ولهم في انتفاع الامة بهم مكان معلوم .

« وأنا لا أشك في أن هذه المدرسة ، التي كانت ولا تزال مفخرة المفاخر للرحوم على مبارك باشا ولبن بعده من رجال الحكومة الذين أنالوها حقها من العناية ، ستكون إن شاء الله بعناية ناظر المعارف الحالي ورئيس الوزراء — وهمتها في رقي المعارف مشهورة مذكورة — سائرة في طريق التوسع والتقدم على نظام يزيد في علو مكاتنها ويضاعف من حسن سمعتها ويكفل دوام الاستفادة منها وانتفاع الامة المصرية بها ، فتكفل لوزراء مصر بدوام الفخر وتشهد لهم على الدهر بحسن الذكر . »

وقد ورد لي من ناظر المعارف رسالة الشكر التالية المؤرخة ٢٢ أغسطس وهذا نصها بعد الديباجة : « وصل إلينا التقرير الذي تفضلتم سعادتم بارساله إلينا عن

نتيجة الامتحان النهائي لطلاب مدرسة المعلمين الناصرية الذي جرى هذا العام تحت رئاستكم وأنا لنسدى سعادتم واجب الشكر الجزيل على هذه الخدمة العلية الجليلة ونرجو ألا نحرم نظارة المعارف في جميع القروس من عظيم مساعداتكم أفندم . »

قصية ديوانه « وطنيتي » .

وفي ١٢ يوليو علمت أن النيابة تحقق في قضية سياسية خلاصتها أن الشيخ علي الغاياتي المحرر بمجريدة العلم المنتمى للحزب الوطني طبع ديوان شعر بعنوان « وطنيتي » فيه



الشيخ علي الغاياتي

سخط من شأن الحكومة وتحرير على العيب بالنظام فاستدعته للتحقق معه ، ولكنه فر إلى تركيا ؛ فاستحضرت الشيخ عبد العزيز جاويز لأنه كتب مقدمة للديوان يثني على موضوعاته وصاحبه ، واسماعيل حافظ صاحب العلم ، لسؤاله عن سبب مدحه وإطراره لهذا الديوان .

وبعد التحقيق أحالتهما مع آخرين إلى محكمة الجنايات ، فحوكوا في جلسة ٩ أغسطس بتهم : التحريض على جنابة القتل السياسي وكره الحكومة والازدراء بها وتحييد الجرائم والعيب في حق الذات الخديوية .

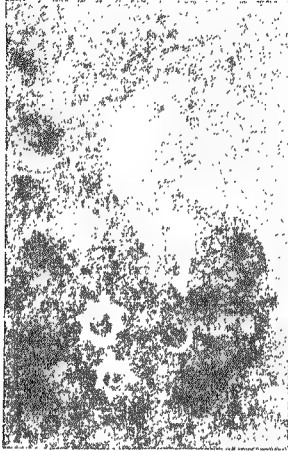
وقد حكم على الشيخ الغسايات غيابة بالحبس سنة مع الأشغال ، وعلى الشيخ جاويز بالحبس البسيط ثلاثة أشهر ، وحكم على الآخرين بشهرين مع إيقاف التنفيذ .
وجاء بديوان وطنيقي ، في مهاجمته للخديو والطعن على خطته :

و أه اس هذا آخر العهد بيننا فلا تخش منا بعد ذاك عتابا
أيرضد ، فينا أن نكون أذلة نسال إذا رمنا الحياة عقابا ؟
وأرضيت أعداء البلاد وأهلها وأصليتنا بعد الوفاق عذابا ؟
وفيه من الدعوة إلى الثورة :

وهل سال في مصر الدم أم نار فيها النوم ؟
ومضوا إلى أهل الضلا ل فأعدموا من أعدموا ؟

الخطوة الثالثة بوصول الأزهر . كان الورد كرومر يدرك ما للأزهر من كبير الأثر في تكوين الرأي العام الاسلامي ، وما يحتاج إليه من الإصلاحات الجمة ، وكان يخشى التدخل في شئونه خشية أن يتهم المصريون الانجليز بتمريضهم لشئونهم الدينية ، غير أنه كان يعضد بطريق غير مباشر الشيخ محمد عبده وغيره من الرجال القلائل الذين كان يأنس فيهم رغبة الإصلاح وتحريض هذا المعهد القديم من ركود الماسخ وأغلاله . فلما توفي الشيخ محمد عبده ، وغادر كرومر مصر ، ضعف الاهتمام بأمر الأزهر وإصلاحه ، ولكن الخديو أدرك بذكائه أنه يجني مغايم مغنوية كثيرة إذا استعمل سلطته الخاصة بشئون الأزهر وعنى بإصلاحه ، وأنه يستطيع بهذه الوسيلة أن يزيد نفوذه في العالم الاسلامي وأن يزيد بغض الرأي العام الاسلامي للانجليز ؛ ولهذا رأى أن يأخذ حركة إصلاح الأزهرية ، وعندئذ كانت الخطوة الثالثة للإصلاح .

نفعاً. أن هذا الشعب الذي كان قائماً والذي أتينا على وصفه فيما تقدم وتقرّب الزغوليون من الخديو بالخاق مدوسة القضاء الشرعي بالأزهر — وكان سموه حريصاً على إلغائها ليكون القضاء مختصاً بخريجي الأزهر كما هو شأنه من قديم الزمان — عهد بوضع قانون آخر للأزهر إلى لجنة شكلت من فتحي



عبد الخاق ثروت باشا

زغلول باشا وكييل الحقانية واسماعيل صدق باشا وعبد الخاق ثروت باشا فوضعوا المشروع على أساس أن تكون جميع المعاهد ملحقة بالأزهر ومجلس إدارته. وأن ترجع إلى المجلس الأعلى بواسطة؛ ولكن الخديو لما عاد من السفر وقرىء المشروع أمام لجنة عقدت برأسته برأس التين من بينها رئيس النظائر محمد سعيد باشا وحسين رشدي باشا وفتحي زغلول باشا وشيخ الجامع الاحمدى الشيخ محمد حسنين وشيخ معهد الاسكندرية الشيخ أبو الفضل وأنا. وتليت المادة المتعلقة

بالخاق المذكور، ناقشها الخديو مناقشة وحيمة قضت بتغييرها. وتغيير كل ما بنى عليها من المواد. وجعلت المعاهد كلها تابعة للمجلس الأعلى مباشرة ولكل معهد مجلس إدارة خاص به كالأزهر.

ثم وجه الخديو سؤالاً إلى شيخ الجامع الاحمدى قائلاً: هل إذا ثار الأزهر مرة ثانية تشور المعاهد الملحقة به بمقتضى هذه المادة؟ فأجابه بأن معهد طنطا لم يسلم من شر هذه الفتنة إلا بقطع العلاقات بينه وبين الأزهر وطلابه وشيوخه في هذه المدة، فكانت المشيخة لا ترخص لأحد من الأزهريين بدخول المسجد الاحمدى في أى وقت من الأوقات، لا للزيارة ولا لشيء إلا إذا قابل شيخ الجامع الاحمدى في مكتبته بالمسجد، بل كنا نعمل على مطاردتهم من المدينة، وكانت المشيخة تضطرم إلى الخروج منها، وساعدها على ذلك رجال الحكومة في طنطا. وانتهت الجلسة عند هذه المادة وصدر الأمر بقرأة المشروع وتعديل سائر مواضعه على أساس القانون نمرة ٢٦. ولما تم تعديله على هذا النحو وعرض على الخديو، اقترح شيخ الجامع الاحمدى إرسال

المشروع لمجالس إدارة المعاهد لابتداء ملاحظاتهم عليه ثم قدم الى رئيس مجلس النظار
محمد سعيد باشا . فرأى أن يقرأه أولاً في لجنة مشكلة من شيخ الجامع الاحمدى
وفتحي زغلول باشا واسماعيل صدقي باشا ؛ وانتهت قراءته على تعديل كثير من مواده ،
ثم أخذ بعد ذلك دوراً طويلاً في مجلس الشورى وانتهى الامر باقراره ، وصدر به
الامر العالى في ٢٧ سبتمبر ، وعمل به في المعاهد الدينية .

سنة ١٩١١

استمرار روح المعارضة . حول الترتيب والنيابتيين لأعضاء مجلس الشورى
والجمعية العمومية . رملي للصبر والسودان . الخطوة الثالثة في إصلاح الأزهر .
رأي غورست والتدبير في المعارضة . المؤتمر القطري . المؤتمر المصري ومبايعة .
حديث غورست والتدبير عن المؤتمرين . سفر التدبير لمرستة وأوروبا . وفاة
رياض باشا رئيس المؤتمر المصري . وفاة غورست وتعيين كفتنر . اتجاه الساسة
الجديدة . الانقسام على بنيتان إيطالي . أعمال في ديوانه الاوقاف . الابن
الكبير للملطان رشاد في مصر نجمة ملك اعلمنا

استمرار روح المعارضة . كان مقتل المرحوم بطرس غالي باشا في العام الماضي
مظهراً من مظاهر التعطيل والتهور في المعارضة التي لم يجد في إسكانها بعث قانون
المطبوعات القديم الذي أبطل العمل به أيام كرومر . فاشتدت الحملات الصحفية على
الحكومة ولا سيما في صحف الحزب الوطني ، وكذلك صدر كتاب دوطيني ، للشيخ
على الغياقي حاوياً لكثير من الخوض على الثورة وتمجيد أعمال المجرمين السياسيين .
ولما كان محمد فريد بك رئيس الحزب الوطني قد كتب مقدمة لهذا الديوان ،
فقد قدم للمحاكمة بتهمة تحسين جريمتي الورداني ونجرا الهندي ، اللذين أطراها صاحب
الديوان في بعض مقطوعاته .

سجن محمد فريد بك : عقدت الجلسة لمحاكمته يوم ٢٣ يناير برباسة القاضى
دبروعلى الأرمي وعضوية أحمد ذى الفقار بك وأمين بك على ، ومثل النيابة محمد توفيق
نسيم بك رئيس النيابة الاستئناف ، وسئل فريد بك عن التهمة الموجهة إليه فقال

ما ملخصه : إن الكتاب ظهر وهو في أوروبا وأنه كتب المقدمة قبل سفره كقالة يجذب فيها الجهاد في سبيل الأوطان. وأنها تصلح مقالة مستقلة كما تصلح مقدمه لديوان .

وقد اعترضت عليه المحكمة بأنه قرأ معظم ما حواه الديوان منشوراً في الصحف ، وبما أنه مطلع على القانون وفاهم للمسئولية فلا بد أن يكون قد عرف أن هذا القول مما يعاقب عليه القانون ، فرد عليها بأن هذا القول يعد عذراً له ، لأن سكوت الحكومة على المؤلف عقب نشره القصائد في الصحف يعتبر رضا منها به ، ويبيح له تقيظه .

وبعد إتمام المناقشة ترفع رئيس النيابة ، ثم حكمت المحكمة على محمد فريد بك بالحبس البسيط لمدة ستة أشهر .

ولكن هذا الحكم لم يرد أعمال التهيب لإشدة ، ولما قضى فريد بك مدة الحبس وخرج أقام له أعضاء الحزب الوطني حفلة تكريم بفندق الكونتنتال بالرغم من أن هذا التكريم نفسه يحرمه القانون لأنه استحسان لجريمة .

المعارضة في مجلس شورى القوانين : في العام الماضي كان للجمعية العمومية موقف مشهود في مسألة مد أجل قنائة السويس ، دل على تنبه الأفكار ، وقوة روح المعارضة التي ظلت تنتهز كل فرصة لتطلب توسيع سلطة النواب ومنح الدستور للبلاد وعرض المسائل المالية .

وفي هذا العام تألفت جبهة معارضة في مجلس شورى القوانين قوامها أعضاء حزب الأمة في المجلس .

مول الرتب والنسب من أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية .

وقد اقترح أعضاء المعارضة إصدار قانون يقضى بعدم منح أعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية رتباً أو نياشين ، وذلك منعاً لسوء الظن بهم ، وضماناً لاستقلالهم عن السلطة التنفيذية .

وقد كان هذا الاقتراح مثار ضجة كبيرة داخل المجلس وخارجه ، وانتهى بالرفض من الأغلبية .

تكريم المعارضين : وقد تألفت لجنة بعد ذلك لتكريم ممثلي المعارضة في مجلس

شورى القوانين ، وأقامت لهم حفلة في فندق الكونتنتال يوم ١٠ أبريل وهم : محمود سليمان باشا وعلى شعراوي باشا ومرقس سميكة بك وفتح الله بركات بك وأحمد بك حبيب

وخطب في الحفلة حسن عبد الرزاق بك، وأحمد عبد اللطيف المحامى وأبراهيم إصاباوى بك
ويوسف شكور باشا وأحمد لطفي السيد بك، ورد عليهم مرقس سمكة بك.

تكريم الأنالية : وقد كان الرد على هذا التكريم، تكريماً آخر لأعضاء الأغلبية
بمصدق شافوى أو تيل يوم ١٥ أبريل برئاسة حسن زايد باشا، وخطب في الحفلة
الشيخ على يوسف صاحب المؤيد وحسين هلال بك، وحسن زايد باشا والسيد محمد
رشيد رضا وموسى غالب باشا.

رحلتي المصير والسودان : في مدينة الخرطوم مسجد قديم له أوقاف خاصة .
وقد تم ادخال هذا المسجد فشرعت الحكومة السودانية في إنشاء مسجد جديد ثم خابرت
ديوان الأوقاف في موضوع إتمام هذا المسجد على نفقته طائلة مدها مبلغ ١٩٩٠٠ جنيه
لهذا الغرض . لذلك وحيث إن أوقاف المسجد القديم قد اندثرت رأيت أن أسافر إلى
الخرطوم لبحث هذه المسألة في مكانها مع رجال الحكومة السودانية . حصلت على إذن
ممن الخديو بهذا السفر .

ورأيت اتهاز هذه المناسبة للمرور على ،أموريات الأوقاف ومزارعها ومساجدها
ومدارسها فالوجه القبلى جمعت كل اللازم من المعلومات عن المستخدمين وكفائهم
من تقارير رؤسائهم المختلفين .

وقد بدأت رحلتي مساء يوم ١٥ يناير على باخرة نيلية وضعتها تحت تصرفي دائرة
المرحوم على باشا فهيس مستصحباً السكرتير الخاص (محمد، جيه افندى) وباشمهندس
الدنوان (محمود فهمى باشا) وقد رافقتنى حرمى وصديقنا مدام نقلا باشا ووصلت
إلى بنى سويف في اليوم التالى وزرت مسجدها وأمورية الأوقاف بها ثم غادرنا إلى
بها فزرت مأموريها وزراعتها وزراعة أبسوج وسدس فوجدت حالتها جيدة إلا أن
المصارف كانت في حاجة للتطهير في زراعة بها .

وفى ١٩ يناير وصلت بنى مزار فزرت مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية وتفقدت
سالة التعليم بها ثم سافرت إلى المنيا فاستقبلنى بها مديرها ووكيلها وموظفو الأوقاف .
وبدأت بزيارة مساجد المدينة وانتهيت بمسجد الاسام الفولى حيث أدت فريضة العشاء
ثم حضرت الدرس الدينى به .

وفى الصباح قصدت مأمورية الأوقاف ثم زرت المدير والقاضى الشرعى
وشكرت لهما عنايتهما بمسائل الأوقاف .

وفي مساء ٢٢ منه وصلت إلى ملوى، وفي صباح اليوم التالي زرت مساجدها وأطيان وقب فاضل باشا وتنوف والبور، وبعد الظهر زرت مأمورية الأوقاف ومكتبين تابعين لها.

وفي صباح ٢٤ منه قامت بنا بالبخرة إلى أسيوط فاستقبلني مديرها إبراهيم صبرى باشا، وبعد الاستراحة توجهت إلى ديوان المديرية لرد الزيارة. كما زرت رؤساء المحكتين الأهلية والشرعية والنيابة وشكرتهم على اهتمامهم بمسائل الأوقاف. ثم زرت مدرسة الصنائع وكان يديرها حضرة أمين بهجت بك والمدرسة الأميرية الابتدائية وهي تسكن في دار تحت نظارة الأوقاف.

وفي المساء زرت المساجد الشهيرة، وقد لاحظت عدم إقبال الأهالي على حضور الدروس الدينية إذ رأيت مدرساً في أحد المساجد وليس أمامه إلا مستمع واحد. وفي ٢٥ منه زرت مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية ومأمورية الأوقاف والمكاتب التابعة لها ثم زرت أعضاء قوميون الأوقاف.

وفي ٢٦ منه سافرت بالبخرة إلى طهطا فوصلتها في الساعة الرابعة بعد الظهر وزرت مساجدها، وفي الصباح سافرت بالسكة الحديدية إلى سوهاج فاستقبلني مديرها على أبو الفتوح بك والموظفون وأعيان المدينة. وبعد أن صليت الجمعة بمسجد الأستاذ العارف مررت على مساجد المدينة التابعة للأوقاف، وحضرت الدرس الديني في المساء بمسجد العارف. وقد تناولت الغداء على مائدة المدير مع همام حمادى باشا وعبد الرحيم حمادى بك وأمين العارف بك. وزرت مدارس مجلس المديرية ودار المجلس. كما زرت كلا من همام باشا وعبد الرحيم حمادى بك في منزلتهما. وبعد أن زرت مدينة أخميم بارحت سوهاج إلى نجع حمادى فأقمت بها يوماً.

وفي ٢٩ منه سافرت إلى قنا فزرت مأمورية الأوقاف؛ ومدير قنا محمد خليل نايل بك ورئيس المحكمة الشرعية (رداً لزيارتهما) وتناولت الغداء على مائدة المدير.

وفي المساء سافرت إلى قوص وزرت مسجدها الشهير وهو أكبر مساجد الوجه القبلي ووجدته في حاجة إلى الترميم.

وفي ٣٠ منه وصلت إلى الأقصر وزرت آثارها كقابر الخلفاء والدير البحري وفندق الكرنك ومعبد الأقصر ومسجد أبي الحجاج.

١٩١١

ثم سافرت إلى أسوان فوصلتها يوم ٣ فبراير . وفي المساء أبحرت بنا الباهرة من الشلال إلى وادى حلفا فوقفت في صباح ٤ فبراير عند الفجر عند معبد أبي سنبل فتمكنت من زيارته وهو منحوت في الجبل . كبير الاتساع وواجهته شرقية بحيث يستقبل أشعة الشمس عند الشروق فتنتشر في أرجائه وهذا من أروع المناظر . وبلغنا وادى حلفا بعد ظهر يوم ٥ منه فأخذنا القطار إلى الخرطوم فوصلناها عصر يوم ٦ فبراير .

وعندما وقف القطار في أبي حمد حضر أحد كبار الضباط وسأل عنا وأبلغنا تحية الحاكم العام وترحيبه بنا واستفسر عن راحتنا فشكرنا له هذه العناية .

ولما بلغنا الخرطوم كان من مستقبلينا فضيلة قاضى قضاء السودان الأستاذ الراغى والضابط عمود حافظ رمضان اقندى شقيق الأستاذ حافظ رمضان بك — موهبا لاستقبالنا من قبل الحاكم العام ومرافقتنا مدة إقامتنا بالخرطوم .

وقد نزلنا في فندق (الجراند اوتيل) وكان به كثير من السائحين يمثلون غرته وهكذا نزل السكرتير والباشمهندس في غرفة واحدة .

وبعد الاستراحة في الفندق ذهبت في الموعد الذى حدد لي لزيارة ونجت باشا في برارى الحكومة فاستقبلني بالترحاب وهو صديق قديم لى . وقد أبلغته سلام الخديو فسألني عن سموه وأعرب عن شكره له . كما أتى شكرته على اهتمامه بالسؤال عنى في الطريق .

ثم تبادلنا الحديث في موضوع سياحتى ومشاهداتى في رحلتى وغير ذلك من الشؤون . وأبلغنى أنه على استعداد للأمر بعمل كل التسهيلات اللازمة لى مدة إقامتى . وقبل انصرافى قال لى إن قاعة الاستقبال هذه ينقصها صورة الخديو فوعده بتبليغ ذلك مع التأكيد بأنها سترسل له عقب وصولى إلى القاهرة .

بعد ذلك ، وفي اليوم التالى ، بدأت بزيارة صاحب الفضيلة قاضى قضاء السودان فدار المحكمة الشرعية فاستقبلنى بالحفاوة وأجلسنى بجانبه ؛ وكان هناك أحد كبار الانجليز فعرفنى به وهو المستر كارتر السكرتير القضائى وأخذ مجلسه فى الجانب الآخر ، وجاءت القهوة وكانت المنضدة الصغيرة أقرب لفضيلة الأستاذ من المستر كارتر فلما أراد المستر كارتر وضع فنجانته لم يتحرك الأستاذ الراغى بل أمر الخادم فى وقار بتقريب المنضدة ، فأكبرت هذا المظهر المشرف لفضيلته وأدركت أنه يقدر مكانته حقاً ويحافظ

على كرامته وكرامة الشرع ومن تلك اللحظة امتلأت نفسي بالميل إليه وزدت قدره في نظري .

وقد زرت بعد ذلك رؤساء المصالح مبتدئاً بالمستشار وترى بناء على توصية الحاكم العام زرت كلية غوردون فاستقبلني فيها مدير المعارف وهدايت بك ناظر الكلية ومفتش المعارف والأساتذة فخطبنا حجر التأسيس والمعلم الكيناوي ، ونحو في حالة بائنة .

وفي ٨ منه زرت القامقام كندى بك مدير مصلحة الأشغال بالسودان وتحدثت معه في شأن إتمام الجامع الذي زرته مع باشمهندس الديوان الذي تبين من المصانة أن بعض الأعمال الداخلة في المبلغ المطلوب لإتمام المسجد فبدت تمت بالفعل وببعضها لا لزوم له والآخر في حاجة للتعديل .

وبعد المناقشة مع رجال الحكومة تم الاتفاق على عمل مقايضة جديدة بالمتطلبات من الأعمال وأخذ الباشمهندس في إعدادها على أساس دفتر أثمان البناء وأدواته لحكومة السودان وقد حصلنا عليه لتعمل بعد ذلك مناقشة ويتهدى بالمصل إلى أحد المقاولين ، وقد خصص مهندس لمراقبة العمل ، وقد تم بناء المسجد على حساب الديوان .

أما مسألة الأوقاف فقد علمت من فضيلة الشيخ المراغي أنه قد بحثها مع الحاكم العام وتشكلت لها لجنة من فضيلته ومن بعض الضباط ، وانتهت بمحض أيمان وقف الجامع القديم الذي اتضح عدم وجود شيء لها ولا يعرف من شروطها شيء ولا يدرك على أي شيء هي موقوفة ، ولكن علم بالسماح وجود أوقاف وأنها كذا وكذا . فحصل اتفاق على تسجيلها وعلى أن تكون للجامع وللشعائر الدينية واستبدال الأجزاء المأخوذة منها للخدمة العامة بأراض جيدة في المدينة بغير غبن على جهة الوقف ؛ لهذا فضلت عدم التكلم في شأنها ، ولكنني بحثت مسألة النظر على هذه الأوقاف فعلمت أن فضيلته فضل أن يؤول إليه في أول الأمر فاطمأنت لذلك .

ولقد صادفت من حكومة السودان كل حفاوة وتسهيل لمهمتي ، وعلى الأخص من السردار ونجحت باشا إذ أخطر كل الجهات التي زرتها للاحتفاء بي ودعائي للعشاء مع الجنرال هاملتون .

وقد صادف أثناء وجودي في الخرطوم إقامة حفلة سنوية يقيمها الإنجليز فذهبت إليها ، وقد لفت نظري أنه لم يكن هناك مطربش غربي وسعادة شقير باشا .

كذلك أقام الضباط المصريون حفلة شاي احتفاء بنا في ناديههم لاقبنا فيها من الحفاوة والاكرام ما أثلج صدورنا وجعلنا نشعر بما بين المصريين من روابط المودة المتينة .

وقد نظمت لنا رحلة من الخرطوم إلى أم درمان على زورق من زوارق الحكومة السودانية ، فزرننا هذه المدينة القديمة وشاهدنا فيها آثار الحرب التي خربت كثيراً من مبانيها ودورها . ومن أروع ما يشاهد في هذه الرحلة خط التفاء النيلين ، الأبيض والأزرق ؛ ولون الماء فيهما هو سبب هذه التسمية . ويمتد هذا الخط واضحاً إلى أكثر من كيلو مترين قبل أن يتم امتزاج المياه ، وكانت هذه الزهرة جميلة جداً .

وعدنا في ٩ منه فبلغت القاهرة في ١٦ منه ورفعت تقريراً عن الرحلة إلى الخديو .

الخطوة الثالثة في اصموح الازهر . وكذلك ثارت معارضة شديدة عند نظر قانون الازهر الجديد رقم ١٠ لسنة ١٩١١ في أيام ٧ و ٦ و ٥ أبريل الذي قامت بوضعه لجنة برئاسة فتحي زغلول باشا وكيل الحقانية ، وكان أظهر الأعضاء المعارضين لبعض مواد هذا القانون اسماعيل أباطه باشا وعلى شعراوى باشا وفتح الله بركات بك .

وقد كان موضع الاعتراض هو المادة ١١ ، التي تقضى بأن الخديو له الحق في رئاسة مجلس الازهر الأعلى عند الاقتضاء ، والمادة ٢٣ ، التي تقضى بأن يختار الخديو رئيس الازهر من بين هيئة كبار العلماء .

وكانت حجة المعارضين للمادة ١١ ، أنها تنقص من حرية الأعضاء في المناقشة كما أن فيها مضيق لوقت الخديو في نظر المسائل الجزئية والاستغفال بها عن المسائل العامة ، وكانت حجتهم في معارضة المادة ٢٣ ، أنها لا تترك حرية اختيار الشيخ لهيئة كبار العلماء وهم أعرف بأنفسهم .

وقد انتهت المسألة باقرار هاتين المادتين بحكم الأغلبية .

تنفيذ قانون الازهر الجديد : سبقت الإشارة إلى عرض قانون الازهر الجديد رقم ١٠ لسنة ١٩١١ على مجلس شورى القوانين ، وقد صدر به الأمر الخديوى في ١٢ أبريل .

وفي ٤ يونيو عقد مجلس الازهر الأعلى بحسب هذا النظام الجديد برئاسة الشيخ سليم البشري شيخ الجامع وحضور الشيخ بكرى عاشور الصدفى المفتى والشيخ سليمان العبد شيخ السادة الشافعية وأحمد فتحي زغلول باشا وكيل الحقانية

مذكراتى في نصف قرن ج ٢

وأحمد ذهني باشا ناظر مدرسة المهندسخانة وكنت عضواً فيه باعتباري مدير ديوان الأوقاف .

وقد سألتني أحمد فتحي زغلول باشا عما إذا كان ديوان الأوقاف يسمح بتقديم ما تدعو إليه الحاجة من المال لتنفيذ النظام الجديد فأجبتني بأن سمو الخديو قد أمر بوضع مبلغ ثلاثة آلاف جنيه تحت تصرف المجلس الأعلى للأزهر للاتفاق منه حتى نهاية هذه السنة .

ثم قرر المجلس سريان القانون الجديد على جميع المعاهد إلا فيما يتعلق بالمنهاج ، فقرر ألا يسرى إلا على الطلبة الجدد من بدء العام القادم .

رأى الخديو وعورست في المعارضة في مجلس شورى القوانين . وقد كانت هذه المناوشات سبباً في ازدياد نشاط المعارضة والحركة الديمقراطية العامة مما دعا إلى اهتمام الخديو بها ، فقد كان مسافراً للاسكندرية في يوم ٢٦ أبريل وقابله للوداع أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية فألقى عليهم خطبة جاء فيها :

رأى الخديو في المعارضة : « أتأسف أن بعض الأعضاء قد اشتغلوا بسفاسف الأمور والشخصيات التي جعلوها في شكل عموميات ، أكثر من اشتغالهم بالأمور الهامة العائدة على البلاد بالخير .

« إنني هنا منذ سنة ١٨٩٢ ولم يحصل ولم أسنع أن واحداً من حضرات أعضاء المجلس أو الجمعية طلب لنفسه رتبة أو نيشاناً .

« والواقع أن كثيراً من أعضاء المجلس قد طالت خدمته فيه وأدوا خدمات جمة للحكومة والأمة ثم خرجوا منه ، وبعضهم توفى ، ولم ينالوا رتبة سامية .

« قلت : إنني منذ الثمانية وعشرين عاماً التي انقضت على المجلس لم أسمع أن واحداً من أعضائه طلب لنفسه رتبة أو نيشاناً ، ولكنني في هذا العام سمعت أن بعضكم سعى للحصول على رتبة سامية وغضب على نيشان مطلوب له .

« بل سمعت أن هذا الشخص قال أمس على مسمع من كثيرين إنه قد طلب له نيشان ورفضه ؛ ولكن كلامه هذا ناقص ، وكنت أحب أن يكله وأن يكون صاحب مبدأ صحيح في رفض هذا النيشان وصاحب المبدأ يجب أن يتخذ أساساً في حياته ، فلا يقبل الرتبة قبل ٢٤ شهراً ، ثم يرفض النيشان الآن ، لأنه نيشان لا رتبة سامية ! »

وقد تحدث سموه يوم ١٣ مايو مع رئيس تحرير جريدة إيجبت فعاد لهذا الموضوع قاتلاً إن هذه الحركة الصناعية لا تقلقه لأنه واثق من هدوء الشعب المصرى . وإن الدستور الذى تنشده الأمة هو أول من يسعى لتحقيقه لأنه يريحه من الأعباء المثقلة ، ولذلك فهو يمهّد له بإصلاح الشئون الداخلية ، وترقية مستوى الشعب وخبرته . وذكر أن الحرية أسمى استعما لها مما اضطر الحكومة لبعث قانون المطبوعات .

رأى غورست فى المعارضة : ولم يكن الحديو وحده هو الذى اهتم بالمعارضة ، فإن السير الدون غورست تحدث عنها فى تقريره السنوى الذى ظهر فى ١٠ مايو ، فأشار إلى أن هناك روحاً عدائية ظاهرة فى مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية لمشروعاته الإصلاحية والسياسة الانجليزية عامة ، وأن هذين المجلسين أصبحا آلتين فى يد الحزب الوطنى للتبجيج والتحريض . واستشهد على ذلك بطلب المجلس والجمعية لحكومة دستورية تامة وحملتهما المنكرة على الحكومة فيما يتعلق بالميزانية والسودان والعداوة والريية اللتين ظهرتتا فى مشروع قناة السويس إلى أن قال :

« فلا نظارة بطرس باشا ولا نظارة محمد سعيد باشا استطاعتا أن تتوليا قيادة المجلس حتى الآن ، أو أن تنشأ حزبا قويا للحكومة . مع أن رجالهما مشهود لهم عند الجمهور بأنهم من أعقل المصريين وأقدرهم ، وكذلك البرنس حسين كامل باشا الذى قطع الأمل ، وعدل عن السعى فى إدخال روح النظام والاعتدال إلى المجلس فى مداولاته ؛ ولما استمعى من رياسته لم يكن من يقبل هذا المنصب الذى لا يعترف لمن فيه بالفضل . بل كان المصريون يرفضونه واحداً بعد واحد . »

ثم ذكر أن هذه الحالة تدعو للنظر فى اختيار إحدى طريقتين : طريقة حكم مصر بمعاونة نظار من الوطنيين ؛ وطريقة السعى فى تنشيط المجالس النيابية ، لأن الطريقتين أصبحتا متعارضتين ، لا كما كان يحسب أنهما ستسيران معاً بالتعاون . وقد فضل الطريقة الأولى لأن النظار يختارون من أكفأ المصريين ، على حين أن النواب لا ينوبون فى الحقيقة إلا عن فئة البكوات والباشوات الأغنياء ، ولا يستطيعون مقاومة أى تحريض كاذب تصطنعه جماعات قليلة من ذوى الأغراض .

وختم تقريره بأن هناك كثيرين ينتقدون سياسته فى مصر من الانجليز أنفسهم ، وأن هذا الانتقاد منشأه عدم تفهم المهمة الشاقة التى تؤديها السياسة الانجليزية فى مصر ، وأنه إذا كان هناك فريق يعادى هذه السياسة فيها فليس من المستحسن أخذ الجميع بالشدّة .

المؤتمر القبطي . سمعا بفكرة عقد مؤتمر قبطي ، لبحث مطالب الأقباط وشكواهم قبل مقتل بطرس باشا ، وقد أخذ بعض أعيان الطائفة يعمل سرّاً لعقد هذا المؤتمر ، ويبت روح السخط بين الأقباط ويصور لهم أنهم مغبون في الوظائف والحقوق العامة ، وكانت صحيفتا الوطن ومصر تنفخان في هذه الروح .

معارضة بطرس باشا لها : وقد قابلت بطرس باشا وتحادثت معه في أمر هذه الحركة وعواقبها الخطيرة ، وتفريقها للأمة ، فطلما تنى بأنه لا خوف منها ، وأنه لا يسمخ باستفحالها . وقد كان بالفعل معارضاً لها حتى أرسل إنذاراً لجريدة الوطن بسبب هذه الحركة .

ولما حدثت حادثة اغتياله ، زادت الحركة قوة وبدأ الكثيرون من الأقباط يريدون على الكتابة في الصحف القبطية ، الشكوى إلى الصحافة الانجليزية .

كلمة الأستاذ واصف بطرس غالى عن العنصرين : ولذلك أخذ اسماعيل أباطه باشا في تأليف لجنة للتوفيق بين الأقباط والمسلمين قبل استفحال الخطر الطائفي ، وكتبت جريدة الريفورم منوعة بهذا المجهود ، فكتب لها واصف غالى كلمة بتاريخ ٢٣ يناير ملخصها أن الوفاق تام بين العنصرين فلا يحتاج إلى لجان ولا مؤتمرات ، وأنه هو شخصياً قد تناسى الحملات التي وجهها بعض الكتاب في الصحف للرحوم والده ، لأنها لا تعبر عن رأى عقلاء الأمة .

وذكر في رسالته أن الخديو قال له بعد مقتل والده : « كما أن الشيء الناصع لا تشوبه شائبة ، فإن عمل المرحوم بطرس باشا مسجل في التاريخ لا يمسح شيء . »
وأن شيخ الأزهر قال له في اليوم التالي : « إن ذلك المسيحي عمل من الخير للمسلمين ما لم يقدر على عمله كثير منهم . »

وانتهى من كتابته بقوله : « فهلوا إذن يامعشر المسلمين والأقباط ، لننضم بعضنا إلى بعض كالبنيان المرصوص حتى لا يميز في المستقبل بين مصرى ومصرى ، والعمل جميعاً باخلاص لمصافيه خير البلاد . »

انقراض المؤتمر ومطالبه : وعلى الرغم من جهود عقلاء المسلمين والأقباط فإن فكرة عقد المؤتمر القبطي لم تضعف ، وتولى الدعوة إليه مطران أسيوط وجماعة من أعيان الوجه القبلى ، وحدد له يوم ٦ أبريل .

وقد تخوف القائلون بالفكرة من عقده في أسيوط وخشوا من مسلبيها أن يلحقوا بهم أذى ، وأرادوا عقده في القاهرة وخصوصاً بعد أن قامت مشاجرة بين المسلمين والأقباط بالقرب من كنيسة أسيوط يوم ٤ أبريل . ثم عادوا فطلبوا الترخيص بعقده في أسيوط ، وبعد أن تأكدت الحكومة من المحافظة على الأمن عند انعقاده رخصت بعقده .

وقد خطب فيه : توفيق دوس بك ومرقس حنا افندى وأخوڤ قانوني المحامي . وتلخص المطالب التي انتهى إليها في طلب العطلة يوم الأحد بجانب الجمعة ، وأن تكون القناعة للتوظيف هي الكفاءة وحدها ، ووضع نظام للمجالس المديرية يكفل للأقباط تمتعهم بالتعليم ، حتى لا يقتصر التعليم على الدين الاسلامي وحده ، ووضع نظام يكفل تمثيل كل عنصر مصري في المجالس النيابية .

المؤتمر المصري ومباحثه . أحدث مؤتمر الأقباط ثغرة في الأمة ، وتنافراً بين العنصرين وأخذت صحف الفريقين تتناذب تنابذاً خطراً .

لذلك رأى جماعة من عقلاء الأمة تلافى هذه الحالة باجتماع مؤتمر مصري ، يبحث في شئون المصريين جميعاً بما فيها مطالب الأقباط باعتبارهم جزءاً من وحدة الأمة . ورأس هذه الحركة رياض باشا فنسبت الأمة أخطاءه السياسية والتفت قلوبها حوله .

وقد اجتمع المجلس لأول مرة يوم ٢٩ أبريل بواحة عين شمس بفندق « الهليوبوليس » وحضره نحو خمسة آلاف من جميع المديرية والطبقات .

وافتتحه رياض باشا بخطبة جاء فيها :

« دعوناكم وفيكم صفوة الكتاب والمفكرين لتتشاوروا في بعض المسائل العمومية الشاغلة للرأى العام في الحالة الحاضرة .

« ومن بين هذه المسائل مسألة ما كنا نود لها وجوداً وهي ما يسمونه بمطالب الأقباط ، لأن حالة البلاد لا تسمح بتقسيم المصالح بين أبنائها تبعاً لانقساماتهم الدينية . « وسنعرض عليكم موضوعات أخرى أدبية واقتصادية لتقرروا فيها الوسائل التي تساعد على رقى حالة التعليم ونمو الثروة العمومية ، وإنى لا أشك في أنكم ستحكمون في مداولكم وورغباتكم روح العدل والميل إلى تأييد الروابط الوطنية بينكم وبين سائر

إخواننا وأبنائنا من أبناء الديانات الأخرى ، إلا أن ذلك لا يمنعني من أن أوصيكم بأن تراعوا في مباحثاتكم وطلباتكم فوق روح العدل والانصاف ، روح التسامح والانعطاف ، الذي عرفت به ديانتنا السمحاء .

ثم تلاه احمد لطفي السيد بك فألقى تقرير اللجنة التحضيرية للمؤتمر .

وعقدت الجلسة الثانية بعد الظهر فخطب فيها الدكتور د. أبانا باشا ، خطبة موضوعها ، إن عناصر الجنس المصري كلها من أصل واحد .

وخطب بعده محمود أبو النصر في موضوع ، عطلة يوم الأحد ، وبعده محمد حافظ رمضان بك في ، العوامل الاجتماعية للحركة القبطية .

وفي ٣٠ أبريل عقدت الجلسة الثالثة وخطب فيها احمد عبد اللطيف بك المكباتي عن ، الأقلية والمجالس النيابية ، ثم الشيخ عبد العزيز جاويش في ، جعل الخزانة المصرية مصدراً للاتفاق على جميع المرافق المصرية بالسواء ، و ابراهيم الهلباوى بك في ، إسناد الوظائف للكفاء .

وفي ٢ مايو انعقدت الجلسة الرابعة والخامسة وخطب محمد أبو شادى بك والشيخ على يوسف عن ، التعليم في مصر ، وعلى الشمسى افندى في ، التعليم العملى ، و ابراهيم رمزى بك عن ، الصناعة في مصر ، وعبد الخالق مذكور باشا عن ، وسائل ترقية التجارة والصناعة ، وعمر لطفي بك في ، التعاون المالى والثقافات الزراعية .

وفي ٤ مايو عقد المؤتمر جلسته السادسة الأخيرة ، وكتب مذكرة عن المسألة القبطية تلخص في أن المؤتمر لا يرى إمكان قسمة الحقوق السياسية في مصر بين طوائفها الدينية المختلفة ، وأنه ليس من حقوق أبناء أى طائفة دينية أخرى أن تطلب عطلة يوم الأحد أو غيره من الأيام ، وأن تظل العطلة الرسمية هى يوم الجمعة فقط . وأن قاعدة التعيين في وظائف الحكومة هى الكفاءة من جميع وجوهاً عملية وإدارية وأخلاقية معاً . وأنه لا يرى تعديل قانون الانتخاب بما يجعل لكل طائفة دينية مصرية دائرة انتخابية خاصة . وعدم الموافقة على إعطاء كل طائفة من طوائف الأمة المصرية ما يجنيه منها مجالس المديريات لتنفقه كما تشاء .

وقد وافق على معظم الاقتراحات التى عرضت عليه خاصة بحالة الأمة الاجتماعية والاقتصادية . كإنشاء بنك وطنى وعقد مؤتمر للتعليم وتأسيس الثقافات الزراعية .

مدينت غورست والقديريين المؤتمرين . تحدث السير النون غورست في تقريره الذي ظهر يوم ١٠ مايو عن مسألة الخلاف بين المسلمين والأقباط مبتدئاً بجرمة مقتل بطرس باشا وقال : إنه يعتبر الجريمة سياسية وليست طائفية كما كان يعتقد عند وقوعها .

ولكن مسلك الحزب الوطنى مع الوردانى جعل الأقباط يفهمون أن الجريمة طائفية وأدى ذلك إلى كثرة النقاش والمجدل على صفحات الصحف والمناظرة بين الفريقين حتى اقتضى الأمر تنفيذ قانون المطبوعات وإنذار بعض الصحف مرة رائتين كالوطن ومصر ؟ وحتى وقعت عدة حوادث بين الأقباط والمسلمين عولجت بمنتهى الحكمة من الحكومة .

ثم أشار إلى مسألة طلب الأقباط لتعليم الدين المسيحى فذكر أن الأمر فى الواقع لم يكن يخلو من فرق فى المعاملة بين الأقباط والمسلمين ، واستصوب إجابة الأقباط إلى ما يرومون على قدر الامكان من هذا القليل .

ثم عرض لبقية مطالب الأقباط ولا سيما مسألة التوظيف ، وذكر أنها ليست مبغية على أساس وطيد ثم استشهد بمجدول لعدد الموظفين المسلمين والأقباط فى كل مصلحة ، واستدل منه على أن عدد الأقباط ورواتبهم يفوقان كثيراً نسبتهم العددية .

حديث الخديو عن المسألة القبطية : وقد تناول سمو الخديو هذه المسألة كذلك فى حديث له مع رئيس تحرير جريدة إيجبت يوم ١٣ مايو فأظهر ارياحه لأعمال المؤتمر المصرى وما بدا فيه من الهدوء والروية ، ودعا الأقباط إلى البدء بمد يديهم لآخوانهم المسلمين لأنهم بدءوهم بالخصومة .

سفر القديريين إلى اسكندرية . عزم سمو الخديو على السفر للخارج فأصدر إرادته إلى رئيس النظار محمد سعيد باشا يوم ١٢ مايو بأن يكون قائم مقام خديو مدة غيابه . وقد أبحر من الاسكندرية يوم ١٥ منه إلى أراضيه بالضمان وبقي بها حتى يوم ٢٩ منه ، حيث جاءت الأخبار بمبارحته لها إلى الاسكندرية فوصلها أول يونيو .

وقد بقي فى الاسكندرية مدة أسبوعين وسافر منها يوم ١٦ يونيو إلى قوله فوصلها يوم ١٧ منه فأقام بها يومين ثم غادرها إلى فينا .

وفى أول يوليو غادر النمسا إلى باريس وبقي بها حتى يوم ٢٠ يوليو .

حديث عباس مع مكاتب جريدة الفيحارو بباريس : بينما كان عباس في باريس نشرت جريدة الفيحارو في عددها بتاريخ ٤ يوليو حديثاً معه عن شؤون مصر المادية والأدبية تلخصه فيما يأتي :

قال إن مصر تحملت في السنوات الأخيرة أزمة مالية شديدة غير أنها والله الحمد تخلصت منها بسبب خصوبة أراضيها وجهود مزارعيها .

وأما عن المسائل الأدبية فإن البلاد تطورت تطوراً عظيماً وبعد أن كان المصري لا يهتم بالتعليم فإنه اليوم يجعله من أهم غاياته ؛ ولهذا فإن المدارس تنشأ في أنحاء البلاد وهي خاصة بالطلاب وأن البعثات العلمية إلى أوروبا تزداد انتشاراً .

وأما عن التقدم المادى والأدبى فأتى عند تجوالى فى داخلية البلاد أشعر بأن الأهالى صاروا أكثر تنوراً وانتباهاً عما كانوا عليه عند توليى العرش فى سنة ١٨٩٢ .

ومن أهم النظم التى وجدت المجالس البلدية التى أعطت الأهالى بعض السلطة لإدارة شؤونهم . ورغبة منهم فى نشر التعليم قررت زيادة الأموال خمسة فى المائة لذلك حتى أصبح الآن التعليم الأولى والابتدائى والزراعى والصناعى عاماً فى جميع أنحاء البلاد . أما الحكومة فأخذت على عاتقها التعليم الثانوى والعالى .

أما عن نوع الحكم فى مصر فقال سموه إنه شخصياً ضد الاستبداد ولكنه يرى وجوب زيادة اشتراك الأمة مع الحكومة فى إدارة شؤون البلاد الآن حتى يتسنى لها الاستعداد للحكم النيابى لأن بلادنا غير بلاد أوروبا .

وقال أيضاً : وجد بين المصريين بعض المتطرفين الذين أفسدوا ثقة الحكومة فى رزاة الشعب بأن ألحوا بطلب الدستور وسخطوا على الحكومة لرفض طلباتهم وعدوها عدوة للأمة ، فاضطرت الحكومة لإصدار قوانين جديدة ضد الصحافة ، ولكن لم تطبق لأن الأمة لم تسائر المتطرفين بل اتخذت طريق الحكمة والاعتدال . ثم تكلم سموه عن المجالس النيابية فقال : إن العمل فيها سائر على نظام تام والجميع دائبون فى عملهم بجد وليس هناك ما يقال بأن الهدوء فى البلاد معناه ضعف فى وطنية الأمة فإنها لم تكن أكثر قوة عما هى فى الوقت الحاضر .

وأما بالنسبة للأقباط الذين يظنون أنهم مظلومون بجانب المسلمين فقد قال سموه إنه رغم اتجاه الأقباط فى مطالبهم إلى غير ما كهم الشرعى فإن عطى عليهم ليس بأقل

من عطفي على المسلمين في وقت ما كما هو شأنى مع كافة الرعايا المصريين على اختلاف دياناتهم وجنسياتهم . ثم أكد أن تسامح المسلمين سائد مع إخوانهم الأقباط . وقد شكر المكاتب لسمو الخديو هذه المعلومات واستأذن في الانصراف .

زيارته لـ إيطاليا وحفاوة ملكها به : وفي ٢١ منه سافر إلى تورينو بإيطاليا ومعه عمه البرنس فؤاد باشا بناء على دعوة ملكها لسموه .

وفي صباح اليوم التالى قصد قصر اكوينجى حيث كان الملك فى استقباله عند أسفل سلم القصر ورافقه إلى حجرة الجلوس التى كانت تنتظره جلالة الملكة فيها .

وفي المساء أقيمت لسموه مأدبة فخمة جلست فيها الملكة فى الصدر وعلى يمينها الخديو وعلى يسارها البرنس فؤاد وأمامها الملك والبرنيس هيلانه وسعيد ذو الفقار باشا ، وأهدى الملك لسموه صورته فى إطار بديع ، وقد سعيداً ذا الفقار باشا وسام تاج إيطاليا من الدرجة الأولى ، وأنعم بمثل هذا الوسام على رمزى طاهر باشا السرايور

وفي اليوم التالى زار المعرض الايطالى .

ثم برح تورينو مساء إلى سويسرا يوم ٢٣ منه وقد بقى سموه فى أوروبا حتى منتصف أغسطس وعاد إلى مصر فى ٣١ منه .

وفاة رياضى باشا رئيس المؤتمر المصرى . توفى مساء يوم ١٧ يونيو مصطفى رياض باشا فى قصره بالاسكندرية فكان الخبر وفاته رنة حزن وأسف عند جميع المصريين ، وقد نقلت جثته يوم ١٨ منه من قصره إلى محطة الرمل ، فى قطار خاص مؤلف من ثلاث عربات وضعت الجثة فى إحداها ، وركب فى الثانية الأميران حسين كامل باشا وعمر طوسون باشا والقائمقام الخديوى (محمد سعيد باشا) إذ كان سموه بالاستانة ، وناظر الأشغال والمعارف . وركبت فى الثالثة أسرة الفقيد .

وقد سارت الجثة فى موكب رهيب حتى وضعت فى قطار خاص إلى مصر ، فبلغها حوالى التاسعة مساء ، فاستقبله فى محطتها على بك صديق وكيل المحافظة وكثير من أعيان المصريين وثلة من رجال البوليس .

ونقلت الجثة إلى حجرة الاستراحة محمولة على أيدى ٢١ بحاراً مصرياً ، وظلت بهذه الترفه حتى الصباح .

وفى ١٩ منه ازدحمت محطة مصر بالأمراء والنظار والعلماء وكبار الموظفين

والأعيان الذين جاءوا لتشيع الفقيد، وانتشر البوليس في الطرق التي يجتازها، ونكست
 الفنادق والنادية الإعلام حداداً عليه، وأغلقت الحكومة دواوينها ومصالحها كذلك.
 وعند الساعة العاشرة نقلت الجثة من غرفة الاستراحة ملفوفة بالعلم المصرى،
 ومحمولة على أكف البحارة فوضعت فوق عربة مدفع من مدافع الجيش، وسار
 المشهد يتقدمه أرباب «الأشائر» فشيوخ المولوية فأورطة السوارى الثالثة وبأيدى
 بعض فرسانها المزاريق، وبأيدى الآخرين سيوفهم منكسة، فبطارية الطوبجية الثالثة
 منكسة بنادقها، فتلاميذ المدرسة الحربية، فأورطنا البيادة الثالثة والسابعة ومع كل
 منهما موسيقاها توقع نغمت الحزنى. فكبار الضباط العسكريين الذين بالقاهرة من
 انجليز ومصريين. وتلوهم جميعاً جثة الفقيد تحيط بها ثلة من فرسان البوليس، ووراءها
 العلماء ثم قائمقام الخديو والبرنسان حسين كامل باشا وعمر طوسون باشا وغيرهم.
 وصلى على الفقيد فى جامع قيسون، ثم دفن فى الامام الشافعى.



الفرنس عمر طوسون باشا



الفرنس حسين كامل باشا

وفى مساء يوم ٢٨ يوليو أقيمت حفلة تأبين للفقيد العظيم فى مدفنه . حيث أقيم
 سرادق ضم عظماء مصر وعلماءها . وكنت أحد الحاضرين بهذه الحفلة .
 وقد أبّن الفقيد عدد كبير من عظماء مصر وأدبائها منهم محمود فهمى باشا رئيس

الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين واحمد زكى باشا ومحمد حافظ رمضان بك وحافظ ابراهيم بك والشيخ محمد نجيت وسوام .

وظلت الصحف تنشر الفصول في مآثر الفقيه وتاريخه ، والقصائد في رثائه .

وفاة غورست وتعيين كتشنر . ساءت صحة السير الدون غورست المعتمد البريطانى فى مصر فقصده إلى لندن يوم ١١ أبريل من هذا العام .

وفى يوم ١٢ يوليو وردت الأخبار البرقية منبئة بوفاته . وقد احتفل هنا بالصلاة على روحه فى الكنيسة الانجليزية بيولاى وحضر هذا الاحتفال احمد حشمت باشا القائم بأعمال نظارة الخارجية المصرية ، بصفته نائباً عن الحكومة المصرية .

تعيين اللورد كتشنر : وفى ١٤ يوليو قرأنا فى البرقيات أن لورد كتشنر عين خلفاً للسير الدون غورست .

وقد كان تعيين كتشنر مثاراً للقلق فى دوائر السراى لأنه رجل عسكرى معروف بالشدة من جهة ، ثم هو معروف بعذائه للخديو من جهة أخرى منذ حادثة الحدود ، فارتقبنا أن يكون تعيينه بدء سياسة جديدة غير سياسة الوفاق التى سار عليها السير الدون غورست ، وتوقعنا أن تعود المصادمات بين المعتمد الانجليزى والخديو .

انحياض السياسة الجبرية . ولم تلبث الصحف الانجليزية أن أيدت ما توقعناه . فانه لم يكذب يصل إلى مصر يوم ٢٧ سبتمبر حتى كتبت جريدة المورنج بوست تقول :
« إن اللورد كتشنر قد عين فى هذا المنصب لأنه من أعظم الذين وضعوا أساس مركزنا فى مصر ، واشتغل فى عمل عظيم رجال الادارة الذين كانوا قبله فيها .

« ولكن كانت النتيجة السقوط فى هاوية من الارتباك والتشويش بسبب سياسة السير الدون غورست . الذى كان قد أرسل لاتباع سياسة اعترف هو فى تقريره الأخير بخطئها . فهمة اللورد كتشنر أن يقلل هذا الارتباك ؛ ويعيد النظام ، وأن يعود للارهاب مع نشر التمدن ، وإيجاد حكومة جيدة . »

وكتبت جريدة الديلى جرافيك عن صعوبة مهمة اللورد كتشنر تقول :

« إن هذا الشعب ساخط على الدوام وجاحد ومرتكب على ما يعتبره حقاً له ، وهو شعب حرر من رق العبودية ولكنه يعادى المصالح الانجليزية .

« والذي يجب أن يعرفه المصريون أنه مهما كانت الظروف والأحوال فانه لا يمكن الرضا عن أمانهم بالنسبة لمصالحنا العديدة التي ألجأتنا إليها حالة وجودنا في مصر ثلاثين سنة .

« وربما يمكن التفاهم حينما يدرك المصريون الحدود الواجبة في تدبير آمالهم السياسية ، وإن اللورد كتشتر حائز . لكل الصفات اللازمة لهذا الحل ، وكنت صحف الإنجليزية أخرى مقالات لا تخرج عن هذا المعنى .

ولقد أخذت سياسة كتشتر تتضح بعد قدومه مباشرة في اهتمامه بأبسط المسائل وتدخله في كل كبيرة وصغيرة ، وقيامه برحلات في الأقاليم والاتصال بالفلاحين مباشرة ، مما سنأتى على ذكره فيما بعد .

الانعام على بنيشان إيطاليا . ورد لي خطاب بتاريخ ٢٩ أغسطس من صاحب السعادة ناظر الخارجية حسين رشدى باشا يعرفني فيه بأن حضرة صاحب الجلالة ملك إيطاليا أنعم على بنيشان « كورون دى إيتالى » من الدرجة الثانية وأن الجناب الحديوى أذن لي بقبول هذا النيشان .

وفي ٢٨ أكتوبر ورد لي من سعاده أيضاً خطاب ومعه النيشان وكذلك خطاب آخر من ناظر خارجية إيطاليا بالتهنئة فرددت عليه بالشكر على هذا الانعام .

أهمانى في ديوانه الأوقاف .

الأوقاف الأهلية : كانت الأعمال الخاصة بالأوقاف الأهلية التي يديرها الديوان منقسمة إلى قسمين منفصلين : أحدهما إدارى يتبع قسم الأوقاف الأهلية والآخر حسابى يتبع قسم الحسابات . لجمعت العاملين في قسم الأوقاف الأهلية تسهيلا للعمل وإنجازاه ومنعاً للشادة والمجادلة التي كانت تقع أحياناً بين القسمين القائمين بالعمل .

وقد تم في هذا القسم وضع قاعدة لصرف مرتبات شهرية للمستحقين في الأوقاف الأهلية على نسبة لإيرادهم سداً لحاجتهم الوقتية دون انتظار لآخر السنة فكان في ذلك راحتهم وتوفر على الديوان كثرة ترددهم ولحاحهم في الصرف على الحساب طول أوقات السنة .

قسم القضايا : كانت قد شكلت لجنة عليا لفحص أعمال قسم القضايا ووضع النظام اللازم له ؛ ولكن نظراً لما كان متراكماً في القسم وفي فروعه من القضايا ، اشتغل القسم بتصفية العمل القديم مع الأخذ بأسباب التنظيم على التدرج . وقد ضم إليه قسم المباحث

الحقوقية وقيم العقود لما بين عملهما وعمل القسم من صلة وتجانس ، وعدلت طريقة تكليف المحامين في الجهات بالقضايا واستبدلت بها تعيين عدد من المندوبين القضائيين في المأموريات ليتفرغوا لهذا العمل وتكسبهم الصلة المستمرة بأعمال المصلحة علماً أوسع بمشاكله وأسبابها وتفاصيل موضوعات القضايا أكثر من سواهم في الخارج .

قلم التحصيلات : وأنشأت في قسم الإيرادات قلماً جديداً باسم قلم التحصيلات وذلك لما تبيته من حاجة الديوان الشديدة لمراقبة سير التحصيل في الفروع مراقبة فعلية ومن عمل هذا القلم تمهيد طريق السداد بالحسنى للتأخرين دون الالتجاء لدوائر القضاء إلا في الأحوال التي لا تنجح فيها وسائل التراضي .

الاحتياطي للعاشات : وقد كان المتحصل من احتياطي المعاشات ومكافآت المستخدمين، يضم إلى ميزانية إيرادات الديوان مقابل احتساب ما يصرف من ذلك في ميزانية المصروفات العمومية فرأيت أن الاستمرار على هذه الطريقة قد يحمل ميزانية المصروفات ما يؤثر في وجوه الصرف الأخرى . فعمل حساب هذا المتوفر واستبعد من الميزانية العمومية وفتح له حساب خاص واشترى به من أطيان الأوقاف بجهة يسا ما يستثمر لمصلحة الميزانية الخصوصية للعاشات والمكافآت .

الاشهار في المزايا العلني : وقد كان الاشهار في المزايا يجري بغير تحديد لمواعيد مما يجعل للناس سيلاً دائماً للنافسة والانتقام فينبغي عن ذلك الضرر لهم وللديوان ؛ إذ كان يترتب على هذا تأخير أعماله ، فقررنا تعديل بعض أحكام لائحة التأجيلات لتقديم مواعيد البدء في الاشهار وتحديد عدد الجلسات ومواعيدها ، ووضعت الشروط اللازمة لقبول العطاءات بكيفية يضمن معها استقامة العمل وإنجازه في الأوقات المناسبة حتى يحدد الديوان الوقت الكافي لتحرير العقود النهائية مع من يرسو عليهم المزايا وتحقيق الضمانات التي يقدمونها .

تعديل مواعيد الأقساط : ولقد وجدنا الحاجة ماسة لتعديل مواعيد سداد أقساط الأيجارات بما يتفق مع الوضع الجغرافي لكل منطقة في القطر وأوان المحصولات فيها . فكان من نتائج هذا التعديل زيادة ضمان حقوق الديوان .

تحديد مساحة الصفي : ووضعنا كذلك نظاماً نافعاً لتحديد مساحة الأطيان المزروعة صيفاً ، وفتحنا معه من زوال كل المشاكل التي كانت تقوم في هذا الشأن .

تطهير المساقى والمصارف : وقد لاحظت أن المستأجرين لا يوجهون العناية الواجبة لحفظ الأراضي في حالة مرضية فيهملون تطهير المساقى والمصارف الفرعية . فعالجت هذه الحالة بأن قررت قيام الديوان نفسه بهذا العمل على حساب المستأجرين محافظة على خصوبة الأراضي .

المستوصف العباسى : وقد فتح في أوائل سنة ١٩١١ المستوصف العباسى لمعالجة فقراء المصريين بعد أن قام الديوان بالانفاق على إنشائه ثم قرر مساعدته باعانة سنوية عندما كانت إدارته في يد جمعية المستشفيات والعيادات المجانية المصرية .

ولما لم توفق الجمعية المذكورة لوجود المساعدة من أهل البر بما يضمن لها نفقات هذا المستوصف كان لابد لديوان الأوقاف من أن يقوم بالانفاق عليه . فرأينا أن نضمه لإدارة الديوان في سنة ١٩١٢ وتتكفل بكل نفقاته التى أعانه على الاقتصاد فيها تبرع حضرات الأطباء الأفاضل المشتغلين به من مصريين وأوربيين مجاناً خدمة منهم للإنسانية . وأصبح هذا المستشفى في مقدمة المستوصفات في معالجة مرضى الفقراء .

مسجد مصر الجديدة : في ٤ يونيو دعيت لحضور الاحتفال بافتتاح مسجد مصر الجديدة الذى أسسته شركة واحة عين شمس برياسة البرنس حسين كامل باشا ، وكان فى المدعوين احمد حشمت باشا ناظر المعارف واسماعيل سرى باشا ناظر الأشغال وقاضى مصر وشيخ الجامع الأزهر والمفتى ومستشار الداخلية و ابراهيم فؤاد باشا ويعقوب أرئين باشا .

وابتدأت الحفلة بتلاوة آى القرآن ، ثم وقف بوغوص نوبار باشا فالتى كلمة الشركة بالفرنسية منوهاً فيها بمعاونة الجناب الخديوى للشركة فى مشروعها شاكرآ فيها لسعوه إنابة سمو البرنس حسين فى حفلة الافتتاح ثم عرض لأعمال الشركة فى بناء مساكن للعالم وإنشاء ترام سريع ، وتدرج إلى إنشاء هذا المسجد للمسلمين وهم غالبية سكان مصر الجديدة .

ثم قمت فالتيت كلمة بدأتها بشكر الشركة على اهتمامها بتأسيس هذا المسجد على نسق جميل يناسب جمال أبنيتها ، ورجوت أن يعقب ذلك الاهتمام ماثله بتأسيس معاهد علمية وصناعية . حتى تماثل مصر الجديدة عين شمس القديمة فى شهرتها ، فيطلع عليها العرفان شمس ، ويعيد التاريخ نفسه .

ثم نهض البرنس حسين كامل فافتتح المسجد بكلمة سمعها الحاضرون وقوفاً ،
ثم وقع سموه على محضر فتح المسجد ثم أديرت المرطبات .
وقد صلينا الجمعة في المسجد الجديد .

أول تقرير عن أعمال الديوان : وفي نهاية العام قدمت للجناب العالي تقريراً
صافياً عن ديوان الأوقاف قالت عنه الصحف إنه الأول من نوعه بالنسبة لهذا
الديوان . وقد ذكرت فيه تاريخ ديوان الأوقاف وأسماء الذين تولوا إدارته من
النظار والمديرين وتواريخ تعيينهم ونهايته . ثم شرحت فصول الإيرادات وأبواب
المصروفات بتوسع ودقة في كل ناحية من نواحيه ، وقد كتبت هذا التقرير باللغتين
العربية والفرنسية وودعته على الصحف ومثل الدول وكبار الجاليات والموظفين
الإجانب ليتبين الإصلاح الذي وجد في الديوان وما كان فيه من الداء الذي وصفت
له الدواء بصراحة تامة . ولما تقابلت مع الجناب الخديوي بعدها أبدى لي سروره من
أعمالي وثناءه على هذا التقرير الدقيق ، وما جاء فيه :

مولاي

« إنني أشهد لمن سبقني من المديرين في الأزمان الأخيرة بمجمل الأثر في إدخال
كثير من النظام على هذه المصلحة . غير أن ما وضعوه لم ينتشر بين الجمهور أمره من
وقت لآخر فاستلتم زمام هذا الديوان وأنا على علم بما يدور على الألسنة وما يتقوله
عليه بعض الناس بوجوه مختلفة ربما كان لهم فيها العذر لعدم وقوفهم على جليلة الأمر
ولأنهم يتخيلون في شأنه بعض الغموض في حالته المالية والإدارية .

« فكان أول ما انصرف إليه همي أن أسعى جهدي في كشف الأحوال على وجه
يزيل الشك ويجعل الناقد على بينة من أمره فابتدأت برفع مذكرة عن ميزانية الديوان
لعامنا الحاضر يتبين منها أن الحالة المالية موطدة الدعائم على أحسن نظام فضلاً عن
وجود مبلغ من التقود يربو على الثلاثمائة ألف جنيه في الخزينة .

« وأنا أرفع الآن هذا التقرير الإداري متكفلاً بشرح نظام الديوان وتوضيح
إدارته وأنوّه فيه بكل صراحة عن مواضع النقص الذي يجب سده وما ينبغي أن يبدل
من المساعي في سبيل الإصلاح المطلوب له وما أمكن لي في هذه المدة القصيرة من سبل
البداية في هذا الطريق . وقد أعددت للنشر بعد رفعه إلى مقامكم العالي فاتحة لأمثاله في
الأعوام القادمة إن شاء الله .

نولای

هـ هذا منتهى ما وصلت اليه قدرة العبد الضعيف من الاحاطة بأعمال ديوان
الأوقاف وبسط الكلام في توضيحها بعد أن بينت في كل قسم من أقسام هذا التقرير
وجوه الآراء والأفكار وما تسنى القيام به من تعديل أو تحويل يؤدي إلى حسن الإدارة
ودقة النظام، وأشرت في مواضعه إلى ما انعقدت العزيمة عليه من متابعة السير في تنسيق
الوضع وتوفيق العمل على قدر ما هداني إليه البحث في مدة هذا العام الأول .

و لست أدعى أنني أحطت بكل وجوه البحث والفحص في هذا الزمن القليل
ولكنني على رجاء بأن أتلافى في الأعوام المقبلة ما فاتني في هذا العام إن شاء الله . ولا
أزعم أنني بلغت منتهى الصواب في علاج ما عالجته من الأعمال وإنما يمكنني الجزم
بأنني بذلت قصارى المجهود . فإن كنت أصبحت فهو بعض ما أطلب به نفسي في حسن
الخدمة وأداء الواجب ، وإن كنت قصرت فما هو عن إهمال أو توان . والله يعلم أنني
ما أوردت في عملي ولا أصدرت إلا والاخلاص رائدى وابتغاء وجه المصلحة العامة
قائدى . ولذلك رأيت من المصلحة أن أنشره على الملأ بعد عرضه على سدتكم السنية
ليتناوب الامعان فيه أهل المعرفة والنظر فأقبل منهم بالقبول الحسن والشكر الواجب
ما يمن لهم من الراى السديد والفكر الصائب مما خفى على أمره وقصرت قدرتي عن
بلوغه . فالنصح مقبول والحق متبع ؛ وما دامت النية خالصة فالناس في خدمة المصلحة
سواء والمعمل عليه في إدارة الأمور أن يسترشد فيها برأى أهل الرشاد والهدى وإن عز
ذلك على أهل الغرض والهوى .

والله يطيل بقاء مولانا المليك مصدراً لكل خير يفيض على أمته ويهدينا سواء
السبيل في وجوه خدمتها وخدمته آمين .

العبد الخاضع
مدير الأوقاف
شفيق

مصر في يوم الأحد ١١ مايو سنة ١٩١١

أكبر أنجال السلطان رستاد في مصر نحية ملك إنجلترا :

وصوله للاسكندرية : في الساعة الثانية بعد ظهر يوم ١٩ نوفمبر رؤيت الباخرة (عثمانية) التي تقل حضرة صاحب الدولة والنجاسة أحمد ضياء الدين أفندي ومن معه ، وما ظهرت في مياه النهر حتى خرجت زوارق كثيرة براكيها إلى البوغاز لاستقبال الزائر العظيم ، وفي الساعة الثالثة دخلت الباخرة الميناء ، وكانت الزوارق تحيطها عن بعد ، والمستقبلون يهتفون هتاف الترحيب والدعاء للسلطان ونجله ، وفي الساعة الرابعة وصل الخديو على زرقة الخاص واعتلى الباخرة ، فاستقبله ضياء الدين أفندي وقدم لسموه رجال حاشيته ، وشكره والأمة المصرية وحكومتها لهذه المواطف الكريمة . وكان من المستقبلين أيضاً كامل باشا الصدر الأعظم الأسبق ، وبعدهما هناك الجناح العالي واستراح قليلاً نزل هو وأحمد ضياء الدين أفندي وحاشيته ومعهما كامل باشا الصدر الأسبق في الزورق إلى سراي رأس التين ، مارين بين صفوف زوارق المستقبلين من جواهر الأهلين الذين والوا الحتاف حين مرور الزورق ، وعند وصوله إلى رصيف السراي استقبلهم النظار ورجال المعية السنية وفرقة من الجنود المصرية وأخرى انجليزية ، وصدحت الموسيقى الخديوية ، وأطلقت المدافع إجلالاً وترحيباً ، وصعدوا جميعاً إلى السراي وتناولوا طعام العشاء ، وبعد ذلك استقل عباس مع ضيوفه القطار إلى سراي المنتزه لتخصية الليل .

سفر الخديو والوفد الشاهاني إلى بورسعيد : وفي صبحه يوم ٢٠ منه نزه أحمد ضياء الدين أفندي برفقة الخديو وشاهد جميع محتويات هذه السراي وأعجب بها ، وبعد تناول طعام الغداء استقلا مع حاشيتهما القطار الخاص من المنتزه قاصدين بورسعيد ؛ وكانت المحطات على طول الخط مزينة بالأعلام ، والجوهر محتشدة والعتاف متواصل ، حتى وصل القطار إلى بورسعيد في الساعة الرابعة مساء . وكان في استقبالها البرنس محمد علي باشا وجناب اللورد كاتشتر والسير رجينلد ونجت سردار الجيش وحاكم السودان والسير جون مكسويل قائد الحامية الانجليزية ومحمد محمود سليمان بك محافظ القنال والحكماء وكثيرون غيرهم من كبار الموظفين والوجه والاعيان ، وكان في المحطة بلوكان أحدهما بريطاني والآخر مصري ، لحيا سموها ، وصدحت الموسيقى بالنشيدين العثماني والمصري . وأطلق ٢١ مدفعاً ؛ وقد صافح سمو الخديو

المستقبلين وقدم كثيرين منهم إلى نجل السلطان ثم نزل في رفاص بخارى إلى نخت المحروسة يصحبه الوفد الشاهاني ودولة البرنس محمد على باشا ومحمد سعيد باشا رئيس النظار وحسين رشدى باشا ناظر الخارجية .



(١) ضياء الدين افندى (٢) الخديو (٣) محمد سعيد باشا رئيس النظار (٤) حسين رشدى باشا ناظر الخارجية (٥) جناب بك مدير تشريفات الباب العالي (٦) محمد صادق باشا ياور أول خديوى (٧) احمد صادق بك وكيل الخاصة الخديوية (٨) احمد بك ياور سلطاني (٩) حارف باشا بالدويان التركى (١٠) محمد عزت باشا رئيس ديوان تركى خديوى ومهندار ضياء الدين افندى (١١) طاهر رمزى سر باور خديوى (١٢) رشيد بك وكيل القبوكتخدانية المصرية بالاستانة (١٣) عوفى بك سكرتير الامير (١٤) ثابت بك أنواجى باشى السلطان .

وتناولوا طعام العشاء على المائدة الخديوية وقضى عباس وضيئه الكريم الليلة في المحروسة .

وصول ملك انجلترا وملكتها إلى بور سعيد : في الساعة الخامسة من مساء يوم ٢٠ منه لاحت مدينة ، في عرض البحر بين المدرعات التي تحفرها ، ولما وصلت الميناء تشرف اللورد كتنشر بمقابلة جلالتهما .

استقبالها : وفي صباح ٢١ منه أعلن تشريف جلالة الملك والملكة رسميا ؛ فأطلقت المدافع واصطفت الجنود المصرية والانجليزية لأخذ السلام وعزفت الموسيقى .

وفي الساعة العاشرة والنصف نزل الخديو وضياء الدين افندى وجناب افندى مدير تشريفات الباب العالي والبرنس محمد على باشا ومحمد سعيد باشا وحسين رشدى باشا

وسعيد ذو الفقار باشا السرتشريفاتي ورمزي طاهر باشا السرياور ووطن باشا الباور الخديوي وجميعهم بالملابس العسكرية في زورق بخاري وصعدوا إلى الباشرة مدينة ، فاحتبهم موسيقاها بالسلام الخديوي أولاً ، وبالسلام السلطاني ثانياً ، وبعد التعارف أبلغ ضياء الدين افندي إلى جلالة الملك تحية جلالة والده السلطان ، ثم قدم له مكتوباً رقيقاً منه .

زيارة الملك للخديوي وللأمير ضياء الدين افندي : بعد أن تمت المقابلات بكبار الانجليز وقناصل الدول برح جلالة الملك يحته قاصداً المحروسة . فأدت البحارة السلام وصدحت الموسيقى بالنشيد الملكي . وكان في استقباله الخديوي وضياء الدين افندي والبرنس محمد علي باشا وكبار الحاشية ، فصافح الخديوي وضياء الدين افندي ، ثم جلسوا في بهو الاستقبال وتبادلوا الحديث برهة من الزمن . وبعد ذلك عاد الملك بزورقه إلى يخته .

وفي ظهر هذا اليوم تناول طعام الغداء مع الملك والملكة الخديوي والأمير وجنائي بك والبرنس محمد علي ورئيس النظار وناظر الخارجية وكبار الحاشية وكثتشر وونجت ومكسويل وكذلك المستشاران للمالية والداخلية وقناصل الدول . وبعد تناول الطعام والقهوة دار الحديث بصفة ودية بين الملك والملكة وضيوفهما ، وقد اختلى الملك مع كامل باشا ، ثم ودع جلالتهما الجميع ، ورجع الخديوي وضياء الدين افندي ومن معهما إلى المحروسة .

عود الخديوي وضيوفه إلى القاهرة : بعد تناول طعام العشا يوم ٢١ منه بارح الجميع بورسعيد على القطار الخاص بصفة غير رسمية الساعة ١١ مساء فوصلوا إلى سراي القبة في صباح اليوم التالي ، وزيادة في الحفاوة بضياء الدين افندي لم يشأ عباس أن يحمل إقامة دولته في الأيام القصيرة التي يقضيها بعيداً عنه ، فخصص له جناحاً في سراي القبة مزيناً بالرياش الثمينة الفخمة يرافقه ثابت بك أثراجي باشي السلطان ، وقد اهتمت دولة الوالدة بتنظيم غرفة نومه وكانت ذلك بوجود محمد عزت باشا وزميله محسن بك فوزي . وقد علمت من الأخير أن الفراش كان في غاية الأبهة وأن الغطاء كان مشغولاً بالقصب الحر محلي بالثلوث ، وقيل إن هذا الغطاء كان لسمو الوالدة في عرسها .

سفر جلالة الملك : في فجر الأربعاء ٢٢ منه تحرك اليخت الملكي ليحجاز القنال تتقدمه وتبعه سفن الأسطول المسافرة في حراسته وأطلقت المدافع عند حركة اليخت .

الانعام بنیشان على الأمير : وفي الساعة الخامسة مساءً منه توجه جناب اللورد كتشنر إلى سراى القبة وقُلد دولة ضياء الدين افندى نیشان فكتوريا من الدرجة الأولى ، المهدي اليه من جلالة الملك .

زيارات للأمير : في ٢٣ منه توجه الأمير والخديو وحاشيتهما إلى الأهرام لمشاهدة الآثار وتناول طعام الغداء في الكشك الخصوصي ، وفي مساء هذا اليوم أقام له عباس مأدبة الوداع في سراى عابدين حضرها بعض أفراد العائلة الخديوية وكامل باشا واللورد كتشنر والنظار ونائب القوميسر العثماني وكبار موظفي المعية وغيرهم .

وفي ٢٤ منه زار سموه برقة المهتمندار مساجد آل البيت الشهيرة وجامع محمد علي والرفاعي والسلطان حسن ودار الكتب ودار الآثار العربية ودار الآثار المصرية . وفي نفس هذا اليوم أقامت صاحبة الدولة والعصمة والدة الخديو مأدبة في سرايها بقصر الدوبارة لإكراما لسمو الأمير ومن معه .

سفر الخديو والأمير للاسكندرية : وفي يوم ٢٥ منه بعد الظهر ركب سمو الأمير والخديو وحاشيتهما القطار الخصوصي إلى الاسكندرية فوصلها الساعة ٥ مساء ثم نزل الجميع إلى يّحت المحروسة .

سفر الوفد الشاهاني للاستانة : وفي فجر ٢٦ منه أبحرت المحروسة بالوفد العثماني بعد أن ودع عباس ضياء الدين افندى وحاشيته ، وسافر بمعية الأمير من قبل الجناب العالي حضرات محمد عزت باشا ومحمود بك صادق من رجال المعية ورشيد بك من موظفي الخاصة الخديوية وعارف بك وكيل الديوان التركي الخديوي .

إهداء السلطان صورته لعباس : كان لما لقيه صاحب الدولة ضياء الدين افندى من حقارة الخديو واهتمامه بتوفير وسائل راحته وسروره أثر عظيم في نفس السلطان محمد الخامس ، لذلك أراد أن يعرب عما كان لصنيع ملك مصر مع أكبر أنجاله من حسن الوقوع وجميل الأثر لدى جلالته فتفضل بإهداء صورته الفوتوغرافية لسموه ، وقد ازدادت هذه الصورة الكريمة باسم جلالاته مرقوماً بالألماس على الطراز الكوفي الجليل وهي موضوعة في إطار بديع الصنع ويعلوه التاج الشاهاني من الألماس والياقوت .

أثر الهدية في نفس عباس : قد قابل الخديو هذه العلامة الأبوية بما يليق بمقام

جلالة المتبوع من الاجلال والاحترام ورفع لسدته آيات الشكران على هذه العواطف الكبرى وتلك الرعاية العلية العظمى .

وأذكر أن ثابت بك أنواجي باشي السلطان قام بمساع لزواج ضياء الدين افندى من إحدى كريمات الخديو ولكنها لم تنجح لوجود ذرية من محظية له .

وأذكر أيضا أنى لما تشرفت بمقابلة السلطان رشاد عقب تأليف صدارة الغاوى مختار باشا الائتلافية تبادلنا الحديث أولا عن عباس فأظهر محبته له وسأل عن صحته . ثم انتقلنا الى الكلام عن تأليف الصدارة الجديدة فسألنى السلطان عن رأيى وما يقوله المصريون فيها ، فهنأته وقلت إننا نحن المصريين مسرورون من تشكيلها لأنها تضم اليها نخبة من الصدور الأقدمين ومن بينهم كامل باشا وإننا نسأل المولى التوفيق لهذه الصدارة فى خدمة البلاد ، قال جلالتة : « أنا أعلم أن المصريين مخلصون لنا ، وبمسدها نطق بالآية الآتية نطقاً تركيا : « إنما المؤمنون إخوة » ، وأخيراً التفت إلى ثابت بك الذى كان واقفاً بجانبه وقال : « ما رأيك أنت يا ثابت بك ؟ » فأكثر من المدحج والثناء فى حكمة الخليفة فى هذا الاختيار .

فظهر لى أن السلطان رشاد يعتمد على آراء ثابت بك حتى فى المسائل السياسية

سنة ١٩١٢

الحرب الطرابلسية . موقف مصر منها . البرنس فؤاد . تدخل القديرو .
محادثة ثانية مع سفير إنجلترا بالأسنانة . القديرو والحزب الوطني المؤامرة على حياة
القديرو وكفتنر ومحمد سعيد . اتهام محمد فريد بك للقديرو . مهاجمة الشيخ جابر بن
استقانة سعد باشا وقضيد مع اسماعيل أباظه باشا . كفتنر في مصر . تعليم
خزانه أسوان . بيني وبين الشيخ علي يوسف . أعمال في ديوانه الأوقاف .

الحرب الطرابلسية . منذ زمن كانت إيطاليا تفكر في استعمار طرابلس عند
سنوح الفرصة، فلما أرسلت الدولة العلية بعض الثقلات العسكرية إلى طرابلس أسرع
إيطاليا بإرسال إنداز نهائي بتاريخ ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١ هذا نصه (*) :

ما انفكت الحكومة الايطالية منذ سنين تذكر الباب العالي بضرورة وضع حد
لسوء النظام وإهال الحكومة العثمانية في طرابلس وبنغازي، وبوجوب تمتيع هذه البلاد
بما تتمتع به سائر أقسام إفريقيا الشمالية وهذا التغيير (المشار إليه من حيث تأييد الأمن
وترقية البلاد) الذي يقتضيه التسدن بجعل المصالح الحيوية بحسب ما تستلزمه مصلحة
إيطاليا من أول درجة بالنظر لقصر المسافة الفاصلة بين تلك البلاد وشواطئ إيطاليا .

وبالرغم من حسن مسلك الحكومة الايطالية التي كانت دائماً موالية وعاضدة
لتركيا في كثير من المسائل السياسية في العهد الأخير وبالرغم من اعتدالها وصبرها
حتى الآن، كانت الحكومة العثمانية تجهل رغباتها في طرابلس، وليس ذلك فقط بل إن جميع
مشروعات الطليان في تلك الأصقاع كانت تصادف دائماً مقاومة مطردة لا محتمل .

(*) ولو أن الحرب الطرابلسية بدأت في آخر سبتمبر من السنة الماضية إلا أننا فضلنا وضعها في هذه
السنة حتى يسهل على القراء الاطاعة يباقي الحوادث التي حصلت فيها .

فالحكومة السلطانية التي كانت حتى الآن تبدي عداً دائماً نحو الحركة الإيطالية الشرعية في طرابلس وبنغازي، وما زالت كذلك حتى الساعة الحادية عشرة (يعني حتى الساعة) .

اقترحت على الحكومة الملكية (الطليانية) أن تفاهم معها وأعلنت أنها ميلة أن تمنح أى امتياز اقتصادى يتفق مع المساهدات النافذة ومع شرف تركيا الأعلى ومصالحها، ولكن الحكومة الملكية لا تشعر الآن بأنها فى أحوال موافقة للدخول فى المفاوضة بهذا الموضوع، المفاوضة التي برهن الاختبار الماضى على عدم نفعها وهى لا تشتمل على ضمان للمستقبل ولا تكون إلا سبباً للاحتكاك والنزاع .

ومن جهة أخرى فقد وردت الأخبار إلى الحكومة الملكية من قنصلها فى طرابلس وبنغازي تفيد أن الحالة هناك خطيرة جداً بسبب التحريض العام ضد الرعايا الطليان، التحريض الذى زاده الضباط وسائر موظفي الحكومة؛ فهذا التهييج خطر شديد ليس على الطليان فقط بل على سائر الأجانب على اختلاف جنسياتهم. ولما أصعبوا قلقين على حياتهم شرعوا يهجرون البلاد بلا إبطاء، ووصول الفسالات العسكرية العثمانية إلى طرابلس زاد الحالة خطراً وحرجاً مع أن الحكومة الملكية نهت الحكومة العثمانية إلى نتائج السيئة من قبل. ولهذا تضطر الحكومة الملكية أن تتخذ الاحتياطات اللازمة دفعا للخطر الناجم منه .

ولما وجدت الحكومة الإيطالية نفسها مضطرة إلى الحرص على شرفها ومصالحها قررت أن تحتل طرابلس وبنغازي احتلالاً عسكرياً . هذا هو الحل الوحيد الذى تعول عليه إيطاليا، والحكومة الملكية تنتظر أن الحكومة السلطانية تصدر أوامرها حتى لا تصادف إيطاليا فى الاحتلال معارضة من رجال الحكومة العثمانية، وألا تجد صعوبة فى إنفاذ ما تريد لإنفاذه. وبعد ذلك تتفق الحكومتان على تقرير الحالة اللازمة التى تلى ذلك الاحتلال .

وقد صدرت الأوامر للسفير الإيطالى فى الاستانة أن يلتمس جواباً حازماً فى هذه المسألة من الحكومة العثمانية فى ٢ ساعة منذ تسليمه هذا البلاغ حتى إذا لم تجاب عليه كانت الحكومة الإيطالية مضطرة أن تنفذ المشروعات المدبرة لضمان الاحتلال . ونرجو أن يبلغ جواب الباب العالى المنتظر فى ٢ ساعة لنا عن يد السفير

العثمانى فى رومه .

الامضاء

سان جوليانو

جواب الباب العالى على إنذار إيطاليا : تعرف السفارة الملكية كل المعرفة الظروف التى لم تسمح لطرابلس وبنغازى بأن تتقدم التقدم الموموق . ودرس المسألة بنزعه عن الأغراض يكفى فى الحقيقة لأن يثبت أن الحكومة الدستورية العثمانية لا يجوز اتهامها بحالة هى نتيجة الحكم الماضى . فإذا ظهر ذلك وعدنا إلى تاريخ حوادث السنين الثلاث التى مرت ، يعجز الباب العالى أن يجد ظرفاً واحداً مفرداً ظهر فيه بمظهر العدوان للشروعات الطليانية فى طرابلس الغرب وبنغازى ، بل إنه يجد عكس ذلك أى إن إيطاليا كانت تساعد بما لها ونشاطها الصناعى على إنهاض ذلك الشر من السلطنة اقتصادياً .

وتعتقد الحكومة السلطانية أنها أظهرت دائماً ميلاً حسناً إلى كل مقترحات كانت تقدم لها بهذا المعنى ، بل إنها درست وحلت ودياً كل طلب طلبته السفارة الملكية .

ولا حاجة بنا إلى أن نزيد أنها كانت بذلك تنقاد دائماً لارادتها فى أن تحفظ صلات المداقة والثقة مع حكومة إيطاليا وفى أن تنميتها . وهذه الإرادة الحسنة هى التى دفعنا مؤخراً إلى أن نقتراح على السفارة الملكية اتفاقاً يكون أساسه الامتيازات الاقتصادية التى تفتح مجالاً واسعاً للنشاط الطليانى فى تلك الأقاليم ، على شرط أن يكون حد تلك الامتيازات كرامة السلطنة ومراققتها والمعاهدات النافذة .

بهذا برهنت الحكومة العثمانية على ميولها السلمية دون أن يغيب عنها حفظ العهد التى تربطها بالدول الأخرى ، تلك العهد التى لا يمكن أن يسقط شرط منها بارادة فريق من المتعاقدين .

أما ما يختص بالنظام والأمن فى طرابلس وبنغازى فإن الحكومة العثمانية القادرة جيداً على تفرغ الحالة لا يمكنها إلا أن تؤكد كما فعلت سابقاً أنه لا يوجد أقل سبب داع للخوف على الطليان والأجانب النازلين هناك .

ففى تلك الأقاليم لا يوجد اضطراب ولا تهيج ، ومهمة الضباط وغيرهم من موظفى الحكومة ضبط الأمن وهم يقومون بمهمتهم خير قيام .

أما وصول القالات العسكرية العثمانية إلى طرابلس ، المتمسكة به السفارة لأنها تتوقع منه نتائج خطيرة ، لجواب الباب العالى عليه أنه لم يرسل سوى نقالة واحدة سافرت قبل وصول مذكرة ٢٦ سبتمبر بيضعة أيام ، وزد على هذا أن تلك النقالة لا تحمل جنوداً فلا يمكن أن يكون لوصولها تأثير على افكار الأهالى غير تأثير الهدوء .

فاذا تبين ذلك لا يبقى إلا عدم وجود الضمانة التي تضمن للحكومة الطليانية توسع مصالحها الاقتصادية في طرابلس وبنغازى، فاذا كانت الحكومة الملكية لا تعتمد إلى عمل خطير كالاحتلال العسكري فإن الباب العالى عاقد النية على إزالة هذا الخلاف والحكومة السلطانية تطلب من الحكومة الملكية أن تبين لها نوع الضمانات المطلوبة، فهي توافق عليها إذا لم تمس الأملاك، وهي تتعهد ألا تغير شيئاً من الحلة الحاضرة أثناء المفاوضات، من حيث الهيئه العسكرية في طرابلس وبنغازى، ولها الأمل أن الحكومة الملكية توافق الباب العالى على أمياله الحسنة.

الاستانة في ٢٩ سبتمبر ١٩١١

استغاثة السلطان بملوك أوروبا : وقد استغاث السلطان بملوك أوروبا ، فرد ملك الانجليز مهرباً عن أسفه لعدم استطاعته التدخل ، وأجاب امبراطور ألمانيا بأنه أصدر تعليمات لسفيره ليتوسط في الأمر ؛ ولكن انفراد ألمانيا جعل وساطتها غير مجدية .

موقف مصر منها . وقد كان موقف مصر الرسمي من هذه الحرب هو موقف الحباذ حسب إشارة انجلترا ، وقد أبدل بالمأمورين المصريين في الحدود الغربية انجليز . ومنع أهالي المغرب من الدخول للأراضي المصرية ، وأعدت الزوارق التابعة لمصلحة خفر السواحل لمراقبة الحدود الغربية والشرقية حتى قطعت التجارة الطرابلسية المصرية وردت كل قافلة تجارية آتية من تلك البلاد .

أما موقف الشعب المصري فكان موقف المعاضد لتركيا فشكلت اللجان بكثير من أنحله البلاد لجمع التبرعات للدولة العلية ، ففي ١٤ أكتوبر سنة ١٩١١ شكلت لجنة عليا برئاسة الأمير عمر طوسن ، وبلغت قائمة التبرعات الأولى ١٦٩٢ جنيناً والثانية ٣١٣٧ جنيناً ثم توالى التبرعات من جميع النواحي حتى بلغت في أول يناير مبلغ ٨٥٤٦٨ جنيناً ، أخذت تزداد كل يوم .

وتألفت جمعية الهلال الأحمر برئاسة الشيخ على يوسف وقررت تأليف عدة مستشفيات ميدان ، وسافرت البعثة الأولى يوم ٧ نوفمبر سنة ١٩١١ ، كما سافرت ثلاث بعثات يوم ١٤ ديسمبر ، وتوالى البعثات الطبية .

وفي ١٨ يناير سنة ١٩١٢ أعدت سوق خيرية في حديقة الأزبكية لقبول تبرعات المترعين الهلال الأحمر تحت رعاية دولة الوالدة . وضربت عليها السراقات والزينات

البديعة وعرضت في السوق معروضات من بعض المحال التجارية وخصصت أرباحها للجمعية . وقد توالى التبرعات بالحلى والجواهر والأواني الفضية والذهبية من أميرات البيت الحديوى وحرَم الكبراء والعظماء وسواهم .

مظاهرات الأهالى : وقد كان الشعور لدى الأهالى بالغأ حد الانتباه لكل حركات الحرب وتفصيلاتها ، ووردت الأنباء مبدئياً بانتصار الأتراك . فقامت مظاهرة ابتهاج في الاسكندرية ، فمر ذلك على الجالية الايطالية فيها فاشتبكت مع المتظاهرين وأطلق بعضهم عيارات نارية أصابت المصريين وانتهى الحادث قبل استفحاله .

مجهودات عزيز المصرى بك والأستاذ عبد الرحمن عزام : وقد اشترك في هذه الحرب من المصريين عزيز المصرى بك ، وكان قائداً في بنغازى ، والأستاذ عبد الرحمن عزام ، وكانت لهما جهود كبيرة في تأليف الجيوش والجهاد .

كتشنر وسياسته مع المصريين : في أوائل هذه الحرب ذهب وفد من كبار المسلمين إلى اللورد كتشنر وطلبوا منه إرسال بعض أورط من الجيش المصرى لمساعدة الأتراك ، فأجابهم قائلاً : « هذه فكرة صائبة ولكن لما كان من الصعب أن نجد جنوداً آخرين ليحلوا محل الجنود المطلوب سفرهم ، فاني سأعطر في هذه الحالة لأن أطلب من حكومتى أن ترسل لمصر جنوداً من الانجليز ، فانصرف الوفد دون إلحاح .

وفي ذات يوم ذهب أيضاً جماعة من الضباط المصريين وطلبوا منه السماح لهم بالتطوع في الجيش التركى ، فقال لهم : « لا أرى مانعاً من إجابة هذا الطلب ، ولكننى أقول لكم مقدماً بأنكم إذا سافرتهم فن الضرورى ملء مرا كركم في الجيش بصغار الضباط فعند عودتكم تجدون أنفسكم بطبيعة الحال في كشف الاستبداد »

وجاء أيضاً وفد من مشايخ العربان واستأذنه في جمع المتطوعين لكى ينضموا إلى الجيش التركى ، فقال لهم إنه يهتفهم على ما أظهروه من الشجاعة واليسالة بتقديم هذا الطلب ، ولكن من الحرام أن تفقد مصر رجالاً مثلهم ذوى شجاعة ويسالة فان حكومة مصر ستعطر عند عودتهم أن تطبق عليهم قانون القرعة العسكرية المعافين منه إلى الآن ، وبعد المشاورة انصرفوا من عنده ولم يرجعوا إليه مرة ثانية ، وبذلك تخلص اللورد من إجابة هذه الطلبات تخلصاً من مسئولة حياد مصر .

جيوش السنوسى : وفي ١٤ يناير جاءت الأنباء بأن السيد احمد الشريف السنوسى

وإخوته يؤلفون الجيوش إلى ميدان القتال تحت قيادتهم الشخصية ، وقد نشروا الدعوة لكافة مشايخ القبائل والزوايا والمجاهدين . وفي أول أبريل وصل السنوسي بجيشه إلى جنوب .

الفرنسي فؤاد . راجت إشاعات عن البرس فؤاد باشا في المسألة الطرابلسية تلخص في أن ملك إيطاليا وعده بامارة طرابلس بعد احتلالها ، وأنه بسبب هذا الوعد عمل على التقريب بين سمو الخديو وجمالة ملك إيطاليا ، فتمت زيارة الخديو لإيطاليا في العام الماضي يرافقه البرنس ؛ وقد رددت هذه الإشاعات بعض الصحف الفرنسية والألمانية فارسل البرنس تكذيبات لها نشرت في ١٠ يناير سنة ١٩١٢ .

تذبذب الخديو . وقد سهل الخديو في أول الأمر إرسال الاعانات والبعثات ومنها ما كان يحمل مدافع مفككة وسلاحاً وذخيرة ومؤونة بعد أن أرسل رشدي باشا إلى كتشنر للتفاهم معه قبل منح التسهيلات اللازمة بدون مسئولية عليه أو على حكومته . ولما توالى انتصارات الإيطاليين في طرابلس في الأشهر الأخيرة من الحرب ، وتغير موقف الخديو ، عاد فطلب من كتشنر بواسطة حسين رشدي باشا وقف المساعدات ، فامتنع عن اتخاذ خطة صريحة بذلك بعد ما سمح بإرسالها أولاً ، وانتهى الأمر بأن يقال إن البعوث الأخيرة ضلت الطريق وقد منعت بعوث الهلال الأحمر العائدة من الدخول بالمرضى .

عبد الحميد بك شديد ومهمته (*) : وأرسل الخديو عبد الحميد بك شديد للسيد إدريس السنوسي ليغريه بالانساق مع إيطاليا حسماً للحرب على أن يسعى الخديو في الحصول له على امتياز من إيطاليا وتعيينه رئيساً على السنوسيين بدلا من عمه الشيخ أحمد السنوسي الكبير ؛ وفي نظير ذلك يتحصل سموه على وعد بمبيع سكة حديد مريوط لاحد بنوك إيطاليا بمن يرضيه . ولكن المساعي التي كان عباس يبدل الجهد فيها للوصول إلى ذلك قد فشلت ، لأن كتشنر ضربها ضربة قاضية .

التحرير والحزب الوطني . منذ عامين والجفاء يشتد بين الخديو والحزب الوطني ، وقد ورد شيء من ذلك في مذكراتي في السنين الماضية .

وفي ١٩ يناير من هذا العام أقيمت حفلة لرعاية الأطفال بدار الأوبرا تحت

(*) وقد طلبت من عبد الحميد بك شديد بعض تفصيلات عن مهمته ولكنه اعتذر بمرضه .

رعاية سمو الخديو وحضرها مندوب من قبل سموه ، وقد حدث عند دخول المندوب وعزف الموسيقى بالنشيد الخديوى أن وقف جميع الحاضرين حسب المعتاد ما عدا محمد فريد بك رئيس الحزب الوطنى ، مما استرعى أنظار الحاضرين جميعاً .

ولما كانت هذه هى الحادثة الأولى من نوعها ، فتناقلتها الألسن والصحف ، وكانت لها ضجة فى داخل السراى .

وقد خاطب حسين رشدى باشا فريد بك فى هذا الشأن فأجابه بأن ليس هناك قانون يحتم عليه الوقوف .

وكانت هذه الظاهرة بمثابة إعلان حرب عدائية على الخديو ، والخروج على الاحترام اللائق به .

الحض على كراهة الحكومة : وفى ٢٦ مارس اجتمعت الجمعية العمومية للحزب الوطنى فألقى محمد فريد بك خطبة نارية ، اعتبرتها النيابة حضاً على كراهة الحكومة ، فأخذت فى محاكمته .

وقد كان سعد زغلول باشا ناظراً للحقانية فلم يؤخذ رأيه فى هذه المحاكمة فاستقال من النظارة (كما سيحىء ذلك بالتفصيل) .

وفى يوم ٣٠ أبريل نظرت القضية أمام عكتم الجنائيات متهماً فيها محمد فريد بك بالحض على كراهة الحكومة والدعوة للثورة ولم يكن حاضراً ، وعلى اسماعيل حافظ مدير العلم ، وعلى فهمى كامل الحارس القضائى للجريدة اللواء لنشر الخطبة فى جريدتهما .

وقد مثل النيابة محمد زكى الابراشى افندى ، وترافع عن المتهم الثانى عبد العزيز فهمى بك وعن الثالث محمود ابو النصر بك . وحكمت المحكمة بالحبس سنة مع الشغل على فريد بك وبالحبس البسيط ثلاثة أشهر على كل من الثانى والثالث .

المؤامرة على القديمو وكنتشنر ومحمد سعيد : وفى أول أغسطس قبض البوليس على ثلاثة شبان وهم محمد عبد السلام وإمام واكد ومحمود طاهر العربى بتهمة المؤامرة على حياة الخديو وكنتشنر ومحمد سعيد ، وقد كان تدبير القبض عليهم من فليبيدس مأمور إدارة الضبط بالقاهرة .

ونظرت القضية فى ١١ أغسطس وحضر للدفاع عن المتهمين ابراهيم الهلباوى بك ومصطفى الشوربجى افندى وعبد الوهاب افندى البرعى .

وكانت الجلسة برئاسة على ذى الفقار باشا وعضوية احمد موسى بك ومحمد توفيق رفعت بك .

وتولى الاتهام عبد الخالق ثروت باشا النائب العام ؛ وقد أنكر المتهمون التهمة الموجهة إليهم .

وفي ١٢ أغسطس أصدرت المحكمة حكمها بالسجن مع الأشغال الشاقة ١٥ سنة على إمام واكد ، وبالسجن مع الشغل ١٥ سنة كذلك على محمود طاهر العربي ومحمد عبد السلام .

اتهمهم فريد بك للحمديو : في يوم ٢٠ أغسطس نشر محمد فريد بك في جريدة السيكل الفرنسية مقالا يتهم فيه الحمديو بالعمل ضد عرش الخلافة وحسد كيان الدولة بالاتفاق مع إنجلترا نظير اعترافه بالحماية سراً .

وأن الغرض من هذه المساعي ضم برقة وسوريا وبلاد العرب لمصر وتنصيب عباس خليفة عليها خاضعاً للإنجليز ، وأنه يستعين بعلباء الأزهر وبعض مشايخ الزوايا والتكايا ويرسلهم برسائل خاصة إلى اليمن والعسير ليثروا روح العصيان .

ولكى يتسنى تثقيف رسل تتوفر فيهم الكفاءة لنشر هذه الدعوة ، كلف الشيخ محمد رشيد رضا بتأسيس مدرسة خاصة في القاهرة باسم مدرسة الدعوة والارشاد ، ولهذه المدرسة فرع في باريس باسم جمعية تنشيط العلوم العربية تحت رئاسة طالب ينفق عليه الحمديو .

وقد ندب الشيخ رشيد رضا عقب تنظيم المدرسة من لدن رؤسائه (الحمديو وأنصاره) للذهاب إلى الهند لحضور مؤتمر إسلامي في لكناو ، لينصح للمسلمين بالخضوع للإنجليز ويطرى الحمديو وحكومته في مصر ، ويمنع الاكتتابات للعثمانيين في طرابلس ففشل في مهمته (*)

ثم إن مصلحة المخابرات التابعة لنظارة الحربية المصرية تبث جواسيسها في سوريا لنشر هذه الفكرة وأكثر رسلاً من السوريين .

(*) مع اتصالاتي الشديد بالسرائي وما يدور فيها فائق لم أسمع عن هذه التديرات التي ذكرها محمد فريد بك خاصة بسى الحمديو للخلافة تحت الحماية الانجليزية أما فيما يخص بمدرسة الدعوة والارشاد فاني أعلم أنها أنشئت لغاية سامية جذبتها وساعدتها وهي الدعوة الدينية الخالصة وقد تخرج فيها بعض نوابغ المسلمين ومنهم السيد محمد الحسيني مفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي الأعلى .

وقد أعقب فريد بك هذه المقالة بمقالين آخرين في ٥ و ١٠ سبتمبر فيها تأكيد وتفصيل لما ورد بالمقالة الأولى، وختما بقوله :

« وقد رغبت في نشر هذه البيانات لأمادة اللثام عن هذه الدسائس أمام العالم المتمدنين ، ولأحذر الدول ذات الشأن من الأعمال التي يقوم بها عباس الثاني لإرضاء لطمع شخصي يحاول به أن يزعر توازن العالم بوضع الخلافة في يد إنجلترا ، فيجب على فرنسا هذه الدولة ذات المستعمرات الإسلامية الكثيرة أن تراقب الحالة عن كثب . » وبعد ظهور هذه المقالات أخذ بعض أعضاء الحزب الوطني - بمساعي الحديوي وتأثيره - يطلبون عزل محمد فريد بك من رئاسة الحزب، وطلبوا انعقاد اللجنة الإدارية للحزب لمحاكمته ، فعارض في هذا على فهمي كامل بك .

وأخيراً عقدت اللجنة وقررت استنكار مقالات فريد بك ، ولكن لم ينشر هذا القرار في الصحف ؛ فاستقال بعض الأعضاء ومنهم على المنزلاوى بك ومحمود فهمي سكرتير الحزب .

وفي ٢٠ سبتمبر نشرت « الأهرام » برقية أرسلها فريد بك لعلي فهمي كامل بك وكيل الحزب باستقالته لاضطراره للبقاء خارج القطر ، وطلب أن تعرض الاستقالة على الجمعية العمومية للحزب دون غيرها ؛ وذلك نظراً لما بلغه عن مساعي الحديوي مع أعضاء اللجنة الإدارية .

محاكمة الشيخ جاويش : وفي يوم ٢٤ أغسطس ضبط بوليس جمر ك الاسكندرية مع الشاب « احمد مختار » القادم من الاستانة حقيبته بها منشورات ثورية مطبوعة في مطبعة المهلال العثماني التي يصدرها الشيخ عبد العزيز جاويش ، تتضمن قدحا شديداً في الحديوي ، ودعوة لتأسيس الجمعيات السرية للفتك والاعتقال . وظهرت في الوقت نفسه منشورات ثورية في الاسكندرية وطنطا .

وتكررت المقالات المثيرة في اللواء والعلم فصدر أمران باغلاقهما : الأول يوم ٣١ أغسطس والثاني يوم ٧ نوفمبر ، بعد إنذارهما مرتين .

وقد قبض في الاستانة على الشيخ جاويش وأحضر للاسكندرية يوم ٨ منه فكتب فريد بك في جريدة السيكل ينتقد حكومة الاستانة لتسليمها رجلا متهماً بتهمة سياسية لحصومه ، مخالفة في ذلك جميع التقاليد الدولية .

وقد حوكم الشيخ جاويز وحفظت القضية بالنسبة له في ١٩ أكتوبر لعدم كفاية الأدلة .

استقالة سعد باشا : في أواخر يناير من هذا العام جرى حديث بين سعد باشا ناظر الحقانية ومندوب جريدة الأخبار نفي فيه الإشاعات التي تناقلتها الصحف عن قرب استقالته من الحقانية .

ولكن في أول أبريل ، بعد الشروع في محاكمة محمد بك فريد بتهمة تخريبه على كراهة الحكومة ، دون استشارة سعد باشا ، قدم استقالته للخديو مبنية على أنه لم يوفق لرضا سموه في الظروف الحاضرة .

وقد قبلت الاستقالة ، وصدر الأمر لجسرين رشدي باشا بالقيام بعمله ، ثم عين نهائياً يوم ١٤ منه .

وفي ٦ أبريل نشر مقال بالأهرام بتوقيع « عارف » جاء فيه :

« إن سعد باشا من مدة قريبة كان يقول : « لن أفتكر ولن أفكر في الاستقالة مادمت قائماً بواجباتي نحو أمتي وبلادي » ،

ثم قال إن بعض الناس يقولون عن سعد باشا إنه متصلب خشن والقضاء في حاجة لتصلبه وخشوته . أما أنا فأقرر أنه إذا كان صلباً خشناً فهو كذلك من لين ، يميل عند الضرورة للخضوع والتسليم ، بدليل تصيمه على عدم الاستقالة ، ثم استقالته الآن .

ثم أخذ يتكلم عن سبب استقالته ، وبعد أن وجه عدة غمزات شديدة لسعد باشا في أخلاقه قال :

« إن بعض أخصائه ذكر أن سعادته روى في مقام من المقامات العالية عبارة تمس بأمانته وكرامة رجل من كبار موظفي الحكومة ، وكان يعتقد أنه إنما يخدم أتمته وبلاده بما روى ، ولكنه يظهر أن الدهر لم يسعد سعد باشا في هذه الدفعة حيث جنى عليه اجتهداه ، وتبادر إلى الأذهان أن سعادته يريد بهذا العمل إيقاع النفرة بين مقامين من قادة الأمة ، ومن مصلحة البلاد تمكين عرا الوفاق وحسن التفاهم بينهما ، وتربت على ذلك مطالبة سعد باشا بأبواب ما صدر عنه في هذا الشأن ، ولكنه عجز ؛ وسرعان ما تزعزعت الثقة في مروياته من نفس السلطة الفعلية . أما السلطة الشرعية فيقال إنها

قد ازدادت اقتناعاً بأن ساعة استقالة سعد باشا إذا لم تكن قد حانت من زمن فانها قد حانت .

ثم ذكر أن سعد باشا لم يرد الاستقالة وقتذاك ، وانتظر أن تأتي فرصة أخرى ليخرج بمناسبة شريفة .

وأنه ، وقد فقد السلطة الفعلية ، أراد التقرب للسلطة الشرعية ، ووسط بعض أصهار العائلة الحديوية ، فلم تنتج الوساطة ، وأخيراً قدم استقالته .

وذكر أن مساعده سلم صورة الاستقالة لمستشار الحقانية لتسليمها لكنتشنر مشفوعة بعبارة مفادها : « لقد ضحيت منى لأرضاء الجناب الحديوى ، وأن اللورد رد على ذلك شفوياً بأنه قد علم بقبول الاستقالة ، وأنه ينظر إلى هذا القبول بعين الارتياع ، وإنه إن كان قد ضحاه كما يقول فما عمل هذا إلا لإرضاء للصالح العام .

وبعد ذلك أخذ يشرح أسباب تولية سعد النظارة في عهد كرومر فذكر أن اللورد أراد بها تقوية مركزه بعد حادثة دنشواى ، لما كان مشهوراً عن معارضة سعد للحكومة والسياسة الانجليزية ، فكان تعيينه إرضاء للوطنيين ، وثناؤه على الانجليز وسيلة لتقوية مركز المعتمد في إنجلترا .

ثم دارت الأيام واتفقت السلطان فلم يبق ما يدعو لخدمات سعد باشا ، فهو قد دخل النظارة للشقاق والنزاع وتركها للوفاق والسلام .

وقد أرسل سعد باشا من مسجد وصيف برقية للصحف نفي فيها ما جاء بمقال عارف ، وخصوصاً ما يتعلق بالالتجاء إلى أحد أصهار العائلة الحديوية ، وبارسال الاستقالة إلى كنتشنر .

وذكر أنه مستعد لظهار الحقيقة في ذلك كله إذا كشف العارف عن اسمه ، وصرح بأنه مأذون في نشر ما رواه لأن بيان الحقيقة يستلزم إفشاء أسرار يقضى الواجب بكتمتها إلا إذا أذن أصحاب الشأن صراحة أو ضمناً بإفشافها .

وبعد ذلك أخذت الصحف تخوض حول هذا الموضوع وتملأ كثيراً من أعمدتها بالمناقشة والردود .

وفي ١١ أبريل نشرت « الأهرام » أن « عارف » فوض إليها نشر لسمه إذا طلبته إحدى المحاكم الأهلية أو المختلطة أو نيابة إحداهما ، وأنها أبليت سعد باشا ذلك .

أكبر أنجال السلطان رتاد في مصر لتحية ملك إنجلترا :

وصوله للاسكندرية : في الساعة الثانية بعد ظهر يوم ١٩ نوفمبر رؤيت الباخرة (عثمانية) التي تقل حضرة صاحب الدولة والنجاة أحمد ضياء الدين أفندي ومن معه ، وما ظهرت في مياه النهر حتى خرجت زوارق كثيرة براكبها إلى البوغاز لاستقبال الزائر العظيم ، وفي الساعة الثالثة دخلت الباخرة الميناء ، وكانت الزوارق تحيطها عن بعد ، والمستقبلون يهتفون هتاف الترحيب والدعاء للسلطان ونجله ، وفي الساعة الرابعة وصل الحديو على زورقه الخاص واعتلى الباخرة ، فاستقبله ضياء الدين أفندي وقدم لسموه رجال حاشيته ، وشكره الأمة المصرية وحكومتها هذه المعاطف الكريمة . وكان من المستقبلين أيضاً كامل باشا الصدر الأعظم الأسبق ، وبعدهما هناك الجناب العالي واستراح قليلاً نزل هو وأحمد ضياء الدين أفندي وحاشيته ومعهما كامل باشا الصدر الأسبق في الزورق إلى سراي رأس التين ، مارين بين صفوف زوارق المستقبلين من جماهير الأهاليين الذين والوا الهتاف حين مرور الزورق ، وعند وصوله إلى رصيف السراي استقبلهم النظار ورجال المعية السنية وفرقة من الجنود المصرية وأخرى إنجليزية ، وصدحت الموسيقى الحديوية ، وأطلقت المدافع إجلالاً وترحيباً ، وصعدوا جميعاً إلى السراي وتناولوا طعام العشاء ، وبعد ذلك استقل عباس مع ضيوفه القطار إلى سراي المنزه لتحية الليل .

سفر الحديو والوفد الشاهاني إلى بورسعيد : وفي صبيحه يوم ٢٠ منه تنزه أحمد ضياء الدين أفندي برفقة الحديو وشاهد جميع محتويات هذه السراي وأعجب بها ، وبعد تناول طعام الغداء استقلا مع حاشيتهما القطار الخاص من المنزه قاصدين بورسعيد ؛ وكانت المحطات على طول الخط مزينة بالأعلام ، والجوهر محتشدة والهتاف متواصل ، حتى وصل القطار إلى بورسعيد في الساعة الرابعة مساءً . وكان في استقبالها البرنس محمد علي باشا وجناب اللورد كيتشنر والسير رجينلد ونجت سردار الجيش وحاكم السودان والسير جون مكسويل قائد الحامية الانجليزية ومحمد محمود سليمان بك محافظ القنال والحكماء وكثيرون غيرهم من كبار الموظفين والوجوه والأعيان ، وكان في المحطة بلوكان أحدهما بريطاني والآخر مصري ، تحيا سموها ، وصدحت الموسيقى بالتشديد العثماني والمصري . وأطلق ٢١ مدفعاً ؛ وقد صافح سمو الحديو

المستقلين وقدم كثيرين منهم إلى نجمل السلطان ثم نزل في رفاص بخارى إلى نخت المحروسة يصحبه الوفد الشاهاني ودولة البرنس محمد علي باشا ومحمد سعيد باشا رئيس النظار وحسين رشدى باشا ناظر الخارجية .

١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦



٥ ٢ ١ ٣ ٤

(١) ضياء الدين افندى (٢) الخديوى (٣) محمد سعيد باشا رئيس النظار (٤) حسين رشدى باشا ناظر الخارجية (٥) جنائى بك مدير تشريفات الباب العالي (٦) محمد صادق باشا ياور أول خديوى (٧) احمد صادق بك وكيل الخاصة الخديوية (٨) احمد بك ياور سلطانى (٩) عارف باشا بالدويان التركى (١٠) محمد عزت باشا رئيس ديوان تركى خديوى ومهندار ضياء الدين افندى (١١) طاهر رمزى سرباور خديوى (١٢) رشيد بك وكيل القبول كندائية المصرية بالاسنانة (١٣) عوفى بك سكرتير الامير (١٤) ثابت بك أنواجى باشى السلطان .

وتناولوا طعام العشاء على المائدة الخديوية وقضى عباس وضيئه الكريم الليلة فى المحروسة .

وصول ملك انجلترا وملكتها إلى بور سعيد : فى الساعة الخامسة من مساء يوم ٢٠ منه لاحت مدينة ، فى عرض البحر بين المدرعات التى تحضرها ، ولما وصلت الميناء تشرف اللورد كيتشنر بمقابلة جلالتهما .

استقبالها : وفى صباح ٢١ منه أعلن تشريف جلالة الملك والملكة رسميا ؛ فأطلقت المدافع واصطفت الجنود المصرية والانجليزية لآخذ السلام وعزفت الموسيقى .

وفى الساعة العاشرة والنصف نزل الخديوى وضياء الدين افندى وجنائى افندى مدير تشريفات الباب العالي والبرنس محمد علي باشا ومحمد سعيد باشا وحسين رشدى باشا

وسعيد ذو الفقار باشا السرتشريفاتي ورمزي طاهر باشا السرياور ووطن باشا الياور الخديوي وجميعهم بالملابس العسكرية في زورق بخاري وصعدوا إلى الباخرة بمدينة، لحيتهم موسيقاها بالسلام الخديوي أولاً، وبالسلام السلطاني ثانياً، وبعد التعارف أبلغ ضياء الدين أفندي إلى جلالة الملك تحية جلالة والده السلطان، ثم قدم له مكتوباً رقيقاً منه.

زيارة الملك للخديوي وللأمير ضياء الدين أفندي : بعد أن تمت المقابلات بكبار الإنجليز وقناصل الدول برح جلالة الملك يحته قاصداً المحروسة . فأدت البحارة السلام وصدحت الموسيقى بالنشيد الملكي . وكان في استقباله الخديوي وضياء الدين أفندي والبرنس محمد علي باشا وكبار الحاشية ، فصافح الخديوي وضياء الدين أفندي ، ثم جلسوا في جو الاستقبال وتبادلوا الحديث برهة من الزمن . وبعد ذلك عاد الملك بزورقه إلى يحته .

وفي ظهر هذا اليوم تناول طعام الغداء مع الملك والملكة الخديوي والأمير وجنائي بك والبرنس محمد علي ورئيس النظار وناظر الخارجية وكبار الحاشية وكثيرون ونجحت ومكسويل وكذلك المستشاران للمالية والداخلية وقناصل الدول . وبعد تناول الطعام والقهوة دار الحديث بصفة ودية بين الملك والملكة وضيوفهما ، وقد اختلى الملك مع كامل باشا ، ثم ودع جلالتهما الجميع ، ورجع الخديوي وضياء الدين أفندي ومن معهما إلى المحروسة .

عود الخديوي وضيوفه إلى القاهرة : بعد تناول طعام المشا يوم ٢١ منه بارج الجميع بورسعيد على القطار الخاص بصفة غير رسمية الساعة ١١ مساء فوصلوا إلى سراي القبة في صباح اليوم التالي ، وزيادة في الحفاوة بضياء الدين أفندي لم يشأ عباس أن يجعل إقامة دولته في الأيام القصيرة التي يقضيها بعيداً عنه ، فخصص له جناحاً في سراي القبة مزيناً بالرياش الثينة الفخمة يرافقه ثابت بك أنواجبي باشي السلطان، وقد اهتمت دولة الوالدة بتنظيم غرفة نومه وكانت ذلك بوجود محمد عزت باشا وزميله محسن بك فوزي . وقد علت من الأخير أن الفراش كان في غاية الأبهة وأن الغطاء كان مشغولاً بالقصب الحرّ محلي باللؤلؤ، وقيل إن هذا الغطاء كان لسمو الوالدة في عرسها .

سفر جلالة الملك : في فجر الأربعاء ٢٢ منه تحرك اليخت الملكي ليبحر القنال تتقدمه وتبعه سفن الأسطول المسافرة في حراسته وأطلقت المدافع عند حركة اليخت .

الانعام بنيشان على الأمير : وفي الساعة الخامسة مساء منه توجه جناب اللورد كتشنر إلى سراى القبة وقلد دولة ضياء الدين افندى نيشان فكتوريا من الدرجة الأولى ، المهدي اليه من جلالة الملك .

زيارات للأمير : في ٢٣ منه توجه الأمير والحديو وحاشيتهما إلى الأهرام لمشاهدة الآثار وتناول طعام الغداء في الكشك الخصوصي ، وفي مساء هذا اليوم أقام له عباس مأدبة الوداع في سراى عابدين حضرها بعض أفراد العائلة الحديوية وكامل باشا واللورد كتشنر والنظار ونائب القومسيير العثماني وكبار موظفي المعية وغيرهم .

وفي ٢٤ منه زار سموه برفقة المهمندار مساجد آل البيت الشهيرة وجامع محمد على والرفاعي والسلطان حمن ودار الكتب ودار الآثار العربية ودار الآثار المصرية . وفي نفس هذا اليوم أقامت صاحبة الدولة والمعصمة والدة الحديو مأدبة في سرايها بقصر الدوبارة لإكراما لسمو الأمير ومن معه .

سفر الحديو والأمير للاسكندرية : وفي يوم ٢٥ منه بعد الظهر ركب سمو الأمير والحديو وحاشيتهما القطار الخصوصي إلى الاسكندرية فوصلها الساعة ٥ مساء ثم نزل الجميع إلى يخط المحروسة .

سفر الوفد الشاهاني للاستانة : وفي فجر ٢٦ منه أبحرت المحروسة بالوفد العثماني بعد أن ودع عباس ضياء الدين افندى وحاشيته ، وسافر بمعية الأمير من قبل الجناب العالي حضرات محمد عزت باشا ومحمد بك صادق من رجال المعية ورشيد بك من موظفي الخاصة الحديوية وعارف بك وكيل الديوان التركي الحديوي .

إهداء السلطان صورته لعباس : كان لما لقيه صاحب الدولة ضياء الدين افندى من حفاوة الحديو واهتمامه بتوفير وسائل راحتته وسروره أثر عظيم في نفس السلطان محمد الخامس ، لذلك أراد أن يعرب عما كان لصنيعه ملك مصر مع أكبر أنجاله من حسن الوقوع وجميل الأثر لدى جلالاته فتفضل بإهداء صورته الفوتوغرافية لسموه ، وقد ازدانت هذه الصورة الكريمة باسم جلالاته مرقوماً بالأماس على الطراز الكوفي الجليل وهي موضوعة في إطار بديع الصنع ويعلوه التاج الشاهاني من الأماس والياقوت .

أثر الهدية في نفس عباس : قد قابل الحديو هذه العلامة الأبوية بما يليق بمقام

جلالة المتبوع من الاجلال والاحترام ورفع لسدته آيات الفكران على هذه العواطف الكبرى وتلك الرعاية العلية العظمى .

وأذكر أن ثابت بك أثوابى باشى السلطان قام بمساع لزواج ضياء الدين افندى من إحدى كريمات الخديو ولكنها لم تنجح لوجود ذرية من محظية له .

وأذكر أيضا أنى لما تشرفت بمقابلة السلطان رشاد عقب تأليف صدرة الغازى مختار باشا الائتلافية ببادلنا الحديث أولا عن عباس فأظهر محبته له وسأل عن صحته . ثم انتقلنا الى الكلام عن تأليف الصدرة الجديدة فسألنى السلطان عن رأى وما يقوله المصريون فيها ، فهنأته وقلت إننا نحن المصريين مسرورون من تشكيلها لأنها تضم اليها نخبة من الصدور الأقدمين ومن بينهم كامل باشا وإننا نسأل المولى التوفيق لهذه الصدرة فى خدمة البلاد ، قال جلالتة : « أنا أعلم أن المصريين مخلصون لنا ، وبعدها نطق بالآية الآتية نطقاً تركياً : « إنما المؤمنون إخوة » ، وأخيراً التفت إلى ثابت بك الذى كان واقفاً بجانبه وقال : « ما رأيك أنت يا ثابت بك ؟ » فأكثر من المدح والثناء فى حكمة الخليفة فى هذا الاختيار .

فظهر لى أن السلطان رشاد يعتمد على أراء ثابت بك حتى فى المسائل السياسية

سنة ١٩١٢

الحرب الطرابلسية . صوف مصر منها . البرنسي فؤاد . تدخل الخديو .
مهادثاني مع سفير إنجلترا بالأسنانة . الخديو والحزب الوطني المؤامرة على حياة
الخديو وكنتشر ومحمد سعيد . انهمام محمد فريد بك الخديو . محاكمة الشيخ جابوش .
استقالة سعد باشا وقضيت مع اسماعيل أباظه باشا . كنتشر في مصر . تعلية
غزاه أسوان . بين وبين الشيخ على يوسف . أعمال في ديوانه الأوقاف .

الحرب الطرابلسية . منذ زمن كانت إيطاليا تفكر في استثمار طرابلس عند
سوح الفرصة، فلما أرسلت الدولة العلية بعض النقالات العسكرية إلى طرابلس أسرع
إيطاليا بإرسال إنذار نهائي بتاريخ ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١ هذا نصه (*) :

ما انفكت الحكومة الإيطالية منذ سنين تذكر الباب العالي بضرورة وضع حد
لسوء النظام وإهمال الحكومة العثمانية في طرابلس وبنغازي . وبوجوب تمتيع هذه البلاد
بما تتمتع به سائر أقسام إفريقيا الشمالية وهذا التغيير (المشار إليه من حيث تأييد الأمن
وترقية البلاد) الذي يقتضيه التقدم يجعل المصالح الحيوية بحسب ما تستلزمه مصلحة
إيطاليا من أول درجة بالنظر لقصر المسافة الفاصلة بين تلك البلاد وشواطئ إيطاليا .

وبالرغم من حسن مسلك الحكومة الإيطالية التي كانت دائماً موالية وعاضدة
لتركييا في كثير من المسائل السياسية في العهد الأخير وبالرغم من اعتدالها وصبرها
حتى الآن، كانت الحكومة العثمانية تجهل رغباتها في طرابلس، وليس ذلك فقط بل إن جميع
مشروعات الطليان في تلك الأصقاع كانت تصادف دائماً مقاومة مطردة لا تحتمل .

(٥) ولو أن الحرب الطرابلسية بدأت في آخر سبتمبر من السنة الماضية إلا أننا فضلنا وضعها في هذه
السنة حتى يسهل على القراء الاحاطة بباقي الحوادث التي حصلت فيها .

فالحكومة السلطانية التي كانت حتى الآن تبدي عداً دائماً نحو الحركة الإيطالية الشرعية في طرابلس وبنغازي، وما زالت كذلك حتى الساعة الحادية عشرة (يعني حتى الساعة).

اقتُرحت على الحكومة الملكية (الطليانية) أن تتفاهم معها وأعلنت أنها مبالغة أن تمنح أي امتياز اقتصادي يتفق مع المصاهرات النافذة ومع شرف تركيا الأعلى ومصالحها، ولكن الحكومة الملكية لا تشعر الآن بأنها في أحوال موافقة للدخول في المفاوضة بهذا الموضوع، المفاوضة التي برهن الاختبار الماضي على عدم نفعها وهي لا تشتمل على ضمان للمستقبل ولا تكون إلا سبباً للاحتكاك والنزاع.

ومن جهة أخرى فقد وردت الأخبار إلى الحكومة الملكية من قنصلها في طرابلس وبنغازي تفيد أن الحالة هناك خطيرة جداً بسبب التحريض العام ضد الرعايا الطليان، التحريض الذي زاده الضباط وسائر موظفي الحكومة؛ فهذا التهييج خطر شديد ليس على الطليان فقط بل على سائر الأجانب على اختلاف جنسياتهم. ولما أصبحوا قلقين على حياتهم شرعوا يهجرون البلاد بلا إبطاء، ووصول النفايات العسكرية العثمانية إلى طرابلس زاد الحالة خطراً وخرجاً مع أن الحكومة الملكية نهبت الحكومة العثمانية إلى نتائج السيئة من قبل. ولهذا تضطر الحكومة الملكية أن تتخذ الاحتياطات اللازمة دفعاً للخطر الناجم منه.

ولما وجدت الحكومة الإيطالية نفسها مضطرة إلى الحرص على شرفها ومصالحها قررت أن تحتل طرابلس وبنغازي احتلالاً عسكرياً. هذا هو الحل الوحيد الذي تمول عليه إيطاليا، والحكومة الملكية تنتظر أن الحكومة السلطانية تصدر أوامرها حتى لا تصادف إيطاليا في الاحتلال معارضة من رجال الحكومة العثمانية، وألا تجد صعوبة في إنفاذ ما تريد إنفاذه. وبعد ذلك تتفق الحكومتان على تقرير الحالة اللازمة التي تلي ذلك الاحتلال.

وقد صدرت الأوامر للسفير الإيطالي في الاستانة أن يلتمس جواباً حازماً في هذه المسألة من الحكومة العثمانية في ٢٤ ساعة منذ تسليمه هذا البلاغ حتى إذا لم تجاب عليه كانت الحكومة الإيطالية مضطرة أن تنفذ المشروعات المدبرة لضمان الاحتلال. ونزجوا أن يبلغ جواب الباب العالي المنتظر في ٢٤ ساعة لنا عن يد السفير

العثماني في رومه.

الامضاء

سان جوليانو

جواب الباب العالي على إندثار إيطاليا : تعرف السفارة الملكية كل المعرفة الظروف التي لم تسمح لطرابلس وبنغازي بأن تتقدم التقدم الموموق . ودرس المسألة بنزعه عن الأغراض يكفي في الحقيقة لأن يثبت أن الحكومة الدستورية العثمانية لا يجوز اتهامها بحالة هي نتيجة الحكم الماضي . فإذا ظهر ذلك وعدنا إلى تاريخ حوادث السنين الثلاث التي مرت ، يعجز الباب العالي أن يجد طرفاً واحداً مفرداً ظهر فيه بمظهر العدوان للشروعات الطليانية في طرابلس الغرب وبنغازي ، بل إنه يجد عكس ذلك أي إن إيطاليا كانت تساعد بالها ونشاطها الصناعي على إنهاء ذلك الشرط من السلطنة اقتصادياً .

وتعتقد الحكومة السلطانية أنها أظهرت دائماً ميلاً حسناً إلى كل مقترحات كانت تقدم لها بهذا المعنى ، بل إنها درست وحلت ودياً كل طلب طلبته السفارة الملكية .

ولا حاجة بنا إلى أن نزيد أنها كانت بذلك تنقاد دائماً لأرادتها في أن تحفظ صلات ا صداقة والثقة مع حكومة إيطاليا وفي أن تنميها . وهذه الإرادة الحسنة هي التي دفعتها مؤخراً إلى أن تقترح على السفارة الملكية اتفاقاً يكون أساسه الامتيازات الاقتصادية التي تفتح مجالاً واسعاً للنشاط الطلياني في تلك الأقاليم ، على شرط أن يكون حد تلك الامتيازات كرامة السلطنة ومراققتها والمعاهدات النافذة .

بهذا برهنت الحكومة العثمانية على ميولها السلبية دون أن يغيب عنها حفظ العهد التي تربطها بالدول الأخرى ، تلك العهد التي لا يمكن أن يسقط شرط منها بإرادة فريق من المتعاقدين .

أما ما يختص بالنظام والأمن في طرابلس وبنغازي فإن الحكومة العثمانية القادرة جيداً على تقييم الحالة لا يمكنها إلا أن تؤكد كما فعلت سابقاً أنه لا يوجد أقل سبب داع للخوف على الطليان والأجانب النازلين هناك .

ففي تلك الأقاليم لا يوجد اضطراب ولا تهيج ، ومهمة الضباط وغيرهم من موظفي الحكومة ضبط الأمن وهم يقومون بمهمتهم خير قيام .

أما وصول النقالات العسكرية العثمانية إلى طرابلس ، المتمسكة به السفارة لأنها تتوقع منه نتائج خطيرة ، لجواب الباب العالي عليه أنه لم يرسل سوى نقالة واحدة سافرت قبل وصول مذكرة ٢٦ سبتمبر بوضعة أيام ، وزد على هذا أن تلك النقالة لا تحمل جنوداً فلا يمكن أن يكون لوصولها تأثير على افكار الأهالي غير تأثير الهدوء .

فاذا تبين ذلك لا يبقى إلا عدم وجود الضمانة التي تضمن للحكومة الطليانية توسع مصالحها الاقتصادية في طرابلس وبنغازى، فاذا كانت الحكومة الملكية لا تعدد إلى جعل خطير كالاحتلال العسكرى فان الباب العالى عاقد النية على إزالة هذا الخلاف والحكومة السلطانية تطلب من الحكومة الملكية أن تبين لها نوع الضمانات المطلوبة، فهي توافق عليها إذا لم تمس الأملاك، وهي تتعهد بألا تغير شيئاً من الحالة الحاضرة أثناء المفاوضات، من حيث الهيئة العسكرية في طرابلس وبنغازى، ولها الأمل أن الحكومة الملكية توافق الباب العالى على أمياله الحسنة.

الاستانة فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١

استغاثة السلطان بملوك أوروبا : وقد استغاث السلطان بملوك أوروبا، فرد ملك الانجليز معرباً عن أسفه لعدم استطاعته التدخل، وأجاب امبراطور ألمانيا بأنه أصدر تعليمات لسفيره ليتوسط في الأمر؛ ولكن انفراد ألمانيا جعل وساطتها غير مجدية.

موقف مصر منها . وقد كان موقف مصر الرسمي من هذه الحرب هو موقف الحياد حسب إشارة إنجلترا، وقد أبدل بالمأمورين المصريين في الحدود الغربية انجليز، ومنع أهالى المغرب من الدخول للأراضى المصرية، وأعدت الزوارق التابعة لمصلحة خضر السواحل لمراقبة الحدود الغربية والشرقية حتى قطعت التجارة الطرابلسية المصرية ورددت كل قافلة تجارية آتية من تلك البلاد.

أما موقف الشعب المصرى فكان موقف المعاضد لتركيا فشككت اللجان بكثير من أنحله البلاد لجمع التبرعات للدولة العلية، ففي ١٤ أكتوبر سنة ١٩١١ شكلت لجنة عليا برئاسة الأمير عمر طوسن، وبلغت قائمة التبرعات الأولى ١٦٩٢ جنيناً والثانية ٣١٣٧ جنيناً ثم توالى التبرعات من جميع النواحي حتى بلغت في أول يناير مبلغ ٨٥٤٦٨ جنيناً، أخذت تزداد كل يوم.

وتألفت جمعية الهلال الأحمر برئاسة الشيخ على يوسف وقررت تأليف عدة مستشفيات ميدان، وسافرت البعثة الأولى يوم ٧ نوفمبر سنة ١٩١١، كما سافرت ثلاث بعثات يوم ١٤ ديسمبر، وتوالى البعوث الطبية.

وفى ١٨ يناير سنة ١٩١٢ أعدت سوق خيرية في حديقة الأزبكية لقبول تبرعات المتبرعين للهلال الأحمر تحت رعاية دولة الوالدة. وضربت عليها السراقات والزينات

البديعة وعرضت في السوق معروضات من بعض المحال التجارية وخصصت أرباحها للجمعية . وقد توالى التبرعات بالحلى والجواهر والأواني الفضية والذهبية من أميرات البيت الحديوى وحرم الكبراء والعظماء وسواهم .

مظاهرات الأهالى : وقد كان الشعور لدى الأهالى بالغاً حد الانتباه لكل حركات الحرب وتفصيلاتها ، ووردت الأنباء مبدئياً بانتصار الأتراك . فقامت مظاهرة ابتهاج في الاسكندرية ، فعمز ذلك على الجالية الإيطالية فيها فاشتكت مع المتظاهرين وأطلق بعضهم عيارات نارية أصابت المصريين وانتهى الحادث قبل استفحاله .

مجهودات عزيز المصرى بك والأستاذ عبد الرحمن عزام : وقد اشترك في هذه الحرب من المصريين عزيز المصرى بك ، وكان قائداً في بنغازى ؛ والأستاذ عبد الرحمن عزام ، وكانت لهما جهود كبيرة في تأليف الجيوش والجهاد .

كتشفت سياسته مع المصريين : في أوائل هذه الحرب ذهب وفد من كبار المسلمين إلى اللورد كتشتر وطلبوا منه إرسال بعض أوط من الجيش المصرى لمساعدة الأتراك ، فأجابهم قائلاً : « هذه فكرة صائبة ولكن لما كان من الصعب أن نجد جنوداً آخرين ليحلوا محل الجنود المطلوب سفرهم ، فاني سأضطر في هذه الحالة لأن أطلب من حكومتى أن ترسل لمصر جنوداً من الانجليز ، فانصرف الوفد دون إلحاح .

وفي ذات يوم ذهب أيضاً جماعة من الضباط المصريين وطلبوا منه السماح لهم بالتطوع في الجيش التركى ، فقال لهم : « لا أرى مانعاً من إجابة هذا الطلب ، ولكننى أقول لكم مقدماً بأنكم إذا سافرتهم فمن الضرورى ملء مرا كركم في الجيش بصغار الضباط فعند عودتكم تجدون أنفسكم بطبيعة الحال في كشف الاستياداع ،

وجاء أيضاً وفد من مشايخ العربان واستأذنوه في جمع المتطوعين لى ينضموا إلى الجيش التركى ، فقال لهم إنه يهينهم على ما أظهروه من الشجاعة واليسالة بتقديم هذا الطلب ، ولكن من الحرام أن تفقد مصر رجالاً مثلهم ذوى شجاعة وبسالة فان حكومة مصر ستضطر عند عودتهم أن تطبق عليهم قانون القرعة العسكرية المعافين منه إلى الآن ، وبعد المشاورة انصرفوا من عنده ولم يرجعوا إليه مرة ثانية ، وبذلك تخلص اللورد من إجابة هذه الطلبات تخلصاً من مسئولية حياد مصر .

جيوش السنوسى : وفي ١٤ يناير جاءت الأنباء بأن السيد احمد الشريف السنوسى

وإخوته يؤلفون الجيوش إلى ميدان القتال تحت قيادتهم الشخصية ، وقد نشروا الدعوة لكافة مشايخ القبائل والزوايا والمجاهدين . وفي أول أبريل وصل السنوسي بجيوشه إلى جغبوب .

الفرنسي فؤاد . راجعت إشاعات عن البرنس فؤاد باشا في المسألة الطرابلسية تلخص في أن ملك إيطاليا وعده بامارة طرابلس بعد احتلالها ، وأنه بسبب هذا الوعد عمل على التقريب بين سمو الخديو وجلالة ملك إيطاليا ، فتمت زيارة الخديو لإيطاليا في العام الماضي يرافقه البرنس ؛ وقد رددت هذه الاشاعات بعض الصحف الفرنسية والألمانية فأرسل البرنس تكذيبات لها نشرت في ١٠ يناير سنة ١٩١٢ .

تذبذب الخديو . وقد سهل الخديو في أول الأمر إرسال الاعانات والبعثات ومنها ما كان يحمل مدافع مفككة وسلاحاً وذخيرة ومؤونة بعد أن أرسل رشدي باشا إلى كتنشتر للتفاهم معه قبل منح التسهيلات اللازمة بدون مسئولية عليه أو على حكومته . ولما توالى انتصارات الإيطاليين في طرابلس في الأشهر الأخيرة من الحرب ، وتغير موقف الخديو ، عاد فطلب من كتنشتر بواسطة حسين رشدي باشا وقف المساعدات ، فامتنع عن اتخاذ خطوة صريحة بذلك بعد ما سمح بارسالها أولاً . وانتهى الأمر بأن يقال إن البعوث الأخيرة ضلت الطريق وقد منعت بعوث الهلال الأحمر العائدة من الدخول بالمرضى .

عبد الحميد بك شديد ومهمته (*) : وأرسل الخديو عبد الحميد بك شديد للسيد ادريس السنوسي ليغريه بالاتفاق مع إيطاليا حملاً للحرب على أن يسعى الخديو في الحصول له على امتياز من إيطاليا وتنصيبه رئيساً على السنوسيين بدلا من عمه الشيخ أحمد السنوسي الكبير ؛ وفي نظير ذلك يتحصل سموه على وعد بمبيع سكة حديد مريوط للاحد بنوك إيطاليا بمن يرضيه . ولكن المساعي التي كان عباس يذل الجهد فيها للحصول إلى ذلك قد فشلت ، لأن كتنشتر ضربها ضربة قاضية .

الخديو والحزب الوطني . منذ عامين والجفاء يشتد بين الخديو والحزب الوطني ، وقد ورد شيء من ذلك في مذكراتي في السنين الماضية .

وفي ١٩ يناير من هذا العام أقيمت حفلة لرعاية الأطفال بدار الأوبرا تحت

(*) وقد طلبت من عبد الحميد بك شديد بعض تفصيلات عن مهمته ولكنه اعتذر بمرضه .

رعاية سمو الخديو وحضرها مندوب من قبل سموه ، وقد حدث عند دخول المندوب وعزف الموسيقى بالنشيد الخديوى أن وقف جميع الحاضرين حسب المعتاد ما عدا محمد فريد بك رئيس الحزب الوطنى ، مما استرعى أنظار الحاضرين جميعاً .

ولما كانت هذه هى الحادثة الأولى من نوعها ، فتناقلتها الألسن والصحف ، وكانت لها ضجة فى داخل السراى .

وقد خاطب حسين رشدى باشا فريد بك فى هذا الشأن فأجابه بأن ليس هناك قانون يحتم عليه الوقوف .

وكانت هذه الظاهرة بمثابة إعلان حرب عدائية على الخديو ، والخروج على الاحترام اللائق به .

الحض على كراهة الحكومة : وفى ٢٦ مارس اجتمعت الجمعية العمومية للحزب الوطنى فألقى محمد فريد بك خطبة نارية ، اعتبرتها النيابة حضاً على كراهة الحكومة ، فأخذت فى محاكمته .

وقد كان سعد زغلول باشا ناظراً للحقانية فلم يؤخذ رأيه فى هذه المحاكمة فاستقال من النظارة (كما سيحى ذلك بالتفصيل) .

وفى يوم ٣٠ أبريل نظرت القضية أمام محكمة الجنايات بثمناً فيها محمد فريد بك بالحض على كراهة الحكومة والدعوة للثورة ولم يكن حاضراً ، وعلى اسماعيل حافظ مدير العلم ، وعلى فهمى كامل الحارس القضائى لجريدة اللواء لنشر الخطبة فى جريدتهما .

وقد مثل النيابة محمد زكى الابراشى افندى ، وترافع عن المتهم الثانى عبد العزيز فهمى بك وعن الثالث محمود ابو النصر بك . وحكمت المحكمة بالحبس سنة مع الشغل على فريد بك وبالحبس البسيط ثلاثة أشهر على كل من الثانى والثالث .

المؤامرة على الخديو وكنتشنر ومحمد سعيد : وفى أول أغسطس قبض البوليس على ثلاثة شبان وهم محمد عبد السلام وإمام واكد ومحمود طاهر العربى بتهمة المؤامرة على حياة الخديو وكنتشنر ومحمد سعيد ، وقد كان تدبير القبض عليهم من فليدس مأمور إدارة الضبط بالقاهرة .

ونظرت القضية فى ١١ أغسطس وحضر للدفاع عن المتهمين ابراهيم الهلباوى بك ومصطفى الشوربجى افندى وعبد الوهاب افندى البرعى .

وكانت الجلسة برئاسة على ذى الفقار باشا وعضوية احمد موسى بك ومحمد توفيق رفعت بك .

وتولى الاتهام عبد الخالق ثروت باشا النائب العام ؛ وقد أنكر المتهمون التهمة الموجهة إليهم .

وفي ١٢ أغسطس أصدرت المحكمة حكمها بالسجن مع الأشغال الشاقة ١٥ سنة على إمام واكد ، وبالسجن مع الشغل ١٥ سنة كذلك على محمود طاهر العربى ومحمد عبد السلام .

اتهام فريد بك للمصريين : في يوم ٢٠ أغسطس نشر محمد فريد بك في جريدة السيكال الفرنسية مقالا يتهم فيه الحديو بالعمل ضد عرش الخلافة وضد كيان الدولة بالاتفاق مع إنجلترا نظير اعترافه بالحماية سراً .

وأن الغرض من هذه المساعي ضم برقة وسوريا وبلاد العرب لمصر وتنصيب عباس خليفة عليها غاصماً للانجليز ، وأنه يستعين بعلما الأزهري وبعض مشايخ الزوايا والتكايا ويرسلهم برسائل خاصة إلى اليمن والعسير ليثبوا روح العصيان .

ولسكى يتبنى تثقيف رسل تتوفر فيهم الكفاءة لنشر هذه الدعوة ، كلف الشيخ محمد رشيد رضا بتأسيس مدرسة خاصة في القاهرة باسم مدرسة الدعوة والإرشاد ، ول هذه المدرسة فرع في باريس باسم جمعية تنشيط العلوم العربية تحت رئاسة طالب ينفق عليه الحديو .

وقد نذب الشيخ رشيد رضا عقب تنظيم المدرسة من لدن رؤسائه (الحديو وأنصاره) للذهاب إلى الهند لحضور مؤتمر إسلامي في د لكانوا ، لينصح للمسلمين بالخنوع للانجليز ويطرى الحديو وحكومته في مصر ، ويمنع الاكتتابات للعثمانيين في طرابلس ففشل في مهمته (*)

ثم إن مصلحة الخبايا التابعة لنظارة الحرية المصرية تبث جواسيسها في سوريا لنشر هذه الفكرة وأكثر رسلها من السوريين .

(*) مع اتصال الشديد بالسراي وما يدور فيها فاقى لم أسمع عن هذه التدبيرات التي ذكرها محمد فريد بك خاصة بسى الحديو للخلافة تحت الحماية الانجليزية أما فيما يخص بمدرسة الدعوة والإرشاد فاقى أعلم أنها أنشئت لغاية سامية حبذتها وساعدتها وهي الدعوة الدينية الخالصة وقد تخرج فيها بعض نوابغ المسلمين ومنهم السيد محمد الحسينى مفتى القدس ورئيس المجلس الاسلامى الأعلى .

وقد أعقب فريد بك هذه المقالة بمقالين آخرين في ٥ و ١٠ سبتمبر فيما توكلد وتفصيل لما ورد بالمقالة الأولى ، وختما بقوله :

« وقد رغبت في نشر هذه البيانات لاماطة الشام عن هذه الدساتر أمام العالم المتمددين ، ولأحذر الدول ذات الشأن من الأعمال التي يقوم بها عباس الثاني إرضاء لطمع شخصي يحاول به أن يزعزع توازن العالم بوضع الخلافة في يد إنجلترا ، فيجب على فرنسا هذه الدولة ذات المستعمرات الإسلامية الكثيرة أن تراقب الحالة عن كثب . » وبعد ظهور هذه المقالات أخذ بعض أعضاء الحزب الوطني - بمساعي الحديوي وتأثيره - يطلبون عزل محمد فريد بك من رئاسة الحزب ، وطلبوا انعقاد اللجنة الإدارية للحزب لمحاكمته ، فعارض في هذا على فهمي كامل بك .

وأخيراً عقدت اللجنة وقررت استنكار مقالات فريد بك ، ولكن لم ينشر هذا القرار في الصحف ؛ فاستقال بعض الأعضاء ومنهم على المنزلاوى بك ومحمود فهمي سكرتير الحزب .

وفي ٢٠ سبتمبر نشرت الأهرام ، برقية أرسلها فريد بك لعلي فهمي كامل بك وكيل الحزب باستقالته لاضطراره للبقاء خارج القطر ، وطلب أن تعرض الاستقالة على الجمعية العمومية للحزب دون غيرها ؛ وذلك نظراً لما بلغه عن مساعي الحديوي مع أعضاء اللجنة الإدارية .

محاكمة الشيخ جاويش . وفي يوم ٢٤ أغسطس ضبط بوليس جرك الاسكندرية مع الشاب ، احمد مختار ، القادم من الاساتنة حقيية بها منشورات ثورية مطبوعة في مطبعة الهلال العثماني التي يصدرها الشيخ عبد العزيز جاويش ، تتضمن قدحا شديداً في الحديوي ، ودعوة لتأسيس الجمعيات السرية للفتك والاغتيال . وظهرت في الوقت نفسه منشورات ثورية في الاسكندرية وطنطا .

وتكررت المقالات المثيرة في اللواء والعلم فصدر أمران باغلاتهما : الأول يوم ٣١ أغسطس والثاني يوم ٧ نوفمبر ، بعد إنذارهما مرتين .

وقد قبض في الاساتنة على الشيخ جاويش وأحضر للاسكندرية يوم ٨ منه . فكتب فريد بك في جريدة السيكل يتنقد حكومة الاساتنة لتسليمها رجلا متهماً بتهمة سياسية لحصومه ، مخالفة في ذلك جميع التقاليد الدولية .

وقد حوكم الشيخ جاويز وحفظت القضية بالنسبة له في ١٩ أكتوبر لعدم كفاية الأدلة .

استقالة سعد باشا : في أواخر يناير من هذا العام جرى حديث بين سعد باشا ناظر الحقانية ومندوب جريدة الأخبار نفي فيه الاشاعات التي تناقلتها الصحف عن قرب استقالته من الحقانية .

ولكن في أول أبريل ، بعد الشروع في محاكمة محمد بك فريد بتهمة تحريضه على كراهة الحكومة ، دون استشارة سعد باشا ، قدم استقالته للخديو مبنية على أنه لم يوفق لرضا سموه في الظروف الحاضرة .

وقد قبلت الاستقالة ، وصدر الأمر لحسين رشدي باشا بالقيام بعمله ، ثم عين نهائياً يوم ١٤ منه .

وفي ٦ أبريل نشر مقال بالأهرام بتوقيع « عارف » جاء فيه :
« إن سعد باشا من مدة قريبة كان يقول : « لئن لم أفكر ولن أفكر في الاستقالة مادمت قائماً بواجباتي نحو أمتي وبلادي » ،

ثم قال إن بعض الناس يقولون عن سعد باشا إنه متصلب خشن والقضاء في حاجة لتصلبه وخشوته . أما أنا فأقرر أنه إذا كان صلباً خشناً فهو كذلك مرن لين ، يميل عند الضرورة للخنوع والتسليم ، بدليل تصميمه على عدم الاستقالة ، ثم استقالته الآن .

ثم أخذ يتكلم عن سبب استقالته ، وبعد أن وجه عدة غمزات شديدة لسعد باشا في أخلاقه قال :

« إن بعض أخصائه ذكر أن سعادته روى في مقام من المقامات العالية عبارة تمس بأمانته وكرامة رجل من كبار موظفي الحكومة ، وكان يعتقد أنه إنما يخدم أمته وبلاده بما روى ، ولكنه يظهر أن الدهر لم يسعد سعد باشا في هذه الدفعة حيث جنى عليه اجتاده ، وتبادر إلى الأذهان أن سعادته يريد بهذا العمل إيقاع النفرة بين مقامين من قادة الأمة ، ومن مصلحة البلاد تمكين عرا الوفاق وحسن التفاهم بينهما ، فتربت على ذلك مطالبة سعد باشا بإثبات ما صدر عنه في هذا الشأن ، ولكنه عجز ؛ وسرعان ما تزعزعت الثقة في مروياته من نفس السلطة الفعلية . أما السلطة الشرعية فيقال إنها

قد ازدادت اقتناعاً بأن ساعة استقالة سعد باشا إذا لم تكن قد حانت من زمن فانها قد حانت ،

ثم ذكر أن سعد باشا لم يرد الاستقالة وقتذاك ، وانتظر أن تأتي فرصة أخرى ليخرج بمناسبة شريفة .

وأنه ، وقد فقد السلطة الفعلية ، أراد التقرب للسلطة الشرعية ، ووسط بعض أصحاب العائلة الخديوية ، فلم تنتج الوساطة ، وأخيراً قدم استقالته .

وذكر أن سعادته سلم صورة الاستقالة لمستشار الحقاينة لتسليمها لكتشنر مشفوعة بعبارة مفادها : « لقد ضحيتونى لإرضاء الجنب الخديوى ، وأن اللورد رد على ذلك شفوياً بأنه قد علم بقبول الاستقالة ، وأنه ينظر إلى هذا القبول بعين الارتياح ، وإن كان قد ضحاه كما يقول فاعمل هذا إلا إرضاء للصالح العام .

وبعد ذلك أخذ يشرح أسباب تولية سعد النظارة في عهد كرومر فذكر أن اللورد أراد بها تقوية مركزه بعد حادثة دنشواى ، لما كان مشهوراً عن معارضة سعد للحكومة . والسياسة الانجليزية ، فكان تعيينه إرضاء للوطنيين ، وتناؤه على الانجليز وسيلة لتقوية مركز المعتمد فى إنجلترا .

ثم دارت الأيام واتفقت السلطان فلم يبق ما يدعو لخدمات سعد باشا ، فهو قد دخل النظارة للشقاق والنزاع وتركها للوفاق والسلام .

وقد أرسل سعد باشا من مسجد وصيف برقية للصحف نفي فيها ما جاء بمقال عارف ، وخصوصاً ما يتعلق بالالتجاء إلى أحد أصحاب العائلة الخديوية ، وبارسال الاستقالة إلى كتشنر .

وذكر أنه مستعد لظهار الحقيقة فى ذلك كله إذا كشف العارف عن اسمه ، وصرح بأنه مأذون فى نشر ما رواه لأن بيان الحقيقة يستلزم إثناء أسرار يقضى الواجب بكتمتها إلا إذا أذن أصحاب الشأن صراحة أو ضمناً بإفشافها .

وبعد ذلك أخذت الصحف تخوض حول هذا الموضوع وتملأ كثيراً من أعمدها بالمناقشة والردود .

وفى ١١ أبريل نشرت « الأهرام » ، أن « عارف » فوض إليها نشر لسمه إذا طلبته إحدى المحاكم الأهلية أو المختلطة أو نيابة إحداهما ، وأنها أبلغت سعد باشا ذلك .

وفي ١٢ منه نشرت مقالة أخرى لعارف فيها غمز شديد لسعد باشا وتوكيد لما ورد في المقال الأول وتفصيل لحوادثه ، وقال : « إن البرقية التي نشرت باسم سعد اخترعتها صحيفة الجريدة ، ولكنها أخطأت وأسأت لسعد بها ولم تحسن الدفاع عنه . »
وفي ١٤ منه بدأ التحقيق في القضية وظهر اسم « العارف » ، وهو اسم عيل أباطة باشا وحضر عن المدعى المدنى (سعد باشا) إبراهيم بك الهلباوى ومحمد بك يوسف . وقد وجهت النيابة تهمة السب والقذف لأباطة باشا ، فطلب مهلة أسبوعين للإجابة ، لأن ما نسب لسعد باشا خاص بعمله كوظف .

ثم طلب حضور سعد نفسه لأنه أعرف الناس بما يختص بشخصه وهناك أشياء قد يرى سعادته بعد المناقشة أن من المصلحة عدم الخوض فيها . وقد أجل التحقيق خمسة عشر يوماً .

وفي ٢٩ منه استأنف التحقيق وصرح محاميا سعد للتهم بانبات كل ما يريد إثباته . وأن موكلهما لا يتمسك بالقانون ، الذى لا يبيع الطاعن فى أحد الأفراد كما هى صفة سعد الآن إثبات قذفه .

وكرر أباطة باشا طلب حضور سعد باشا فقرر محاميه أن سعادته لن يحضر ، ثم قدما توكلهما عنه فذكر أباطة باشا أنه قاصر ، ولم يحدد مهمة الوكيلين ، وامتنع عن الإجابة حتى يحرر توكيل مفصل ويثبت رسمياً أنه من المدعى المدنى .
وقد اعتبر التحقيق منتهاً بهذا .

وفي ٣٠ مايو عرضت القضية فى جلسة سرية وقد دعت للشهادة فقررت أن الخديو كان مستاء من سعد باشا منذ حادثة دقه المنضدة أمام سموه فى جلسة مجلس النظر عند نظر قانون مدرسة القضاء الشرعى ، وأن أباطة باشا كان مندفعاً فيما كتب بتأثير خصومه لسعد باشا واعتقاده أن ما كتبه قد يتراح إليه الخديو .

كتشفر فى مصر . فى يوم ٩ فبراير قرأت فى جريدة مورننج بوست كلمة عن اللورد كتنشر فى مصر جاء فيها :

« إنه يختلف كل الاختلاف عن اللورد كرومر والسير الدون جورست ، ويزيد فى مزاياه عن سلفيه أنه فاتح الخرطوم ، وقاهر المهدي ، والسرदार السابق ، والعارف لكل من خدم فى الجيش المصرى ، والمعروف عند أخط الطبقات المصرية . »

مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢

« إنه يتكلم اللغة العربية كما يتكلمها ابن مصر، ويعرف كل مركز من مراكز
الوجهين، ولم بكل مسألة تقع في البلاد، ويذهب إلى كل مكان .. »
وقالت عن علاقاته بالخدوي: « إنها حسنة وصریحة وكل منهما يعرف حدود
صاحبه ونفوذه وكلاهما راض بما عنده .. »

تدخله في جميع الشؤون : وهذا الذي ذكرته الصحيفة الانجليزية عن كتشنر
صحیح في عمومه فإنه منذ أن عين ممتداً في مصر لم يفتأ يهتم بأبسط المسائل ويوزر البلاد
ويتحدث مع أهلها ويسمع اقتراحاتهم، كأنه الحاكم الشرعی في البلاد. وكانت استقبالاته
من الحكام ومن ذوي الحاجات لا تدع مجالاً للشك في أنه قابض على كل السلطة في مصر؛
ومن أمثلة ذلك أن يطلب إليه أهالي أسنيوط في إحدى الزيارات إنشاء مدرسة ثانوية،
ويطلب أهالي فوة خطأ حديدياً بينها وبين دسوق ... الخ .

كما أنه كان يذل أشد الاهتمام لشئون الفلاحين فأنفذت بإشارته عدة مشروعات
خاصة بهم كقانون خمسة الأفدنة، الذي حمى الفلاحين من أيدي المرابين الذين يعيشون
في الأقاليم الفساد؛ وبذلك القانون أنفذ هؤلاء الفلاحين الذين يكونون أربعة أخماس
تعداد القطر المصري .

وكذلك أنشأ ميدان صلاح الدين الأيوبي بالقلمة ووسع ميدان باب الحديد
وأنشأ كذلك صناديق للتوفير في القرى، وتكوين لجنة لبحث آفات القطن وانتقاء
البذور، ومحاكم الأخطاط .

وقد ساعدت تحت ضغط اليقظة القومية على تقرير التدريس باللغة العربية في المدارس
الثانوية من العام القادم .

وفي ١٨ مايو صدر تقريره الأول فابتدأه بالثناء على الخديو ونظاره للنجاح الذي
حصلوا عليه في سبيل تحسين حالة الأهالي .

ثم ذكر أن الأمة المصرية أظهرت هدوءاً وإخلاصاً نحو الواجب والقانون
والنظام في الحرب الطرابلسية الأخيرة . وذلك رغم إغراء صحف الحزب الوطني ورجاله
الذين لا يحسبون حساباً للمواقب . وذكر أن مجلس الشورى قام بواجبه خير قيام
وأنه يحسن توسيع سلطته واختصاصه .

وقال إن ارتقاء السواد الأعظم من القطر يتوقف على تحسين الزراعة وترقية

المعارف بينهم، وأن مصلحة الزراعة تعمل جهدها في تعليم الأهالي وإرشادهم؛ واقترح التعليم نصف البوى في القرى. ثم عمد إلى تفصيلات جزئية كثيرة في كل نواحي الأعمال نتيجة لتداعله فيها جميعا.

ومن الصراحة أن نقول إن الخديو عندما رأى تغفل نفوذ كتشنر في البلاد، وأنه لم يبق له أية سلطة، اعتكف في سراى القبة وامتنع عن التدخل في أمور البلاد ولم يزل إلى سراى عابدين إلا للضرورة القصوى، ولم يرأس مجلس النظار إلا نادراً، وترك العمل لكتشنر ومحمد سعيد؛ وسرى كيف وثب من رقبته لاسترداد نفوذه.

تعلية هزاه أسوانه . تمت تعلية خزان أسوان وتقرر افتتاحها يوم ٢٢ ديسمبر وقد حضرها الخديو ورجال الحاشية، وسبقه النظار لاستقباله.

وفي الساعة الخامسة مساء وصلنا إلى الخزان فاستقبل سموه العظماء والكبراء والنظار واللورد كتشنر.

وألقي ناظر الأشغال اسماعيل سرى باشا خطبة عن سياسة الري والحاجة لتعلية الخزان وفوائدها والتفقات التي احتاجها وهي نحو خمسة ملايين جنيه.

ثم ألقى الخديو كلمة عبر فيها عن سروره بهذا العمل وعنايته بسعادة مصر والعمل لمسا فيه خير الأجيال القادمة.

وقام اللورد كتشنر فأبلغ الخديو رسالة من ملك إنجلترا جاء فيها :

« أرغب إليكم في هذه الفرصة المباركة أن تعربوا للجناب العالي الخديوي عن تهنئي القلبية لسموه بمناسبة انتهاء الأثر الجليل الذي يتصل به اسم عمى الدوق أوف كونوت(*)»

« وإذا كنت أواصل بنظري مع الاهتمام الشديد بنجاح القطر المصرى فاني أشاطر سموه الاحتياط باتمام ذلك الأثر الجليل . »

ثم تناول الخديو محرراً فضياً لحركة فافتتح الهاويس ومرت السفن بحية سموه.

يبني وبين الشيخ على يوسف . قابلي الشيخ على يوسف وأخبرني أنه تحدث مع الخديو بشأن وقف عبد الرزاق الوفاي بالاسكندرية الذي تحت نظر الأوقاف، وأثبت لسموه أنه تابع لوقف أبي الأنوار السادات، فأمر بأعداد الأمر للخديوي

بتحويل نظارة الوقف إليه وعرضه على سموه لتوقيمه عند المقابلة لصلاة الجمعة بالاسكندرية .

فأخذت في بحث المسألة ، وكلفت من يتحقق من الشواهد بمدافن السادات فثبت لي أن الاسم لمسمين ، وأن بين الواحد والآخر جيلا كاملا ، وليست هناك صلة بين وقف عبد الرازق الوفاقي بالاسكندرية ، وعبد الرازق الوفاقي التابع لأبي الأنوار .

وفي يوم خميس مر على الشيخ وسألني مستبظاً لإعداد الأمر الحديوي . فأخبرته بنتيجة الأبحاث التي قت بها ولم يكن ينتظر — للصدقة التي بيني وبينه — أن أقف منه هذا الموقف ، ولذلك قام من عندي غاضباً .

وفي يوم الجمعة ذهبت لسراي رأس النين فوجدت هناك سعد باشا وآخرين فسألني : « ماذا بينك وبين الشيخ على الرجل حجته واضحة ظاهرة ، فأخبرته بالأمر . فقص على أن الشيخ عليا هنا وأنه قص القصة وهو متأثر وأغوى عليه . »

ثم دعيت لمقابلة الحديوي فلما دخلت وجدت محمد سعيد باشا وإسماعيل أباطة باشا فسألني محمد سعيد باشا عن الموضوع وتحدث في صالح الشيخ على فأخبرته بالحقيقة ، وكان الحديوي وأباطة باشا يتغامران !

ولما طلب مني محمد سعيد باشا أن أتساهل قلت له : « إن المسألة مسألة شرعية . فلماذا يطلب الشيخ على من الحديوي أن يقضى فيها ، وهذا دخول من النافذة لا من الباب ، والأولى أن يعرض الأمر على المحكمة الشرعية للفصل فيه . » فاعترض محمد سعيد باشا على ذلك محتجاً بأنه ليس من اللائق أن يخلع الحديوي عن نظارة وقف بطريق المحاكم .

فأجبت بأن هذه ليست أول مرة وليس فيها غشاضة ولا مساس بالجناب الحديوي . لأن الأصل في نظارة الوقف أن تكون لمستحقه ، فإذا لم يوجد أحداً تحكم المحكمة بتنظر الأوقاف عليه ، وفيما بعد إذا اتضح وجود أحد من الذرية عين ناظرأ . فرد محمد سعيد باشا بأن في هذا التصرف ضجة على كل حال .

فقلت له : « إنه كان يشاع عن الجناب الحديوي أنه يطلق يده في خزانة الأوقاف فيخرج منها ما يشاء من النقود ليزعها على أنصاره وأنا أخشى أن يقال الآن إنه حينما وجد حارساً للخزانة أخذ يوزع منها الهبات والمنح أملاكا ونظارات . »

أما إذا حكمت المحكمة لصالح الشيخ على فإن ذلك يثبت عدم تسامع سموه حتى مع أخصائه في مسائل الأوقاف .

وأخيراً اقترح محمد سعيد باشا ، بدلا من المحكمة الشرعية ، أن تشكل لجنة تنظر في طلبات الشيخ على واعتراضاتي عليها . فأجبت بأنه لا مانع عندي من قبول هذا الحل ، ولكن على شرط أن يكون الشيخ بخافي مفتي الديوان عضواً في هذه اللجنة .

وقد ألفت اللجنة وكان من بينها فضيلة شيخ الجامع الأزهر والمفتي ومفتي الديوان وقدم الديوان لها مستنداته وطلبت من الشيخ على تقديم تقريره ، ولكنه لم يقدم شيئاً .

وبعد ذلك أخذ الشيخ يثير حولي انتقادات في جريدة المحروسة وسواها ، ومن وقت لآخر كان الحديوي يوجه نظري لهذه الحملة ، فأجيبه بأني مطمئن لأنني واثق من أعمالي وعالم بحقيقة هذه الحملة وأسبابها .

وأخيراً رأى سموه أن يوجد حلاً لهذه الخصومة وأن أصطلح مع الشيخ على ، فأخبرته أنه لا شيء يمنعني من الصلح ، لأنني غير غاضب عليه .

وقد اقترح اسماعيل أباطة باشا أن يدعونا نحن الاثنين للقاء على مائته ، وخوفاً من عدم ذهابي في الموعد قال إنه سيحضر ليأخذني ولكنه تأخر عن مواعده فذهبت منفرداً .

ولما رأيته داخلًا تعجب لمجيئي وحدي ووقف لمصاحتي وتقدم كذلك الشيخ على يوسف فصاحته وقلت له : « ساحك الله ، فأنا قد تحملت الانتقاد دون كلفة رد واحدة . . . » فما كان منه إلا أن قال : « هذا هو الذي قتلتني ! »

أعمالي في وبراية الأوقاف . عندما تسلمت أعمال الأوقاف كان لزاماً عليّ أن أستعين على مهام هذه المصلحة الواسعة بمعلومات واختبارات رجلين يشرفان على أقسام الديوان ، أحدهما محمد علي دلاور بك مدير الإدارة والحسابات وغير ذلك والثاني محمد سليمان أباطة بك مدير الإيرادات والزراعة ؛ والحق أن كلا منهما كف : فدلاور بك ذكي ومنظم ونشيط ومحمد سليمان أباطة بك من أحسن الفنيين في الزراعة .

وقد أوليتهما ثقتي وأوليتني إخلاصهما ، فكنا نتشاور في المسائل كلا في اختصاصه فاستبشرت خيراً .



محمد سليمان أباطه بك



محمد علي دلاور بك

ولكن بالأسف لم ألبث أن علمت وجود خصام بينهما؛ وانقسم الموظفون حزبين، كل واحد يظن في الآخر في الباربات والمقاهي على مسمع من الجمهور، فتمس بذلك سمعة الديوان فبادرت إلى تلافي ذلك لجمعتهما ونصحتهما باللين للكشف عن هذا الخصام الذي يضر المصلحة العامة وأن تكون يدأ واحدة في خدمة هذه المصاحبة الخيرية؛ وانتهى الحال على قبول النصيحة وبذ الخصام؛ وأظهرت سروري لهما فالصرفا، غير أنه لم يمس على هذا الصلح إلا القليل حتى رجعا إلى ما كانا عليه من النفور، وقد فهمت أن السبب في ذلك عائد إلى أن كل واحد منهما يريد التغلب على الآخر بزيادة النفوذ في الديوان فقررت بأن العلاج الوحيد لذلك هو تغيير هذا النظام واستبداله بوكيل لتوحيد العمل في يده حتى لا تكون هناك منافسة.

وفي أواخر السنة الماضية عرضت فكرتي على الجناب الخديوي فلاحظ صعوبة في تنفيذها؛ لأن دلاور بك منتم إلى حسين رشدي باشا والآخر معصود من عميد الأسرة الأباطية. اسماعيل أباطه باشا. فقال لي سموه: وماذا تفعل يا شفيق حيثئذ؟ فاجبته

بأنى أفعل ما فيه المصلحة العامة وأتحمل كل غضب منها . وأخيراً قبل الحديو الفكرة واستبدلت وظيفتى المديرين بوظيفة وكيل ، ولارضائهما طلبت من المجلس الأعلى زيادة سنى خدمتهما فكانت هذه الوسيلة مرضية لهما .

ومما أضحكنى أن أزهرى بك حضر عندى وقال لى : وما هذه السياسة يا باشا ؟ لما توليت إدارة الأوقاف ورجعت بهما وأوليتهما ثقتك كنا نحن كبار الموظفين نقول ها هو أيضاً شقيق باشا لعبا به واستمالاه ووضعهما على كتفيه وما شعرنا إلا أنك نفضتهما فوقنا !

ومن حظ الديوان وحظى أيضاً أن تعين عبد الرحمن رضا بك الرجل القانونى الزيه فى منصب الوكالة وساعدنى على أعمالى فى المدة الوجيزة التى أقامها فى الأوقاف قبل نقله إلى القضاء ، وتعين بعده عبد الرحمن فهمى بك وهو خير خلف لخير سلف وله مواقف مشرفة كما سيأتى الكلام عنها .

جناح جديد : ضاق بناء ديوان الأوقاف بموظفيه وأعماله فأنشأت به قسماً جديداً تقرر افتتاحه فى يوم ٨ يناير وهو اليوم الموافق لعيد جلوس الحديو .

وقد دعوت للاحتفال بافتتاحه كثيرين فى مقدمتهم أعضاء مجلس الأوقاف الأعلى والعلساء وأعضاء مجلس شورى القوانين وبعض قناصل الدول ووكلاء النظارات ومندوبى الصحف العربية والافرنجية .

وكان رؤساء الديوان يستقبلون المدعوين فى حجرة وضع فيها رسم تخطيطى للبناء الجديد من صنع محمود فهمى بك باشمهندس الديوان .

وفى الساعة العاشرة والنصف حضر سمو البرنس محمد على باشا نائباً عن الحديو . واقتحت الحفلة بالقرآن الكريم ثم وقفت فألقيت كلمة جاء فيها :

« أفتتح هذا البناء الجديد باسم الله فى هذا اليوم المبارك يوم عيد الجلوس الحديوى تيمناً به . »

ثم ذكرت ملخصاً لتاريخ الديوان من يوم إنشائه صغيراً حيث كان لإيراده نحو ألف جنيه ، ونقله فى عدة أماكن تبعاً لاتساعه إلى أن استقر به المقام فى داره الحالية سنة ١٨٩٤ ، ثم إقامة هذا الجناح الجديد ، للحاجة إلى توسعته شيئاً فشيئاً .

ثم شكرت صابر صبرى باشا باشمهندس الأوقاف السابق ومحمود فهمى بك

الباشمهندس الحال ، وختمت كلمتي بالدعاء للجناب الخديوي وشكر الحاضرين .

ثم تفقد سمو البرنس البناء وأدبرت الحلوى على الحاضرين .
وفي المساء أقيمت الزينات على بناء الديوان ابتهاجاً بعيد الجلوس وأقيمت حفلة ألقى فيها كلمة ، أشرت فيها إلى الابتهاج بالعيد الخديوي وشكرت بهذه المناسبة للذين عاونوني في ديوان الأوقاف ، وأبدت أسنى على فراق من انتهت مدة عضويتهم بمجلس الأوقاف الأعلى ، ورحبت بالأعضاء الجدد .

رئيس قسم القضايا : ولقد كانت وظيفة رئيس قسم القضايا خالية ، فأذكر أن زارني يوماً خالد القوال بك المحامي في السنة الماضية وبادرنى بقوله إنه كان مع سمو الخديوي مدرسة هكسيوس بحيف ولأنه جاء بناء على أمر سموه ليتكلم معي في تعيينه رئيساً لهذا القسم . فدهشت لهذه المفاجأة ولم ترتج نفسي لهذا الأسلوب الذي أراد به التأثير عليّ بإشارته إلى سمو الخديوي . ولما سألت عن مؤهلاته لم يقدم لي شيئاً يميزه عن سواء من المحامين . فصرفته على أن أفكر في الأمر وقابلت سمو الخديوي وذكرت له : ! حدث تفصيلاً وقلت إنه ، وهو لا يمتاز عن سواء ، لن يسعني تعيينه في هذه الوظيفة الرئيسية الكبرى ، ولا سيما أنه يوجد بالقسم وكيل قضى زمناً طويلاً في مباشرة أعماله واكتسب خبرة واسعة وإلماماً بسير القضايا هو خليل إبراهيم بك الذي لا يقل عن خالد القوال بك من حيث المؤهلات ويمتاز عليه بتلك الخبرة .

بعد ذلك زارني خالد القوال بك مرة أخرى ومعه خطاب من رشدي باشا ناظر الحقانية يؤيد فيه ترشيحه لتلك الوظيفة ويثنى على كفاءته ، فأذكرت أن سمو الخديوي لابد وأن يكون هو الذي أوحى لرشدي باشا بهذه التوصية . ولكنني لم أتحمول عن رأيي . وقابلت سمو الخديوي ثانية وذكرت له أنني إن وافقت على تعيينه فيكون في وظيفة نائب رئيس القسم لا رئيساً له . ففوض لي سموه التصرف في الأمر ، وبالفعل عين خالد القوال بك بهذا المركز ولم يظهر كفاءته في تنظيم القسم ولا ترافع مدة وجوده به في قضية ما . ولما علم الخديوي بذلك أمرني بالاستغناء عنه عند وضع الميزانية في أوائل سنة ١٩١٣ باستبدال نائب برئيس .

وقد وردت إلى رسائل كثيرة بتوقيعات مجهولة ينتقد فيها كاتبوها توليته هذا المنصب ، ومن بينها كتاب بامضاء (مسلم غيور) على مصلحة المسلمين) جاء فيه :
« نشرت الصحف عقب عيد الجلوس الحيد بأن سعادتكم رقيتم حالة الأوقاف

العمومية مالياً وأدياً وقصيتهم على الأغراض التي كانت السبب في جعل المصلحة فوضى .
 ومع أننا نرى أن الوظائف العالية لا تعطى إلا لمن كانت محكوماً عليه من
 الحكومة بالطرد أو بالنفي الإداري أو المتشردين الذين لا مأوى لهم غير البارات والحانات
 مع تواجهم الذين لا تحلو وظيفة إلا وسرعان ما يعينون فيها بلا مسوغ شرعى أو
 قانونى مثل « الفوال » وأتباعه وأتباع تابعيه الذى يشغل أعظم وظيفة ما أنشئت إلا
 للمحافظة على حقوق المصلحة الخيرية . . . الخ ،
 وأخيراً استطعت إقناع الخديو بضرر وجوده فوافقنى واستغنى عنه .

تنظيم قسم الهندسة : قد لاحظت في قسم الهندسة استقلالاً يفصله عن باقى الأقسام
 ويجعل إدارة الديوان على غير علم تام بسير الأعمال فيه . فسعيت في وضع النظام اللازم
 له وصدر الأمر الخديوى فى ١٥ يناير بالموافقة على تشكيل لجنة من كبار أهل الفن
 لاتمام هذا الغرض تحت رئاسة صاحب السعادة اسماعيل سرى باشا ناظر الأشغال
 العمومية فقامت اللجنة بالأمر أحسن قيام ووضعت اللائحة الداخلية لقسم الهندسة
 فى مايو .

عيادة الجذام : ولما وجد بين المرضى الذين يختلفون إلى عيادات الأوقاف
 ومستشفياتها أشخاص مصابون بمرض الجذام رأى الديوان منذ سنتين عزلم عن
 غيرهم من المصابين بأمراض عادية اعتناء بشأنهم ورحمة بالذين يخالطونهم ، وخصهم
 بوقت آخر يعالجون فيه باحدى العيادات ، وتبرع الدكتور أنجل بك من موظفى مصلحة
 الصحة العمومية ومن الاختصاصيين فى هذا المرض بمعالجتهم مرة فى كل أسبوع بشرط
 أن يصرف الديوان ما يتطلبه علاجهم من الأدوية . وما زال يتدرج عدد المرضى فى
 الزيادة حتى دعت الحال إلى إفراهم بمكان خاص والاعتناء بشأنهم اعتناء يناسب تلك
 الزيادة ، فرتب ما تقتضيه إدارة ذلك المكان وبدأ العمل فيه فعلا من أول هذه السنة
 وتعين طبيب مساعد للدكتور أنجل بك مع الخدمة اللازمين لتيسير العناية بالمرضى
 وعيادتهم بأكثر مما كان جارياً طول مدة العلاج .

مستشفى الأمراض غير القابلة للشفاء : لما كان ما عمل بشأن مستشفى الجذام عملاً
 وقتياً لا يحقق كل ما نرجوه فقد اشتغل الديوان بدرس مشروع لإنشاء مستشفى كبير
 خاص بالأمراض غير القابلة للشفاء ، فذهبت إلى مستشار المالية وعرضت عليه الفكرة

فاستحسنها كثيراً وخصص لهذا المشروع قطعة من الأرض في جهة البساتين مسطحها ٦٨٩٩٩ متراً ، ولجأنا إلى المتوفر من خيرات وقف المرحومة ممتاز قادن افندى الشهيرة بأمر حسين بك لأخذ ما يستلزمه تشييد هذا المعهد من المال وفقاً لما كانت ترمى إليه الواقفة من العطف على الفقراء والمساكين وتخفيف آلام المصابين من البائسين . وسيكون الشروع في بنائه سنة ١٩١٣ .

صندوق الاقتصاد والتعاون : ونظرت إلى حالة المستخدمين الخارجين عن هيئة العمال فأتممت لهم وضع لأئحة لانشاء صندوق الاقتصاد والتعاون ، ليوفروا فيه جزءاً من مرتبهم يضاف إليه من إعانة الديوان ما يسد حاجتهم عند ترك الخدمة ويساعد أسرهم في حالة الوفاة .

وفي أول يونيو عقد مجلس إدارة الصندوق في ديوان الأوقاف برياسق فألقيت خطبة جاء فيها :

« إننا نجتمع اليوم لتعاون بالرأى على القيام بالعمل الجليل الذى عهد به إلينا احتساباً بالبر بالضعفاء وبذل المعونة لأولى الناس بها وأشدهم احتياجاً إليها .. »
وذكرت أن التفكير في هذا المشروع سببه أن هؤلاء المستخدمين لا يبق لهم ما ينفقون منه بعد مجرمهم عن العمل ، فالمشروع يهيء لهم وسائل الادخار وتثمين ما يجمع منهم ليكون لهم عدة بعد ذلك ، وذلك فضلاً على غرس عادة الاقتصاد فيهم .

ثم اخترت محمد وجيه افندى (١) سكرتيراً لمجلس الإدارة واحمد افندى زكى رئيس قسم إدارة الخزانة أميناً لصندوقها . وانتخبت لجنة وقية للأعمال الادارية من عبد الرحمن فهمى بك الوكيل (٢) و ابراهيم على بك (٣) مدير إدارة الحسابات واحمد الإزهرى بك (٤) والسيد محمود البلاوى والسيد احمد محسن .

تعديل لأئحة الديوان : وكان مما يشغل فكرى دائماً لأئحة الديوان العمومية الصادرة سنة ١٨٩٥ فقد مضى عليها زمن طويل اتسعت فيه دائرة العمل وهى على حالها حتى أصبحت غير ملائمة لما تقضى به حالة النمو والارتقاء . فسمعت في سبيل تعديلها وصدر أمر الخديو في ١٦ مايو بتشكيل لجنة عالية لهذا الغرض تحت رئاسة صاحب السعادة حسين رشدى باشا ناظر الحفانية .

(١) (٢) (٣) (٤) صورهم موجودة في مجموعة الصور التى أهديت لى عند تركى ديوان الأوقاف

وسيرها القارىء فيما بعد

أما اللوائح الخاصة بكل قسم من أقسام العمل في الديوان فقد تم وضع بعضها مثل لائحة المساجد ولائحة الزراعات ولائحة الجبابة . ولا يزال الديوان مشغلا بوضع لوائح الأقسام الأخرى حتى يتكون من مجموع هذه اللوائح لائحة الديوان الداخلية .

وقد وجدنا من باب المحافظة والضمان على النقود الموجودة في عهدة صرافى القروع والمحصلين أن تتفق مع البنك الأهلى على أن يقبل ما يودعونه في خزائنه من زيادة الإيرادات عن المصروفات في كل يوم أو في خزائن البنك الزراعى لحساب البنك الأهلى في الجهات التى ليس له بها فروع . وفتح لكل مأورية اعتماد شهرى لدى البنك تأخذ منه ما يلزمها للاتفاق فيما يزيد على الإيرادات .

تعليم بعض العلوم الأزهرية : لما كان قانون الأزهر الجديد قد اشترط لقبول المتنبئين شروطا لا تتوفر في كل من يطلب العلم رأينا ألا يحرم من كان من هذا القبيل أن يأخذ نصيبه من العلم ، فخصنا لهم مساجد معينة يدرس لهم فيها بعض العلوم الأزهرية .

الشعبة الأزهرية لترقية الوعظ : وبالنسبة لما رأيناه من حاجة العامة في القطر كله إلى وجود وعاظ يقوّمون الموج من الأخلاق ويرشدونهم إلى ما ينفعهم في المعاش والمعاد ، شرعنا في إنشاء هذه الشعبة الأزهرية لترقية الوعظ والخطابة ، حيث يجرى فيها الخطيب والوعاظ على الطريقة المثل في الوعظ وحسن التأثير .

فرش المساجد وإنارتها بالكهرباء للمرة الأولى : ونظرنا في أمر الآتات ففرشت المساجد الكبيرة بالبسط الثمينة ونقل ما كان منها من البسط إلى المساجد الأخرى بعد إصلاحها .

ثم أدخلنا النور الكهربائى في المساجد الكبيرة بالمدن التى توجد فيها الكهرباء . ولا يزال الديوان يشتغل للوصول إلى أحسن طرق الانارة في المساجد الأخرى .

إلغاء إدارة المساجد بالعهدة : وكان من عادة الديوان أن يعطى المساجد بالعهدة ، بمعنى أنه كان يفوض لبعض الأشخاص مباشرة أمر المسجد من إقامة الشعائر ونحوها فظير مرتب جزئى لا يبلغ حد الكفاية ؛ فالتينا هذه الطريقة التى لا يخفى ما فيها من وجوه النقص والاهمال .

إستبدال النقود بالخبز في المقارى : ثم طرقتنا باب إصلاح جديد في أمر كانت

الشكوى منه عامة وهو طريقة توزيع الخبر في المقاربي ؛ لأنه كان من المستحيل أن فصل الحقوق إلى أربابها سالمة من الغش وليس من المتيسر إقامة المراقبة الكافلة للتوزيع . فقررنا استبدال النقود بالخبر . فقامت في وجهنا من أجل ذلك مصاعب جمّة كادت تقضى على المشروع خصوصاً من مفتح الديار ولكن لما وجدت هذه المعارضة طلبت عرضه على المستفيدين فمن قبل كان بها ومن لم يقبل يستمر على الطريقة القديمة . ولم يمض إلا قليل حتى اختار المستحقون الطريقة المقترحة فكان هذا أكبر مساعد لنا على تنفيذه .

قسم الصحة : أفاد إنشاء هذا القسم فائدة ظاهرة في نظام الأعمال الادارية بالمستشفيات والعيادات والتكيا والملاجىء التي يديرها ديوان الأوقاف . فاخترت الأماكن اللاتقة ووضعت النظم الكافلة راحة المرضى وحسن العناية بالفقراء في التكيا . وأدخل على ملجأ الأطفال نظام صالح من ضمنه وجود التعليم الصناعي للذكور وللانات معاً فضلاً عن تعليم القراءة والكتابة والديانة وقواعد الحساب بما يفيد أولئك الأطفال في مستقبلهم .

تنظيم مخزن الأدوية : ووضع نظام جيد للمخزن العمومي يضمن ضبط الوارد والمنصرف من الأدوات والأدوية لجميع الأماكن الصحية مع عدم التبذير والاسراف .

تشديد معهدى طنطا ودمياط : وشيدت معهداً لخمأ لطلبة العلم بطنطا على النظام الحديث بعد أن كان التدريس لهم في المسجد الأحمدي ، وليس فيه متسع لذلك وإقامة الشعائر معاً ؛ وكذلك شيدت معهداً لطلبة العلم بدمياط وسيتم افتتاحه قريباً .

مصاريف المعاهد الدينية : ولا يزال الديوان مهتماً بتنفيذ الإصلاحات التي تضمنتها القوانين الحديثة للمعاهد الدينية الصادرة في ١٣ مايو سنة ١٩١١ وفي ٢٣ يوليو زاد بذلك المخصص لها في ميزانية الأوقاف إلى مبلغ ٦١٩٢٤ جنياً بعد أن كان ١٩٧٠٠ جنيه في سنة ١٩٠٨ .

عدد المأموريات : ظهر لى من ممارسة العمل أن عدد مأموريات الفروع يزيد عن الحاجة خصوصاً في بعض الجهات التي تقاربت فيها مراكز هذه المأموريات تقارباً بيناً ، فألغيت أربع مأموريات حولت أعمالها على المأموريات المجاورة لها فأصبح

عددها في الوجه البحرى خمساً بعد أن كانت ثمانية ونقص عددها في الوجه القبلى من ست إلى خمس .

انتخاب العمال الأكفاء : ولاحظنا أن العمل الكتابى في الفروع فيه تأخير وإهمال مع كثرة شكوى المأموريات من حالة عمالها خصوصاً كتابها الأول، فرفعنا أسباب الشكاية بانتخاب الأكفاء من الكتبة ورؤسائهم لحسن سير الأعمال وسلكت سبيل الانجاز .

التفتيش الكتابى : وأوجدنا التفتيش الكتابى من أول السنة لضمان السير بها على الوجه المرضى .

مشروعات تحت النظر : وفي نهاية هذا العام تقرر لإحاطى على المعاش (لأسباب سير تفصيلها في مذكرات العام الآتى) فقدمت تقريراً بما أدخلته في الديوان من الإصلاحات في السنوات الثلاث الماضية، وقد ورد ذكرها في سنواتها ثم أردفت ذلك بذكر مشروعات كانت لا تزال تحت النظر، وكنت معتمداً إنفاذاً في السنوات المقبلة وهى :

إيجاد الطريقة الموصلة للانتفاع بما يريد من ريع الأوقاف الأصلية المرصدة على الخيرات عن حاجة وجوه الخير المقررة في الوقفيات ؛ فان هذه الزيادة تتجمع الآن في خزانة الديوان دون أن يكون له حرية التصرف في توجيهها إلى المنافع التى تعود على سائر القطر والفقراء ، مثل إنشاء المستشفيات العمومية ومنع التسول في الطرق بإقامة الملاجئ لايواء المعجزة والمساكين من لا قدرة لهم على الكسب .

ومنها تقرير قاعدة تضمن تنفيذ الخيرات المقررة في الأوقاف التى في غير نظر الديوان ؛ لأن الوقفيات تحول لنظارها حق الصرف بمقرتهم مع أن كثيراً منهم يخالف شروط الواقفين ويضن على وجوه الخير ويتصرف بكيفية تعود بالنفع عليه وحده دون المستحقين من الفقراء والمساكين . فلو أن هذه المبالغ المخصصة في تلك الوقفيات للخيرات استعملت على حقيقة ما وضعت له لعادت على البلد وأهله بالخير الجزيل .

ومنها وضع نظام مفيد لإنشاء المساجد التى ينشئها الديوان والأهالى في أنحاء القطر من جهة العدد اللازم لكل ناحية من النواحي وانتخاب المحاللات للاقعة بها بعد وضع رسومات لها حسب درجاتها من الأهمية . وأن يلاحظ في إنشائها ما يضمن

استمرار وجودها على الحالة المرضية مع البحث في أمر المساجد المتخربة الوائدة عن الحاجة .

ومنها تكوين هيئة مؤقتة تابعة لقسم الايرادات يناط بها تحقيق الاحكار وتصفيها بالاستبدال مع تسهيل الطريق لذلك بدلا من توزيع هذا العمل على فروع الديوان في الجهات كما هو واقع الآن .

ومنها وضع خطط ورسومات هندسية لجميع العقارات والأراضي التابعة للديوان . ومنها تجديد السجلات التي أصبحت بمرور الزمن الطويل عليها وكثرة أيدى الباحثين فيها تؤدي وظيفتها بكل صعوبة مع أنها من ذخائر الديوان الثمينة التي يرجع إليها عند الحاجة في كثير من الأحيان .

ومنها تنظيم الدفترخانة بطريقة تصبح معها قادرة على أداء ما يطلب منها بالسرعة المطلوبة وحفظ ما فيها من الأوراق والمستندات .

إلى غير ذلك من الأبحاث التي يتسع فيها مجال العمل بديوان الأوقاف لدوام ترقته وحسن الانتفاع العام بوجوه خيراته .

وعلى العموم فاني أترك خدمة هذه المصلحة الخيرية وحالتها المالية في سر ورواج وحالتها الادارية على نظام لم يبق فيه مجال للشقاق والنزاع . ،

ما قاله لي البرنس حسين كامل ورأى ككتشنر عني : بعد تقديم تقريري عن هذه السنة للجناب الخديوى زرت البرنس حسين كامل وقدمت له نسخة أخرى من هذا التقرير فشكر لي ثم أثنى على مجهودي في إصلاح الأوقاف وأضاف قائلاً : « إنك يا شفيق باشا قدمت إلى اللورد ككتشنر نسخة من هذا التقرير بالفرنسية وقد حدثته بمجهوداتك القيمة وبكفاءتك وأنتك من المصلحين الذين يفيدون البلاد ويايقون لوجودهم في أعلى المناصب ، فرد على ككتشنر بأنه يعلم ذلك ولكنك خديوى صميم ، فشكرت للبرنس حسن ظنه بي وقلت : « إني لا أرى في وصف ككتشنر لي عيباً . »

١٩١٢

— ٢٨٧ —



ريوف باشا

الذى عين قومسيراً بمصر بعد سفر الغازى مختار باشا لتشكيل الصدارة
الاتلافية .

سنة ١٩١٣

حرب البلقان، مظاهرات مصر للدولة، خطة لاستقلال مصر، البرنس فوئاد
وهرش ألبانيا، أفرام الخديو، صفقة طيبة، اختياري لوقف الخصومة،
مدير عموم الأوقاف يبيع ويشترى بمرأهم معدودة، عباس يصيب عصفوري
بمحرم، تحويل ديوانه الأوقاف إلى نظارة، إنشاء الجمعية التشريعية، شئون مختلفة
صاحي الصلح بين الخديو ومحمد فريد بك.

حرب البلقان، في ٢٣ سبتمبر سنة ١٩١٢ وردت إلينا الأخبار بحصول
اضطرابات في البلقان فقد قامت بلغاريا والصرب والجبل الأسود بطلب الاستقلال
الاداري من تركيا وتعيب الادارة التركية، واليونان تطلب جزر الأرخيل؛ وقد
اشتدت هذه الاضطرابات، وحدثت مناقشات بين جيوش هذه الدول والحاميات
التركية.

مظاهرات مصر للدولة، وفي ٢٧ أكتوبر أعلنت تركيا الحرب عليها، وفي هذا
اليوم نفسه تألفت لجنة برئاسة البرنس عمر طوسن ورعاية البرنس محمد علي لجمع التبرعات
للدولة، وقد افتتحها الرئيس بمخمسة آلاف جنيه، ثم أخذت تطوف في المديرية
وتعقد الاجتماعات، فتنال عليها التبرعات الكبيرة.

وقد وعد سمو الخديو بأن تقطع الحكومة المصرية علاقتها بدول البلقان الأربع،
وتعطى قناصلها في مصر جوازات السفر لمبارحتها.

وكان لهذا الوعد وتلك التبرعات وقع طيب في الاستانة فأرسل جلالة السلطان
يوم ٩ نوفمبر شكراً لسموه ولأبنائه المصريين.

مؤتمر لندره : وفي أوائل ديسمبر عقد مؤتمر لندره للنظر في المسألة البلقانية ، وظل يوالى عقد جلساته حتى ٢٣ يناير ، وانتهى إلى قرارات قبلتها نظارة كامل باشا وأهمها التنازل عن أدرنة وعن جور الأرخيل .

إسقاط كامل باشا وتولية شوكت باشا : وعند ذلك ثارت نائرة الاتحاديين ، وأسقطوا نظارة كامل باشا ، وتولى الصدارة محمود شوكت باشا وكان ناظراً في صدارة طلعت بك .

وأعلنت النظارة الجديدة أنها ستدافع عن حقوق البلاد ، وطلبت إلى الشعب أن يعاونها باخلاص .

ألمانيا والاتحاديون : وقد علمنا أن ألمانيا تؤيد الاتحاديين ، وأنها منحت امتيازاً اقتصادياً في الأناضول مقابل مليون ونصف مليون جنيه .

عودة الحرب : وقد انتهت الهدنة على إثر وضع الصدارة الجديدة شروطاً تصون بها حقوق الدولة ، وقامت الحرب من جديد .

وصدرت الإرادة السلطانية بعقد قرض أهلي قدره خمسة ملايين ليرة تركية ، فأقبل الشعب التركي على المساهمة في هذا القرض .

مظاهرات النصر في الإسكندرية : وقد جاءت الأخبار في ١٤ فبراير بانتصار الجيوش التركية عند بدء القتال ، فقامت المظاهرات في الإسكندرية أبتهاجاً بهذا النصر ، وقبض على حامد المليجي أفندي ومحمد كاظم أفندي من شبان الحزب الوطني بتهمة التحريض على المظاهرات ، وحكم عليهما يوم ٢٠ منه بالفرامة .

هزيمة بعد انتصار وسقوط أدرنة : ولكن ما لبثت الأخبار أن جاءت بتقهقر الجيوش التركية وسقوط أدرنة ، بعد أن ظلت أربعة أشهر وهي محاصرة ، وكان قائد حاميتها البطل شكرى باشا .

وقد كان لسقوطها رنة حزن وأسف في أنحاء العالم الإسلامي ، لأنها طريق للاستانة

قتل الصدر شوكت باشا : وفي ١١ يونيو قتل محمود شوكت باشا الصدر الأعظم بيد أربعة من الشبان كانوا يركبون سيارة .

سعيد حليم صدر أعظم : وعهد بالصدارة إلى سعيد حليم باشا .

وقد شكلت محكمة عرفية لمحكمة القاتلين ومن يتصلون بهم ، وعلبت (ركنت

بالاستانة للاصطيف مع أسرى) أن طلعت بك حادث رئيس المحكمة في موضوع المحاكمة وذكر له أن الشعب ينتظر الحكم بالاعداد على كل من يثبت عليهم اتصالحهم بالمقامرة ولو بلغ عددهم الخمسين ، فرد عليه بأن في هذا الكلام خطأ قانونياً وسياسياً ، فأصر على طلبه ، ولما لم يجد من رئيس المحكمة الموافقة اللازمة ، عرض عليه أن يتغيب باجازه لمدة شهر ، وعين بدله رمزي بك أحد أركان الاتحاديين .

وقد حكم بالشنق على عشرين منهم الداماد شريف صهر السلطان والبرس صباح الدين من أسرته .

وبعد الشنق أخذت الدوريات تطوف في المدينة وتقبض على كل من يتحدث عن فظاعة هذا الحكم .

فطره روستقمرل مصر . ظلت الانتصارات تتوالى للبلقانيين حتى أصبحوا على أبواب الاستانة ، وكان الخديو قد حضر إليها يوم ١٥ سبتمبر بعد زيارته لأوروبا .

وفي يوم من الأيام كنت في بيك وحضر فريد باشا الصدر الأسبق للزيارة وكان سموه في الحريم ، جلست معه ودار الحديث بيننا عن حالة تركيا السيئة ، فقلت له : لمتى أخشى أن تكون هذه المزاثم مسهلة لتحقيق مشروع دول أوروبا القديم في تقسيم تركيا ؟ وإذا كان الأمر كذلك لماذا يحصل لمصر وهي من أملاك الدولة ؟ فهلا يمكن التفكير في مستقبلها بأن تتفق مع انجلترا للوصول إلى استقلالها ؟

فرد فريد باشا بأن سياسة الخديو مع انجلترا لا تجعلها تأمن له أو تثق به فتساعد على ذلك .

ثم سألتني : فكيف تفاخمون الانجليز في هذا الموضوع ؟

فقلت : يوجد حل هو أنني قبل سفري من مصر علبت أنت كنتشر ينتظر عودة الخديو ليطلب من الحكومة التخلي عن قطعة أرض في أي قبر لاقامة تلغراف لاسلكي تابع لوزارة الحريه البريطانية ، فعند تقديم هذا الطلب ، يمتنع الخديو بأن الفرمانات تقيد به عدم التنازل عن شبر من الأرض بغير موافقة الدولة . وإذا كان الانجليز يحبون إفساح المجال لسموه في هذه الشؤون ، فليهم أنت يساعدوا مصر على الاستقلال .

وهنا حضر الخديو . فسأل عن موضوع الحديث ، فأخبرته به . وقد ظلت هذه الفكرة تدور برأسه حتى رجعنا لمصر في ٢ أكتوبر . وبمجرد

وصولنا أرسل محمد سعيد وحسين رشدى لمقابلته بالقبة، وحضر الاجتماع اسماعيل أباطه وقص الخديو ما دار بينى وبين فريد باشا .

وبعد المداولة فى الموضوع تقرر أن يتوجه حسين رشدى لكتشنر ويتفاهم معه ، وقد استمع كتشنر لحديثه ، ثم طلب منه مهلة للتفكير .

وقد أمرنى الخديو بالاجتماع مرة أخرى مع رشدى باشا وأباطه باشا للتداول وتحديد المطالب ، فاجتمعنا إلى منتصف الليل ولكننا لم نقرر شيئاً لأننا أرجأنا البحث فى ذلك حتى نعلم رأى كتشنر . وتبين إن كانت إنجلترا تساعد مصر على فصلها عن تركيا وعند ذلك نبحث فى الذى نطلبه ؛ إما الاستقلال وعقد محالفة مع إنجلترا أو طريقة أخرى تبعاً لما تبتديه وزارة إنجلترا . ولما تقابل رشدى باشا مع كتشنر قال له : ولقد كنا أصدقاء للدولة ، فلا يصح أن نتكر لها فى وقت محنتها ؛ وبذلك طوى المشروع .

عقد الصلح : وأخيراً عقد الصلح بين تركيا ودول البلقان ونالت إنجلترا فى مقابل وساطتها ، امتيازات إدارية فى العراق ، وتنازل الحكومة التركية عن حق مراقبتها على القروض المصرية .

البرنسى فؤاد وهرشى ألبانيا . فى أثناء الاضطرابات البلقانية ، تحدثت الصحف الأوربية عن سعى البرنسى فؤاد لتولى عرش ألبانيا ، وقد ورد فى جريدة الطان الفرنسية نقلاً عن صحف رومه ، أن سموه ينوى دخول ألبانيا على رأس قوة من عشرين ألفاً من الألبانيين الثأرين على حكومتهم ليعلمن استقلالها ، ثم عقب على هذا الخبر بقولها : « إن الدول معترفة باستقلال ألبانيا فعلاً ، ولكن البرنسى ينوى زيارة باريس كما زار رومه وفينا ، ويسمى لأن تحفظ لألبانيا حدودها الطبيعية . »

وذكرت صحف النمسا أن حكومتها لم تقبل ترشيح البرنسى لعرش ألبانيا .

أفراح الخديو . فى يوم ٢٧ مارس عقد فى قصر القبة كتاب محمد جلال الدين باشا نجل فريد باشا الصدر الأسبق على البرنسيس عطية الله خانم افندى كريمة الخديو ، وقد حضرت العقد مع النظار وفريد باشا ورشيد بك ناظر الداخلىة التركية سابقاً وجمال الدين افندى شيخ الاسلام السابق بالاستانة وقاضى مصر (التركى) وشيخ الأزهر والفتى وغيرهم .

وكان وكيل العروس عمها البرنسى محمد على ، ووكيل الزوج شيخ الاسلام .

وحصل مقدم الصداق ثلاثة آلاف جنيه وموجله سبعة عشر ألف جنيه وكتب العقد قاضى مصر .

صفقة طيبة (أرض المطاعنة) . فى يوم من أيام سنة ١٩١٢ جاءنى على جلال باشا (أحد المقرين للخديو) فى ديوان الأوقاف وقال لى : « إن أفندينا أرسلنى إليك فى شأن شراء أرض للأوقاف عن طريق الاستبدال وهى صفقة طيبة ، فسألك عنها ، فقال : هى أطمأن أخيك محمد توفيق بك وتادرس شئوده والباقى الحلوى وتبلغ مساحتها ٣٥٠٠ فدان تقريباً فى المطاعنة . »

وقد كنت خبيراً بهذه الأرض وفيها قصر عظيم أعده السير إرنست كاسل لأقامته مدة الشتاء ، وكنت عالماً بالثمن الذى اشتريت به ، فقلت له أن ليس لى ما يمنع من إتمام هذه الصفقة .

فسألتى : « أتعرف المثلث ؟ » فقلت : « لنى اشتريتها لأشى بـ ٦٥ جنياً للفدان للأرض الطيبة العالية ، وكنت أعلم أن أوطى جزء فيها على الساحل كان معروضاً بأربعين جنياً فقط للفدان ، والمالك الآن فى عسر لتسديد ألساط البنك العقارى التى عليها ؛ لذلك فأنها ستباع بالمراد فى المحكمة ، فالثمن لابد أن يكون منخفضاً . »

فقال لى : « كلا ! إننا نريد ثمناً حالياً لهذه الأرض » فأجبت به أن الذى أنوى اتباعه هو أن تؤلف لجنة وتفحص الأرض وتقدر لها الثمن المناسب .

ولما وجدنى غير مستعد للسير فى التيار الذى يريده ، قال لى : « إن لك فائدة فى هذه الصفقة ! » فابتسمت وقلت له : « دعنا من هذا الآن ، فأنا على كل حال لا أستطيع أن أنصرف تصرفاً غير قانونى ما دمت فى ديوان الأوقاف . »

وعندئذ سألتى : « ماذا يتصنع إذن ؟ » فقلت له : « انركونى لأتصرف بما توحىه المصلحة . »

وفى مرة كنت مع الخديو ومحمد سعيد باشا ومحمد عزت باشا فى قطاره الخصوصى عابدين من تفتيش لإنشاص إلى مصر بعد أن تفقدنا أعمال الإصلاحات فيه ، فقال لى محمد سعيد باشا : « لماذا لم تنه مسألة المطاعنة ؟ » فأجبت به أن ضميرى لا يسمح لى وأنا فى الأوقاف أن أقوم بعمل يسى . سمعة الخديو . ومن هنا عرف الألفائدة مطلقاً من محاولاتهم معى .

وبعد أيام جاءني أحمد صادق بك وكيل الخاصة الخديوية وسألني عما عرّضت عليه في هذه المسألة؛ فأجبت بآني أحب أن أنصرف تصرفاً لا انتقاد فيه، وخصوصاً أن الخديو قد تدخل في هذا الموضوع، فيجب ألا نعمل ما يسبب أي انتقاد، فقال لي: ولا تفكر في هذه الأشياء فإن الخديو ينوي أن يجعلك ناظرًا في وقت قريب، فأجبت بآني على كل حال رجل الخديو سواء كنت ناظرًا أو مديراً للأوقاف، ولا أقبل على نفسي أن أعمل عملاً يسبب انتقاداً على سموه.

ولما تبين للخديو أنني غير مستعد للتساهل في هذا الأمر، ترك المسألة مؤقتاً. ولم يفتأ يخنى سموه ولا غيره في مسألة المطاعنة. ولما لم أنفذ أمره سمع لي بأجازه أفضياها مع عائلي في الاستانة بمجرد أن التماسها من سموه.

وفي أثناء وجودي بها وصلتني عدة رسائل من عبد الرحمن فهمي بك ومن محمد وجيه أفندي سكرتيري الخاص، بالبحاولات التي بذلت لاتمام الصفقة بواسطة الأول. وبعد رجوعي علمت منه أيضاً أن أحمد صادق بك وكيل الخاصة الخديوية قابله وقال له إن الخديو يريد أن تعمل المباحثات اللازمة عن ٣٠٠٠ فدان وكسور بجهة المطاعنة كي تقتربها الأوقاف العمومية. وبينما كان بمسجد أبي العباس المرسى لصلاة الجمعة مع الخديو، سأله سموه عما تم فيما أبلغه به أحمد صادق بك، فعرفه بأنه سيقدم تقريراً عما أجراه، وبأنه جرى صلح له أن هذه الأقطان يملكها الآن شخصان، أحدهما محمد توفيق بك وله الثلثان وأندراوس بشاره ويملك الثلث الذي اشتراه في العام الماضي (سنة ١٩١١) من البابي الحلبي الكتبي المشترى الأصل لهذا الثلث، وأن هذه الأقطان متأخر عليها قسماً سنتين للبنك العقاري الذي حل محل الدائرة السنوية البائعة الأصلية، وأن البنك المذكور شرع في نزع ملكية هذه الأقطان وتحدثت جلسة للبيع.

وقد علم عبد الرحمن فهمي بك بأنه براد مشتري هذه الأقطان للأوقاف العمومية بأكثر من ضمني ثمنها ليستفيد المالكان بعض الشيء، والبعض الآخر لمن يلحون بأجراه هذا المشتري. فأسرع بمقابلة عباس في سراي رأس الشين وعرض عليه عدم إمكان مشتري هذه الأقطان بطريق الممارسة لأنها معروضة للبيع بالمراد الجبري، وأن هذا يخالف للقانون المالي، فظهر له امتعاض الخديو من أقواله. وبجلسة أخرى مع سموه بوجود أحمد صادق بك قال: «تأكد يا أفندينا أنني أضحي كل شيء في سبيل مرضاتك ولكنني في الوقت نفسه أضحي حياتي في عدم مساس المصلحة المرتبطة باسمك بسوء.

هذه الاطيان كان يمتلك ثلثها شخص يدعى الباني الحلبي، باع نصيبه في العام الماضي إلى اندراوس بشاره بسر الفدان . ٤ جنيتها مصريا وقيل بـ ٥٠ جنيتها مصريا ، وهذا الرجل وزع نشرة على جميع القناصل والنظار والمستشارين والعلماء وعلى كل ذي حيلة في البلد ، قال فيها إن أموال العجزة والمكسحين تبعثر ذات اليمين وذات اليسار ، وأن الأوقاف تريد مشترى أطيان لا يساوي الفدان منها أكثر من ٤٠ جنيتها بخمسة وتسعين جنيتها ، ويستنهضهم القوم إلى ملافاة هذا العمل ، فتلقاء هذا بالثدينا نرى أن الحكمة تقضى بعدم التفكير في المشتري بالممارسة ، وأن المشتري بالمواد العلى لا جناح عليه ولا ترهب .

عندئذ فكر الخديوي برهه وقال له : « أعد لخص المسألة ثانياً ، وإن وجدت لها حلا فاشترها . » ثم سافر الخديوي في اليوم التالي إلى أوروبا ولكنه لم يقبل تنفيذ الأمر ووقف موقفاً مشرفاً .

افتياري للأوقاف الخصوصية . وبعد رجوعي من الاجارة استدعاني عباس لسراي عابدين ، وهناك وجدت محمد سعيد باشا ، فقال سموه : « طلبتك مع سعيد باشا لتفكر في اختيار رجل غير احمد خيرى باشا يدير الأوقاف الخديوية لأنه ليس من المجددين الذين يدخلون الاصلاحات والنظم الجديدة . »

وفي مرة أخرى سألتى عما إذا كنت قد فكرت فيمن يصلح لهذه المهمة ، فأجبتة بأننى أرشح على أبا الفتوح باشا لأنه رجل إدارى وقانونى وجدى في عمله وتصرفاته . ثم سألت عن اختاره محمد سعيد باشا ، فقال إنه لم يرشح أحداً لأننى ثم فكر قليلا وقال : « ولماذا تبحث يا شفيق بعيداً عن رجل صالح للأوقاف الخصوصية وعندنا من يصلح ؟ » قلت : « ومن هو ؟ » قال : « أنت . »

وسألتى عما أتاوله من ديوان الأوقاف فقلت : « ١٧٥٠٠ جنيتها . » قال : « وإذا أحلت على المعاش ؟ » قلت : « ثمانمائة جنيه . » قال : « فإذا نلت هذين المبلغين تكون قد وصلت إلى مرتب ناظر ، وبعد ذلك ننظر في ترقية أخرى . »

فقلت لسموه : « إن الناس كانوا يقولون عن ديوان الأوقاف إنه رجل مريض ويحتاج إلى علاج ، وأنا قد أخذت في علاجه ، ولا أستطيع أن أقول إنه أصبح سليماً معافى ، فهو ما يزال في حاجة للعلاج ، وأريد ألا أتركه حتى يتم شفاؤه . » فقال لى : « لقد عملت كثيراً ، وأصلحت كل شيء فيه . »

١٩١٣

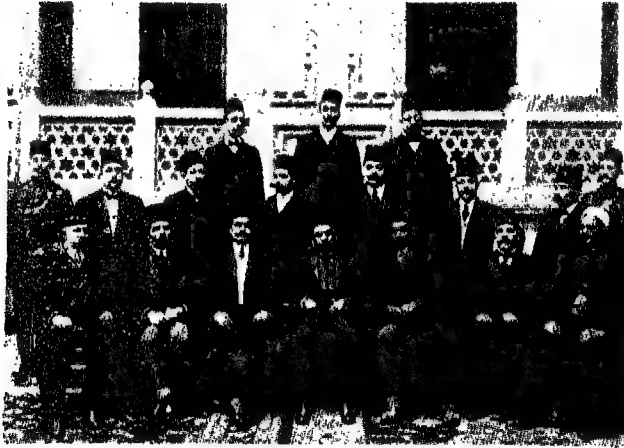
— ٢٩٥ —

فأجبتة : ، إننى أحب أن أتم هذا العمل حتى يقال : هذا هو المصرى الوحيد الذى ليس له ، جوكى ، انجليزى فيكون عملى نموذجاً للمصرى المصلح ، وهذا يعود لسموك ولاختيارك وإرشادك .

ولكننى وجدت من الخدميو لإصراراً تاماً على فكرته ، ووجدت نفسى أمام ابن ولى نعمتى توفيق ، فقبلت مكرها ، ولكننى عرضت بقاى حتى يتم تنظيم الميزانية لعام ١٩١٣ فوافق سموه على ذلك .

وعند تركى الديوان أهدى لى رؤسائه إطاراً من البرونز الفخيم به صورتهم هذه وأنا فى وسطهم تذكراً للسنوات الثلاث التى قضايتها معهم بما دل على حبهم وإخلاصهم لى ، وقد أدخلت على هذه الهدية الثمينة السرور العظيم خصوصاً وإنى لا أذكر أن أحداً من سلفائى قد نال ما نلته ، فشكرت لهم كل الشكر ، وصالحتهم وودعتهم .

(٨) . (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤)



(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧)

(١) أحمد الأزهري بك (٢) إبراهيم بك هلى (٣) محمود باشا فهمى (٤) شفيق باشا
(٥) عبد الرحمن فهمى بك (٦) على لبيب بك (٧) هركس باشا (٨) خالد بك الغوال
(٩) عبد الفتى بك شاكر (١٠) خليل بك إبراهيم (١١) محمد بك حنفى (١٢) عثمان بك محرم
(١٣) جلال بك فهمى (١٤) أحمد بك السيد

هذه الصورة أخذت فى أواخر شهر ديسمبر عندما علم رؤسا الديوان بقرب استقالتى

وبما أذكره أننى قبل خروجى تركت مذكرة لخلفى لفت فيها نظره إلى بعض المسائل الهامة قانونية كانت أو إدارية — وكانت تحت التنفيذ — ومن بينها رفع دعوى ضد عبد الرحيم باشا الدمرداش ، بخصوص أرض بالقرب من حدائق القبة . وكنت قد سلمت أوراقها إلى ناظر الداخلية محمد سعيد باشا بناء على أمر الجانب الخديوى لفحصها ومعرفة إذا ما كان للديوان الحق فى رفع هذه الدعوى (٥)

كيف تسلمت إدارة الأوقاف الخديوية : شتان ما بين سرورى وآمالى عندما أسندت لى إدارة الأوقاف العمومية ، لأننى كنت أشعر بأن المولى سبحانه وتعالى سيساعدنى على تحسين حالة هذه المصلحة الخيرية ، وبين اليوم الذى تسلمت فيه إدارة الأوقاف الخديوية الخصوصية ، فإن قلبى كان حزيناً لأنه يشعر بأن قلبى إليها ما كان فى الحق لغرض إصلاحها بل لمنفعة كان يطلبها الخديو كما سيرى القارىء .

ولما جلست على مكتبى جاءنى الوكيل أحمد صادق بك وقدم لى كبار الموظفين وسألت كل واحد عن اختصاصاته وأخذت مذكرة بذلك . ثم سألت عن الإحصاء غير الإدارى الموجودة بالديوان . فعلمت منه أن فى الأوقاف الخديوية موارد للخيرات يأذن الخديو شقيقاً بصرفها للدير ويسلمها إما لسموه أو للوكيل أو للصراف لتوزيعها سراً لمن يستحقونها من البيوتات التى أخفى عليها الدهر أو لأصحاب خيرة ، وقد سألتهم عما إذا كان المدير الذى يتسلم المبالغ التى يأمر بها الخديو يأخذ بها وصولاً سواء كان من سموه أو من الذى يأمر باستلامها ، فقال لا لأنه كان معتاداً فى مدة سلفى أحمد خيرى باشا ألا تؤخذ إيصالات بهذه المبالغ ويكتفى بالوصل الذى يعطيه المدير للصراف . ولكن من باب الاحتياط صممت على أنه إذا جاءنى من يبلغنى أمر الخديو بصرف مبلغ ، قل أو كثير ، أن أراجع الخديو وأعلمه بأن فلاناً أبلغنى أمركم بصرف (كذا) فلان أسلم هذا المبلغ ، فيقول لفلان أوى حتى أناك أنا من أوامره . هذا كل الاحتياط الذى أجرته .

مدير الأوقاف العمومية يباع ويشترى بمرأهم معروفة . بعد حديثى مع الخديو بخصوص نقل الأوقاف الخديوية جاءتنى مدموزل إمرى ، وكانت مريية لأحد أولادى قبل سفره لأوربا ، ثم توظفت بصفة معلمة فى منزل أحد أصحاب القانونيين

(٥) وقد علمت فيما بعد من إبراهيم باشا نجيب الذى خلفنى أنه لما طلب رد هذه الأوراق إليه من محمد سعيد باشا أخبره ، أنه كان سلمها لى وكيله لبحثها ، وأنها فقدت من مكتبته !

وكانت تتردد علينا من آن لآخر ، فسألني يوماً : هل ستترك الأوقاف العمومية ويحل ملكك البك الذي أنا في خدمته ؟ ، فاستغربت لمعرفتها بأمر تم الاتفاق بيني وبين الخديو عليه فقط ، وسألتها عن مصدر هذا الخبر ، فقالت إنني سمعت في منزل مخدومي أنه باع قطعة أرض ، ودفع خمسة آلاف جنيه للوسيط من رجال المعية .

عباسي يهيب عصفوريين بحجر . عندئذ ظهر لي أن محاولة إخراجي من الأوقاف العمومية لها وجهتان : فالأولى هي أخذ الخمسة الآلاف جنيه ؛ أما الثانية فهي تنفيذ صفقة المطاعة ، وشراء الأطنان بمبلغ ٩٥ جنيهاً للفدان الواحد ، في مقابل سمسة قدرها ستون ألف جنيه ، تسلمها أحمد صادق بك من إدارة خزانة الأوقاف ، عدا ما استفاده البائعون .

تحويل الأوقاف إلى نظارة . قد علم ككتشنر بهذا السر (شراء الأوقاف أرض المطاعة وأخذ الخديو مبلغ ستين ألف جنيه) وصمم على جعل ديوان الأوقاف نظارة . ولما كانت للمشكلة صبغة دينية ، فانه أراد أن يعرف رأى الاستانة .

كتشنر يستشير الصدر الأعظم وشيخ الاسلام : وكانت له علاقة مع عماد الدين بك وكيل دائرة الأمير حلیم باشا ، فطلب منه عند سفره إلى استانبول في فصل الصيف مقابلة شيخ الاسلام ، خيرى افندى ، والصدر الأعظم ، البرنس سعيد حلیم باشا ، ومفاتيحهما لأخذ رأيهما في تحويل الأوقاف المصرية إلى نظارة ، فسافر ؛ وذات يوم عقب اجتماع الوكلاء في سراى الصدر ، عرض عماد الدين عليهم الموضوع ، فأظهروا جميعاً موافقتهم ، وكان البادى طلعت باشا ناظر الداخلية ، وكان الصدر الأعظم وشيخ الاسلام صامتين . ولما سئل الصدر الأعظم عن رأيه ، أجاب أن رأى لحضرة شيخ الاسلام ، فقال إنه لا يرى مانعاً لحسب ، بل يرى المصلحة في هذا التحويل ، وقال الصدر الأعظم : ما دمت قد وافقتم جميعاً فأنا أوافق معكم .

ولما عاد عماد الدين في الحزيف ، أخبر ككتشنر بالنتيجة ، وكانت وزارة الخارجية الانجليزية تركت لككتشنر التصرف في هذا الأمر تحت مسؤوليته .

عندئذ أرسل حسين رشدى باشا للخديو ليفاقه في الأمر ، فاعترض بأن المسألة شرعية ، وهو لا يستطيع أن يعمل فيها شيئاً . ولما سمع ككتشنر هذا الرد غضب وقال : إذا كان لا يريد الموافقة ، فأنا أسلم العرش لابن عمه ، (يعنى سعيد حلیم الصدر الأعظم ، وعداؤه للخديو معروف .)

ودارت الخطابات في الموضوع بضعة أيام ، بواسطة محمد سعيد باشا ، وحسين رشدي باشا . وانتهى الأمر بسؤال الخديو الصدارة بصفة رسمية ، فوافقت على المشروع ، وبذلك تمت المسألة كطلب كتشنر .

النظام الجديد للأوقاف : وقد اضطر الخديو للموافقة أخيراً ، واجتمع مجلس النظار في ٧ نوفمبر لوضع النظام الجديد لهذا التحويل ، وحضر الاجتماع لورد ادوارد سيسيل مستشار المالية ، والسير ملكولم مكلريس ، والمسير روكاسيرا المستشار الخديوي في مجلس النظار .

وفي ٢١ نوفمبر صدر الأمر بالتحويل ، على أن يتألف مجلس أعلى لنظارة الأوقاف من ناظرها رئيساً ، ومن شيخ الجامع الأزهر والمفتي وثلاثة أعضاء آخرين . وتكون ميزانية الأوقاف نافذة بمقتضى إرادة خديوية ، بناء على طلب ناظر الأوقاف ، وموافقة المجلس الأعلى ، وبعد أخذ رأى الجمعية التشريعية .

وعُدلت النظارة ، فعين أحمد حشمت باشا ناظراً للأوقاف ، ومحمد شفيق باشا وكيلها ، وأحمد حلمي باشا للبعارف ، وسعيد ذو الفقار باشا للدالية ، ومحمد محب باشا للزراعة التي أنشئت حديثاً ، والمستر هيوز وكيلًا للزراعة .

وعين الأعضاء الثلاثة في المجلس الأعلى ، وهم يحيى إبراهيم باشا ، وحسين واصف باشا المهندس ، وإسماعيل حسنين باشا .

وقد تردد يحيى باشا في قبول منصبه هذا لأنه وهو رئيس محكمة الاستئناف سيكون عند انعقاد المجلس الأعلى تحت رياسة وكيل النظارة عند غياب الناظر ، وحل هذا الاشكال بالألا يحضر إلا الجلسات التي يرأسها الناظر .

الانتقام من عبد الرحمن فهمي بك : سبق القول بأن عبد الرحمن فهمي بك

موقف في وجه الخديو في صفقة المطاعنة ، وقد حملها له الخديو ، وطلب منه مرات أن يستقيل من منصبه فأبى ، فانتهر الخديو فرصة تحويل الأوقاف إلى نظارة ، وأشار بإخراج عبد الرحمن فهمي بك منها على محمد سعيد باشا ، الذي اتفق مع عبد الرحمن بك على تعيينه مديراً للنيا أو محافظاً للقلال . ولما سمع الخديو بذلك أظهر استياءه لمحمد سعيد باشا ، فعدل عن تعيينه بعد إخرجه من الأوقاف .

وهكذا كانت الصفقة التي أبيتها سبباً في هذا الانقلاب ، بعد أن انكشف مركز الخديو فيها ، وتعرض للأقاويل .

انشاء الجمعية التشريعية . ورد في تقرير كثنش الذي نشر في العام الماضي ما يشير إلى العزم على توسيع اختصاص مجلس شورى القوانين ، وقد أخذ من هذا الوقت في تنفيذ الخطة التي أشير إليها ، وإعداد قانون نظامى جديد بدل القانون القديم في سنة ١٨٨٣ الذى أنشئ بموجبه مجلس الشورى والجمعية العمومية .

وفي ١٥ يوليو سافر حسين رشدى باشا من مصر ومعه القانون الجديد لتوقيعه من الخديو (وكان في باريس) .

صدور قانون الجمعية : وفي ٢١ منه صدر هذا القانون وهو يقضى بإنشاء جمعية تشريعية تحمل محل مجلس الشورى والجمعية العمومية وتألّف مجلس في كل مديرية .

ولاهمية هذا الموضوع أوردنا بعض ما جاء فيه . والجمعية تؤلف من أعضاء قانونيين وأعضاء منتخبين وأعضاء معينين . ويكون النظر أعضاء قانونيين .

وحدد عدد المعينين بسبعة عشر عضواً : أحدهم رئيس والثاني وكيل ، والخمسة عشر يعينون على نحو يكفل النيابة عن الأقليات والمصالح التي لا تال نصيباً من الانتخابات . وأما المنتخبون فيوزعون حسب النظام الآتى :

للقاهرة أربعة وللإسكندرية ثلاثة وللغربية سبعة ولكل من المنوفية والدقهلية والبحيرة والشرقية وأسيوط خمسة وكل من المنيا وجرجا وقنا أربعة وكل من القليوبية والجيزة والفيوم ثلاثة ولبنى سويف اثنان ولكل من بورسعيد ودمياط والسويس وأسوان واحد .

والمعينون يوزعون هكذا : للأقباط أربعة وللعرب البدو ثلاثة ولكل من التجار والأطباء ورجال التربية العامة والدينية اثنان وللهندسين والمجالس البلدية عضو واحد وبأخذ المعينون والمنتخبون مكافأة قدرها خمسة وعشرون جنيهاً في الشهر .

ومدة عضوية الأعضاء ست سنوات ويسقط منهم الثلث في كل سنتين . ولا يجوز عزل العضو إلا بأمر عال بناء على عرض مجلس النظارة بعد قرار بأغلبية ثلاثة أرباع الجمعية .

ويجوز حل الجمعية في أى وقت بأمر خديوى بناء على طلب مجلس النظارة وتجري لانتخابات الجديدة في هذه الحالة في ظرف ثلاثة أشهر .

اختصاصات الجمعية : أما اختصاصاتها فهي أنه لا يجوز إصدار أى قانون ما لم يتقدم أولاً للجمعية لأخذ رأيها . ويعتبر قانوناً كل تقنين يتعلق بأمور مصر الداخلية وله مساس بتنظيم سلطات الحكومة ، أو يقرر بطريقة عامة أمراً متعلقاً بحقوق سكانها المدنية والسياسية ، وكل أمر غال يشتمل على لائحة لإدارة عمومية .

والجمعية حق تحضير مشروعات القوانين ، عدا ما يتعلق منها بالقوانين النظامية ، وللمجلس النظر أن يوافق على المشروعات التى تقترحها أو يرفضها ، وفى حالة الرفض يذكر الأسباب ؛ ولا يجوز للجمعية مناقشة هذه الأسباب .

وإذا لم تقتنع الجمعية بالأسباب التى أبدتها المجلس فإنها تنعقد هى والنظار فى هيئة مؤتمر ؛ فإذا لم تقتنع بما يبدىه النظر فإنها تحل .

ولا يجوز ربط أموال أو رسوم إلا بعد موافقة الجمعية . وتستشار فى كل سلفة عمومية ، وفى كل مشروع عام متعلق بمسئلة مديريات وءاص بالإنشاء أو لإبطال ترعة أو مصرف أو خط من خطوط السكك الحديدية ، وفى فرز أطيان القطر لتقدير درجات أموالها .

وليس من اختصاصها النظر فى مخصصات الحديد ووبركو الاستانة والدين العمومى وكل الواجبات والالتزامات الناتجة من قانون التصفية أو الاتفاقات الدولية والمسائل المتعلقة بالدول الأجنبية وعلاقات مصر بهذه الدول والمسائل المتعلقة بتعيين أحد مواطنى الحكومة أو أحد مأمورىها أو بترقيته أو نقله أو عقوبته أو فصله ، وكل عمل آخر تجريه الحكومة بالنسبة لأحد موظفيها أو مأمورىها .

وترسل ميزانية إيرادات ومصروفات الحكومة للجمعية قبل انتهاء السنة المالية بأربعين يوماً .

قانون الانتخاب : وقد صدر كذلك قانون الانتخاب وهو يعطى حق انتخاب مندوبى الدرجة الأولى لكل مصرى بلغ من العمر عشرين عاماً ، واشترط لاتخاب المندوب أن تكون سنه ثلاثين عاماً ، والمندوبون يختارون النائب .

كتاب أبيض لكثشنر : وقد نشر قانون الجمعية وقانون الانتخاب فى لندره يوم ٣١ يوليو مع كتاب أبيض للورد كثشنر يحوى إيضاحاً للأسباب التى بنى عليها هذان القانونان وما جاء فيه :

١٩١٣

- ٣٠١ -

« إن الجمعية العمومية كانت اجتماعاتها قليلة ولم يكن لها عمل غير اعتقاد القوانين الجديدة الخاصة بالأموال المقررة والمستخدمين والضرائب ، أما مجلس الشورى فإنه وإن كانت وظيفته استشارية محضة إلا أنه اشترك اشتراكاً فعلياً في تنقيح القوانين .
ولذلك رأى أنه من المناسب توسيع سلطة هذا المجلس وإضافة اختصاص الجمعية العمومية إلى اختصاصاته .

« ومع ذلك فقد أعطى للجمعية الجديدة شيء من حق الاقتراح وإبداء الرأي مع الوسائط التي بها تضطر الحكومة إلى إطالة النظر في درس القوانين التي لا تصادق عليها الجمعية بكل اعتناء وتدقيق . »

وكتبت ، التيس ، تقول :

« أفند اللورد كاتشر مشروعاً من شأنه توسيع حرية الأمة المصرية توسيعاً كبيراً . وهذه الإصلاحات التي كان اللورد واسطتها تستحق أكثر من الالتفات العادي لأنها رد واضح على الدعوى التي كررت مراراً ، وقيل فيها إن النفوذ الإنجليزي ضغوط مطالب المصريين ضغوطاً يفوق الحد ؛ فإن كثيراً من الحرية والنفوذ اللذين يتمتع بهما سكان مصر الآن هو نتيجة الاحتلال الإنجليزي رأساً وإن تكن الشبهة المصرية تتجاهل التاريخ الماضي عند اجتماعها في جنيف وغيرها ، لأن ذلك يصادف هوى في قواها . »
انتخاب المنسوين : وفي ٢٦ أكتوبر أجرى انتخاب المنسوين ، وحدد يوم ١٣ ديسمبر لانتخاب الأعضاء .

أول بيان انتخابي : وبعد ذلك أصدر سعد زغلول باشا أول بيان انتخابي في تاريخ النيابة المصرية وقد جاء فيه :

« إذا شاء أبناء وطني أن ينتخبوني نائباً عنهم فأنا أعدد لهم بأن أجدهم في خدمتهم بالبحث عن كل العلل والأسباب التي يشكون منها ، وجمع الشواهد وإعداد الأدلة والحجج التي أتوصل بها إلى إقناع زملائي في المجلس حتى يؤيدوني فيما أقترحه على الحكومة من التعديل لخبر الأمة ، وإلى إقناع الحكومة بصحة اقتراحنا واستألتها إلى قبوله والعمل به حياً لخبر الأمة .

« إنني اخترت أحوال التدريس والمدارس زماناً طويلاً ، فإذا انتخبت في الجمعية التشريعية فاني أعاهد الأمة على إفراغ الجهد في توسيع نطاق التعليم حتى يتيسر لأبناء الفقراء أن ينغموا كبناء الأغنياء .

« وأنا لا أزال مقبلاً على رأيي في إعطاء الصحافة الحرة اللازمة لزيادة نجاحها ، فإذا انتخبت فمأخول إقتاع الحكومة بوضع قانون تصان به حرية الصحافة ويصان به النظام العام من ضرر شططها .

« وإني أجعل حاجات معظم الأهالي نصب عيني وخصوصاً المزارعين ، فأسعى في سبيل وسائل الزراعة والرى ومد السكك الحديدية والزراعية ، وأدرس مسألة أسعار القطن درساً دقيقاً وأبذل جهدي في اتخاذ الوسائل التي تحمي مصالح الزراع . ،
المنشورات الانتخابية : وتوالت بعد ذلك المنشورات الانتخابية من محمد كمال بك وحسين واصف باشا وإدريس راغب بك وأمين ساي باشا وغيرهم .

انتخاب النواب : وفي ١٣ ديسمبر أجريت الانتخابات للنواب ، وهذه بعض أسماء البارزين من المنتخبين : سعد زغلول باشا في دائرتي بولاق والسيدة زليبا وقد اختار دائرة السيدة زينب وأعيد الانتخاب في بولاق ، وعبد الخالق مذكور باشا عن الدرب الأحمر ، والسيد عبد الرحيم الدمرداش عن الجمالية ، ومحمد يكن باشا ومنصور يوسف باشا في الإسكندرية ، وعبد السلام العلايلي بك عن دمياط ، وعلى المنزلاوي بك وإبراهيم سعيد باشا وعبد البدر اوى باشا وفتح الله بركات بك في الغربية ، ومحمد السيد باشا أبو علي وعبد المجيد سلطان باشا وعبد العزيز فهمي بك ومحمد علوي الجزائر بك ومحمد أبو حسين باشا في المنوفية ، وعلى الشمسي أفندي في الشرقية ، وعبد اللطيف الصوفاني بك في البحيرة ، وحسين هلال بك وعبد اللطيف المسكباتي في الدقهلية ، ومحمد الباسل بك في الفيوم ، والسعدى المصرى بك وعلى شعراوى باشا وحسين الشريعى بك في المنيا ، ومحمد محفوظ باشا وعبد الرحمن محمود بك ومحمد قطب قرشى بك في أسيوط ، ومحمد أبو ستيت بك ومحمد همام حمادى بك في جرجا .

النواب المعينون : ومن عين عن الأقباط قليني فهمي باشا ، ومرقس سميكه بك وسينوت حنا .

رئيس الجمعية ووكيلها المعين : وقد اختير لرياسة الجمعية يوم ١٩ ديسمبر أحمد مظلوم باشا ناظر الماكينة سابقاً .

وعرض على عدلى يكن باشا أن يكون وكيلها المعين ، فاشتراط للقبول أن يكون بمنزلة النظار في التشريفات والحفلات الرسمية ، وقبل شرطه فعين وكيله .

الانقضاء الجمعية : وقد صدر الأمر الخديوي بدعوة الجمعية التشريعية للانقضاء يوم ٢٢ يناير سنة ١٩١٤ .

مصاهي الصلح بين الخديوي ومحمد فريد بك . حصلت مخاضات مع توفيق زاهر بك ومحمد لبيب البنانوني ويوسف صديق باشا ومحمد علي دلاور بك بخصوص صلح الخديوي مع محمد فريد بك

وساطة مدام روشيرون : في ١٠ أكتوبر تقابلت مع فريد بك وكانت موفدة من قبل الخديوي لإتمام الصلح ، فأخبرها بأنه يقبل الصلح إذا كان الكلام يكون بينه وبين عباس بلا وسيط ، ولكن لم يتم الصلح لأن عباس نخش جواسيس الانجليز في جنيف أن يظلموا على اتصاله بفريد بك فرجع إلى مصر دون أن يتم الصلح .

مشوره مختلفه .

تقرير كتشنر : في ٢٤ مايو ظهر تقرير اللورد ككشنر فقال ما ملخصه إن الملاحظات السياسية التي أبدتها في السنة الماضية قد أثمرت فنقص تحزب الاحزاب وتنازعاها وازدادت الثقة بالحكومة .

ثم قال : إن مصر بقيت على الحبيساد في حروب البلقان أيضاً أسوة بالحرب الإيطالية التركية ؛ وإن كانوا أظهروا ميلهم للمسلمين فأنشأوا جمعية للهلال الأحمر وجمعوا التبرعات لها وللدولة .

ثم ذكر استقالة سعد باشا من النظارة وأنى على ملخص لتدرجه في الأعمال الحكومية وقال إنه أدخل إصلاحات كثيرة على نظارتي المعارف والحقانية اللتين تولاهما . ثم تكلم عن المؤامرة والمنشورات الثورية ، وقال : إن المؤامرات لو تمت لأخرت مصر كثيراً ؛ والمنشورات قال عنها إنها ضبطلت ففشل قصدها ، وأن القضية الخاصة بها أخذت شهرة لا تستحقها لا أم الشيخ جاديش باشتراكه فيها ، وهذا الرجل من كبار المبيجين في الحزب الوطني .

ثم تكلم عن الشؤون الخاصة بالزراعة وامتدح قانون خمسة الأفدنة وإنشاء محاكم الأخطاط وتعليه خزان أسوان ، الخ

وفي نهاية العام قدمت استقالتى بعد عمل الميزانية وتقديم التقرير السنوى على حسب ما يورد في مذكرات العام الماضي .

سنة ١٩١٤

الجمعية التشريعية . هيد الجاوس القديري . حادثة الطيار فدرين الفرنسي
سقوط نظارة محمد سعيد . كفتنر يلقا القديري . الاحتفال بوضع الحجر الأساسي
للجامعة . رحلة القديري في الوجه البحري وظهور نفوذه . تألم كفتنر لنجاح الرحلة
تكرم واصف بطرس غالي . وداع المجمع العلمي طاسيرو . مبيع سكة حديد
مربوط . نهديرات كفتنر بعزل القديري . تفكير عباس في التنازل عن العرش .
حادثة الاعتداء على حياة القديري وشعور المصيريين نحوها .

الجمعية التشريعية . تصريح لرئيسها . قال مظلوم باشا إن الجمعية التشريعية
سيكون لها من الشأن ما يعادل الصلحة التي أقيمت في سبيلها ؛ لأن فيها عدداً من خيرة
الرجال العاملين ، وإنهم كلهم بما فيهم المعينون سيكونون معارضين للحكومة كما أنهم
سيكونون معها ، لأن النقد والمعارضة سيكونان على أصولها .

ثم قال : إن الأعضاء المعينين من قبل الحكومة لن يكونوا تحت أي تأثير ، ولن
تكون حريتهم تحت أي ضغط يميل بهم مع الحكومة ؛ لأن الغرض الأساسي من تعيينهم
هو تسكلة العدد وتمثيل الأقليات .

سعد باشا ووكالة الجمعية : وقد كانت الأنظار تتجه إلى سعد باشا ليكون في
وكالة الجمعية عن المنتخبين ؛ ولكن اختلفت الآراء ، فبعض الناس أرسل للصحف
يطلب منه ترشيح نفسه ، وبعضهم أرسل يشير بعدم ترشيحه ؛ لأن هذا المركز قد
يمنحه من العمل في حرية .

وفي ٦ منه نشر محمد بك أبو شادى نداء لأعضاء الجمعية، يطلب منهم فيه أن ينتخبوا سعدا وكيلا للجمعية.

مآدب لأعضائها: وفي يوم ١٥ منه أدب سمو الخديو مآدبة لأعضاء الجمعية. والنظار وكبار الجمعية بسرأى عابدين

وفي يوم ١٩ منه أقام اللورد كننشر مآدبة أخرى لرئيس الجمعية، ووكيلها المعين وأعضائها، وآخرين.

وكان يتقدم المدعوين صاحب الدولة البرنس حسين كامل، والبرنس كمال الدين، والنظار وكلاؤهم، والمستشارون، والمستر لانجلى مدير مصلحة الأملاك.

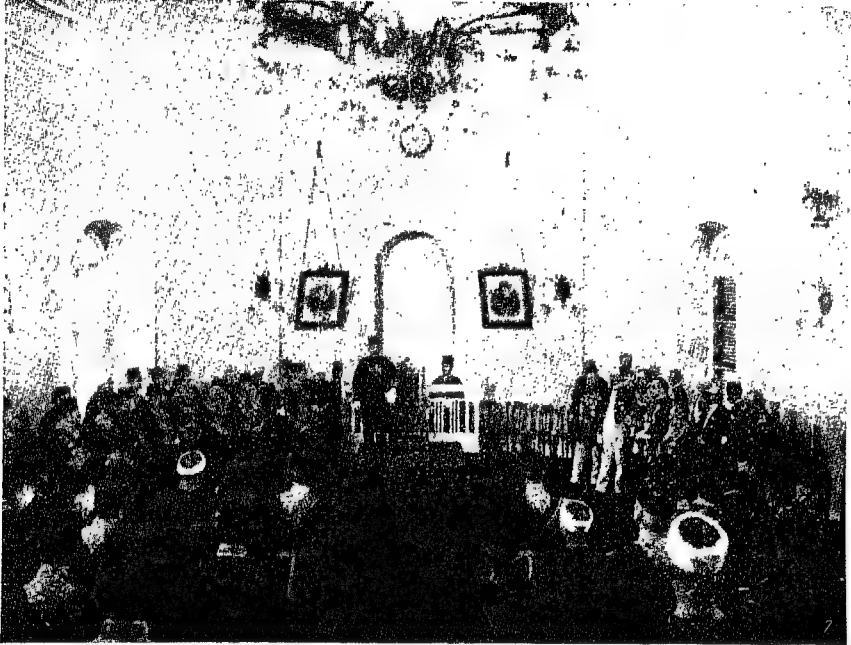
وفي يوم ٢١ منه أدب رئيس النظار مآدبة كذلك للأعضاء، في فندق سافواى ودعا اليها اللورد كننشر، ومستشارى النظارات وكلاهما.

افتتاح الجمعية: وفي يوم ٢٢ افتتح الخديو الجمعية التشريعية، وقد أعد احتفال كبير بهذا الافتتاح.

وقد ركب الجناب الخديو من قصر عابدين إلى الجمعية التشريعية حوالى الساعة العاشرة صباحا، لابسا كسوته الرسمية، ومستصحباً في مركبته عن يساره عطوفة رئيس نظاره محمد سعيد باشا، وأمامهما صاحب السعادة عثمان مرتضى باشا رئيس الديوان الخديو، واللواء اسماعيل مختار باشا السرياور الخديو، ومن ورائه مركبتان تقل إحداهما صاحى السعادة محمد عارف باشا السر تشريفاتى، ويوسف صديق باشا ناظر الدائرة الخاصة وتقل الأخرى احمد صادق بك والميرالاي ابراهيم أدهم بك؛ وتقدم موكبه ثلة كبيرة من خيالة البوليس؛ فاجتاز الطريق المؤدية من القصر إلى الجمعية بين تحيات الجنود المصطفة في جانبها، وبين تحيات الألوف من شعبه المجتمعين لمشاهدته في تلك الطريق، وفي المقاهى وشرفات المنازل المطلة عليها.

وعند بلوغه الجمعية استقبله في مدخلها سعادة رئيسها، ومعه حضرات النظار ووكيل الجمعية، وحافظ مصر؛ وبعد أن استراح بضع دقائق في الغرفة المقابلة لقاعة الجمعية دخل إلى القاعة لحف بكسبه عن اليمين حضرات العلماء وفي مقدمتهم سماحة جمال الدين أفندى شيخ الاسلام الأسبق بالاستانة، وفضيلة قاضى مصر، وفضيلة شيخ الأزهر، وغبطة الأنبا كيرلس بطريق الأقباط الأرثوذكس، وبعض النظار، وعن اليسار

وكلاء الدول كلهم وفي مقدمتهم لورد كاتشستر لايسا حلة المشيرة ، وبقية النظار
ومن ورأيهم جميعاً دولة البرنس ابراهيم حليم وسعادة اسماعيل حتى بك متولى مهام
القومسيرية العثمانية .



افتتاح الجمعية التشريعية

ويعد أن حلف حضرات رئيس الجمعية وأعضائها اليمين القانونية بين يديه
السكرتيرين ألقى سموه خطبة سنية ومما جاء فيها :
« أيها السادة

« إننى أنظر بعين الارتياح إلى اجتماع حضراتكم في هذا المكان حيث أرى
الأعضاء الذين اختارهم حكومتى ، جنباً إلى جنب مع المندوبين الذين بعثت بهم أمتى
لتمثيلها في هذه الجمعية التشريعية الجديدة ؛ فبشكل سرور أفتتح اليوم أعمال هذه الهيئة
الموقرة ؛ ولقد تحققت الآن رغباتى ومقاصدى التى أعربت عنها منذ عامين ، فيما يتعلق
بتحسين أحوال النظام النيابى العام وجعله أحسن مطابقة لمصلحة البلاد .

« إن صدرى لينشرح عندما يدور بخاطرى أنكم ستقدرون هذه الخدمة بما تقتضيه مكانتها السامية ؛ وأنكم ستضائفون على تحقيق ما تمناء لنجاح النظام الجديد ، فبهرنوا على إخلاصكم فى القيام على خدمة المرافق الحقيقية ، لهذا القطر بوجه العموم .
« ونحن على ثقة أن ما تظهرونه من الروية والفكر الثاقب فى أعمالكم ؛ وما تذرونه لحكومتنا من المعاونة الصادرة عن الفطنة والدراية ، متوخين فى ذلك سبيل الوفاق المبني على تنور الأفكار ، واتلاف القلوب - كل ذلك يكون كفيلا بما ستقدمونه من الخدم الحسنة الصادقة التى تنتظرها وتنتظرها البلاد منكم ؛ كما أنه يكون أكبر ضمان لازدياد الثقة بمستقبل النظام النيابى ، بما يعود على الأمة فى بلادنا بأكبر الخيرات وأوفر البركات .

« والله يتولاكم أيها السادة بحسن رعايته ،
ثم عاد سموه إلى قصره بعد أن ودع بمثل ما قبل به من التجلة والاحترام .
اللائحة الداخلية : وقد ألفت لجنة لوضع اللائحة الداخلية للجمعية ؛ وفى أثناء وضعها علمت اللجنة أن الحكومة وولاة الأمور يريدون أن يمنعوا الجمعية من طلب الدستور (كما كان ذلك منتظرا) أو إبداء رغبة فى طلبه أو رأى فى ذلك الطلب ، ويريدون أن يكون فى اللائحة الداخلية ما يحول لرئيس الجمعية الحق فى منع أى نائب من الكلام فى هذا الموضوع ، فإذا لم يمتنع أحال البحث فى ذلك إلى جلسة سرية .
وقد تناقش النواب فى ذلك كثيرا وأخيرا ارتضوا وضع مادة بذلك ، فى مقابل نصريح تعلقه الحكومة ، بأنها إذا حلت الجمعية لخلاف معصا على مشروع ، وأصرت الجمعية الجديدة على المشروع ذاته ، يعتبر رأى الجمعية الجديدة قطعياً .

عيد الجبلوس القديوى : فى يوم ٨ يناير احتفل بعيد الجلوس القديوى ، واستعرض البرنس محمد على باشا بالملابس الرسمية الحامية المصرية العسكرية فى عابدين والعباسية بميدان عابدين ، نائباً عن سمو شقيقه لأن سموه لا يقابل المهنيين فى عيده مراعاة لحداه على المغفور لها البرنيس نازلى هاتم فاضل ؛ وبحضور عطوفة سعيد باشا رئيس النظار ، والنظار ، والمستشارين ، وكلاء النظار ، وكبار الموظفين والأعيان .

مادة الطيار قديوى : حضر لمصر الطيار جول فدرين ، فى مسابقة

مع منافس آخر فرنسى . وثالث انجليزى؛ وكان من حظ الاول ، فدرين ، أن وصل لمصر قبل الآخرين ، وطار بطيارته فى بعض الأماكن بمصر ، وفى يوم الاحتفال بعيد جلوس الخديو استعرض الجيش المصرى فى ميدان عابدين ؛ وحلق فدرين بطيارته فوق الميدان . وألقى العلم المصرى فى مكان الاحتفال ، فسر الجميع من ذلك .

وفى يوم ٢٨ منه تشرف بمقابلة سمو الخديو دون تدخل المسيو دى فرانس المعتمد الفرنسى كما كانت تقضى بذلك الرسميات ؛ وفى ٢٩ منه تقابل هذا المعتمد مع عطوفة رئيس النظار سعادة محمد سعيد باشا وناظر الخارجية عدلى باشا محتجاً على ما وقع من مقابلة فدرين للخديو بدون وساطته ؛ فتشرف محمد سعيد باشا بمقابلة سموه وعرض عليه احتجاج المعتمد ؛ فأفهمه عباس أنه سبق أن تعرف بالطيار فدرين وخليته فى باريس فوجد أن لا ضرورة لوساطة المعتمد الفرنسى؛ ولكن هذا السبب لم يكن مقنعاً ، فطلب المعتمد ترصية عن هذه الالهانة؛ وبعد المداولة مع رئيس النظار وكبار الحاشية الخديوية تقرر لإفاد السر تشريفاتى محمد عارف باشا إلى الوكالة الفرنسية للاعتذار للمعتمد عن المخالفة التى وقعت منه بدون قصد ؛ غير أنه لم يكتف بهذا الاعتذار وألح فى إبعاده عن وظيفته ؛ وأخيراً صدر أمر الخديو بنقله إلى رئاسة الديوان التركى .

وفى ٣٠ يناير وزعت شركة هافاس نشرة نصها : إن معتمد فرنسا قد خاطب عطوفة رئيس النظار ، وسعادة ناظر الخارجية المصرية ، بشأن الظروف التى تشرف فيها أحد الطيارين الفرنسيين المقيمين فى القاهرة ، بمقابلة سمو الخديو يوم الأربعاء ٢٨ يناير ، وفى أول فبراير نشرت جريدة الطان الفرنسية ما يأتى :

« إن معتمد الدولة الفرنسية طلب عزل هذا الموظف ثم اكتفى بزيارة منه يبدى له أسفه . وأن الحكومة المصرية فى مجموعها قد وجدت الحق فى جانب معتمد فرنسا . فقررت فى الحال نقل الموظف المشغول . »

ولما أطلع الجناب الخديوى على ما كتبه الطان غضب ، وتناقش مع رشدى باشا فيما يجب عمله إزاء ما كتبه هذه الجريدة ؛ وهو يعتبر مأساً بكرامة سموه . فنقرر نشر التذكيب الآتى بواسطة قلم المطبوعات فى الجرائد فى ٩ فبراير (بعد نص كلام الطان) « هذه الرواية غير صحيحة إذ الحقيقة أن الجناب الخديوى العالى ، تعلقت إرادته السنوية بنقل رئيس تشريفاته ، من وظيفته إلى وظيفة أخرى تعادها ، اجتناباً لكل إشكال مع الوكالة الفرنسية . »

وبذلك أسدل الستار على هذه الحادثة .

سقوط نظارة محمد سعيد . في ٥ فبراير تم بيع سكة حديد مروط التي يملكها الخديو ، للحكومة المصرية بمبلغ ٣٩٠ ألف جنيه .

وكان الخديو يرى أن هذه الصفقة لم تأت بالرجح المنتظر ، لأن محمد سعيد باشا رئيس النظار لم يساعده فيها ، لحقق عليه لذلك . ولم تكن هذه الحادثة وحدها هي السبب في استياء الخديو من رئيس النظار ، فانه كان يأخذ عليه أنه يسير تبعاً لكنتشنر ولا يحفل بأخذ آراء سموه ، لدرجة أنه كان لا يطلعه على كثير من مجريات الأمور ، اعتياداً على أن كنتشنر قد وافق عليها .

وقد انتهر الخديو فرصة مقابلته مع كنتشنر ، فأظهر استياءه من محمد سعيد لهذا السبب ، ولمح بأن مصطفى فهمي باشا لم يكن يتبع هذه الخطة ، وأنه يفضل من هذه الناحية ، لأنه يستطيع أن يعرف منه سير الحوادث ، ورغبات اللورد ، حتى يتفاهم عليها . وكان يرى في تلويحه باسم مصطفى فهمي لضمان رضا الانجليز ، قبيل اللورد كنتشنر .

وعند حديث اللورد مع مصطفى فهمي باشا في اختيار أعضاء النظارة ، طلب منه أن يأخذ أحمد حلمي باشا في نظارته نظراً لحالته المالية ؛ وكان قد وعده بذلك ، ولكن الرئيس لم يقبل ، وأراد أن يكون حراً في اختيار زملائه ؛ وكانت هذه مفاجأة للورد لم يكن يتظرها ، وانتهى الخلاف بتنحي مصطفى فهمي باشا .

كنتشنر يلجأ للخديو . عندئذ اضطر كنتشنر أن يلجأ للخديو لحل هذه الأزمة التي لم يكن يتوقعها ، بعدما أصبح الحاكم بأمره في البلاد ، وبعدها انزوى الخديو في قصره انزواء تاماً .

وقد رشع سموه حسين رشدي باشا ، وتم تشكيل النظارة في يوم ١٥ أبريل .

تمة في شئون الجامعة المصرية : سبق لنا أن تحدثنا عن إنشاء الجامعة ، من أول نشأتها ، إلى انتخاب حضرة صاحب الدولة البرنس احمد فؤاد رئيساً لها . والآن نأتي بملخص خطواتها ، إلى الاحتفال بوضع الحجر الأساس لها .

الاكتسابات للجامعة : تبرع مصطفى كامل العمراوى بك بستة أفدنة وقفها على الجامعة ، وحسن زايد بك من سراة المنوفية بخمسين فدناً ، وبمناسبة هذه الوقفة أقام

حفلة نفقة في سرايه ببلدة سراوة في ١٥ أبريل سنة ١٩٠٨ ، تحت رياسة البرنس فؤاد باشا ، وبحضور أعضاء مجلس إدارة الجامعة ، وعدد عظيم من الأعيان . ووقف احمد الشريف بك من أثرياء الغريسة مائة فدان . وسمو البرنس يوسف كمال . مائة وخمسة وعشرين فداناً بالقبليوية ، وثلاثمائة جنيه للمساعدة في نفقات إصلاح تلك الأطلان ، وذلك عام ١٩١١ .

وقد تبرعت البرنيس فاطمة هانم اسماعيل ، كريمة المغفور له اسماعيل باشا الخديو الأسبق ، بستة أفدنة بجوار سرايها بالدق لبناء دار الجامعة عليها ؛ ووقفت ستمائة فدان من أجود أطلانها ، لصرف ريمها على الجامعة ، غير جواهر قيمتها ثمانية عشر ألف جنيه .

هدايا مدرسية وقبول بعض صغار الطلبة مجاناً : سعى دولة رئيس الجامعة حتى أهدى الامبراطور غليوم للجامعة كتباً تركية نادرة ، ومجموعة ثمينة من المؤلفات الألمانية أكثرها خاص بالشرق ، وكذلك أدوات علمية لقسم الطبيعيات .

وكذلك أهدى ملك إيطاليا للجامعة كتاباً نادراً ، ومجموعة مؤلفة من النقود الإيطالية ؛ وأهدى رجال حكومته مجموعة من معادن إيطاليا .

وأهدى سلطان مراکش عدة مطبوعات ، طبعت بمطبعته الخاصة بفاس .

ثم سعى دولة الرئيس حتى قبلت فرنسا ثلاثة من صغار الطلبة المصريين في مدارسها بالمجان ، وحذت إيطاليا حذوها .

الاحتفال بوضع الحجر الأساس للجامعة . أمرت دولة الاميرة الجليلة فاطمة هانم بأن تكون جميع نفقات الاحتفال بوضع الحجر الأساس لدار الجامعة من مال دولتها الخاص ؛ وأن تكون لائقه بمقام الخديو الذي سيرأس هذه الحفلة ، فأقام المنوط بهم أمر الاحتفال سرادقاً فاخراً للخديو ، وأقاموا أمامه سرادقاً آخر يسع الألوف من المدعوين ، وفي الساعة الخامسة من يوم الاثنين ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٣٢ ، الموافق ٣٠ مارس سنة ١٩١٤ ، أقبل الخديو بمركبه الحافل ؛ فاستقبله الأمراء والنظار وأعضاء مجلس إدارة الجامعة ، يتقدمهم أصحاب الدولة فريد باشا الصدر الأعظم الأسبق ، والبرنس ابراهيم حلى باشا ، والبرنس فؤاد باشا ، والبرنس محمد علي حليم باشا ، وسماحة جمال الدين أفندي شيخ الاسلام الأسبق ، وفضيلة قاضي مصر ، وشيخ الجامع الأزهر ، وحسين رشدى باشا رئيس مجلس إدارة الجامعة ، وأحمد شفيق باشا وكيلها ، فصعدت الموسيقى

العسكرية بالنشيد الخديوى ؛ ثم دخل سموه إلى السراى المعد له حيث تقدم أحمد زكى باشا سكرتير مجلس النظار ، وتلا بين يديه محضراً بوضع الحجر الأساسى فى الزاوية الشرقية الشمالية من البناء ، فوق سموه هو وصاحبة الدولة فاطمة هانم اسماعيل على هذا المحضر ؛ وكذلك أعضاء مجلس إدارة الجامعة ؛ وألقى سموه بعد ذلك خطبة بليغة ؛ ثم تقدم حسين رشدى باشا رئيس مجلس إدارة الجامعة ؛ وألقى كلمة مناسبة للقيام ؛ وبعد ذلك سار الجناب العالى ، يتبعه أعضاء مجلس الادارة ، وكبار المدعوين إلى حيث أعد حجر الزاوية . فقدم عبد الله وهى باشا المهندس إلى سموه بحارة ومطرقة من الفضة ، قبضتاها من الآبنوس المنقوش ؛ وقد كتب على كل منهما وعلى حجر الزاوية والجامعة المصرية - الأميرة فاطمة ابنة اسماعيل سنة ١٣٣٢ هـ ، وقارباً للبلاط (المونه) من الفضة كذلك ، وصندوقاً يحتوى على النقود المصرية الذهبية والفضية ، وعلى نسخة من هذا المحضر والصحف المصرية ، فوضع هذا الصندوق فى حجر الزاوية ، فتناول الجناب الخديوى الحارة وأخذ بها قليلاً من الملائط ، ووضعها على الحجر ؛ ثم غطى هذا الحجر برخامة محكمة وطرقها سموه بالمطرقة ؛ ثم ناولها لرشدى باشا فطرقها بها أيضاً ؛ وناولها إلى ، فطرقها بها كذلك ، وأزال الحجر حينئذ إلى مكانه ؛ ثم عاد الجناب العالى والمدعوون إلى السراى ؛ وبعد أن سمع قصيدة من المطرب زكى عكاشة أفندى من إنفاء أمير الشعراء أحمد شوقى بك ، انصرف مودعاً بمثل ما قبل به من التجلة والاكرام . وقد اتدبنى مجلس إدارة الجامعة فى مجلس قسم الآداب ، للنظر فيما يرفع شأن التعليم إلى المنزلة اللائقة به ؛ وتقرر كذلك انتخاب الأستاذ اسماعيل بك رافت عميداً له والأستاذ المستر برسى وايت نائباً للعميد ، والأستاذ محمود فهمى أفندى سكرتيراً للمجلس ؛ وحددت مواعيد الامتحانات عن سنة ١٩١٤ فى العلوم الآتية :

آداب اللغة الفرنسية - وآداب اللغة الانجليزية - وآداب اللغة العربية وتاريخها -
وتاريخ الأمم الاسلامية - وعلم تقويم البلدان ووصف الشعوب - وتاريخ الشرق القديم
امتحان العامة : وحددت لامتحان العالمية يوم الاثنين ١ مايو فتقدم فيه الشيخ
طه حسين الطالب المنتسب ؛ وقد اختار مجلس القسم موضوعين لمناقشته فيما وهما :

١ - علم الجغرافيا عند العرب

٢ - المقارنة بين الروح الدينى للخوارج فى أشعارهم ، وفى كتب المتكلمين

أما موضوع رسالة الدكتوراه التى قدمها فهى : حياة أبى العلاء المعرى .

وتألفت لجنة الامتحان من الاساتذة الشيخ محمد الحضرى رئيساً ، والشيخ محمد المهدي ومحمد فهمي ائدى المدرسين بالجامعة ، وحضرتى اساعيل رافت بك ، والشيخ علام سلامة المتتدين من نظارة المعارف العمومية .

وكان اجتماع هذه اللجنة عليها بحضورى ؛ وبعد مناقشة الشيخ طه فى رسالته التى وضعها فى تاريخ أبى العلاء المعرى ، ثم فى الموضوعين اللذين اختارهما مناقشا استمرت نحو ساعتين وربع ، اجتمعت لجنة الامتحان للبدولة فيما يستحقه الطالب من الدرجات فقررت أنه يستحق :

ا - درجة جيد جداً فى الرسالة

ب - درجة فائق فى الجغرافية عند العرب

ج - درجة فائق فى موضوع الروح الدينية للخوارج

وقد تقرر إيفاده إلى فرنسا لتتيم دراسته العالية ؛ وقد صحبته من مصر إلى سراى رأس التير ؛ وقدمته بصفى وكيلاً للجامعة إلى الحديو ، فشجعه وتمنى له النجاح فانصرف مسروراً .

بعثات الجامعة : وبلغ المبعوثون من الجامعة حتى هذا التاريخ تسعة ، وقد كان إرسال البعثة الأولى فى سنة ١٩٠٨ ؛ وعددها أربعة طلاب لفرنسا ، وواحد لانجلترا .

رحلة القربى فى الوجه البحرى وظهور نفوذ . بعدما حدثت أزمة النظارة وانتهت بالحل الذى تقدم ذكره ، بواسطة الحديو ، أشرنا نحن رجال الحاشية على سموه أن ينتهز هذه الفرصة ويخرج من عزلته ، ويتصل بالشعب ، باعتباره الحاكم الشرعى فى البلاد .

واستقر رأى على أن يقوم برحلة فى الوجه البحرى ، واختار من رجال المعية عثمان مرتضى باشا رئيس الديوان الحديوى ، واللواء اساعيل مختار باشا السرياور الحديوى ، ومحمد فهمى بك التشرىفات الأول ، والميرالاي ابراهيم أدهم بك ، والشيخ محمد عثمان ، والدكتور عبد العزيز بك ، وتوفيق الحضرى بك ، والشيخ محمد البردينى ، لمرافقة سموه فى رحلته .

وكذلك تقرر أن النظار وديسهم يتناوبون مرافقته ، وقسمت الرحلة إلى مناطق يرافقه بعضهم فى كل مرحلة منها .

وفي الساعة التاسعة من يوم الثلاثاء ٢٨ أبريل وصل الركاب الحدي إلى قلوب وكان في معيته رئيس المطار، ومحب باشا، وسرى باشا؛ وبعد أن استقبل استقبالا عظيما من عائلة الشواربي، وأعيان وعمد مركز قلوب، افتتح المدرسة الابتدائية؛ وبعد تفقدها ذهب للسراشق الذي أعده لذلك حامد الشواربي بك وأخوته، وأعيان المركز؛ واستقبل فيه الأهالي، والعمد والأعيان، والموظفين؛ ثم زار المستشفى الأميري؛ وغادر قلوب إلى القناطر الخيرية؛ وكان يشرف على النظام والأمن مدير القليوبية وحكمدارها؛ وكانت الزينات تمتد على جانبي الطريق؛ وزار في القناطر منزل على عبد الله بك، وشقيقه محمود عزي أفندي، حيث تناول الحلوى؛ ثم قام من القناطر إلى البرادة؛ وقد أقام أمين سامي باشا زينة بديعة من القناطر إلى سرايه الذي استراح فيه الخديو؛ وقد تشرف بمقابلته هناك محمود سامي بك، والدكتور حافظ عفيفي بك، وعامة أهل البرادة؛ ثم تفرج سموه على حديقة الباشا، وغرس فيها بيده شجرة كثرى، تذكارا لتشريفه؛ ثم وضع أساس مسجد بناء سامي باشا في عزبته. ومن البرادة تحرك الركاب إلى مديرية المنوفية، فيم نحو الباجور، وزار السراشق العظيم الذي أقامه الوجهي إبراهيم أبو حسين بك؛ وكان يحيط بسموه الوزراء، ورجال المعية ومدير المنوفية؛ وبعد أن تناول سموه القهوة والمرطبات، سافر إلى شنوان؛ وكان سعادة محمود سوسة باشا، قد أقام سرادقا فخما، فسبح الأرجاء، متمتع الجوانب، لاستقبال سموه فيه؛ وقد ضم هذا السراشق عمد وأعيان مركز منوف، ورجال القضاء والإدارة؛ وعند وصول سموه خرج الجمع المحتشد لاستقباله، لحياهم وأظهر سروره العظيم لحفاوتهم؛ وبعد أن تناول الحلوى والمرطبات برح مكان الاحتفال، قاصدا ميت خلف، فقوبل بالحفاوة العظيمة؛ وتناول الغداء في تفتيش ميت خلف. وفي الساعة الثالثة تحرك الركاب إلى مدينة شبين الكوم؛ وعلى أثر وصوله إلى سراي المديرية، جرت المقابلات الخديوية، وبعدها عاد إلى تفتيش ميت خلف، ليتناول العشاء هناك، ويمضي سحابة الليل.

وفي ٢٩ منه تحرك ركابه إلى بابل وبمعته محمد حلمي باشا، فظهرت الزينات التي أقامها الوجهي محمود الغنيمي بك، وبعد أن زاره سموه استأنف الموكب سيره إلى تلا، في وسط الزينات التي أقامها أحمد رسلان بك، فشرفها سموه، واستقبل الأعيان والأهالي في سراشق عظيم، وشكرهم لشدة حفاوتهم به؛ ثم سار الموكب في بندر تلا بين الجماهير والموسقات، وزغاريد النساء، حتى وصل إلى سراي حسنين عبد الغفار

بك ، فدخلها الخديو ومعه النظار ورجال المعية ؛ ثم استقبل فيها آل عبد الغفار ، وأعرب لهم عن سروره بما شاهد من حسن احتفائهم به . ومن هناك سار الموكب إلى كفر ريح بين الزينات الفخمة ، التي أقامها محمود أبو حسين باشا ؛ ولما وصل سموه ، نحرت الذبايح ، وكان عددها تسعا ، ووزعت على الفقراء ؛ ثم استقبل سموه أفراد العائلة ، وكبار الأعيان ؛ وبعد ذلك سار سموه بزورق في النيل . إلى سراى السيد شعر باشا بدراجيل ؛ فاستقبل هناك استقبالا رائعا ؛ ومن هناك عاد إلى كفر ريح ؛ ومنها إلى كفر العلوى ؛ فشوقى لزيارة عائلة أبي جازية ؛ ومن شوقى إلى قسطوخ ، لزيارة عائلة عيسوى بك زايد ؛ وبعد الاستقبال والترحيب ، سار إلى زاوية بيم ، فزار الوجه شرف الدين غازى بك فى سرايه ؛ وسار ثانية بعد ذلك بموكبه الحافل إلى ميت خلف ؛ وبعد أن تناول طعام الغداء مع النظار ، سار بموكبه إلى قويسنا ؛ ولما شرفها سموه ، صدحت الموسيقى بالسلام الخديوى واستقبل سموه آل أبو زكرى ، وأحمد عمر بك ، وغيرهم من كبار العمد والأعيان ؛ ثم سار إلى بهيرم فزار محمود حمدى بك ، واستقبل باقى أفراد عائلته ، وكثيرين من الأعيان ثم سار إلى مسطامى ، ونزل السراى المعد لاستقباله هناك ؛ ومنها تحرك إلى كفر هلال وكان بانتظار سموه هناك فى السراى الفخم المعد لنزوله ؛ إبراهيم فتحى باشا مدير الغربية مع الأعيان والعمد ، لحياهم سموه ، وسار قاصداً بلدة حنون ، حيث احتفل بمقدمه عائلة الخشن وزمزم ، وكثيرون من العمد والأعيان ؛ ثم سار إلى زقى ، فوصلها فى الساعة الرابعة بعد الظهر ؛ ومنها إلى مسجد وصيف حيث زار مصطفى فهمى باشا ، وعطف فى سيره على عزبة صدق باشا ناظر الزراعة ؛ وزار السيد على الرفاعى بك برفقى ؛ وقصد بعد ذلك زيارة المعاهد العلمية بها ، والمستشفى التابع لمجلس المديرية ؛ ثم زار السباعى المصرى بك ؛ ثم انتقل سموه إلى ميت غمر ؛ ومنها إلى الذهبية الراسية فى قم الصافورية للبيت فيها . وفى صباح اليوم الثالث من رحلته ، قام من ميت غمر إلى بلدة كوم النور ، وبمعيته حضرات أصحاب السعادة أساعيل سرى باشا ، وعدلى باشا ، وعثمان مرقضى باشا ومدير الدقيلية ، ومحمد فهمى التشرىفاتى الأول ؛ فزار عبد الله بك هلال ، واستقبلته عائلة هلال ، والدكتور عبد الله شقير أحسن استقبال ؛ ثم سار سموه لزيارة معاهد هذا البلد العلمية والصناعية والزراعية ونقابه ؛ وقدمت لسموه هناك هدية من المعرض الزراعى وهى محفظة مصنوعة من الصدف والسن ، داخلها قانون نقابة كوم النور .

وبعدها سار إلى دندىط لزيارة محمد باشا نافع ، فاحتفل به الباشا وأعيان وعمدة

البلدة احتفالاً كبيراً ؛ وبعد أن تناول القهوة والمرطبات ، برحبا سموه إلى صهرجت الكبرى ، فاستقبله حضرة الوجه عبد الله بك شريف والأعيان ؛ ثم برحبا إلى الزقازيق بين هتاف الاخلاص وزغاريد النساء ؛ واستقبله سعادة مدير الشرقية عند بلدة النحاس أول حدود الشرقية هو وعمد وأعيان البلاد ؛ واستمر في ركابه حتى مدينة الزقازيق ، فكان في انتظاره جميع موظفي المديرية ، وأعيانها وعمدها ، وفي مقدمتهم مصطفى خليل باشا وجميع أفراد عائلة أباطه ، وغيرهم من كبار الأعيان ، وزار المستشفى الأميرى ؛ ثم قصد ديوان المديرية حيث تناول الغداء ؛ ثم استقبل العلماء ، ورجال القضاء ، وأعضاء الجمعية التشريعية ، ومجلس المديرية ، والقناصل ، والموظفين ، فالأعيان والعمد ؛ ثم زار المعاهد العلمية وبعد ذلك تحرك الركاب العالى إلى ديرب نجم ، ومنها إلى السبلاوين ، فالمنصورة .

وبوصوله احتشدت جموع الأهالى الغفيرة ، والموظفون ، والأعيان ، والعمد لمقابلته ودوى الهتاف والتصفيق ، فسار الحديو بين الكتل البشرية ، لزيارة أعيان المدينة ومدارسها ؛ وفى الساعة الثامنة مساء توجه إلى سراى المديرية ، لجرت التشرifications هناك وانتهت فى الساعة الحادية عشرة ، حيث ركب إلى الركائب الراضية أمام المنصورة للبيت فيها .

وفى صباح الجمعة أول مايو تحرك الركاب إلى المحلة الكبرى ، فاستقبلته الأهالى والموظفون والعمد والأعيان ؛ وبعد أن استراح قليلا ، استقبل أعيانها ، ثم سار إلى بناء المستشفى ، ووضع يده الحجر الأساسى ؛ ثم زار مستشفى الرمد والمعاهد العلمية بها ؛ ثم برحها إلى مدينة طنطا ، فأطلقت المدافع إيداناً بوصوله ، فعلا الهتاف ، وارتفعت الزغاريد ، وكان استقباله فيها لانظير له ، فأظهر سروره من حسن الاستقبال ، وروعة النظام الذى رآه من موظفي المديرية ، وأعيانها وسكانها وقد تركت تلك الزيارة فى نفس الحديو أثراً طيباً . وقد توجه سموه إلى المديرية وتناول الغداء هناك ؛ ثم جرت التشرifications ، وبعدها خرج ، وزار الأعيان ، ودور العلم ، والمستشفيات ، ومسجد حسين بك عطيفه ، فالمتحف ، وافتتح المعهد العلمى ، وأدى الصلاة فى الجامع الاحمدى ؛ وبعد أن شكر الجميع تحرك الركاب إلى السلاهي ، ماراً ببلدة المرابعين ، والسكرم الطويل ، وزار فيها الوجه محمد سعيد بك ؛ ثم قصد السلاهي ، ونزل بالسرايق الفخم المقام فى بلدة أبو بدوى ، وبوصوله للسلاهي استقبلته الجوع الحاشدة وبعد أن شكرهم عاد إلى سراى الدومين للبيت فيها .

وفي صباح ٢ منه زار الخديو محل المشروعات الجديدة بالسلاهيبي ؛ ومنها تحرك الركاب إلى إيشان ، واستقبل هناك استقبالا حسنا ؛ ثم واصل سيره إلى بيله ؛ ثم سار بموكبه العظيم إلى بندر كفر الشيخ ؛ وقد تناول طعام الغداء في مصلحة الدومين في سخا ؛ وفيها قدمت له امرأة فقيرة عريضة ، تشكو فيها حالها ، وأنها وضعت ثلاثة ذكور في بطن واحد ولا يزالون أحياء ، فنفعها سموه بعشرة جنيهات .

وفي كفر الشيخ استقبل العمدة والأعيان ، في سراق عظيم أعد لذلك ؛ ثم برح البندر إلى مركز دسوق ، بين مظاهر الزينات ، فوصل إلى كفر الشيخ حسن لزيارة محمد الوكيل باشا ؛ وهناك استقبل عمدة وأعيان المركز ، وبندر المحمودية ، بالسراق الفخم وبعد ذلك عرج على سراي آل الوكيل ، واستقبل كبار أفراد عائلته ؛ وبعد أن استراح قليلا ، شكر محمد الوكيل باشا على حفاوته ؛ ثم برح كفر الشيخ حسن إلى الرحمانية ، فزار عائلة المحامدة ، وعلى بك خليفة ؛ وفي منزل سعادة أحمد محمود باشا عميد عائلة المحامدة ، أخذ المصور زولا صورة لسموه ، والباشا عن يساره .

ومن الرحمانية تحرك الركاب إلى شبراخيت ، ماراً بمحلة بشر ، حيث نزل في عربة فاضل ، فلقى سموه استقبالا غنيا من عثمان مرتضى باشا وعائلته ، واسماعيل عمر بك وإبراهيم فاضل بك ، فقد أقاموا سراقاً بديعاً مزينا بالأعلام ، مفروشا بالسجاجيد الثمينة لاستقبال سموه ، وخطب عثمان مرتضى باشا خطبة مرحبا به ، ووزعت غلب الحلوى وكانت في غلاف بديع الصنع ، وكل علبة منها ذات إطار من الحرير الملون . ثم استأنف السير إلى شنديه ، حيث زار خليل دبوس بك ؛ ثم واصل السير إلى إيتاي البارود ؛ وكان في استقباله هناك جمهور عظيم من الأعيان ، وعمدة البلاد ، والموظفين وعساكر البوليس .

وفي صباح ٣ منه تحرك الركاب إلى التوفيقية ، لزيارة على مهنا باشا ، وعند تشريفه بدمت الذبايح ، ووزعت لحومها على الفقراء ؛ ثم رحلها سموه إلى بلدة برسيم ، وسط الهنات وقد زارها مدرسة الجوريجي بك ؛ ثم ركب السيارة إلى محطة كوم حمادة ، حيث ركب القطار الأبيض ، وتوجه إلى الطيرية ، ومنها إلى أبي الخناوى ، لزيارة عبد اللطيف الصوفاني بك ؛ وبعد أن استقبل استقبالا عظيما من آل الصوفاني ، ركب الوراق إلى محطة الطيرية ، ومنها عاد بالقطار إلى كوم حمادة ، فوصلها وزار السراق الذي كان مقاما أمام ديوان المركز ، وصافح الحاضرين من العمدة والأعيان ؛ وبعد

ذلك توجه سموه إلى إيتاي البارود، فتناول الغداء بالتفتيش؛ وبعد الظهر خرج للروور على أراضي التفتيش؛ ثم عاد إلى سرايه، وبات فيه.

وفي صباح ٤ منه تحرك الركاب من إيتاي البارود إلى الطود فالدنجات، فدمهور؛ وما أن وصل إليها حتى أطلقت المدافع إيذاناً بوصول ركه؛ وبعد أن استقبلته جموع الأعيان والعمد وكبار الموظفين، توجه إلى سراي المديرية فاستراح به قليلاً؛ ثم أظهر رغبته في زيارة دور العلم؛ وفعلاً ركب سموه وزارها هي والمستشفيات وفي الظهر قصد المدرسة الصناعية وتناول طعام الغداء فيها. ومعه اسماعيل سري باشا، ووهبه باشا، وصديق باشا، ومحب باشا، وأنا، وعثمان مرتضى باشا، واللواء مختار باشا، واسماعيل أباطه باشا، ومحمد فهمي بك، وحافظ عوض بك، واحمد صادق بك. وفي نحو الساعة الثانية بعد الظهر وصل إلى نديبة، فذبحت الذبائح، ووزعت لحومها على الفقراء والمساكين وزار عائلة نوار؛ ثم سار ركابه إلى حوش عيسى؛ ومنه إلى أبو المطامير؛ ومن هناك زار سيدي غازي؛ ثم سار موكبه إلى كفر الدوار حوالى الساعة الرابعة والنصف؛ وبعد أن جلس مدة تقرب من نصف الساعة، صدرت إرادته السنية بالسفر إلى الاسكندرية فوصل الثغر في الساعة السادسة تماماً.

وفي يوم ١٧ مايو دعا سموه جمعاً كبيراً من أعيان مديريات القليوبية، والدقهلية والبحيرة، لتناول طعام الغداء على المائدة الخديوية.

وفي المساء دعا آل منشة، وبعض سراء الاسرائيليين في الاسكندرية، إلى حفلة شائقة.

وفي يوم ١٩ منه أقام سموه مأدبة لأعيان الشرقية، والغربية، والمنوفية بسراي رأس التين لتناول طعام الخديو.

نألم كقسنر لنجاح الرحلة: ولقد كان نجاح هذه الرحلة مثاراً لآلم اللورد ككتشنر الذى كان قد قضى على كل نفوذ للخديو، فاذا بنفوذ يظهر فجأة بعد الأزمة النظارية وبعد هذه الرحلة الناجحة.

(وسرى فيما بعد آثار ذلك الآلم فى الصراع بين الخديو وككتشنر)

سفر الخديو لأوروبا: وفى يوم ٢٠ مايو استقل سمو الخديو أحد الزوارق الخديوية إلى يخت المحروسة، قاصداً الضولمان فأوروبا. وكان فى معيته حسن خالد بك

مدير القلم التركي ، وحسن حلمى بك التشريفاتى ، والبكباشى ارفاى الياور ، والصاغ حسن حسنى شفيق الياور ، وغيرهم ؛ وقد وكل عطوفة حسين رشدى باشا ناظر النظار فى مدة غيابه وهالك نص التوكيل .

صورة الأمر الكريم الصادر لمعطوفة رشدى باشا بتولى شؤون القائمة

الحديوية أثناء غيبة سموه : ورئيس مجلس النظار عطوفتو حسين رشدى باشا : قد عزمنا بأمشية الربانية على السفر خارج القطر ، ولتمام ثقتنا بكم ، وكال اعتمادنا عليكم ، قد جعلناكم نائباً عنا ، وقائماً مقامنا مدة غيابنا ، للنظر فى أشغال حكومتنا ، وإصدار ما يلزم من الأوامر عنها ، بما هو معهود فيكم من الروية والدراية . فإذا احتجتم للسفر خارج القطر يكون النظر فى أشغال حكومتنا مدة غيابكم بمعرفة حضرات الباقيين من زملائكم مجتمعين بهيئة مجلس نظار ، كما هو المعهود لدينا فيهم من حسن الخبرة بالأعمال ، وما يقررونه تصدر به الأوامر ، تحت إمضاء أقدمهم .

وقد أصدرنا أمرنا هذا لمعطوفتكم للعلم به والعمل بموجبه .

والله تعالى ولى التوفيق ،

تحريراً بالاسكندرية فى ٢٥ جمادى الثانية ١٣٣٢ عباس حلمى

٢٠ مايو ١٩١٤

تكرم واصف بطرسى غالى . كانت لى مع المرحوم بطرس غالى باشا والد الأستاذ واصف غالى صلات ودية وثيقة ، وكانت الثقة بيننا متبادلة ، وزياراتى له متوالية ، وكانت تدور بيننا الأحاديث فى شتى الأمور السياسية والخصومية ، كما كنا نجتمع بالحديرو للتشاور فى المسائل الهامة والمواقف الحرجة . فيتوصل بطرس باشا بعقله الراجح إلى حلول صائبة مرضية ؛ فكنت أسميه د حلال المشكلات ،

وقد بلغ من ثقته بى أن كان يفوض لى تدبير كثير من شؤنه الاقتصادية ، ويطلق يدى فى شراء الصفقات التى أراها رابحة ؛ وكان يستفيد بالفعل منها ، حتى لقد أطلق على نجله الأكبر نجيب غالى باشا لقب د مستشار والده المالى ،

وفى ذات يوم زرت بطرس باشا فوجدته مشغول البال ، فسألته عما يشغل خاطره ، فقلت أنه غير مستريح لحالة ابنه واصف ، لرغبته عن إدارة أملاكه الزراعية فى بيا ؛ وسألنى : هل من بعد أن صار رجلاً ، يجوز ألا يقوم بعمل نافع لأسرته ؟ ،

فاجتبه بأنه معذور لعدم إلمامه بالزراعة ، ولأننى أرجو أن يكون قريباً ذلك اليوم الذى تستفيد البلاد من مواهبه الأخرى .

وفى اليوم التالى لهذه المحادثة ، تقابلت مع الخديو ، ونقلت له خواها ؛ وبعد المداولة . تقرر تعيينه فى وظيفة بقسم قضايا الخاصة الخديوية ؛ فأسرعت بإبلاغ هذا الخبر لوالده .

لمحة عن الأستاذ واصف بطرس غالى : والأستاذ واصف أتم دراسته العالية فى باريس ؛ وتخرج فى كلية الحقوق ، ودرس الأدب الفرنسى ، ونبغ فيه كما نبغ فى الأدب العربى .

وقد اطلعت على مقال طريف له بالفرنسية ، نشره بتوقيع « ميمون » ، بتاريخ ٩ مارس سنة ١٩٠٨ فى جريدة « جرنال دو كبير » ، نعره للقارىء ليرى مقدورته البائية ، وخياله الخصب :

الآزمة النظرية

تتناقل الاشاعات فى هذه الأيام ، وجود أزمة نظارية . وقد سبق أن راجت مثل هذه الاشاعة ، عندما غادر كرومر مصر ، غير أن الأزمة لم تقع ؛ فهل الاشاعة الرائجة الآن لها أساس من الصحة ؟ هذا هو الأمر الذى أجبأنا إلى الاستفهام عنه من النظر أنفسم .

والحق يقال إن مقابلتهم كانت فى غاية اللطف ، لدرجة أننا تساءلنا : هل يمكن أن يكون الناظر المصرى فى هذا اللطف ؟ إلا حينما يستقيل !!

وإليك المحادثات التى دارت فى المقابلات السبع ، ننقلها بغاية الدقة :

قال الرئيس « مصطفى فهمى باشا » : « أنا لا أحب الصحفيين ، وخصوصاً المعارضين منهم ، ولكن بما أن سؤالكم بهم البلاد ، فأنا أجيبك باختصار : « طبى أوصافى بجميعه منظمة ، بعيدة عن الانفعالات النفسانية ؛ وكل من كان فى سنى ، يكون قد تعود بعمادات خاصة ، يصعب عليه تركها ؛ فلماذا تريد أن أخاطر بصحتى ، عندما أترك النظارة ؟ إذن فأتى سأستمر فيها ، لأسباب صحيحة ! »

وأجاب « عبانى باشا » ، مقطباً حاجبيه ، ومبرماً شاريه : « هل يجوز لك أن تلقى هذا السؤال على ناظر الحرية والبحرية ؟ ألا تعلم أننى جنسدى ، ولا يسمح للجندى

أن يترك مركزه ، إلا بأمر عال ، وإذن فانا لا أترشح عن مكاني ، وهذا بذه على الأوامر العسكرية !

وقال لي د سعد باشا ، مؤكداً بهدوء : « إن هذا السؤال ، فيما يخصني ، لا محل له ؛ فكيف تريد أن أترك منصبي هذا ، وأنا لم أتسله إلا منذ قليل ؟ ألا يكون هذا منافياً للأدب ، ومغابراً للياقة والتقاليد ؟ ثم إنني هنا للفن ، أعني فن الخطابة ؛ وبلاغي تتقدم في اليوم الذي أكون فيه ناظراً ؛ فأنا أستقيل ، إذا أسندت إلى رئاسة مجلس النظارة ، وأما نظري باشا ، ناظر الأشغال ، فقال : « إن أماننا مشروعات كثيرة ، فيجب علينا تلبية خزان أسوان ، وتقوية كوبري الروضة ، وافتتاح كوبري بولاق الجديد ، فشاعلي لا تترك لي وقتاً للتفكير في الاستقالة . »

وانفعل د مظلوم باشا ، قائلاً : « تكفيني أزمة واحدة (أي الأزمة المالية) فلا تبخروا عما يزيد الحالة سوءاً أيها الصحفيون ! ونحن لا نخطر على بالنا مطلقاً تقديم حسابنا ؛ بل بالعكس سنحافظ على مراكرنا ؛ وبالجملة فأنا لا أرى سبباً يدعو لاستقالتي ، وأجاب د إبراهيم فؤاد باشا ، (ناظر الحفانية) بهدوء : « أنا أستقيل إذا كان ذلك مقدراً عليّ ، فإن ما تقرر في المسائل الخطيرة أو الصغيرة ، إنما هو بمشيئة الله ؛ فهو وحده الذي يعلم لماذا أصبحت ناظراً ، وهو وحده يعلم متى أترك النظارة ! »

وسألني د بطرس غالي باشا ، عما إذا كنت صحفياً ، ثم قال : « لما أقيمت على سؤالك ظننت أنك شاعر ! أنا أحب الشعراء كثيراً ، فهم من أطرف المجانين ، ولهم خيالات عجيبة . فما الذي تريد معرفته ؟ أستقيل أم لا أستقيل ؟ ألا يلوح لك أن هذا يشبه المناجاة المشهورة في رواية د هملت ، ؟ أظن أنك من منشئي الروايات ، وهنا انقطع الحديث لزيارة فنصل جنرال إحدى الدول العظمى ؛ وعلى ذلك لم أتمكن من الحصول على الجواب القاطع لسؤالي . »

وكان من حظي عند خروجي من غرفة الناظر ، أن تقابلت مع مدير أقلام الخارجية نجيب غالي بك ، الخفيف الروح ؛ فأخبرته بمهمتي . فقال لي : « والدي لا يستقيل ؛ وقد استقال مراراً بدون نتيجة . ثم إنني أسألك : ومنذا يخلفه يا ترى ؟ ... أنا ؟ قد يكون ذلك ، ولكنهم يجدونني صغير السن أصغراً جداً ؛ فعليك بالصحنى أن تكرر على مسامعهم ذكرى قواد الثورة الفرنسية ، صغيري السن ؛ فتقدم لي خدمة جليلة ! »

تكریم الأستاذ واصف غالى : وقد فكر جماعة من كبار الأدباء المصريين



واصف بطرس غالى بك

فى تكريمه ، لتأليفه كتاباً عن الشعر العربى باللغة الفرنسية ، اسمه ، حديقه الأزهار ، ، فأقاموا حفلة لذلك فى مساء يوم ٤ يونيو سنة ١٩١٤ فى فندق شبرد ، تحت رعاية سمو الحديو ، الذى أناب عنه عثمان مرتضى باشا ، وكانت الحفلة برئاسة اسماعيل صبرى باشا .

وحضر هذه الحفلة : عبد الحالى ثروت باشا ناظر الحفانية ، ويوسف وهبه باشا ناظر المالية ، وعدلى يكن باشا ناظر الخارجية ، واسماعيل صدقى باشا ناظر الزراعة ، وصاحب

هذه المذكرات ، وبعض وكلاء النظارات ، والنظار السابقين ، والنائب العام ، ومحافظ القاهرة ، وبعض مستشارى الاستئناف ، ورجال القضاء والأدب والصحافة ؛ وبلغ عدد المحتفلين مائة وسبعة

وقد أقيمت فى الحفلة قصائد من الرئيس ، واحمد شوقى بك ، وحافظ ابراهيم بك واحمد افندى نسيم ، ثم أقيمت بعد ذلك عدة خطب كلها ثناء على المحتفل به ، واعتراف بنبوغه ؛ وأخيراً قام الأستاذ ، ويصا واصف ، فألقى كلمة جاء فيها :

« قرأت ما كتبه حضرة واصف بك ، وما فاء به فى محاضراته التى ألقاها فى باريس ، فأعجبت كل الإعجاب بما كتبه ، ونطق به . كتب ما كتبه كشاعر ليحب من يقرأ كتابه فى الشعر العربى ، فاستعمل لغة الشعراء ، حتى لقد يخيل إلى القارىء أنه يقرأ شعراً لا ثراً . وفى الحقيقة أن واصف بك ولد شاعراً ؛ فغرامه بالشعر العربى (سيد الشعر) — كما يقول — هو غرام فطرى ، عبر عنه بلغة هى لغة الآلهة ، كما يقول القدماء .

ثم وصف بيانه لمحاسن الشعر العربى ، وأحكامه الصائبة فيه . إلى أن قال :

« أيها الصديق : ظهرت فى عالم الأدب فكتبت وخطبت ، فأصبحنا بعد قراءة

مذكراتى فى نصف قرن ج ٢

ما كتبه تنظر إلى الشعر العربي نظر المجنون إلى ليلي ؛ ولكننا ننتظر منك أكثر من ذلك ؛ فانا أصبحنا في القرن العشرين ، ميالين للبحث والتقيب ، والانتقاد والتحليل ، حتى في الآداب .

قلت : إن العرب لم يضعوا شيئاً في أشعارهم من الروايات القصصية والتشيلية ، على أنني لما كنت معك في فرساي ، تكلمنا في أن هذين النوعين من الشعر موجودان في جميع الآداب ، التي يتخذها الافرنج أساساً لتربية أولادهم ، فيلقنونهم — كما لقنونا — أشعار ، هويمروس ، وأناشيد ، رولان ، وروايات « شكسبير » ، فقرأه كتاباتكم . أوجدت عندي بعض الأسف ؛ لأنني بما أشربته من الميل لمعرفة علل الحوادث ، تمتد لو أنك جدت علينا بفضل ما أوتيته من وافر الفصاحة ، ببيان سبب خلو آداب اللغة العربية من هذين النوعين ، رغماً عما بلغته من رفيع المنزلة بين بلاغات الأمم .

فاذا فعلت ذلك ، تكون قد أفدت العلم فائدة عظيمة ؛ وأنت أجدر من يعنى بهذا البحث ، بما توهمك له تريبتك ، ومعارفك . . .

وداع المجمع العلمي لماسبرو . خدم العالم الجليل مسيو ماسبرو الآثار المصرية والتاريخ المصري القديم أجل خدمة ببحوثه القيمة ، وكان مديراً للآثار المصرية . وبمناسبة تركه الخدمة في إدارة دار الآثار المصرية ، وعزمه على العودة لفرنسا ، أقام له المجمع العلمي المصري الذي كان رئيساً شرفياً له ، مساء يوم ١١ يونيو ، حفلة وداع ؛ وقد رأس هذه الحفلة سري باشا ناظر الأشغال ، نائباً عن القائمقام الخديوي رشدي باشا ؛ وكان في مقدمة الحاضرين أحمد زكي باشا ، وعلوي باشا ، وهرس باشا . وبيرو بك ، وعلى كمال بك ، وعلى بهجت بك ، والدكتور باي ، وغيرهم من الفضلاء والأدباء والعلماء .

الجامعة المصرية تكرم ماسبرو : وفي ٢ يوليو ، أقامت الجامعة المصرية مأدبة لتكريمه بفندق الكونتنتال في منتصف الساعة التاسعة مساءً ، وكان عضواً عاملاً بمجلس إدارة الجامعة .

وقد حضر الحفلة دولة البرنس احمد فؤاد باشا ، رئيس شرف الجامعة ، ومن مجلس الإدارة : أنا كوكيل للجامعة ونائباً عن رشدي باشا رئيسها ، والدكتور محمد علوي باشا المراقب العام ، واسماعيل حسانين باشا ، ومرقص حنا بك ، وعلى بهجت بك ؛

ومن الأساتذة : اسماعيل رأفت بك عميد قسم الآداب . والشيخ محمد الحضري ، والشيخ محمد المهدي . ومحمود فهمي افندي ، ومحمد صادق افندي .

وبعد تناول الحلوى ألقى البرنس فؤاد خطاباً رقيقاً . هذا نصه :

« سيدى العزيز ماسيرو

« ما علمت مصر نبأ رحيلكم عنها . حتى لبست لذلك البأ ثياب الأسف . مظهرة للعالم بأسره مقدار حبها لكم ، واحترامها لشخصكم . وإعجابها بحمिल صنعكم ؛ فلئن كنت في هذه العجالة لا أستطيع أن أعرب لكم باسم الجامعة المصرية عما نحن مدينون لكم به من الفضل الذى لا ينكر ؛ فلا يسعنى إلا أن أرجو أن تسمحوا لى أن أقول لكم كلمة باسمى . وبالنسبة عنها ؛ وهى أننا جميعاً نشكركم . ونكرر الشكر لكم .

وبعد ذلك وقفت .

فتلوت الرسائل البرقية والاعتذارات الواردة من حسين رشدى باشا القائمقام الخديوى ورئيس الجامعة . وعبد الخالق ثروت باشا ناظر الحفانية ، واسماعيل صدقى باشا ناظر الزراعة ؛ والرسائل البريدية الواردة من عبد الله وهى باشا . وحسين رمزى افندي . وغيرهما من الأعضاء والأساتذة ؛ ثم ألقيت الكلمة الآتية :



احمد شفيق باشا (رسمى)

« سيدى وزميلي العزيز

« لى مكلف من قبل

مجلس إدارة الجامعة وأساتذتها من جهة ؛ وملزم بواجبى الشخصى من جهة أخرى ، باهدائكم أجل شكرنا ، وعظيم احترامنا ، ومزيد أسفنا لفراقكم .

• لقد كان في اشتراككم معنا بمواظفكم الكريمة ، ونظركم الثاقب ، أجل نثر
لجامعتنا ؛ إذ كنتم خير نبراس نهتدى به إذا أشكل الأمر ، والتبست علينا السيل ؛
فكان لنا منكم عضد قوى ، نستعين به على نجاح عملنا . وخير مساعد لرفع شأن مشروعاتنا
، ألم تكفكم ألقاب الشرف الخالدة التي نلتموها بكنوزكم التي لا تقدر بثمن ،
والتي دتم بها العلوم والآداب ، حتى وكلت إليكم مشاعركم واجب القيام بأمر آخر هو
عنوان الفخر والجلال ؟

• أيها المنفذ لوصاة الفراعنة : ألم يكفك أن تنقل إلى وراثتهم من بعدهم متاع
آبائهم وأجدادهم ، حتى أردت أن يكونوا على علم بقيمة هذه الوصاة . فدأبت على تعليمهم
حتى عرفت ناشتتنا ورجال المستقبل بيننا ، أن العلم والعمل هما اللذان يجعلانهم خليقين
بفخر أجدادهم ؟

• إن الشواهد الكثيرة تنطق بأن حبكم لمصر كان عظيما ، وسيظل كذلك
في المستقبل ، بعد أن اتخذتموها لكم وطناً ثانياً ؛ فتقوا بشدة أسف إخوانكم في مصر ،
لرحيلكم عنها . وما كان يدور بخلدنا أن يفجأنا الزمان بذلك اليوم الذي ترحلون فيه
عنا ؛ وتتركون أثنتنا بعدكم تهفو في إثركم لوعة وشجنا .

• هل يعلم الراحل ما يجول بخاطرى الآن ؟ إلى أتصور (بحيالي) أنكم لستم
بذلك الفتى الشاب الذي نراه بأعيننا ، بعد أن تعودنا أن نرجع باسمه إلى هاتيك القرون
الخالية ، فتمتزج ذكراه بهذه الآثار المدهشة ، والعاديات العنيفة ، التي اندمج اسمكم
بها ، حتى كان جزءا منها ، والتي خصتها (الآلهة) بشباب لا يذوى ولا يذبل ؛ فيا لأسف
العلماء من (علمهم) ، هؤلاء الذين لا يملكون حق التصرف في أنفسهم ؛ وبإلتنا نستطيع
أن نخلصكم من قبضة النبوغ التي استسلمت في العلم إليها ، حتى يبقى لدينا ذلك الرجل
الوديع الذي عرفناه في شخصكم ؛ والذي ملك القلوب بفصاحة لسانه ، وبلغ كلامه ،
ورقيق حديثه ، وسمو أخلاقه .

ونحن لا نظن أن رحيلكم عن مصر يوهن صلاتكم بها ، أو يقلل من ذكركم
على ألسنتها ؛ إذ استقرت أصول غرسك وجذوره ، حتى لا خوف على ذكراك بيننا
من أثر فراقك ؛ فلا عجب إذا أسسنا آمالنا على ما لدينا من الحقائق ، فزى المصريين
يؤمنونك في فرنسا للاستفادة من علمك ، والاهتداء بنور بحثك ، والتمتع في جوارك
بالتأهيل والترحيب ، اللذين كنتم تقابلوننا بهما في مصر — فالجامعة المصرية التي تزدهى

وتفخر بك كلما ذكر اسمك ، ترجو أن يكون حظها في بعدك كما كان حظها في قربك ، من العناية بأمرها ، وتشجيعها في طريقها ، وعدم حرمانها نصائحك الثمينة ، وإرشادك الذى لا غنى لها عنه ، والجامعة التى تعترف لك بجليل فضلك ، تعاهد الله على تسيحها بجميل صنعك ، وترجوك الآن أن تقبلوا منها لقب « عضو شرف ومستشار لها » ؛ هذا ما قرره مجلس إدارتها باجماع الأصوات ؛ ولنا لندرجو لكم من الله فوق ذلك أن يتمتع بالصحة والعافية ، ويسبل عليكم ثياب السعادة والسودد .

ثم قام بعد ذلك علوى باشا وأهدى لماسبرو مجموعة صور للأعضاء في مجلد ثمين ، كتبت عليه هذه العبارة باللغة العربية والهيوغليزية والفرنسية : « شكر الجامعة المصرية للسير جاستون ماسبرو » .

ثم قام على أثرهم السير جاستون فشكر للتحفيلين به جميل عواطفهم .

صبيح سكة هيربر مريوط . أنشأ الخديو سكة حديد مريوط لاصلاح أراضي الزراعية بغرب الاسكندرية ، وقدمت له مصلحة السكة الحديد بعض ما عندها من الأدوات المستعملة اللازمة لهذه السكة بثمن قليل ، وكذلك أرسلت له نظارة الداخلية جماعة من المحكوم عليهم بالسجن ليساعدوه في مدها . وقد روى لي بروستر بك أن الانجليز تركوا للخديو هذه السكة كاللعبة ليلهو بها عن مناوراتهم ؛ وفضلا عن ذلك كان الخديو يشغل رجال الحرس فيها .

وفي أوائل سنة ١٩١٣ ، أى بعد عقد الصلح بين الأتراك والعلبانين بثلاثة شهور ، وفي أثناء استمرار القتال في طرابلس والبلقان ، أشيع أن الخديو باع سكة حديد مريوط إلى بنك درسدن الألماني ؛ فاهتم الانجليز لهذا الخبر ولكن ظهر فيما بعد أن هذا غير صحيح . والحقيقة كما علبت من صدقي منصور شكور باشا أن الخديو كلفه بالبحث عن شركة انجليزية لشترى هذه السكة الحديدية ، وأنه وجد فعلا بعض المالىين لمشتراها . غير أنه وجد منافساً كبيراً ، وهو بنك إيطاليا ؛ وبعد تردد أمضى الخديو عقد البيع مع البنك المذكور ، ورخص له بأن يمد هذا الخط لغاية حدود طرابلس في السوم . فذهب اللورد كتنشر في الحال إلى السراى ، وأبلغ الخديو بأن سموه قد وضع نفسه في مركز حرج ؛ إذ أنه باع أرضاً ليست ملكا له ، وأنه لذلك يكون مسئولاً شخصياً أمام الحكومة المصرية صاحبة هذه الأرض ؛ تخاف الخديو من العاقبة ، ووعد بالغاء عقد البيع ، وطلب مبيع هذه السكة للحكومة ؛ فرفض اللورد

أولاً ؛ ولكن سموه وسط محمد سعيد باشا لاقناع اللورد باجابه طلب سموه ، واعدأ بتحسين سيره في المستقبل ، فوافق اللورد على المشتري ، وتمت الصفقة في ٥ مارس سنة ١٩١٣ بتسليم الحكومة السكة ، وقضت الخاصة الخديوية ثمنها من الحكومة ، وقدره ٢٩٠ ألف جنيه ، بحساب الكيلومتر ثمانمائة جنيه

ولما علم كتنشر بأن الوسيط في هذه الصفقة كان هو يوسف صديق باشا رئيس الديوان الخديوى ، عزم على نفيه من مصر . فلما بلغ الباشا ذلك الحكم القاسى ، وكان يعلم أن احمد جودت بك صديق لكتنشر ، رجاء أن يتوسط في هذه المسألة لدى اللورد لكى يحصل على وعد بدم تنفيذ هذا الحكم . فقبل البك وزار اللورد وتكلم معه في هذا الموضوع ، فالتى اللورد نظرة استغراب على وجهه وقال : « كيف تطلب منى ذلك .. وأنت تعلم يا جودت بك أنه رجل « بطل » - مع علمه بأنه في مركز رسمى عال . ولا يجوز له أن يتدخل في مسألة يعلم جيداً أنها ضارة دله ؟ ، فأجابه جودت بك . « هل هو فقط الرجل « البطل » ، في مصر ؟ فان كان الغرض تنظيفها من الاشخاص البطالين ، فهم كثيرون ، فاعمل ، عندها تبسم اللورد ووعدته خيراً .

وكان قد بلغ الخديو من دومرتينو باشا عزم كتنشر ، فأسرع في فصله من رئاسة الديوان الخديوى ، وعينه ناظرأ لخاصته ، وأعطاه أجازة يقضيها في أوروبا ، ثم يقابله في باريس .

ثم هدرات كتنشر بعزل الخديو . كل مصرى يذكر ولا ينسى أن الخصام بين اللورد كتنشر والخديو لم يكن ابن يومه ؛ بل كان قديماً ، بدأ في سنة ١٨٩٤ عندما استعرض عباس جيشه ولاحظ على بعضه ملاحظات قبلها اللورد بشىء من الامتناع ومنعاً للطوارىء الفجائية ، طلب كتنشر من الحكومة تخصيص مبلغ كبير لبناء الشككات والحصون في الثغور المصرية ، فعارض الخديو في ذلك بحجة أن فرمانات العثمانية لا تتيح لها ذلك بدون الرجوع إلى الباب العالى ، فأضمر اللورد للخديو العدا .

ولما سمع بأن الخديو باع سكة حديد مربوط هدده وأخرج مركزه واضطره أن يعدل عن بيعها لاطاليا ، ثم باعها للحكومة المصرية ، كما مر ذكره .

كتنشر يعرض عرش مصر على سعيد حلم : ثانياً لما أراد اللورد جعل ديوان الأوقاف العمومية نظارة ، عارض الخديو في ذلك أيضاً ، فغضب اللورد عليه وأرسل

عماد الدين وهي بك وكيل دائرة سمو الأمير سعيد حليم باشا للاستانة ، ليتفام مع الأمير علي خلع عباس وتوليته خديوية مصر . ولكن سمو الأمير امتنع ورفض ؛ لأن مركزه في الدولة مركز هام ، وأنه يمكنه أن يخدم مصر وهو صدر أعظم أكثر مما لو كان خديوياً لها .

ومن هذا اليوم أيقن الخديو بنوايا كئشدر نحوه ، وأخذ حذرته منه ، وأصبح يفكر في التنازل عن العرش .

تفكير عباس في التنازل عن العرش . كنت أعلم أنه لما اشتد الخلاف بين رجال الحكومة الانجليزية بمصر وبين الخديو ، لم يستطع صبراً على ذلك ، وأراد أن يتخلص من عداوتهم وجفائهم له ، وخصوصاً بعد تهديدات كئشدر المتوالية ؛ ففكر أن يتخلص من هذه المصاعب .

وعند وجودى مرة معه في عربة السبب الخصوصية، التي كان يقودها بنفسه للفسحة في ضواحي القبة ، بعد انقطاع حديث عادى بيننا ، وصمت من سموه ، وسؤالى عما يحول بخاطره ، قال :

« كنت أشعر في أوائل توليتي الحكم وما لاقيته من الصعاب في سياستى التي كانت ترمى إلى إنقاذ بلادى من نير الغاصب ، أن مدى حكى قد لا يزيد عن حكم جدى اسماعيل ؛ غير أن حكى لا يزال إلى هذا اليوم ، وزادت متاعبى . ولئى أفكر في كيف أتخلص منها . »

فلا عجب إذن أنه كان يفكر في اعتزال الحكم بالتنازل عن عرشه لولى عهده بطريقة لا تضر بكرامته ؛ لذلك أرسل فاستدعى الدكتور فارس نمر صاحب المقطم ، وتكلم معه على الطريقة التي يجب عملها ، تفادياً من المصادمة والمناوأة بينه وبين المعتمدين البريطانيين بمصر ، بعد أن لحقه كثير من الالهانات .

ولما كان يعتقد الخديو من محبة الانجليز لفارس نمر ، فقد أراد أن ينتدبه للقيام لدى رجال الانجليز بالسعى لمساعدته في التنازل عن العرش لولى عهده ، وتوليته إمارة سوريا . ولاهمية هذا الموضوع أثبتنا ما جاء في المقطم مائصاً في سنة ١٩٢٧ :

« لما مثل الدكتور فارس نمر بين يدى الخديو وكاشفه برغبته ؛ وكلفه بأن يقوم جدور الوسيط في تلك المهمة ، اعتذراً أولاً ؛ ولكن سموه لم يقبل عذراً من أعذاره ، بل

كان يدفعها بتأكيد اقتناعه بكفاءة الدكتور واقتداره . ولما رأى الدكتور أن سموه سد عليه أبواب الاعتذار ، وابتظر مساعده ، قال له بالصرخة : « ما الفائدة من تكلمنا مع ولاية الأمور بلندره ، وسموكم أدرى منا أن الحكومة البريطانية تعتمد كل الاعتماد على وكيلها هنا : قبرى بعينه ، وتسمع بأذنيه ، ولا تجزم فى أمر إلا بعد ما تطلعه عليه ، وتأخذ رأيه فيه ؟ فما دتم سموكم مصرين على رأيكم ، فالواجب قبل كل شئ ، مفاوضة اللورد كتشنر فى ذلك ؟ وإلا فن المحال أن نتجح فيه ، وخصوصاً ما دام المعتمد هو اللورد كتشنر معبود أمته . » فرفع سموه يديه وقال : البرق والبرق والبرق والبرق ! صدقم فليس لقوله مرد ، ثم كلفه أن يقابل اللورد كتشنر ، ويعرض المسألة عليه ، ويسمع رأيه فيها

فتوجه الدكتور فارس نمر إلى الوكالة البريطانية ، وطلب من جناب سكرتيره حيثئذ السر رجينلد ستورس أن يسأله تعيين ميعاد لمقابلته ؟ وفى الميعاد المعين قابله وقال له :

« قد جئنا لتكلم نظامكم عن الجناب الخديوى ، بعد ما شاع وذاع عن اشتداد الجفاء بينه وبينكم ، فقال اللورد : « وما هو الكلام الذى عندهم ؟ ، فرد الدكتور قائلاً : « إن البلاد عموماً ، ورجال الحكومة خصوصاً ، يشكون شكوى دائمة من هذا الخلاف الذى طال فيه الجذب والدفع بين الخديو الحالى ومعتدى الدولة البريطانية الثلاثة : اللورد كرومر وسير الدين غورست ونظامكم ، من حين حادثة الحدود إلى هذا اليوم . والظاهر أن سمو الخديو مل الصبر على هذه الحال ، ورأى أن لا راحة له ولا لشعبه باستمرارها ، فقسم على التنازل عن العرش ، وخصوصاً بعد الذى حدث أخيراً ، وبعد الكلام المر الذى سمعه بسبب سكة حديد مريوط . » ثم قص عليه أيضاً ما سمعه من سموه ، وكل الكلام الذى جرى له معه ، ففهر اللورد رأسه كمن لا يزال يرتاب فى إمكان ذلك ، فقال له الدكتور : « ولماذا تبقى فى ريب ما دام الوصول إلى الحقيقة سهلاً ؟ فالأمر لا يحتاج إلى أكثر من مقابلتك لسموه ، وسؤاله عن كل ما نقلناه إليك ، واحكموا بعد ذلك بنفسكم أنفسكم . » فقال اللورد : « نعم ولكنى أنا لا أفعل ذلك ولا أريد أن تكون لى علاقة بهذه المسألة . »

وفى غد ذلك اليوم تشرف الدكتور فارس نمر بمقابلة الخديو فى سراى القبة ، وأخبره بما سمعه من اللورد كتشنر ، فقال إن تحال المسألة إلى لندرة ، وطلب منه السفر إلى إنجلترا .

وفي منتصف شهر يوليو وصل الدكتور إلى لندرة ، وقابل أحد معارفه المتصل بالمستر سلبى سكرتير وزير خارجية إنجلترا ، وطلب منه شرح الحالة السيئة القائمة بين عباس والمحتملين ، وأنه يريد مقابلة ناظر الخارجية لايجاد حل لهذه الحالة . ولما علم المستر سلبى بفكرة عباس في التخلي عن عرش مصر ، قال : « لو أن الخديو تنازل لولى عهده من تلقاء نفسه ، فيقينه هو أن إنجلترا لا تتأخر عن فعل المستطاع للحصول على ذلك . » وقد تواعد الوسيط والمستر سلبى على أن يتقابلا مرة أخرى .

ولما التقى جناب المستر سلبى بالوسيط في اليوم التالي ، أفهمه أن مسألة الخديو التي تكلم عنها بالأمس وقعت موقع الاهتمام عند ولاية الأمور ، وأنهم يحبون أن يعلموا من الدكتور كل ما يعلمه عن هذه المسألة ، وطلب منه أن يكتب مذكرة مفصلة بها لكى ينظروا فيها ، ويروا إن كان الحل الذى يقترحه يمكن التنفيذ . على ذلك أسرع الدكتور فارس ثم بكتابة المذكرة ، وشرح فيها ما سمعه من الجناب العالى ، وأنه إذا كانت وزارة الخارجية البريطانية تريد أن تتحقق ذلك ، ففي الامكان أن تسمعه من فم الخديو نفسه .

وقد أوفد الخديو أيضاً يوسف صديق باشا إلى لندرة لعمل المساعي لمقابلة عباس للملك ، فلم يفلح . وفي هذا الوقت أعلنت الحرب الكبرى ، وبذلك انقطع الأمل فى مقابلة اللورد جراى وتسوية المسألة .

حادثة الاعتداء على مباحة الخديو وشؤون المصريين نحوها . فى يوم ١٦ يوليو

وردت البرقيات من الاسنانة باعتداء أحد المصريين المقيمين بها باطلاق الرصاص على الجناب الخديوى ، عند خروجه من زيارة الصدر فى الباب العالى . فكان لهذا النبأ المزعج

أثر أليم ، وتلقته الأمة

المصرية بقلب خافق مروع

وغضب شديد . فان وقعه

كان عظيماً : فقد بلغ عدد

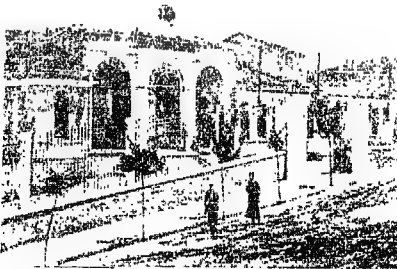
التلغرافات التى وردت على

عطوفة رئيس النظار من

جميع أنحاء القطر ، معربة عن

أسف الأمة ، واستنكارها

لتلك الجريمة وإظهار عواطف



الباب العالى

ولائها وإخلاصها للملكها خمسة آلاف تلمغراف .

وقد أقيمت في جميع مساجد وكنائس القطر الصلوات لله والدعوات بأن يمنّ بالشفاء العاجل على سموه .

وقد سافر وفد من الجمعية التشريعية للاستانة ، كما سافر أيضاً كثير من أعيان مصر وعلمائها وكبار موظفيها العرض ولأنهم على الحديرو ، والاعراب عن مسرتهم بنجاته .
شعور الأجانب بمصر : ولم يكذب نشر خبر وقوع الاعتداء على سمو الحديرو حتى توافد إلى سرائ الحكومة في بولكل معتمدو الدول وقناصلها الجزائرية ، فراروا سعادة عدلى يكن باشا ، مظهرين الأسف لوقوع الحادث ، ومتعين لسموه الشفاء .

شعور المصريين الموجودين بأوربا : لما نقلت التلمغرافات خبر الاعتداء في جميع أنحاء الدول ، وشاع ذكر هذه الحادثة الشنيعة ، ظهرت علامات الحزن على كل المصريين في أوربا ، وعلى كل من له علاقة بمصر ، ولا سيما المصريين الذين كانوا بسويسرة (جنيف) وكانوا يتشوقون لمعرفة تفصيل الحادثة ونتيجتها .

وقد علمنا فيما بعد من رسالة بامضاء محمد أمين بهجت بجنيف ، أن المصريين بها عندما وردت التلمغرافات العمومية بالاعتداء على حياة الحديرو ، ظهرت علامات الأسف الشديد عليهم ، وعلمهم الحزن ، وأبدوا السخط على كل من له علاقة أويدي في هذه المؤامرة الدنيئة ؛ وكان من بينهم محمود بسيوني بك المحامي ، وعبد الرحمن عزت القاضى بك ، وعزيز جريس بك ، وسعادة عمر سلطان باشا ، وسعادة مصطفى ماهر باشا ؛ وكان أغلبهم هجروا الجلوس بالقهاوى والمتنزهاة التي يغشاها فريد بك ومنصور رفعت فراراً منها ، وخصوصاً من الأخير ، لنشره نشرات ذميمة بها طعن شديد على الحديرو .

وأخيراً قر الأرى على إرسال البرقية الآتية بمضاة من محمد فريد بك للحديرو :
« نظهر أسفنا لما حصل لسموكم من المؤامرة التي كانت مدبرة ضدكم ، وتنمى لكم حلول العمر . »

الحرب العظمى

* المخابرات الرسمية بين الخديو بالاستانة وقائمقامه بمصر

* الانجليز يمنعون عباس من العودة لمصر . * ماذا فعلت الحكومة لدرء الطوارئ . * مطالب الانجليز من مصر بعد اعطائهم الحرب . * انتدائي بمهمة خطيرة لدى عباس . * تبشير عباس للمصريين بشفائه . * وفاة مصطفى فراسي باشا . * الحاح الانجليز بترك عباس للاستانة والاقامة في ايطاليا . * قطع عرثته بالانجليز . * تابع المخابرات الرسمية والجوادث . * منع الحج ومنع التضيعة والاكتتاب للصليب الاحمر مجراً . زيارة عباس لشكر الخليفة والعائلة السلطانية والسفراء . عباس والصدر والحزب الوطني . الاتفاق التمهلي بين ألمانيا وتركيا وعباس . الحملة التركية على مصر . مشور الخديو لرهاباه مصريين وسودانيين . تحدير مرمزة الحملة . عود الى الحملة . طلب الاتحاديين امانات مالية من عباس . تركية تعلن الحرب على روسيا وانجلترا وفرنسا . البعثات الخديوية للحوائ بالحملة التركية . شعور الخديو في ظروف مختلفة . قلق ايطاليا من الحملة التركية والتامينات واشتداد القلق لوعوده الجهاد . كيف تخاطر عباس مع مصر بعد دخول تركية الحرب ومع المنفيين في مالطة . عرش

(٥) لم يحض على حادث الاعتداء على الخديو أكثر من أسبوعين حتى أعلنت الحرب العظمى ، وقد دارت بين سموه وقائمقامه مخابرات رسمية بالبرق والمراسلات في موضوعات ميزانها بنجوم ، أضفت إليها ما علته من مدارلات الخديو مع رجال الحكومة التركية وسواهم . وسيرى القارى ذلك فيما بعد .

مصريين عباس وعز الدين وسعيد علم. مرهق السياسة في ايطاليا ومحادثان هامز ومقابلتي مع الملك وما دار بيننا من الحديث ومحادثات. أتمرى مع المصريين وغيرهم . المصاعى لخروج الخديو من اوستانة واقامته في فينا . مديت عباس فينا مع هربارسى هن مادة الاعتداء . رأى عباس في حل مسألة السودان . كيف استقبل عباس خبر عزله وتولية السلطان حسين . قاضى عباس بعد الانقلاب في مصر . الخفاوة بالخديو في فينا . كلمز ختامية . شتونه مختلفة .

الانجليز بمنعونه عباس من العودة لبلاده . * أرسل عثمان مرتضى باشا برقية في ٢ أغسطس لرشدى يقول فيها : إن الخديو سيرجع قريباً إلى مصر على المحروسة ؛ وبما أن الحالة الحاضرة مضطربة ، فالمرجو إخبار إيطاليا واليونان بواسطة معتمديهما في مصر ، لسكى تؤخذ الاحتياطات اللازمة عند مرورها بالجزر * فرد رشدى في ٧ منه بأنه مهتم باتخاذ أحسن الوسائل لرجوع أفندينا ؛ وعلى كل حال فالرجوع بالمحروسة فيه خطر الآن ؛ اللهم إلا إذا عملت ترتيبات خصوصية . وأعرفكم بخطرتعدى المدرعات الألمانية عليها ؛ ولذا يجب إخطار الحكومة الانجليزية بالمحافظة عليها في الرجوع .

* فأرسل مرتضى برقية سرية في ٩ منه ، وفيها : قررنا السفر بالمحروسة يوم الأربعاء مع الباخرة عثمانية ، للبرور من الدردنيل معاً ، ثم نذهب إلى الضلن ؛ أما باقى خطتنا فسيعرفكم عنها شفويأ محمد فهمى بك الذى سيسافر على العثمانية قاصداً مصر . * فرد رشدى في ١٠ منه يقول : وصلتني برقيتكم السرية ، فهل لى أن أعلن حكومات اليونان وإيطاليا وانجلترا ؟

وفى يوم ١٩ وردت لنا منه رسالة بتاريخ ١٢ منه ، يقول فيها : إن السردار والمستشار المالى حضرا مصر ، وقال لى شيتهم نائب كتشنر بالنص : * علمت الآن أن الخديو فى طريقه إلى مصر . وبناء على تليغات شفوية للمستشار المالى ، فان حكومتى

١٩١٤

— ٣٣٣ —

تعلم الحديو بعدم الرجوع لمصر في هذا الوقت ، وإن رجوعه الآن يكون ضد رغبة حكومتى . ولهذا أطلب منكم أن تجربوا سموه بذلك بريقة لاسلكية ، وإن إحدى مدرعاتنا توصلها إلى المحرسة . ، فأجبت أنه لا ينتظر مبارحته الاستانة ، ولهذا فاقى أرسل له بلاغكم إلى الاستانة : أما أننى أبرق له بواسطة مدرعاتكم — إذا فرض وكان قد ترك الاستانة — فهذا أمر لا يمكننى عمله .

• وأبرق في ١٤ منه بقول : حيث إن انجلترا أعلنت الحرب على النمسا والمجر ، وبما أننا أعلننا الحرب عليهما بناء على طلب لندرة ، فنقدنا عليهما نفس الإجراءات التى التى وضعناها على ألمانيا .

ونظراً لاحتال دخول تركيا في الحرب بجانب ألمانيا ، فسيكون موقفنا وموقف أفندينا صعباً . فمن الضروري اليوم وجود أفندينا في مصر ، فهل يمكن لسموه وهو في الاستانة أخذ التدابير لرجوعه ؟ وهلا يمكنه على كل حال أن يملنا بريقة عن رأيه لأننا في غاية الحيرة ، والقلق مستول على المصريين ؟

أبرق عباس في ٢٠ منه يقول : علمنا بالمذكرة الشفوية التى أبلغها لكم المعتمد الانجليزى ، وأرجو الرد عليها بالآتى :

• « الحديو يأسف غاية الأسف ؛ لأنه في الظروف الحالية التى تستدعى ضرورة وجوده في مصر من كل وجه ، والفائدة التى تعود عليها ، فإن بريطانيا العظمى تأمركم بتبليغى رغبتها بعدم رجوعه لها . اشرحوا لنا نظريكم ونظرية زملائكم ، وكذلك موقف كبار موظفى الانجليز ، والرأى العام المصرى . »

• جاء الرد في ٢٣ منه بأن رشدى أبلغ البرقية السالفة الذكر إلى الوكالة الانجليزية ، وأوضح بالتفصيل ضرورة وجود أفندينا حالا ، حتى إنه سلم مذكرة لسهولة توصيلها إلى لندرة ، وأنه في انتظار نتيجة هذا المسعى ، وأنه طلب من المعتمد والمستشارين في المالية وفي الداخلية تعريفه بصراحة - ولو بصفة شخصية - عن سبب تأجيل رجوع أفندينا ، وإلى أى وقت سيكون هذا التأجيل .

• وأرسل رشدى بريقة في ١٤ ، ووصلت في ١٨ ، قال فيها : إن القلق مستول على المصريين ، فإذا كانت صحة سموكم تسمح ، فالضرورة تقضى برجعكم حالا .

• ومن ضمن بريقة أخرى في ١٧ منه أنه قال لمعتمد انجلترا : إن النظار يتوقعون

احتمال دخول تركيا في الحرب بجانب ألمانيا ، ويتساءلون عن النتيجة بالنسبة لمصر ، ويقولون بضرورة رجوع الحديو لأخذ رأيه فيما إذا كان هذا الاحتمال يقع ؛ لهذا فإن القائمقامية بعثت ببرقية لسموه بالرجوع حالا . واليوم رجع للوكالة لتفهم المعتمد بأن صالح بريطانيا يقضى بوجود أفندينا في مصر عاجلا ، وسأرسل ببرقية قريباً أو برسول لسموه .

• وقد أرسل رشدى بأن الرد على أسئلته التى قدمها في مذكرة للوكالة الانجليزية كان كما يأتى :

عن السؤال الأول ، لم يحصل على جواب قطعى ، إنما فهم من كلامهم أنهم يخشون نفوذ سموه ودسائس بعض حاشيته ؛ ولحوا عن موقف سموه في مسألة العقبة (طابة) أما عن المسألة الثانية ، فأكدوا لرشدى أن هذا التأجيل مؤقت لمدة أسبوع أو أقل ، لحين وصول الجنود الهندية لمصر . وأما عن شعور الموظفين الانجليز ، فهو عدم الاعتماد على سموه في أعمالهم . أما موقفهم بخصوص القيام بواجبهم ، فإنه لم يتغير . أما الجمهور ، فإنه يجهل الأسباب ويحسن ألا يعرفها . ثم قال رشدى إن أحمد شفيق في الطريق ، ليعرض على أفندينا الحالة في مصر تفصيلياً من ابتداء الحرب .

• وفي ٢٥ منه قال القائمقام إنه تقابل مع محمد فهمى بك ، وعلم منه أنه قيل للحديو إن الأحكام العرفية أعلنت ، وأنه حكم بالاعدام على بعض الأشخاص ؛ فكذب رشدى كل ذلك ، وقال إن الهدوء التام لا يزال سائداً هنا .

وفي اليوم نفسه ، زار الصدر سمو الحديو لتهنئته بالعيد ؛ وفي أثناء الحديث تكلم عن منع الانجليز سموه من الرجوع لمصر ، فقال سعيد حليم :

• حيث إن أفندينا كلفى رسمياً في مسألة منعه من العودة إلى مصر . فاقى سأطلب من سفير إنجلترا إيضاحات عن سبب هذا المنع . ، فشكره سموه .

• وفي ٣٠ منه أبرق عباس لرشدى بأن السفارة الانجليزية أخبرته بأن الوقت مناسب لرجوعنا إلى مصر ؛ ولكن نظراً لسكوتكم وحرماننا من كل المعلومات اللازمة للاجابة ، لم تمكن من أخذ قرار في ذلك .

ثم إن المستشار سأل سموه عما ينوى عمله ، فأجاب أنه كان ينوى السفر إلى النمسا ولكن ظهر أن طريق رومانيا معطل ؛ ثم فكر في أن يأخذ إحدى البواخر الإيطالية

فيذهب إلى أملاكه بالضمان، ولكن الصدر الأعظم طلب منه أن يبقى في الاستانة بضعة أيام، فتأخر للآن.

وطلب سموه إرسال معلومات بالتفصيل، وروى له ما عليه من وصول الجنود الهندية إلى مصر.

« وفي اليوم نفسه (٣٠ أغسطس) جاءت برقية من رشدي يقول فيها إنه توجه إلى الوكالة البريطانية للاستفهام عن نتيجة مساعيه. فردت بعدم وصول شيء لها، ولكنها تعتقد بوجود مخبرات ودية بين سموه والسفارة الانجليزية بالاستانة. وأخبر أيضاً بأن العساكر الهندية لم تصل بعد، وطلب من الوكالة بمجرد حضورها أن يرجع أفندينا حالاً، وإذا عارضوا يقدم استقالته، ورشدي يستحسن إرسال مرتضى باشا إلى كتنشر شخصياً ليجذب رجوعه. وقال إن البرنس عزيز حسن كلم المعتمد البريطاني في أن يستمر في منع أفندينا عن رجوعه، ليكون بعيداً عن مجرى الحوادث؛ والمستشار المالي قال لرشدي إن سموه على وشك السفر إلى إيطاليا، ومن رأى القائمقام، إن كان عدم رجوع أفندينا يطول، فسفره إلى إيطاليا أرجح من إقامته في تركيا.

« ورداً على برقية عباس أرسل رشدي يقول في ٣١ منه: إنه بعد تبليغ سفارة إنجلترا بعدم المانع من رجوع أفندينا، لا شيء يبرر أقل تردد في ذلك؛ فان صالح البلد وصالح سموه الحقيقي، يستلزمان رجوعه حالاً. الحالة لم تتغير هنا ما عدا الصعوبات الاقتصادية التي في كل البلاد. الأهالي والجرائد في هدوء. موقف الاحتلال ليس فيه ما يدعو إلى الملاحظة. الكل ينتظر رجوع سموه بفروخ صبر، لأنه لا يوجد أحد يفهم أن غياب أفندينا يستمر بعد رفع المعارضة. فبناء على ذلك، زملائى وأنا نرى أننا ملزمون بالالحاق لرجوعه حالاً. ومن المهم لمواجهة الحوادث التي يمكن وقوعها أن النظارة تكون على اتصال مباشر مع سموه. والجنود الهندية لم ترد للآن.

قبل أن أرسل هذه البرقية توجهت إلى الوكالة الانجليزية، وهى: ولا تعلم شيئاً عن بلاغ السفارة الانجليزية بالاستانة لسموه. اطلبوا إرسال البلاغ المذكور إلى الوكالة بواسطة السفارة أو الحكومة الانجليزية؛ وهذا الاحتياط ضرورى، وإلا فاقى مصمم على برقتى السالفة.

أشار محب باشا على الحثديو بزيارة السفير الانجليزى اليوم كما زار السفراء الآخرين، وكتب يخاطر السفارة بذلك، فرد الترجمان بأن السفير متغيب. ثم قال:

أما بخصوص سفر الخديو من الاستانة ، فرجما لم أكن أوضحت تماماً يوم الأحد عما كنت أريد أن أقوله . والمفهوم أن الأصوب أن يبقى بعيداً عن مصر مدة أخرى ، وأن سياحته إلى إيطاليا أو في جنيف في الوقت الذي يجب فيه ترك الاستانة تكون في محلها .
• وقد أبرق الخديو لرشدى باشا برد الترجمان ، ثم قال له :

« وعليه نرى أن تركوا لنا وقتاً للتروى ، لأخذ قرار وخطة للسير عليها ؛ وسنفيدكم عنها . ومن جهنكم وافونا برأيكم ومشروعاتكم ومساعدكم التي تزيدنا معرفة عما يجب علينا اتخاذه ؛ ونظن أيضاً أن لكم خطة مقررّة حيث تلحون في رجوعنا ، خطة يجب أن نفهمها بالتفصيل ؛ ونود أيضاً أن نعرف كيف يكون وجودنا عند حضورنا لمصر بعد تصريح إنجلترا به لنا ، وكيف تكون حالتنا حينما تدخل تركيا الحرب بجانب ألمانيا .

وفي ٣١ منه ، ذهب أفندينا لشكر السلطان رشاد على سؤاله عن صحته ، وجاء فيما قاله جلالتة لسموه . « يمكن لسموكم الرجوع إلى مصر ، حيث لا مانع الآن من طرف الإنجليز ؛ ولا بد أن الصدر الأعظم كان قد أبلغ جلالتة بمساعيه في هذا الخصوص .
• ومن ضمن برقية وردت في ٢ سبتمبر ، يقول القائم مقام إن حب باشا أبلغه الرسالة ويرى على كل حال أن وجود أفندينا لا يكون في أمن بجنيف ، ويقول أيضاً إن الولاة البريطانية أبلغته بأن الحكومة الإنجليزية لم تغير نظريتها بخصوص تأجيل رجوع الخديو ، فهل بلاغ سفير إنجلترا لسموه حصل مباشرة ؟

• وفي اليوم نفسه أبرق عباس للقائم مقام يقول : « بعد مساعي الصدر الأعظم لدى سفير إنجلترا بخصوص رجوعنا لمصر ، حضر مستشار هذه السفارة وترك لنا الخيار في الرجوع مباشرة لمصر أو بعد سياحة في أوروبا ؛ إنما فضل تركنا الاستانة حتى يتجنب الحوادث التي يمكن ؛ بل المحتمل ، وقوعها في تركيا .

وفي ٣ منه زار سفير إنجلترا سموه وقال له : إن عدم رجوع سموه لمصر ، هو لفائدته ؛ لأنه يكون في مركز صعب لو حصلت حرب بين تركيا وإنجلترا . ثم قرأ برقية وردت له من حكومته ، تطلب منه أن ينصح لسموه بترك الاستانة إلى إيطاليا ، فأجابه بأنه كان ينوي السفر ، ولكن الصدر طلب منه البقاء حتى يتخبر مع السفارة الإنجليزية في أمر رجوعه إلى مصر ؛ لأن الأهل يسألون لماذا لم يرجع إلى بلده في هذا الوقت الحرج .

• وفي ٦ منه جاءت برقية من رشدى يقول فيها لمحب باشا : ها أنا ذا أرسل لكم

هذه البرقية لكى أعرب لكم فيها عن وجهة نظرى بصراحة وحرية. وأترك لكم أن تعرضوا على سموه ما يكتنه صدرى بالطريقة اللائقة .

في الحالة الحاضرة علينا أن نأخذ باحدى خطتين : الأولى أن ندع المقادير تسير في طريقها ، حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً . وهذه الخطوة سهلة ؛ ولكن هل هي موافقة للواجب الذى يقضى علينا عمله ؟ والثانية ، هى أن نراعى مصالح مصر ؛ ولأجل ذلك يجب علينا لحصها جيداً ، بأن تأمل في كل الاحتمالات التى يمكن وقوعها ، وعلينا أن نوجه دقة سفينتنا على حسب مقتضيات الأحوال ، مهما كان الخطر الذى يصيبها . والخطوة الثانية تستلزم وجود أفندينا في مصر ؛ لأن هذه الأمور لا يمكن البت فيها عن بعد ، ولا بالمراسلات ؛ وخصوصاً أنه في فترة المخبرات يمكن أن تتغير أسس التقارير : لهذا كنت أسمى للآن عند الوكالة البريطانية للحصول على رجوع أفندينا .

وقد سبق أن ألححت على سموه بالرجوع حالاً عند ما وردت إلى برقيته برفع المعارضة من رجوعه . وبما أن انجلترا مستمرة على المعارضة ، وحتى إذا فرض رفعها ، يظهر لى أن الجانب العالى لا يرغب في الحضور لمصر حالاً ، فعندئذ لم يبق أمامى إلا الأخذ الآن بالخطوة الأولى . وإلى أن تصدر لى أوامر جديدة ، فاقى أترك كل مسعى لحضور أفندينا . لكن يلزمنى أن أعلمكم أنه إذا رفعت المعارضة ولم يحضر سموه ، فإن ذلك يسهل للانجليز استعباده بالكلية ، ويستغلون هذه الفرصة ليعرفوا المصريين أن خديويهم لا يهتم بمستقبل بلادهم ، وفي هذه الحالة أستقيل . أما إذا دخلت تركيا الحرب بجانب ألمانيا في غياب سموه ، فنجد أنفسنا هنا حيارى بدون قيادة ؛ إذ ذاك إما أن تضم انجلترا مصر إليها ، أو تتفق معها على إعطائها الاستقلال الداخلى ، حتى تجذب إليها الأهالى .

ففي الحالة الأولى ، اعتبر مهمتى قد انتهت ، وأدخل في عداد الأفراد .

أما في الحالة الثانية فلدى ما أفعله ؛ فالمرجو أن تعرفونى بنظريتىكم ولو شفويًا .

وفي ١٧ سبتمبر أرسل محب لرشدى برقية ، جاء فيها : فهمى نقل لى معلوماتكم فكونوا مطمئنين . أنا هنا للسهر على أن كل شئ يسير على ما يرام . الخديو ممنون جداً من الأعمال في مصر . وأنا لم أرغب أن أراسلكم كثيراً حتى لا أشتت أفكاركم ، وإذا صدرت أوامر فاقى أبلغها لكم بالضبط .

كنت على وشك السفر إلى لندرة ، ثم تأجل ، وسألح على سموه بالسفر حتى يوافق على اقتراحى لاكون قريباً من محل العمل لاحتمال ما قد يقع ، قبل أنتم على هذا رأى ؟

مذكراتى في نصف قرن ج ٢

كنت أردت أن أوضح لكم وجهة نظر أفندينا ولكنه في آخر لحظة كلف أبناؤه باشا هذه المأمورية . إنني لست موافقاً عليها تماماً ، غير أنني أرجو أن يبلغكم رأيي بالضبط ؛ أما القرار الأخير فهو انتظار مجرى الحوادث هنا ، مع استمرار الصلات الودية مع الأتراك ، الذين لا شك في استعدادهم للدخول في الحرب .

لجاء الرد في اليوم نفسه ، وفيه يقول رشدي : وصلتنى برقيتكم ، وأنا لا أزال على رأيكم من سفركم إلى لندرة لبذل المساعي لرجوع أفندينا .

٢٧ في ٢٧ منه جاءت برقية من رشدي لمحـب ، يقول فيها : إن أبناؤه ومرتضى أبلغاني وجهة نظر أفندينا ، وإنني ضد ذلك بالكلية ؛ لأنها مبنية على خطأ عظيم في التقدير . فإذا كانت إنجلترا تطلب من سموه الخروج من الاستانة والذهاب إلى سويسرا أو إيطاليا ، فأرجوكم الإلحاح عليه بقبوله ، والأصوب السفر إلى إيطاليا . وعليه أن يتفق مع الانجليز بخصوص إقامته فيها ، ولا يلزم أن يعتقد سموه أنهم يريدون إبعاده عن مصر بالكلية ؛ لأن القصد هو إبعاده عنها مؤقتاً . وإنني متأكد بأنه إذا أعطى برهاناً واضحاً على حسن نيته نحو الانجليز ، بأن يرضى بدون تردد بحاشيته التي تناوهم ، فيمكن في الحال أن أحصل على رفع المنع . فهل لي أن أتدخل في هذه المسألة ؟

* ماذا فعلت الحكومة لرد المطورى . في ١٢ أغسطس أرسل القائم مقام لمرتضى

يقول : لمنع القحط اتخذنا الاحتياطات الآتية :

أولاً - منعنا تصدير المواد الغذائية .

ثانياً - جعلنا صرف البنوك الأهلى لإرامياً ؛ ومع ذلك فإن البنك الشرقى الألمانى أقفل أبوابه .

ثالثاً - أذنا البنك الأهلى في إصدار أوراق مالية بمبلغ مليون جنيه ، على أن تكون نصف القيمة الضامنة من الفضة بدلا من الذهب .

رابعاً - سمحنا للبنك زيادة في الاحتياطات ، بإصدار مليون آخر بضمانة سندات مالية من الدرجة الأولى ؛ ونصف القيمة والثلث حدد بمعرفة الطرفين

وفي ١٠ منه أبقى يقول : « نظراً لاضطراب الحالة المالية قررنا المورتوروم للتقد ، وأعلننا ثلاثة أيام عطلة للبنوك والمحال التجارية ؛ وبنكودى روما أوحد أبوابه ، وكان قد طلب سلفة من البنك الأهلى على أن يقدم له ضمانه من بنكو ديطاليا ، ولكن هذا رفض في آخر لحظة

١٩١٤

وفي ٩ منه بناء على الذكرى الصادر في ٧ منه منحت الحكومة كل التصديرات ،
والقمح المعتاد إرساله إلى الحجاز

وفي ١٣ سبتمبر أبقى القائم مقام بأنه تقرر استمرار المورatorium إلى أول
أكتوبر ، ولكن بشروط أخرى نص عليها القرار

وصدر ذكرى في ٢٥ منه لتحديد أثمان المواد الغذائية ، وتألفت لجنة لفحص
ما يلزم منها للبلاد ، وطريقة توزيعها ؛ وجرى البحث أيضاً لاتخاذ الوسائل المالية للمساعدة
على تصريف حاصلات القطن ، وتشكلت لجنة كبيرة لذلك

من برقية في ٢٥ سبتمبر قال رشدي : إن اللجنة التي أرسلت إلى إنجلترا أبرقت
بامكان توزيع أربعة ملايين قطن من محصول الآتي . فأصبح على الحكومة
وانجبار : الأول ، أن العرض لا يتعدى الطلب ، بحيث أن البنوك وتجارة الصادرات
تتمكن من إيجاد المبالغ اللازمة لتداول النقود . والواجب الثاني ، أن تصدر الحكومة
أمرها بتخفيض مليون فدان من زراعة القطن ، حتى يمكن المحافظة على الثمن من جهة ؛
ومن جهة أخرى يمكن إيجاد الكمية الكافية من الغلال لحاجة البلاد ، وتصدير الزيادة
إن وجدت .

ومن برقية في ٢٦ منه طلب عباس تعريفه بالاحتياجات الهامة التي اتخذت
في المسائل الاقتصادية .

فرد عليه رشدي بأن الحالة لم تتغير ، ما عدا الصعوبات الاقتصادية ، فانها كما
هي في كل البلاد .

* مطالت الترجمة من مصر بعد اعطائهم الحرب : أرسل رشدي باشا
للخديو برقية في ٥ أغسطس بأن إنجلترا أعلنت الحرب على ألمانيا ؛ وأن لندرة طلبت
أن يملن مجلس النظار بعض الاجراءات لصيانة مصالحها في مصر ؛ وقد تداول مجلس
النظار في هذه الطلبات وملخصها هو :

أولاً — أن قوة الاحتلال تقوم بكل الاجراءات التي تستدعيها الحرب في بلادنا .

ثانياً — منع كل مساعدة لألمانيا ، والتوصية بكل المساعدات لإنجلترا .

ثالثاً — منع تصدير الأسلحة والذخائر واللوازم الحربية والآلات ، ودواب

الركوب ، والقمح ، والمواد الغذائية

وهم يطلبون قراراً عاجلاً في ذلك وقد قال رشدي : « إننا إذا لم نتخذ هذه الاجراءات ، يخشى من أن تقوم السلطة الانجليزية بتنفيذها . وفي كلتا الحالتين ستكون عرضة لاعتداء الالمانيين وحلفائهم ؛ فالخطر محقق بنا . ومن جهة أخرى فانه لصيانة مصالحنا السياسية إزاء انجلترا ، يستصوب أن نعمل باذتنا بدلاً من استعمال سلطتهم .

وفي ٧ منه أرسل رشدي يقول إنه بعد انتظار ٢٤ ساعة اضطررنا إلى إصدار قرار نظراً للحال الشديد بتنفيذ المطلوب حالاً ، وبعد كل التروى وجدنا أن نقرر ما طلب منا ، فاذا انتصرت انجلترا فالمتنظر أنها تعدل في النظام السياسي ؛ وأما شكله وشروطه ، فيكون بنسبة الخطة التي نسير عليها معهم . أما إذا رفضنا المطالب المذكورة فان الانجليز يعدلون هذا النظام ، لكي يضمنوا استعمال حقوقهم الشرعية التي تخولها لهم قوانين الحرب . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تكون على حذر منا . وتنفيذنا الاجراءات المطلوبة نعتقد أننا قد تبصرنا في العواقب ، للمحافظة على كيان نظامنا السياسي الحال .

وفي ٧ أغسطس أصدرنا ذكريتو جاء في مقدمته : « بما أنه قضى لسوء الحظ بإعلان الحرب بين جلالة ملك بريطانيا العظمى وإيرلندة والمحقات البريطانية فيما وراء البحار وإمبراطور الهند ، وبين إمبراطور ألمانيا .

« ونظراً لأن وجود جيش الاحتلال في القطر المصري يجعل هذا القطر عرضة لهجوم أعداء صاحب الجلالة البريطانية .

« وبما أنه من الضروري ، نظراً لهذه الحالة الفعلية ، التمكن من اتخاذ جميع الوسائل اللازمة لدفع خطر مثل هذا الهجوم عن القطر المصري .

وبما أنه قد أشير على الحكومة المصرية ، تحقيقاً لهذا الغرض ، أن تتخذ الاجراءات الآتية : » .

وفي ٩ أغسطس أرسل عباس لوشدي برقية قال فيها : إن الصدر عرفنا بأن مصر أعلنت الحرب على ألمانيا . أرسلوا حالاً بالبرق تفصيلات عن هذه المسألة ، والاسباب التي استوجبت هذا الاعلان ، حتى يمكن إخبار الباب العالي بذلك .

مصر تقطع علاقتها مع ألمانيا والنمسا : في ١٠ منه أرسلت المعية برقية تقول فيها : « إن قنصل جنرال ألمانيا يرفض ترك مصر اعتماداً على أنها على الحياد ، وليس في

حالة حزب؛ والنظار عقدوا جلسات عدة بخصوص العلاقات الرسمية بيننا وبين ألمانيا، والنظر في حالة المراكب التساوية الراسية في الموانئ المصرية، بعد إعلان الحكومة بأنها في حالة حرب بينهما .

إخراج معتمدى ألمانيا والنمسا من مصر : وفي ٢ سبتمبر أبرق رشدى بأن قومندان قوة الاحتلال أرسل بلاغاً بواسطة أحد ضباطه، إلى قنصل جنرال ألمانيا والنمسا بوجوب ترك القطر المصرى . وهذا بقرار صادر منه بدون إحاطتنا، وقطعاً أعلن به . ومثل النمسا حضر عندنا وسألنا عما إذا كان هذا الأمر حصل بموافقة الحكومة المصرية . فأجبتنا بأن البلاغ صدر وأرسل بقرار من السلطة العسكرية الانجليزية ؛ وليس بقرار سياسى من الحكومة المصرية . فأرسل الرد في ٣ منه بموافقة سموه على ذلك .

وفي ٦ منه حضر سفير النمسا بالأستانة، وقابل الحديو، واحتج لديه كما احتج لدى الصدر على طرد معتمد النمسا من مصر، وقال : « إنه معتمد لدى أفندينا، وليس معتمداً لدى الاحتلال الذى ليس له حق فيما فعله »

اتنابى بمهمة خطيرة لدى عباس . في ١٢ أغسطس قابلت حسين باشا رشدى تلبية لطلبه، وقلت له إننى فى خدمته، حيث إن مجلس النظار عاد من الاسكندرية إلى القاهرة، لخدمته فى الحالة الحاضرة وصعوبتها، وخرج مركزه، وتعدنا المخاطرة مع أفندينا؛ وقال لى إنه أرسل إلى سموه يقول إنه لم يصل إليه رد برقيتين بعث بهما إليه، وأنه يوجد عنده كلام لا يمكن أن يرسله بالبرق خوفاً من المراقبة فى مصر وفى الأستانة . فقلت له إنى رهين إشارته فيما إذا أراد أن يكلفنى السفر، فقال : « ولا بأس » فطلبت منه أن يحضر لى جميع الأوراق التى يطلب عرضها، فقال : « وهو كذلك »؛ « إنى سأعطيك هذه الأوراق، فإذا خفت ضبطها فألق بها فى البحر . »

وفي ١٤ منه قابلته، فقال لى إنه يرى ضرورة سفرى إلى الأستانة، وأمرنى بالاستعداد وفي ١٥ منه جاءت برقية من عثمان مرتضى باشا بجوقلى، يطلب حضورى للأستانة ومعى ثلاثة آلاف جنيه ذهباً . منها ألفان من الخاصة، والألف من الأوقاف الخصوصية . وفي ١٨ منه اختليت مع حسين رشدى باشا ليلاً من الساعة الحادية عشرة إلى الساعة الواحدة ونصف بعد منتصف الليل، فأخبرنى :

أولاً — بأنه حقيقة كان عازماً على الاستقالة عندما طلب منه الانجلىز إقرار وجود مصر فى حالة حرب مع ألمانيا ، بدلا من الحياد ؛ ولكنه رأى أنه ربما لا تخلفه نظارة أخرى ، فيتولى الانجلىز أمور البلد فيوقعونها فى مشاكل

ثانياً — أنه أعطى مذكرة شفوية لوكيل كتشنر سير ملن شتهام ، بأنه إذا دخلت تركيا فى الحرب مع ألمانيا ، فإن بمصر تعلن استقلالها عن تركيا تحت شروط (أ) ان إنجلترا تحمل عىل الدائنين الأجانب فى صندوق الدين .

(ب) ألا تسن قوانين بخصوص الأجانب إلا بعد مصادقة إنجلترا

(ج) أن عساكر هذه الدولة تحمى قناة السويس .

ثالثاً — أن الانجلىز غير مرتاحين لرجوع أفندينا الآن إلى مصر ؛ لأنهم يخشون أن يعرقل هو وحاشيته أعمالهم ، وهم الآن مطمئنون وسائرون بالاتحاد مع النظارة .

رابعاً — أنهم كانوا يرشدى باشا أن يرسل لسموه برقية لاسلكية بأن يرجع للاستانة ؛ فلما منهم أن الحديو غادرها على يخط المحروسة ، عائدأ إلى مصر ، إلى أن تأق الجنود الهندية ؛ فأقى بتأتا ، قائلا إنه يفضل الاستقالة على ذلك ؛ لأنه يعتبر هذا العمل بمثابة خلع أفندينا ، فضلا عن أنه لم يقسم برقية بمبارحته الاستانة ، كما هى العادة . واستفهم منهم عما إذا كان ذلك بناء على أوامر صريحة من دولة إنجلترا ، فقال شتهام إن اللورد سسل المستشار المالى ، سبق أن فهم من كتشنر أنه يريد ذلك ، فأجابه أن هذا لا يكفى ، لأنها نقطة صعبة جدا يلزم أن تتأكدوا منها ، وأفهمه أن ذلك ليس من صالح الانجلىز ؛ بل الأصوب أن يكون الحديو بمصر حتى يمكنهم أن يستعملوا نفوذهم ؛ وإلا فاذا أعلنت تركيا الحرب فإنها تستعمل هذا النفوذ ضد الانجلىز فى مصر

وقال لى يرشدى باشا إنه يحسن بأفندينا ترك يوسف صديق ، واحمد شوقى ، وحامد العلايلى ، حتى يرضى الانجلىز ، ولا يقولوا إن الحاشية تدس الدسائس ؛ وهم وإن لم يعينوا أشخاصا ، إلا أن المفهوم أنهم يعنون هؤلاء الثلاثة .

سأله : « وإذا سافر أفندينا وقصد مصر ، هل يظن أن الانجلىز يمنعونه فى الطريق ؟ » قال : « لا أقدر أن أجاب على ذلك ، ولكن لو حصل ، فأننى أستقيل . »

فسأله عما يريد الانجلىز ، هل إعلان الحماية على مصر أو ضمها . فقال : « هذه نقطة غير واضحة . » سأله : « هل ينوون خلع أفندينا ؟ » قال إنه سأل الانجلىز عن ذلك ،

فقالوا : لا . . وأكد عطوفته على شتهام بأن يرسل لانجلترا فكرة الفوائد التي يجنيها الانجليز من وجود أفندينا ، فقبل .

وفي ١٩ منه سافرت من مصر قاصداً الاسكندرية ، فانتظرت في محطتها محمد يكن باشا ، وحسن خالد بك نجل الشيخ أبي الهدى الصيادى ، فركبت منها إلى مأمورية الأوقاف الخديوية ، وتسلسلت من مندوب الخاصة الثلاثة الآلاف جنيه انجليزى ، ثم توجهنا إلى وابور سالونيك الرومى .

وقد كلفنى قبل قيامى محمد يكن باشا أن أعرض إلحاحه على الخديو بالعودة إلى مصر ، كما أن دولة البرنس محمد على باشا كلفنى بإبلاغه أنه يلح هو أيضاً فى ذلك ، أو على الأقل يلح فى عودة الوالدة والأميرات .

وفي ٢٠ منه وصلت إلى ميناء بيريه باليونان .

وفي ٢٢ منه ركبت باخرة إيطالية ، نظراً لعدم استمرار الباخرة سالونيك إلى الاستانة ؛ وكانت تلك الباخرة مكتظة بكثير من السياح الروس والرومان ، حتى اضطر كثير منا أن ينام فى طرقات الباخرة .

وفي ٢٣ منه وصلنا أمام مدخل الدردنيل الساعة السادسة صباحاً ، وانتظرنا للظهر حتى حضر الرافص المخصص لسحب البواخر التجارية ، خوفاً عليها من الألغام التي كان الأتراك وضعوها فى هذا المضيق . وقد لاحظت أنه منذ خروجنا من الاسكندرية حتى الآن ، لم نقابل وابوراً حريباً فرنسياً أو انجليزياً ؛ ودخلنا بحر مرمرة فى الساعة الثالثة بعد الظهر .

وفي ٢٤ منه وصلنا فى الساعة السادسة صباحاً أمام رصيف غلطة ، وانتظرنا لحضور أحد من سرى جبوقلى ، وأرسلت برقية إليها أخبر فيها بحضورى ، وابتظارى الرافص ؛ ولما حضر ركبته وسار بي إلى قصر جبوقلى . وبمجرد وصولى اجتمعت بأفندينا فى حضرة الباشوات : محب ويوسف صديق واسماعيل أباطه وعثمان مرتضى ، فسألوني عن حالة مصر وعمما إذا كان صحيحاً ما سمعوه من حصول ثورة فى القاهرة وفى الاسكندرية ، وشنق سبعة أشخاص ، وغلو أسعار الحاجيات لدرجة عظيمة ، وعمما إذا كان أعلن الحكم العرفى .

وعلمت منهم أن هذه الأخبار أشيعت فى الاستانة ، واضطربت أفكار المصريين لأجلها كباراً وصغاراً ؛ فطلبنا منهم بعدم وجود شئ من ذلك ، وأن البلد فى أمان ؛ ولما

الاسعار ارتفعت أولاً ارتفاعاً فاحشاً ؛ ثم لما منعت الحكومة تصدير شيء للخارج ، أخذت في الهبوط ؛ ويمكن أن تكون الزيادة الآن عشرة في المائة .

ثم بلغت أفندينا الرسالة التي كلفني بها رشدي باشا ، فعرفته بمسألة عانعة الانجليز في هودته إلى مصر ؛ وشرحت لسموه أن شتهام قال للبasha نقلا عن اللورد مسسل مستشار المالية الذي حضر مع ونجت باشا حاكم السودان لمصر قبل قياى منها يوم واحد بأن اللورد كنهه . قال ما يفهم منه أن الاصبوب عدم رجوع أفندينا لبلده الآن . ولما استفهم رشدي باشا منه عن السبب ، أجيب بأنهم يخشونه وحاشيته ، ويخافون أن يمرقوا إجراءات الانجليز في مصر في هذا الوقت ، ويدسوا الدسائس بين المصريين للقيام ضد الانجليز ، الذين لم تكن قوتهم كافية في ذاك الوقت . فتخابر رشدي مراراً معهم ، وطلب إرسال برقية لانجلترا بأن هذا المنع في غير صالحهم ، لأنهم يستفيدون كثيراً من وجوده ؛ حتى ولو فرض أنه حصل منه شيء ، لسهل عليهم منعه ؛ وأخيراً أجيب بأنه عند وصول العساكر اُنديية لمصر يمكنه العودة .

وفي ٢٥ منه سألني أفندينا عن مسألة إعلان مصر الحرب على ألمانيا والنمسا ، فأجبت به بأن مقدمة الدكرتو الصادر في هذا الشأن تدل على أن مصر صارت كأنها انجليزية ، إذ قيل فيه : « نقرأ لإعلان ملك الانجليز الحرب على ألمانيا ؛ ولما كان واجب الحكومة الانجليزية ، أن تتخذ كل الوسائل لصيانة ممتلكاتها . مستعمراتها من الخطر ؛ وبما أن الانجليز يحتلون مصر ، وواجبهم يقضى بالمحافظة عليها من كل خطر ، فقد أشير على الحكومة المصرية باتخاذ الاجراءات الآتية .

ثم ذكر الدكرتو المواد المتضمنة الاحتياطات التي تتخذها كل دولة محاربة ضد عدوتها . فاستغرب الحاضرون ما قلته لأنه غير ما ورد برقياً من رشدي باشا ، فقال أفندينا : « ربما أن شفيق قرأه فقط في الجرائد ، فقلت . « نعم ، وكأنه يقول إنه قاتني أن أفهم الحقيقة من رشدي باشا . ثم استعلم سموه مني عن سبب صدور هذا الدكرتو بعد أن أعلنت مصر حيادها ، فقلت : « إن القائم بأعمال وكالة ألمانيا توجه على ما بلغني إلى رشدي باشا وسأله : « كيف يتفق إعلان مصر الحياد ووجود الاحتلال الانجليزي فيها ، مع العلم بأن انجلترا محاربة لألمانيا الآن ؟ ، وأنه على ذلك حصلت مخبرات مع انجلترا ، وطلب رجال الاحتلال استصدار هذا الدكرتو .

أردت ألا أذكر أمام الحاضرين أن رشدي باشا يرى خطراً كبيراً على مصر فيما

إذا دخلت تركيا هذه الحرب ضد إنجلترا، وأنه تكلم مع شيتام في ذلك، وأنه في حالة دخولها يتعين تحديد مركز مصر من جديد، وإعلان استقلالها عن تركيا. وعلت من رشدي باشا أنه أعطى شتاهم مذكرة فيها أساس شروط إعلان استقلال مصر وهي:

أولاً — أن تحتل إنجلترا بمساكرها قناة السويس للحفاظ عليها.

ثانياً — تضمن إنجلترا لباقي الدول ديونها في مصر، فيكون لها مندوب بدلا من مندوبي الدول لدى صندوق الدين.

ثالثاً — ألا تضع مصر قانوناً على الأجانب إلا بعد تصديقها عليه.

وقد تحاشيت التكلم في هذه النقطة أمام محب باشا؛ لأنه كان وقتئذ متوددا للحكومة العثمانية، وكان واسطة السعي للتوفيق بين أفندينا وبين الصدر، وقد توترت بينهما العلاقات إثر حادث الاعتداء على سموه؛ غير أن الحديرو دفعني إلى الكلام فأفهمته المسألة مضطراً، فسألني عن صورة المذكرة التي قدمها رشدي باشا إلى شيتاهم، وأظهر أنه كان يجب على أن أحمل تقريراً واقعياً بكل ذلك، فقلت لمتى طلبت كل هذا من رشدي باشا، وقد وعدني؛ ولكنه لم يعطني شيئاً كتابياً. فأمر سموه محب باشا أن يحرر له جواباً بغيره. ثم سألت أفندينا عما كان يرغب في أن أحضره معي من المعلومات، فقال:

أولاً — نتيجة التحريات التي حصلت في مصر بالنسبة لحادثة الاعتداء.

ثانياً — تفصيلات سبب استصدار الدكرتين القاضيتين بأن تكون مصر محاربة لألمانيا والنمسا.

ثالثاً — ما يقوله باقي قناصل الدول الجنرالالية بالنسبة للحرب وحالة مصر.

رابعاً — المذكرة التي أعطاها رشدي لشيتاهم بالنسبة لاستقلال مصر.

فقلت لسموه: لمتى يامولاي قتب بالواجب على ولم أقصر فيه؛ لآتي قلت لرشدي لمتى تحت أمره في هذا الوقت الصعب؛ ولمتى مستعد للحضور عنده في أي وقت يريد ففكرني ولكن لم يطلبني؛ وفهمت أنه كثير التحفظ، ثم لمتى طلبت منه أن أخذ معي تقريراً مسهباً عن كل المسائل وصور البرقيات الشفوية التي أرسلها ولكنه لم يعطني شيئاً؛ واكتفى بالمعلومات التي شافني بها ليلة السفر، فرد أفندينا: ولمتى لا أقول إنك قصرت في واجباتك..

عباس يروى لى حادثة الاعتداء : فى ٢٥ اغسطس اختليت مع عباس ، ورغبت أن أسمع منه شخصياً وقائع الحادثة المذكورة ، فقال : « أنت تعلم يا شفيق مقدار الصداقة التى بينى وبين منير باشا سفير الدولة العلية بباريس ، فلما دعوته لتحضية بعض أشهر الشتاء فى مصر ، طلبت منك عمل الترتيبات اللازمة لهذه الضيافة ، فأعددت له ذهبية ، ورببت له كل ما يلزمه من أكل وشراب وعربة لفسحته ، فعاد لوظيفته شاكرًا ممنوناً من حسن الضيافة .

« فلما سافرت فى هذه السنة إلى باريس ، وعلم بعمى على قضاء شهر رمضان فى الاستانة نصحت لى ، وأسر إلى بطريركة خصوصية بحجة بما كان يتوقعه من الاعتداء على ، وألح بالأأسافر للاستانة ؛ ولكنى لم أعبا بنصيحته واستبعدت وجود المؤامرة لاختيال حياقى وسافرت إلى الاستانة غير هياب ولا مكترث . وعقب وصولى إليها توجهت إلى السراى السلطانية حسب العادة وتشرفت بمقابلة السلطان ، فرحب بى ، وأظهر لى عطفه الأبوى .

« وفى ٢٦ منه ركبت عربة سلطانية لزيارة الصدر الأعظم فى الباب العالى ، وبرفقى المهندسار الشاهانى ، وخلف العربة باوران ، وبعض الجاويشية ، كما هى العادة . وكان جلال الدين باشا القبوكتخدا يتبعنا فى عربة أخرى ، وأمام الباب العالى مقر الحكومة التى كان يرأسها الأمير سعيد حلم كصدر أعظم ، اعتدى على شاب مصرى ، كان مروباً فى حانوت بابه مقفل ، فأطلق على الرصاص من مسدسه . هنا استوقفت عباس ، وسألته عما جال فى فكره بمجرد حصول الحادثة فأجابنى : « تمكنت بصعوبة من إخراج مفكرتى وكتبت : « أنهم سعيد حلم ؛ لأننى كنت أشعر من زمن بعيد بعدائه لى ، وبالتفاف بعض المصرين حوله ينفذون إرادته . »

« ومن الغريب أنه عند إطلاق الرصاص على ، وقف الحوذى بدلا من الاسراع فى سيره وانكأ المهندسار للوراء فى العربة ليفسح المكان لتمكين المعتدى من فريسته ، الأمر الذى أثار كثيراً من الشبهات . »

ثم سألت سموه : هل تظن يا أفندينا أن البرنس حلم كان يقصد من وراء هذه الحادثة أن يخلف سموكم فى مصر ؛ مع أنه رفض قبول العرش عندما دعاه كتشنر لذلك ؟ ، فأجاب : « نعم . »

عند ذلك حضر أحد الأغوات ، وقال : « إن دولة الوالدة تريد زيارة أفندينا ، فخرجت .

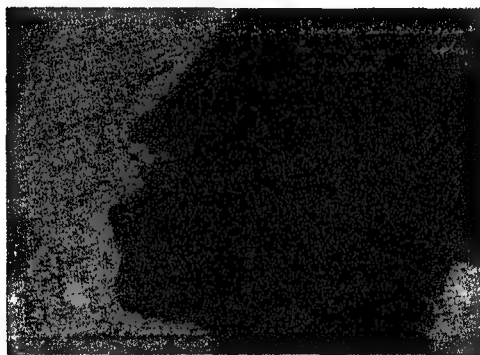
وما يجدر بالذكر أن الحديو كان في ذلك الوقت يقيم في أحد الباليين في جبوقلي ،
بدلاً من الكشك الذي في أعلى الجبل؛ لسهولة معالجته ، وكانت تقيم معه خليلته ولوزانج ،
عند انفراده ، أما البالي الآخر فكان معية للحاشية .

ولما تقابلت مع الحديو أمس ، عقب وصولي إلى جبوقلي ، وجدت ذراعه المصاب
مرفوعاً وملفوفاً بقماش ، ولسانه يتلعم ، فأخذ يتحدثني عن الاصابات ، وكلامه بطيء
ونفسه ذو رائحة ؛ فسألت الدكتور كوتسكي بك طبيبه الخاص عن الاصابات ، فقال :
« عند خروج سمو الحديو من الباب العالي ، أطلق عليه ثمانى رصاصات : منها ما أصاب
خده ، حتى أسقط بعض أضراره وأسنانه وجرح لسانه ؛ ومنها ما أصاب ذراعه . »
وفي ١٥ سبتمبر أملاني أفندينا خطاباً لرشدي باشا سلبه إلى الصباحي أفندي .
وسافر اليوم على باخرة « الحاج داود » ، وما جاء فيه :

« إنه وإن كنا أرسلنا لكم تلغرافاً بأن صحة الجناب العالي ساعدته لعمل زيارات ،
وأن الجروح التامت ، والحكام أعطوا للبرة الأخيرة قرارهم بأن محنته رجعت إلى ما كان
عليه ؛ إلا أننا نخط عطفونكم علماً بأن الذراع المصاب لم يأخذ حركته الأصلية للآن ؛
مع العلم بأن التحسن مستمر ، والمرجو أنه عن قريب يتم شفاؤه . أما الفم فإنه مع سقوط
أربع أسنان ، يوجد أيضاً سن خامس انفصلت عنها أخواتها ، بحيث لا يمكن استعمالها .
وإن الفك السفلي لم يأخذ موضعه تماماً بحيث إن الأسنان العليا لا تنطبق على التي تحته
كما كانت ؛ ونحن في انتظار أخذ رأى طبيب الأسنان . وإن محل جرح اللسان يفتح وقت
تناول الطعام ، ثم يرجع إلى ما كان عليه ، وهذا يسبب عدم فوات وقت كاف على الشامة .

عثمان مرتضى باشا يتحدثني بما دار في التحقيق : أردت أن أستقي بعض معلومات
عن التحقيق من عثمان مرتضى باشا رئيس الديوان الحديوي ، وهو من كبار القانونيين ،
فقال لي : « بعد حصول الحادثة استدعاني الحديو لآكون في خدمته باستانبول ، ولأقوم
بالتحقيق ، لكي نصل إلى العوامل الخفية التي دفعت المجرم إلى ارتكاب جرمته ، فقامت
باستجاء الأخبار ، وتبين الوقائع من مصادر عدة ؛ وعلى الأخص من كانوا مع سموه
حين الاعتداء عليه ؛ ومن اطلاعي على محاضر وأوراق الاعتداء تبين بوضوح :

أولاً — أن الشاب المجرم كان يتمرن على ضرب الرصاص منذ ثلاث سنوات .
وقد وجدت في غرفته صورة لإنسان يارتفاه الطبيعي ، كان يقذفها بالرصاص من غدارته
محسباً إلى القلب ، حتى لا تخيب ضرباته عند الاعتداء .



صورة بالأشعة « راديو جرافير » أُخذت في شهر ديسمبر بفيتنام، تبين الإصابات بذراع الخديو وقله

ثانياً — أن ذلك المجرم كان يتعهده ويعاونه طبيب مصري مستخدم في قلم الأمنية العمومية ، بنظارة الداخلية ؛ وهو الدكتور احمد فؤاد . وكان له اتصال مباشر وثيق مع طلعت بك والصدر الأعظم .

ثالثاً — كرولى ماسمته من عباس ، عما حدث من — المهتمدار الذى أثار كثيراً من الشبهات .

رابعاً — وجود كبير رجال البوليس السرى وراء القاتل ، وإقدامه على قتله على الفور؛ مع أنه كان في قدرته القبض عليه استجلاء للحقيقة ، ولمعرفة العوامل الخفية التى استخدمت هذا المجرم في الاقدام على جرمه الفظيع . وكان هذا سبباً أيضاً يجعل الناس حيارى من إدراك الغرض من وجود رئيس البوليس السرى وراء المعتدى ، ومن تسرعه في قتله عقب ارتكاب الجريمة ، رغم أنه لم يد منه أقل اهتمام بالقبض عليه عند أول طلقة أطلقها ، بل تركه حتى أطلق جميع رصاص مسدسه .

وعلى ذلك كله أرسلت موظفاً مصرياً (كان قد حضر لمعاوتى في التحرى) إلى نظارة الحفانية ، ليستوضح كل هذه النقاط ، وليستوفى التحقيق الذى وقف جامداً — وعلى الأخص مع الدكتور فؤاد للأسباب الخطيرة المذكورة — تباطأت النظارة في إجابة الطلب ، فألححت من طريق آخر على نظارة الداخلية ، لفصل من الثانية ما حصل من الأولى واكتفت الحكومة العثمانية بما عمل في الرسميات من المحاضر الأولية في ضبط الواقعة ، وأسدل الستار نهائياً على هذا الاعتداء . x

ولما وجد الخديو والحاشية أن الحكومة العثمانية لم تهتم بإجراء التحقيق الدقيق في الحادثة ، وخصوصاً الأمانة العمومية بنظارة الداخلية ، وعلى رأسها الدكتور المذكور من دعاة الصدر ، والذي لم يساعد مرتضى باشا وبدر الدين بك عند حضورهما ، بل إنه عمل على معاكستهما ، فلم يبين ما وراء هذه الحادثة ؛ لذلك شعر الخديو والحاشية بالخطر من وجودهم في الاستانة ، وتقرر اتسداد البكباشى شفيق ، والبكباشى البشرى لا بلاغ الخديو هذا القرار الخطير .

* تبشير عباسى للمصريين بقتلهم . أرسل صديق في ١٣ سبتمبر للقائمقام برقية قال فيها : إن محبة الجناب العالى تحسنت في العشرة الأيام الأخيرة ، وقام ببعض الزيارات ويسرني جداً أن أبلغ عطفكم بأن الأطباء الذين عاجلوه ، عادة لاخر مرة اليوم وقدموا تقريراً نهائياً عن محبة سموه ، ورد فيه أن الجناب العالى شفى تماماً من جروحه

بدون أن ترك أثراً ، وأنه أصبح متمتعاً بكال الصحة . وقد بادرت بأخبار عطفكم بهذا النبأ السار الذى يهكم معرفته ، لتنشروه للأمة المصرية .

* وفاة مصطفى فهمى باشا . فى برقية بتاريخ ١٣ سبتمبر أخبر القائم مقام بأن مصطفى فهمى باشا فى حالة النزاع ، فأرسل الحديو يبدى أسفه لذلك ، ويطلب منه عنوان زغول باشا ؛ فرد القائم مقام فى ١٤ منه بأن الفقيد وأصحابه رجعوا لمصر فى ٩ سبتمبر . وفى ١٥ سبتمبر وردت برقية من الجمعية السنية بأن جنازة مصطفى فهمى باشا شيعت بالأكرام اللائق به .

وفى ١٥ منه أرسل الحديو برقية لمحمود صدق باشا ، يقول فيها : « علبت الآن الحسب المولم بوفاة رئيس نظارى السابق مصطفى فهمى باشا ، فقدموا عزائى بليج أسرته ، وبأنى أشاركها فى مصابها الآليم ، وأقدر هذا الرجل حق التقدير لتودده وإخلاصه لعائلتى . »

وفى ١٦ منه رد محمود صدق باشا برقية ، جاء فيها : « إن عطف سموكم العظيم ترك أحسن الأثر لدى أسرة الفقيد فى هذا الظرف العصيب ، وقد كلفتنى بأن أكون رسولها فى تقديم شكرها للأعتاب الحديوية . »

تعزية عباس لسعد والرد : وفى ١٥ منه أرسل عباس إلى سعد زغول باشا وكيل الجمعية التشريعية برقية يقول فيها : « تأثرت لوفاة رئيس نظارى السابق مصطفى فهمى باشا ، وأرى لزماً على مناسبة هذا الحادث المفجع أن أعرب لكم عن عطفي الصميم ، وأتمنى لكم الصبر للاستمرار فى خدمة مليكم وبلادكم مدة طويلة . »

جاء الرد فى ١٧ منه وفيه يقول سعد : « أرجو عرض إخلاصى وولائى لأعتاب أفندينا ، وشكرى الجليل لعطفه العظيم الذى تنازل بتوجيهه إلى مناسبة وفاة خادمه الأمين صبرى ، وهذا الاكرام العالى سيكون دائماً أحسن تخفيف لمصابى ، وأقوى مشجع لخدمة الغاية السامية للمليكنا المفخم . »

• من ضمن برقية وردت فى ٢٥ منه ، قال رشدى إنه فى زيارته للوكالة الانجليزية قاله شيتهم : « إن برقية أفندينا لسعد بمناسبة وفاة مصطفى فهمى كان لها وقع سيء . » لأنها لا تعتبر تشجيعاً للمعارضة لحسب ، بل تسببها .

* **الحاج الإنجليزي برك عباسي لمرستانية وإقامة في إيطاليا .** سبق أن نوهنا عن زيارة سفير إنجلترا لأفندينا في ٣ سبتمبر، وإلحاحه على سموه بترك الاستانة والسفر إلى إيطاليا، ولم يرق في نظر أفندينا إلحاح السفير الإنجليزي في أن يسافر إلى إيطاليا؛ ولا سيما أنه من المحتمل أن يكون تدبير هذا الشأن بين إنجلترا وإيطاليا، أو على الأقل أن يفاجأ في أثناء سفره بمركب حرية تفوقه إلى مالطه مثلاً . ويمكن أن نقول إن التهديد بدأ من هذا التاريخ .

وفي ١٤ سبتمبر زار محب باشا سفير إنجلترا، وسمع منه كلاماً جافاً بسبب امتناع الخديو عن تركه الاستانة، والسفر إلى إيطاليا .

وفي ١٥ منه أرسل سفير إنجلترا خطاباً لمحمد عزت باشا، يدعوه لزيارته، فسأله عما ينويه الخديو بالنسبة لسفره لأوروبا، فقال عزت باشا : « إن سفره غير مناسب في الأحوال الحاضرة ؛ لأن المصريين ، وحتى الأجانب ، ينتقدونه فيقولون عنه إنه يتزه في حين أن مصر في خطر ؛ وكان الأصوب أن يوجد هو أيضاً فيها . ولا أفهم حكمة منعه مع أن هذا المنع في غير صالحكم . فقال السفير : « إنه ورد لسموه عشرة آلاف جنيه من مصر ليصرفها في زهرة البحر الأبيض والذهاب إلى أوروبا . »

فأجاب : « إن شفيق باشا أحضر ثلاثة آلاف جنيه لسموه، وأنه إذا كان قد فكر في أن يتوجه إلى أوروبا وقتاً من الأوقات ، فإنه كان ينوي أن يرافق نجليه إلى سويسرا للدراسة ؛ ولكن الخديو يفضل الإقامة هنا محل السيادة بما أنكم منعموه عن دخول مصر . فتأوه السفير وقال : « كيف نعمل وعندنا عسكري « كشتنر » ، يقودنا ؟ ، وقد اعترف السفير للبasha بأن هذا العمل ليس في صالح الإنجليز؛ ثم طلب منه بصفته صاحب كشتنر أن يحرر له خطاباً خصوصياً يعرفه فيه بفكره . فرد عليه عزت باشا : « كيف أن كشتنر الذي لم يسمع كلامك وأنت سفير ، يصغى لما أحرره له وأنا فرد بسيط ؟ ،

وفي ٢٢ منه بلغني أن سفير إيطاليا تقابل مع الخديو، وقال له : « إن طلب إنجلترا ذهابكم بجرأ إلى إيطاليا معناه : تفضل يا خديو إلى مالطه . »

وفي ٢٦ منه حضر الترجمان الأول للسفارة الإنجليزية لغرضين : الأول أخذ ميعاد لزيارة السفير لأفندينا ؛ والثاني لإبلاغه طلب حكومته بأن يترك سموه الاستانة ليقم في إيطاليا .

فرفض سموه الكلام معه في النقطة الثانية .

فلما تقابل مع سموه أخيره بأن وجوده في الاستانة مشجع للأتراك على تجهيز مائة ألف عسكري لإخراج الانجليز من مصر . لهذا فاز السفير بطلب ابتعاده عنها ؛ لأن وجوده بها مصر بهم ، فأجابه سموه قائلاً : « أنا أعرف منك بأفكار الانجليز في لندرة نحوى ، بما علته في هذا الصيف ، فلا تحاول شيئاً في هذا الأمر . ومع هذا فذلك نقطة لا تدخل لك فيها ، فسأشرحها للسفير . أما ما تدعونه من أن وجودى هنا أضع الأتراك بإرسال حملة على مصر ، فأتى في غالب المدة التي أقتها في الاستانة كنت مريضاً ولم أخرج للزيارة إلا قليلاً ، ولم أتناقش مع الصدر إلا نادراً ، وليس لي اختلاط مع رجال الحكومة العثمانية . فلو صح ما تقولونه أكون أكثر مهارة من بسمارك ، ويحق لي أن أقنعه بهذا العمل . » ثم قال لنا أفندينا إن الترجمان كان قد بدأ كلامه « من العالى » رغبة في التأثير على ؛ ولكن لما رأى منى العزيمة والشدة في المناقشة ، خفض صوته .

ثم قال الترجمان إن دورية خيالة عددها ٢٠ نفرًا من العرب وصلت إلى رفح ، لحثها النقطة المصرية التي على الحدود ، وبعد أن مكثت الدورية يومين في الأراضي المصرية رجعت ؛ وكان من الممكن أن تكون هذه الحادثة سبباً لقطع العلائق بين إنجلترا وتركيا إلا أننا أقصرنا على إرسال مذكرة للصدر في يوم ٢٣ سبتمبر للفت نظره الى هذه الحادثة . وقال أفندينا : « لى أستغرب ، لأن الصدر الأعظم واسماعيل حتى بك القوميسير العثماني بمصر الذى كان عندنا أمس لم يخبرنى بشيء من ذلك ، فهل نية الأتراك غير سليمة معنا ؟ »

فأمر أفندينا عارف باشا بالتوجه إلى انور باشا وتفهمه المسألة ، واستحضار اسماعيل حتى للتكلم معه في هذه النقطة ؛ لنعلم هل الدولة لا تريد بقاى هنا كطلب السفير . وقد حضر اسماعيل حتى والبرنس إبراهيم حلى ، وكلف أفندينا الأول بالذهاب لطلعت بك ، والثاني للصدر

نصيحة الأتراك له بالرفض : فكان جواب الصدر أن السفير لم يعلق أهمية كبيرة على مسألة الدورية ، وأن أفندينا ليس له أن ينزعج عما يقوله السفير ؛ وما عليه إلا أن يجيبه بأنه يفضل البقاء في الاستانة على التوجه لأوروبا

وكان جواب طلعت بك في يوم ٢٧ منه : أن لا أهمية مطلقاً للمذكرة التي أخبر

الترجمان بها أفندينا ، وألا يسمع سموه ما سي قوله السفير من حيث السفر ، ولا يعطى له أهمية ، ويجاوبه بأنه قرر الإقامة في الاستانة .

أما أنور باشا فقال أمس لعارف باشا : « إننى سأعمل ما يلزم مع الحكومة العثمانية لأجل منع السفير من إفلاق راحة الحديو بهذه الصفة ، لأنه ليس له حق في منع سموه من الإقامة في الاستانة ؛ ومع هذا فإن الكثيرات ولم يبق إلا القليل . »

*** قطع عمره بانه مجير .** في ٢٨ سبتمبر جاء السفير السير لويس مالت في الساعة الحادية عشرة . وكرر ما قاله الترجمان ، ثم قال أن حكومته استشعرت بمغزى بعض التلغرافات التي ظاهرها بسيط ، وباطنها ذو معنى سياسى ؛ من ذلك التلغراف الذى أرسل في العيد الصغير من الجناب العالى إلى حسين رشدى باشا ، وفيه يشير سموه إلى أنه كان يود أن يكون بين المصريين في هذا العيد ؛ وأضاف إليه ملاحظة على إرسال برقية لسعد باشا عند وفاة صهره ، يفهم منها أن الحديو يثق بسعد باشا أكثر من رجال حكومته ، وكذلك أبدى ملاحظة على برقية محب باشا للقاء بمقام يبشره بشفاء عباس ، وبتبليغ ذلك للمصريين ؛ وقال إن هذه المسائل أولت بطريقة تشوش الأفكار . فأجابه أفندينا بأن لعلنى بأن سعد باشا محب لرشدى باشا ، وساعده في الجمعية التشريعية ، وهو من الرجال الأكفاء ، أرسلت له كلمتى تشجيعاً على مساعدة رشدى باشا ؛ وسبب إرسال تلغراف محب باشا ، أنه أشيع أننى في حالة صحية خطيرة حتى صرت معتوهاً ، فأردت تكذيب هذه الاشاعات ؛ أما بالنسبة لرشدى باشا ، فأننى أحبه ، وأثق به ، وهو من عائلة أصلها من قوله كاصلى ، ولا أرغب مطلقاً في أن أجرحه في شىء ما .

وتكلم السفير معه أيضاً في عدم مناسبة وجوده بالاستانة ، بسبب ما يقال عنه من أنه يحض الأتراك على دخول الحرب ضد الانجليز ، وأن الأولى أن يسافر إلى إحدى مدن إيطاليا على يمت المحروسة ، والحكومة المصرية تكترى له قصرًا لطيفاً لمدة بضعة أسابيع . فقاطعه الحديو ، وقال : « بضعة أشهر . » ثم أضاف السفير : « وإن لأفندينا منافع مادية ومعنوية في مصر ، فلا ينبغي له إهمالها ، فأجابه سموه بما أجاب به ترجمان السفارة ، وأضاف : « صحيح أن لى مصالح في مصر ولكن لم يعن بها الانجليز ؛ لأننى لما اشتريت من الحكومة سكة حديد حلوان دفعت لها أربعة آلاف جنيه عن كل كيلو متر ، مع أنها لم تدفع لى إلا ثمانية جنيه للكيلو متر في سكة حديد مربوط . » فقال السفير : « إن هذا الثمن جيد ، فأجابه سموه متبكياً : « أنا متشكر . » ثم قال :

أما منفعتي المعنوية فهي في عدم ذهابي لإيطاليا ؛ لأنه لا يمكنني أن أخرج في الطريق بل أكون مجبوساً في القصر ، لأن كل من يراني يقول : هذا ملك غريب ! ترك بلاده في ساعة الخطر ليظهر بعيداً عنها .

ثم إن أفندينا جس نبض السفير فيما يختص بالإقامة في سويسرا ، فأجابه بأن الحال فيها غير مطمئة ، ويتنظر حصول قحط ، فاستنبط سموه من ذلك أنه لابد من وجود اتفاق بين إيطاليا وإنجلترا على إقامته في إحدى المدينت الإيطالية ، حتى يكون محاطاً بالجواسيس ، ولا يمكنه أن يتمتع بحريته ؛ كما أن الإصرار على السفر فوق المحروسة ، أوجد الشك عند سموه في نية الانجليز ، وأنه ربما كان الغرض القبض عليها في البحر ، وإرسالها إلى مملكة مثلاً ؛ حتى إن السفير لم يستحسن أن يسافر سموه إلى الضلبان . وقال : « أنا في المرة الأولى رأيت جنابكم ميالين للسفر ، ولكني الآن أرى تغيراً ، وأجدهم غير مترددين في البقاء ؛ فربما أنكم مستندون إلى الأتراك . » فأجابه سموه : « حقاً فكرت في السفر ، ولم أكن قد ملكت صحتي ، وفضلته لتغيير الهواء ؛ ولكني الآن في صحة تامة ، لا أحتاج إلى السفر ؛ خصوصاً وأن بين أهلي وعشيرتي ورجال معيتي . » فقال السفير : « الأحسن أن تتردى في طلي ، ثم تعطني الإجابة القطعية . » قال : « فليكن . »

ولكن السفير ظن أنه في تردد ، وأنه ربما يمكنه أن يؤثر على سموه ويأخذ جواباً مرضياً . فقال : « إنني أرى أن صاحب أفندينا يقضي بإجابة طلب حكومتى ، فأعطني رأياً صريحاً قطعياً الآن . » فأجابه : « إن تربيتي تمنعني من أن أخفي رأيي ؛ ولذا فأنني أرفض إجابة الطلب . »

وفي أثناء المحادثة قال السفير : « إن وجود سموكم في إيطاليا أقرب لمصر من الاستانة . » تليحاً لما ينتظر من رجوعه لبلاده ؛ فأجابه إنني متمود على السفر ، ولدي قدرة على أن أطوف حول أفريقيا حتى أصل إليها .

قال السفير : « فلي حيثنذ أن أخبر حكومتى برفضكم ؟ » قال : « نعم . »

ثم سلم جنابه عليه ، فقال له سموه : « أنا أشكر لكم عنايتكم الشخصية بي ، وإنني متأكد من أنكم في تقاريركم التي ترسلونها لحكومتكم بخصوص حركاتي وسكناتي تراعون الحقيقة . » ولم يظهر على وجه عباس وهو يروي لنا مناقشته مع سفير إنجلترا شئ .

من التأثير لقطع علاقته مع الانجليز؛ ولكنني شعرت بأنه يفكر في عواقب هذا الحادث
لا من الوجهة السياسية، بل من الوجهة المادية؛ وقد أخبر والدته بنتيجة زيارة السفير،
بعد مقابلة السفير الانجليزي في ٢٨ سبتمبر، فكر الخديو في مقابلة سفير إيطاليا،
ليستعلم منه عن وجود مخاضرات بين حكومته وحكومة انجلترا فيما يختص بسفر سموه
إلى إيطاليا، فأرسل له محب باشا يرجوه في المقابلة، لحضر اليوم، وعلم منه الخديو
عدم وجود محادثات من هذا القبيل، ثم أكد لسموه أنه إذا أقام في إيطاليا فإنه يكون
حرأ في أعماله وحركاته وسكناته كما لو كان هنا؛ وغرض عليه مخاطبة حكومته في هذا
الشأن ليتأكد من ذلك، فأجابته بالضرورة لهذه المخاطبة الآن، وطلب منه أن يبقى في
نفسه ما عليه حتى الوقت المناسب. وقد استغرب السفير الإيطالي منع الانجليز له من
رجوعه لمصر، وقال إنها غلطة كبيرة؛ وكان الأحسن لم أن يكون بمصر تحت نفوذهم.

* تابع المخاضرات الرسمية والمحاورت.

في ٢٥ منه أ برق رشدي لمحج يقول: وإن الوكالة البريطانية طلبت مراراً وقف
الجمعية التشريعية إلى أن تنتهي الحرب، بحجة إمكان تداخلها في المسائل السياسية، وضرورة
اتخاذ وسائل قانونية عاجلة تقتضيها الظروف. فرددت بأن هذه الاجرامات ربما
لا ترضى الرأي العام، وتعتبر تقبلاً في وجهة النظام الدستوري؛ وإن الحل الوحيد
هو تأجيل الجمعية التشريعية إلى تاريخ انقضاءها المقبل. وكل قانون يصدر في هذه الفترة
يعرض بعد ذلك على الجمعية، فينظر فيه كالمعتاد، فقبلت الوكالة هذا الاقتراح، ومن
جهة أخرى نرى أنه موافق نظراً للحالة الراهنة، وإن الرأي العام يقبله بدون اعتراض
وفي ٢٦ منه أجاب محب بأن الخديو لا يوافق على تأجيل موعد افتتاح الجمعية
التشريعية، لفائدة البلاد في الظروف الحاضرة، لأنها لا تشتغل إلا في المسائل الداخلية
وأن القوانين التي تصدر بين دورتي الانعقاد، تعتبر مؤقتة، ولا يعمل بها فيما بعد،
وتفادياً من المعارضة في القوانين الهامة، التي كان يجب أن تعرض على الجمعية لابتداء رأيها
فيها؛ فلذلك رأى سموه أن يتجنب الامكان إصدار قوانين من هذا القبيل.

فكل هذه المسائل لها أهمية عظيمة. وسموه يريد ألا تتخذ قرارات من هذا
القبيل إلا بعد استشارته.

الرتب والنيشين : وفي ٢٥ منه أ برق رشدي لمحج يقول: وإن السردار استعلم

عما إذا كانت الرتب والنياشين التي تمنح عادة بمناسبة عيد الاضحى للعسكريين والملكيين في الجيش يلزم عرضها على سموه ، أو يكتفى بطلب منه .

فرد عباس في ٢٧ منه : « بناء على الحالة ، أجلوا طلبات الانعام على العسكريين والملكيين برتب ونياشين ، والسبب هو منع استقالة الضباط المصريين للانجليز .

وفي ٢٩ منه أرسل عباس برقية للقائم مقام جاء فيها : « برقيتك المهمة لم تقنعني . سفير إنجلترا حضر أمس ليلفني رغبة حكومته الاكيدة بسفري إلى إيطاليا ، فرفضت . وبعد كل ما حصل لي ، فأنا أأسأل : كيف يمكنني أن أقبل حتى رجوعي إلى مصر ؟ والتفصيلات (١) بالبوستة .

كنت أحب أن أراك هنا لو أمكنك عمل اللازم .

وفي ٤ أكتوبر قال الخديو لمحب باشا : إذا لم تحضر برقية بعد يومين أو ثلاثة بسمر رشدي باشا للاستانة كطليبا ، فتذهب أنت وتقنعه بذلك ، ثم ترجع . وسأله عما إذا كان يمكنه الرجوع ، فقال : « لنني أفعل كل شيء حتى أرجع ، ثم إن سموه أظهر تأله أيضاً من عثمان مرتضى باشا ؛ لأنه لم يوافه بأخباره .

وفي ٧ منه أ برق عدلي لصديق بأن الخطابات الواردة منه لم تغير من رأيه ، وأنه يشارك القائم مقام في كل نظرياته حتى الآن .

في ٨ منه توجهت إلى جبوقلي ؛ فعلمت أن عدلي باشا ناظر الخارجية أرسل برقية مفتوحة ليوسف صديق باشا ، يقول فيها إنه أحد خطاباته ولكنه يخالفه في رأيه ، وأنه مقتنع بما أرسله رشدي باشا في كل المخابرات حتى الآن ؛ فكان رشدي وعدلي ، وطبعاً باقي إخوانهما من النظار — أي الحكومة — في جانب ؛ والخديو في الجانب الآخر .

وقد تألم الخديو من لحوى هذه البرقية ، وكان ألمه أشد لأنها جاءت مفتوحة (بدون شفرة) ؛ وقد علل سموه ذلك بأنه إما أن يكون الانجليز أمسكوا خطابات يوسف صديق ، وطلبوا من عدلي أن يبدى رأيه لهم ، فقال إنه على غير رأى يوسف صديق ، وحينذاك أملوا عليه البرقية ؛ وإما أنه أرسلها من تلقاء نفسه ، دون ضغط عليه ، فيكون عمله إرضاء للانجليز — وما كان يهدف فيه أن يعمل هذا العمل .

وقرر سموه أن يسافر محب باشا لاقناع رشدي باشا وعدلي باشا بوجهة نظره .

(١) التفصيلات المنوه عنها موجودة تحت عنوان « قطع العلاقات بين عباس والانجليز ،

في ١٢ منه سافر محب إلى مصر بعد أن تناقش مع الخديوي في موضوع مهمته ،
ومى إقناع رشدي باشا بالسير على الخطة التي اختطها سموه لنفسه ، أى الاتفاق مع
الأتراك ضد الانجليز ، الذين لم يرضوا برجوعه إلى بلده ، ولا بمعارضه عليهم رشدي باشا
من استقلال مصر ، مع إلحاحهم في خروج سموه من الاستانة والتوجه لاطاليا ؛ وأن
يقنع رشدي باشا بأن يتخذ خطة حازمة أمام المحتلين ، بدلا من قبول كل ما يطلبونه منه ،
لأنهم مجبرون على موالة المصريين الآن .

وفي ١٩ منه جاءت برقية من محب ، بجمل موضوعه لا يعرفها إلا يوسف صديق
يقول فيها : « إن الانجليز منعوا رشدي باشا من إرسال برقيات ، (شفرة طبعا) .

وفي ٢٠ منه سافر إلى مصر أحمد صادق بك وكيل الأوقاف الخديوية ، بعد أن
أن قضى ليلتين فقط في الاستانة ، مزوداً بتعليقات من أفندينا لرشدي باشا ، منها إرسال
عدلى باشا ناظر الخارجية للاستانة للتفاهم مع أفندينا .

في ٢٠ أكتوبر حضر سفير هولاندة ، وزار عباس ؛ وكان قبلًا قاصدا جنراليا
لهذه الدولة في مصر ، وله صلات ودية قديمة مع سموه وعائلته . ودار الحديث بينهما في
منع الانجليز لأفندينا من الرجوع إلى مصر مع أنه كان يود ذلك ، فقال السفير إن سفره
على يخت المحروسة كان خطراً عليه ؛ لأن الدوارع الانجليزية كانت تقوده إلى ماطلة .

كنت عرضت أول أمس على أفندينا أنه لا يحسن استمرار المؤيد المنسوب لأفندينا
على اتخاذ خطة مخالفة لخطةنا ، لأن الأهالي يكونون متحيرين في تصديق أى جانب ؛
فنعماً لسوء التفاهم ، يجب أن يعدل المؤيد خطته ، وإننا نطلب حافظ عوض بك للاستانة .
وبناء على الأمر أرسلنا برقية لعثمان مرتضى باشا بذلك ؛ لجاء الرد أمس بأن حافظ بك
يفضل عدم السفر لأسباب متعددة ، فساءنا هذا الرد . وبما أننا كنا أفهمنا أحمد صادق
بك أسباب طلب حافظ عوض ، فقد قررنا الانتظار لمعرفة ما سيكون عند وصول
المندوب لمصر .

وفي ٢٢ أكتوبر أرسل القائمقام برقية ، وصلت في ٢٧ منه للياور النوبتجي ، ذكر
فيها أن محب باشا وصل ؛ وليس لي إلا الرجوع إلى برقيات السالفة ، وقد أوضحنا فيها
كل الوسائل المهمة التي اتخذتها . ولم أنفذ شيئاً مهماً إلا بعد إخطار سموه ؛ ومع ذلك
فانه لم يصلني منه أى اعتراض على أعمالى .

وأما تأجيل اجتماع الجمعية التشريعية شهرين ، فكان قبل حضور محب باشا ، ولم
أتسلم البرقية التي قال محب بأن سموه أرسلها إلى هذا الخصوص .

وفي ٢٥ منه حضر من مصر عبد الله أفندي سليم البشري ومحمود خيرى أفندى ،
من المعية السلية ، وأخبرا بما يأتى :

أولاً — رشدى باشا لا يثق بعهود الأتراك ووعودهم .

ثانياً — أنه مخلص لأفندينا ، ومستعد للاستقالة ، إذا رغب سموه ؛ وأن
سبب عدم إجابته عن طلب بيان القوة العسكرية المحتلة ، والى حضرت ، وتوزيعها هو
أنه لو سأل الانجليز عن هذا البيان ، لشكروا فى سؤاله ، وأولوه بأنه تجسس ؛ فضلاً
عن أنهم لا يصدقونه .

ثالثاً — قال إنه أرسل برقية عقب رجوع محب باشا

رابعاً — محب باشا لم يتمكن من إقناع رشدى باشا وعدلى باشا .

خامساً — عدلى باشا أرسل برقيته المفتوحة من تلقاء نفسه .

سادساً — بعض النظار قالوا عن أفندينا : « خليه هو هناك ونحن هنا نشغل ،
أى أنهم مستغنون عنه .

سابعاً — الأهالى متدمرون من تسيطر الانجليز عليهم ، ولاخذ كل شىء بما فى
ذلك الأساور والحقى الذهبية ؛ ومتضررون من أن المستشار المالى قرر أن يكون قطار
القطن بستة ريالات ، بعد أن كان يباع فى السنة الماضية بمشرين ؛ وأن كل من يأخذ
مبلغاً من البنك الأهلى فى نظير تسليم قطنه ، يشترط عليه قبول الثمن الذى يبيع به البنك
هذا القطن مهما كان منخفضاً .

ثامناً — الأهالى خائفون لأن الانجليز يهددونهم إذا قاموا ضدهم ، ومن جهة
أخرى فانهم خائفون أيضاً من تدمير الأهالى ؛ والجواسيس منتشرون فى كل البلاد ،
حتى على بواخر الشركة الخديوية ، لمراقبة الذاهبين والعائدين ؛ والتفتيش عليهم فى
الجرم ، حتى على السيدات صعب جداً .

* رسالة انتقاد من عباسى على رشدى بعقبها ثقة وتناء .

علم الخديو بأن رشدى باشا قد انفعَلَ من برقية سموه إلى سعد باشا ؛ وظن
أن نتيجة ذلك تعيين سعد محله عند رجوع سمو الخديو إلى مصر ؛ فأراد الجناب العالى

أن يمحو أثر هذه البرقية بأبداء ثقته في قائمقامه؛ فأرسل الخطاب الآتي بالفرنسية بتاريخ ٢٩ أكتوبر:

عزيزي القائمقام: لاحظت أن بعض قراراتكم اتخذت بحجة أنكم لم تصلكم منا أوامر بخصوصها، فكان الواجب عليكم من باب الحيلة أن تتأكدوا من وصول رقياتكم لنا، وكان عليكم إرسال صورة رقياتكم بالبريد أو برسول خاص.



حسين رشدى باشا

ولو أنكم استعملتم هذه الطريقة لما حصل سوء تفاهم، مع أنه لم يصلنا منكم شيء من ٢٧ أغسطس إلى ٢٢ أكتوبر، ففي هذه الظروف الصعبة، كان من الواجب بالنسبة للمسائل المهمة، ألا تتخذوا أى قرار قبل أن أعطيك موافقتي عليه. فثلاً بخصوص تأجيل الجمعية التشريعية، علينا أن ردنا لكم بالبرق لم يصلكم، فكان عليكم أن تطلبوا منا الرد التحريراً. وكذلك بما أن الحالة الحاضرة لا تستدعى الاحسان بربت ونياشين، فقد علينا من

برقية وردت لنا من السودان أنكم صرحتم ببعضها، مع أننا في ردنا لكم بخصوص ذلك، أمرناكم بعدم منحها. فاحتياطاً لهذه الأحوال نلح عليكم أن تعلقوا بكل قرار مهم لاخذ رأينا، خصوصاً في المسائل الخطيرة التي سنواجهها. وقد سبق أن أعربنا لكم عن رضائنا بوجودكم على رأس حكومتنا، وإننا ننتهز هذه الفرصة لتكرار هذا الرضاء والتأييد بثقتنا التامة بكم، وإخلاصكم الوطيد لنا ولوطنكم. وإننا لا نشك في صداقتكم وفطنتكم، فعلينا أن تعملوا بشجاعة وثبات وصبر متواصل لصالح بلادنا العزيزة. واعتقدوا يا عزيزي القائمقام، بأحسن عواطفنا ٥

وفي هذه اللحظة وصلتنا برقيتكم بخصوص مقالة طنين بتاريخ ٢٤ أكتوبر. ونحن لا نجد فيها ما يستحق الاهتمام، فالجرائد في مصر أو في استنبول تنشر أخباراً كثيرة ليست صحيحة، ولا تستوجب أن تعطوها هذا الاهتمام، وعلى كل حال فالتأنيب لنستغرب كيف اطلعتم على هذه المجردة، لأنها لا يمكن أن تصلكم في تاريخ برقيتكم.

* منع الحج وضع التضحية والكتبابات للصليب الأحمر مبراً . في ٢٩ أكتوبر أرسل رشدي للياور النوبتي برقية قال فيها : « جريدة طنين (التركية) نشرت حوادث يلزمني تصحيحها لأنها تمسني شخصياً ، فادعواؤها منع الحج في هذه السنة ومخالفة فتوى المفتي ، وإقبال أبواب الأزهر ، كل ذلك اقراء محض . فالحقيقة هي أن الممالك التي كانت تمون مصر بالدقيق ، منعت تصديره بسبب الحرب . ومن جهة أخرى فاننا قررنا لإنقاص زراعة القطن لزيادة زراعة القمح في سنة ١٩١٥ تقوين البلاد والتقاوى اللازمة لزراعته ؛ ولأجل ذلك فان الحكومة منعت تصدير الكمية التي كانت ترسلها من القمح إلى الحجاز ، مما يؤدي إلى تمعدى العربان على الحجاج . وفضلا عن ذلك عدم وجود وابورات صحية كافية لنقل الحجاج . وأخيراً فان الحكومة المصرية نظراً للحالة الحاضرة ترى نفسها غير قادرة على تنظيم خدمة كرتينات لافقة ، بحيث تقوم بمنع خطر الأمراض الوبائية عن البلاد ، الأمر الذي يستلزم وجود الحجاج تحت مراقبة طويلة ، بدلا من إخراجهم بمجرد إتمام الاجراءات الصحية . وعليه فالحكومة عرضت كل هذه الملاحظات على المفتي ، الذي أصدر فتوى بأنه في هذه الحالة ينصح بعدم الحج في هذه السنة . والحكومة أعلنت هذه الفتوى على الياور ، وتركت له الحرية في اتباع النصيحة ، وطلبت فقط من المسافر ترك مبلغ كاف للاتفاق عليه لرجوعه عند الحاجة كما حصل في سنة ١٩١١ ؛ ومع ذلك فان الكسوة الشريفة أرسلت مع مخصصات مكة ، وكل ما أجرته الحكومة في هذه المسألة لم يثر استياء الجمهور ، والبلاد استمرت وستستمر هادئة .

وكذلك ما قيل من أن الحكومة منعت التضحية ، كذب . وإنما بالنسبة لأن البلاد معرضة لتعطل المواشى ، ونظراً للحالة الحاضرة ؛ فان الحكومة طلبت من كبار العلماء تحت رئاسة المفتي لإبداء النصيحة للجمهور بانقصاص الضحايا إلى أقصى ما يمكن ، وقد صدرت الفتوى بالموافقة . وعليه ، فان الحكومة اكتفت بنشر الفتوى دون أى تعليق عليها ، ولم تتخذ إجراءات أخرى .

ومن الاقتراء أخيراً ما قيل من فتح اكتبابات عامة للصليب الأحمر الانجليزى جبراً . والحقيقة أن بعض الاكتبابات القليلة التي حصلت كانت تقريباً كلها من أفراد ، حتى أنه أشير بالنهي عن ذلك .

زيارة عباسي لشكر الخليفة والعائلة السلطانية والسفراء . في ٣١ أغسطس زار أفندينا الصدر الأعظم في « بنى كوى » ، وهى أول زيارة عملها بعد الحادثة . وقد شكره على مساعيه الخاصة برجوعه لمصر ، وكانت الزيارة ودية للغاية .

ثم قابل السلطان في قصر بلدز ، وكان يبعثه الباشوات محب ومرتعضى وأباظه وصاحب المذكرات ، ويوسف صديق ، وغيرهم من الحاشية ، وكان ذلك في الكشك المسمى « جادر » ، الذى بناه السلطان عبد المجيد في نقطة جميلة لها منظر على البسفور كأنه بحيرة أمام الناظر ، وله منظر آخر على بحيرة صناعية في الجنة ؛ وقد نزل السلطان من بلدز إلى هذا الكشك ليسهل على أفندينا مقابلته . وكان الترتيب أن سموه يحضر بالرفاص إلى سراى « جراغان » ، ومنها بالسيارة إلى الكشك المذكور ، مخترقاً الشارع من محل خصوصى . وقد استقبله على السلم الباشا بنجى ورئيس التشريعات ورئيس الأطباء وغيرهم ، فدخل أفندينا عند السلطان ؛ أما نحن فكنشنا مع حاشية جلالته مدة ٥ دقائق ، بعدها حضر رئيس التشريعات ودعانا إلى مقابلة جلالته ؛ فخرجنا فى البهو الذى كان بين غرفة السلطان وغرفتنا ، فوجدنا أفندينا واقفاً ، ثم حضر السلطان ، فأدينا التحية بأخذ السلام . وقد منا سموه إلى جلالته .

ثم زار فى أول سبتمبر أيضاً سفير النمسا ، وقد رحب بسموه كثيراً ، وأظهر له مبنوية عظيمة لرؤيته فى محبة تامة ، خصوصاً وأن الصلات الحية بين الاثنين كانت كبيرة وقديمة .

ومن هناك ذهب لسفارة أمريكا ، فلم يجد السفير ومنها زار سفير ألمانيا ؛ وسمع منه أن الألمان مصممون على سحق وتخريب الدولة البريطانية ، وعندهم مدافع برية ترمى إلى بعد ٣٢ كيلومتراً لاستعمالها بوضعها فى كاليه عند أخذها ، لمنع وصول المراكب التجارية من إنجلترا ، لما هو معروف من أن المسافة بين كاليه وبين الشواطىء الانجليزية أقل من ذلك أو تقرب منه ، وكذلك عندهم الطائرات المساة « زبلن » ، فسيكون لها شأن فى محاربة الانجليز ؛ وزار سفير إيطاليا ؛ ثم سفير روسيا ، ولم يجدد فكره له بطاقته .

أما سفير إنجلترا فكان أفندينا قد آخر زيارته للغد ، فألح محب باشا فى أن يزوره اليوم ، وأرسل الباشا جواباً للترجمان بذلك . ولكن هذا رد باعتذار السفير لعدم وجوده .

وزار أيضاً اليوم بعد الظهر سفير فرنسا ، فأبلغه أن الانجليز والفرنسيين لا يفكرون فى اقتحام الدردنيل لمناعته ، بوضع الألمان مدافع كبيرة فى الحصون ، ولإغام

البحر ، مما يصعب معه على الأسطول أن يخترق الدردنيل . ثم حضر حسن بك رئيس تشريفات ولي عهد السلطنة ، للسؤال عن صحة أفندينا من قبل سموه الملوكي ، ففكره أفندينا وأمر بكتابة رسالة لطيفة لولي العهد ووقعها ، وانتدب محب باشا وعارف باشا لحملها وتقديمها ، ثم زيارة وحيد الدين أفندي وغيره من العائلة السلطانية ، شكرهم من قبل أفندينا على سؤالهم عنه مدة مرضه ، والإعتذار لهم عن عدم إمكانه زيارتهم شخصياً .

وفي يوم ٤ منه حضر سفير روسيا لرد الزيارة لسموه ، وقال له : إن الأحسن وجوده بالآستانة ، لينصح المتوسمين من الأتراك بعدم خوض غمار الحرب الحالية كما تريد ألمانيا ، وهو يقيح عمل إنجلترا من حيث طلب خروجه من الآستانة ، وقال السفير إن هذه الحرب تطول ستة أو سبعة أشهر .

وفي ٩ سبتمبر جاء سفير النمسا وقابل الخديو ، ففهم من حديثه أن حالة الجيش النمساوي ، سيئة وأنه ينتظر بفروغ صبر انتهاء القتال مع الفرنسيين ، حتى تتمكن ألمانيا من إرسال نجدة عسكرية لمساعدة النمسا .

عباسي والصبر والحزب الوطني . في ٣ سبتمبر وردت للخديو رسالة من محمد فريد رئيس الحزب الوطني يهنئه فيها بإسلامته من التعدي وبحلول العيد ، ويظهر امتنانه من عطف سموه على رجال الحزب مثل الصوفاني وغيره ، وقال ما معناه : إنه يلزمنا انتهاز الفرصة الثمينة الحاضرة للعمل معاً .

وفي اليوم نفسه كنت تحدثت مع اسماعيل أباطه ويوسف صديق عثمان مرتضى في تنظيم برنامج للسير بمقتضاه ، ثم عرضه على أفندينا ؛ ولكن علمت من الأول أنه لا يبت في شيء إلا بعد حضور محمد فهمي بك التشريفاتي من مصر ، وإطلاعنا على الأوراق التي يحملها من قبل رشدي باشا . وقال أباطه باشا : « إن أفندينا يفكر في الذهاب والمكث في الضلبان ، لأنه إذا ذهب إلى إيطاليا يدعي الحزب الوطني أنه يسعى ضد صالح مصر . »

وفي ٧ منه ركب مع أفندينا واسماعيل أباطه وذهبا إلى بيك في الصباح ، وبعد وصولنا إليها حضر يوسف صديق ، والدكتور سيد كامل ، وكانا منتدبين لمرافقة محمد فريد بك ، لأنه وصل من سويسرا للآستانة أمس الأول ، فأخبر يوسف صديق أنه لما تقابل مع فريد صباح اليوم في الفندق ، رأى منه ميلا للتفاهم مع الخديو ، واعترف بأنه لا يمكن للحزب ، ولا للأتراك عمل شيء بدون مساعدته .

ولما قابل فريد بك أفندينا أخذ ينفي عن نفسه تهمة التعدي ، ثم قال إنه يعتذر عما حصل منه من الخطأ ، لأنه كان مقتنعاً بأن أفعاله كانت في صالح الوطن ؛ فطلبنا أفندينا ، وعرفه بأنه لم يخطر بباله أنه تدخل في حادثة التعدي عليه ، وقبل اعتذاره بكل صفاء ، في هذا الوقت الذي يلزم فيه جمع شمل المصريين .

ثم أمره أن يتوجه لطلعت بك وأنور باشا لمعرفة ما ينوي الأتراك عمله في مصر وتبليغه لنا . وبعدها بقليل حضر الشيخ البوريني يرافقه الشيخ عبد العزيز جاويش الذي نفي عن نفسه تبعة الحادثة . وتبرأ منها ؛ فقال له أفندينا : « أنا لا أخليك من المسؤولية ، لأنه كان يجب عليك أن تنصح لهؤلاء المتهمين من الشباب أن يتبينوا الأمور ويعقلوها ؛ فان مصر لا تنتفع من ضررى . وعلى كل حال فان الوقت يقضى علينا أن نكون الآن كتلة واحدة ، للعمل لما فيه صالح مصر والمسلمين ، وأن نفكر في العمل الذي تنويه الدولة في مصر . »

فقال الشيخ جاويش : « أنا أعرف أنك يا أفندينا تحدثت مع أنور باشا ، وأعرف أنه متحقق من شيء ، وهو أن الدولة لا يمكن أن تعتمد في عملها على شخص خلاف أفندينا ، وأنه أخبر الاتحاديين بذلك . » ثم خرج الشيخ جاويش مسروراً بما سمعه .

وفي ٩ منه حضر محمد فريد بك إلى البالي (قصر بيك) ومعه اسماعيل ليبب بك من أركان الحزب الوطنى ، الذى حضر من مصر وأفضى لسموه بحالة البلاد وأعمال الانجليز . وفى هذا اليوم قابل سموه على الشمسى بك عضو الجمعية التشريعية ، وتداولوا جميعاً فيما يجب عمله .

وفى ١٢ منه حضر محمد فريد بك واسماعيل ليبب بك ، وقابلا أفندينا ، وأعلماه بمحدثهما مع أنور وطلعت .

وفى ٥ اكتوبر تقابل سموه مع محمد فريد بك واسماعيل ليبب بك فى قصر بيك بعد الظهر ، وكلفهما بكتابة أسماء الفدائيين الذين يعول عليهم من أعضاء الحزب الوطنى ؛ وذكر أن الواجب التفكير في طريقة تحريض الطلبة المصريين على القيام بواجبهم نحو الوطن .

وفى ٧ اكتوبر قابل الجناب العالى فى بيك فريد بك واسماعيل ليبب ، وتحدثوا فى الشؤون المصرية .

وفى ١٢ منه جاء محمد فريد بك واسماعيل ليبب ، لجمعى الخنديو بهما بحضور

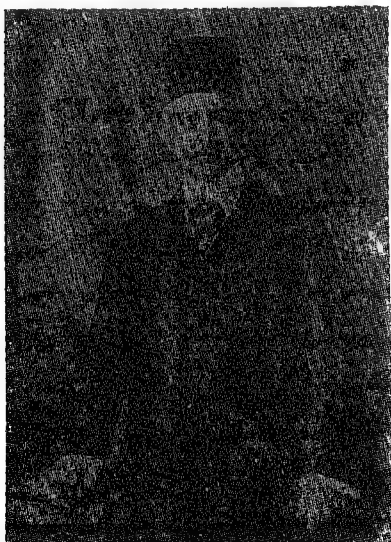
يوسف صديق والسيد كامل، وتباحثنا في الحالة، فقرر تحضير منشور من سموه يوضح فيه الغرض من إخراج الانجليز، والمحافظة على الأرواح، من مصريين وأجانب، والعفو عن المحكوم عليهم سياسياً، والوعد باعطاء الدستور التام.

وفي ١٤ منه حضر لجبوقلى محمد فهمى رئيس جمعية أنى الهول في جنيف مع على الشمسى بك وكييل هذه الجمعية والعضو في الجمعية التشريعية، ومعه أحد أصحابه مسيو فلاك مكاتب فرانكفورت روتنج، وقابلوا الخديو.

وفي ١٧ منه قابل سموه بعد الظهر في بيك محمد فريد بك. واسماعيل لبيب ثم صاحب جريدة ألمانية كانت تطبع في مصر (يحيى ناخرختن) وعطلت عقب إعلان الحرب من إنجلترا على ألمانيا، ثم محمد فهمى بك وعلى الشمسى بك، وأخيراً حضر أنور باشا ومكث مع سموه ساعة كاملة.

وفي ١٨ منه حضر محمد فريد بك واسماعيل لبيب بك لجبوقلى بعد الظهر، وقابلهما سموه مع وجودى أنا ويوسف صديق باشا؛ ومن المحادثة علمنا أن البرنس ابراهيم حلمى أخبر أفندينا بأن الصدر كلمه عن فريد، وانتقده على وضع شارة مكتوب عليها مصر

للمصريين؛ وأنه سأله عن البرنامج الذى ينوى السير عليه. فأجابه بأن لا برنامج عنده. وعلى هذا حكم الصدر على الحزب الوطنى بأنه دجال؛ فقال فريد: «نعم لأننى توجهت لمنزل الصدر وقابلته، ولم أرد أن أعلمه بشئ. لأننى لا أثق به، ولأنه أرسل مع محمد راسم بك يقول: إن الصدر مستعد لمقابلته ليلاً بمنزله، ولكنه لم يتوجه إليه. فقال الخديو:



سعيد حلمى باشا «الصدر الأعظم»

«إن الصدر لما رأى التفافكم حولى، استشاط غضباً؛

لأنه يرمي إلى غرض آخر ، يشتغل في تنفيذه مع الشيخ عبد العزيز جاويز والدكتور أحمد فؤاد وحلى المسلمي افندى ومحمد عماد الدين ، فقال فريد : « بلغنا أن في عزمهم تشكيل حزب وطني آخر ،

فقال الخديو : « إن غرض الصدر هو أن يكون خديوياً على مصر . » فقال فريد واسماعيل لبيب : « هذا مستحيل ، وإن المصريين لا يرضون بأحد غير أفندينا ، فأجاب سموه مقسماً ثلاثاً : « إنني لا أطمح إلا في خلاص مصر من الاحتلال ؛ ثم إن أردت الأمة غيري ، فانتق أسلمه الأريكة . فكرر الحاضرون قولهم بأنهم لا يرضون عنه بديلاً ؛ فقال سموه : « والذي يؤسفني هو أن الصدر ملثف بمصريين منشقين يعلنون عداوتهم لنا ، مع أنه لا يليق بصدر هو رئيس حكومة ، أنا موجود في ضيافتها ، وهو من أسرقني ، أن يفتح بابه لكل هؤلاء الناس . »

وفي ١٩ أكتوبر حضر إلى بيك الشيخ عبد العزيز جاويز وقابل الخديو ، ملتصقاً منه أن يأمر محمد فريد بك باشراً كه معه في البرنامج الذي ينفذه ، مع أنه كان يبتعد عنا .

ولما خرج الشيخ جلس معي ومع الشيخ البوريني ، وأخذ الشيخ جاويز يذكر معلومات عن الحركة القسامية في فارس والأفغان وفي عدن وفي الهند ضد الانجليز ؛ ولما جاء ذكر مصر ، والأمل في تحريرها ، ونشر التعليم في جميع جهات القطر ، قال الشيخ البوريني : « وعندها يعين الشيخ جاويز للإشراف على نشر التعليم . »

وفي ٢٠ أكتوبر حضر محمد بك فهمي ، وعلى بك الشمسي في بيك ، وقابلا أفندينا وأخبراه بما دار من الكلام بينهما وبين سفير ألمانيا صباح اليوم .

وفي ٢٣ منه دعا سموه لتناول الغداء في الكشك الكبير محمد فريد بك والشيخ عبد العزيز جاويز ، واسماعيل لبيب ، والأستاذ محمد فهمي ، وعلى الشمسي بك ، ثم جلال الدين باشا صهر سموه ، ويوسف صديق باشا وعارف باشا ، والدكتور السيد كامل افندى ، والشيخ البوريني ، وأبراهيم آدم بك الباور ، وصاحب المذكرات ؛ وهي أول دعوة أقامها بعد شفائه ، وحضرها بنفسه ، وأكل فيها لحماً ؛ وكان الحديث في أثناء الطعام ودياً ، والشيخ جاويز مسروراً ؛ وبعد شرب القهوة جلسنا مدة ساعة ، ثم انصرفوا ما عدا فريد بك واسماعيل بك .

وفي ١٣ نوفمبر سمعت من تصريحات الخديو ، أن حلى المسلمي افندى الموظف

بالحار جية العثمانية، والذي ينتمى للصدر يجمع في غرفته الشيخ جاويش، والدكتور احمد فؤاد وفؤاد سليم بك لتأليف حزب، يسمى حزب مصر العثمانية، يرمى إلى جعل القطر المصري في صف الولايات؛ ولاحظ سموه أن فريد بك غير قوى ولا نشيط؛ وكان من الواجب أن يجمع هؤلاء تحت جناحه، فهو غير قادر على مقاومتهم وهم خصوم، ويجب على فريد بك أن يكون يقظاً لهذه التدابير التي يحكمها الصدر.

وفي ١٤ منه قابلت، والسيد كامل أفندي، واسماعيل لبيب بك، الجناب العالي، فأخبرنا أن البرنس ابراهيم حلى باشا وسيف الله يسرى باشا حضرا عند سموه، وهما مكلفان من الصدر أن يبلغاه: —

أولاً — أن الصدر بلغه خبر بأن أفندينا عين فريد بك رئيساً للجلس النيابي.
ثانياً — أن فريد قال إنه يجب خروج المسافر التركية من مصر بعد دخولها فيها بأربع وعشرين ساعة.

ثالثاً — ينتقد على فريد بك ادعاه بأن مصر للبصريين.

رابعاً — إذا كان الأمر كذلك فلا لزوم لتوجه أفندينا مع الحملة.

فقال سموه: د لو كان فريد بك يستهوى لسان الأمر من زمن بعيد، ثم شرح كيف أن فريد بك قد انضم إلى سموه بعد أن أرسل إليه خطاباً قال فيه: «إنه قد آن الأوان للاتحاد والوئام، واتهاز هذه الفرصة لخلاص مصر».

وقال فريد بك: «لقد قابلني سيف الله يسرى باشا فعلا في طوقا تليان وأخبرني بما قاله الصدر عني، فأظهرت عدم اكتراثي بهذا الكلام، فرد عليه الباشا قائلاً: «يجب ألا تستخف بما أقوله لك، وإلا اضطر الصدر إلى اتخاذ إجراءات، فقلت: «إذا أراد الصدر أن أذهب إليه وأتفاهم معه فانتى مستعد لذلك».

ولما سمع الحنديو ذلك قال: «إننى أتوى زيارته لأبلغه جوابي عن هذا الكلام».
وفي ١٤ نوفمبر قال لنا سمو الحنديو: «لقد طلبت من البرنس ابراهيم حلى أن يحمل إلى الصدر ردى على جميع النقط التي أبلغني إياها، وقلت له إنه لا حق له في انتقاد حاشيتي لقولها: «إن مصر للبصريين»؛ لأن هذا مطابق للقرمانات التي تحول لمصر استقلالها الداخلى وما قلنا يوماً بالانفصال عن تركيا فيما لها من السيادة الخارجية، والمصريون متعلقون بتركييا شديد التعلق، بدليل التبرعات الكثيرة التي جمعت في زمن الحرب

الطرابلسية، والحرب البلقانية. وأما ما أشيع عن فريد بك من قوله بعدم وجود الجيش التركي بمصر بعد دخوله فيها أكثر من أربع وعشرين ساعة، فهذا غير صحيح؛ لأن هذا الجيش لا بد أن ينتظر نتيجة انعقاد مؤتمر الصلح الذي تعرض عليه المسألة المصرية؛ وذكر سموه أن البرنس إبراهيم قال له: إن الصدر ينتقد على كسوة سموه العسكرية، فأجاب بأنها ليست كسوة انجليزية، بل عملت بواسطة الأمريكيين الذين كانوا قد حضروا إلى مصر بصفة أركان حرب في مدة جده. وليس في وجود كسوة عسكرية مخالفة لما هو في الجيش العثماني ما يستوجب النقد؛ لأن لباس الجيش البافاري مخالف للباس الجيش البروسي. فإذا كان رجال الدولة يريدون أن تكون مصر بالنسبة لتركيا مثل بافاريا لبروسيا، فلا محذور حينئذ من أن تكون للجيش المصري كسوة مخصوصة. وذكر سموه أن البرنس إبراهيم قال له: إن الصدر يهدد فريد بك بنفيه إلى سينوب، فقال سموه: إلا هذه المسألة فليس للصدر سلطة عليه. وإذا كان هذا الأمر جازاً في تركيا فإنه لا يجوز في مصر.

وكان الصدر قد قال أيضاً إنه نبه على طلعت بك بالأقابل فريد بك، وكذلك على أنور باشا؛ فقال سموه: إن الصدر يتكلم ضدنا من بعد، فمرسل إلينا كلاماً بواسطة البرنس إبراهيم، وأنا لا أستطيع السكوت على ذلك، فسأذهب إليه وأعرفه بأنني سأزور أنور باشا وطلعت بك وسفير ألمانيا، وأبلغهم هذا الكلام. ثم كلف سموه فريد بك زيارة أنور باشا والسفير، ومخاطبتهما في هذا الموضوع، ويعمل ترتيباً بأن يطلب طلعت بك مقابلة فريد بك، ويكون هذا بمثابة ترضية عن قول الصدر بأنه منع طلعت بك من مقابلة فريد.

وفي ١٥ منه تقابل فريد بك مع طلعت بك، ولما أخبره بما قاله الصدر في حقه، أجاب بأن أقوال الصدر لا قيمة لها، والدليل على ذلك أنه تقابل معه. ثم أضاف: لا تعبروا هذه الأقوال التفاتاً، ولكن من جهة أخرى يلزم أن تصحح المصريين بأن يكونوا أقوالهم عن الكلام غير المناسب، فبعضهم يقول برجوع الخديو لمصر، وآخر يقول بعكس ذلك؛ وتغالوا فقالوا بتعيين كل من يكون في ولاية عهد السلطنة خديوياً على مصر، حتى تكون سلطناً فينتقل إلى الأستانة، وولي عهده يذهب إلى مصر؛ وهكذا من الأقوال الدالة على الغياوة. فالأحسن أن تتفقوا وتحدوا، فأجابه فريد بك: وإن المصريين جميعاً لا يريدون خديوياً غير عباس حلمي باشا، ولما سمع الخديو هذه الرواية، قال: هذه تدبيرة من عماد الدين وكيل الصدر، والشيخ جاويش، والدكتور أحمد فؤاد

وحلى المسلى افندى ؛ والغرض من ذلك إيجاد التشويش في الأذهان ، والترويض لأن تكون مصر ولاية عثمانية ، واتفق في الحال على أن ينشر فريد بك في الجرائد خبر مقابلته لطلعت ، بك فيكذب بهذا ادعاء الصدر

وفي هذا اليوم حضر اثنان من المصريين ، وهما (م . افندى وى . بك) ؛ فأخبرهما سمو الحديو بمسألة الصدر ، وقال : « إننى لم أتعاهد مع فريد بك ولا تكلمنا في تعيينه في أية وظيفة ، وأن مصر لا يمكن أن تكون إلا للمصريين ، فإذا مت بعيداً عن مصر ، فأرسلوا حتى تدفن فيها . فلا معنى لانتقاد الصدر على فريد بك ، لأن هذا يقول إن مصر لأهلها ؛ نعم إنها ولاية ممتازة تابعة للسلطان والدولة ؛ وقد قلت لعمى ابراهيم إننى أعترف بخلافة السلطان وأعترف بسيادة الدولة على مصر والعملة باسم السلطان ؛ وفي الجواز المصرى أن حامله من التبعية العثمانية . »

وفي ٢٢ منه ذكر فريد بك أنه لما كان على محطة حيدر باشا لتوديع جمال باشا وكان واقفاً مع الشيخ جاويش ، مر عليهما جاويد بك ، لحيا فريد بك أحسن تحية ، ولم يقرى الشيخ جاويش السلام ؛ فإذا قورنت هذه الحادثة بما سمع مراراً من طعن الشيخ جاويش في جاويد بك ، سواء أيام كان ناظراً للبالية أو بعد استقالته ، استنتج من ذلك أن العداء مستحكم بينهما ؛ ولما كان من المعروف أيضاً في الاستانة أن خيرى افندى شيخ الاسلام في الدولة هو الذى أخرج الشيخ جاويش من موضوع الجامعة الاسلامية في المدينة وأبعده عنها ، وأنه ترتب على ذلك وجود عداوة بين الشيخ وخيرى افندى شيخ الاسلام ؛ فحيثئذ يكون من المحقق وجود عدوين من كبار رجال الدولة للشيخ جاويش : أولها خيرى افندى وثانيهما جاويد بك .

وفي ٧ ديسمبر ارسل سمو الحديو عارف باشا إلى الصدر ليلغيه أن سموه سيحضر لزيارته غداً الساعة العاشرة صباحاً في د . بنى كوى ، فأجابه الصدر بأنه وإن كان مريضاً اليوم ، حتى إنه لم ينزل لمقابلة السفراء في الباب العالى ، فإنه سيستعد لاستقبال سمو الحديو في الميعاد .

وفي اليوم نفسه ذهب الجناب العالى إلى ميركون وأخذ البرنس ابراهيم حلى باشا معه . وتوجها لزيارة الصدر .

وبعد هذه الزيارة توجه سموه فقابل سفير ألمانيا . وربما كان قد أطلعه على ما دار من الحديث بين سموه والصدر ، وما دار كذلك بينه وبين طلعت بك وخليل بك .

١٩١٤

أمس . ولما عاد من زيارة سفير ألمانيا تناول الغداء في بيك ؛ وكان معه غير الحاشية كل من البرنس ابراهيم حلي ، ومحمد عزت باشا .

وفي بداية تناول الطعام حضر الشيخ عبد العزيز جاويز ، فزول الدكتور السيد كامل بأمر الخديو لدعوته ، فتناول الطعام مع سموه والحاضرين .

وفي ١٠ ديسمبر قابل على جلال باشا سمو الخديو بعد الظهر ، ودار بينهما حديث عده الخديو جرأة وقحة ؛ إذ قال لسموه (معرباً طبعاً عن أفكار الصدر) بأن سفره إلى الخارج خطر جداً .

فسأل سموه : ومن أي وجه ؟ ، فقال جلال باشا ؛ إذ تكثر التبولات عن سموه . فقال سموه ، إنه يسمع كثيراً منها وهو في الآستانة ، قال الباشا . ولكنها تتضاعف وتكثر عند سفره ، فقال له : لهذا أسافر حتى لا أسمع شيئاً من هذا ، فقال الباشا بوقاحة إن سموه يعتمد على الأقاويل التي تحكى في طوقايتان .

فرد سموه : إن تلك الأقاويل التي تحكى في طوقايتان تنقل إلى بني كوى ، ثم أذن له سموه بالانصراف ، فاستأذنه جلال باشا بالانتظار في الطابق الأسفل ، فأذن له . مع أن الواجب كان الخروج في الحال من السراي .

وفي هذا اليوم ذكر يوسف صديق باشا أن سمو الخديو مهم بمسألة انتداب البرنس ابراهيم حلي باشا ، ليسير مع الحملة التركية ، حتى إذا وصلت إلى مصر ، كان دولته قائمقام خديو . وقد قبلت ألمانيا هذه الفكرة ، أما الصدر الأعظم فقال إنه لا يستطيع البت في هذه النقطة إلا بعد محادثة أنور باشا . أما طلعت بك فقال إنه سيستشير الصدر .

ارونغاوه الثموني بين ألمانيا وتركيا وعباسي . في ٨ سبتمبر زار أنور باشا أفندينا في بيك ، ومكث عنده نحو ٥ دقائق ؛ وعلينا منه أنه قال بأن تركيا لا يمكنها أن تدخل الحرب إلا بعد شهر ؛ وأن ألمانيا لا تنتهي من حربها مع فرنسا قبل عشرين يوماً ؛ وأن رومانيا مترددة في دخولها الحرب مع تركيا وبلغاريا ضد روسيا .

وفي ١٠ سبتمبر سمعت من الخديو أن ألمانيا أرسلت للدولة ثلاثة ملايين جنيه وألتي بندقية ، و٥ بطارية مدافع وذخائر ، و ٦٠٠ ألف مائتي يمحذون الرمي والمدفعية ؛ ووعدت الدولة أنها إذا دخلت في الحرب فأنها تعطياها جزءاً من الغرامة الجزية التي تأخذها من فرنسا ، تساعدنا على دفع ديونها .

مذكراتي في نصف قرن جـ ٢ .

وفي ١٢ سبتمبر سمع الخديو بأن نجل أمبراطور ألمانيا المسمى يواقيم أصيب في ميدان فردون بقطعة من قذيفة الشرنبل، وجرحته، فأرسل برقية لوالده بهنته فيها بنجاة نجله، ويسأل له الشفاء. فأجابه غليوم برقية بعبارة لطيفة، وكلف سفيره بالاستانة بتبليغها. وقد حضر السفير في هذا اليوم نفسه بصفة رسمية، وقابل افندينا، وسلبه نسخة من البرقية بعد أن قرأها عليه بالألمانية؛ وقد لاحظ سموه أن السفير لما قرأ الجملة الأخيرة «سعادة مصر، نظر إليه كأنه يقول: افهم معنى هاتين الكلمتين جيداً».

أما البرقية فهي: «إني أشكر لسموكم أحسن الشكر على برقيتكم التي أرسلتموها بمناسبة جرح ابني يواقيم؛ وأطمئنتكم بأنه في القريب العاجل يشفي من جراحه؛ ويعود لساحة الفخر. وإني أتهز هذه الفرصة لتبليغ سموكم إحساساتي لشخصكم، وتمنياتي لسعادة مصر».

فقال الخديو: هذه البرقية ذات معنى، لأنني في برقيتي لم اتكلم عن ألمانيا ولا عن الحرب، فكان الإمبراطور لا يقتصر في الرد على الشيء الشخصي، وقال «سعادة مصر، كأنه يقول: «إني لا أنسى مصر».

من خطاب سلبه عباس الصباح في ١٥ سبتمبر لرشدي باشا جاء فيه: أصدرت الحكومة العثمانية قراراً بالغاء الامتيازات الأجنبية، وأبلغته للدول؛ وقد حصلت مظاهرات فرح من الأمة ثلاثة أيام. ومجلس الوكلاء نسيقر في جلسته المقبلة بتبليغ اللغاء لمصر لتنفيذه، فمندها يلزم على قائمقام الخديو أن يتروى جيداً، ويظهر الشجاعة والشهامة، وألا يقرر شيئاً إلا بعد عرضه على افندينا، وأن يلقى المسئولية على سموه.

في ٢٠ سبتمبر جاءت برقية في المساء من رشدي، بأن العساكر الهندية وصلت، وعملت الاجراءات اللازمة كالتبخير وغيره لمنع السكويرا، فيما إذا كانوا حملوها من بلادهم. وفي ٢١ منه أرسل افندينا عارف باشا لأنور باشا ناظر الحربية، يعلمه بورود برقية حسين رشدي، بوصول عساكر هندية إلى مصر.

وتقابل افندينا مع أنور باشا في سفارة ألمانيا، وتكلم معه؛ وأظهر له كل الاستعداد لمساعدة الدولة؛ وقد روى لي ذلك يوسف صديق باشا.

وفي ٢٨ منه أرسل الخديو برقية ردّاً على ما جاء من رشدي باشا بخصوص حضور عساكر هندية بمصر، فقال إنه لم يعرف مقدارها، ولا أنوعها، ولا الحملات التي عسكرت فيها، ولا التأثير الذي حصل للأهالي من حضورها؛ وطلب تعريفه عن ذلك.

وفي ٣٠ منه حضر أحد رجال الحرس الخنديوي من مصر، ومعه أشياء لسموه وخطابات؛ وأخبرنا أن الهنود، وعددهم عشرة آلاف، وزعوا بين رمل الاسكندرية ومصر الجديدة، وبليس؛ وأن نصف فرقة الانجليزية في السويس، وأخرى في الاسماعيلية وثالثة في بور سعيد؛ وأن عدد العساكر الانجليزية في القاهرة ألفان؛ وسافر الباقي وعدده أربعة آلاف إلى مرسيليا؛ أما القوة الهندية فبعد أن استراحت سافرت هي أيضاً إلى مرسيليا، وحلت قوة أخرى محلها، تقدر بثمانية آلاف وزعوا كالأخريين. وبين الرجال من هو مسلم ومن هو وثني، ومن هو حليق ومن هو بلحية.

ومعهم ثلاث بطاريات (ميدان) وفرقة مكسيم، وأن العساكر الهندية تمر بشوارع مصر لارهاب أهلها، ويقول الراوى إنهم ضعفاء، حتى أنت بعضهم وقع من تعب المرور في المدينة.

وذكر أن كثيراً من السكان عرفوا أن سبب بقاء سموه خارج القطر هو منع الانجليز له من الرجوع لبلاده، وأنهم خائفون عليه.

في ٢ نوفمبر عرض الدكتور سيد كامل فكرة مؤداها أن سفر أحد المصريين إلى مصر مقيد في الوقت الحاضر: أولاً ليدل الناس المخلصين هناك إلى الانضمام إلى تركيا وحلفائها، بحيث تكون الحركة في مصر موافقة لحركتنا في الاستانة؛ وثانياً ليقابل أعضاء الجمعية التشريعية الذين يعرفهم، ويقنع العدد الممكن منهم بصواب خطة الخديو.

وفي ١٢ منه تكلم سمو الخديو عن مقدار نفوذ سفير ألمانيا فقال: «إني إذا حادثته في شيء مما يهمنا، قال: بأنه عمن لما وصل إليه من الاتفاق مع الأتراك، وليس في استطاعته التدخل في التفاصيل، ثم أضاف سموه: إننا في بداية الأمر أظهرنا لسفير ألمانيا ما نقدر على عمله وما لا نقدر، ليعلم كل ما يمكننا عمله، ولو كانت لدينا قوة ذاتية يعتمد عليها، لرأينا سفير ألمانيا هو الذي يسعى إلى مقابلتنا.

وفي ١٥ منه أمر أئندينا الزائرين المصريين م. افندى وى. بك بالتوجه إلى سفير ألمانيا مع فريد بك، وتفهميه أنهم متفقون مع سموه في كل شيء، وأنهم يظهرون استيائهم من كلام الصدر.

وذكر (م. افندى) أنه اتفق منذ أسبوع مع السفير على أن يتوجه إلى جنيف، ويكتب في جرائدها لمصلحة التجريدة المصرية، ويفهم العالم أن الأتراك هم الذين قرروا ذلك، وليس لألمانيا دخل، يعنى أنهم غير مسوقين، أما (ى. بك) فقد تقرر أن

يرجع إلى مصر لفهم الناس - وخصوصاً أعضاء الجمعية التشريعية - بكل ما هو حاصل هنا من الاتفاقات بين ألمانيا ورجال الدولة بالنسبة للتجريدة ، وأن الغاية طرد الانجليز لا احتلال البلاد ، وبأخذ معه صورة من منشور الخديو وصورة من إعلان السلطان للجهاد (وسنشر صور هذه المنشورات فيما بعد)

اما مهمة (د. افندى) بسويسرا فهي ان يقيم في جنيف ، ويتقابل مع موسيو زجرلر الألماني ، الذي كان واسطة في إرساله إلى الاستانة ، ويتفق معه على خدمة المسألة المصرية ، ثم ليعلمنا الاخبار غير السارة عن انهزام الجيوش الألمانية والتساوية ، أو طلب مفاوضات الصلح مما لا تذيبه جرائد الاستانة ، وليكلم قنصل إيطاليا ويعطيه التأكيدات اللازمة بعدم التخوف من حركة المصريين وتركيا في مصر ، ويفيدنا عما يصل إلى سويسرا من أخبار مصر ، أى أن مهمة (د. افندى) هي أن يقفنا على ما لا يمكن أن نقف عليه في الاستانة ، وقد وضعنا لكل هذه الحالات اصطلاحات .

وقد أوصى أفندينا (م. افندى) بأن يكون كل ما يكتبه لمصلحة مصر قبل كل شيء ، وأخذ معه صورة فرنسية من المنشور الخديوي ، بحيث لا ينشرها إلا عندما تصل إليه برقية من عندنا ؛ كما نهبنا على اسماعيل ليبب بك بذلك ، وقد أخذ معه ألفاً وخمسمائة نسخة من المنشور باللغة العربية .

وفي ١٩ منه لم يستطع (ى. بك وم. افندى) السفر إلى أوروبا ، وذلك لتأخرهما عن القفلة مبكرين ، وقد حضر بعد ظهر اليوم ثانيهما إلى سراي بك ، وعرض على الخديو أنه كتب حديثاً باللغة الفرنسية عن أحوال مصر ، وكان قد خصصه لمسيو شويدلر الألماني ، باعتباره محرراً في (عنايتشرلون) ، وباعتباره وكيلاً لشركة وولف التلغرافية الألمانية ؛ ولكنه فكر في إيصاله أيضاً إلى الشركة العثمانية التلغرافية ، فصرح وكيل هذه الشركة - وهو عثمانى - بأن في هذا الحديث نقطة خطيرة ، وهي النص على ضرورة المحافظة على فرمان تولية الخديو الحالي ؛ وفضل أن يرجع إلى الصدر الأعظم ، وطلعت بك في قبول نشر أو رفض هذا الحديث بواسطة الشركة العثمانية . وقد أظهر أفندينا عدم الاهتمام بهذا التردد من جانب وكيل الشركة العثمانية .

في ١٧ نوفمبر حضر إلى سراي جبوقلي (م. افندى وي. بك) وقد أمر سمو الخديو أن تؤلف جلسة منهما ومنى والدكتور سيد كامل لعمل شفرة يأخذ منها (د. افندى) نسخة لاستعمالها في مهمته بسويسرا ، وتبقى أخرى عندنا . وقد وضعنا فعلاً هذا القاموس

وفي ٢١ منه قال سموه : « لقد أعطيت كلمتي في نفس سفارة ألمانيا أن أسير بالصراحة مع العثمانيين . »

ولأيضاح هذا أذكر أن سموه اجتمع في يوم من الأيام العشرة الأخيرة من شهر سبتمبر الماضي في السفارة مع أنور باشا ، فتعاهدوا جميعاً على أن يسيروا بالاتفاق والصراحة ، إذ كان السفير قد عرض إرسال تجريدة عثمانية على نفقة الحكومة الألمانية إلى مصر . وقد قبل أنور باشا هذا العرض .

وحدث في جلسة أخرى بين سمو الحديو ، وأنور باشا في سراي بك . أن كشف سموه عن تحرشات الصدر ، وسعيه للإساءة إلى سموه ، فد أنور باشا يده لجنابه العالي معاهداً له على أن يكون في خدمته في كل شيء ، وأنه وإن لم يكن ناظرأً للداخلية أو الخارجية ، فإن كل شيء يحتاج إليه سموه يكفي أن يخبر به أنور باشا وهو يقضيه له .

وفي ظهر ٢٥ منه حضر مسيو باول ، وهو الذي جاء بالأمس من برلين ، وقد كان ترجائاً أول بالسفارة الألمانية مع البارون مارشال سفير ألمانيا في عهد السلطان عبد الحميد ، وقد تعين بعد اتصال لدولته في بيروت ، ثم تعين مديراً للبنك العقاري بمصر . وكان سموه يثق به تمام الثقة ، ويذكر أنه جاء إلى مصر ، فآخدم مصالح البنك الذي هو مديره أكثر مما آخدم مصالح سموه ؛ أما سبب حضوره إلى الاستانة فهو أن سموه أمر يوسف صديق باشا بتكليف البنك الشرقى الألمانى باستدعاء المسيو باول هذا من ألمانيا ، فأرسل البنك المذكور تلهغرافاً يخبره فيه بأن الجناب العالي يطلب حضوره إلى الاستانة ؛ ولكن هذا التلهغراف لم يصل ، وقد ظن سموه من عدم وصول هذا التلهغراف إليه ، أن الحكومة التركية أرادت أن تمنع وصول المسيو باول ؛ إن لم تكن قد أرادت أن تقطع علاقات سموه مع الخارج . أما حضور المسيو باول إلى الاستانة فكان مجرد المصادفة ؛ ذلك لأن الحكومة عيّنته في هذه الأيام اتصالاً لدولته في دمشق . ولم يعرف ماجرى من الحديث بين الحديو وبين مسيو باول في هذه الزيارة ؛ ولكن سموه ذكر في أثناء تناول الغداء ، أنه وجد مسيو باول لا يعرف شيئاً مما حدث له ، وأن سموه لم يرد أن يعلمه بشيء منه .

وفي أول ديسمبر قابل مسيو شويدلر مدير شركة وولف الألمانية بالاستانة الحديو ؛ وبما علمناه منه أنه كتب بالأمس قطعة في جريدة « الأوسماينشر » الألمانية عن زيارة سموه لسفير ألمانيا ، فرفضت المراقبة العثمانية على المطبوعات والجرائد نشر

هذه العبارة من الكتابة ، وهي عبارة « حقوق مصر » ، وأن الأتراك لا يحبون أن يقرأ الشعب العثماني اسم الخديو ؛ وما رواه أيضاً أنه كتب بإيعاز من سفير ألمانيا مقالة عن مهمة المارشال فون در جولتز ، وهذا المارشال تعين ليكون ياوراً لشخص السلطان ، وزكي باشا الذي كان قومندياً للحملة الزاحفة على مصر تعين ليكون ياوراً لجلالة أمبراطور ألمانيا ، وهذا التعيين حسب التقاليد القديمة بين دولتين متحالفتين ، فأثرت مراقبة المطبوعات العثمانية حذفها برمتها أيضاً .

وأبدى مسيو شويدلر تخوفه من سياسة الأتراك بالنسبة لمصر ، فقال ، (وهو رأيه الشخصي بالطبع ؛ وربما كان أيضاً الرأي الذي يقال في سفارة ألمانيا) : إن الأتراك متى دخلوا مصر ، فأول ما يعملون هو طرد الانجليز من وظائفهم ، وإحلال رجال الاتحاد والترقي من الأتراك في هذه الوظائف ، وأن هذه الحالة ستكون سيئة لأنه يفضل أن يتعامل مع موظفين انجليز من أن يتعامل مع موظفين أتراك ؛ لأن الأولين وإن كانوا غلاظاً في المعاملة إلا أنهم شرفاء ، أما الأتراك فتغلب عليهم الرشوة ، ثم قال : إن مركز الخديو بعد دخول الأتراك مصر لا يكون أحسن مما كان قبلاً ، بل إنهم قد لا يرغبون في الخديو ؛ وقد لبث المسيو شويدلر مع الخديو نحو نصف ساعة .

وفي ٣ منه سمعت من صديق باشا أن سمو الخديو افترق فكرة هامة جداً ، ترضى الألمان وترضى الأتراك وترضينا ، وقال : « عسى أن يحضر اليوم طلعت بك والمسألة تنتهي في عشر دقائق » .

وفي ٦ منه حضر يوسف باشا وأبلغ سموه أنه علم من جاويد بك أن طلعت بك و خليل بك سيذوران سموه ، في بحر هذا الأسبوع ، وعند ذكر العبارة الأخيرة ضحك سموه ضحكة السخرية ؛ لعدم تحديد يوم . واستمر يوسف باشا في روايته عن جاويد بك ، فقال : إن البك المذكور قال له بأن الغلطات الماضية لن تعود ، وأن الحالة تغيرت لأن سفير ألمانيا يتكلم الآن في هذا الموضوع باسم حكومته .

وقد ذهب يوسف باشا لمقابلة عماد الدين بك في منزله ، فأظهر له البك أنه من المصلحة والأوفى ألا يكون هناك حجاب بين الصدر وبين الخديو ؛ وأنه يحسن أن يتقابلا ويتزاورا ليزول كل سوء تفاهم .

وفي ٧ منه جاء طلعت بك ناظر الداخلية ، و خليل بك رئيس مجلس المبعوثان

وتشرافاً بمقابلة الجناب الحديوى ، ولبثت الزيارة من الساعة الثالثة إلى الساعة الرابعة بعد الظهر .

وظهر فيما بعد أن موضوع المحادثة كان خاصاً بكدر سمو الحديوى، فأكد اسموه أن إحساسهما نحوه لا يتغير ، وطلباً منه أن يزور الصدر .

وفي ٩ منه ذكر الدكتور سيد كامل لشويدلر أن طلعت بك ، وخليل بك زارا سمو الحديوى ، فأظهر سروراً عظيماً وقال : إن مسيو باول الذى زار الحديوى يتكلم مع سفير ألمانيا بشدة عظيمة ، ولصلحة الحديوى ؛ وأنا أرى أن زيارة طلعت بك ، وخليل بك هى نتيجة محادثة ومسئو باول لدى السفير .

. الحملة التركبية على مصر . فى ١٨ سبتمبر اجتمعنا مع سمو الحديوى ، فقال : إن الأتراك يعملون أعمالاً هامة اليوم لتجهيز الحملة على مصر ، ويمدون الخط الحجازى إلى حدود مصر ، ونحن إذا لم نقم بأى عمل ، فمعد الحساب يقولون إنهم هم الذين قاموا وحدهم ، وطردهوا الانجليز ، فنخسر كثيراً من امتيازاتنا . فيجب عمل برنامج للسير على وجهه ؛ ولأننى أسف لخروج أركان الحزب الوطنى من مصر ، وحضورهم إلى هنا ؛ مع أن العمل هناك ؛ ثم يحسن بنا أن نستدعى أحد أقطاب حزب الأمة للاتحاد مع رجال الحزب الوطنى لعمل هذا البرنامج .، فوافقنا جميعاً على ذلك ، فأقترح يوسف صديق باشا استدعاء سعد زغلول باشا ؛ ويكون حضوره بحجة الشكر لجناب الحديوى على تعزيتة ؛ ثم يحصل اجتماع تحت رئاسة أفندينا لرسم الخطة اللازم اتباعها ، وتناقشنا فى الموانع التى تعوق حضور سعد باشا ، ومنها قرب موعد افتتاح الجمعية التشريعية ، ومنها أن الانجليز ربما يمنعونه من الرجوع لمصر بعد حضوره .

وحصل الكلام أيضاً فى عبد الحميد سعيد ، نجل ابراهيم سعيد باشا؛ لأن له نفوذاً بين الشبان المنتهين للحزب الوطنى ، وأن محمد فريد بك نفسه يحسب له حساباً ، وقد حضر من مصر مع آخرين من الحزب ، خوفاً من اضطهاد الانجليز لهم .

وفى ٢٠ منه رأى محب باشا علامات التفكير الشديد على الحديوى ، فسأله عن السبب ؛ فقال : أفكر فى حالتنا الحاضرة ؛ أرى أن الأتراك مجددون فى التحضيرات ، فان أنور باشا قال لى إنه سيطلب مد خط السكة الحديد الحجازية لغاية حدود مصر ؛ ولكن بلغنى أن مجلس الوكلاء رفض ذلك لعدم وجود نقود ، فان الموجود منها يحتاج له الحال فى أمور أخرى أهم من ذلك .

وفي ٢١ منه بناء على أمر الخديو توجه عارف باشا لأنور باشا ، فلم منه أن كل شيء سائر على ما يرام . وأن هيئة من ضباط أركان حرب تحت رئاسة أحد ضباط ألمانيا الأكفاء سترسل إلى الشام ، لعمل المباحث والترتيبات للحملة على مصر ؛ وأن جميع الاتحاديين مع الجناب العالي قلباً وقالبا .

وفي ٢٤ منه قابل الخديو الشيخ عبد الحميد الزهراوى رئيس المؤتمر العربى فى باريس سابقاً ، وهومن أعضاء مجلس الأعيان بالآستانة ، وأصله سورى ، فسأله سموه عن سفر شكيب أرسلان بك ، وعبد الرحمن يوسف باشا ، فأجاب بأنهما سافرا برأ ولم يعلم السبب ؛ وإنما قال إنهما غير مندوبين من طرف الحكومة ، وأن الأول لا يمكنه تحريك العربان ، اللهم إلا إذا كان إرساله لتهدئة خواطر الجلبين ؛ أما الثانى فلا علاقة له بقبائل البدو ؛ وأما من جهة ما سمعه أفندينا بأن هؤلاء العربان تعهدوا باحضار عشرين ألف رجل ، فقد قال الزهراوى — هذا ممكن بسهولة ؛ وإن الدولة لا يمكنها أن تقوم بأعمد ، حرية جدية إلا إذا اشترك هؤلاء العربان مع جيشها .

وفي ٢٣ سبتمبر بلغنى أن سفير انجلترا لما تكلم مع الصدر الأعظم واعترض على تجاوز فرسان العرب حدود مصر ، وتمضية يومين ، ورجوعهم ثانياً ، أجابه الصدر : أى حدود تسلكون عنها ؟ أنا أعرف أن لا حدود بيننا وبين مصر .

وفي ٥ أكتوبر حضر محمد عزت باشا زوج فائقة هانم ؛ وأخبر الخديو أنه قابل سفير ألمانيا ، وعلم منه أن الدولة تتباطأ فى الزحف بجيشها على مصر ، فوجد سموه فى هذا الخبر مخالفة لما يقوله الاتحاديون ، من عزمهم على إخراج الانجليز من مصر .

وذكر أن السفير متذمر من عدم تسيير حملة عسكرية عثمانية بسرعة على مصر ويقول إن الوقت حان لسفرها ، وقد عرف سموه أن الحكومة الألمانية تود الإسراع فى هذه الحملة ، ليخف ضغط الجيش المحارب أمامها فى فرنسا .

وفي ١٢ أكتوبر حضر طلعت بك وزير الداخلية التركية فى بيك ، وزار الخديو فسأله عن الوقت الذى ستتحرك فيه الحملة على مصر ، فأجابه : بعد ثلاثة أسابيع . فقال سموه : إذا كانت الدولة لا تتوى السير الآن ، فأنا أتوجه للضلمان . فقال طلعت : لا مانع ، وعند تحرك الحملة نطلب سموكم للحضور .

وفي ١٧ أكتوبر حضر البرنس إبراهيم باشا حلى ، وأخبر الخديو أنه تغدى

أمس عند الصبح، وحرك فيه دم أجداده، فقال له : إنك يا برنس هنا على رأس الحكومة العثمانية التي فقد فيها رأس جدنا ، وهما هم أولاء الانجليز محتلون القلعة التي فيها قبره ، وما أمكنك أن تعمل فيها شيئاً .

فهاج هذا الكلام إحساسه وقال له : أما قولة فانتا في مخابرة مع الباشا على أن نستردها منهم مقابل جهة أخرى نأخذها من الأروام . وأما الانجليز فانتا سنعمل لا محالة على إخراجهم ، ولكن لم يحن الوقت لذلك . وعلم منه أنه إذا زحف الأتراك على مصر فانهم يحتلوننا ، ولا يخرجون منها كأنها ستخلص من احتلال بريطاني ، لتقع في احتلال تركي ؟ وهذا ما لا ترضاه الأمة المصرية .

وفي ٢٣ منه بعد انصراف المدعين من المأدبة التي أقامها عباس لرجال الحرب الوطنى ، عقد سموه جلسة من فريد بك واسماعيل لبيب ويوسف صديق وابراهيم آدم الياور وصاحب هذه المذكرات ، فقال محمد فريد : إن سفير ألمانيا قال له إن الجيش التركى مجهز تجهيزاً حسناً من ملابس وغيرها ؛ ولكن ينقصه التعليم العسكرية اللازم ، ولذلك لا يرى في الامكان عمل شيء قبل ثلاثة أسابيع ، حتى تتمرن العساكر ، وحتى يمكن القيام بعمل نافع .

وقد ظهر هذا النقص للبيرالى كريس الألماني ، رئيس أركان حرب الحملة . ومعه ستة جنود ألمان آخرون .

تقرر سفر الشيخ محمد عثمان إلى خان يوسف ، وهي قرية في الأراضي العثمانية قريبة جداً من العريش .

ذهب عارف باشا على رفاص ، مكوك الثالث ، الذى أهدها أفندينا إلى حرم أنور باشا لتسليمه ، وقد تقابل مع ناظر الحرية ، فسمعه يقول : إن الدولة تسعى لعمل اتحاد دول إسلامى ، فهي تعمل على تحرير العجم والأفغان من الروس والانجليز ، وتحرير مصر من الانجليز ، وإيجاد رابطة أخوية إسلامية بين الدولة وهذه الممالك ، ويكون الحديو ملكاً على مصر حراً في الادارة .

قال أنور والذين يتساءلون : لماذا لا يتحرك الأتراك لتحرير مصر في الحال ، نجيبهم أن مصر بلد متمدين وراق عامر بالبيوت الشاحخة ؛ فزيد نحن الأتراك ألا نتعجل في أمر تحريرها بالتخريب ، وأنف فصل إلى ذلك بكل تأن حتى تتمكن من إرجاعها لحديديها كما كانت عند ما تركها بدون خسارة .

سأل سفير ألمانيا فريد بك عن فهمي بك بعد أن أثنى عليه ، فأجابني : بأننا كلنا متفقون مع أفندينا ، فقال السفير : أنا مسرور لاتحادكم جميعاً . وأكد أن ألمانيا تريد تحرير مصر ، ولا تريد أن تكون ولاية عثمانية .

وفي ٢٧ منه اجتمعت مع فريد بك بعد ظهر اليوم في منزله ، وكان معنا اسماعيل لبيب بك ، والشيخ جاويش ، والدكتور سيد كامل ، فتحدثنا في الحالة الحاضرة ، وخصوصاً في ضرورة تفاهم الدولة العلية وألمانيا مع إيطاليا ، وفي ضرورة إصدار إرادة شاهانية للمصريين ، تعلن فيها أنها لا تتوى احتلال مصر ، بل لإرجاع السلطة الخديوية كما كانت قبل الاحتلال الإنجليزي ، وقال الشيخ : إن غاية الأتراك إيجاد اتحاد دولي إسلامي .

وفي ٢٨ منه لم يجد أفندينا الصدر في منزله ، وزار سفير ألمانيا ، وسرّ عندما علم منه أن حكومته قبلت ما اقترحه أفندينا ، من أن تفصل ألمانيا العام في مصر الذي طرده الإنجليز ، يكون في معية سموه عند دخول الحملة في مصر ، لأن الخديوي كان يخشى على نفسه لو احتل الأتراك مصر .

وكذلك حضر اليوم سفير ألمانيا لزيارة أفندينا في بيك ، وأعلمه أن حكومته توافق على أن يمثلها في مصر يكون في معية سموه ، إذا لم تمنع الدولة العلية في ذلك . وبالاختصار فإن سموه كان منشراحاً جداً .

وقابل أيضاً في بيك فريد بك واسماعيل بك ، والأستاذ محمد فهمي ، وعلي الشمسي بك بوجودي ، وعرفهم بمحوادث مصر ، وبما قاله أنور باشا لسموه ، بأن الذخيرة المخصصة بالماهونات (لقذف القنابل) اللازمة لعبور الأتراك من القناة لم تصل إلى المعسكر ، لأنها في الطريق عند جبل طوروس ، وأن المنظور أن تبتدىء الحركة بعد أسبوعين أو ثلاثة .

وذكر في هذه الجلسة ما يشاع من أن الإنجليز سيختارون الأمير حسين كامل خديوياً على مصر ، عند زحف الأتراك عليها .

منشور الخديوي لرهباياه مصريين وسودانيين . في ٣١ أكتوبر اجتمعنا عند فريد بك بحضور الشيخ جاويش ، واسماعيل لبيب بك ، والدكتور سيد كامل ، وتكلمنا في المسائل الحاضرة ، ومنها الدعاية اللازم تنظيمها ، وخصوصاً وضع المنشور الخديوي للمصريين ؛ فوعد الشيخ جاويش باعداد مشروع ، وكلفنا الدكتور سيد كامل بوضع مشروع من قلبه .

وفي أول نوفمبر أرسل الشيخ جايوش صورة مشروع للمنشور الحديوي، فاجتمع فريد بك، واسماعيل بك، ويوسف صديق باشا، وأنا، وفتحنا صورة أخرى كان الدكتور سيد كامل أعدها؛ وهي مرتبة، مكتوبة بطريقة سياسية.

وفي ٣ نوفمبر أقر أفندينا مشروع الدكتور سيد كامل، وأمر بترجمته إلى التركية وإلى الفرنسية.

وفي ٥ نوفمبر قابل فريد بك أنور باشا، فلم منه أنه موافق على ما جاء في منشور الحديوي، وسأل فريد بك عما إذا كان يخشى أن يطلع زملاؤه عليه، فقال فريد بك إن إطلاعه هو كاف.

وفي ٧ نوفمبر اجتمعنا عند فريد بك، وكان معنا اسماعيل لبيب والدكتور سيد كامل، وتكلمنا في المنشور الحديوي. فكان من رأي واسماعيل لبيب أن نتظر ورود الأخبار الصحيحة من مصر عن تعيين البرنس حسين كامل، حتى ندرج ذلك في المنشور، واتفقنا على أن نتكلم مع أفندينا في هذه النقطة.

وقلت ولا يمكن أن نطبع منشور أفندينا ونشره، فقال فريد: وأنا أرى من الضروري العمل في نشره وتوزيعه، فقال سموه: وكيف يكون ذلك وفيه إشارة بأنني سأسير مع الحملة، مع أنني لا أعرف عنها شيئاً من ذلك لأن؟، وأخيراً اتفق على أن ينشر بلاغ نعلن فيه مسألة وجود أفندينا بالاستانة، ومنع الانحياز له من الرجوع لمصر، ومخاطبة السفير له، ورد سموه: إنما توجب كتابة ذلك حتى يقابل الحديوي أنور باشا، ويسأله أسئلة حاسمة.

وفي ٩ نوفمبر قابل فريد بك الحديوي، وعرض عليه فكرتين: أولاً طبع المنشور الحديوي حالاً، وهو المنشور الذي تقرر إرساله باسم الحديوي إلى مصر، وإلقاؤه بواسطة الطيارات، وغيرها

والثانية عمل حديث صحفي يتناسب مع الظروف الحاضرة، فقبل سموه. ولما كنا أحضرنا ما كينة رونيوي، لطبع المنشور ابتداءً الدكتور سيد كامل في تجربتها، وعرض المسودة على الحديوي

وفي ١١ نوفمبر كتب الدكتور سيد كامل أول نسخة من المنشور الحديوي، ولما أتته قدمه للحديوي بوجودي، فرفقه بالقلم الزجاج ثم قال ضاحكاً: ألا تخشى يا سيد،

وأنت الذى كتبت المنشور بخطك، أن يقتلوك رمية بالرصاص ؟ ، فأجاب بالدعاء لسموه وللأمة المصرية بتحقيق الأمانى . ولما نزلت والدكتور سيد كامل لطبعه ، قلت : « إن أفندينا يفكر فيك وأنت كاتب المنشور .



الدكتور سيد كامل

وقد استحييت أن أقول لسموه : « وأنت يامولاي الذى وقعته ؟ ، إشارة إلى أن سموه بتوقيعه في هذا اليوم ، أمضى مستنداً من الخطورة بمكان عظيم . أما القلم فأخذه اسماعيل ليب تذكراً لهذا الحادث العظيم . وكان الخديو قد تردد في التوقيع الذى وضعه الدكتور سيد كامل في آخر المنشور ، وهو خديو مصر والسودان وتساءل : أهذا اللقب صحيح ، أم أنه حاكم السودان العام ، كما جاء في فرمانات .

فقال الدكتور سيد : « نضع هذا اللقب مؤقتاً ، إلى أن يتحول قريباً إلى « ملك مصر والسودان » ، وهاك صورة المنشور :

إلى أبنائى الأعزاء من المصريين والسودانيين :

لا يخفى عليكم أن دولة أجنبية تحتل بلادى العزيزة منذ اثنتين وثلاثين سنة . وقد دنا الآن يوم الخلاص الذى طالما نشدتموه . . إن الجهود الرسمية العلنية التى قطعناها انجلترا جعلت للاحتلال صبغة وقتية ، تزول بزوال الحججة التى توسلت بها إليه ، وهى توطيد عرش الخديو . ولكن هذه الحكومة لم تقتصر على تناسى وعودها المكررة بالجلاء عن البلاد ، بل تدخلت فى الشؤون الادارية والسياسية ، فبددت أموال مصر ، وأنكرت حقوقنا الشرعية على السودان ، وأحلت فى وظائف الحكومة الانجليز محل أبناء البلاد ، وعثت باستقلال القضاء ، وسنت قوانين قيدت بها الحرية الشخصية ، وحرية الأفكار والأقلام ، وعقلت الأسن ، ومنعت الاجتماعات ، وحالت دون رغائبنا ، وتمنيات شعبنا ودون نشر التعليم والترية . ولم تقف عند هذا الحد ، بل أبت علينا التمتع بنظام دستورى يتفق مع مقتضيات النهضة العصرية .

ولما نشبت نار الحرب بين الدول الكبرى ، رأت الحكومة الانجليزية أن تمنعنا

من العودة إلى مصر التي هي قاعدة إمارتنا، مقترحة علينا أن نغادر الاستانة إلى إيطاليا، فرفضنا اقتراحها هذا؛ لأنه في اعتبارنا ما سيجحق عرشنا، علاوة على أن تركيا صاحبة السيادة العليا على مصر، عدته عملاً مخالفاً للقرمانات الشاهانية. ولما كان جلالة الخليفة وحكومته راغبين في جعل هذه القرمانات الشاهانية محترمة مصونة، لخير أبناء مصر والسودان، رأى أمير المؤمنين أن يرسل إلى مصر جيشاً عثمانياً قوياً لاعادة الحالة فيها إلى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢.

أما نحن فقد وطننا النفس على الاشتراك في هذه الحملة التي هي الآن في الطريق، بحيث نظل ملازمين لها إلى أن يعقد الظفر بالوئتها. ففي استطاعتكم إذن أن تمهدوا السبيل إلى هذا الظفر باتحادكم ومساعدتكم. وينبغي لكم أن تهونوا الأمر على هذه الحملة، وتؤيدوها بكل وسيلة مستطاعة، وتقدموا لاستقبالها بالترحاب والحيمة الوطنية المأثورة عنكم، مستعدين الوحي من روح التضحية الرابضة في نفوسكم، وتطلقكم الصادق الشديد بجلالة الخليفة، وصدق ولائكم لنا، وحبكم للوطن العزيز.

ولما كنا واقفين بالنجاح بفضل العناية الإلهية، فنحن خديو مصر والسودان نعلن منذ الآن نظام الحكم الدستوري المؤيد لحقوق الشعب السياسية، وإلغاء القوانين المقيدة للحرية، وإعادة الضمانات اللازمة لاستقلال القضاء، والعفو العام الشامل عن الجنايات والجرائم السياسية. ونجاهر أيضاً بزمنا على نشر التعليم بين طبقات الشعب، والسير بالبلاد في طريق النجاح الأدبي والمالدي، وبالإجمال اتخاذ جميع الوسائل المؤدية إلى توفير أسباب الأمن والسعادة لجميع سكان مصر والسودان.

أبناء الأعزاء من مصريين وسودانيين: لقد سنحت الفرصة، فاغتنموها؛ ولكن شعاركم خلاص مصر وصون أرواح الأجانب وممتلكاتهم. فخصمنا الوحيد هو جيش الاحتلال وأعوانه. وليكن الله الكلي القدرة عوناً لنا على تحقيق أمانينا القائمة على الحق والعدل والحرية.

وفي ١١ نوفمبر جاء مسيو فايس الألماني، وقابل الخديو؛ وكان سموه قد كلفني ويوسف صديق باشا أن نضع صورة محادثة ننشرها في الجرائد الألمانية تلعزافياً، وقد كان، وتسلم الكتابة. وكذلك أخذ ترجمة المنشور الخديوي.

وفي ١٣ منه قال أفندينا لما كلني فريد بك في موضوع المنشور: منذ أسبوع كنت ميالاً للسرعة في كتابته حتى نعلم رأي الأتراك في النقطة المذكورة فيه، لأنني كنت

أشك في نياتهم وقتئذ ؛ ولكن الآن فهمت أنهم يريدون أن أرجع إلى مصر بشرط ألا يكون في رجوعي مشاركة لهم في الفخر الذي يريدونه لأنفسهم دون سواهم ، بتجريد الحملة العثمانية ، فالآن إذا لم تنجح ، وإذا لم تغز ألمانيا في الحرب ، ستكون النتيجة محاكنتنا على هذا المنشور ، ثم ضحك سموه ، وظهر أنه لا يعتقد كثيراً في صحة الأنباء التي سمعها اليوم .

وكذلك صرح بضرورة سحب أربع نسخ كان قد أخذها فريد بك وإخوانه ، وقال إنه لا يشك في طهارة ذمتهم ، ولكن الاحتراس واجب ، وشدد على الدكتور سيد كامل في المراقبة على ما طبع من نسخ المنشور .

وفي اليوم نفسه قال سموه : إن الأتراك غير راضين عن منح الأمة المصرية الدستور الذي منحناه لها في المنشور الخديوي ، لأنهم يرون الدستور أكبر معارض لهم . والواقع أن حرية الأمة هي أكبر معارض لاحتلال العثمانيين ؛ غير أن الأتراك إذا كانوا يعارضون في حريتنا ، فنحن نكره ذلك منهم ؛ لأننا لا نحب أن يحل احتلال محل احتلال . ثم قال : إذا لم تنجح الحملة ، فليس من المستبعد أن نستطيع الحصول على استقلالنا الداخلي وحريتنا من جانب الحكومة الإنجليزية .

وفي ١٤ منه قال الخديو إن هناك فكرة ترمي إلى إرسال عدد كبير من المنشور الخديوي للأمة المصرية والسودانية ، لتسليمها إلى اسماعيل لبيب بك ، حتى يذيعها على الحدود المصرية . ولكن سموه قال إن النيات هناك بالنسبة لنا غير ظاهرة تمام الظهور ، فيحسن أن ننظر مدة من الزمن فلا نتعجل بتوزيع هذا المنشور ، لأنه من المحتمل أن تتم المفاوضات الجارية الآن بالصلح بين الدول المتحاربة ؛ وأصدر التعليمات إلى اسماعيل لبيب بك بأن يتأهب للسفر غداً .

وفي المساء تناول اسماعيل لبيب بك ، وفريد بك العشاء على المسائدة الخديوية ، وبعد المناقشة في الموضوع سلم سموه أولها ألفاً وخمسمائة نسخة من المنشور .

وفي ٢١ منه لم يلبث الخديو أن غير فكره ، فصدر الأمر بإرسال برقية إلى القائم مقام توفيق فهمي بك بالبور الخديوي ، بأن يتسلم الحقيقة التي بها نسخ المنشور الخديوي من اسماعيل لبيب بك ، وصدر إلى هذا الأخير أمر بتسليمها ، وبانتظار جمال باشا في دمشق الشام ، والسير نفعه ، وتعريفه أن فريد بك سيلحق به قريباً .

وفي ٣٠ منه صدر الأمر تلغرافياً لتوفيق بك باحضار الحقيية التي فيها المنشور الحديوى، وأمر الدكتور سيد كامل بأن يحرق ما فيها بمجرد وصولها، وأن يحرق بقية نسخ المنشور؛ لأن ما جاء فيه بالنسبة للسلطان حسين غير محقق، ولأن للأتراك ملاحظات على بعض نقطه .

وفي ١٢ ديسمبر أحرق الدكتور سيد كامل النسخ الباقية بطرفه .

وفي ١٣ منه عاد في المساء أحد ضباط المحروسة ، وكان في بعثة توفيق فهمى بك، ومعه الحقيية التي بها الدعوة والتي كانت أعطيت لاسماعيل ليب بك ، فأحرق الدكتور سيد كامل أوراق المنشور التي كانت بها .

تابع الحملة التركية على مصر : في أول نوفمبر زار أفندينا أنور باشا ، وعلم منه أنه حطرت برقية من الحدود المصرية بأن الانجليز أخذوا العريش تماماً ، وأن قائد الجيوش العثمانية يطلب التعليات لاحتلال هذه المدينة ؛ إنما قال أنور باشا : إننا للإن غير مستعدين للرحف ، ويلزمنا أسبوعان أو ثلاثة .

وسمعت الحديوى يقول إن الانجليز يستعملون كل الوسائل لكي يترك جانب الدولة ، فأرسلوا ووماً يدعى أنه نمساوى الأصل ، وأنه متوطن منذ ثلاثين سنة في الاستانة ، ليقول لسموه إن الأتراك يريدون به الشر عندما يترك الاستانة ، قاصداً الالتحاق بالجيش (يعنى أنهم عازمون على قتله) ؛ وأرسل الانجليز أيضاً فضيلة جميل منلا لاستمائه بنحوهم ، ولكن أفندينا لم يصغ لهذه الأقوال ، وصمم على الخطوة التي رسمها ، وهى الاتفاق مع رجال الدولة .

وفي ٢ نوفمبر، في أثناء وجودى ووجود الدكتور سيد كامل والشيخ البورينى لدى الحديوى ، أبدى الدكتور سيد كامل أمنية ، هى أن يرى سموه فوق رأس الجيش بصفته قائداً عاماً له . فقال سموه : إن الفكرة خطرها أكثر من نفعها ، لأنه إذا حصل فشل ، — لا قدر الله لها — فينسب ذلك إلى .

وفي ٣ منه أخبرنا فريد بك ، نقلاً عن أنور باشا ، أن القوات التركية احتلت العريش ؛ لكن سمعنا من جهة أخرى أن الانجليز احتلوا العقبة ، بأن أرسلوا إليها مركزاً حزبياً أنزل مائتى عسكري ، وهذا الخبر كدر أفندينا ؛ لأن العقبة نقطة هامة ، وسبق أن لفت نظر أنور إليها ؛ لأنها تهدد الحملة التركية التي ستسير من جهة

العريش. وقد قطع التلغراف البرى والبحرى من العريش قبل انسحاب القوى المهدة منها ، وهدم الانجليز بالديناميت البئر الكبيرة هناك .

وقابل عارف باشا فى هذا اليوم أنور باشا لمعرفة المأمورين الذين سينقلون عفشنا ورجالنا الآتين من الضلبان إلى محطة آيدى ، والذين سيسافرون من الاسطانة إلى الحدود المصرية ، وقد عزم أفندينا على أن يرسل الشيخ عثمان ورسى أفندى للحدود هذين اليومين ؛ ليستطلعا الاخبار المصرية ، ويخبرانا حتى تزحف العساكر التركية .

وفى ٥ نوفمبر التمس البرنس ابراهيم حلى باشا من الجناب العالى أن يأخذه فى معيته عند السفر إلى مصر مع الحملة التركية ، وقبل التماسه ، وقد أوصى على بدلة عسكرية ؛ كما قبل القاس على جلال باشا وسيف الله يسرى باشا لمرافقة سموه .

فى أثناء الانتقال فى الرفاص بين جبوقلى وبيك عرض الدكتور سيد كامل فكرة ، مؤداها أن سفر أحد المصريين لمصر مفيد فى الوقت الحاضر : أولاً ، ليدل الناس المخلصين هناك على حالتنا هنا ، وبين لهم الطريق المستقيم ، أى الانضمام والاتحاد مع تركيا وحليفاتها ، بحيث تكون الحركة فى مصر موافقة كل الموافقة للحركة التى أقناها فى الاسطانة ؛ ومن جهة أخرى ليقابل أعضاء الجمعية التشريعية الذين يعرفهم ، ويقنع العدد الممكن إقناعه منهم ليحضروا إلى الاسطانة ، ويصاحبونا فى الحملة السائرة على مصر ، فأظهر سموه عدم ثقته بحضور جماعة من هذه الجمعية ، لا للشك فى إخلاصهم ، ولكن لضيق الوقت . وحيثئذ بين الدكتور سيد كامل ، كيف أننا نكسب كثيراً فى حركتنا لو كان معنا على شعراوى باشا ، وعبد العزيز فهمى بك ، وعلوى الجزار بك .

فقال سموه : هذا صحيح ، ولكن أظن أن الثانى مريض لا يمكنه الحضور ، وشعراوى باشا ربما استصغر أن يحضر مع علوى الجزار بك ، مع أن علوى بك رجل عامل ومخلص .

فقال الدكتور سيد كامل : وعلى كل حال نحن فى حاجة أن يكون معنا جماعة آخرون من غير الحزب الوطنى ، لأننى أخشى متاعبنا فى مصر ، وأن يقول فريد بك فى كل وقت : أنا الذى خلصت البلاد من الاحتلال . وفوق هذا فانه وأعوانه شديداً التفتت ، لا يرون الأمور إلا من وجهة واحدة ، ويتمصبون لها .

فقال سموه : صحيح أن فريد بك متعصب ، وأنا أصدق أنه سيكون رئيساً

للحزب الوطنى مدة عشرة أعوام ، ولكن ماذا تكون قوته عندما تكون هناك أحزاب
فى مجلس النواب المصرى الجديد ؟

وفى ٧ نوفمبر اجتمعنا أنا وفريد وليب والبورينى عند أفندينا ، فقال لنا سموه إنه
غير مطمئن على التجربة ، لأنه لا يعرف عنها شيئاً أكيداً حتى الآن ، ولا يعلم إن
كانت العساكر التركية حقيقة احتلت العريش ، ويخشى أن الحسين ألف هندي ، الذين
وردت برفقة باستعدادهم فى بمباى للسفر إلى مرسيليا ، يقصدون ينبع وجده ، فيسبون
ويحتلون ، معان ، فى سكة حديد المدينة . وأنا حتى الآن لم أعلم هل سأرافق الحملة ؟
وبأية صفة أرافقها ؟ هل مثل (شراة الخرج) أو بصفى عاملاً ؟ وقد سمعت من الصدر
أننى سأرافق الحملة ، وقتلت لطلعت بك : إذا كان الوقت لم يحن فأسافر للضمان ، قال : عند
اللزوم نرسل لك للحضور . وأنور باشا يقول إن كل شئ سائر سيراً طيباً ؛ ولكن
كل هذا الكلام لا يعتمد عليه ؛ لأنه غير رسمى ، فلا وجود لارادة سنية ، وليس
هناك قرار من مجلس الوكلاء ، ولا من جمعية الاتحاد والترقى ؛ وسفير ألمانيا لا يتدخل
فى المسائل العسكرية .

وفى ٨ نوفمبر نشرت الجرائد التركية بلاغاً رسمياً قالت فيه : إن الجنود العثمانية
اجتازت أمس الحدود المصرية فى جهة العريش ، وأن خمس مراكب حربية انجليزية
حضرت للمقابلة بقصد إنزال عساكر ، فصدتها الجندرية التركية ورجال العشائر ، بعد أن
قتل منهم ضابط ونفر ، وبعدها انسحبت .

ولما كان المنتظر زيارة الخديو لأنور باشا بمنزله اليوم ، أمر سموه يوسف صديق
باشا بوضع الأسئلة الآتية :

(١) الاستسلام عن إشاعة تعيين البرنس حسين كامل حاكماً عاماً لمصر .

(٢) ما هى التدابير التى اتخذتها الحكومة فى ذلك ؟

(٣) ما هو مركز سموه إزاء الحملة العثمانية وموعد قيامها للحدود ؟

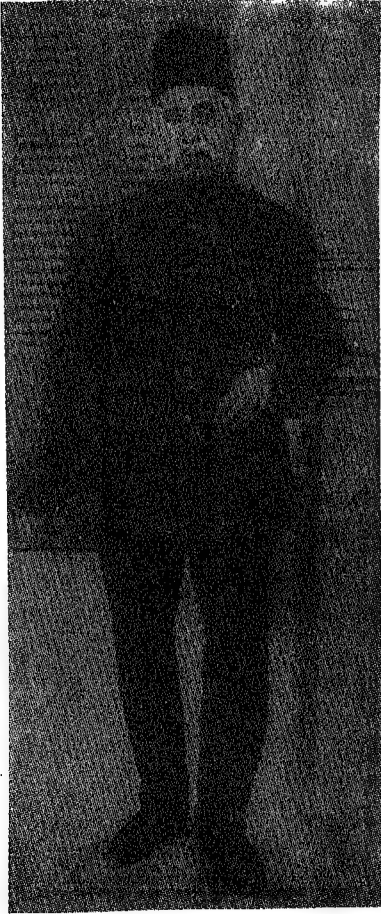
وقد اجتمعت بسموه بعد ذلك مع فريد بك واسماعيل ليب بك ، فأخبرنا بأن
طلائع الجيش اجتازت الحدود المصرية من ثلاث نقط ، وهى العريش والعقبة ونقطة
أخرى بينهما ، وأن الطريق الوسطى ظهر أنها صالحة لسير السيارات . ولما سأله سموه
عن وقت القيام مع حاشيته للحدود قال إن الوقت لم يحن ؛ لأن الجيش لا يبلغ

الحدود إلا في ٢٠ أو ٢٥ نوفمبر . وأنه يريد أن يتأخر أفندينا عن السفر الآن حتى يجتاز الجيش قناة السويس ؛ وذلك من باب الاحتياط لدائه الكريمة ، فقال سموه : إن الأوفق أن يكون دخوله مع الجيش . وإعلانه للدستور والحرية للأمة المصرية .

ولما علمنا احتمال سفر الجناب

الحديوي على رأس الحملة العثمانية التي ستزحف على مصر لاجراج الانجليز منها . تحادثنا مع سموه في الأشخاص الذين سيرافقونه . فتقرر أن يكون من بين حاشيته دولة البرنس ابراهيم حلمي . والدكتور سيد كامل وأنا . واتفقنا على تفصيل بذلات عسكرية . وبالفعل تسلمت اليوم من محل اشتين ، بذلة عسكرية من قماش لونه رمادي كاكي سميك . انقاء للبرد .

وفي مساء اليوم أبدى سموه رأيه في إشاعة تعيينه قائداً . بأنه يجب ألا تكون له القيادة لخطورتها . ولأن هذه الحملة مكونة من عناصر غير متجانسة : ففيها مندوب من جمعية الاتحاد . وهو اسماعيل حقي بك . وضباط موالون لهذه الجمعية . وآخرون معارضون لها . وضباط ألمان . فاذا أضيف إلى ما تقدم أن مدافع الأسطول الانجليزي ، على ما يظهر أقوى من مدافع الحملة .



شفيق باشا بذلته العسكرية

اتضح أن قيادة الحملة أشد ما تكون خطراً . ثم قال : يلزم أن نكون إزاء هذه الحملة بحيث لا تكون لنا قيادة العزبة ، ولا نكون عجلة خامسة . ولكن نكون بين بين .

وفي ٩ نوفمبر توجه سمو الخديو إلى الصدر الأعظم يهنئه بتعيين شقيقه الأمير عباس حليم ناظرًا للأشغال. فلما بدأ الصدر الكلام، سأل أفندينا عن الوقت الذي سيسافر فيه للاتحاق بالحملة، فأجابه بما قال أنور باشا، فقال الصدر: إن تأجيل السفر حتى يعبر الجيش القناة، إنما هو من باب الاحتياط؛ ولما فاتحه الخديو في إشاعة تعيين الأمير حسين كامل على مصر، قال: إن الاستعلام من السفارات أمر لا يفيد. ثم قال: وانتظر يا جناب الخديو ما يحصل من حسين باشا، وانتقد الصدر الأمير حسين انتقاداً مرأ. وقد قال لنا الخديو: إن الصدر — بهذه المناسبة — لمن أجدادنا، قائلاً: إن هذا الفرع بطل، (يعني فرع اسماعيل).

تقابل يوسف صديق باشا مع شوكت باشا، وتكلم معه في صدد تكوين هيئة من كبار الاتحاديين لتعضيد الخديو، فوعد بالتفكير في ذلك وقال: إن في إمكانه الحصول من السلطان على أمر تعيين الخديو قائداً للحملة العثمانية.

وفي يوم ١٠ نوفمبر، قال يوسف صديق باشا: إن عارف باشا توجه يوم الثلاثاء لمقابلة مدحت شكرى بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقي، وتكلم معه في شأن إهمال التكلم مع الخديو في مسألة الحملة على مصر، والاتفاق معه على نتائج هذه الحملة، فرد البك قائلاً: صحيح صحيح، إن هذا إهمال، وسأجمع الجمعية لهذا الغرض.

وفي ١١ نوفمبر اجتمع الخديو بفريد بك وليب بك وبى، وأظهر استيائه من رجال الدولة، وتركم إياه والتجريدة سائرة بدون عليه؛ وتساءل عما إذا كان ما يشاع عن العمل لتعيين الصدر خديوياً بدله صحيحاً.

وفي ١٢ منه قابل يوسف صديق باشا شوكت باشا، فقال له: ما على الخديو إلا أن يحدد اليوم الذي يرغب فيه السفر إلى الحدود، وهو يحصل لسموه على الأمر الشاهاني، بتوليته قيادة الحملة. ولكن الخديو غير ميال بتحديد اليوم، ويقول: إن الأمر بين يدي الحكومة العثمانية، فإن أرادت فعلت؛ أما السلطان فليس بيده شيء.

وقد حضر في الساعة الخامسة مدحت شكرى بك سكرتير جمعية الاتحاد، ومعه الدكتور ناظم، إلى قصر بك. بناء على الكلام الذي حصل بين الأول وعارف باشا ويوسف صديق، وتقابلا مع أفندينا، وأعطياه أخبار الحرب في قفقاسيا، وبما أن سموه قد سمع انتقاداً على سكوت المصريين، وعدم قيامهم ضد الانجليز، ولما يعلمه من أن الأتراك أرسلوا كثيراً مما يسمونه عصابات وأسلحة وذخائر، سألها: ولماذا لم يحصل

ثورة من الجراكسة ؟ فأجاب مدحت بك ، بأن الأهل والعصابات في سكوت حتى يدخل الجيش التركي في بلادهم ، لئلا يصيبهم ضرر .
قال أفندينا : كما يفعل المصريون ؟

فقال مدحت بك : نعم !

ولما حدثهما سموه عن مسألة مصر ، قالاً إنهما تكلمتا مع طلعت بك ، فقال لهما إنه لا ينسى أن يتكلم مع أفندينا عندما يأتي الوقت ، ويقرب سفر سموه للعودة إلى بلاده . وفي ١٣ نوفمبر ، نشرت جرائد الآستانة حديثاً لسمو الخديو مع المسيو فايس ، ولكن لاحظنا أن المجلة المختصة بمرافقة سموه للحملة ، قد حذفت بأمر الحكومة العثمانية ، كما أنها حذفت في تلغراف فايس الذي أرسله إلى جريدته .

أما ما يتعلق بسير سموه مع التجريدة ، فأفندينا يقول : الظاهر يدل على أن الحكومة العثمانية لا تريد أن يكون دخول سموه مع الجيش العثماني . ومن حديث سموه مع السيد أفندي ، يعلم أنه يعتقد بأن قيامه من الآستانة لا يكون إلا عقب اجتياز قناة السويس .

وفي ١٥ منه تقرر ، بناء على إلحاحي ، أن يسافر يوسف صديق للالتحاق بالأمير محمد علي باشا في أوروبا ، والمرور على روما وبرلين ؛ لاستطلاع آراء الدول الثلاث بالنسبة للتجريدة . والوثوق التام بأنها لا تمس الفرمانات الشاهانية .

قابل الصدر دولة والددة الخديو ، وقد جاء ضمن حديثه معها ما يأتي :

إنه بعد إعلان الجهاد ، لا يصح أن الأمير محمد علي يبق في البلاد الأجنبية ، وإلا فانا نصادر أملاكه في مصر . وهذه جراءة متناهية ، وخصوصاً لسيدة يجب احترامها .

ولما سمع أفندينا ذلك قال : وبأى حق يمكن الصدر أن ينفذ ما يقول ؟

وبما قاله الصدر كذلك للبرنس ابراهيم : إن الجيش الزاحف على مصر جيش عربي ؛ فإذا كان المفهوم عند الخديو وعند فريد بك أن مصر للعرب ، فاني أخشى حينئذ من اتفاق يحصل بين العساكر الشامية والخديو والمصريين ؛ ولهذا لا يصح أن يكون الخديو مصاحباً للجيش العثماني ، وإني أبذل جهدي الآن في المدافعة عن الخديو . ولكن إذا كانت أفكاره هي هذه ، فلا يمكن الاستمرار على هذه المدافعة — وقال الصدر للبرنس ابراهيم : من هم المصريون ؟ إنهم في نظري «دمر باش» (أي حيوانات جفلك) وقد نسي أنه مصري .

١٩١٤

وفي زيارة (ى . بك و م . افندى) لسفير ألمانيا بتاريخ ١٦ نوفمبر قال السفير إن الخديو يطلب أن يكون هو القائد العام ، وهذا يجرح إحساسات الأتراك ، وأن سموه يتنقد الجيش العثماني . فسأل ى بك ، السفير عما إذا كان يلزم إخبار سمو الخديو بذلك ، فقال : هي مسألة دقيقة ، ثم قال إنه في أول فرصة سيظمن سموه على هذه المسائل ، وودعهما السفير قائلا : مع السلامة ، أعلننا أهل بلدنا قرب وصولنا . ولما سمع أفندينا هذا الكلام قال له :

« إنني ما تشبثت مطلقاً بقيادة القوة العثمانية الزاحفة على مصر ؛ لأنني لم أتعلّم التعليم الحربي الألماني ، ولا التعليم الحربي العثماني ؛ والكلام الذي سمعناه كان من جانب الأتراك أنفسهم ، فقلت : أضيف إلى ذلك أن أفندينا لا يريد أن يتحمل تبعه هزيمة هذه التجربة ، فقال سموه : هذا الكلام يقوله بعضنا لبعض ؛ لأننا توهم احتمال هزيمتهم في مصر . . ثم استمر سموه قائلا : صحيح . إن يوسف باشا صديق قد أخطأ في اختياره الكلام في هذا الموضوع مع شخص غير ثقة (يقصد سموه شوكت باشا) ، ولكنني على أي حال ما تشبثت ، وما أعرت لسان قيادة التجربة العثمانية إلى أية أهمية ، ثم إنني لم أتقدم على الجيش ولا غيره شيئا ، وإنني أحضر من جبوتي إلى بيك ، وأقوم من بيك إلى جبوتي ، وفي كل أسبوع أو عشرة أيام أركب سيارة مقفلة لزيارة سفير من السفراء ، فمن أين رأيت الجيش التركي حتى أسمح لنفسى أن أتقدم ؟ »

وفي ١٧ منه قال أفندينا : إنه سمع من الألماني صاحب جريدة (المجبجت ناخرختن) أن الجيش العثماني غير مستعد للزحف الآن ؛ لأن السكة الديكوفيل اللازمة لمُدافع الهاون الضخمة لم تتم .

وفي ١٨ منه كان سمو الخديو قد كلف البرنس ابراهيم حلي ، بأن يبلغ الصدر أجوبة سموه على تلميحاته ، فتوجه أمس هو وعزت باشا إلى الصدر ، وقال الصدر له : يلزم تحديد برنامج قبل سفر الخديو عما يجب عمله عند دخول الجيش العثماني في مصر ، فقال : يجب ألا يسافر الخديو ليلا ، كأنه هربان ؛ بل يتوجه نهاراً عند السلطان ، ثم يسير إلى المحطة بالعز والاكرام .

سافر اليوم من الآستانة إلى الحدود المصرية عبد الحميد سعيد بك ، واسماعيل كامل افندى ، ومحمد عوض البحر اوى افندى ، ومحمد على افندى ، وهم من رجال الحزب الوطني ؛ وبقي منهم عبد الملك افندى حمزة المحامى والدكتور احمد طاهر افندى ، لا تظار القيام

مع شقيق الأول من أوروبا . وقد جاء اليوم ستة من الطلبة المصريين في جامعة لندرة ، وتقدموا إلى نظارة الحرية ، طالبين منها التطوع في القسم الطبي العثاقى ، فقبلت النظارة طلبهم ؛ وفي أثناء مرورهم في هولانده كتبوا احتجاجاً على الحكومة الانكليزية في مصر بالنسبة لحطتها ، قالوا فيه : إن مصر تعيش حرة أو تموت . وهذا بعد ذكر قيام الجيش العثمانى لتخليص مصر من الاحتلال الانجليزى

وفي ١٩ منه أوفد يوسف صديق باشا إلى سفير ألمانيا ، فعرفه . أن سموه لم يطلب مطلقاً لنفسه رئاسة الحملة التركية ، ولم ير الجيش في حالة عمل ولا في التكنات حتى ينتقده بشئ . فقال السفير : إن الانراك لا يتحملون جرح إحساساتهم ؛ لأنهم يظنون في أنفسهم القدرة التامة ، مع أنه يوافق كل الموافقة على ما قاله يوسف باشا من أن القيادة إذا كانت في يد الحديو ، فهمة الحملة تكون سهلة ؛ لأن المصريين ينضمون إلى الجيش العثمانى بسهولة

وفي ٢١ نوفمبر وصلت ورقة من وصفى افندى ، أحد مستخدمى السراى ، فخواها أنه تقابل مع فريد بك الذى أخبره بأن جمال باشا ناظر البحرية قد عين قائداً عاماً للحملة ؛ وأنه سيسافر بعد ظهر اليوم من محطة حيدر باشا ، ومعه الشيخ جاویش وفؤاد سليم بك ، والدكتور احمد فؤاد ، وآخرون عن يريدون السفر معه .

ولما اطلع سمو الحديو على هذه الورقة غضب لسفر أولئك مع جمال باشا ، وقال : لأنهم متى دخلوا مصر سعوا في جعلها عثمانية ، بحيث يصبح المصريون عبيداً كما كانوا في عهد الاحتلال الانكليزى ، ثم قال : إن هذه الحركة مقصودة ، وإنها من تدابير الحكومة العثمانية .

وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً حضر محمد فريد بك ، وتشرف بمقابلة الجناب العالى ، وروى أنه سعى لمقابلة جمال باشا أمس ، فسأل عنه في منزله مراراً بالتليفون حتى علم بوجوده بعد تناول العشاء ، فذهب إليه تحتاً وابل من المطر ، وقابله في منزله ، فقال له جمال باشا إن تعيينه جاء بغتة وأنه يأسف ، لأنه لا يستطيع مقابلة الجناب العالى ، وكلفه أن يبلغ سموه أسفه على ذلك . ثم سأله فريد بك عما إذا كان صحيحاً أن بعض المصريين سيسافرون معه ، وخص بالذكر الشيخ جاویش والدكتور فؤاد ، فقال جمال باشا : نعم . وزاد على ذلك قوله : « ويمكن لمن يشاء من المصريين أن يسافروا معى ، وقد أظهر أنه لا يهتم بالملكين السافرين معه ؛ وإنما يوجه اهتمامه إلى الجيش

وحده ؟ وطلب من فريد بك أن يسأل الخديو عما إذا كانت لديه معلومات وخرائط ، وقال فريد بك إنه علم من المصادر العثمانية أن سبب تعيين جمال باشا قائداً للحملة ، بدلا من زكي باشا العربي ، أن هذا الأخير مكلف أن يؤدي مهمة لدى إمبراطور ألمانيا ، نظراً إلى معرفته للغة الألمانية ، وإنه لما كان جمال باشا هو قائد أوردي الشام ، كلف القيادة بدلا من زكي باشا

وفي اليوم نفسه أمر سموه أن يقول فريد بك لجمال باشا عند توديعه إنه سيلحق به قريباً ، كما أمر عارف باشا أن يذهب مندوباً من سموه ، ليلخ جمال باشا تحيته وأسفه لعدم وجود خرائط . وقد ركب كلاهما يئس المحروسة إلى محطة حيدر باشا ؛ وفي الساعة الثالثة بعد الظهر جاء سراى جوقلى يوسف صديق باشا ؛ وقد روى أنه كان ليلة أمس مع جماعة من كبار رجال الدولة ، يتكلمون فيما بينهم على مائدة واحدة ؛ وأن جمال باشا حضر إلى الكلوب ، واختل في غرفة من غرفه برفعت باشا ، سفير الدولة في باريس ؛ وأن يوسف صديق باشا قابل جمال باشا عند خروجه من الغرفة ، وبأدله وهو واقف جملاً قليلة في موضوع تهنته بتعيينه قائداً عاماً للتجريدة ؛ وقابل صديق باشا في الكلوب نفسه سفير ألمانيا قائلاً له : هل يصح ألا يأتي جمال باشا وقد عين قائداً للتجريدة لزيارة الجنب الخديوى ؟ فقال السفير : إن هؤلاء الناس لا يعرفون الواجبات ، حتى لقد شكوا إلى معتمد حكومة الصرب أنه أرسل تهنته بالعبد إلى جميع النظار ، فلم يرد عليه أحد منهم .

وفي الساعة الخامسة رجع عارف باشا إلى جوقلى ، وأخبر أنه ودع جمال باشا باسم الجنب الخديوى ، وأن المسافرين معه من المصريين هم : فؤاد سليم بك والدكتور احمد فؤاد ؛ وأن الشيخ جاويش لم يكن من المسافرين ؛ وأنه قد ودعه جميع النظار ماعدا أنور باشا المريض . وكان مع جمال باشا كثير من الضباط الألمان ، فأظهر سموه استياءه لسفر بعض المصريين ، وخصوصاً الدكتور احمد فؤاد وقال عنه : إنه متهم في قضية التعمد على ، وأن الحكومة وجدت في مصر أوقافاً تثبت اشتراكه في هذه الجريمة ، حتى أنها طلبت القبض عليه .

وقال سموه : إن جمال باشا قد اعتذر عن عدم زيارته لي ، وقبلت اعتذاره . وقد رأى سموه بادىء ذي بدء أن يذهب صديق باشا وعارف باشا إلى مدحت شكرى بك ، والدكتور ناظم بك ، في مركز الاتحاد والترقي ليقولوا له : أيصح أن يسافر الدكتور

أحمد فؤاد وهو متهم بوجود علاقة له بحادث الاعتداء؛ فاقترح يوسف صديق باشا أن يذهب مباشرة، ويتفاهم هو وطلعت بك، فقال سمو الخديو: ولكن لا أحب أن تذهبوا إليه؛ لأنه يوقعكم كثيراً قبل أن يقابلكم؛ ولا أحب أن يعاملكم هذه المعاملة. وأخيراً انتهى رأى سموه بأن يذهب في اليوم التالي لمقابلة جاويد بك، وأخذ رآه في هذا الموضوع.

وفي ٢٢ نوفمبر قابل يوسف صديق باشا، ومحمد عارف باشا، جاويد بك المستقيل، فأعرب له الأول عن ثقة سمو الخديو به، ثم قال له إن القاعدة التي حصل الاتفاق عليها هي قاعدة الصراحة التامة بين سموه ورجال الدولة، وأن جنابه قد سار عليها من بداية الأمر؛ ولكن يظهر من بعض حوادث أخيرة ما لا ينطبق عليها.

ومن هذه الحوادث أن نسب إلى الجناب الخديوي رغبته أن يكون قائداً للتجريدة العثمانية؛ مع أن سموه ما رغب في هذا قط؛ وإنما هذه فكرة قال بها بعض المصادر العثمانية. ولو ضُي أن الخديو يرغب فيها، لكان نجاح التجريدة أعظم بوجوده على رأسها، بعد أن منعت إنجلترا من الرجوع إلى بلاده؛ وذلك لما يترتب على وجوده من قيام المصريين بمساعدتها.



جمال باشا

ومن هذه الحوادث أن سمو الخديو لم يكلمه أحد قط في موضوع تعيينه قائداً للتجريدة، وقد عين جمال باشا في هذا المنصب دون أخذ رأى سموه فيه؛ وبعد تعيينه، وقبل سفره إلى مصر، لم يكلف نفسه زيارة سمو الخديو للوداع قبل السفر. كأن جنابه بعيد عن هذه المسألة غاية البعد.

ومن هذه الحوادث أيضاً أن القائد العام جمال باشا قد استصحب معه عنصراً من المصريين غير مرغوب فيه، ومنه الدكتور أحمد فؤاد؛ وعندئذ قطع جاويد بك الحديث قائلاً: «صحيح أنا الآن أفهم معنى إرسال هذا الشخص مع جمال باشا، ثم استمر يوسف صديق باشا في الحديث قائلاً: إن الدكتور فؤاد هذا متهم بوجود علاقة

له بمجاذة الاعتداء على شخص الجناب العالى ، فارساله جارح وغير موافق للصلحة . ولاعتقاد الخديو فى معارفكم وفى ذكائكم ، رأى أن يأخذ رأيكم فيما تقدم ؛ ولو لم تكونوا فى الحكومة الآن .

فقال جاويد بك : صحيح أننى لست فى الحكومة ، ولكننى أشتغل مع أعضائها كما كنت أشتغل فى النظارة ، وأننى مشترك مع أفندينا فى أنه ما كان يحسن بالقائد أن يسافر قبل أن يقابل سموه ، كما أنه لم يكن يحسن به أن يأخذ معه شخصاً بتلك الصفة (مشيراً إلى الدكتور فؤاد) . ثم قال إنه سيقابل طلعت بك ، ويكلمه فى موضوع الدكتور ويخبر سمو الخديو بالجواب .

ثم إن يوسف باشا قال لجاويد بك : إننا واثقون أن المسألة المصرية مسألة دولية وليس للدولة العلية وحدها حق الاستئثار بها ، فقاطعه جاويد بك قائلاً له : وأنا أعرف أكثر من ذلك ، وهو أن الدول لا تتأثر بكلام الدولة — ولو كانت منتصرة — فى هذا الموضوع .

قال يوسف باشا : ولا تنس أن سفيرانجلترا لما عرض على أفندينا ذهابه إلى إيطاليا ، قائلاً إنها أقرب إلى مصر من الآستانة — وفى ذلك معنى كبير — أجاهبه الخديو بأنه لذلك يفضل البقاء فى دار الخلافة ؛ وقطع علاقاته به ، لأنه تعهد وإياكم على أن يكون مع الدولة وألمانيا .

فقال جاويد بك : ونحن نشكر الجناب العالى على هذه الاحساسات . وقال يوسف باشا : فإذا استمرت هذه المعاملة الماسية للخوادر من قبل رجال الدولة ، فإن أفندينا يترك الآستانة ويتوجه إلى سويسرا ، حتى تنتهى الحرب ، ويعقد الصلح ، ويبت فى مسألة مصر .

فقال جاويد بك : هذا أمر فات أوانه (يريد السفر) . فرد عليه يوسف باشا بأن الوقت لا يزال منفسجاً . فقال جاويد بك : لا لا يا يوسف باشا ، لا تنقل ذلك . وأخيراً قال جاويد بك : إنه من الصعب حقيقة أن يسافر جمال باشا من غير أن يقابل الجناب العالى ، ولم يكن يلقى لإرسال الدكتور احمد فؤاد ؛ أما بالنسبة للاتفاق على ما سيعمل فى مصر عند دخول الجيش العثمانى عاصمة البلاد ، فانه كان يظن أن طلعت بك وأنور باشا قاما بهذا الواجب ؛ وعلى كل حال فانه وعد بالتكلم فى هذه المسألة .

وفي ٢٣ نوفمبر كننا جميعاً في سرور؛ لأن البرقيات الرسمية أنبأتنا أن مقدمة الحملة العثمانية قد وصلت إلى القنطرة، بعد أن حصلت واقعة بالقرب من القنطرة، في جهة القطا، أي على بعد ثلاثين كيلومتراً من شرق القنطرة، وأن الهجانة المصريين انضموا إلى العثمانيين، وأنه قتل قائد فئة من قواد الانجليز، وملازم، وكثير من الأنصار، وأسر جملة منهم.

وفي هذا اليوم أرسل أفندينا يوسف باشا، إلى البرنس عباس حليم ناظر النافعة للتكلم معه في إرجاع الدكتور فؤاد إلى الاستانة، ومنعه من مصاحبة القائد العام. وقد كنت أبحث مع فريد بك في نقط ضرورية وهي:

(١) مسألة الوفد الذي يجب أن ينوب عن الجناح الخديوي، ويرافق التجريدة العثمانية إلى مصر بهذه الصفة.

(٢) إذا كانت الوزارة موجودة عند وصول الجيش العثماني إلى مصر، فهل تحترم؟ وهل للقائمقام الخديوي أن يبدل من أعضائها؟ وإذا طلبت الحكومة العثمانية شيئاً من هذا، فكيف يكون الحل؟

(٣) عند إعلان الاحكام العرفية، كيف يكون تشكيل المحاكم؟ وباسم من تنفذ الاحكام

(٤) ماهي القشلاقات التي تخصص للجيش العثماني، والتي تخصص للجيش المصري؟

(٥) من أين ينفق على تموين الجيش العثماني مدة وجوده في مصر؟

(٦) ماذا يكون الحال إذا أراد الاتراك تغيير المديرين، أو إلغاء البوليس، أو

الجيش المصري؟

وبينا كنت أتكلم مع فريد بك في هذه النقط في ردهة الدور الأرضي من سراي بيك، نزل سمو الخديو من الدور الأول، وسألنا فيما نتكلم، فأخبرته بالموضوع بصفة عامة. فقال: إن شاء الله ن عقد في الغد جلسة هنا للمناقشة في ذلك.

ثم ذكر سموه أنه لا يحسن الدخول مع رجال الحكومة العثمانية في مناقشة النقط والتفاصيل؛ لأنهم ليسوا رجال قواعد. ونحن إذا فتحنا باب هذه المسائل، دخلوا فيها متعمقين؛ وتكون النتيجة أنهم يظنوننا خصوماً لهم؛ فيكفي الآن أن نسعى في مسألة إرجاع الدكتور فؤاد إلى الاستانة. فقال الدكتور سيد كامل: إنه يحسن الاتفاق من

الآن مع العثمانيين ، على مبدأ أساسى ، وهو أن يبقى الجيش العثماني بعيداً عن التدخل فى شئوننا الادارية الداخلية ؛ ومتى تم الاتفاق على هذا المبدأ ، ترتب عليه المسائل الفرعية الأخرى ، التى لا يصح الكلام فيها الآن .

وفى ٢٤ منه حضر يوسف باشا ، وقال إنه قابل أمس البرنس عباس حلمي (وزير الأشغال) فى صدد الدكتور فؤاد ، فأظهر البرنس أنه لا قيمة لهذا الشخص ، وأنه يحسن بالخدو ألا يهتم بالجزئيات ، ولكنه مع هذا وعد بأن يتكلم مع طلعت بك فى موضوعه . وفى هذا اليوم نفسه ، نشرت جريدة « طنين » ، نبذة ترجمتها جريدة « لا توريكي » إلى الفرنسية ، ومؤداها . إرسال موظفين أتراك من موظفي الجمر إلى مصر ، لاعتبارها من بعض الوجوه مشابة لولايات الدولة .

وفى ٢٥ منه كان أفندينا كلف يوسف صديق باشا أن يذهب إلى سفير ألمانيا ويعلمه بمسألة الدكتور احمد فؤاد ، وما نشر فى الجرائد من أن جمال باشا أخذ معه ١١٨ شخصاً لاستخدامهم فى جمارك البلاد التى يحتلها الأتراك فى مصر ، وأن هذا القائد قد سافر دون أن يقابل أفندينا ؛ فاعترف له السفير بأن كل هذا لا يليق ومخالف للاتفاق ، وأنه سيكلم مع أنور باشا فى الأمر ، واعترف له أيضاً بأن الأتراك يدسون للخدو فيما يتعلق بمركزه

وفى ٣٠ منه تقابل صديق باشا وعارف باشا مع جاويد بك ، ولم تدم هذه الزيارة أكثر من خمس دقائق ، لأنه أخبرهما بمقابله طلعت بك ، وعرف منه أن لا شئ عندهم مطلقاً ، وأنه إذا كان طلعت بك لا يزور سموه ، فلأن عنده مشاغل كثيرة ، وكذلك بقية رجال الدولة

وقد اعتبر يوسف صديق باشا هذا القول مبهماً ، وغير دال على حسن النية ، ولكن لم يصرح بذلك لجاويد بك ؛ وعلى العكس من ذلك عارف باشا ، فقد اعتبر هذا الجواب مبهماً ، وقام فقبل جاويد بك

تحميد مرمعة الحملة . وفى ١٥ أكتوبر حضر أنور باشا وتقابل مع عباس ، ومكث معه مدة طويلة ؛ وبعد خروجه علينا أن سموه تكلم معه بخصوص دسائس الصدر ضده ؛ وبما جاء فى الحديث أيضاً ، أن أفندينا سأل أنور باشا عما إذا كان يليق بالصدر أن يرسل قرار الحكومة العثمانية للحكومة المصرية ، بخصوص طرد متولى

أعمال ألمانيا والنمسا ؛ ولا يرسل لسموه صورة القرار ، كأن ذلك لا يهجمه ، وكأنه ليس موجوداً في الآستانة ؛ فتعجب أنور لذلك ، وانتقد فعل الصدر . ثم قال سموه ما يفهم منه أنه مديده لأنور ، وتعاهد معه على ألا يخفى أحدهما عن الآخر شيئاً ، وأن يسيرا في خطة واحدة ؛ فأكد له أنور باشا أنه يأمل أن يرى سموه حراً في بلده ، مستقلاً في إدارتها ، كما كانت الحالة قبل الاحتلال الإنجليزي ؛ ووعد بزيارته فيها ؛ فشكره سموه ، وأوصله عند نزوله إلى باب حديقة د يالى بيك .

وفي ١٩ منه تقابلت مع محمد عزت باشا ، فأخبرني أن سفير ألمانيا تغدى عنده أخيراً ؛ ومن كلامه أن رغبة الإمبراطور التي أبلغها للدولة العلية ، هي أن طرد الانجليز من مصر لا يترتب عليه جعلها إيالة عثمانية ، بل تكون مستقلة في أعمالها الداخلية ؛ وإنما في بعض المسائل الخارجية ، يجب على مصر أن تستأذن الباب العالي ، وأن تحفظ امتيازات الخديوية المصرية كما هي الآن ؛ وهذا مطابق لما قاله أنور باشا لأفندينا

وفي ٣١ منه أكد طلعت بك لفريد بك ، أن الحملة التي تسير إلى مصر ليس من شأنها أن تمس شيئاً مما في داخلية مصر ، فانه يعلم أن إدارتها منظمة ، وكل شيء مرتب ؛ ثم أضاف د حتى أننا نرى أن نرسل لكم بعض المأمورين الأتراك ، لآخذ ما يهيننا في تحسين إدارتنا في الآستانة .

وكتب سمعت من مدة أن أفندينا اجتمع بأنور باشا عند زيارة سموه لسفير ألمانيا في المساء ، وتعاهد الثلاثة على أن يتحدوا على طرد الانجليز من مصر ، وأن تبقى مصر للمصريين مع حفظ امتيازاتها . وأن تكون مصر بالنسبة للدولة كباقاريا لألمانيا .

وفي ١٠ نوفمبر لاحظ إبراهيم حلى باشا أن الجيوش العثمانية اجتازت الحدود المصرية ؛ مع أن الحكومة العثمانية لغاية الآن لم تخاطب الخديو رسمياً فيما يلزم اتباعه . فأجابه الصدر الأعظم بأنه مستعد للتكلم مع سموه قبل سفره في أحوال مصر ، ثم قال إن الجيش سائر إلى مصر ، ومهمته طرد الانجليز ، وإرجاع الخديو إلى أريكته .

وفي ١٣ نوفمبر تقابل الخديو مع فريد بك ولييب بك ، وقال لنا إن رجال الدولة عديمو الإدارة ، فلا ينظرون إلى الأمام ؛ ونحن لا يمكننا أن نغير ما تعودوا عليه . فقال فريد بك ولييب بك لإنهما قابلا أنور باشا أمس ، وسألاه عما يراه في مسألة مصر وأفندينا والحرب الوطني فقال : نحن تعاهدنا مع الخديو ، وكررنا له القول بأننا لا نريد مطلقاً التدخل في داخلية حكومته ؛ ولا نرغب إلا في أن نراها

حرة وقوية ؛ وأتانا تؤيد سموه في مركزه ، ونسير بالاتفاق معه ، ومع الحزب الوطني .
قال أنور : نحن نساعد حكومة إيران وأهاليها كما نساعد مصر والمصريين . فهل
معنى ذلك أننا سنأخذ العجم ؟ هذا لا يكون .

وحصلت اليوم مظاهرة من الإيرانيين في الآستانة ؛ وقرروا طلب دخول إيران
في الحرب ضد روسيا ؛ وهذه المظاهرة حصلت بإيعاز من أنور باشا .

وفي ١٦ منه حضر إلى جبوقلي في هذا الصباح (ي . بك) أحد المصريين الذين
كلفهما الخديو بمقابلة سفير ألمانيا ، وأخبر أفندينا أنه هو وزميله (م . أفندي) تقابلا
أمس مع السفير ، وأخبراه بحديث البرنس ابراهيم حلي مع الصدر ، وحديث سيف الله
باشا لفريد بك ، فرفع يده مستهزئاً وقال : لا تعبأوا بهذه الأقاويل ، فانها لا قيمة لها
من الوجهة السياسية ، وخصوصاً أنني سبق أن أخبرت الصدر بأن ألمانيا ستساعد الدولة
في حملتها على مصر ، بشرط ألا تمس فرماناتها ، ولا المعاهدات الدولية ؛ وأن تبقى
مصر للمصريين (وكرر هذه العبارة مرتين) ؛ فأجابته الصدر بأنه باعتباره مصرياً
يحافظ على فرمانات ، وعلى حقوق الخديوية ، وامتيازات مصر .

الصباحي يحمل الأوامر للقائم مقام بخصوص الحملة : وفي ٢٤ منه أمرني الخديو
أنا ويوسف باشا أن نحرر مذكرة إلى حسين رشدي ، تحتوى على ملخص الحالة السياسية
بيننا وبين الأتراك ، وما يجب عمله عند دخول الجيش التركي إلى مصر ، ومعاملة القائد
ونحو ذلك . وكانت الفكرة أن تكتب المذكرة على حرير بالشفرة المعروفة لرشدي
باشا ، أو بالكتابة المكشوفة ، ويخاط هذا الحرير بين البطانة والقماش . وأعرب
سمو الخديو عن رأيه في أن ينتخب رشدي رجلاً مصرياً لنظارة الحرية ، وتكون
مهمته تسهيل العلاقات بين الحكومة المصرية والجيش العثماني المحتل ؛ ورأى سموه
تعيين السرياور خديوي اسماعيل مختار باشا في هذه الوظيفة ، لأنه يحمل أكبر رتبة
عسكرية في مصر ، ولأنه مخلص لسموه . وقد عرض على سموه اسم حسني باشا ، فقال :
لا ، لا ، دعنا من هذا الرجل ، فانه تنحى عن السير معنا في حركتنا .

وقد كتبت المذكرة التي طلبها أفندينا ، وعرضها عليه يوسف صديق باشا ،
فأدخل بعض زيادات عليها ؛ وأمر بنسخها وتسليمها إلى محمد عبد الرحمن الصباحي
أفندي ، على أن يسافر اليوم لتسليمها لحسين رشدي باشا ، وها هي ذى صورتها .

« حصل الاتفاق شفياً بين الجناب العالى ، وأنور باشا ، وسفير ألمانيا في سفارتها ، على إرسال تجريدة عثمانية لمصر ؛ على شرط أن تبقى الادارة الداخلية مستقلة كمنطوق الفرمانات . وقد علمنا أن امبراطور ألمانيا أرسل تلغرافياً إلى السفير بأن مساعدته للحملة هي بهذا الشرط ، وألا يقبل مطلقاً أن تكون مصر ولاية عثمانية ، كباقي الولايات .

« تحسنت العلاقات بيننا وبين رجال الدولة ، وخصوصاً أنور باشا . إنما ظهر لنا أن للصدر أغراضاً وآمالاً ، وقد التف حوله جماعة تنادى بأن مصر للدولة ، وليست للمصريين . ولما لم تنجح هذه الفئة في مسعاها ، قالت بتعيين ولى عهد السلطنة العثمانية للخديوية المصرية ، وعلم الجناب العالى من السلطان بأن يوسف عز الدين أفندى طلب من جلالة ذلك . ولكن هذا الطلب لم ينظر إليه بعين الأهمية ، وأن رجال الدولة لا يرغبون في تغيير شيء في الخديوية المصرية . وبعد أن كانت رئاسة الجيش الزاحف على مصر للجيرال زكى باشا ، العربى الجنس ، صدرت الارادة بتعيين جمال باشا ناظر البحرية ، بدلاً عنه ؛ وإرسال زكى باشا لمهمة أخرى .

« هود الى الحملة . » سافر قائد الحملة يوم ٢١ نوفمبر بدون مقابلة الجناب العالى ، وأرسل يعتذر بواسطة فريد بك بضيق الوقت ؛ ويلاحظ أنه استصحب معه فؤاد سليم بك ، والدكتور احمد فؤاد ، وحلى المسلى ، وبعد قليل يلحق بهم عبد العزيز جاویش ، فتم بذلك الجماعة المنتمية للصدر ، والتي تقول بأن مصر للدولة ؛ فضلاً عن أن أحدهم ، وهو الدكتور احمد فؤاد الموظف بالبوليس السرى في نظارة الداخلية ، هو المشتبه في اشتراكه مع مظهر المعتدى على جناب الخديو . ولهذا طلبنا من طلعت بك ناظر الداخلية لإرجاعه .

« وعلى كل حال فانا لعدم ثقتنا تمام الثقة بعهود رجال الدولة ، الذين ربما كانت لهم أغراض خفية ، لا تظهر إلا بعد احتلالهم البلاد ، فان أفندينا عزم على إرسال من يعتمد عليه ، للسفر إلى ألمانيا والنمسا وإيطاليا ، للتحقق من تنفيذ وعود سفير ألمانيا لسموه ، وبأن تبقى مصر مستقلة في إدارتها بدون تدخل الدولة كما كانت .

« والدائر على الألسنة أنه بمجرد دخول الجيش العثمانى ، تعلن الأحكام العرفية ؛ ونظراً لأن المشهور عن القائد أنه قوى الشكيمة ؛ فانه يحسن أن تستعدوا لذلك وتفكروا من الآن في الخطة الواجب اتباعها معه .

« ومن رأى الجناب العالى :

أولاً - أن تقيموا في سراى عابدين عند دخول الجيش العثماني ، باعتباركم قائمقام الخديو ، وتقابلوا قائده على الدوام هناك .

ثانياً - أن تخصص للقيادة العامة المقر الذي فيه إدارة جيش الاحتلال .
ثالثاً - أن تقيم العساكر التركية في القشلاقات التي كانت مخصصة لجيش الاحتلال الانجليزي ، ولا يرخص لهم في أخذ أى قشلاق من قشلاقات الجنود المصرية .

(والعبارة الأخيرة أضافها الخديو بخطه)

رابعاً - أن يرحب بالجيش بدون مبالغة ، وتحفظ الحكومة كرامتها إزاهه .
خامساً - يستمر القضاء المصرى طبعاً كما كان ؛ ولو أعلنت الأحكام العرفية .
سادساً - تشدب الحكومة مندوب إيطاليا في صندوق الدين مستشاراً مؤقتاً للبالية ، على ألا يعتدى على الأنظمة الجارية في المالية المصرية .

سابعاً - أن تتفق الحكومة وبعض المتعبدین ، على توريد حاجات الجيش العثماني من المأكولات ، وتصرف قيمة ذلك بما كان مخصصاً لجيش الاحتلال الانجليزي .

ثامناً - بمجرد انسحاب الموظفين الانجليز ، يعين في الحال من يخلفهم من المصريين ، وخصوصاً في رئاسة البوليس المصرى .

تاسعاً - لا يعمل أى احتفال رسمى حتى يشرف الجناب العالى ، وإذا اضطرتهم لتقديم بعض كبار المأمورين المصريين ، فيكون ذلك على الانفراد ، وبواسطة طمتم ثم أضاف أفندينا بخطه ما يأتى : يراعى عدم تدخل القائد العثماني في أمور الإدارة ، وخصوصاً في مصلحة التلغرافات ، وبمجرد خروج الانجليز من مصر ، تجمع العساكر المصرية . إن أمكن في القاهرة . وإن أمكن أيضاً يجمع الجيش العثماني فيها ، بدلا من توزيعه في المديریات .

طلب الاتحاديين إعانات مالية من عباسى . في ٢٥ أكتوبر رأيت سمو الخديو في حالة عصبية ؛ وعلت أنه أوفد ماهر أفندي المحامى ، وعارف باشا طلعت بك ، ليرجوا أن يتخذ الاجراءات للعفو عن سجين من ضمن خدم سموه و سلاحشور ، وهو متهم بالقتل ، فطلب طلعت بك إعانة مالية من سموه لمشترى ملابس تركية للجندمة التركية ، فغضب لهذا الطلب ، وقال لئن ما حصلت على عرشى برشوة ، حتى أستبقيه برشوة .

وفي ٩ نوفمبر عقد سموه جلسة ، قال فيها بضرورة تكوين جماعة من حزب الاتحاد والترقي ، يعملون في مصلحة مصر ؛ وأن تستخدم كل الوسائل لتكوين هذه الهيئة من سبعة وعشرين عضواً ، لتعمل لنا في هذا الطريق ، بحيث لا نعطى تقوداً الآن ، بل نعد باعطائها بعد دخولنا مصر ؛ ويكون مثلنا في هذا مثل الشخص الذي يقول للسمسار : إذا اشتريت العقار الفلاني بواسطة ، أعطيك كذا كذا ؛ وقال إنه لا يضر خزانة مصر ، دفع مائة ألف جنيه لتحقيق أغراضنا .

وذكر في هذه الجلسة بعض أسماء رجال الدولة ؛ وأمن يوسف صديق باشا على كلام سموه ، قائلاً إن الدكتور ناظم أحد كبار الحزب ، وطلعت بك نزيهان ، وأن الأول يعيش بمشرة جنبات في الشهر ، ولا يمكن أن يشتري ؛ وذكر أنه تقابل مع شوكت باشا ، ووعدته بالكلام معه غداً لتحديد الطريق .

وفي ٢١ نوفمبر روى سموه ، أنه لا ينسى يوم حضوره إلى الآستانة في أول سنة للدستور ، وحضوره جلسة من جلسات مجلس المبعوثين :

قال سموه : وقد حضر لدى في اللوج ، الذي كنت فيه طلعت بك ، وثلاثة آخرون معه ، فبعد أن حيوني ، وشكروني على حضوري جلسة من جلسات المبعوثين ، طلبوا مني أن أساعدهم مساعدة مالية . وقد كنت أفهم هذه المساعدة وهم خارج بلادهم ؛ ولكن الذي لا أفهمه . هو مساعدتهم مساعدة مالية وهم داخل بلادهم . فلما قلت : إن شاء الله ننظر في الموضوع ، انصرفوا بشكل مدهش ، كأنهم لم يجيئوني إلا لطلب المساعدة المالية ، ولكنهم بعد انصرافهم جاءني جاويد ، واعتذر إلى عما وقع من زملائه .

وفي ٢٤ منه قال يوسف باشا ، إنه قابل نجر الدين بك سفير الدولة في بطرسبرج ، وفهم منه أنه يلزمنا نحن المصريين ، أن نتأكد من الاتفاق مع ألمانيا بخصوص نتائج الحملة المصرية ؛ ولا نتمدد إلا على وعددها ، وأنه مستعد لأن يسافر ، ويتخذ ما يجب في هذا الصدد ، مقابل مكافأة مالية طلبها .

وقال يوسف باشا إن عارف باشا قابل اسماعيل حقي بك ، القوميسير العثماني في مصر ، وروى عنه أنه من اللازم أن يكون عند سمو الخديو الآن مائة ألف جنيه ، لصرفها على من يساعدنا للوصول إلى غايتنا . فقال سموه : لا بأس بايجاد الأشخاص الذين يساعدوننا ؛ ووعدهم بالمكافأة عندما نبلغ غايتنا .

تركبة أعظم الخيول في الشرق. إنا فخرنا وفخرنا في ٣٠ أكتوبر تم جهز مع أفندينا للتشريفات السيد في براري جاوله بنده ورافقتنا أيضاً يوسف صاحب باشا وعارف باشا، وإبراهيم آدم بك، وإنسان من الضباط. يوسف وعارف صرا أمام السلطان، مثل باقي المأمورين العثمانيين؛ وأما أنا، فلا في مرتد رندنجوت بدلا من الاسلامبولية، تفرجت مع الضباط من فوق صالة العرش. وكان الخديو واقفاً مع الأمراء العثمانيين، ومنهم ولي العهد عن عيين السلطان؛ والوكلاء — ما عدا الصدر الذي قيل عنه إنه مريض (والحقيقة أنه كان غاضباً لما سمعه من تعدى الوابورات الحرية العثمانية على الموانئ الروسية دون علمه) — وقفوا عن يسار الخليفة. وقبل انتهاء التشريفات بقليل، جاء يوسف وعارف لنا، وأخبرنا بأن دارعتين من الأسطول العثماني تلاقيا مع مركبين طوريندو، ومدفعتين من الأسطول الروسي، كانت تحفر ووابورات وضع الألغام، على بعد خمسين ميلاً من بوغاز البحر الأسود، فالدراعتان العثمانيتان أطلقنا النيران على هذه المركبات، فأغرقتها، وأسرتا سبعين نفراً، وخمسة ضباط، أحدهم ربان وأحضرهم إلى الأستانة؛ ثم توجه الأسطول العثماني إلى الموانئ الروسية، ومنها سواستبول وأودسا، وأحرق ما بها من مخازن البترول، والمخازن العسكرية، وأغرق ما في الموانئ من الوابورات الروسية الثقيلة، وعددها واحد وعشرون.

ولما خرجنا مع أفندينا، أخبرنا بأن السلطان أعلمه بذلك، وكان الخبر منتشرأ في يوغلي أمس بعد الساعة الخامسة مساءً، من برقية وردت من قنصلية إنجلترا في أودسا إلى السفارة في الأستانة؛ وسأل السفير الصدر في المساء عن هذا الخبر، فقال إنه لا يعرف شيئاً؛ ولما سأل الصدر أنور باشا، قال الأخير: نعم إنني سمعت بهذه الاشاعة. فكان الألمان هم الذين دبروا هذا الأمر بدون أوامر.

وفي ٣١ منه حضر أنور باشا، وأخبر الخديو بما حصل من تخريب الأسطول التركي للوافاء الروسية، فأخبره سموه بأنه لما زار الأمير سعيد باشا الصدر، علم منه ما يفيد أن الحرب لا تكون بين الدولة وروسيا. ولهذا فإنه استرجع الأسطول العثماني، وأشار من النافذة إلى دجون، الألمانية، وقال ها هو ذا الأسطول. وإن الصدر يلقى تبعة ما جرى في البحر الأسود على الألمان، فقال أنور باشا إنه أعد جوازات السفراء الثلاثة (سفراء روسيا وإنجلترا وفرنسا)، وأكد لأفندينا أنهم سيسافرون.

وبالفعل أتى لما كنت عند فريد بك — ومسكنه أمام السفارة الروسية — وجدت
 جموعاً كثيرة أمام السفارة تنتظر خروج السفير

ولما كان أنور باشا وأفندينا يتحادثان، حضر جمال باشا ناظر البحرية؛ ولهذا لم
 يتمكننا من الاستمرار في الكلام. وقد خطر ببال أنور باشا أن الخديو ربما يظن أنه
 متفق مع زميله على أن يحضر عقب زيارته، حتى لا يدع وقتاً للسمكة؛ فأقسم أنور باشا
 بأن زيارة جمال باشا الآن هي من المصادفة، وأنه لا مانع من قبوله بوجود أنور باشا؛
 لأنهما على وفاق تام — وقد كان ذلك.

وفي ٢ نوفمبر حضر الصدر، وزار أفندينا في بيك، وعلم سموه أن الروس تجاوزوا
 الحدود العثمانية قاصدين أرضروم، فسأله أفندينا عما إذا كانت الدولة في حالة حرب
 مع روسيا وانكلترا وفرنسا. فقال: لا. وقد حضر البرنس ابراهيم حلي، فقال إنه
 سمع الصدر يقول: مادمت في الصدارة، فلا أعلن حرباً. وقال عن الألمانين الذين
 أحدثوا واقعة البحر الأسود: سأؤدبهم (يعني يهددهم). ولكن سموه قال بأن هذا
 يخالف قبوله نقود ألمانيا، ووجود سبعة آلاف ألماني في الجيش العثماني؛ البري.
 والبحري، وأربعائه مدفع؛ وهذه المساعدات كلها لدخول تركيا في الحرب.

وقد زار الخديو سفير ألمانيا، ومن المحادثة ظهر له أن الصدر لا يرغب في دخول
 الدولة في الحرب، وإلا فسيستقيل؛ وهذا يطابق ما قاله سفير النمسا. وأضاف سفير
 ألمانيا أن معتمد أمريكا طلب من أنور باشا وطلعت بك وجمال باشا أن يجتهدوا في
 منع الاستقالة. ولهذا اجتمع مجلس الاتحاد والترقي، وقرر باتحاد الآراء تأييد ما فعلته
 الحكومة بدخول الحرب، وعدم قبول استقالة الصدر، مع تغيير بعض الوزراء غير
 الموافقين على الحرب، وهم جاويد بك وزير المالية، ومحمود باشا وزير النافعة، والبستاني
 بك وزير الزراعة والبريد. ثم أتى السفير الألماني على طلعت بك، وقال إنه أتى وتعاهد
 معه على السير مع ألمانيا، قائلاً: «إن كسبت كسبنا، وإن خسرت خسرتنا»، وقال إنه
 يوجد وعد واتفاق بين انجلترا والصدر — على ما هو ظاهر من الأحوال — على ألا
 تحصل حرب؛ ومع هذا حصلت واقعة البحر الأسود. فأكد الصدر للسفير المذكور
 أنه إذا دخلت الدولة في الحرب، فانه لا بد أن يستقيل؛ فلما طلب السفير جواز السفر
 لقطع العلائق، طلب أيضاً من الصدر الاستقالة قبل خروجه، ولكن الصدر أرغم على
 البقاء من جمعية الاتحاد. كما تقدم

وفي ٣ نوفمبر بلغنا أن الأسطول الإنجليزي أطلق النار مدة عشر دقائق على استحكامات الدردنيل، التي ردت عليه؛ ويقال إنها أصابت المراكب الإنجليزية الكبيرة بعطب، فشبت النار فيها.

وبلغنا أن الجيوش التركية اجتازت حدود روسيا، وتوغلت فيها مقدار عشرين كيلو متراً، وأن عدد الأتراك ثلاثون ألفاً، وأن الروس مائة وخمسون ألفاً.

وفي ١٣ منه كان سمو الخديو قلق البال، لأنه سمع من السفراء خبر اندحار الألمان في روسيا، وأن ألمانيا عرضت الصلح على الدول المتحاربة، فقبلته روسيا وفرنسا، ولكن إنجلترا رفضته. وقد قال سموه إننا حتى الآن لم نأت بعمل يعتبر عدائياً نحو إنجلترا التي طلبت ألا نرجع إلى مصر. فقبلت طلبها؛ وموقفنا على العموم موقف شامة.

وفي ٢٥ نوفمبر زار الجناب العالي سفير الولايات المتحدة، فعلم منه أن لأمريكا مركبين حربيين: أحدهما يمر بشواطئ سوريا، والآخر في جزر الأرخيبيل؛ وأن رفاصاً أمريكياً كان يريد دخول أزمير، وعليه قائد المركب الحرى، فأطلقت عليه الحصون العثمانية طلقتين بدون رصاص، ثم طلقاً ثالثاً محشواً بالرصاص، فرجع القائد، وأرسل برقية إلى سفيره في الاستانة، طالباً منه الإذن في ضرب حصون أزمير، فتمعه السفير، فاغتاظ القائد وشكاها إلى حكومته، فاضطر السفير أن يطلب من أنور باشا تقريراً يبرر به أوامر المنع، فتم له ما أراد.

وقال السفير إن الضباط البحريين بين الأمريكيين جميعاً، حتى الذين يقيمون منهم في أمريكا، هم في جانب إنجلترا، وأن رأيه أن الحرب العامة لا تستمر أكثر من ثلاثة أشهر، ومن المحتمل عقد الصلح بين ألمانيا وفرنسا. ولكن ليس مع إنجلترا إلا إذا كانت ألمانيا تحاصر ولو جزءاً من سواحل إنجلترا، لقطع المواصلات عنها؛ وعند ذلك تضطر أن تطلب منزلة ألمانيا بحرياً. فإذا أمكنها أن تمحو الأسطول الألماني، ولو أفقدها ذلك ثلث مراكبها الحربية، فعندئذ تقبل الدخول في الصلح.

البعثات الخديوية للحام بالحملة التركية. في ٥ نوفمبر أبدى الخديو كدره من عارف باشا؛ لأنه كلفه مهمة. هي الحصول على بعض استعلامات، فلم يقيم بها؛ وقد أملى سموه الأسئلة التالية ليحضر أجوبتها عارف باشا، وهي: —

(١) المدة التي يقطعها القطار المنصوص من الاستانة إلى بوزات ، وهل يسير ليلاً ونهاراً ، أو نهاراً فقط ؟ وأين يكون المبيت ؟

(٢) المسافة بين بوزاتي وقولاق بوغاز ، وبأية صفة تقطع ؟ وهل توجد سيارات أو عربات ؟

(٣) ماهي المسافة بين قولاق بوغاز واسكندرونة بالسكة الحديد ؟ وهل تقطع نهاراً وليلاً ، أو نهاراً فقط ؟ وأين يكون المبيت ؟ وما هو الأفضل : طريق اسكندرونة - حلب ، أو طريق ممورة - حلب ؟

(٤) المسافة بين اسكندرونة لحلب ٢٤٠ كيلو متراً على ما يقال ؛ فهل المسير على عربة أو سيارة ؟ ولم يستغرق قطعها ؟ وأين يكون المبيت ؟

(٥) من حلب لنابلس ، من أي طريق يكون المسير ؟ وهل توجد عربات للتغيير ؟ وما هي المسافات والساعات اللازمة لقطع كل مسافة ؟

(٦) من بعد نابلس إلى الحدود المصرية ، هل يوجد طريق للعربات والسيارات ؟ ومعرفة المسافات والساعات ؟

(٧) ما كيفية نقل العفش ؟ هل يكون على عربات ، أو على دراب ؟ وقد تقرر أن تكون التجريدة إلى الحدود من قبل الخديو مؤلفة من الشيخ محمد عثمان ، واليوزباشي محمد أفندي زكي ، والملازم الثاني أحمد سلام أفندي ، من ضباط المحروسة ؛ وعسكريين سودانيين ، وسائيس ؛ ومعهم من الركاب أربعة خيول

وهذه هي الأوامر التي صدرت مساء اليوم :

(١) تجهز ثلاثة خيول للركوب ، وربعها الحصان الأبيض ، وعليها أربعة سروج ، منها اثنان خصوصيان ، واثنان عاديان ؛ وأدوات نظافة وعليق وتبن لمدة ثلاثة أيام . تفتح الساعة الخامسة من صباح يوم الجمعة ٦ نوفمبر ، ومع الكل سائيس واحد وعسكريان سودانيان

(٢) عند الوصول لنابلس تترك الخيول وأدواتها والسائيس وعسكري سوداني والملازم سلام ، ويترك مع الأخير خمسون جنبا عثمانياً ، ومثلها انجليزياً ، ويخصص من كل من المبلغين خمسة جنيهات للصرف على الملازم والسائيس والعسكري ، لحين وصول عبد الله أفندي البشري ؛ وحينئذ يسلم المبلغ الباقي ، ثم يقوم الشيخ عثمان ، ورسى

أفندى، وعسكري سوداني للعريش، وينخذونها من كرا

(٣) بواسطة الشيخ القالوجي والشيخ حكيم من أهالي العريش، يحدث عن الأشخاص الذين كانوا مستخدمين في الحكومة المصرية، وفصلوا منها. وبعد ذلك يؤخذ من كل فرد منهم على حدة ما عنده من المعلومات، وذلك في محل أمين محكم؛ ثم يعمل عنها ملخص في رسالة ترسل مع مخصوص للحكومة العثمانية هناك، ويكتب عليه «مهم، ليسرع في إرساله لجبوتي بالبريد السريع؛ أما الأخبار المهمة التي يلزم إرسالها بالبرق، فترسل بالشفرة».

(٤) إذا رفض مأمور التلغراف تسليم البرقية. يخبر قومندان عموم الجيش في الشام بذلك؛ وإذا لم يرد منه ترخيص، فيرسل لنا برقية مفتوحة بذلك.

(٥) عند قيام أي بوستة من طرفهم، يرسلون برقية مضمونها: «اليوم بوستة مهمة، مثلاً».

(٦) عند الوصول إلى العريش، يلزم جمع من كانوا في خدمة الحكومة وفصلوا، من عساكر، وسعاة، وعمال تلغراف، ومخبرين ويسلون لرسي أفندي، لترتيبهم حسبما كانوا قبل فصلهم؛ إلا الذين يكونون في خدمة الجيش العثماني.

(٧) يقيم الشيخ عثمان في العريش، ويكون رسي أفندي مع الدوريات التركية، بعد الاتفاق مع ضباط الجيش، بحيث لا يكونون مشمزين من ذلك.

(٨) يكون البوليس في العريش مع رسي أفندي في الدوريات.

(٩) تتحقق من الأشخاص الذين يتجسسون لحساب الإنجليز، ويخبر عنهم.

(١٠) عند الوصول إلى طوروس، يستفهم بطريقة غير محسوسة عما عمل من الاستعداد لترحيل حملة الحدود.

(١١) ترسل برقية من آخر نقطة يصلون إليها، إن كان بالعريش تلغراف.

(١٢) يرسل من كل محطة كارت بوستال، كتقرير مختصر عن كل ما يرى.

(١٣) أخذ عليقة ثلاثة أيام من أطنه، وخمسة أيام من نابلس، بمعرفة سلام أفندي

(١٤) مقابلة قومندان الجيش بالشام. والتكلم معه في شأن إرسال التلغرافات الشفرة وغيرها مجاناً عند النقطة المركزية للحملة، ويؤخذ منه جواب للبرق بذلك، ويستعلم منه عن آخر نقطة فيها تلغراف.

(١٥) يرسل تلغراف من أطنه لعبد السلام الحسينى بالقدس، الحضور لنا باس ؟ ويستفهم منه عما إذا كانت توجد هناك خيام جاهزة ، وما نوع قاشها ، وما حجمها ؟ ويكتب بذلك مذكرة .

(١٦) يبحث عن الخيام بالشام ، ويعلم حجمها ، وعدد خاناتها ، وثمنها ، وجنس قاشها ؟ ويرسل بها مذكرة .

(١٧) يبحث فى العريش عن محل للمسكر الخديوى ، وهل جرى فى القلعة شئ . ؟
(١٨) إذا كانت الحكومة لم تحتل العريش للآن ، فيكون مركز الحملة خان يوسف بالليل ، ونهاراً بالعريش ؛ مع الحذر .

(١٩) عند وصول الحملة إلى النقطة النهائية ، يرسل تقرير لعبد الله أفندى البشرى صورة منه لسلام أفندى ؛ وصفاً للرحلة .

(٢٠) الإقامة بالعريش تكون بمنزل كريم أو الصالحي أو بالقلعة ، إن كانت سليمة .

(٢١) عند الوصول إلى غزة يستعلم عن كيفية ورود المخابرات التي كانت جارية بين قنصل انكلترا بها ومحافظ بور سعيد ، ومن هم الذين كانوا رسلهما .

(٢٢) يجمع العربان والمشايخ ، ويخطب فيهم بالواقع ، لتفهيمهم سوء معاملة الانجليز للخديو ، واستعداد سموه للدخول لمصر عن طريق البر . . . الخ .

وقد سمع عارف باشا من نظارة الحرية (ولعله من سليمان نعمان باشا الحكيم) أن سمو الخديو سيكون قومنداناً عاماً للحملة التركية .

وفى ٦ نوفمبر جاء طاهر رمزي باشا رئيس الباوران الخديوى سابقاً ، وطلب من أفندينا أن يكون فى خدمته عند الزحف على مصر ، كما أن الدكتور رؤوف باشا التركى الذى توطن فى مصر ، وحضر للاستانة ، طلب ذلك .

وفى ١٥ منه سافرت البعثة الثانية إلى الحدود ، وكانت مؤلفة من القائمقام توفيق فهى بك ياور الجناب الخديوى ، ومسعود أفندى عمر الملازم ، والصول موسى محمد ، وهما من السودانين ، وسبعة خفراء من الأتراك (قوروجية) ، وأربعة من العساكر المصريين ، وتركين من سائقى السيارات ، وثلاثة خيمية ، وأربعة سياس من المصريين ؛



توفيق فهمي بك

ومصرين ومعهم تعيينات ومهمات وخلافه . وكان يرافقهم اسماعيل ليوب بك ، حاملا
نسخ المنشور الخديوي^(١) ، ومعه ٥ من الشبان المصريين الذين كانوا يدرسون الطب
في لوندن .

وفي غروب يوم ١٦ منه ، وردت برقية بالشفرة من الشيخ محمد عثمان بدمشق
الشام ، يقول فيها إنه تقابل بكريس بك رئيس أركان الحرب الألماني مع قائد القوة
هناك ، وأن كريس بك أجابه إلى كل طلباته ، وبالطبع منها إرسال تلغراف بالشفرة ؛
وقد علم الشيخ أن التجريدة العثمانية لا ينتظر سيرها على مصر قبل سبعة أسابيع ، وذلك
لاتمام المعدات اللازمة لهذه الحملة ؛ وأن ألفي عري ، بقيادة ممتاز بك (صديق أنور باشا ،
وكان معه في طرابلس ، ومندوبه على الحدود المصرية) قد تحركوا على سكة العريش ؛
وأن ألفي عري آخرين تحركوا بقيادة ضابط آخر من جهة طريق العقبة . والمهم في
هذه البرقية هو أن الجناب العالي يستطيع الآن أن ينتظر مدة في الاستانة إلى أن يقرب
تحرك الجيش الحقيقي بعد سبعة أسابيع ؛ وهذا ما يفسر أن أنور باشا كان على الدوام
يدعو أفندينا إلى الانتظار .

(١) لم يكن المنشور قد أعدم حتى هذا التاريخ ، كما سبق في المذكرات

وفي ١٧ منه وصلت برقية ثانية بالتمنّة من النسيح، شأن، هذا نصها :

« كريس بك غير موافق على إرسال بعثة عبد الله فوراً إلى الدريش، ويستحسن بقاؤها في دمشق أو بيت المقدس، حتى يصل ترتيب؛ لأنه يخشى أن إرسال بعثة الجناب العالي من ينزع إلى الدريش، ومنها باشا ووليت وثمانية أنصار، يلتفت إليها، أما نحن فلا مانع من وجودنا بالدريش؛ وهو يلج في رجا، المحافظة على كتاب، سر، تكاتهم، وينصح ألا يقوم الجناب العالي من تبرقلى، إلا بعد أن يخبركم هو بذلك، لأنه أعلم من غيره.

وفي ١٨ منه رأى الخديو عمل يومية عن تنقلات البعثة من أفراح ومهمات، وأمر بجمع الأوراق المتعلقة بذلك، كما أمر رمزي طاهر باشا بمراجعتها.

وفي ١٩ منه سافر من الاستانة إلى أزمير، ومنها إلى الضمان، سراق السيارة الفرنسي مسيو ليفاسور، ليكون هناك في الضمان، ويرحل سيارتين إلى الاسكندرونة، فينتظر بها الأوامر ليقوم إلى جهة تعين له فيما بعد، انتظاراً لمرور الجناب العالي بها. وفي ٢٣ منه وصل القائم مقام توفيق بك فحسب قائم البعثة الثانية إلى الاسكندرونة؛ وكان المقرر أن تبقى بها بقية البعثة حتى يصل إليها الجناب الخديوي.

وفي ١٠ ديسمبر انتقد سموه على محمود افندي رسمى الضابط الذي أرسله إلى غزه، لأنه أطلع جمال باشا؛ وذهب إلى دمشق بدون إذن سموه.

في ١١ منه، في أثناء انتقال سموه من جبوقلى إلى بيك، أخرج من جيبه ثلاث برقيات من القائم مقام توفيق فحسب بك، قومندان البعثة الخديوية، يقول فيها: إنه صدر أمر من جمال باشا بواسطة قومندان الجهة، أن يقوم في الحال من بيلان، وهي الجهة التي هو بها، ويرجع إلى الاستانة؛ وأن أحد الضباط المصريين الذين هم تحت أمره في قولاق بوغاز، صدر له أمر بهذا المعنى. فأجابه توفيق بك على ذلك بأنه لا يستطيع أن يتحرك إلا بأمر من الجناب الخديوي، وأنه كتب إلى مرءوسيه بهذا المعنى. وبعد هذا طلبت السلطة المحلية أن تنقل الأشياء والحيوانات من بيلان إلى الاسكندرونة، وأن يبقى هو في بيلان إلى أن يصدر أمر الجناب الخديوي بالقيام، فرفض توفيق بك أن يصعد بهذه الإشارة بالمثل. وأبى أن يتحرك إلا إذا صدر له أمر أفندينا.

وفي ١٢ منه توجه سموه إلى بيك، وقابل البرنس ابراهيم حلى باشا، وسيف الله يسرى باشا، ومحمد عزت باشا. ثم محمد فريد بك؛ وقد أطلعته سموه على

الترتيبات الواردة من توفيق فهمي بك ، فكان وقعها شيئاً جديداً على فريد بك .

شهر نوفمبر التحريري في ظروف مختلفة . تحت هذا العنوان سجلنا حالات الخديو النفسية ، وشهوره في بعض الظروف التي كانت تجعله في الأستانة ، وبالقضية المصرية : ففي ٤ نوفمبر كان سموه يفكر كثيراً في المصريين بعد إعلان الحرب ، ويتساءل عن حالهم مع الانجليز . ويقول إن الموجودين الآن خارج القطر من السعداء ، فالحمد لله على وجودنا في الأستانة . وقال أيضاً : وأظن حالة رشدي باتت على الخصوص صعبة حزنه ، وأظهر التأسف والحنان على رجاله ، وعلى المصريين عموماً .

وفي ٥ نوفمبر قال الخديو : إنني أفسح أن عليّ واجباً مسؤوليته دائماً متى رجعنا إن شاء الله مصر ، وهو أن أمتنع تدخل الحزب الوطني أو أي حزب آخر في أمور الجيش . بل أجهله بعيداً عن السياسة ؛ وأجعله في الوقت نفسه مطلباً لي .

وقال سموه : إن ملك أسبانيا موجود في وسط أحزاب ثورية ، وديمقراطية ، وجمهورية ؛ ولكن القوة التي يعتمد عليها في بقاء ملكه هي قوة الجيش ؛ فانها في قبضة يده .

وفي ١١ نوفمبر كنت بحضرة الخديو مع فريد بك وليب بك ، فتأثرت بما فاه لنا به سموه . خصوصاً قوله : « إنني أهتم بالمسألة المصرية ؛ لأنني أعرف أن دم الأهلالي نشيط ؛ ويجب أن يعمل ، ويتقدم ، ويأخذ بالعلوم العصرية ، ويسير في طريق النجاح . وحرام أن تترك أمة لها هذه الصفات التي لولاها لما كنت أهتم بها ، وأشتغل لمساعدتها ، ولا كنت في الثلاث والعشرين سنة في الحكم ، وقعدت في بيتي . فاهتمى بالحملة واجب عليّ . كما يجب منع كل شقاق يحصل بين الأهلالي . نعم إنه توجد أحزاب ، ولكنها ترمى إلى غاية واحدة ، وهي خلاص البلاد من أي احتلال أجنبي . فأنا أساعد الجميع ؛ لأن غايتهم غايي . »

وفي ٢١ نوفمبر بعد أن تناول سموه الغداء ، أعرب عن أسفه ، لأن الأمة المصرية ليست بقادرة على إثبات حقوقها ، وحفظ كرامتها بقوتها الذاتية ؛ وروى أنه لما كان ولياً للعهد . كان يقرأ بعض أشياء ووقائع في الصحف . فلا تعجبه بعض التصرفات التي يقرأ عنها . ويفضي باحساسه هذا إلى المرحوم والده . فكان يصغى لما يقول ؛ إلا في مرة من المرات ، دعاه فيها أن يسكت قائلاً له : إن من يقول بقولك يجب أن يعتمد على قوة من الأمة ، والأمة — مع الأسف — ليست بذات روح . وما قاله سموه في هذه

الجلسة في سياق الكلام عن حياته السياسية : إننى لما توليت الحكم كنت صغير السن ، وأقت ثلاثا وعشرين سنة أنتقل فيها من شدة إلى أخرى : فقابلنى في أول أمرى مسألة إسقاط نظارة مصطلنى فهمى باشا ، وبعدها حادثة رياض باشا في الغيوم ، وطلب منى التوقيع على بلاغ رسمى باستحسانى لما شاهدته من نظام الجيش ، فسألته الانتظار حتى نبلغ القاهرة ، وربما تكلمت مع قنصل انجلترا الجنرال في ذلك . وطلبت منه أن يحصل عن خطته ، فصور لى أنه لابد من التوقيع قبل دخول القاهرة وإلا حدث ما لا تحمد عقباه ، فوقع . وما قصد الانجليز بذلك إلا أن يمسا نفوذى ، وينقصوا من سلطتى . وقد بقيت بعد هذا الحادث في حياة كلها صراع ، ودخلت البلد ولم يكن فيه غير مستشار الداخلية ، ومستشار الحفانية من الموظفين الانجليز ؛ ثم ما لبثوا أن ملثوا المصالح المصرية بهم . والمصلحة الوحيدة التى بقيت بأيدينا ، وهى مصلحة الأوقاف ؛ وكنا نظن أنها تبقى دون أن يمسا الاحتلال ؛ لأن لها علاقة بالدين ، ولكنهم في السنة الماضية أخذوها منا . وقد بلغ من تأثرى المترتب على هذا الصراع الدائم أنى اعتقدت أن شتاء السنة الماضية هو آخر شتاء لى في مصر ، وأن الانجليز سيمنوننى في صورة من الصور من العودة إلى بلادى . هذا فضلا عن التهديدات التى كانت موجهة لى شخصى . ثم انتقل سموه إلى فكرة أخرى ، قائلا : لقد عشنا طول مدة الاحتلال الانجليزى ونحن نقول : يجب ألا نعمل هذا حتى لا يفضب الانجليز . وإنى لأخشى أن تقول من جديد متى دخل الجيش العثمانى مصر ، يجب ألا نعمل هذا حتى لا يفضب العثمانيون ، فنبقى على الدوام عبيداً لغيرنا . إنى لست رجل مصلحة ، وإنما أنا أبحت عن مصلحة مصر ، قبل كل شئ .

فاذا كان دخولنا مصر لا يحقق مصلحتها ، فاذا يفيد دخولنا إياها ؟ وماذا نجدى عليها عودتنا إليها ، إذا كنا نجد فيها جماعة قد حولوا المصريين من كونهم عبيداً للانجليز إلى كونهم عبيداً للعثمانيين ؟ وكيف يضمن أى منا سلامته ، إذا دخل مصر في هذه الظروف ؟

ثم وجه الكلام إلى فريد بك قائلا : لا يبعد أن هؤلاء الناس يأخذونك أنت وغيرك للاعدام أو للسجن ، فهذه حالة سيئة .

وسكت سموه ثم قال : إننى رجل إذا قلت كلمة شرف ، تمسكت بها ، وإنى أجد الله على هذا الخلق . وقد أعطيت السفارة الألمانية كلمتى : أن أكون صريحا مع العثمانيين ،

وصافيت رجال الحكومة العثمانية ؛ ولكن هؤلاء الرجال لم يظهروا لنا صفاء
يقايل صفاءنا .

وقد اقترحت في نفس هذه الجلسة ثلاث اقتراحات :

(١) أن يسافر فريد بك مع الحملة العثمانية

(٢) أن يرسل معها قوميسيرا يمثل السلطة الخديوية ، وذلك لأنه عند دخول
الجيش يجب أن يعلم الناس أن هذه السلطة لازالت قائمة ، ولأنه من الواجب اشتراك
هذه السلطة مع الجيش العثماني في القيام بالأعمال القميدية اللازمة لحين رجوع الجناح
العالي إلى مقر ملكه .

قلت إن هذه الخطة كان قد اتبعها المرحوم توفيق باشا في الحوادث العراقية ، إذ
أوفد سلطان باشا وبعض ضباط المعية مع الجيش المحتل (وهنا قال فريد بك : وكان
مع سلطان باشا والدي أيضاً)

وفوق هذا فإن على الحملة مندوباً يمثل جمعية الاتحاد والترقي ، وهو اسماعيل
حقى بك ؛ ومندوباً آخر يمثل ناظر الحرية أنور باشا ، وهو ممتاز بك . فمن الواجب أن
يسير معها مندوب يمثل السلطة الخديوية

أما الخديو فلم يبد رأياً في هذا الموضوع .

(٣) أن يسافر أحد رجال الجناح العالي كيوسف صديق باشا مثلاً إلى أوروبا ،
لتعرف الحالة هناك بالانضمام إلى الأمير محمد علي ، وتكوين هيئة منها للحصول على
التأكيدات من بعض الملوك بعدم مس امتياز مصر .

وفي هذا اليوم قال سموه : إن بدرى بك ، الذي تولى التحقيق من قبل الدولة
في حادثة الاعتداء ، كان يعارض في القبض على الدكتور فؤاد ، ويقول : إنني أقبض على
كل من يطلبون القبض عليه إلا الدكتور ، فلماذا ذلك ؟ وهل بعد كل هذا يسمعون
له بدخول مصر ؟ وقال سموه : ولا شك أن دخوله علامة على نيات لانعرفها ، فهم
سيولونه إدارة الضبط ، وعند ذلك تصبح البلد سيئة الحال . ثم سكت سموه قليلاً ،
وقال : ماذا تكون الحال إذا أمرنا ناظر الحفانية في مصر بالقبض على الدكتور فؤاد
ومحاكمته ؟ وحينذاك يكون أول إشكال بيننا وبين العثمانيين .

ثم قال سموه على أثر إشارة أبدأها جلال الدين باشا : إن رجل عشت مرفوع

الرأس ، وأفضل أن أعيش فرداً فقيراً على أن أكون خديرياً في ظروف لا أستطيع فيها أن أخدم بلادي .

وبالجملة فقد كان الخديو في غاية التأثر اليوم من هذه الحوادث ، وكان كلما أبدى أحد رجال الخاشية أن هذه تدابير الشيخ جاكوبش أو الصدر الأعظم ، يقول : لا ، هذا عمل رجال الاتحاد والترقي .

وفي ٢٢ منه قال الخديو عن خطة الانجليز لإزاء سموه : إنهم ينتظرون قيامي من الاستانة إلى مصر بطريق البر ، ليعتبروا هذه الحركة عصباً لحكومتهم ، فيشرعوا بعد ذلك في تعيين البرنس حسين كامل ، وفي وضع أيديهم على أملاك الخاصة .

وفي ٢٤ منه ذكر سموه أن الأتراك يفسكرون في الطرق والوسائل الواجب اتباعها لمنع المظاهرات لسموه في أثناء مرور ركابه العالي في البلاد السورية . وبما فكروا فيه أن يجعلوا جلالة السلطان محمد الخامس يصاحب سموه بطول الطريق ، حتى إذا حدثت مظاهرات تكون متبيرة كأنها موجهة لجلالته لا لسموه .

وفي ٢٥ منه ظهرت وطنية سموه بأجلى مظاهرها في أثناء تناول الغداء ، وكان الكلام دأراً على الوطنية ، فقال : كيف لا تكون لي وطنية مصرية ؟ إنني لو رفضت عائلي هذه الوطنية لتبرأت منها . وكان هذا بمناسبة قول الدكتور سيد كامل ، بأنه عمل بدلة نفر عسكرية ، ووضع له أزراراً مصرية . فقال أفندينا : نعم ، وفاه بالعبارة المتقدمة .

في أول ديسمبر بعد مقابلة عباس تشفير ألمانيا ، وكلام سموه له بشدة عن معاملة الأتراك السيئة له ، روى لنا ما جرى بينهما وهو متألم أشد الألم ، حتى أنه قال :

إنني لم أخطئ مرة في عمري مثل هذا الخطأ ، ولم أفزع على يوزي (وجهي) مثلاً وقعت في هذه المرة . وأنا لا أدري بأي وجه أقابل الناس بعد وقوعي في هذا الفزع (أي بعد الثقة في رجال الدولة العثمانية ، وعدم مقابلتهم المثل بالمثل) . بأي وجه أقابل حسين رشدي باشا ، وقد أرسل يقول لي أن سياستي عظيمة الخطأ ؟ وعلى يكن باشا وهو الذي كتب تلغرافاً مقترحاً بأنه لا يوافق على هذه السياسة ؟ والمسكين محب باشا الذي بقينا نقتنه بصواب سياستنا حتى قال : ها إنني معكم ، وأباطله باشا الذي كنا نقول دائماً إنه لا يلبث على مبدأ ؟ وعثمان مرتضى ؟ هؤلاء الناس محقون ونحن المخطئون !

وذكر الدكتور سيد كامل سموه أنه من الضروري ترك الاستانة في أقرب وقت ، والإقامة في الخارج إلى أن تنتهى الحرب ، وأن ما يجب أن يعنوا به في الوقت الحاضر هو الخروج من أرض الدولة .

فقال الخديو : المسألة أن نخرج سالمين . ثم قال : لستم أنتم الذين أصابكم الرصاص الذي أصابني .

وذكر الدكتور سيد كامل أنه يجب بعد الخروج من حدود الدولة ، أن تصبح سياستنا قوية ، بحيث لا الانجليز ولا الأتراك يستطيعون أن يعيوا علينا خطتنا ، لأننا نخلصون لمبادئنا في خدمة مصر ، من أول الأمر إلى النهاية .

فقال الخديو : إن الأتراك أظهروا اشمزازهم لفكرة مصاحبة سموه للجيش العثماني إلى مصر ، حتى أن ولي العهد عر الدين أفندي طلب أن يرافق هو هذا الجيش بدلا من الخديو الذي هو أجنبي ، على قول ولي العهد . والخلاصة أن سموه كان يتألم لأنه وثق بالأتراك ، وتعاهد معهم ، فكانوا عهداه حتى أنه قال :

«إني لا أكاد أصدق أن هؤلاء الأتراك وهم مسلمون مثلي يخذعونني هذه الخديعة ،

في ٧ ديسمبر توجه الجناح الخديوي إلى بك ، حيث زاره فيها الدكتور خيرى باشا الطيب الخاص لجلالة السلطان ومعه ثابت بك ، ودار الحديث بينهما وبين سموه في مسألة زواج الأمير عبد المنعم من إحدى كريمةات السلطان ، فأظهر سموه نفوره وعدم ارتياحه لمحدثته في مثل هذه الظروف الحاضرة . ثم قال بالفرنسية : كنت أَرْضَى أن أصفح ، ولا أكلم في مسألة زواج . هل هذا الوقت وقت زواج ؟ وفي أثناء تناول الطعام اليوم ، صرح الجناح العالي بشدة ميله إلى فرنسا ، وأسفه على المصائب العظيمة التي تخيق بها في الوقت الحاضر .

وفي ١٠ منه حادث سموه حاشيته كالمعتاد ، فظهر أن ينظر إلى مستقبل القطر عند دخول الأتراك نظرة سوداء ، فقد طعن في إدارة الأتراك ، وتكلم عن عدم كفايتهم للحكم ، وذكر خطبة لسعد باشا زغلول عن حكم المصريين لأنفسهم وقال ، إني أحمد الله لأنه لا طريقة للواصله بيني وبين سعد باشا . وسيلم الأتراك من كلام سعد باشا أن هذا هو إحساس المصريين بدون تأثر مني . أما الفريق الديني المتطرف من الحزب الوطني وعامة الشعب فسيمجد الأتراك ، ويظهر نزورا لتوليهم الحكم في القطر . ،

ثم أبدى سموه تخوفه الشديد من أعمال الأتراك في مصر ، وأنه يتوقع منهم التخريب ؛ ولكن الذى يضاهه أكثر هو ليس التخريب المادى ، بل إفساد الأفكار وتسميمها ، حتى أن سموه يتوقع أنهم متى دخلوا القطر ، هبوا ثورة في البلاد سيئة العاقبة . وكان دائماً يقول : إن الأتراك بمجرد دخولهم ينشئون في طول القطر وعرضه جمعيات للاتحاد والترقى ، فيقسمون الشعب أحزاباً غير مفيدة للبلد ؛ وكذلك يستعمل القائد جمال باشا سلطته ، ويمتص دم المصريين ؛ ويجلس أحد المصريين المعادين لنا على بابه كتشريفاتى ، ليدخل العمد والأعيان ، فيأثونه بالمال والعقار . ثم قال سموه : ومن يدرينا إذا كانوا يستعملون ضدى السلاح من جديد (مشيراً بذلك إلى حادثة الاعتداء) واستشهد سموه على ما تقدم بأن الأتراك أدخلوا إلى مصر كمية عظيمة من الديناميت ؛ ثم عاد فأبدى خوفه الشديد من أن ينقاد المصريون إلى الأتراك انقياداً أعمى ، وقال : إن الأتراك ينوون لإبقاء جيش منهم في القطر (وهذا ما سمعته أنا أيضاً عندما كنت في روما من السفير العثماني) يقدر بثمانية آلاف عسكري ، لتعليم الجيش المصري . ثم عاد سموه فأظهر أن الحزب الداخلى إلى مصر مؤلف من فؤاد سليم بك ، والدكتور أحمد فؤاد ، وحلى المسلى افندى ، وأمشاطم ، سيشتغلون بأعادة حركة ثورية في مصر .

وقد حاول جميع الحاضرين تخفيف هذه الصورة السوداء التى رسمها سموه . ولكنه لم يقتنع ، وقال : سأذكركم بكلامى هذا فيما بعد ، فلا تنسوه .

وفصل سموه سياسة الأتراك نحوه في هذه الأيام الأخيرة ، قائلاً : إن رجال الحكومة هنا كانوا يريدون أن يدخلوا مصر ، ثم يضطروا مجلس النظار إلى قبول شروط يضمنونها له ، ثم يعودوا فيقولوا لى ها قد قبل مجلس النظار شروطاً كيت وكيت ، فاقبلها أنت بالمثل ، ويجعلوا دخولى إلى مصر معلقاً على قبول هذه الشروط . ولما علمت أن هذه ألويبتهم ، عمدت إلى طريقة لا قبل لهم بها ، فلم يستطيعوا مجاوبتى . ومنسافر من هنا حيث نحبط سياستهم القاضية بالزامنا قبول شروط يتوقف عليها دخولنا مصر .

وقال جنابه العالى بخصوص ما نقله محمد راسم بك عن قول محمد سعيد باشا : أنا أرفض رياسة مجلس النظار ؛ لأن خديو مصر ليس هو الذى يعينى ، بل يقول : لأن الخلافة في حرب مع إنجلترا وهذا كلام كاذب يقصد به التلق بآدى ذى بدء إلى رجال الحكومة العثمانية .

وفي ١٤ منه قال سموه إنني قد انتهيت من دورى فى الخديوية المصرية ؛ لأن الانجليز إذا انتصروا فلا أستطيع أن اشتغل معهم .

قلوب إيطاليا من الحملة التركية والتأمينات واشتراء القلعة لعمومها المجاهد .

فى ٦ نوفمبر بناء على تمديد يوسف صديق باشا لدى سفير إيطاليا ، وبناء على أمر الخديو ، زار اليوم فريد بك السفير المذكور ، وأكد له بصفته رئيساً للحزب الوطنى ، أن الأهالى لا يبعضون إيطاليا ؛ وأنه فى حالة دخول الحملة إلى مصر ، لا تقوم الأهالى بأى عمل عداىي ضدها ، وأنه يرجو أن تتحسن طرق المواصلات بمرأى بين طرابلس ومصر ، ويتسع نطاق التجارة ؛ فأظهر السفير ارتياحه لقول فريد بك .

وقد قال الخديو إن بعضاً من رجال الحزب الوطنى جرى مع الطليان على خطة تجعلهم لا يحسنون الظن بهم ، لأنهم طلبوا مبلغ مليون فرنك عن كل أسير من الطليان عند السنوسى ، وكانوا أربعين ألفاً ، ونزلت المساومة إلى ألف فرنك عن كل واحد ، وقال عبد الله طلعت بك لسموه بأنهم طلبوا مبلغاً كبيراً فى البداية ، حتى يصلوا إلى المبلغ الصغير فى النهاية

وفى ٧ منه اجتمعنا عند فريد بك ، وكان معنا اسماعيل لبيب والدكتور سيد كامل .

وافتتحت الجلسة بالحديث عما نشرته الجرائد التركية والألمانية فى سياسة الدولة مع إيطاليا ، وأن الأتراك لا يضمرون لها سوءاً من تجريدتهم على مصر . فقلت إنهم عملوا ما يجب عليهم ، كما أن فريد بك روى الحديث الذى حصل بينه وبين سفير إيطاليا

وفى ٢٥ نوفمبر زار سمو الخديو سفير إيطاليا ، فقال له السفير إن سفيرى ألمانيا والنمسا حضرا ، وأكدوا لى أن التجريدة التركية لا تغير شيئاً فى حالة مصر السياسية ، ولا فى الخديوية . ولكنى أسمع الآن أقوالاً كثيرة ، منها أن الأتراك ينوون ردم القناة ، فأين تذهب مصالح إيطاليا فى هذه القناة ؟ ثم أسمع أنهم يريدون جعل مصر ولاية عثمانية ، وهذا يخالف ماسمته أولاً ؛ وأنه يوجد خلاف بينهم وبينهم . فقاطعه سمو الخديو قائلاً : لا . ليس بيننا خلاف .

فأجاب السفير : إننى سمعت أنهم أرسلوا الدكتور أحمد قواد إلى مصر ، فاستغربت هذا الخبر . قال أفندينا : كل هذا إن شاء الله يزول ، وأوئل أن الإيطاليين يكون لهم حظ وافر ، ومناصب بمصر أرقى مما هم فيها . فسر السفير من هذا الكلام ، وقال : إننى لا أعلم

كيف يتمكنون من نزع السلاح من أعوان السنه سي إذا مضروا لمصر ، وتساندوا ، وأخذوا ما يلزمهم من الذخيرة (وهي فكرة سياسية تقدم لها إيطاليا وتعهد ، وتلج في عدم مكث الأتراك في مصر حتى لا يشتد ساعد السنوسيين) .

وفي ٢٧ منه وردت إشارة تليفونية على سراى بيك من يوسف صديق باشا ، يقول فيها بأن السفارة الإيطالية أرسلت برقية بالأمس تبلغ كلماتها ألفي كلمة ، وشملت المسائل التي تهمنا وتهمها ، وذكر أن سفير ألمانيا تكلم مع طلعت ، وأنور باشا ، و خليل بك رئيس مجلس المبعوثان ، لاعطاء التأمينات لسفير إيطاليا بخصوص الحملة التركية على مصر اشتداد القلق لاعلان الجهاد : وقد أعلنت الدولة الجهاد الديني ، فكان ذلك سبباً

في اشتداد قلق الإيطاليين (*) :

قوى إعلان الجهاد :

إذا هوجم الاسلام من قبل أعدائه هجوماً ما ، يهدد كيانه ، ويجعل البلاد الاسلامية عرضة لغضبهم وغارتهم ، حتى خيف على النفوس الآمنة بها أن تقع في ذل الأسر والاستعباد ، ودعا الخليفة إزاء هذه الحالة جميع المسلمين في مختلف الأقطار للزود عن حوزة الاسلام ، والدفاع عن عربته . فهل يفرض عليهم أجمعين ، شاباً كانوا أو شيوخاً ، مشاة أو فرساناً ، المبادرة إلى إجابته بأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ؟ عملاً بقوله تعالى « انفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم » . الجواب : الله أعلم ، يفرض عليهم ذلك فرض عين

كتبه الفقير اليه تعالى

خيرى بن موني الأركوبي

عن عنهما

هل يفرض والحالة هذه على المسلمين القاطنين في البلاد التابعة للدولة الانجليزية والفرنسية والروسية وغيرها من الحكومات التي قد أظهرت الآن عداها الكامن نحو الخلافة الاسلامية ، وأرادت أن تطفئ نور الاسلام - لا قدر الله - بأن هاجمت مقر الخلافة ، وسائر بلادها بخيلها ورجلها وأساطيلها ، أن يشقوا عصا طاعتها ويبادروا إلى قتالها ؟ الجواب الله أعلم ، يكون ذلك فرضاً عليهم . كتب الفقير إليه تعالى

خيرى بن موني الأركوبي

عن عنهما

وإذا تخلف، والحالة هذه، بعض المسلمين عن أداء واجبه ؟ في حين أن الغرض لا يتم إلا بتنبية الكل لنداء : « انفروا جميعاً » . هل يقترب بتخلفه هذا إثماً عظيماً ، يجلب غضب الله عليه ، ويستحق العقاب ؟ الجواب : الله أعلم ، يستحق ذلك .

كتبه الفقير إليه تعالى

خيري بن حوني الأركوني
على عنهما

وإن قاتل، والحالة هذه، المسلمون القاطنون في البلاد التابعة للحكومات المحاربة جيوش الدولة الإسلامية ، ولو كان ذلك باكرهاء من الحكومة المذكورة ، بأن تقتلهم أنفسهم أو أقاربهم ؟ هل يحرم ذلك عليهم قطعاً ، ويعتبرون قتلة يستحقون نار الجحيم ؟ الجواب : الله أعلم ، يكونون مستحقين له .

كتبه الفقير إليه تعالى
خيري بن حوني الأركوني
على عنهما

ولو حارب، والحالة هذه، المسلمون الذين تحت إدارة الحكومات المعادية للدولة الإسلامية وحليفاتها ألمانيا والنمسا ؟ وهي انجلترا وفرنسا وروسيا والصرب (يوغسلافيا الآن) وقره طايغ الموالية لها ؟ هل يأثمون بذلك وينالون أليم العذاب ؟ الجواب . الله أعلم . يأثمون لأن الدولة تتضرر من صلمهم هذا .

كتبه الفقير إليه تعالى
خيري بن حوني الأركوني
على عنهما

وفي ٢ ديسمبر بينما كنت في القطار في ميلانو قاصداً روما وجدت طليانياً يظهر عليه أنه من السياسيين ، إذ تبين لي في محادثة دارت بيننا ، تخوف إيطاليا من إعلان تركيا الحرب الدينية ، فقلت له إن الدولة لا تعني البلاد الإسلامية الواقعة تحت حماية إيطاليا ، وأنها أعطت التأكيدات القوية بذلك ، فقال : ولكن كيف يمكن منع التعصب الديني ، وقد قام العرب الآمن بمحاربة الإيطاليين ؟ والخلاصة أفي فهمت منه أنهم لا ينظرون إلى حرب الدولة في مصر بعين الارتياح .

وفي أثناء وجودي أيضاً في روما ، ظهر لي أن القلق سائد فيها من جراء الحملة التركية على مصر ، ومن إعلان الجهاد ، سواء كان ذلك في دوائر الحكومة ، أو بين الأفراد . فليراجع القاريء ذلك في محله .

مذكراتي في نصف قرن جـ ٢

كيف تمخبر عباس مع مصر بعد دخول تركية الحرب ومع المنفيين

في مالطة . لما دخلت تركية الحرب انقطعت المراسلات بين عباس والقائمقام ، وأعد الانجليز للوقف عدته ، وتيقظوا لخطورة الساعة ، ونشروا عيونهم في أرجاء البلاد ، تراقب وتنجسس وتعمل ؟ وكان الذين يفدون من الخارج ، وعلى الأخص من بلاد الأعداء ؛ أو من البلاد التي تماثلها — موضع تفتيش دقيق ، ومراقبة صارمة ؛ فكيف استطاع سمو الخديو أن يدخل إلى مصر — وهو على هذه الحال — رسائله ؟ هاك الجواب :

في ١٩ نوفمبر سافر الباشجاويش على إثر الضلبان . وكان الغرض أن يندس بين العمال السنوسيين الذين فيها ، ويرحل معهم إلى مصر ، باعتباره بحاراً ممن كانوا يشتغلون بحجة رودس ، وأوقف عمله ، ف يرجع إلى مصر ؟ ومتى وصل إلى الاسكندرية يقابل بعض المصريين ، ويعلم منهم أخبار مصر ، ويكتبها في ورقة ، ويضعها بين شقي لوح خشب ، من صندوق يحمل فيه ملائسه ، ويهربها ، ويحضر بها إلى الاستانة .

وفي هذا اليوم نشرف (ف . افندي) بمقابلة الخديو في جبوتي ، وأمر أن تكون عودته إلى مصر ، ونفقاته في الطريق ، على الجيب الخاص .

وقد كلف (ف . افندي) بأن يقابل عند وصوله إليها أحمد صادق بك ، ويعرفه . بأن الأخبار مقطوعة عنا ، وألا يترك بوسته تسافر إلا يرسل شخصاً معها إلى جبوتي ، يودعه أخبار مصر ، وأن يرسل أحمد قبودان ، وأبرهم قبودان في بردين متوالين . ويستمر على إرسال الرسل ؟ وأن تكتب الأخبار — بالخبير أو الرصاص — على حبر أبيض يخاط داخل بطانة معطف أو جاكته أو سروال ، وألا يكون الرسول من المعروفين بعلاقتهم مع السراي ، ولا تؤخذ له تذكرة إلى الاستانة مباشرة ؟ وإنما إلى رودس أو إلى حيفا ، بحجة الذهاب إلى المدينة المنورة .

وكان في الاستانة محمد افندي أبو نافع ، أحد المنتهين إلى الخديو ، وهو معروف بالجرأة والاقدام ، فكلفه الخديو بإدخال رسائله إلى مصر ، ودفعها إليه ، وقال له : هذا وقتك يا أبا نافع ، فأجابته باستعداده لتنفيذ أوامره ، ثم قال : هذه هي الرسائل وادفعها بيدك لأصحابها ، وكتب هذه الرسائل في جبوتي بحب باشا ، وصاحب هذه المذكرات ، ويوسف صديق باشا ، وعبد الله البشري بك ، والدكتور سيد كامل — باملاء سمويه . وقد وقع على بعضها ، ووقعنا نحن على الآخر .

وكان الدردنيل مقفلاً في ذلك الوقت ، والأتراك يعملون على ملئه بالانقسام ، وتحصينه ، فأخذ أبو نافع ، القطار إلى دده أجاج ، ومنها استقل الباخرة الأمريكية التابعة لشركة الحاج داود إلى مصر . فلما وصل إلى يبريه ، أرسل عيون الإنسكلز برقية مستعجلة إلى السلطات الانجليزية بمصر ، يلفتون نظرها إلى مصرى قائم مع هذا الوابور .

وقد علمنا فيما بعد أن الباخرة وصلت في المساء ، وفي صباح اليوم التالي ، صعد على ظهرها بعض الضباط الانجليز ، وحصلت مشادة كبيرة بينهم وبين القومندان ، فكانوا يصرخون فيه بالانجليزية التي لا يعرفها ، وهو يصرخ فيهم باليونانية التي يفهمونها . وجاء المسيرى بك إلى المركب في الساعة العاشرة ، واجتمع بأبي نافع ، ونصح إليه أن يعدم الرسائل التي يحملها ، وأفهمه بأن موظفى السراى أوصدوا أبوابهم حين علموا بقدومه ، خيفة أن يمر برسائله عليهم ، وسافروا إلى مصر . ولكن الموقف كان يتطلب رجلاً كأبي نافع حقاً . . . فانه أعطى كلمته لمولاه بأنه يوصل الرسائل لأربابها ، وكان عليه أن يعمل الممكن وغير الممكن لتحقيق الارادة السنية . وكيف كان يستطيع إعدام الرسائل والجند تحيط بالمركب من أسفل ، والضباط يملأونها من أعلى ؟ وهو إذا حاول حتى إحراقها ، أوقع نفسه في شبهة جسيمة ! فلما انتصفت الساعة الحادية عشرة كانت المشادة بين ربان المركب والضباط الانجليز قد بلغت أشدها . فانتهره أبو نافع ، الفرصة ، ونقل حقيقته إلى الغرفة التي تجاور غرفته ؛ وكانت لقنصل الروسيا في بيروت ، ومعه أسرته ؛ ثم أسرع فتدخل في المناقشة بين القومندان والضباط الانجليز ، وترجم بينهما من الانجليزية إليها باليونانية ، ففرح الطرفان بوساطته ، وزال سوء التفاهم من بينهما . ثم دعاهما للبدء بتفتيش غرفته ، ولما فرغوا منها وجازوها لغيرها ، أعاد حقيقته إليها . وبهذه الحيلة نجح في اجتياز العقبة الأولى من مخاطرته .

وكان أبو نافع (حماة اسبانيولى) ، والخبر الذى وصل السلطات كان عن مصرى يحمل الرسائل ؟ فلما دفع إلى الضباط بجواره أدخلوا سبيله ؛ على أن يقصد إلى الجرك ليفتش مرة أخرى . وفي ذلك الوقت وصل منيب افندى من موظفى السراى الحنديوية ، ومعه فلوك من فلاتك المحروسة ، يسيرها ستة من البحارة المصريين الأشداء ، فنزل معهم ، واستقلها إلى ناحية الجرك . فلما غاب عن المركب ، ودنا من الجرك ، أمر البحارة فاتجهوا بسرعة وبخفة لناحية الحوض الذى ترسو المحروسة فيه ، ثم خرج من رصيفها إلى السراى ؛ ولما لم يجد أحداً بها توجه إلى المحطة رأساً . وهناك وجد كبار

الموظفين ، وكان أباطه باشا معهم ، يقصدون الرحيل بقطار الساعة السادسة مساءً إلى القاهرة ، فركب معهم ؛ وكان الذهر من وجوده بينهم يقرأ على جباههم ، وسلمهم الرسائل التي تخصهم . ثم استقل هو قطار الركاب إلى القاهرة ، وسلم الرسائل إلى أصحابها . ذلك تفصيل وصول رسائل سمو الخديو إلى أصحابها ؛ أما مضمون هذه الرسائل فكانت توصية من سموه لكبار مملكته بأن يقفوا في صف بلادهم ، وألا يأمنوا خصومها ، وبأنه اعتزم على أن يعمل على تحرير بلادهم ؛ وطلب إليهم أن يكونوا عند حسن ظنه بهم .

قبض الانجليز على بعض المصريين الموالين للخديو ونفيهم إلى الخارج : لما سافر عبد الله البشري افندي بالأمر إلى دده أفاج ، اتصل بجارة الباشرة سعيدية . وقد علم من التحريات التي أجراها :

أولاً — أن الحالة في مصر على ما هي عليه ، وأن مصلحة الخاصة الخديوية والمعية السنية تفتتلان كالمعتاد .

ثانياً — أنه قبض على بعض المصريين ، وأودعوا سجن القلعة أو طره ، ومن بينهم محمد ابراهيم افندي رئيس القسم التلغرافي في المعية السنية ، وحسن حلى بك ، وحامد العللايل بك من رجال التشرifications ، وياورآخر ، والمظنون أنه حسن حتى شقيق افندي — وقد أرسلوا إلى مالطة .

ثالثاً — أن البرنسات : محمد علي ، وعزيز حسن ، وكال الدين ؛ ومحب باشا ، قد أخرجهم الانجليز من مصر ، على أن يقيموا في إيطاليا .

فقال سموه عندما علم بهذه الأخبار ما يأتي :

« إن حامد العللايل بك كثير الكلام . فهو ينتقل من فندق إلى آخر ويتكلم ؛ ولكن الذي لا أفهم له معنى هو القبض على حسن حلى بك النفلان . » ثم قال سموه إنه من الغريب لما كان في الاستانة ؛ كان يقول إن المصريين يقاومون عن آخرهم هجوم الأتراك على بلادهم . ولما دخل عند الانجليز فبضوا عليه .

وقد قبض الانجليز على أبي نافع لتسليمه الرسائل لأصحابها . وقد كتب سمو الخديو كتاباً للمتقلين المصريين . هذا نصه :

« عزيزي حسن :

« علمت بخبر اعتقالك . وأمين حلى . وأبي نافع . والصاحي . والعللايل .

وعبد الرحيم صبيح . وإرسالكم إلى مالطة ؟ فبقدر ما ساءنى الحجر على حريتك ، قد سرفى إخلاصكم وحيثكم . إننى أعطف من قلبى عليكم ، وأقدر تضحيتكم . ولا شك أنكم تحملون الأسر بالشجاعة المعهودة فيكم . إن الله أعظم من أن ينسى لبلادنا مظالم نخصومنا . وإذا كان من الملى أن أعرف بما أصابكم فى سيل البلاد ، وفى سبيل ؟ فافى متهيج فى الواقع لمضى الانجليز فى التشكيل بالبلاد ، وبأهلها ؟ ليعلم من يحسن الظن بهم أن هذه فعالم . ولما تصح البلاد لهم فما يفعلون غداً إذا تحقق لأقدر الله حكمهم بضما للأملك الانجليزية ؟ أقبلكم فرداً فرداً ، وأرسل إليكم تحية بمروجة بشوق وعطف وسلام ؟

عباس حلي

وفى ٢٣ نوفمبر حصلت مباحثة أمام أفندينا ، كان موضوعها كيفية إرسال تعليمات إلى رشدى باشا عند دخول الجيش التركى إلى العاصمة ، خوفاً من أن جمال باشا يستأثر بأعمال مصر الداخلية ، وربما ارتضى الأهالى على أقدامه ، وتملقه رجال الحكومة أكثر من اللازم . فأجاب أحدنا بأن (ى . بك) ينوى دخول مصر ، فيمكن أن ترسل إليه أوامر أفندينا ، وهو يلفها إلى رشدى باشا ؟ فقال سموه إنه لا يمكننا الاعتماد على البك المذكور ، لأنه ربما منعه الانجليز من دخول مصر ؟ واقترح إرسال المسيو سمناتى المهندس المعمارى ، وابنه الموجود فى إيطاليا . وفكر ابراهيم أدم بك فى تكليف الشيخ حازم الموجود بالمدينة المنورة بهذه المهمة . وطلبنا حضوره إلى حيفا ، وهو مقدم الحمل المصرى ، ومعروف عند الحكومة ، وذكى ، وله معاملة مع المالية المصرية . فلاحظ أفندينا أنه ربما منع من دخول مصر ، ولم يقرر شئ .

وفى ١٤ ديسمبر بينما كان عباس فى الرفاص ، قاصداً المحطة للسفر منها إلى فينا ، وجه كلامه إلى الشيخ الهورينى إمام سموه ، فقال إنه مكلف بمأوريتين ليقضيهما بهجرده وصوله إلى مصر :

الأولى : عليه أن يسمى ، ولو بالواسطة ، لتعريف احمد صادق بك بتوصيل نقود سموه ، ذهباً كانت أم ورقاً مصرى ، إلى إيطاليا ، باسم احمد شفيق باشا ؛ ويكون التوصيل إما بواسطة رسول لا يعرف أنه من السراى ، سواء كان وطنياً أو أجنبياً ، أو بواسطة بنكودى روما .

الثانية : هى أن يأخذ معه أوراق التوكيل الرسمية ، ويضعها تحت بطانة الحقيبة .

وبمجرد وصوله، يتفق مع عثمان مرتضى باشا، وأحمد صادق بك في عمل الوقفية اللازمة بحضور مأذون العقود في المحكمة الشرعية.

وكان سموه اشتغل منذ عشرة أيام في إعداد توكيل شرعى للشيخ البوريني، يخول له حق وقف جميع أملاك الجناح العالى في مصر. وقد وضع في التوكيل جميع شروط هذا الوقف بالتفصيل.

عشرى مصر يعين عباسى وهز الدين وسعيد سليم . في يوم ٢٠ نوفمبر توجه سمو الخديو، ومعه يوسف صديق باشا، وعارف باشا، وتوجهت معهم لتهنئة جلالة السلطان بالسنة الهجرية الجديدة. فلم سموه من جلالته، أن جمال باشا عين قائداً عاماً للحملة المصرية، ثم قال لجلالته: «لأنه يوجد مناظر لسوك، وهو الأمير يوسف عز الدين افندى ولى عهد السلطنة؟ وقد توجه إلى الصدر وقال له: بما أنه غير معترف بولاية عهده، فهو يطلب تعيينه خديوياً على مصر». ثم إن جلالته قال لسموه إن الأحسن الانتظار في الاستانة، وعدم الاستعجال في الالتحاق بالحملة. وقد كان الخديو يعتقد في تعيين جمال باشا، أن الحكومة العثمانية تريد بذلك أن يكون بمصر رجل قادر على العمل عند دخول الجيش العثمانى؛ ويظهر سموه تحوفه، وخصوصاً أنه كان يحسن أن يتقابل القائد مع سموه قبل سفره للتفاهم معه. ولكن جمال باشا مسافر غداً، ويقول سموه إن هذا القرار لابد أنه صدر اليوم، وهكذا فإن قرارات الحكومة تستصدر في آخر لحظة.

أما عن طلب ولى العهد أن يكون خديوياً، فإن سموه أجاب السلطان بأنه إذا صدرت إرادته بهذا التعيين، فإن سموه يرافقه إلى مصر، ويجلسه على الأريكة؛ كما علمنا أن يوسف عز الدين طلب أن يرافق الحملة الراحفة على مصر. أما قول جلالة السلطان بعدم الاستعجال للالتحاق بالحملة، فظن سموه أن رجال الحكومة العثمانية طلبوا من السلطان أن يفهمه ذلك.

وقد جاء البرنس إبراهيم حلى، وقال إنه سمع من الصدر بأن جمال باشا تعين قائداً للحملة بدلاً من زكى باشا؛ لأن الأخير عين مندوباً عثمانياً لدى إمبراطور ألمانيا. ويقال إن فون ادرغرايز باشا سيعين مندوباً ألمانيا لدى جلالة السلطان. وسأل الصدر الأعظم البرنس إبراهيم عما إذا كان مستعداً للسفر. فقال: نعم؛ ولكن في أى وقت نسافر؟ فقال الصدر: إننا لا نريد أن يتوجه الجناح الخديوى قبل عبور الجيش العثمانى

قناة السويس؛ لأنه لو انتصر الانجليز على العثمانيين هناك، مع وجود الخديو، فالتأثير يكون سيئاً. وقال البرنس ابراهيم للخديو، إنه يرى أن معنى ذلك هو أن الأتراك يريدون أن يظهروا أنهم هم الذين فتحوا مصر وحدهم؛ وبعد دخولهم عاصمة البلاد يقولون لسموه: «اتفضل ادخل».

أما بالنسبة لمطامع الصدر سعيد حليم باشا فإن كل من يقرأ هذه المذكرات يجد فيها شعور الخديو بأن الصدر راغب كل الرغبة في عرش مصر، وهذه الرغبة كان يحسها أيضاً سفير ألمانيا ورجال الاتحاديين. ومن ذلك أنه في يوم ١٤ نوفمبر سمع فريد بك أنور باشا، في حديث دار بينهما بخصوص معاكسة الصدر للخديو ورجال الحرب الوطنى يقول: «إن الصدر يحلم بالخديوية المصرية حتى صار مثوساً بهذا الحلم، سمعتى السياسية في إيطاليا ومحادثات هامه ومقابلتى مع الملك وصادق بيننا من المحرمات ومحادثات أخرى مع المصريين وغيرهم». في ٢٥ نوفمبر تقرر سفرى إلى إيطاليا لمهمة سياسية لدى ملكها؛ ومن الأوامر التى تلقيتها:—

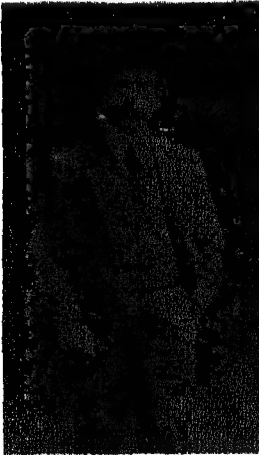
- ١ — إبلاغ الملك تحيات عباس واحتراماته له؛ وأنه لا ينسى الصداقة الموجودة بينه وبين العائلة الخديوية من قديم.
- ٢ — التماس نقله من الضلالت إلى إيطاليا على مركب حربى، إذا أذنصر الأتراك سوءاً.
- ٣ — مساعدة جلالته لو انتصرت انجلترا لتسوية حالته المادية.
- ٤ — أخذ رأيه في إمكان نجاح الحملة التركية من عدمه؛ والسعى في أن تطلب إيطاليا الأتيس الفرمانات الخديوية.
- ٥ — التأكيده له بأن مصر تحافظ على صلاتها الودية مع إيطاليا إذا أصبحت الحملة.

ومن الأوامر أيضاً، استطلاع الحالة فيها وفي سويسرة. وقد أمر باستخراج الجواز، ووضعت شفرة مع سموه بحمل متنوعة متفق على معانيها؛ وودعته كما كنت ودعته أسرتى مساء؛ ثم نزلت إلى بلك لهذه العناية؛ وأخذت من الوالدة خطابات للأخيرين محمد على، وكال الدين؛ وخطاباً لابنتها الأميرة نعمت هانم، وآخر لمحج باشا من حرمه؛ ونزلت، وقضيت الليلة في فندق شاهين باشا، بالقرب من محطة شركة حى

وأخيراً أمرني الخديو بمعرفة أسباب خروج الأمراء ، ومحج باشا ؛ وعلى أى شرط تم ذلك ، ومعرفة أخبار مصر الحقيقية ، وأفكار رجال الحكومة المصريين والمحتلين والأخبار العسكرية والجيش المصرى وأفكار ضباطه — معنى الحالة العسكرية والادارية والسياسية .

وفي أول ديسمبر ، وصلت إلى لوزان ، وقابلت هكسيوس ، وعلمت منه أن سويسرة ملائى بالجواسيس لحساب ألمانيا ، وانجلترا وفرنسا ؛ وقد أفصحت له عما أعلمه عن حالة أفندينا مع الأتراك والألمان . ثم حضر فهمى أفندى قبل منتصف الليل ، فأكبرته كذلك بما أعلمه وقص على ما يعلمه ؛ ومن ذلك أنه باقى على قرارنا الذى قررناه فى الاستانة بخصوص إرسال مندوب سرى لمصر . ثم سلبته صورة من الأوامر المطلوب توصيلها إلى حسين رشدى باشا ، بالاحتياجات اللازم اتخاذها عند دخول الجيش العثمانى مصر .

وفي ٢ ديسمبر سافرت من لوزان فى الساعة السابعة ، ووصلت إلى ميلانو فى الساعة الرابعة .



محج باشا

محدثتى مع محج باشا : وفى ٣ منه وصلت فى الساعة التاسعة والنصف إلى روما ونزلت فى فندق الكنتنتنال أمام المحطة ؛ وكان فى انتظارى هناك محج باشا ، فتحدثت معه إلى الظهر وأبلغته تحيات الخديو وأن ثقته به كما كانت ، وأنه آسف لخروجه من مصر وحضوره إلى إيطاليا ؛ فقال إنه كان متخوفاً من الوشايات به عند أفندينا ، حتى أنه كان ينتظر أن يستدعى إلى الاستانة ؛ فلما لم يأت خبر بذلك توهم أن سموه غير راض عنه ، وخصوصاً أنـ

ذلك قد انتشر فى مصر عقب البرقية التى أرسلت إلى القائمقام الخديوى ، ألا يحضر إلى الاستانة حتى يصل أحمد صادق بك . فأفهمته أن السبب هو أنه كان قد تقرر استدعاء عدلى باشا لإقناعه بأن يقنع رشدى باشا بتفصيل الخطة التى رسمها أفندينا ، ولم

يوافق عليها رشدى باشا. وبناء على ذلك كان من المستحيل استدعاؤه مع عدلى باشا وقال لى محب باشا : إن رجال الحرب الوطنى كانوا قد ظنوا أننى غير مخلص ، وإننى انجليزى ؟ ولكن لما علموا بمعاملة الانجليز السيئة لى ، جاءنى ليلا بمحمود فهمى حسين بك ، وقال لى إن الحرب الوطنى كان يظن بك السوء ؟ ولكنه تحقق الآن من وطنيتك . ثم قال إنه يعلم بوجود دكريتو على يساض بتعيين الأمير عزيز حسن رئيساً لمجلس النظر ، بدلا من رشدى باشا ، لاصداره وقت اللزوم ؛ وبوجود منشور من أفندينا للامة المصرية لتحريرها على الثورة ؟ وآخر من قائد التجريدة العثمانية . وأنه يوجد كشف بأسماء مائة وخمسين شخصا - منهم محمد سعيد باشا - منوى إعدامهم . قال محب باشا وإن بدر الدين بك أخبره بأن المقابلات بين أفندينا وفريد بك والشيخ عبد العزيز جاريش كانت سرية ، ثم حدثنى عن خروجه من مصر ، قائلا إنه تكلم مع الانجليز بألفة ، وأهمهم بأنهم أخطأوا بمنع أفندينا من الرجوع إلى مصر ، لأنهم أجبروه بذلك ، على أن ينحاز إلى الأتراك ؛ فاشمار الانجليز من هذه اللبقة ، وقالوا لرشدى باشا بأننى أتفوه بأشياء لا يصح التفوه بها . ومن جهة أخرى فإن القائمقام الخديوى قد نفر منى لمناقشاتى له فى بعض المسائل الاقتصادية ، فتور على ، وألجأتنى إلى الخروج من مصر . قال محب باشا : ثم قابلنى رشدى باشا فى اليوم الثانى على افراد ، وسأله عن سبب هذه المعاملة ، فاتهمنى بأنى أسعى لاحتلال مركزه ، إذ كنت أعالفه فى كل مسألة ، اتباعاً لأوامر أفندينا . فأقنعته بعدم محبة ذلك ، فلففت سورة غضبه .

ثم قال : وكان الانجليز يرضون أن يأخذوا منى معلومات عن حركات أفندينا وسكنااته وأفكاره ، فبخلت بها . فلماذا ، وللسببين المذكورين . قرروا عدم وجودى فى مصر وقال أحدهم أن أقصد مالطة .

ولما قابلنى شيتهم قال لى إنه يرى منى أجارة أنفسهم فى الخارج ؛ وطلب منى تعيين البلد . فقلت أذهب إلى لندن ، فرفض . فسأله أن يختار لى بلداً آخر ، فقرر سفرى إلى إيطاليا . ثم طلبت مساعدة مالية فأعطونى ثلاثمائة جنيهه قرصاً وضمنوا لى رانى (والذى أعلمه من آخرين أنه أخذ ثلاثمائة جنيهه ثم احتسبوا له ثلاثة جنيهات عن كل يوم قضاء فى الاستانة ؛ مع أنه كان فى أجارة ، وضمنوا له راتبه فى مدة الحرب .)

وأبلغنى محب باشا ، أن النظرار جميعاً عند الأتراك ، ما عدا حلى باشا ناظر المعارف ؛ ثم قال : والانجليز يقولون إنه ليس فى إمكان عباس حلى باشا أن يرى

جو مصر مطلقاً ، لأنهم يمتدّون أن له يدأ قوية في تجريدة مصر ، وأنه خانهم ، وأنه سائر مع الحملة .

وقد دعاني البرنس عزيز حسن للعشاء عنده ، وكان معنا نافي بك سفير تركيا ، ومحب باشا ، ومحمد يكن باشا ، واثنان آخران ، أحدهما يسمى فنسى من السفارة التركية وكان في مصر ويعرف العربية والألمانية .

عادتي الأولى مع البرنس محمد علي باشا : وفي ٤ منه ، قابلت البرنس محمد علي باشا وسلبته خطاب والدته ، وطبّنته على محبتها ، وأخبرته بالحوادث التي دارت بين شقيقه والانجليز والأتراك ، وطلبت منه أن يرافقني إلى سراي جلاله ملك إيطاليا لتبليغ جلالته سلام أفندينا واحتراماته ، فرفض قائلاً : إنني عرمت على ألا أتمدخل في شيء ما . لأنه لم يرسل لي بطاقته ردأ لزيارتي للسراي ؛ ولو أن رئيس الوزراء أرسل لي بطاقته ردأ على بطاقتي لفعلت ؛ ومن ذلك استدلت على أن رجال الحكومة لا يريدون خرق الحياء حتى في هذه الأمور ؛ وإلا لكان الملك استدعاني لزيارته . ثم طلبت من البرنس أن يرافقني إلى برلين لمقابلة الإمبراطور أو من ينتدبه جلالته لتقديم احترام أفندينا وشكره له على عنايته بتجريدة مصر ، فأجابني البرنس بالرفض أيضاً .

عادتي الأولى مع مسيو بتشيل : وفي ٥ منه قابلت مسيو بتشيل رئيس مجلس إدارة بنك دي روما ؛ وكان معي محمد يكن باشا وعبد الحميد شديد بك ؛ فبلفتهم سلام أفندينا ، وتوصية سموه لي أن يكون كل أمر أريد عمله بعمله ونصيحته ؛ وأخبرته أن المطلوب استحضار نقود من مصر إلى هنا لتوصيلها إلى أفندينا في الاستانة ، فقال : إن ذلك صعب ، ولأننا ننظر في تقديم نقود لأفندينا من هنا ، وفهمت أنه لا يدرى شيئاً كثيراً من معاملات البنك . وعلى كل حال فقد وعد بالنظر في المسألة مع عبد الحميد شديد بك ؛ ثم كلمته في الحالة السياسية بين إيطاليا والدولة بالنسبة للتجريدة العثمانية على مصر ، وبأن الأتراك بأفندينا وسفيرى النمسا وألمانيا أعطوا التأكيدات لسفير إيطاليا بأن غرض الحملة هو لإخراج الانجليز فقط ، وإرجاع حالة مصر إلى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ ؛ أعني أن تستمر مصر حافظة لامتيازاتها ، وبعد الصلح تخرج المساكر التركية منها . قلت : إنه ربما كان هذا التصريح الشفهي غير كاف ؛ فيمكن إيطاليا أن تطلب استصدار إرادة سلطانية بهذا المعنى ؛ فتكون حجة قوية على الأتراك .

فقال المسيو بتشيلى : لست سياسياً ، ولا يمكن أن أبدى أية نصيحة في هذا الموضوع . ولما علم منى أننى أعرف مسيو دومرتينو ، الذى كان قصلاً عاماً في مصر ، ويشغل الآن وظيفة في وزارة الخارجية ؛ طلب أن أتكلم معه في هذه المسألة أو مع رئيس مرافق الملك ؛ وفهمت من مسيو بتشيلى أن لهذا الرئيس كلمة مسموعة عند جلالته . وقد أرسلت خطاباً إلى كبير أمناء الملك ، طلبت فيه مقابلته لتبليغ رسالة من الجانب الخديوى لجلالة الملك ، فأجاب بأنه يقابلنى غداً صباحاً :

محادثة مع كبير الأمناء : وفي ٦ منه توجهت صباحاً إلى سراى الملك وقابلت كبير الأمناء وأبلغته سلام الخديوى وأفهمته أننى حضرت للاستعلام عن حالة البرنس محمد على ، وباقي البرنسات والبرنسياسات ؛ وأن دولة الوالدة هى التى طلبت من سمو الخديوى ذلك ، فأرسلنى لهذا الفرض ، وأمرنى أن أحضر إلى السراى لتقديم واجبات الاحترام من لدن سموه لجلالة الملك ؛ لأنه لا ينسى مطلقاً الوفاة المحسنة التى لقيها في السنة الماضية ؛ وأن سموه يبذل كل جهده في تأييد هذه الرابطة الودية ؛ وذكرت أن علاقات سموه بسفير إيطاليا في الاستانة متينة جداً . فقال : نعم إنى أعلم ذلك . ثم قلت : إنى تحت أوامر جلالة الملك في كل ما يريده من الاستعلامات عن الحالة السياسية في الاستانة ومصر . فأخذ الجنرال مذكرة بذلك ، وسألنى عن مدة مقامى في روما ، فعرفته بأنى حازم على التوجه إلى نابولى ، لمقابلة الأمير كمال الدين (*) على أن أرجع في المساء ، وأنى ربما أقت بروما أيضاً يومين أو ثلاثة . ثم شكرته على حسن استقباله .

محادثة مع نابى بك : وزرت نابى بك سفير الدولة ، فأبلغته تحية أفندينا ف شكر . ثم تكلمت معه في الأحوال الحاضرة ، فعرفنى أن الايطاليين متخوفون من التجريدة على مصر ، فطلب منهم كثيراً . وأنه لما جاء (ع . بك) أخيراً طلب من البرنس محمد على أن يصرح للاطليان من قبل الخديوى بذلك ، فرفض ، فقلت له : إنى مستعد لاجراء اللازم فأرشدنى إلى دومرتينو ، وقال : إن علاقاته به طيبة جداً . وفهمت من كلام السفير أنه بعد إخراج الانجليز من مصر ستبقى فيها حامية تركية ، وهى التى ستحافظ على قناة السويس ، وأن امتيازات مصر لا تمس . وبعد دخول الجيش العثمانى مصر يسافر

(ه) وقد سافرت في اليوم نفسه إلى نابولى ، وتقبلت مع البرنس والبرنيس ، وعلبت منهما أن سبب خروجهما من مصر هو عدم اتفاقه مع والده في المسائل السياسية ، ففضل البرنس الابتعاد عن مصر ، وقد سلبت لها خطابات الوالدة .

الحديد إليها ، كأنه احتلال عثماني بدل الاحتلال الإنجليزي ؛ قال : وليطمئن
الطليان على طرابلس الغرب ، اتفقنا على أن نائب السلطان فيها يصدر منشوراً يقول
فيه : إن إيطاليا حليفة لحلفائنا ، ولأنه على المسلمين أن يعتبروها محبة للخليفة ، حتى
يهدأ العرب ويخمدوا إلى السكون ؛ لأن إعلان الجهاد حرك فيهم التعصب الديني كما
يدعى الطليان .

وقال السفير : إنني على العموم مجتهد في إزالة سوء التفاهم بيننا ، حتى نصل إلى
غايتنا من التجريدة .

أما السنوسي ، فإن الأخبار الواردة من مصر تقول بأن المحادثات جارية بينه
وبين الإنجليز .

وفي هذا اليوم أرسلت إلى أفندينا برقية رمزية أيل فيها : بقم محب باشا في
نابولي حراً بعد أن أعطى عهداً ؛ ويقال إنه جاء بمهمة من قبل الإنجليز ، ويستند أن
الحالة في مصر سيئة بالنسبة للإنجليز ، وأن الرأي العام في جانب حملة تركيا ، وأن
رشدى وبقية النظار ضد ذلك ، وأن الأحكام العرفية أعلنت في مصر ، وأن الجنود
المصريين لا يحاربون ، لأن عدد الجنود الإنجليز يبلغ سبعين ألفاً .

وفي ٦ ديسمبر أرسلت برقية إلى محمد فهمي أفندي بجنيف أستعلم منه عن الخطاب
الذي كنت سلمته إليه ، ليحمله أحد المسافرين المصريين إلى مصر ، لتوصيله إلى
صاحب العطوفة حسين رشدى باشا ؛ فوردت لي يوم ٧ منه برقية يقول فيها :

« أعيد إليك الخطاب داخل مظروف موصى عليه ، نظراً لسفر الشخص الذي
كان سيحمله إلى مصر . » وفي اليوم نفسه تسلمت المظروف المنوء عنه .

وفي ٧ منه وصلني كتاب من الجنرال تيموني رئيس مرافق جلالة ملك إيطاليا ،
ينبئني فيه بأن جلالاته سيقابلني مقابلة خصوصية في الساعة الثانية والثالث بعد ظهر يوم
١٠ ديسمبر .

وفي اليوم المذكور ذهبت إلى قصر جلالة الملك في الميعاد المحدد للمقابلة ، وكنت
أرتدى الريدنجوت كنص الدعوة ، وفي أثناء انتظارى حضر نائب بك سفير الدولة من
لندن جلالاته ، وأفهمني أن جلالاته سأل عني ، فأخبره بما يعلّسه عن وظيفتي وعلاقتي
بالجناب الحديوي .

محادثتي مع الملك . وقد تشرفت المشول بين يدى جلالة الملك ، ولم يكن فى المقابلة شئ من أهة الملك ، وقد دعانى إلى الجلوس بجانب جلالتى . وبعد أن أبلغته



فكتور عانويل

تحيات وتعظيمات الجنب الحديوى ، شكر أولاً ؛ ثم سألتى عن حادثة الاعتداء ، وعن المعتدى ، وعن التحقيق ، وعن صحته ؛ فأفهمته بكل معلومأتى ؛ فلم يبد أية ملاحظة . وامتد الحديث إلى علاقات الحديوى بالأتراك ، وإلى التجريدة التركية التى سیرت إلى مصر ؛ فأعربت لجلالتى عن تأكيدات الجنب الحديوى لجلالتى بأن لا خوف على علاقات الجوار الحية بين مصر وطرابلس ؛ وبعد ذلك أبلغته أوامر الحديوى ، فأجابنى بأنه لا ينسأه ، وأنه مستعد لطلباته ، وقال : إن الحملة التركية إن كانت منظمة ، يمكنها اختراق سيناء وعبور القناة .

وقد كان شعورى بعد هذه المقابلة الملكية ، أننى ألفتى لجلالتى على جانب عظيم من الدعة واللطف ، وأنه يذكر مصر والأسرة المحمدية العلوية خير ذكرى .

محادثتى الثانية مع نابى بك : وفى ١١ منه زرت نابى بك وأعلتته بنتيجة مقابلتى لجلالة الملك ، وكذلك ما قلته بالنسبة للصلات الحية التى بين مصر وإيطاليا ، حيث أكدت لجلالتى ألا محل لما يبدو من التخوف على طرابلس من هذه التجريدة .

وفى هذا اليوم كنت أرسلت برقيات إلى يوسف صديق باشا بكل ما أقوم به من الأعمال التى كلفت القيام بها ، فوردت لى اليوم برقية من بك فى الاستانة يقول فيها : البرقيات الثلاث المرسلة منكم وصلت ، وهذه البرقية هى أولى برقياتنا . انتظروا فى روما حتى تصلكم تعليمات جديدة .

محادثتى الثانية مع تشيلى : فى ١٢ منه كنت تكلمت مع عبد الحميد شديد بخصوص

عمل ترتيب لاستيراد نقود من الخاصة الخديوية بمصر للجناب الخديوى ، ولاستيراد نقود لى خاصة ، فانتهت معه على ما يأتى :

أولاً — حسابى الخصوصى : يكتب جواب منى (وقد حصل) لبنكو دى روما فى مصر ، أن يحول مبلغ ألفى جنيه ، ثم ألفين آخرين على روما ، وأنه من أول يناير الآتى يحول كل أسبوع ٢٥٠ جنياً ، حتى ينتهى الحساب .

ثانياً — بأن يعرف عثمان مرتضى باشا ، بأن يدفع كل ما أمكنه من النقود الموجودة فى الخاصة ، لتوصيلها لأفندينا ، بواسطة بنكو دى روما ؛ على أن يكون هذا باسم عثمان باشا إلى أحد تجار الاستانة ، وربما يكون نافع زاده .

محدثتى الثانية مع البرنس محمد على : وفى ١٣ منه تحدثت مع البرنس محمد على ؛ وكان من رأيه أن تأخر الأتراك عن التقدم لمصر ، سبب ضرراً كبيراً ؛ لأن المصريين كانوا فى غاية الحماسة لما علموا بالتجريدة على مصر ، وكانوا يظنون أن الأتراك سيدخلون البلاد بعد بضعة أيام (خمسة عشر أو عشرين يوماً) حتى أن بعض المشيعين له فى المحطة قالوا : إنه لا يصل إلى إيطاليا حتى يقفل راجعاً ، عندما يسمع بدخول الأتراك مصر .

محدثتى الثالثة مع مسيو بتشيلى : وفى ١٤ منه قابلت مسيو بتشيلى مع شديد بك فى الموعد المحدد ، فكانت مقابلة ودية ، تحت سوء الظن به الذى حصل عندما قابلته أول مرة ؛ لأننى كنت وجدته متحفظاً جداً . أما فى مقابلتنا اليوم فانه كان صريحاً ، فهو أولاً : أبدى إحساساً شريفاً نحو الخديو ، وقال إنه يحب له ويتمنى له كل خير ، ويود أن يراه على تخت الخديوية قريباً فيتوجه للتهنئة . ثانياً : قال بأنه يعتبرنى بالنسبة له صاحباً ، ولا دخل للباشوية ولا للرئاسة فى البنك ؛ وما تتكلم فيه يكون لغرض الوصول إلى ما يرغبه الجناب العالى . ثالثاً : قال : لا أخفى عليك أن الحالة السياسية هنا مضطربة جداً ، وأن الأفكار مبالغة للحرب أكثر من السلم ، ولكنى أنا شخصياً بصفتى فرداً من أفراد المحافظين ، لا أود الحرب ؛ إلا أن الأفكار متجهة ضد الدولة ، وهى لم تحسن صنماً فى دخول هذه الحرب ؛ لأنه يرى أن النمسا ستقع على رأسها خسائر الحرب ، وانجلترا تمنى أن تسير وراء نصائحها ؛ فانها تمنينا بالجزر ، وبجزء من آسيا ؛ وفرنسا تعدنا بتريستا وترتيونو ؛ ومن جهة أخرى فإن ألمانيا والنمسا تعدانا بالسافواى وجهات أخرى ؛ وكل فتنة تطلب دخولنا فى الحرب معها ، حتى أن انجلترا تطلب أن ترسل جيشاً إلى مصر ؛ ولكن هل من صالحنا أن نعمل بنصيحة أحد الطرفين ؟

للمستقبل وحده الحكم في هذا ؛ لأننا نفعل ما تجربنا الحوادث على عمله ، فكل حادث اعتدائي من الدولة العثمانية يهيجنا . فمن ذلك مسألة إعلان الحرب الديني (الجهاد) والتجريدة على مصر ، وخوفنا من أن الأتراك يغيرون على الحدود الطرابلسية ، وحادثة الحديدية — كل هذه الحوادث لها أثر بي .

فأجبت بـ أن سوء التفاهم بالنسبة لإعلان الجهاد الحربي من قيام طرابلس ، وبالنسبة للتجريدة على مصر ، أمره واضح ؛ والدولة العلية وحلفاؤها أعطت التأكيدات بأن ذلك لا يمس طرابلس الغرب ؛ أما مسألة الحديدية ، فلم يكن لها من الأهمية مثل المسألتين الأوليين .

فقال : من يضمن لنا أن الدولة تنفذ وعودها ، وهي مشهور عنها أنها لا تفي بوعودها ؟ أما بالنسبة للجناب الخديوي ، فأنى — بكل أسف — أعلم بأن في حاشيته من الرجال من يتكلمون عنده ، وهم أقرب الناس إليه ؛ فليحذروا هؤلاء الناس .

فسأله عن الطرق الموصلة لتهديم الخواطر في إيطاليا ، حتى نتجنب الحرب معها ، فنصحنى بأن أتقابل مع مسيو دومرتينو ، وأحادثه في الموضوع أولا ، ثم أرجع إليه ، ونظر فيما يقوله ، وفيما يلزم لإجراؤه .

محادثتي مع محمد يكن : واجتمعت بمحمد يكن بك وأخبرته بمحدثي مع بتشيلي ، فقال لي إنه سمع أن دومرتينو قال لشخص بمناسبة الحالة الحاضرة وتجريدة مصر ، وعلاقة الخديوي مع إيطاليا : إن الإنسان لا يمكنه الاعتماد على ما يظهره سموه من المودة والاخلاص لإيطاليا ، والشاهد على ذلك هو أنه أبعد عنه رجالا إيطاليا كانوا يقومون بخدمات جليلة له . فأجابه محدثه : إن سموه معذور في إبعادهم ؛ لأنهم كانوا خائنين ، وليس ذلك دليلا على عدم إخلاصه لإيطاليا ؛ فأننا نعرف مقدار الخدمات الجليلة التي بذلها لنا في طرابلس . لهذه الأسباب ، قررنا أن نستشير مسيو بتشيلي فيما إذا كان يحسن أن نتكلم مع دومرتينو صراحة بعد أن يعلم ما قاله بالنسبة للجناب العالي ، ولو أن بتشيلي لما سأله عما إذا كان دومرتينو يحفظ السر فيما أقوله ، ولا يعلم به أحدا من السفراء ، قال لي : اطلب منه كلمة شرف ، واحك له كل ما بدالك . ولو أن كلام بتشيلي شخصي ؛ إلا أنني فضلت أن أحتاط لذلك ، وأسأله مرة ثانية ، لجأني الرد بواسطة شديد بك أن دومرتينو رجل عاقل ، ولا يضيع مصالح أمة لأجل شخص واحد ، مثل فرديناند دومرتينو^(٥) .

(٥) فرديناند دومرتينو هو ابن جاك دومرتينو باشا ، الذي كان رئيس الديوان الخديوي الفرنسي . ومن أسرة دومرتينو الذي كان بوراوة الخارجية . وقد فصله الخديوي لمنازعات مالية مع الخاصه

مصادقة الثالثة مع نافي بك : وفي ١٥ منه توجهت مع محمد يكن باشا لزيارة سفير الدولة العثمانية ، وقلت له : إن الايطاليين متمدنون من الدولة العثمانية ، وأفكارهم متبعة ؛ ويقولون : إذا دخلت إيطاليا الحرب ، فيكون ذلك ضد الدولة ، وفي إمكانها أن تسوق مليوناً ونصف مليون من عساكرها . فقال السفير : أعرف أن الأفكار متبعة ، ولكن أعرف أيضاً أن الذين يريدون الحرب هم رئيس أركان حرب إيطاليا ، ومسيو ماريني ناظر المستعمرات .

فقال لمحمد يكن باشا : وأن الأخير مدين ، ويريد أن يصطاد في الماء العكر ، حتى يتمكن من تسديد ديونه ، من أموال فرنسا وانجلترا ؛ إنما علم الباشا من يوثق بكلامه أن الملك طلب بياناً بالموجود في مخازن الجيش ، ليعلم إن كان ينقصه شيء ؛ لأنه قال : لنفسي مشغول من نتيجة الحرب ، فلا أوافق على الدخول فيها إلا إذا تحققنا من أنه لا ينقصنا شيء ؛ ولما اطلع على البيان وجد كثيراً من النقص .

ثم قال الباشا : يقولون إن استعداد إيطاليا ينتهي في أبريل القادم ، ولكن الرجل الذي أخبرني بعدم استعداد إيطاليا ، يؤكد أن الاستعداد لا ينتهي قريباً ، بل يكون في سنة ١٩١٦ .

قال السفير : أؤمل أن تصلني بريقة من البسادة ، ترضى الايطاليين في مسألة الحديد ، فينتهي الأمر بسلام .

مصادقة مع البرنس عزيز حسن : وفي ١٥ منه قابلت البرنس عزيز حسن ، وعلمت منه أنه ترد رسائل على البرنس جميل من شقيقته حرم نظامه الصدر ، وفيها أخبار مهيبة عن مصر وأفندينا . وتذاع هنا بين المصريين وغيرهم . وقد قال البرنس عزيز باشا إنه لما كانت هذه الأخبار ضارة ، ولا سيما إذا وصلت إلى مصر ، فقد خاطبت سفير الدولة العثمانية في هذا الشأن ، فوافق على رأيي ، ووعد بأن يكتب للصدر لمنع إرسال مثل هذه الخطابات المشوشة . وكذلك ذكر البرنس عزيز أنه تكلم مع الملحق العسكري في سفارة ألمانيا ، وطلب منه أن يرسل الخبر للسفارة الألمانية بالاستانة لمنع هذه الخطابات .

وبهذه المناسبة قال الملحق : إن ألمانيا لم تساعد الدولة العثمانية في التجريدة على مصر ، إلا بشرط أن تخرج منها بعد انتهاء مأموريتها ، وألا تمس الامتيازات ، وأن يرجع الجناح الخديوي لمرشده ؛ وكذلك علم البرنس من السفير العثماني أن مجلس الوكلاء قرر هذا الأمر ، وأبلغ القرار المذكور إلى إيطاليا ، وهذا يؤيد ما قاله نافي بك من قبل ،

فاذا صح ذلك كان خطوة إلى الامام . أما مقابلات السفير المتعددة للملك ، وتردده على وزارة الخارجية ، فيرجع إلى ما حصل في قنصلية إيطاليا بالحديدة (*) .

وفي هذا اليوم تلقت برقية من يوسف صديق باشا يقول فيها : عرجوا على فندق الامبريال بفينا مع (ي . بك) إذا كان ذلك لا يزال ممكناً ؛ وإلا فأخطروه تلغرافياً ، وقبل أن يجتاز حدود رومانيا .

وفي ١٦ منه حادث البرنسين محمد علي ، وعزيز حسن ؛ ومن رأيهما أن يكتب أفندينا خطاباً للبرنس حسين كامل ، يقول فيه إنه يعتمد عليه في المحافظة على العرش الخديوي ، كما أنه هو (أفندينا) حينما يرجع لمصر لا ينسى خدماته .

البرنس جميل : وقد حضر البرنس جميل عند البرنس عزيز ، وقال له : إن انجلترا قررت إعطاء مصر استقلالها التام ، وستكون سلطنة ، والبرنس حسين يكون سلطاناً ؛ وتمطى مصر دستوراً ؛ فيكون فيها مجلس أعيان ، ومجلس نواب ، وحرية تامة ؛ وتشمل السلطنة السودان والشام وجزيرة العرب .

مقابلي مع دومرتينو : وقد توجهت في الساعة الحادية عشرة لوزارة الخارجية ، فلم أجد دومرتينو ، لأنه كان توجه إلى مجلس النظار . وبعد انتظاره ساعة رجع ؛ فقابلي مقابلة حسنة ، وأبلغته تحية الجناب العالي له ، وأنه يذكره دائماً بالخير ، حتى أن سموه عازم على إسناد وظيفة المستشار المالي لجنابه ، إذا تيسر خروج الانجليز من مصر ؛ فشكر سموه على إحساناته نحو شخصه ، ولكنه امتنع عن الكلام معي في المسائل السياسية ؛ فأدركت من هذا أن إيطاليا تميل إلى دخول الحرب في جانب فرنسا وانجلترا .

محادثتي الرابعة مع نابي بك : سبق أن قال لي نابي بك : إن محمد يكن باشا توجه لوزارة الخارجية ، وأعلن بالنيابة عن أفندينا أن لا خوف على الطليان من التجربة العثمانية ؛ ولكن إذا سمحت الفرصة فاني أؤكد ذلك للحكومة الطليانية ، فوعده بذلك . وبالفعل لما قابلت الملك أكدت له ذلك ، ولما قابلت دومرتينو فعلت ذلك أيضاً ، وإنما اعتقادي أن الخلاف سائد بين الطليانيين الرسميين وغير الرسميين .

وفي ١٧ ديسمبر تلقت تلغرافاً من محب باشا في نابولي يقول فيه : « ما رلت مريضاً ولا أستطيع الحضور . أرسلت مخصوفاً بقطار الساعة السادسة لتسليمك النقود والخطابات لحرى بالفندق . أشكركم . »

(٥) وكان قد وقع خلاف بين السلطة التركية ورجال قنصلية إيطاليا بالحديدة .

مذكراتي في نصف قرن ج ٢

وتلقيت تلغرافاً من الأستاذ فهمي من لوزان يقول فيه : « أرسلت تلغرافياً إلى (ى. بك) بانتظار صديق باشا بفينا ، وقد علمت بصفة سرية بأنه سيكون مصحوباً (والظاهر أنه أراد أن يقول بأن سيكون مع سمو الخديو) . سأبلغكم الرد . »

سافرت في منتصف الليل من روما إلى فينا ، وكنت مدعواً للغداء عند نافي بك السفير ؛ وكان البرنس عزيز باشا مدعواً هو ويكن باشا وحرمة . ولما علم بعزمي على السفر ، رجاني أن أعرب للصدر عن حقيقة الأخبار في إيطاليا ، والأفكار السائدة فيها ، وتخوف الحكومة من الحملة ورجاها ؛ حتى أن المسيو دومرتينو لما وردت برقية الصدر بخصوص الحديدة ، وقدم السفير للبذكور صورة بالتركي ، سأله دومرتينو : كيف يمضي الصدر على البرقيات ؟ كأنه في شك من البرقية الواردة بشأن مسألة الحديدة . وكلفني أن أقدم احتراماتي للجناب الخديوي .

وقد رافقتي للمحطة البرنس عزيز حسن ويكن باشا .

المساعي لخروج الخديو من اوستانة وإقامته في فينا . في أول ديسمبر ، روى يوسف صديق باشا ، أن سفر سمو الخديو الذي تجرى عنه المخبرات الآن ليس إلى سويسرا ، وإنما إلى فينا ؛ وأن سموه حادث سفير ألمانيا في موضوع سفره إليها ، وأن السفير وافق على ذلك ، وأنه على أثر مقابلة سموه ، تقابل السفير مع طلعت بك ناظر الداخلية ، الذي أبدى أنه غير معارض في سفر الخديو إلى فينا ؛ وذكر يوسف باشا أن السفير ذاهب اليوم لمقابلة أنور باشا ، ومحادثته في هذا الخصوص .

وفي هذا اليوم نفسه شرف سمو الخديو بيلك ؛ وقد ذكر أنه لما قابل أمس سفير ألمانيا ، لم يلبث في جلسته طويلاً ؛ لأنه كان في جلسة مع سفير النمسا ، فاضطر سموه أن ينتظر بضع دقائق ، إلى أن انتهت جلستهما ؛ ولم تطل الجلسة بعد ذلك بينه وبين السفير أكثر من عشر دقائق ؛ ولكن سموه في هذه الدقائق القليلة تكلم بشدة مع السفير ، حتى أنه لم يجد جواباً غير الموافقة على جميع ما قاله سموه ؛ وقد كانت شدة كلام سموه بالغة الحد ، مما جعل السفير يقوم من فوق كرسيه ، ويبالغ في التلطف معه .

وقد أبان له سموه تصرفات رجال الحكومة العثمانية ، حتى جعله يقر بأنها تصرفات غير حميدة في حق الجناب العالي ؛ ثم ذكر السفير بالكلمة التي قالها لسموه في أول زيارة قابله فيها ، بأن باب السفارة الألمانية مفتوح في كل وقت لسموه ، عند حصول أى شيء من الأتراك ؛ فلم ينكر السفير قوله ، بل قال : نعم إنني قلت هذا حقيقة . وعندئذ قال

له سموه : د واذن هذا هو الوقت ، وقد جئت إليك ، فلم يستطع أن يجاوبه بشئ. عبر المصادقة على أقواله. ثم قال : إن التجربة الثانية القائمة إلى مصر ، إنما هي قائمة بنفسات ألمانية . فقال له سموه : إننى لا أطلب منكم أن تعدلوا عن التجربة الثانية ، لأنى أعلم أن مصلحتكم فى ذلك ، وأنكم لا تعدلون عنها لأجل خاطر واحد اسمه عباس حلى

وعلى أثر ذلك أبان السفير أنه لم يكن مقصراً بالنسبة للخديو قائلاً :

إن الأتراك أصبحوا يشمتون منى ، لأنهم يظنوننى متغالياً فى الكلام معهم عن سموكم ، وقد قال لى خليل بك رئيس المبعوثان إنى لست وصياً عليهم ، وأنه يرانى أزعجهم كثيراً بشأن سموكم .

وقد فهم سمو الخديو صراحة من السفير أن خليل بك هذا صرح له فعلاً بأن الأتراك لا يرغبون فى الخديو .

وفى ١١ منه زار طبيب الخديو الدكتور كاوتسكى سفير النمسا ، وحادثه فى ضرورة سفر الجنب العالى من الاستانة . وعلت أن الخديو كان يكره أن يجعل من أسباب خروجه محته وساحته إلى الراحة .

وفى اليوم نفسه حضر مسيو بادل إلى سراى بيك ، وحمل إلى الجنب العالى خبراً مؤداه أن حكومة ألمانيا وافقت على سفر سموه ، على شرط أن يكون ذلك إلى فينا أو برلين فقط ؛ وأنها عينت المسيو بادل لمرافقته ، ووافقت على تعيين البرنس ابراهيم حلى باشا ليكون نائباً عن سموه مع التجربة الثانية ، وقائمقامه عند دخولها مصر ؛ وبناء على أمر سموه حررت الارادة السنية ، ووقع عليها الجنب العالى ، ثم أبقاها عنده لوقت اللزوم . وقد فرح الجميع لهذه الأخبار ، وظهر على وجه الخديو الارتياح ؛ وأمر الدكتور كاوتسكى أن يكتب رسالة شكر لسفير ألمانيا . ثم عين يوم الاثنين القادم لسفره إلى فينا . فوافق الدكتور كاوتسكى على ذلك . وفى هذا اليوم أرسلت أوامر باحضار توفيق فهمى بك إلى الاستانة ، وإرسال ابراهيم آدم بك إلى الصلтан .

وفى ١٣ منه صدر الأمر بأعداد الجوازات لمن سيسافرون مع الجنب العالى ؛ وفى أثناء اشتغال سموه بهذا قال أمام السيد خيرى افندى الضابط إنه أعد العربة للصدر يتجاوز بها عن الشرط القاضى بوجود سموه فى النمسا أو ألمانيا فقط .

وكان سموه يريد أن يسافر من محطة كوجك جكه ، بدلا من أن يأخذ القطار

من الاستانة . ولهذا أمر الدكتور سيد كامل وعبد الله البشرى افندى باكتراء سيارة واختيار الطريق .

وفي هذا اليوم تقابل سموه مع الصدر بعد الظهر ؛ وقال لنا بعد ذلك إنه نجح فيما يطلبه ، فقد بادر الصدر بقوله : إننى لكى أثبت للحكومة العثمانية أننى فى سفرى من هنا لا أزال غير راض عن تصرفات الحكومة الانجليزية ، فاقى لا أنوى السفر إلى إيطاليا حسب رغبتها .

وقال سموه : : إننى سأبلغ ذلك للسلطان ، ثم لسفير ألمانيا ؛ وبعدها أكون حراً فى الذهاب إلى أية جهة أرغب فيها . فقال الدكتور سيد كامل : : ما عدا إيطاليا ، فسكت سموه .

وفي ١٤ منه توجه الحديوي إلى بيك بقصد المبيت فيها ، والسفر منها غداً صباحاً إلى المحطة ؛ وبمجرد تحرك الرفاض من جبوقلى ، قال سموه : : بسم الله الرحمن الرحيم ، توكلت على الله ، وشفع هذه العبارة بما يأتى : : هذه هى بداية السفر .

وبعد ظهر اليوم ذهب بملابسه السوداء الرسمية (الردنحوت) لزيارة جلالة السلطان فى سراى ضوله باغچه مودعاً ، وقال جلالتة لسموه : : إن شاء الله تعود إليها قريباً . ثم زار سموه سفير ألمانيا فى الساعة الخامسة بعد الظهر .

وفي المساء حضر من جبوقلى البرنسان عبد المنعم وعبد القادر ، لقضاء الليلة فى بيك مع سموه ، استعداداً للسفر .

وذهب الجناب العالى مساء إلى جبوقلى ؛ وراقب إحضار الحقائق ، وما يتبعها ، وإنزالها فى بيك ؛ وبات فيها هذه الليلة رمزى طاهر باشا ، ويوسف صديق باشا ، والدكتور كاوتسكى ، والدكتور سيد كامل ، والدكتور مورو ، وعبد الله البشرى افندى ، وإبراهيم آدم بك ، ومحمود خيرى افندى ؛ والجميع يرجون أن يخرج سموه من الاستانة بخير . وقد اتخذ جنابه العالى الاحتياطات اللازمة ؛ ومنها إعطاء المسافرين معه مسدسات يحملونها فى أثناء سير سموه إلى المحطة .

وفي ١٥ منه استيقظ الجميع فى الساعة الرابعة صباحاً ؛ وتناولوا طعام الفطور ثم انضم إليهم جلال الدين باشا (القبوكتخدا) . وقبل الساعة الخامسة نزل سموه من الحریم ؛ وكانت قد استحضرت عربتان من عربات الأجرة لركوب سموه سراً ؛

ولكنه أمر باعداده عربية الوالدة ؛ بالرغم من معارضة يوسف صديق باشا الذي قال إنه يجب أن تتبع عربية الخديو عربية أخرى . فقال سموه : لا لزوم لذلك ؛ ويكفي أن يركب بجوارى رمزي طاهر باشا ، وأماى نضر الدين أغا (وهو حارس سموه الشخصى) والباقون ذهبوا بجرأ إلى شرك جى .

وفى ١٩ منه رجعت من مهمتى فى إيطاليا إلى فينا ، فوجدت مع الخديو البرنسين عبد المنعم ، وعبد القادر ، ومسيو بادل الألمانى ، ويوسف صديق باشا ، و (ى. بك) وخيرى أفندى الضابط .

وفى المساء سافر البرنسان مع خيرى أفندى ، للانتساب فى مدرسة لانسى ، بضواحي جنيف ، وتديرها د مدام برونل ، كريمة هكسيوس ، ، مؤسس المدرسة ، وأخت د شارل هكسيوس ، صديقى .

وفى ١٩ منه زار الخديو الكونت برشتولد ، وزير خارجية النمسا ، وسفير ألمانيا ، رداً لزيارتهما له .

ولما اختلفت بالخديو ، قال لى إنه كان واثقاً من أن فى وجوده بالاستانة خطراً على حياته ، وذكر أنه لا يرجع إليها مطلقاً ؛ ولهذا اتفق رأى على أن ينوب عنه البرنس ابراهيم سلى باشا لمرافقة الجيش التركى ؛ وليكون قائمقام خديو مدة غياب سموه عن مصر ؛ وعلبت أن الأتراك كانوا لا يرغبون فى ترك سموه الاستانة . ولكن المسيو بادل من جهة ، وسفير ألمانيا من جهة أخرى ، سهلا له السفر ؛ وقد وعد أفندينا الأول بأن يكون مستشاراً مالياً عند رجوعنا لمصر ، وقد عين الآن قنصلاً عاماً لألمانيا فى دمشق .

تهديد سفير ألمانيا للاتحاديين : وقد علمنا فيما بعد أن الجدل اشتد بين سفير ألمانيا و خليل بك عندما لمح له بأن الأتراك ليسوا تحت الوصاية ، وذلك عند الكلام على مسألة خروج الخديو ؛ فأجابه السفير قائلاً : « حيثئذ أنا أمر بسحب جنودى وضباطى فى البحر والبر ، وأطلب أن تدفعوا لى السبعة الملايين من الجنهات التى أقرضتها ألمانيا للدولة ، فأجاب خليل بك وهو مرتبك : « أنا لا أقول بأننا لا نسمع نصيحة ألمانيا ، فرجنا منه السفير ألا يجرؤه فى معاملاتهم لدرجة تضطره لاجبارهم على عمل الواجب .

مدينت عباس: بنينا مع جريبارس عن هامة الوهتراد . وفي ٢٠ ديسمبر
زار سمو الخديو مسيو جريبارس وزير اليونان المفوض لدى حكومة النمسا، وكان قفصا
جنرالا لدولته في مصر مدة طويلة، وبينه وبين الخديو صداقة قديمة، فأظهر سموه له
كدره من معاملة الأتراك له؛ واقتناعه بأن الاعتداء الذي وقع له كان مذبذباً؛ لأن
المهمندار الذي كان على يسار العربدة زج بنفسه داخلها، بحيث عرض الخديو لرصاص
الجانى، ولأن سائق العربدة أوقفها عند أول طلقة، مما سهل له الأمر في إطلاق الرصاص
قال الخديو: وهذا ليس بعيداً على الأتراك؛ لأنهم سموا أيضاً في اغتيال حياة ملك اليونان
بوساطة يوناني استأجروه، وتوصلوا لغايتهم؛ كما أنه اتضح أن العلياني الذي أراد
قتل ملك إيطاليا في سويسرا، كان للترك أصعب في إقدامه على هذا الفعل. قال: وملك
إيطاليا أخبرني بأنه لم يسعنا إلا أن نعلن أن الجاني مجنون؛ وأن شقيق لما تقابل معه
سأله الملك عن القاتل وجنسيته، وقيام رجال الجندرية بقتله في الحال؛ ولعل هذا
معنى لم يفهمه شقيق؛ ولكنى أنا فهمته فكأنه يقول: كما حصل لي حصل للخديو؛
ثم أضاف: وهذه أمرار أعطانيها الملك.

ثم إن أفندينا أفهم جريبارس بأنه ليس في نيته مقابلة أمباطور ألمانيا؛ وأنه
حضر لاستشارة بعض الأطباء في أمر الإصابات التي أصيب بها.

رأى عباسى في حل صنائى السودان . في ٦ ديسمبر كان بعض الحاشية
في حضرة الجناب الخديوى، ودار الحديث في مسألة الرى في مصر والسودان،
فقال سموه:

« إن الذى يريد أن يحكم مصر، ويوفر لها أسباب السعادة والهناء، يجب أن
يكون قابضاً على السودان،

ومع هذا فإن سموه لم يكن يتخوف من إنشاء الخزانات التي تمكن إقامتها
في السودان؛ لأن النيل الأبيض كاف لرى الجزيرة؛ وإنما كان يخشى أن تنمو زراعة
القطن في السودان، فتتحول السوق إلى هذه الجهات؛ وينخفض سعره في مصر.

« ولاحظ سموه أن المصريين نسوا شرطاً من شروط الاتفاقية بين مصر
وانجلترا بخصوص السودان. وهذا الشرط يقضى ألا يزرع فيه القطن. وعليه كان
يرى سموه أن الواجب الاهتمام بالمحافظة على هذا الشرط.

ثم انتقل إلى مصر فقال إنه يرى أن تقام قطرة تشبه الخزان في مديرية جرجا ، فتضمن للوجه القبلى ربه الصنى . وأشار أيضاً إلى إيجاد قطرة أخرى في شمالى زفتى . يوفر بها الرى للجهات الثانية ؛ وثالثة على الفرع الغربى ؛ بحيث لا تكون المناوبات صعبة بالدرجة التى هى عليها الآن ؛ وبحيث تتوافر المياه اللازمة لرى جميع أراضى القطر بالراحة ؛ وكان يتكلم فى كل ذلك تكبير عارف بمجاعات القطر .

ثم رجع إلى مسألة السودان ومستقبله ، وقال :

« يجب أن تتفق مصر مع إنجلترا على أن تبقى المنطقة الشمالية فى السودان ، والنى بها المسلمون للمصريين ؛ أما المنطقة الجنوبية منه ، والنى لم يدخلها الاسلام فتبقى للانجليز ؛ وبذلك تحل مسألة السودان . »

ثم قال :

« صحيح أن فى هذا الاتفاق غرامة على مصر ؛ ولكن هذا هو كل ما يمكننا عمله لدرئتنا . وعلينا أن نربها على أن تكون فى المستقبل قادرة على استرداد الجزء الجنوبى من السودان ؛ لأن النيل كله يجب أن يكون فى قبضة مصر . »

كيف استقبل عباس فخر عزله وتولية السلطان حسين . فى ١٠ ديسمبر ذكر يوسف صديق باشا لسمو الحديو ، أن محمد راسم بك ، حضر من إيطاليا ؛ وروى أن الانجليز عرضوا مراراً على رشدى باشا أن يستقيل ، وهو بمأطلم ورفض الاستقالة . وروى أيضاً أنهم عرضوا على محمد سعيد باشا أن يكون رئيساً لمجلس النظار ، فقال إنه لا يستطيع تولي هذا المنصب ، والخلافة فى حرب مع الدولة الانجليزية ؛ وأظهر سموه ارتياحه فى الخبر الأخير ؛ ثم روى راسم بك أن سعد باشا ألقي فى مصر خطبة أو كتب مقالة ، أو عمل حديثاً صحفياً ؛ فقال : إنه كان يظن على الدوام فى السياسة الانجليزية فى مصر ؛ ولا يزال يرى أن أعمال الانجليز غير مرضية ؛ ولكنه مع هذا لا يجب مطلقاً أن يرى مصر تحت حكم الأتراك .

وقد ذكر صديق علاوة على ذلك أن الانجليز أذاعوا فى فرنسا وفى الخارج حديثاً لسعد زغلول باشا ؛ وأن جريدة الطان نشرت . وقال أيضاً : إن الانجليز أعلنوا عزل الحديو . وأن جريدة الطان كتبت مقالة افتتاحياً فى هذا الموضوع ، قالت فيه : « إن إنجلترا قد أحسنت فى عزل الحديو ؛ لأنه لم يكن صديقاً لانجلترا أو لفرنسا . »

وفى يومى ٢٠ و ٢١ ديسمبر جاءت أخبار برقية ، تنبئ بأن الحماية الانجليزية

أعلنت على مصر؛ وأنها صارت سلطنة؛ وأن البرنس حسين كامل عين سلطاناً عليها بلقب صاحب السمو؛ وأنه احتفل به أمس بموكب خرج من سراى نعمت الله هاتم افندى زوجة نجله كمال الدين باشا؛ وأن الأهالى تلقوا هذا الانقلاب بدون اهتمام؛ وأن جلالة ملك انجلترا أنعم على البرنس بنيشان الحمام، وعلى حسين رشدى باشا بوشاح ميشيل وسان جورج؛ وأن الوزارة الجديدة شكلت كما كانت قبلاً، ما عدا محب باشا فقد حل محله فى الأوقاف عدلى باشا، الذى كان فى الخارجية، وهذه النظارة ألغيت.

وأنه بالنظر لكون الحديوي انضم إلى أعداء الملك، فقد حرم من الرجوع لمصر؛ ولكن حفظت له أملاكه الخصوصية.

هذا هو ملخص أخبار مصر.

قرأت حاشية الحديوي هذه البرقيات؛ وترددت فى إبلاغها لسموه؛ ولكنى مثلت. بين يديه وعرفته بالانقلاب، بطريقة مناسبة؛ فكانت إحساسات سموه بالنسبة للانقلاب ما يأتى:

أولاً — أنه لم يظهر كدوره لقبول البرنس حسين كامل باشا منصب السلطنة. وقال: « فى محله وأنا أميل لهذا الحل ».

ثانياً — أنه بأسف لكون مصر صارت تحت حماية أجنبية؛ وكان يود أن تكون حرة.

ثالثاً — أنه تكدر جداً من قبول النظار — وخصوصاً قائمقامه حسين رشدى. باشا — بعد أن حلفوا يمين الطاعة له أن يتركوه. ويشتغلوا مع خلفه؛ وذكر أن هذا يدل على أنه لا يوجد مصرى واحد، يفضل الاستقالة، ويرفض النيشان الانجليزى؛ ليمحفظ كرامته (مشيراً بذلك إلى رشدى باشا). ثم قال: « الحمد لله إننى لم أخطئ. فى رفض وجودى بإيطاليا؛ فلو أننى ذهبت لرغب الانجليز الآن فى عودتى إلى مصر، وإرغامى على قبول الانقلاب، أو معاملتى معاملة لا أرضاها

قلوب عباس بعد الانقروب فى مصر. لم يمض إلا القليل بعد أن علم عباس بخلفه وتولية عمه السلطان حسين كامل حتى ظهر على وجهه القلق والتفكير. فأردت الترويح عنه بأن عرضت على سموه الخروج فى رياضة: إراحة لأعصابه، فوافق

ولما كنت أعلم عن الخديو أنه يعتقد بالتفاؤل والتشاؤم من بعض الأقدام والأشخاص، وكانت هناك سيدة التحقت به أخيراً ولم أكن مستريحاً لالتحاقها به - انتهزت هذه الفرصة وعرضت بشؤم هذه السيدة على سموه، لأنها لم تكذب تلحق به حتى أعلن عزله ! ولكن هذا التعريض لم يفلح، لأن سموه رد على قائلاً : « ولكنها ساعدتني مادياً في هذه الظروف الحرجة ، ناسياً أن هذه المساعدة إنما هي من أمواله في الحقيقة .

وبعد ذلك سألته عن أسباب قلقه ، ففهمت أنه لم يكن لضياح عرشه؛ فانه كان يتوقع هذا الحادث الخطير قبل إعلان الحرب العظمى بسبب العدواة التي كانت بينه وبين اللورد كتشير . إنما كان قلقه لسبيين آخرين :

الأول - تخوفه من مصادرة الانجليز لأملكه ؛ بسبب انضمامه لأعدائهم ، والعمل على إرسال حملة تركية لمصر .

والثاني - عدم صدور إرادة شاهانية بتحديد مهمة هذه الحملة ، والتصریح فيها برجوع سموه إلى عرشه ، وحفظ امتيازات مصر كما كانت قبل الاحتلال الإنجليزي .

أما السبب الأول فقد سمعته يقول عنه : « هأنذا قد تركت الاستانة وصرت بعيداً عن الأتراك والحملة، ولم ألتحق بها ؛ فليس هناك ما يحمل الانجليز على مصادرة أملكى ، فرد عليه الدكتور سيد كامل قائلاً : « وهل هم لم يكونوا يعرفون حتى قبل قطع علاقات سموكم بهم أنكم تشجعون على إرسال الحملة وترفضون السفر لاطاليا ؟ »

فقال : « على كل حال أنا لا أتوقع السير مع الحملة كما يظهر لى . »

وقد فكر سموه في القيام بمساع أخرى لحفظ أملكه بوساطة أمير ملك بلجيكا

ثم لما اتدبني عباس للذهاب إلى الاستانة عند تولية طلعت باشا الصدارة ، قلت بمساع لضمان تمريض الخديو عن أملكه إذا صودرت .

وسيرى القارىء في الجزء الثالث تفصيلات عن هاتين المخابرتين .

أما السبب الثانى فقد علم القارىء بالاتفاق الذى تم بين عباس وأنور باشا وسفير ألمانيا بأن يعملوا معاً مسترشدين بآراء سموه في الحملة العثمانية الراحفة على مصر وإتماماً للفائدة أثبت ما رواه لى يوسف صديق باشا عما حصل ليلة هذا الاتفاق .

قال . . قلت لأفندينا إنه يجب قبل الكلام في هذا الاتفاق أن نتعترف بما فعلته مع السنوسيين والايطاليين ضد الأتراك، وأن تشرح الأسباب التي دعيتك إلى ذلك، وتذكر أنور باشا بكل ما فعله الأتراك ضدك؛ وبعدها تتصالحون وتتعاهدون على السير معاً فوافق الخديو على ذلك، وتم في هذه الجلسة الاعتراف من الطرفين بكل ما حدث في الماضي، والاتفاق على نسيانه، والعمل بالاتحاد. وتقرر كذلك أن يدبر الخديو في مصر حركة ثورية؛ حتى إذا ما دخل الجيش العثماني، قام الأهالي بالثورة ضد الانجليز، غير أن هذا الاتفاق لم يطمئن عباس، فانه كان يرى أن سير الحملة بطل. جداً، وأنه لا يوجد قرار رسمي يعتمد عليه في نتيجة الحملة؛ ولهذا فكر في عمل المساعي لمقابلة الامبراطور شخصياً أو باتتداني لهذه المهمة.

وقد علم القارئ فيما سبق، أنني عندما كنت في روما تحدثت مع البرنس محمد على في أن أرافقه في هذه المهمة، وأنه تمنى لالتزامه خطة الحياض. عندئذ تخالفت مع الأستاذ فهمي في جنيف، ليتصل بسفير ألمانيا في برن، ويعمل ما يلزم في برلين، لتحديد موعد مقابلتي مع الامبراطور؛ وأن يكون الأستاذ برفقتي. وقد قام بهذه المساعي؛ وجاء الرد بأن الامبراطور ترك برلين إلى ساحة القتال، وأنه كلف ناظر الخارجية بأن يقابلني بالنيابة عن جلالة وبصحبي الأستاذ فهمي. وقد طلبت من السفارة أن أخبرها بيوم قيايى إلى برلين، وبالطريق الذي أتخذه للوصول إليها. وفهمت أن الحكومة الألمانية تعلق أهمية على هذه الزيارة. وكانت مهمتي لدى الامبراطور هي أن أقدم لجلالته تحيات الخديو واحتراماته، وأن أشكره على عنايته ورعايته للحملة التركية على مصر، وأن المصريين لا ينسون هذه المساعدة، ثم أتأكد من جلالة أن الحملة لا تمس الامتيازات التي نالتها مصر من تركيا، وأن تعود الحالة إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال مع عودة سموه إلى عرشه.

هذا ولما كنت إذ ذاك على وشك السفر من روما، لم أرسل الرد للسفارة ريثما أعرض المسألة على الخديو الذي علمت بحضوره إلى فيينا. وعند وصولي إليها ومحادثتي معه اتفقنا على أن يقوم محمد بك فريد بالسفر إلى ألمانيا مع الأستاذ محمد فهمي؛ وقد تقابل مع سفير ألمانيا في فيينا وأعلمه باعتذارى عن السفر، وانتدابه هو وزميله للذهاب إلى برلين، فسلمه خطاباً لوزير الخارجية الألمانية بخصوص هذه المقابلة.

وقد تأكدنا أن الحكومة الألمانية تعلق أهمية كبرى على المحادثة مع الوطنيين

خشية أن يعتبر سفر الحديو من الأستانة اختلافاً بين سموه وبين العثمانيين ؛ ولهذا أرسلت سفارة ألمانيا في الأستانة إلى القنصل في جنيف بأن سفر سموه كان لأشغال شخصية ، وأنه على وفاق تام مع الاتحاديين .

وقد عمل فريد بك حديثاً مع مكاتب جرنال ، النوفراى بريسبه ، في فينا عن مطالبنا التي نرجو تحقيقها في الارادة

أما الحديو فانه لم يكتف بمقابلة فريد وفهمى لوزير الخارجية ، بل كان يرغب كل الرغبة في مقابلة الامبراطور ليحادثه : لا في مسألة مصر فقط ، بل في القيام بمساع لتقريب فرنسا من ألمانيا . وسيرى القارىء تفصيلات هذه المساعي في الجزء الثالث

الحفاوة بالحديو في فينا . بعد خروج الحديو من الأستانة والسفر لفينا اهتمت الدوائر الحكومية باستقباله والحفاوة به ، وكذلك سفير ألمانيا وتركيا

وقد أرسل برشتولد وزير خارجية النمسا إلى سموه في ٢٤ ديسمبر يهنئه بعيد الميلاد ، ويقدم له لوچين في الأوبرا وفي تياترو البرج ، وقال في خطابه : « أرجو أن تجمينا السنة الجديدة بسلام مشرف وطيد الدائم ، وأن يتاح لسموكم العودة إلى بلادكم الجميلة ، وقد رد عليه الحديو شاكرًا ثم قال : « لئن من جئني أدعو الله دعاء حاراً أن تكون سنة ١٩١٥ سنة سعيدة لنا جميعاً ، وأن يتوج النجاح جيوش صاحب الجلالة الامبراطور وحلفائه . ولئن أمام علائهم المعطف التي لم ينقطع جلاله الامبراطور عن إبدائها نحوى ، أجد من واجبي أن أبتهل إلى الله التقدير أن يحفظ حياته الثمينة زمناً طويلاً ، وأن يهب شعبه المجد والرخاء ، وختم الحديو الخطاب بهتة وزير الخارجية بعيد الميلاد والعام الجديد

وقد دعا سفير الدولة سموه وحاشيته للغداء يوم ٢٩ الجاري ؛ وكنت أنا ويوسف صديق باشا بين المدعوين

وفي يوم ٢٩ منه ذهبنا تلبية للدعوة ؛ وكان من بين المدعوين وزير خارجية النمسا وزوجته ، وسفير ألمانيا وزوجته ، والكونت تولجاش من رجال وزارة الخارجية والكونتس زوجته ، والكونت ماكيو سفير النمسا في روما

وبعد انصراف المدعوين اختلى السفير ووزير الخارجية بالجانب الحديوى مدة نصف ساعة ، دار الحديث خلالها عن الانقلاب الذي حصل في مصر ، ثم قال وزير

الخارجية: « وعلى ذلك لابد أن المخصصات انقطعت ، فرد سموه بالايجاب ، فقال السفير: وماذا ستفعلون ؟ نعم المعروف أنكم من الأغنياء ، ولكنكم الآن في خارج مصر ، فرد سموه قائلاً : الحمد لله فاني غني وعلى رغم أنني في خارج بلادى ، فاني قد لا أحتاج لشيء ، وقد لاحظنا نحن على الخديو اعترافه بأنه غني ! فقال : ، أنا أعرف بأفكار هؤلاء الناس ، والقاعدة عندهم أن الغنى هو الذى يعتنى به ، أما الفقير فلا يؤبه له . وهذا مثلاً ناظر الخارجية ، فهو رجل عادى من حيث كفاءته ، ولكن ثراؤه واتهاؤه لولى العهد هو الذى أوصله لهذا المركز . »

شؤره مختلف . في ٤ أغسطس جاءت الأوامر من لندرة بوضع المراقبة على البرقيات من مصر وإليها .

وفي ٥ منه رجع رجال الوكالة الانجليزية إلى مصر ؛ وقصص جنرال انجلترا في الاسكندرية عرف رشدى باشا باعلان انجلترا الحرب ضد ألمانيا رسمياً . فأخذت النظارة تبحث في ضرورة إعلان نوع من الأحكام العرفية ، خوفاً من وقوع اعتداء من الخارج ، وأخذت الجنود الانجليزية في إقامة استحكامات أمام الواجهات الخارجية لسراى رأس التين . وكذلك أمام الشكنات الحكومية ، وثكناتهم ؛ وأحضروا المواد من طرفهم .

وفي ١٤ منه أبرق مرتضى لرشدى بأن المصريين بأوروبا خابرونا بالصعوبات التى يلاقونها من البنوك لأخذ نقودهم ؛ والمرجو إخبار نابرقياً عن الاجراءات التى سيتخذها .

وفي ٢٥ منه اجتمع الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر ، والشيخ محمد حسنين مخلوف ، والشيخ ابو الفضل الجيزاوى ، عند رشدى باشا . ودار الحديث فيما إذا كان من المناسب تأخير افتتاح الدراسة في الأزهر ، وفي المعاهد الدينية الآن ، خوفاً من حصول هياج بين الطلبة ؛ خصوصاً إذا أعلنت تركيا الحرب على انجلترا . وبعد المداولة ، تقرر افتتاح الدراسة ، على أنه إذا حصلت أية مشاغبة تأمر الحكومة بتأجيل الدراسة في كل المعاهد . وجرى البحث في شأن سفر الحجاج في هذه السنة ؛ ويرجو رشدى أن يكون الخديو في مصر حين الفصل فيها .

وفي ٣١ أغسطس أبرق يوسف صديق باشا للقائمقام يرجوه تبليغ الخاصة الخديوية تسليم كل المبالغ الذهبية ، والباقي من المخصصات ؛ بعد تنزيل ما يلزم منها

١٩١٤

لإدارة الخاصة إلى محمد فهمى بك ، ليحضرها معه عند سفره إلى الاسكندرية ؛ وكذلك يسلم له مراسلاته ومراسلات السراى .

وفى ١ سبتمبر أبقى إليه يرجوه أيضاً تسليم محمد فهمى بك الوقائع الرسمية التى نشرت الديكرينات الخاصة بقرارات الحكومة المصرية عن حالة الحرب ؛ وكذلك مجموعة الوقائع من أول أغسطس .

وفى ١٥ منه أرسلت برقية إلى القائمقام ، بأن قومندان المحروسة أخبر بمحصل ضجة من رجاله بسبب عدم دفع رواتبهم ؛ وطلب سموه سرعة إرسالها ؛ كما طلب أيضاً استعلامات عن حالة المصريين فى أوروبا .

فرد على سموه فى ١٤ منه بأن المصريين رجعوا لمصر فى ٩ سبتمبر ، ما عدا البرنس عمر طوسون .

وفى ١٦ سبتمبر جاء الدكتور خيرى باشا حكيم السلطان ؛ وثابت بك أتوبجى باشى لدعوة أفندينا من طرف السلطان ، لحضور حفلة توزيع الجوائز على متخرجى مدرسة البحرية ؛ ومشاهدة استعراض المراكب الحربية ، ومن ضمنها المدرعة « جون » ، و « برسلو » ، الألمانية ؛ فأرسل أفندينا تليفرافاً لجلالته صباح ١٧ منه بالاعتذار لتوعلك مزاجه (والحقيقة لعدم استحسانه وجوده فى جم غفيرة فى الخيمة التى سيكون فيها المدعوون) . ولكن التلغراف لم يصل قبل قيام جلالته ، مع أنه أرسل قبله بثلاث ساعات ، لاهمال حصل من الجندى (مراسلتنا) الذى أوصل البرقية لمكتب التلغراف أو من مأمور التلغراف ؛ فأرسل جلالته يستعلم عن سبب التأخير ضابطاً من الجندرية برقاص ؛ وقال إن جلالته انتظر ربع ساعة على يمتح لإرطفرول (وكان عليه السلطان ، وولى العهد وحيد الدين أفندى ، ومجيد أفندى ؛ وهم الذين يأتون بعد ولى العهد) . فأفهمته أن سموه أرسل تليفرافياً اعتذاره للسلطان ؛ وأعطيت له صورة منه .

وفى ١٧ منه أرسل رشدى يقول إن وطنى باشا يلتمس من أفندينا أن يصرح له بأجازة للحاق بالآية فى فرنسا ؛ وأن الحكومة المصرية أجازت مثل ذلك لغيره ؛ وبما أنى وطنى باشا من الموظفين فى خدمة سموه ، رأيت من الواجب على أن أعرض طلبه ؛ وأنا متأكد أن سموه لا يرفض هذا الطلب ، فإذا حصل ؟

وفى ١٩ سبتمبر علمنا أنه حصل شقاق بين الوزراء العثمانيين ؛ فالبعض يطلب الدخول فى الحرب ، والبعض الآخر لا يقول بها ؛ فالذين لا يطلبون هم جاويد بك ؛

وطلعت بك، وجمال باشا. أما الصدر فيصوره أفندينا أنه في الظاهر مع الألمانين؛
وأما في الباطن فهو مع الانجليز.

في برقية من صديق في ٢٨ سبتمبر، رجا فيها القائمقام باعطاء التعليمات لاحد
صادق بك، لسحب أسهم البنك العقاري المحفوظة فيه باسم الدائرة الخاصة، وإرسالها
إلينا، بعد وضعها في غلاف، وختمه بالشمع الأحمر.

وفي هذا التلغراف تعليمات عن كيفية إرسالها؛ وأن كشف النمر يحفظ بطرف
أحمد صادق بك، وسيرسل له خطاب منا بصحة هذه البرقية، لتقديمه للبنك إذا
وجدت صعوبات.

في ٤ أكتوبر دعى سفير أمريكا وزوجته لتناول الشاي في كشك صاحب منلا
وحضر يوسف صديق باشا ومحب باشا.

في ٥ أكتوبر اشتغل الخديو باعطاء التعليمات اللازمة لمحمد فهمي بك التشريفاتي
قبل سفره لمصر.

وأهم هذه التعليمات نقل الأشياء الثمينة التي بالقصور إلى تفتيش أدفينا؛ مع وضع
نظام لحراستها؛ وإرسال الأشياء الثمينة الأثرية منها من سيوف الأسرة الخديوية
وخلافها للاستانة.

وفي ٧ أكتوبر نزلت لشراء خزانة كبيرة ليضع فيها الخديو الأوراق الثمينة
كالعقود والأسهم وغيرها. وقد أمر سموه باستحضار كل ذلك من مصر ليكون
في مأمن.

وفي ٣٠ منه هرع إلى سراي بيك كثير من الزائرين لتهنئة أفندينا بالعيد، وكلهم
تقريباً من المصريين؛ وفيهم فريد بك، والشيخ جاويش، وباقي أركان الحرب الوطني،
ويوسف ضيا باشا رئيس الباوران سابقاً، وكان قد قطع العلائق مع السراي من وقت
انفصاله منها؛ وكان الجناب العالي مسروراً.

وفي ٥ نوفمبر كان الخديو أوفد يوسف صديق باشا إلى سفارة إيطاليا؛ ليستعلم
عما إذا كان شقيقه البرنس محمد علي موجوداً بمصر؛ وهل عين البرنس حسين حاكماً
عليها؟ وهل ضمت لانجلترا؟

والسفارة الإيطالية وردت لها معلومات من حكومتها، تقول إن الانجليز عينوا
البرنس حسين كامل مستشاراً لهم، وأن التعيين المذكور أثر تأثيراً سيئاً في المصريين.

ثم ورد خبر آخر بواسطة هذه السفارة ينيء بأن البرنس محمد علي والبرنس عزيز حسن يستعدان لترك مصر .

في ١٢ نوفمبر كانت خزانة الساحلخانة بجبوقلي في عسر مالى ؟ وقد حضر لى من مصر مبلغ من النقود الذهبية ، فسلبت منه خمسمائة جنيه انجليزى للخزانة سلفة أستردها من الخاصة بمصر وقت رجوعى إليها .

في ١٩ منه كان جمال باشا ناظر الحرية قد استأذن من الجنا ب العالى أن يتفضل ويأذن باستخدام المحروسة مع الأسطول العثماني لسرعتها ، لمعاونة المدرعات . فأجاب سموه بالقبول ؛ كما كان قد أذن باستعمال التلغراف اللاسلكى . فأرسلت البحرية بعض المهندسين للكشف على المحروسة ؛ ولكن لما وجدوها غير صالحة للاستعمال كدرعة ، أرسلت الحكومة جواباً بالشكر وعدم لزومها ؛ والجواب مؤرخ بتاريخ اليوم .

سافر اليوم إلى دده أغاج عبد الله البشرى افندى ليقابل هناك بعض المستخدمين في الباخرة سعيدية الآتية من الاسكندرية ؛ ويعلم منهم بعض أخبار مصر ؛ أو يصاحب بعض ركبها ، ويعلم منهم شيئاً عن الحوادث المصرية .

وفي هذا اليوم سافر من الاستانة اثنان من مهندسى المحروسة الوطنيين ، قاصدين دده أغاج ومنها إلى الاسكندرية . ولكن الوا بور المخصوص تأخر سفره إلى المساء ، فاضطرا إلى الانتظار إلى غد أو بعد غد وكذلك تأخر سفر (الدكتور ر . افندى) عن ميعاده اليوم .

في ٢٢ منه تشرف بمقابلة الجنا ب العالى فى سراى بىك ، محمد فريد بك ؛ وقدم لسموه أبا سعيد الهندى صاحب جريدة « جهاد إسلام » التى تصدر فى الاستانة باللغات الثلاث : العربية والتركية والأوردية ؛ وقدم لسموه أربعة من الطلبة المصريين الذين جاءوا من لندرة أخيراً .

فى أول ديسمبر جاء فى سراى بىك قبل الظهر ياور من نظارة الحرية ، اسمه غالى عاطف ، ومعه جواب بامضاء أنور باشا ، يطلب فيه من سمو الخديو تسليم آلة التلغراف اللاسلكى التى فى الباخرة المحروسة ، فأبلغه سموه بأنه سيصدر الأوامر اللازمة فى هذا الموضوع .

وبعد الظهر أمر سموه عارف باشا بالذهاب إلى نظارة الحرية ، لابلأغ أنور باشا

بموافقة سموه على نقل هذه الآلة من الباخرة المحروسة ، ووضعها تحت تصرف الجيش وإدارته .

وفي هذا اليوم أيضاً أمر سمو الخديو بتحضير بيان بأسماء جميع الموجودين في سراي جوقلي ، لترحيل من يلزم ترحيله منهم إلى مصر بالباخرة سعيدية ، من بواخر الشركة الخديوية ، التي أرسلت اليوم أنها ستقوم .

في ٨ ديسمبر ذكر سموه أن الحكومة العثمانية عثرت على أوراق في نادى العرب بالاستانة تدل على أن جماعة منهم يحرضون العرب من أهل سوريا ، على ألا يسيروا في هذه الحرب التي يرونها مشومة . قال هذا سموه ، والظاهر أنه كان يرمى إلى إشعار السيد عبد الحميد الزهراوى بأن يترك الاستانة مؤقتاً ويهرب منها ولكن سموه خشى أن يبلغه ذلك مباشرة ، ثم يسأل عن أوعز له بالحرب ، فيقولون : سمو الخديو .

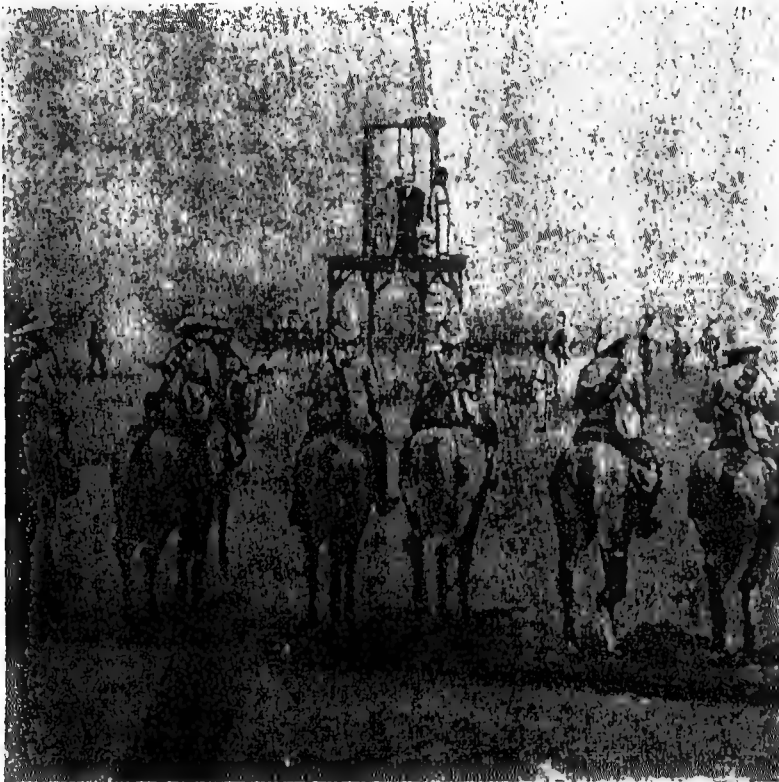
في ١٤ منه عند ظهر اليوم خرج سموه لابساً ملابسه الرسمية العسكرية ؛ وكذلك رمزى طاهر باشا ، والميرالاي ابراهيم أدهم بك ، والصاغ محمد خيرى افندى ؛ ثم يوسف صديق باشا ، وعارف باشا . وقصد سموه سراي مجلس المبعوثان لحضور حفلة الافتتاح ؛ ثم عاد سموه وحاشيته لتناول طعام الغداء .

كلمة شكر

لا يفوتنى أن أتقدم بالشكر إلى حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون على ملاحظاته القيمة وعلى تفضله ببعض الصور النادرة ، وكذلك إلى حضرة الدكتور حسين بك هيكل الكاتب القدير على مقدمته النفيسة التي صدرت بها القسم السابق ، وإلى الدكتور محمد عبد الله عنان على تنسيقه المذكرات ، كما أشكر الصحافة العربية والأجنبية وبعض الكتاب البارزين على تقيظهم الجليل لها

كلمة ختامية

لم يبق من مذكراتى سوى الجزء الأخير ، وما سيحويه : الجمعيات السرية الجهنمية لاثارة الفتن والقتال بمصر ضد الانجليز ، بولو باشا والعمل لصالح فرنسا وحدها مع ألمانيا ، المغارات بين عباس وانجلترا بوساطة ملك البلجيك ، رجوع عباس إلى الاستانة بعد اتفاق مع الاتحاديين وأنا أرجو أنه أن يوفقى لخراج هذا الجزء الأخير ، وكشف هذه الخبايا للحقيقة والتاريخ ، والله ولى التوفيق



إنفاذ عقوبة الاعدام في المحكوم عليهم في حادثة دنشواي

مذكراتي في نصف قرن ج ٢

تصويب الأخطاء التي وقعت في هذا الجزء

الخطأ	الاصواب	١	٢	٣	٤
شكا	شكا	٢٤	٩		
اصطبل	اصطبل	١٥	١٨٠		
أمانا	أمانا	٢٤	١٩		
كانت أن العلاقات	كانت العلاقات	١	٢١		
احد شوق الهندى	احد شوق بك	١٩	٦٤		
عنهما	عنهما	١١	٧٩		
جبهة	جبهة	١٣	٨٣		
لمصر	مصر	١٨	٨٣		
مر	مى	١١	٨٣		
للدافعة عن شناعة	لتدبير بشاعة	٢٤	١٠٦		
أخبرنى	أخبرنى	٢	١٥٩		
محمد القاضى جمال الدين	محمد جمال الدين الهدى	١	١٦٩		
أفندى	قاضى مصر	١٧	٣٢٥		
وأديت	وأديت	٩	١٨٦		
ووصل	وصل	١	١٩١		
ييفرغد	ييفرغد	١١	١٩٥		
ليه	ليه	١	١٩٨		
بلدية	بلدية	٢	٢٠٥		
التواصى	التوصيات	٤	٢٢٦		
تقضى	يتقضى	٥	٢٢٨		
نخرجه	نخرجه	١٧	٢٢٩		
تقشاً	نقشاً	١٤	٢٤٣		
تتأبد تتأبدأ	تتأبد تتأبدأ	١٢	٢٤٥		
المنابذة	المنابذة	٦	٢٤٧		
وقيم	وقسم	١	٢٥٣		
بما	بما	٢٥	٢٦٠		
أراد	أراد	١٤	٢٦١		
السكرية	السكرية	٢٣	٢٦٦		
الاعيرة	الاعيرة	١٢	٢٦٧		
أحد	أحدأ	٢١	٢٧٦		
أخذ يوزع من على	أخذ يوزع منها	٢٦	٢٦٧		
الأوقات المبات	المبات				
يا باشا	ياشا	٤	٢٧٩		
تعيته	تعيته	١٠	٢٨٠		
بالمدن	للمدن	١٩	٢٨٣		
بمجرد القابها	بمجرد أن القاسها	٩	٢٩٣		
الانتخابات	لا انتخابات	٢٦	٢٩٩		
أخذ حلى باشا	محمد حلى باشا	٢٤	٣١٣		
الطالبين	الطالبين	١٧	٣٢٥		
ين	ين	٢	٣٣٠		
التي وضعناها	التي التي وضعناها	٧	٣٣٣		
خاصة	خاص	١٥	٣٤٧		
المتعين	المتعين	٢٣	٣٧٥		
نولير	نولير	٣	٣٨٥		
الفرقة	الفرقة	٥	٣٨٥		
المبعوثان	المبعوثين	١٢	٤٠٠		
المبعوثان	المبعوثين	١٤	٤٠٠		
برذاتى	برزاد	١	٤٠٤		
الملازمين	للملازمين	١٣	٤٠٧		
ثلاثة	ثلاث	٣	٤١١		
لها	له	١٦	٤١٢		
عزى	عزى	١٧	٤١٧		
واللفظ	ف واللفظ	١٨	٤٢٩		

صدر في هذه السلسلة

- ١ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ،
د . عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٧، ط ٢، ١٩٩٤ .
- ٢ - على ماهر،
رشوان محمود جاب الله، ١٩٨٧ .
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة،
عبد السلام عبد الحليم عامر، ١٩٨٧ .
- ٤ - التيارات الفكرية في مصر المعاصرة،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٨٧ .
- ٥ - غارات أوروبا على الشواطئ المصرية في العصور الوسطى،
عليه عبد السميع الجزوري، ١٩٨٧ .
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر جا،
لمعى المطيعي، ١٩٨٧ .
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي،
د . عبد المنعم ماجد، ١٩٨٧ .
- ٨ - رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية،
د . علي بركات، ١٩٨٧ .
- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل،
د . محمد أنيس، ١٩٨٧ .

- ٤٥٤ -

- ١٠- توفيق دياب ملحة الصحافة الحزبية،
محمود فوزى، ١٩٨٧.
- ١١- مائة شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٧.
- ١٢- هدى شعراوى وعصر التنوير،
د. نبيل راغب، ١٩٨٨.
- ١٣- أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان: رؤية تاريخية،
د. عبدالعظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٨، ط ٢، ١٩٩٤.
- ١٤- مصر فى عصر الولاة، من الفتح العربى إلى قيام الدولة
الطولونية،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٨.
- ١٥- المستشرقون والتاريخ الإسلامى،
د. على حسنى الخربوطلى، ١٩٨٨.
- ١٦- فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعى فى مصر: دراسة
عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢-١٩٥٢)،
د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٨.
- ١٧- القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى،
د. محمد نور فرحات، ١٩٨٨.
- ١٨- الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية،
د. على السيد محمود، ١٩٨٨.
- ١٩- مصر القديمة وقصة توحيد القطرين،
د. أحمد محمود صابون، ١٩٨٨.

- ٢٠ - دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمى ،
د . محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨ .
- ٢١ - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى ج ١ ،
د . توفيق الطويل ، ١٩٨٨ .
- ٢٢ - نظرات فى تاريخ مصر ،
جمال بدوى ، ١٩٨٨ .
- ٢٣ - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى ج ٢ ، إمام التصوف فى مصر : الشعرانى ،
د . توفيق الطويل ، ١٩٨٨ .
- ٢٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦) ،
د . نجوى كامل ، ١٩٨٩ .
- ٢٥ - المجتمع الإسلامى والغرب ،
تأليف : هاملتون جب وهارولد بروين ،
ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩ .
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
د . سعيد إسماعيل على ، ١٩٨٩ .
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ج ١ ،
تأليف : ألفريد ج . بتر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ، ١٩٨٩ .
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ج ٢ ،
تأليف : ألفريد ج . بتر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ، ١٩٨٩ .
- ٢٩ - مصر فى عهد الإخشيديين ،
د . سيدة إسماعيل كاشف ، ١٩٨٩ .

- ٣٠- المؤلفون في مصر في عهد محمد علي،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٠ .
- ٣١- خمسون شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٩ .
- ٣٢- هؤلاء الرجال من مصر ج- ٢،
لمعى المطيعى، ١٩٨٩ .
- ٣٣- مصر وقضايا الجنوب الافريقى: نظرة على الأوضاع الراهنة
ورؤية مستقبلية،
د . خالد محمود الكومى، ١٩٨٩ .
- ٣٤- تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ مطلع العصور الحديثة
حتى عام ١٩١٢،
د . يونان لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠ .
- ٣٥- أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة،
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٠ .
- ٣٦- المجتمع الإسلامى والغرب ج- ٢،
تأليف : هاملتون بووين، ترجمة : د. أحمد عبدالرحيم مصطفى، ١٩٩٠ .
- ٣٧- الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية في
ربع قرن،
تأليف : د . سليمان صالح، ١٩٩٠ .
- ٣٨- فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى،
د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠ .
- ٣٩- قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤-١٨٢٧)،
د . جميل عبيد، ١٩٩٠ .

- ٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨ ،
د . عبد المنعم الدسوقي الجميى ، ١٩٩٠ .
- ٤١ - محمد فريد: الموقف والمأساة، رؤية عصرية،
د . رفعت السعيد، ١٩٩١ .
- ٤٢ - تكوين مصر عبر العصور،
محمد شفيق غريال، ط ٢، ١٩٩٠ .
- ٤٣ - رحلة في عقول مصرية،
إبراهيم عبد العزيز، ١٩٩٠ .
- ٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر، في العصر العثماني،
د . محمد عفيفي، ١٩٩١ .
- ٤٥ - الحروب الصليبية ج ١ ،
تأليف : ولیم الصوری، ترجمة وتقديم: د . حسن حبشي، ١٩٩١ .
- ٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ : ١٩٥٧) ،
ترجمة: د . عبدالرؤف أحمد عمرو، ١٩٩١ .
- ٤٧ - تاريخ القضاء المصري الحديث،
د. لطيفة محمد سالم، ١٩٩١ .
- ٤٨ - الفلاح المصري بين العصر القبطي والعصر الإسلامي،
د . زبيدة عطا، ١٩٩١ .
- ٤٩ - العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨-١٩٧٩) ،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦-١٩٥٤) ،
د . سهير اسكندر، ١٩٩٣ .

- ٥١- تاريخ المدارس في مصر الإسلامية،
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، في
إبريل ١٩٩١)،
أعدها للنشر: د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
- ٥٢- مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر،
د. إلهام محمد علي ذهني، ١٩٩٢.
- ٥٣- أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،
د. محمد كمال الدين عز الدين علي، ١٩٩٢.
- ٥٤- الأقباط في مصر في العصر العثماني،
د. محمد عفيفي، ١٩٩٢.
- ٥٥- الحروب الصليبية ج٢،
تأليف: وإيم الصوري ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي، ١٩٩٢.
- ٥٦- المجتمع الريفي في عصر محمد علي: دراسة عن إقليم المنوفية،
د. حلمي أحمد شليبي، ١٩٩٢.
- ٥٧- مصر الإسلامية وأهل الذمة،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢.
- ٥٨- أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة،
د. إبراهيم عبدالله المسلمي، ١٩٩٣.
- ٥٩- الرأسمالية الصناعية في مصر، من التمهيد إلى التأميم
(١٩٥٧-١٩٦١)،
د. عبد السلام عبدالعليم عامر، ١٩٩٣.
- ٦٠- المعاصرون من رواد الموسيقى العربية،
عبد الحميد توفيق زكي، ١٩٩٣.

- ٦١- تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣ .
- ٦٢- هؤلاء الرجال من مصر ج٣،
لمعى المطيعى، ١٩٩٣ .
- ٦٣- موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية،
تأليف: د. سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين سرور، وسعيد عبدالفتاح
عاشور، أعدما للنشر: د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .
- ٦٤- مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة والإفتراء: دراسة وثائقية،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٩٣ .
- ٦٥- مواقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧-١٩١٧)،
د . سهام نصار، ١٩٩٣ .
- ٦٦- المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى،
د . نزيهان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣ .
- ٦٧- مساعى السلام العربية الإسرائيلية: الأصول التاريخية،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة،
بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، فى إبريل
١٩٩٣)، أعدما للنشر د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .
- ٦٨- الحروب الصليبية ج٣،
تأليف : وليم الصورى
ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٣ .
- ٦٩- نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦-١٩٥١)،
د . محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤ .

- ٤٦٠ -

- ٧٠- أهل الذمة فى الإسلام ،
تأليف : أ.س. ترتون
ترجمة وتعليق : د. حسن حبشى ، ط ٢ ، ١٩٩٤ .
- ٧١- مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤-١٩٤٦) ،
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٤ .
- ٧٢- رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى
(٣٥٨-٥٦٧هـ) ،
د . أمينة أحمد إمام ، ١٩٩٤ .
- ٧٣- تاريخ جامعة القاهرة ،
د. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤ .
- ٧٤- تاريخ الطب والصيدلة المصرية، ج١ ، فى العصر الفرعونى ،
د . سمير يحيى الجمال، ١٩٩٤ .
- ٧٥- أهل الذمة فى مصر، فى العصر الفاطمى الأول ،
د . سلام شافى محمود، ١٩٩٥ .
- ٧٦- دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الاحتلال
البريطانى) ،
د . سعيد إسماعيل على، ١٩٩٥ .
- ٧٧- الحروب الصليبية ج٤ ،
تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٤ .
- ٧٨- تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣-١٨٩٩) ،
نعمات أحمد عثمان، ١٩٩٥ .
- ٧٩- تاريخ الطرق الصوفية فى مصر، فى القرن التاسع عشر،
تأليف : فريد دى يونج، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال، ١٩٩٥ .

- ٨٠ - قناة السويس والتنافس الاستعماري الأوربي (١٨٨٢-١٩٠٤)،
د. السيد حسين جلال، ١٩٩٥.
- ٨١ - تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر
أكتوبر،
د. رمزي ميخائيل، ١٩٩٥.
- ٨٢ - مصر في فجر الإسلام، من الفتح العربي إلى قيام الدولة
الطولونية،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ط٢، ١٩٩٤.
- ٨٣ - مذكراتي في نصف قرن ج١،
أحمد شفيق باشا، ط٢، ١٩٩٤.
- ٨٤ - مذكراتي في نصف قرن ج٢ - القسم الأول،
أحمد شفيق باشا، ط٢، ١٩٩٥.
- ٨٥ - تاريخ الإذاعة المصرية: دراسة تاريخية (١٩٣٤ - ١٩٥٢)،
د. حلمي أحمد شلبي، ١٩٩٥.
- ٨٦ - تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ -
١٩١٤)،
د. أحمد الشرييني، ١٩٩٥.
- ٨٧ - مذكرات اللورد كليرن، ج٢، (١٩٣٤ - ١٩٤٦)،
إعداد: تريغور إيفانز، ترجمة وتحقيق: د. عبدالرؤف أحمد عمرو ١٩٩٥.
- ٨٨ - التذوق الموسيقي وتاريخ الموسيقى المصرية،
عبدالحמיד توفيق زكي، ١٩٩٥.
- ٨٩ - تاريخ الموائع المصرية في العصر العثماني،
د. عبدالحמיד حامد سليمان، ١٩٩٥.

- ٤٦٢ -

- ٩٠ - معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية،
د. نزيهان عبدالكريم أحمد، ١٩٩٦.
- ٩١ - تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،
تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال، ١٩٩٦.
- ٩٢ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦)،
ج ٢، د. نجوى كامل، ١٩٩٦.
- ٩٣ - قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ - ١٩٥٨)،
د. نبيه بيومى عبدالله، ١٩٩٦.
- ٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤)،
د. سهير إسكندر، ١٩٩٦.
- ٩٥ - مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة
(أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة
بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة
القاهرة)،
إعداد أ. د. عبد العظيم رمضان
- ٩٦ - عبدالناصر والحزب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠)،
تأليف: ماركولم كير، ترجمة د. عبدالرؤف أحمد عمرو.
- ٩٧ - العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من
القرن التاسع عشر،
د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.
- ٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية،
د. محمد سيد محمد.

- ٤٦٣ -

٩٩ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى -

الرومانى) ج ٢ ،

د. سمير يحيى الجمال

١٠٠ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة،

أ.د. عبدالعزیز صالح، أ.د. جمال مختار،

أ.د. محمد ابراهيم بكر، أ.د. ابراهيم نصحي،

أ.د. فاروق القاضي، أعدما للنشر: أ.د. عبدالعظيم رمضان

١٠١ - ثورة يوليو والحقيقة الغائبة،

اللواء/ مصطفى عبدالعظيم نصير، اللواء/ عبدالعظيم كفاي،

اللواء/ سعد عبدالعظيم، السفير/ جمال منصور

١٠٢ - المظلم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢

د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ - رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره

د. على بركات

١٠٤ - تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢)

د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ - السلطة السياسية فى مصر وقضية الديمقراطية ١٨٠٥ -

١٩٨٧ .

د. أحمد فارس عبدالمنعم

١٠٦ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية فى

ربع قرن.

د. سليمان صالح

- ١٠٧ - الأصولية الإسلامية.
تأليف: دليب هيررو: ترجمة: عبدالحميد فهمي الجمال.
- ١٠٨ - مصر للمصريين ج ٤.
سليم النقاش
- ١٠٩ - مصر للمصريين ج ٥.
سليم النقاش
- ١١٠ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين
المماليك) ج ١.
د. البيومي إسماعيل الشربيني.
- ١١١ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين
المماليك) ج ٢.
د. البيومي إسماعيل الشربيني.
- ١١٢ - إسماعيل باشا صدقي
د. محمد محمد الجوادى.
- ١١٣ - الزبير باشا ودوره في السودان (في عصر الحكم المصري)
د. عز الدين إسماعيل.
- ١١٤ - دراسات في تاريخ مصر الاجتماعى
تأليف أحمد رشدى صالح
- ١١٥ - مذكراتى في نصف قرن ج ٣.
أحمد شفيق باشا.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الأيداع بدار الكتب ٥٦٣٦ / ١٩٩٧

I.S.B.N 977 - 01 - 5203- X

هذا الكتاب الذى بين يدي القارئ من
مذكرات أحمد شفيق باشا، يتناول الفترة
الزمنية من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩١٤، وهى
فترة حافلة بالأحداث التى عايشها أحمد شفيق
باشا عن قرب باعتباره أحد صناعها، ورؤيته
لها - بالتالى - ذات أهمية كبرى للمثقف
ولباحث التاريخ.